



المجلة الدولية



أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات

مجلة دولية أكاديمية محكمة تعنى بدراسات
العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات

تصدر عن جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق
ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية
رماح-عمان - الأردن

العدد 26 الجزء 2 بتاريخ 2023/6/15

ISSN 2708- 4663 DNNLD 2020 -3/1128

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة فصلية تعنى بدراسات العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات تصدر
عن جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية رماح، عمان، الأردن

التصنيف ضمن قواعد البيانات العالمية

القاعدة الأولى

EBSCO

INFORMATION SERVICES

المجلة مصنفة ضمن قاعدة بيانات إيبيكو EBSCO العالمية ومن ضمن فروعها
قاعدة ERIH مقرها بماساتشوستس الولايات المتحدة الأمريكية

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

القاعدة الثانية

ASKZad

مصنفة ضمن قاعدة بيانات أسك زاد ASK ZAd

مقرها بالولايات المتحدة الأمريكية، والإمارات العربية المتحدة، وجمهورية مصر العربية
والمملكة الأردنية الهاشمية

القاعدة الثالثة



مصنفة ضمن قاعدة بيانات دار المنظومة

Dar Almandumah مقرها بمدينة الرياض، المملكة السعودية.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، الجزء ٢٦ العدد ٢٦ بتاريخ ٢٠٢٣/٥/١٥

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية
والآداب واللغات

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة فصلية تعنى بدراسات العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات تصدر عن
جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية رماح، عمان، الأردن

الجزء ٢٦ العدد ٢٦

إدارة المجلة

المشرف العام: أ.د/ خالد الخطيب -الأردن-

المشرف الشرفي: أ.د/ حاجي دوران -تركيا-

المشرف المباشر: أ.د/ عبد الواحد زيارة إسكندر المنصوري، جامعة البصرة، العراق

رئيس التحرير: أ.د.رحيم حلو مُجدد جامعة البصرة، العراق

مدير التحرير: م.م.عباس قاسم عطية جامعة البصرة، العراق

العنوان الإداري للمجلة

مركز البحث وتطوير الموارد البشرية (رماح) شارع وصفني عمان -الأردن-

الهاتف /الفاكس: ٠٠٩٦٢٦٥١٥٣٥٦١ إيميل المجلة: researchre99@gmail.com

رابط الموقع الإلكتروني: <https://remahresearch.com>

ISSN: 2708 -4663 DNNLD :2020-3/1128

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، الجزء ٢ العدد ٢٦ بتاريخ ٢٠٢٣/٥/١٥

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة فصلية تعنى بدراسات العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات تصدر عن جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية رماح، عمان، الأردن

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د/ عصام كاطع داود الشويلي، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ تحرير علي حسين علوان، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ هاشم صالح مناع، جامعة الإسرائ، عمان، الأردن
أ.د/ حميد سراج جابر الأسدي، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ كاظم خلف علي العلي، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ فريد أمعشوشو، جامعة وجدة، المغرب
أ.د/ خالد الجندي الجامعة اللبنانية لبنان
أ.د/ فاضل بيّات مركز إرسيكاتركيا
أ.د/ حيدر عبد الرضا حسن التميمي، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ رشيد مُجد كهوس، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، المغرب
أ.د/ داود عبد السلام صبري، جامعة بغداد، العراق
د/ أسامة إسماعيل عطا الله، جامعة فلسطين
د/ عبد الرحيم قصبواوي، جامعة القنيطرة، المغرب
د/ ليلى العبيدي، جامعة منوبة، تونس
د/ مهنا بن سعيد، جامعة الرباط، المغرب
د/ علي حمزة عباس عثمان الصوفي، جامعة الموصل، العراق

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، الجزء ٢ العدد ٢٦ بتاريخ ٢٠٢٣/٥/١٥

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

د/ رسول بلاوي، جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران
د/ عصام محمد حسن كايد، جامعة الإسراء، الأردن
د/ انوار جاسم مطلق، الجامعة المستنصرية، العراق
د/ ميس عبد الكريم إسماعيل، جامعة دمشق، سوريا
د/ عبد الرؤوف أحمد عايش بني عيسى، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن
د/ عيساوي فاطمة، جامعة اكلي امحمد اولحاج - الجزائر

شروط النشر في المجلة

- الأفكار والآراء التي يتضمنها البحث لا تعبر عن رأي المجلة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أن ادارة المجلة بفروعها وخاصة هيئة التحرير، غير مسؤولة عن أي سرقة علمية تتم في البحوث المقدمة لها.
- ١- تنشر مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات الأبحاث الأصلية ذات المنهجية العلمية الرصينة والتي تلتزم بالموضوعية، وتتوافر فيها الدقة والجديّة.
- ٢- كلّ بحث لا يحترم شروط النشر لا يؤخذ بعين الاعتبار.
- ٣- تخضع كلّ الأبحاث إلى التحكيم من قبل هيئة مختصة، ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يقوم الباحث بالتعديلات المقترحة.
- ٤- للمجلة كلّ الحق في أن تطلب من الباحث أن يحدف أو يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب مع طبيعة المجلة.
- ٥- لا يجب أن يكون البحث قد سبق نشره أو كان جزءا من كتاب منشور.
- ٦- يتعهد الباحث بعدم تقديم البحث للنشر في جهة أخرى، بعد إقرار نشره في مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، إلا بعد الحصول على إذن كتابي بذلك من مدير المجلة.
- ٧- لا تتجاوز صفحات البحث المقدم ٢٠ صفحة.

٨- على الباحث احترام شروط الكتابة التالية:

* تحتوي الصفحة الأولى من البحث على؛ عنوان البحث، الاسم الكامل للباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي إليها باللغة العربية واللغة الإنجليزية، البريد الإلكتروني للباحث، ملخص للدراسة في حدود ١٥٠ كلمة حجم ١٢ بلغة المقال وبلغة أجنبية (الإنجليزية)، الكلمات المفتاحية بعد الملخص.

* تقدم الأبحاث مكتوبة ببرنامج Word بخط Traditionnel Arabic حجم ١٤، تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم ١٤ مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط. أما الأبحاث المكتوبة باللغة اللاتينية فتكتب بخط Time new Roman، بحجم ١٢ وتكون الحواشي ٤ سم على جوانب الصفحة الأربعة، كما تدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في المقال، وتكتب عناوينها والملاحظات التوضيحية أسفلها، أما الجداول ترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب عناوينها أعلاها والملاحظات التوضيحية أسفلها.

* يلتزم الباحث بتهميش المعلومات على طريقة American Psychological APA Association

* بالنسبة لعلامات الترقيم، توضع النقطة (.) بعد الكلمة مباشرة دون وجود فراغ بينهما، ويوضع فراغ واحد بين النقطة وبداية الجملة التالية. كما لا توضع النقطة (.) أبداً في العناوين، أما إذا كان العنوان يضم عنوانين أحدهما فرعي والآخر رئيسي فيفصل بينهما بنقطتين.
* تكتب واو العطف ملتصقة بالكلمة التي تليها ولا يترك فراغ بينهما.
* عدم الإكثار من الفقرات وجمعها في نصّ سياقي واحد، واللجوء الى الفقرات عند الضرورة النصية.
* تترجم الخاتمة والمراجع الى اللغة الإنجليزية.

٩- الأفكار والآراء التي يتضمنها البحث لا تعبر عن رأي المجلة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أنّ إدارة المجلة وفروعها خاصة هيئة تحرير، غير مسؤولة عن أيّ سرقة علمية تتم في البحوث المقدمة لها.

١٠- يرفق صاحب البحث تعريفاً مختصراً بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي

ترسل الأبحاث إلى إيميل المجلة researchre99@gmail.com

الفهرس

٢٤-١	The Effect of Computer-Mediated Instruction (CMI) on Recall and Retention of Reading Comprehension among Intermediate Language Learners / Ahmed Idan Obaid - Bahman Gorjian Bahman Gorjian/ Islamic Azad University - Iran
٣٧-٢٥	اسم القاعِل في شعر صادق القاموسي (دراسة في الدلالة الصرفية) الباحث: طيار فاضل حميد / أ.د. سليمة جبار غانم - جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
٤٩-٣٨	بناء الجملة الفعلية في آيات الأمن في القرآن الكريم دراسة نحوية د/هدى بنت سعيد محمد البطاطي - جامعة الملك عبدالعزيز/ فرع السليمانية
٦٠-٥٠	موقف الطبري من الدولة الزيرية الأستاذ المساعد الدكتور قيس كاظم الجنابي - الجامعة الإسلامية / النجف الأشرف
٧٤-٦١	دور النباتات العطرية والدوائية في المناسبات والاعياد في الاندلس الباحثة: انتصار طاهر خزعل - أ.د. عصام كاطع داود - كلية التربية للبنات/ جامعة البصرة
٩٣-٧٥	The Effect of Inferring Meaning Technique on EFL Learners' Listening Skills at the Upper-intermediate Level Yasser Abedulsada Hussein - Bahman Gorjian/ Islamic Azad University - Iran
١٠٩-٩٤	التواصل والتشويش في كتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) أ.م.د. واثق حسن مجهول الحسناوي - جامعة المثنى / كلية الآداب
١٢٧-١١٠	سجن البصرة المركزي وادارته والاضاع العامة في السجن ١٩٣٣-١٩٥٨ م.م. وسام نوري عبد الواحد - أ.د. نجاة عبد الكريم عبد السادة
١٤٥-١٢٨	الاستعارة التمثيلية في المعلقات العشر الطالبة/ أماني حمدان مرزوق الرقب - أ.د. هاشم صالح مناع/ جامعة الإسراء/ الأردن

١٦٣-١٤٦	الكفاءة الذاتية وعلاقتها بالفضول الإدراكي لدى المرشدين التربويين م.د. ذكريات كاظم دعدوش - جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية
١٧٥-١٦٤	النقد الاجتماعي في سيرة فدوى طوقان الذاتية "رحلة جبلية رحلة صعبة" د. معاذ عبدالله إشتية - جامعة الإستقلال - أريحا / فلسطين
٢١٠-١٧٦	توظيف إيران للدين في توجهاتها السياسية تجاه العراق ١٩٧٩-١٩٨٩ الباحثة: أسماء جواد كاظم حداد-أ.د. فرقد عباس قاسم/ جامعة البصرة- كلية التربية للعلوم الإنسانية
٢٣٦-٢١١	مقدار التغير والاتجاه الشهري لدرجة الحرارة الصغرى الأقصى اليومية وتوزيعه الجغرافي خلال فصل الربيع في العراق الباحث: وسام عبدالله عصملي الكعبي/ المديرية العامة للتربية / ميسان - أ. د. علي غليس ناهي السعيد / جامعة ميسان / كلية التربية
٢٥٣-٢٣٧	الوحدة الإنسانية من منظور القرآن الكريم م.د. علي ضيغم طاهر - جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
٢٦٧-٢٥٤	قواعد العرف والعادة وتطبيقاته في السياسة الشرعية الدكتورة فوزيه سالم مبارك بصبوص
٢٨٧-٢٦٨	موقع ماليزيا واثره في تطور الاقتصاد الماليزي (١٧٨٦-١٩٦٥) الباحثة: أحلام ناجي مجيد - الدكتور رؤوف كاظم هيلان محسن جامعة ذي قار / كلية الآداب
٣٠٢-٢٨٨	الوصف في رواية مولد غراب لوارد بدر السلام المدرس الدكتور مشتاق سالم عبد الرزاق / كلية الآداب - جامعة البصرة
٣٣٧-٣٠٣	الإشارات التاريخية في أحداث المشرق الإسلامي في كتاب القند في ذكر علماء سمرقند (نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي) ت ٥٣٧هـ م.م ابتهاج محمد عبدالكريم - مركز دراسات البصرة والخليج العربي

٣٥١-٣٣٨	جمالية الأداء التعبيري للحرف في القرآن الكريم م.د. عبدالحفي عبد النبي زبيك العبادي - الكلية التربوية- مركز البصرة
٣٨١-٣٥٢	دور الأنشطة القائمة على التعلم النشط في تنمية المهارات الاستقلالية لدى أطفال الروضة من وجهة نظر المعلمات في محافظة اربد. هلا مشهور عيسى الشريفين - د.رانية حكمت فريجات / جامعة الإسرء-الأردن
٣٩٨-٣٨٢	أبرز المظاهر الحضارية في المشرق الإسلامي في العصور العباسية (الوضع الاقتصادي والحياة الاجتماعية) م. د. سهى عدنان إبراهيم / جامعة المستنصرية - كلية التربية
٤٢٢-٣٩٩	التحليل الجغرافي لإمكانيات التنمية الصناعية في محافظة ميسان للعام ٢٠٢١ الباحثة: م. ختام ثجيل شمخي - جامعة ميسان / كلية التربية
٤٣٣-٤٢٣	الجناس وأثره في إيقاع شعر نازك الملائكة م.م ميلاد علاء عبد الكريم / جامعة البصرة - كلية التربية للبنات
٤٧٩-٤٣٤	التدخل الدولي الإنساني وأثره على مبدأ السيادة: العراق أنموذجا ياسين شريف انصيف الحجيمي - معهد المعلمين للدراسات العليا/النجف الأشرف
٤٩٨-٤٨٠	معيقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر المعلمين وسبل تطويرها في محافظة الداخلية بسلطنة عمان د/ أفلح بن أحمد بن سليمان الكندي - أ/ روية بنت علي بن خليفة الكلبانية وزارة التربية والتعليم/ جامعة انزوى

**The Effect of Computer-Mediated Instruction (CMI) on Recall and Retention
of Reading Comprehension among Intermediate Language Learners**

Ahmed Idan Obaid

**Faculty of TEFL, Science and Research Campus, Islamic Azad University of
Tehran, Iran**

Bahman Gorjian*

**Associate Professor, Department of ELT, Abadan Branch, Islamic Azad
University, Abadan, Iran (Corresponding author)**

Abstract

This experimental study aims to investigate the effectiveness of the computer-mediated instruction (CMI) approach on intermediate EFL learners' reading comprehension recall and retention. In doing the research, 46 sixth-grader EFL students were selected based on a convenience sampling procedure from secondary schools in Iraq. The Oxford Placement Test (OPT) and reading comprehension test were applied to ensure the accessibility and homogeneity of the participants which was the main rationale behind selecting them. The participants were assigned into two groups, i.e., an experimental group (N=23) which was labeled as the computer-mediated instruction group (CMIG), and the control group (CG) (N=23) which received the traditional method of teaching without any treatment. Having ensured the normality of the data and homogeneity of the participants in terms of reading comprehension ability. To ensure the reliability of (OPT), and vocabulary tests, KR-21 method was used. Then SPSS data files were checked for data by taking frequency counts of the answering on all items from both data collection instruments. The main analysis was conducted to answer the research questions. The results of the analysis show that there is an effect on reading comprehension recall and retention. Where the study's major finding indicated that computer-mediated instruction of reading courses significantly affected EFL learners' reading comprehension recall and retention. It was well-proved that integrating computer technology and computer-aided applications in the process of language learning not only enhances the learners' motivation and enthusiasm to

pursue the line of education much more effectively but also gives them enough opportunities to engage more independently in the learning process.

Keywords: computer-mediated instruction (CMI) approach, Recall, Retention, Reading Comprehension

1. Introduction:

Technology plays an essential role in the education system, contributing to the efficacy and efficiency of the teaching-learning process. In this regard, the concept of teaching using technological devices is not new but has not been fully investigated. Computer-mediated technology not only helps to bring about desirable changes in the teaching-learning process, but also makes the entire process more interesting, motivating, and interactive. Today's students are no longer satisfied with only one-way traditional teaching methods; therefore, there has been an increased demand to bring advanced educational technologies into the classroom. Their expectations include the presentation of the course content which must meet their needs. Technology experts claim that the use of computer technologies can transform the teaching-learning process positively. In today's rapidly growing world, accessibility and unlimited opportunities to obtain and collect information are crucial. It will also allow teachers and students to collaborate with peers and experts. Technology will also help exchange ample ideas and explore topics that would otherwise be impossible in a conventional classroom method.

Computer mediated instruction (CMI) gained popularity and expanded to reach a wide spectrum of subjects , including mathematics , science , history , language arts , music and social studies (Chang , 2008) . In a review of empirical studies on computer mediated instruction (CMI), Cotton (1991) concluded that the use of CMI as an enhancement to traditional teaching produces improved achievement over the use of conventional methods alone.

Concerning the growing demand and expectation for technology in various fields and the increase in learners' need and their higher consumption of it (Chapelle & Voss, 2016) and also considering their motivation level, it is

evident that the use of computer-mediated active learning in the classroom environment is extremely important (Park & Choi, 2009). Therefore, this study aims to apply computer-mediated vocabulary comprehension exercises to improve learners' vocabulary skills and knowledge.

Vocabulary teaching and learning is a time-consuming effort in traditional approaches such as looking up the meaning of words in printed dictionaries. It has been increasingly argued that computer technologies can support learning in several ways and facilitate learning preconditions (Gorjian, 2008). Teaching vocabulary through Computer-Mediated Instruction (CMI) activities has been popularly used in English as a foreign language learning context. Many features of the computer are considered to enhance vocabulary development and reading comprehension. Multimedia is one of them. Multimedia refers to computer-based systems that use various types of content, such as text, audio, video, graphics, animation, and interactivity. The key concepts of multimedia are thus computer-based and interactive. Teachers should pay more attention to the existence of various teaching tools that help in vocabulary development, both traditional, and technology-enhanced. Using CMI approaches to teaching vocabulary, teachers are also freed from the long and boring process of teaching vocabulary and are allowed to focus more on other needs of language learners (Gorjian, 2008). Thus, for vocabulary acquisition, teachers could make great use of technology by using multimedia glossed texts, electronic dictionaries, as well as various vocabulary-building software.

2. Review of Literature:

As far as language instruction is concerned, a large body of research that focused on the role of computer technology already exists. These researches have emphasized that technology can positively affect language learning. They state that using computers, especially word processors, has been brought to the educational setting in the last thirty to forty years. For instance, microprocessors in writing skills can provide students complete their assignments very easily in which they can revise their essays in terms of spelling, grammar, and punctuation adjustments and corrections. One of the useful

innovations in the 2007 Microsoft Office system is the contextual spelling checker (Nikoo Mohammadi, et al.). Computer-assisted language learning (CALL) over the years has introduced numerous types of software that are used in many different fields both academic and scientific learning. In this regard, the meta-analysis of over 160 studies from 1990 to 1995 studied by Coley as Technology's impact, indicated that writing with the application of technology, especially word processors, makes editing easier and faster than writing with pen-paper and also improves the quality of writing. Learning teaching of oral skills (Winke, Gass, & Sydorenko, 2010) and its efficiency is also emphasized by CALL and in particular, its usefulness concerning distance learning has been addressed (Qian & McCormick, 2014), students or instructors' attitudes (Wiebe & Kabata, 2010), strategy use (Smidt & Hegelheimer, 2004), captioning and subtitling (Danan, 2004, Winke, et al., 2010) and the test format (Batty, 2014).

In 2011, Johnson and Rubin conducted a literature review on computer-mediated instruction and found several compelling results. Many of the studies (more than 60%) showed significant gains in interactive CMI, while (around 30%) of the studies showed no significant gains. Only (almost 5%) of the studies regarding traditional instruction were significantly better than CMI. Raines and Clark (2011) supported Lei's and Drijvers' research. They believed that technology is not the only solution for helping students, but it is a useful tool for achieving instructional goals and can be used effectively or poorly' (Raines & Clark, 2011). Cheung and Slavin (2013), on the contrary, support Lei's position. Cheung and Slavin stated that technology is everywhere in society, including in the classroom. To improve academic performance, it is no longer an issue whether to use technology, the question is how. Technology is accessible, faster, cheaper, and more convenient for teachers and is more technologically competent in the past 20 years; therefore, educators are in a better position to implement valuable educational technology into classroom practices.

To support the usage and benefits of CALL, several studies argue that the use of new technologies in the classroom is essential. It provides opportunities for students to learn and to operate in an information age. Bransford, Brown,

and Cocking (2000) indicate, about Distance Education there is great potential to enhance pupil achievement as well as teacher learning. Similarly, Wong et al. (2006) reported that technology can play an important role in supporting face-to-face teaching and learning in the classroom. New technologies can also help teachers promote their pedagogical practice as well as assist their students in the learning process. Additionally, according to Grabe and Grabe (2007), technology can play a crucial role in student skills, motivation, and knowledge. However, Becta (2003), it was asserted that the success of the integration of technology into teaching and learning depends primarily on the ways it is applied. Further observations revealed that new technologies can be used in primary science education to enable pupils to collect science information, interact with resources, and communicate and share, Gillespie (2006).

With the internet flourishing and numerous forms of network communication, a new approach to teaching/learning foreign languages has been introduced. According to Hayati (2005), a computer stores as much information as its capacity allows. Thus, this is a good opportunity to utilize it as a complementary device to other audio-visual aids in teaching language to learners. Foreign languages, especially English, are not aims in themselves, yet tools for exchanging thoughts, ideas, interests, etc. Similarly, to the internet, it links people living in different corners of the world not only in geographical terms but also the cultural ones. The two media, the network, and language, have altered modern lifestyles. Both English and computer technology integrate people of different nationalities and needs.

Though CMI has developed gradually over the past 30 years, this development can be categorized in terms of three somewhat distinct phases which are behavioral CALL, communicative CMI, and integrative CALL (Warschauer, 2008). Behavioral CALL was based on the then-dominant behaviorist theories of learning. Programs of this phase entailed repetitive language drills and can be referred to as “drill and practice”. The computer serves as a vehicle for delivering instructional materials to the student.

In the late 1970s and 1980s, behavioral CALL was undermined by two important factors. First, behavioral approaches to language learning had been rejected both at theoretical and pedagogical levels. Secondly, the introduction of the microcomputer allowed a whole new range of possibilities. The second phase of CALL was based on the communicative approach to teaching which became a proponent in the 1970s and 80s. Proponents of this approach felt that the drill and practice programs of the previous decade did not allow enough authentic communication to be of much value. The third one is integrated CALL which refers to the integration of skills like listening with reading. However, this phase of CALL is still too young a field to put all theoretical language teaching principles into practice that is integrating meaningful and authentic communication into all aspects of the language learning curriculum. Moreover, it was also found that the combination of internal and external glossaries helped learners to significantly recall a greater number of ideas when reading the text than when they only had access to an external dictionary while reading an online text.

Learning a foreign language might be a process of introducing a new sound pattern into a semantic field with or without an exact native language equivalent. Thus, psycholinguistic factors can potentially change the learning process of new words, making them perceived as more/less teachable or learnable. Attempting to find out what factors influence the complexity or simplicity of the words, psycholinguists are usually engaged in investigating the phonological, morphological, and logical structure of the words. Although the way the new words are presented to students and learners' differences such as age, gender, and learning styles is of utmost importance in teaching vocabulary to students, the intra- and inter-lexical characteristics of the words characterize still another important area of investigation. to achieve the purpose of the study, the following research questions were proposed:

RQ1. Does the computer-mediated instruction (CMI) approach have any significant effect on the intermediate EFL learners' reading comprehension recall?

RQ2. Does the computer-mediated instruction (CMI) approach have any significant effect on intermediate EFL learners' reading comprehension retention?

3. Methodology

3.1 Materials and Instruments

In this study, a textbook (Active Skills for Reading 2) was used as the material, and two tests were adopted as measurement instruments. To measure the participants' language proficiency Oxford Placement Test (OPT) and reading comprehension test were administered. Detailed descriptions of the materials and instruments were presented in the following sections.

3.1.1 Active Skills for Reading 2 Textbook:

Active Skills for Reading is an exciting five-level reading series that develops learners' reading comprehension and vocabulary skills. Written by reading specialist Neil J Anderson, the new edition of this series uses an active approach to help learners become more confident, independent, and active readers.

Active Skills for Reading 2 books contain 12 lessons with various topics to strengthen reading skills. The Active Skills for Reading 2 suite is recommended for language learners who have passed the introductory level and intend to improve their Reading skills.

This best-selling collection by the famous author Neil J. Anderson is a writer who uses dynamic and engaging methods to help and strengthen learners' reading skills. This book is easy to understand and focuses on strengthening reading skills. Active Skills for Reading 2 expands on the most commonly used vocabulary, teaches reading techniques, and strengthens students' comprehension and listening skills.

3.1.2 Oxford Quick Placement Test (OQPT)

To homogenize, the participants of this study in terms of their English language proficiency level, an Oxford Quick Placement Test (OQPT) was utilized. The test consists of reading, vocabulary, and grammar sections. It comprises 60 questions in two parts. The first part contains 40 multiple choice

items in 4 subparts including the grammatical questions about prepositions (items 1-5), the cloze passage test in which one option out of three ones should be selected (items 6-10), cloze passages test in which one option from four ones should be selected (items 7-20) and finally testing grammatical knowledge (21-40). The second part of this test includes two sub-sections, for the first one the learners are required to read two cloze passages and select the correct option (items 41-50), and the second section tapped learners' vocabulary format (items 51-60). The participants were allotted 60 minutes to answer the questions. The results are classified based on OPT ranking rubric.

3.1.3 Reading Comprehension Test

The reading comprehension test utilized in the present study was a researcher-made multiple-choice test consisting of three passages extracted from the content of the Active Skills for Reading 2 Textbook. For each passage, 10 multiple-choice items were developed. In total, 30 multiple-choice items were created which encompassed three sets of questions, i.e., inferential questions (10 items), referential questions (10 items), main idea questions (5 items), and vocabulary in context questions (5 items).

This test was employed as a pre-test before the treatment to ensure the homogeneity of the participants in terms of initial reading comprehension ability. It was also administered immediately after the treatment as a post-test to identify the effectiveness of intended intervention. It was also given two weeks after the treatment to determine the effectiveness of treatment on the long-term retention of the participants. The only difference between the three reading comprehension tests administered as the pre-test, post-test, and delayed post-test was the sequence and organization of the items to avoid the effect of learning and remembering for the subsequent test.

The reliability of all the reading comprehension tests was calculated through the KR-21 method. The reliability for the pre-test, post-test, and delayed post-test turned out to be 0.85, 0.76, and 0.81, respectively.

For scoring this reading comprehension test, choosing each correct answer take 1 point and each incorrect answer takes zero. Finally, the sum of all correct

responses is considered the ultimate score of the reading comprehension test for each learner.

3.2 Procedure

In this study 46, sixth-grade students were selected based on a convenience sampling procedure from secondary schools in Iraq. Then, they were given OPT to ensure that all of them were homogeneous in terms of language proficiency. At the next stage, a pre-test of reading comprehension was administered to ensure that there is not any pre-existing difference between the participants' abilities in reading comprehension.

After ensuring homogeneity, the participants were divided into two groups, the experimental group (CMIG) (N= 23) and the control group (CG) (N= 23).

The experimental group underwent 8 sessions of treatment in which they were taught reading courses through computerized glosses. Ten passages that were selected from the Active Skills for Reading 2 textbook and Oxford word skill. were glossed in three ways. In each passage, about 9-11 unknown words were bolded, underlined, and glazed. Bolded and underlined words were glossed in three different ways, pictorial, textual, and pictorial-textual glossing. By clicking on the unfamiliar words in the textual gloss passages, the hideaway definition of the words, selected from Oxford learner's dictionary, appeared. In the pictorial gloss passages, the related pictures appeared, and in textual-pictorial gloss passages on the screen. The 10 passages were presented to the participants in 10 separate sessions. And the duration of each session was almost 20 minutes.

The control group also received instruction through the computer and with an Arabic translation of the texts but without any glosses. After the treatment, a reading comprehension post-test was administered to determine the effectiveness of the intervention (computerized glosses). Two weeks after the treatment, the same test was given to the participants as the delayed pot test to examine their long-term retention.

Finally, the collected data was inserted into SPSS software to be analyzed based on the suitable data analysis methods.

3.3 Design

This was a quantitative study in which a pretest-posttest quasi-experimental design was adopted to determine whether two types of teacher talk can affect the EFL learners' incidental vocabulary learning and their English learning efficacy. A pretest-posttest design is an experiment where measurements are taken both before and after treatment. Pretest posttest designs may be quasi-experimental, which means that participants are not assigned randomly. In this study, two types of teacher talk were the independent variables of the study and the participants' vocabulary knowledge was the dependent variable.

4. Data Analysis

To analyze the obtained data, different statistical procedure was used. First of all, the SPSS data files were checked for missing data by taking frequency counts of the answering on all items from both data collection instruments. Secondly, to ensure the reliability of the OPT and vocabulary tests, the KR-21 method was used to obtain their alpha coefficient.

Then, descriptive statistics including mean, standard deviation, and variance were run for all three variables of this study.

In addition, to answer the research questions of this study inferential statistics also were utilized to analyze the collected data. To investigate the research questions some in dependent sample t-tests which presented in the following section.

4.1 Reliability of the Research Instruments:

To ensure the reliability of the measurement instruments Kuder-Richardson Formula 21 (KR-21) method was used and the Cronbach's alpha values for all three tests, i.e., reading comprehension pre-test, and post-and delayed post-test were calculated. The obtained results from the reliability analysis are presented in Table 1 below.

Table 1:

The Reliability Indices of the Reading Comprehension Tests

Vocabulary tests	Number of Items	N	Cronbach's alpha
Pre-test	30	46	.88
Post-test	30	46	.76
Delayed post test	30	46	.82

As it is demonstrated in Table 1, Cronbach's alpha for the three reading tests, i.e., pretest, post, and delayed posttest turned out to be 0.88, .76, and 0.82, respectively. The findings suggested that all three tests had an acceptable level of reliability. Therefore, the obtained results indicated that the measurement instruments were appropriate and suitable to be used in the present study.

4.2 Investigating the Normality of Scores:

In order to ensure the normality of the scores, Kolmogorov-Smirnov Test was utilized. The summary of obtained results from the normality test is presented in Table 2 below.

Table 2:

The Normality Test for the Three Reading Comprehension Test Scores

		Pre	Post	Delayed
N		46	46	46
Normal Parameters ^{a,b}	Mean	12.13	23.55	21.48
	Std. Deviation	3.23	2.89	3.91
Most Extreme Differences	Absolute	.178	.912	.080
	Positive	.183	.096	.064
	Negative	-.139	-.82	-.080

Test Statistic	.543	.654	.398
Asymp. Sig. (2-tailed)	.432 ^c	.356 ^c	.213

According to Table 2, both the Sig value of Kolmogorov-Smirnov tests are greater than 0.05 in all the groups, so it could be concluded that for the two groups of the participants, the dependent variable of the study (reading comprehension scores) was normally distributed. The Kolmogorov-Smirnov test showed a significant level of normality of the pre-test ($W(46) = 0.543$, $p = .432$), post-test ($W(46) = .654$, $p = .356$), and delayed posttest scores ($W(46) = 0.398$, $p = .213$) for the two groups.

4.3 Investigating the Homogeneity in Terms of Reading Comprehension:

To ensure that there was not any pre-existing difference between the control and experimental groups in terms of reading comprehension ability before the treatment, the two groups' scores on the reading pre-test were compared using t-test analysis. The summary of the results obtained from an independent sample t-test was presented in Table 3 and 4 below. Table 3 indicates the descriptive statistics of the reading comprehension pre-test for the control and experimental groups.

Table 3:

Descriptive Statistics of Two Group's Scores on the Reading Comprehension Pre-test

Test	Group	N	M	SD	SEM
Pre-test	CG	23	12.43	2.21	.56
	CMIG	23	12.76	3.87	.67

- CMIG= Computer Mediated Instruction Group
- CG= Control Group

As it is illustrated in the Table 3, the mean score of the control group ($M = 12.43$, $SD = 2.21$) and CMIG ($M = 12.76$, $SD = 3.78$) did not differ greatly on pre-test of reading comprehension. To ensure the significance and meaningfulness of the descriptive findings, the data on the *t-test* table (Table 4) should be taken into account.

Table 4:

Independent-Samples T- test for the Two Groups' Scores on Reading Pre-test

		Levene's Test		T-test for Equality of Means				
		for Equality of Variances						
		F	Sig.	T	df	Sig. (2-tailed)	MD	SED
Pre-test	Equal variance assumed	.213	.698	-.453	44	.32	-.33	1.26
	Equal variances not assumed			-.456	43.7	.32	-.33	1.26

As the above table suggests, the *t-test* analysis did not indicate any statistically significant difference in the pre-test scores of the two groups ($t(44) = -.453$, $p = .32$, $p > 0.05$). Accordingly, the results revealed that the participants in the two groups, i.e., CG and CMIG had an approximately similar level of reading comprehension ability before the main phase of the study. In other words, it was found that they were homogeneous in terms of reading comprehension ability before the intervention.

5. Findings

Having ensured the normality of the data and homogeneity of the participants in terms of reading comprehension ability, the main analyses were conducted to answer the research questions. The obtained results for each of the research questions are presented in the following section.

5.1 Results of the First Research Question

The first research question of this study sought to investigate the effect of computer-mediated instruction on intermediate EFL learners' reading comprehension recall. The preliminary analyses indicated that there was not any significant difference between the two groups mean scores on the reading comprehension scores before the treatment. Therefore, any probable improvement from reading pre-test to post-test could be attributed to the role of the intervention (computer-mediated instruction) employed in this study. In order to explore the effectiveness of the treatment and find out the difference between the experimental and control groups' scores on reading comprehension post-test, an independent sample T-test analysis was conducted. The descriptive statistics of the control and experimental groups were illustrated in Table 4.5 below.

Table 4.5:

Descriptive Statistics for the Two Groups on the Reading Comprehension Post-test

	ID	N	M	SD	SEM
Post	Control	23	15.66	3.76	1.01
	CMIG	23	23.88	3.91	.96

- CMIG= CComputer-Mediated Instruction Group
- CG= Control Group

According to the descriptive statistics illustrated in the above table, the participants in CMIG (M = 23.88, SD = 3.91) who were exposed to computer-mediated instruction outperformed CG (M = 15.66, SD = 3.76) on the reading comprehension post-test. To make sure that these findings were statistically

significant, an independent samples t-test was run and the summary of the results is represented in Table 6 below.

Table 6:

Independent Sample t-test for the Two Groups' Scores on Reading Comprehension Post-test

		Levene's Test for Equality of Variances		t-test for Equality of Means				
		F	Sig.	T	Df	Sig.	MD	SED
Posttest	Equal variances assumed	.123	.843	-14.34	44	.002	-8.22	2.15
	Equal variances not assumed			-14.34	43.8	.002	-8.22	2.15

As the results of the t-test analysis in Table 6 indicates, there is a statistically significant difference in the mean scores of the CG and CMIG in the reading comprehension post-test ($t(44) = -14.34, p = 0.000, p < 0.05$). Therefore, it was found that the descriptive results concerning the better performance of the CMIG in reading post-test compared to CG were statistically significant. Further, to gain more comprehensive results, the effect size was calculated. The effect size for the effectiveness of computer-mediated instruction on the EFL learners' recall of reading comprehension was found to be 0.82 which based on Cohen's instruction indicated a large effect size. For Cohen's d .2=small effect, .5=medium effect, and .8=large effect (Cohen, 1988). Accordingly, the obtained results revealed that the group of EFL learners who underwent instruction of the reading courses through technology revealed much better performance in the reading comprehension test compared to the learners for whom the reading courses were presented merely by traditional methods without integration of any computer-mediated

5.2 Results of the Second Research Question

The second research question intended to investigate whether computer-mediated instruction as an educational strategy had any significant effect on EFL learners' reading comprehension retention. To answer this research question, the control and experimental groups' mean scores on the delayed post-test were compared to examine the long-term effect of the treatment. To do so, an independent sample-test analysis was conducted. First, the descriptive statistics for the participant's scores on the delayed posttest are presented in Table 7.

Table 7:

Descriptive Statistics of the Two Groups' Scores on the Reading Comprehension Delayed Post-test

ID	N	M	SD	SEM
----	---	---	----	-----

Delayed- Post	CG	23	15.22	2.54	.68
	CMIG	23	21.69	2.98	.91

- CMIG= Computer-mediated Instruction Group
- CG= Control Group

According to the results illustrated in Table 7, the mean scores of CMIG (M = 21.69, SD = 2.98) in the delayed posttest of reading comprehension were higher than the mean scores of the control group (M = 15.22, SD = 2.54). In order to ensure that these descriptive statistics were statistically significant an independent samples t-test was conducted and the summary of results was demonstrated in the Table 8 below.

Table 8:

T- test Analysis of the Two Groups' Scores on Reading Comprehension
Delayed Post-test

		Levene's Test for Equality of Variances		t-test for Equality of Means				
		F	Sig.	T	df	Sig. (2-tailed)	MD	SED
Delayed Posttest	Equal variances assumed	.069	.51	-11.67	44	.000	-6.47	1.16
	Equal variances not assumed			-11.67	43.32	.000	-6.47	1.16

The results of the t-test analysis in Table 8 indicated that there was a statistically significant difference in delayed post-test scores of the two groups ($t(44) = -11.67, p = 0.000, p < 0.05$). Furthermore, to determine the effect size of the treatment (computer-mediated instruction), Eta square was calculated and the effect size was found to be 0.75 which based on Cohen's instruction indicated a medium effect size. For Cohen's d .2=small effect, .5=medium effect, and .8=large effect (Cohen, 1988). Therefore, the findings revealed and proved the successful development of reading comprehension retention through computer-mediated instruction.

To further investigate the long-term effect of the treatment on vocabulary retention, a paired-sample t-test analysis was conducted on the pre-post and delayed post-test scores of the CMIG to ensure the significance of their vocabulary gains from the initial pre-test to the delayed post-test. The summary of the results is presented in Tables 9 and 4.10 below.

Table 9:

Descriptive Statistics of the CMIG's Scores on Reading Comprehension Tests

		Mean	N	SD	SEM
Pair 1	Pre	10.78	46	2.87	.54
	Post	19.14	46	4.29	.67
Pair 2	Pre	10.78	46	2.87	.86
	Delay	18.72	46	3.93	.45

Based on the data in Table 9, the mean vocabulary scores for the experimental group (MSG) increased from 10.78 in the pre-test to 19.14 in the post-test and 18.72 in the delayed post-test on the result of the treatment. The descriptive statistics showed that participants in this group had 8.36 and 7.94 score

development from the initial pre-test to the delayed post-test. To ensure that the obtained descriptive findings were statistically significant, the results of paired sample t-test were considered in Table 10.

Table 10:

Paired Samples T-test Statistics for the MSG Scores on the Vocabulary Tests

		Paired Differences				T	df	Sig. (2-tailed)	
		Mean	Std. Deviation	Std. Error	95% Confidence Interval of the Difference Low Upp				
Pair 1	Pre	-8.36	3.21	.36	-11.33	-7.16	-12.76	19	.000
	Post								
Pair 2	Pre	-7.94	3.87	.76	-12.48	-9.11	-14.28	19	.000
	Delay								

The above table revealed that there was a statistically significant increase and gains in vocabulary knowledge from pre-test to post-test ($t(19) = -12.76$, $p = 0.000$, $p < 0.05$) and pre-test to delayed post-test ($t(19) = -14.28$, $p = 0.000$, $p < 0.05$).

It means that the EFL learners who underwent the instruction of new vocabulary items through multisensory instruction had considerable development in vocabulary scores from the pre-test to the delayed post-test. It implied that integrating multisensory instruction in the process of vocabulary teaching could make a considerable contribution to the development of the EFL learners' long-term retention of the vocabulary items.

6. Conclusion and Recommendations

The literature revealed an agreement between theorists and researchers that there is a clear link between adopting some effective teaching and learning strategies with the achievement of better results in various domains of language learning. It was well-proved that integrating computer technology and

computer-aided applications in the process of language learning not only enhances the learners' motivation and enthusiasm to pursue the line of education much more effectively but also gives them enough opportunities to engage more independently in the learning process. Technology has the potential to foster autonomous learning in learners because it facilitates self-access in learning, gives learners many opportunities to self-direct their learning and take control over it, and can enhance their intrinsic motivation (Benson, 2001). It is a well-known fact that reading comprehension is a pre-requisite for academic learning "Reading comprehension is essential to enable academic learning, professional success and lifelong learning" (Tercanlioglu, 2004, p. 563). Learners' success in school and throughout life depends largely on their ability to read (Snow, Burns, & Griffin, 1998). Difficulty with reading impacts achievement in all areas of the curriculum (Hughes-Hassell & Rodge, 2007). Unfortunately, most reading instruction stops after the elementary grades, although reading development is not complete, which often leads to frustration when it comes to reading, and often results in an avoidance of reading (Hughes-Hassell & Rodge, 2007). Generally speaking, as Gulley (2003) stated, education can nurture and develop students, and the use of computer technology plays an important role in education which can help students to reach their full potential. In conclusion, the use of computers can be considered a positive complement to bridging the gap between the world of education and the world of technology. More specifically, in the present study, it was found that computer-mediated instruction by the means of glossing had a considerable effect on the EFL learners' reading comprehension in terms of recall and retention. Found that infusing the right blend of technological innovation and creativity into existing instructional content reinforced students' achievement and motivation . The outcome of research is consistent with the findings of many recent studies that technology can positively influence motivation and achievement when utilised appropriately (A. Gungadeen, 2015). In other words, it can be concluded that rough incorporating technological devices and computer-based instruction in the

classroom, the EFL teachers can fulfill their objectives of language teaching and the EFL students can achieve the desired outcomes in this respect.

EFL teachers and instructors must create a rewarding and pleasant learning atmosphere that necessitates the students to be much more autonomous, critical, and active in their learning experiences. They should also do their best to provide enough opportunities for students to be exposed to educational technologies in general and CALL in particular, through which they can equip them with such reinforcing factors as motivation, skill, experience, self-confidence, and active participation in developing the process of learning English.

References

- Abdolrezapour, P. (2017). Improving Learners' Oral Fluency through Computer-Mediated Emotional Intelligence Activities. *ReCALL*, 29 (1), 80-98.
- Batty, A. O., (2014). A comparison of video- and audio-mediated listening tests with many-facet Rasch modeling and differential distractor functioning. *Language Testing*, 32(1),
- Benson, P., (2001). Teaching and Researching Autonomy in Language Learning. *Harlow: Longman*.
- Bransford , J. , A. L. Brown and R. R. Cocking , eds. (2000). How people learn : Brain , mind , experience , and school . 2nd ed . Washington , D.C . : National Academy Press .
- Chang , C., (2008). Development and validation of the computer technology literacy self assessment scale for Taiwanese elementary school students . *Adolescence* 43 (171) : 623-634.
- Chapelle, C. A. & Voss, E., (2016). 20 years of technology and language assessment in Language Learning & Technology. *Language Learning & Technology*, 20(2), 116-131.
<http://dx.doi.org/10125/44464>.

Cheung, A. C. & R. E. Slavin, (2013). The effectiveness of educational technology applications for enhancing mathematics achievement in K-12 classrooms: A meta-analysis. *Educational Research Review* 9, 88-113.

Cotton, K., (1991). Computer-assisted instruction. Northwest Regional Educational Laboratory, School Improvement Research Series .
<http://www.nwrel.org/scpd/sirs/5/cu10.html> (accessed 14 September 2008).

Drijvers, P., (2012). Digital technology in Mathematics education: Why it works (or doesn't). *Paper presented at the 12th International Congress on Mathematical*

Gillespie, H., (2006). Unlocking learning and teaching with ICT: Identifying and overcoming barriers. *London: David Fulton.*

Gorjian, B., (2008). Developing linguistic and cultural perspectives of English as a foreign language through email discussion. *The JALT CALL Journal*, 4(3), 3-14.

Grabe, M. and C. Grabe, (2007). Integrating technology for meaningful learning. *5th ed. Boston, NY: Houghton Mifflin.*

Grabe, W., (1991). Current developments in second language reading research. *TESOL Quarterly*, 25(3), 375-406.

Gungadeen, A., (2015). The Effect of Computer Mediated Instruction (CMI) on the Motivation and Achievement of Science Students in Mainstream Zone Education Prioritaire (ZEP) Schools. *Malaysian Journal of Distance Education* 17 (1) , 41-63 (2015).

Hayati, A., (2005). Computer and language teaching. *Asian EFL Journal: Professional Teaching Articles Collection*, 4, 75-81. Retrieved May 16, 2009 from: http://www.asian-efl-journal.com/pta_may_05_hm.php

Hughes-Hassell, S., & Rodge, P., (2007). The Leisure Reading Habits of Adolescents. *Journal of Adolescent and Adult Literacy* (51)1: 22-33.

Print.Johnson , D. A. and S. Rubin, (2011). Effectiveness of interactive computer – based instruction :

A review of studies published between 1995 and 2007. *Journal of Organizational Behavior Management* 31 (1) : 55-94 . doi : 10.1080 / 01608061.2010.541821.

Lei , J., (2010). Quantity versus quality : A new approach to examine the relationship between technology use and student outcomes . *British Journal of Educational Technology* 41 (3) : 455-472.

Park, J. H., & Choi, H. J., (2009). Factors Influencing Adult Learners' Decision to Drop Out or Persist in Online Learning. *Educational Technology and Society*, 12, 207-217

Qian,K., & McCormick,P., (2014). Building course cohesion: the use of online forums in distance Chinese language learning, *Computer Assisted Language Learning*, 27:1, 44- 69, DOI: [10.1080/09588221.2012.695739](https://doi.org/10.1080/09588221.2012.695739)

Raines , J. M. and L. M. Clark . (2011). A brief overview on using technology to engage students in mathematics . *Current Issues in Education* 14 (2) .

Sheingold, K., & Hadley, M., (1990). Accomplished teachers: integrating computers into classroom practice. *New York: Centre for Technology in Education*.

Smidt, E., & Hegelheimer,V., (2004). Effects of Online Academic Lectures on ESL Listening Comprehension, Incidental Vocabulary Acquisition, and Strategy Use, *Computer Assisted Language Learning*, 17:5, 517-556, DOI: [10.1080/0958822042000319692](https://doi.org/10.1080/0958822042000319692)

Snow, C.E., Burns, M.S., & Griffin, P. (eds.), (1998). Preventing reading difficulties in young children. *Washington, DC: National Academy Press*, 432 pp.

Son, J.-B., (2008). Using Web-based language learning activities. *International Journal of Pedagogies and learning*, 4(4), 34-43.

Tercanlioglu, L., (2004). Exploring gender effect on adult foreign language learning strategies. *October 2004 Issues in Educational Research* 14(2):181-193

Warschauer, M., (2008). Computer assisted language learning: An introduction. Retrieved December, 2008, from: <http://www.ict4lt.org/>

Wiebe, G. & Kabata, K., (2010). Students' and Instructors' Attitudes toward the Use of CALL in Foreign Language Teaching and Learning. *Computer Assisted Language Learning*, 23(3), 221-234. Retrieved March 18, 2023 from <https://www.learntechlib.org/p/106891/>.

Winke, P., Gass, S., & Sydorenko, T., (2010). The Effects of Captioning Videos Used for Foreign Language Listening Activities. *Language, Learning and Technology*.

Wong, A. F. L., Q.-L. Quek, S. Divaharan, W.-C. Lin, J. Peer and M. D. Williams, (2006).

Singapore students and teachers' perceptions of computer - supported project classroom

learning environments. *Journal of Research on Technology in Education* 38 (4) : 451-481

اسم الفاعل في شعر صادق القاموسي (دراسة في الدلالة الصرفية)

الباحث: طيار فاضل حميد

أ.د. سليمان جبار غانم

جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

اللغة العربية تعدّ من أفضل اللغات في العالم، ويعدّ الاشتقاق من أبرز ظواهرها وأدقّها حيث ساهم بشكل كبير في إغناء اللغة لأنّه يقوم بتوليد مفردات من مفردات أخرى بحسب قوانين الصرفيّين وأحكامهم، وقد لفت انتباهنا ورود هذه الظاهرة بنسبة كبيرة في شعر صادق القاموسي وهذا ما دفعنا إلى اتّخاذ الاشتقاق موضوعاً لدراستنا، مُعتمدين على أحد المشتقات وهو (اسم الفاعل) الذي يدلّ على الحدث والحدوث وفاعله، ويصاغ من المجرد على بنية (فاعل) ومن المزيد يشتق من الفعل المضارع وذلك بضم أوله وكسر ما قبل آخره، فسنحاول في هذا البحث الوصول إلى بعض دلالاته في شعر القاموسي محولين الاعتماد على قرينة السياق التي تساعد على إبراز الدلالة بشكل جلي.

الكلمات المفتاحية: اسم الفاعل، القاموسي، الصرف، الدلالة.

المقدمة

حظيت المشتقات باهتمام واسع لدى علماء العربية، ومن تلك المشتقات (اسم الفاعل) هو اسم مأخوذ من فعله ويسعى مسعى حدثه في التقديم والتأخير والإظهار والإضمار، فاسم الفاعل (ضارب) مشتق من ضرب، و(مُستخرج) مأخوذ من (يُستخرج)^(١)، ويدلّ اسم الفاعل على معنى مجرد مُتجدد وعلى فاعله وإنّ دلالاته على هذين المحورين لا بدّ لها من التحقق^(٢)، ويصاغ من الثلاثي المجرد على صيغة (فاعل) نحو (أكل) من (أكل)، و(قاتل) من (قتل)^(٣). ويرى بعض الباحثين المحدثين أنّ اسم الفاعل قد أتى منتصفاً بين الفعل والصفة المشبهة، فالحدث يدلّ على التكرار والتّغير، فإنّ كان ماضياً دلّ على أنّه وقع في الماضي وإنّ كان حالاً أو استقبالياً دلّ على أنّه جرى في الحال أو في المستقبل و أما اسم الفاعل فهو مُستقر ومُثبت ولكنّه لا يرقى إلى درجة الثبوت التي تكون عليها الصفة المشبهة، فإنّ لفظة (ذاهب) هي أكثر ثبوتاً من ذهب أو يذهب ولكن لا تصل إلى مستوى ثبوت لفظة (عظيم) أو (عزيز) لأنّ العمل في اسم الفاعل نستطيع أن نقطع عنه في حين أنّ مع الصفة المشبهة لا نستطيع ذلك أو قد نستطيع في بعض الصفات أنّ ننفك عنها مثل عطشان وغيرها، ولكن هذا لا يذهب بالمفارقة بينهما أي بين اسم الفاعل والصفة المشبهة^(٤).

وإنّ الدلالات الدائمة والمستقرة لأسم الفاعل عند القدماء والمحدثين ثلاث هي: ((الحدث والحدوث وفاعله))^(٥)، وقد يأتي اسم الفاعل دالاً على النسب إلى الشيء كما في قولهم: ذارع لذي الدرع، ونابل لذي النبل، ونأشب لذي الشباب وتأمر ولاين وسالبح^(٦)، وقد يدلّ على المبالغة والكثرة في النعت كما رأى ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) أنّ اسم الفاعل قد جاء للمبالغة على وزن فاعل في لفظتين: جامل أي بمعنى جميل، وظارف بمعنى ظريف، ولم تأت في غيرهما هذه المبالغة^(٧)، وقد استندرك بعض المحدثين لفظتي: (طارف، وعاتق)، الدالّتين على المبالغة في اسم الفاعل، فطارف بمعنى ظريف، وعاتق بمعنى عتيق^(٨)، وقد يؤتى باسم الفاعل بمعنى اسم المفعول كما في قولهم: سر كاتم بمعنى مكتوم، ومكان عامر بمعنى معمور، وكذلك ما جاء في قوله تعالى: {من ماء دافق} (الطارق: ٦)، أي بمعنى مدفوق، وقوله تعالى: {عيشة راضية} (سورة الحاقة: ٢١)، أي بمعنى مرضية^(٩).

وحين نستقري شعر القاموسيّ نجده استعمل اسم الفاعل المجرد على صيغة (فاعل) بنسبة كبيرة، ومنها (شاحجة)، و(جاهد)، و(قاعد)، و(مازن)، و(دارع)^(١٠)، وسنقف عند بعض منها ونبين دلالاتها وكما يأتي:

١- الدلالة على الحدث المجرد وفاعله: ومن المواضع التي وردت فيها قول الشاعر:

أَوْلَسْتَ بَانِيهَا وَحَارِسَ مَجْدَهَا وَنَصِيرَهَا إِنْ قَلَّتْ الْأَنْصَارُ^(١١)

فالتأخر في هذا البيت يلحح أنّ الشاعر يُخاطب المرثي فيخبره بأنه من بني الوطن بعلمه وحفظ عزته وكرامته ونصره على الأعداء إنّ قلّ المدافعون عنه، فعبر الشاعر عن المرثي باسمي الفاعل (باني)، و (حارس) على صيغة (فاعل) المشتقين من الفعلين الثلاثين المجردين (بَنَى)، و(حَرَسَ)، ويمكن رصد الدلالة على حدثي (البناء)، و(الحراسة) وفاعلها في الاسمين، فيلاحظ أنّ الشاعر قد جاء باسمي الفاعل لا الفعلين لإفادة الثبوت وهذا يعني ثبوت صفتي البناء والحراسة لدى الفاعل.

٢- الدلالة على النسب: منها قول القاموسيّ:

أَيَّامٌ دَوَى (لِلشَّرِيعَةِ) صَارِحٌ صَعِقُ الْمَسَامِعِ كَالزَّلَازِلِ رَاعِدٌ^(١٢)

فالمتمم في هذه البيت يلحظ أنّ الشاعر يصف أيام الثورة العراقية (١٩٢٠م) ضد الاستعمار والتي أصدر فيها شيخ الشريعة* فتواه للجهاد والدفاع عن الوطن فصاح مستغيثاً بأبناء الشعب فلبوا نداءه وهبوا للنصرة وكان على رأسهم الشيخ عبد الحسين الرشدي النجفي*، فوظف الشاعر في هذا النص اسم الفاعل (راعد) على بنية (فاعل) المصاغ من الفعل (رَعَدَ)، وراعد في اللغة يقال: ((سحابٌ رواعدٌ وبوارقٌ، أي ذاتٌ رَعْدٌ وَبَرَقٌ))^(١٣)، ومن خلال ذلك تبرز دلالة النسب بوضوح في الاسم (راعد).

٣- الدلالة على الثبوت : ومن ذلك قول الشاعر :

إِنِّي لَأَكْبُرُ خَلْقًا فِيكَ فَجَرَهُ مِنْ التَّبْوَةِ نَبْعٌ طَاهِرٌ غَدِقٌ^(١٤)

يُصور الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ حَوَارِهِ مَعَ الْمَتَوَفَى السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِيِّ*، فَيُخْبِرُهُ بِأَنَّ أَعْظَمَ الْخُلُقِ الَّذِي فَجَّرَهُ اللَّهُ فِيكَ حِينَمَا جَعَلَكَ مِنْ نَسْلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ﷺ) النَّسْلَ النَّقِيِّ وَالطَّيِّبِ، فَاسْتَعْمَلَ الشَّاعِرُ هُنَا اسْمَ الْفَاعِلِ (طَاهِرٌ) الْمَشْتَقَّ مِنَ الْفِعْلِ (طَهَّرَ)، يُقَالُ: طَهَّرَ الرَّجُلُ يَطْهُرُ طَهَارَةً أَيْ بِمَعْنَى تَنْزَهُ وَتَنْظُفٍ مِنَ الْأَوْسَاحِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْمَادِيَّةِ، وَالطَّاهِرُ مِنَ الشَّيْءِ هُوَ مُتَنَزِّهُ مِنَ الدَّنَسِ^(١٥)، يَسْتَشْفَى مِنْ خِلَالِ الْمَعْنَى الْمَعْجَمِيِّ وَالسِّيَاقِ دَلَالَةَ الثَّبُوتِ فِي الْاسْمِ (طَاهِرٌ) لِأَنَّ الطَّهَارَةَ فِي النَّبِيِّ وَآلِهِ (ﷺ) ثَابِتَةٌ، فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ قَدْ طَهَّرَهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

٤- الدلالة على المصدرية : كقول القاموسي :

تَعَالَى - فَدَيْتُكَ - حَيْثُ الرَّبِيعِ قُطُوفٌ مَشَعَشَعَةٌ دَانِيَةٌ

تُبَيِّحُ الْجَمَالَ لَنَا وَالْوَصَالَ وَتَمْنَحُنَا الْحُبَّ وَالْعَافِيَةَ^(١٦)

فَالشَّاعِرُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ يَصِفُ الرَّبِيعَ بِالثَّمَارِ الطَّوِيلَةِ الْمُنْتَشِرَةِ وَالْقَرِيبَةِ الَّتِي تُبَيِّحُ الْجَمَالَ وَاللِّقَاءَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْشُوقَتِهِ وَتَهْبِئُهُمَا الْحُبَّ وَالْعَافِيَةَ، فَعَمِدَ الشَّاعِرُ إِلَى اسْتِعْمَالِ اسْمِ الْفَاعِلِ (الْعَافِيَةُ) الْمَصْغُوعِ مِنَ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ (عَفَا)، يُقَالُ: عَفَا اللَّهُ عَنْ يَعْفُو عَفْوًا: أَيْ تَجَاوَزَ عَنْهُ وَسَامَحَهُ، وَعَافَاهُ اللَّهُ وَأَعْفَاهُ عَافِيَةً: أَيْ بِمَعْنَى أَشْفَاهُ وَأَعْطَاهُ صِحَّةً جَيِّدَةً، وَالْعَافِيَةُ مَصْدَرٌ كَالْعَاقِبَةِ وَالْحَافِمَةِ^(١٧)، وَتَنْجَلِي مِنْ خِلَالِ الْمَعْنِيِّينَ اللَّغَوِيِّ وَالسِّيَاقِيِّ دَلَالَةَ الْمَصْدَرِ فِي الْاسْمِ.

٥- الدلالة على المبالغة : كقول الشاعر :

يَجْتَالُ فِي (نَجْمِينَ) هَذَا سَائِرٍ مَثَلًا، وَذَاكَ مَوْجَةً وَمُسِيرٍ

وَيَفِيضُ عَنْ (كَرْمِينَ) هَذَا بَاذِلٍ مَالًا يَجْلُ وَذَاكَ جَهْدًا يُشْكُرُ^(١٨)

فَالْمَلَاظِحُ لِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ يَجِدُ أَنَّ الشَّاعِرَ يَمْتَدِحُ الشَّخْصِينَ الَّذِينَ كَانَ لهُمَا أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي بِنَاءِ الْجَامِعَةِ الدِّينِيَّةِ فِي التَّجَفُّفِ الْأَشْرَفِ، فَيَعْمِدُ الشَّاعِرُ إِلَى خَلْقِ صُورَةٍ تَشْبِيهِيَّةٍ جَمِيلَةٍ فَيَشْبِهُهُ مِنْ خِلَالِهَا هَذَيْنِ الشَّخْصِينَ بِالنَّجْمِينَ، وَثُمَّ يَلْجَأُ إِلَى وَصْفِ الْأَوَّلِ بِالمَثَلِ السَّائِرِ بَيْنَ النَّاسِ، وَيُوصِفُ الْآخَرَ بِالتَّجَمُّمِ الْمَضِيِّ الَّذِي يَرشِدُ النَّاسَ فِي الظُّلَامِ، أَيْ بِمَعْنَى أَنَّهُ يَصِفُهُ بِالْمُرشِدِ الَّذِي يَرشِدُ النَّاسَ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْهُدَايَةِ حِينَمَا يَرَاهُمْ يَنْغَمِسُونَ فِي قَاعِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالَةِ، وَثُمَّ يَعْبِّرُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي عَنْ أَثَرِهَا الَّذِي قَامَا بِهِ، فَيَرَى أَنَّ الْأَوَّلَ قَدْ قَدَّمَ الدَّعْمَ الْمَادِيَّ أَيْ أَعْطَى الْمَالَ الْكَثِيرَ وَالْآخَرَ الدَّعْمَ الْمَعْنَوِيَّ أَيْ سَعَى فِي إِنْجَاحِ بِنَائِهَا، فَاسْتَعْمَلَ الشَّاعِرُ بِنِيَّةِ اسْمِ الْفَاعِلِ الْمَشْتَقِّ مِنَ الثَّلَاثِيِّ الْمَجْرَدِ فِي اللَّفْظَيْنِ (سَائِرٍ) وَ (بَاذِلٍ)، وَسَائِرٌ قَدْ صِيغَ مِنْ سَارَ يَسِيرُ، وَسَارَ الْكَلَامُ وَالمَثَلُ فِي النَّاسِ أَيْ بِمَعْنَى شَاعٍ، وَالسَّائِرُ هُوَ الشَّائِعُ^(١٩)، وَبَاذِلٌ قَدْ

اشتق من بذلَ يَبْذُلُ وَيَبْذُلُ، والبذل في اللغة بمعنى العطاء والإجادة به ^(٢٠)، فقد جاء الوصف والتشبيه في اسمي الفاعل على سبيل المبالغة والدقة في اتّصاف الفاعل بمهذين الحديثين لا على سبيل الحدوث والتجدد فقد عدل عن صيغة الفعل إلى صيغة اسم الفاعل لأنه أراد الثبوت والمبالغة فيهما، ودلالتهما أقرب إلى الثبوت في الصفة، ونجد هنالك قرائن في السياق هي: (يفيضُ ، كَرَمَيْنِ ، يَجِلُّ) ساعدت على إبراز الدلالة أي دلّت على المبالغة والكثرة في العطاء والسّخاء من هذين الموصفين .

ومن الجدير بالإشارة أنّ القاموسي قد حشد في بعض القصائد عدداً من أسماء الفاعلين من الأفعال المجردة كما في قصيدة (قَدَسْتُ فِيكَ سَجِيَّةً) إذ وظّف ثلاثة عشر اسماً (حاشِد ، وصَادِر ، ووافِد ، وآبِد ، و صَارِح) ^(٢١)، وجاء توظيفها عفويّاً غير متكلف ولم يكن استجابة للوزن الشعري والقافية، إذ نجدها قصيدة تنمّ عن صدق المشاعر وهذا الحشد من أسماء الفاعلين أضفى بعداً دلاليّاً ودقة في الاستعمال، وكما نجد حشوداً من أسماء الفاعلين من الأفعال المجردة في قصائد متعددة في شعر القاموسي كقصيدة (تعالي) إذ وظّفها في واحد وخمسين موضعاً كالحانية والراضية والزاكية والسامية والعالية والهادية والواقية ... الخ ^(٢٢)، وغير ذلك من القصائد ^(٢٣).

اسم الفاعل من الثلاثي المزيد :

إنّ اسم الفاعل المشتق من الفعل الثلاثي المزيد يكون مُشابهاً للمضارع في الحركات والسكنات وعدد الحروف ولكن يخالفه من حيث أنّه يُسبق بميم مضمومة ويختتم ما قبل آخره بالكسرة، نحو : مُدْرِك ، ومُجَاهِد ، ومُنْطَلِق ... الخ ^(٢٤)، وقد وردت ألفاظ تدلّ على اسم الفاعل ولكنها شاذة من حيث الصياغة، فلم يأت في كلام العرب اسم الفاعل على وزن فاعل من الفعل المزيد أفعل إلا قولهم : أبقل الموضع فهو باقل، وأورس الشجر فهو وارس و وأعشبت الأرض فهي عاشب، وأيفع الغلام فهو يافع، وأغضى الرجل فهو غاضٍ، وأمحل البلد فهو ماجل ^(٢٥)، وقد استعمل الشاعر اسم الفاعل على وزن (فاعل) من المزيد بالهمزة في ثلاث ألفاظ هي : (يافع) ، و(يانِع) ، و(يانِعة) ^(٢٦).

قال الشاعر :

يَا بَاعِثَ الْإِحْلَاصِ غَضّاً يَافِعاً وَمُمَثِّلَ الْإِيمَانِ شَيْخاً يُقْتَدَى ^(٢٧)

فالشاعر في هذا البيت يُخاطب رئيس المنتدى الشيخ مُجَدِّد حسن المظفر*، فيخبره بأنّه قد بعث الإخلاص وأنّه شابٌ بالغ ويمثل الإيمان وإنّه شيخ مُقْتَدَى به ومُتَّبِع، فعبر الشاعر عن الشيخ باسم الفاعل (يافع) على صيغة (فاعل)، يقال : أَيْفَع : أي أدرك طُور الشّباب ولم يبلغ، وأَيْفَع العُلام فهو يافعٌ، وهذا خارج عن القياس لأنّ القياس في ذلك يكون

على بنية (مُؤفَع) ^(٢٨)، يتضح أنّ الاسم (يَافِع) جاء شاذاً عن القاعدة لأنّه مأخوذ من الفعل المزيد بالهمزة، ويلتمس منه دلالة الحدث وفاعله.

حين نتفحص ديوان الشّاعر القاموسي نجده قد استعمل اسم الفاعل من الثلاثي المزيد بحرف وبجرفين وبثلاثة أحرف بعدة أوزان، وسنقف عند ذلك بحسب أحرف الزيادة، وكما يأتي:

مُفَعِل :

وهي صيغة اسم الفاعل من الثلاثي المزيد بالهمزة (أفعل)، ووردت في ديوان القاموسي بنسبة كبيرة، ومنها:

(المذنب)، و(المذيب)، و(مُخَيِّر)، و(مُغِيث)، و(المقيم) ^(٢٩)، كما في قوله:

عَزَاءُ أَبَا مُحْسِنٍ فَالْقُلُوبُ تَفِيضُ كَحُزْنِكَ أَحْزَانُهَا ^(٣٠)

يطلبُ الشّاعر من ابن الفقيده أبي مُحسِن الشّيخ مُحَمَّد حسن آل ياسين*، الصبر على فقد والده وتُمّ يلجأ إلى إخباره بأنّ القلوب قد امتلأت بالحزن كحزنيك، فالشّاعر وظّف في هذا البيت الاسم (مُحسِن) على وزن (مُفَعِل) المصاغ من المزيد بالهمزة (أحسن)، فقد خرج المشتق من الوصفية إلى العلمية فدّل على اسم علم للذكر فقط دون الحدث.

مُفَاعِل :

وهي صيغة اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المزيد بالألف (فَاعِل)، وجاءت في شعر القاموسي بنسبة قليلة، نحو:

(مُسانِد)، و(المنافق) ^(٣١)، ومنها قوله:

وسَمِعْتُ رَحْبِي وَأَنْتَيْتُ مُعَانِقًا أَمَلِ الْحَيَاةِ وَمَنِيَةِ الْحَوَابِءِ ^(٣٢)

بيئُ الشّاعر في هذا البيت آلامه وأحزانه وآهاته التي تفجرت في صدره في لحظات الوداع مع حبيبه الذي فارقه، فيصفُ أنّه قد وسّع صبره وانتنى مُعَانِقًا حبيبه الذي يراه أمل الحياة، و((الحَوَابِءِ : النَّفْسُ)) ^(٣٣)، فعبر عن اسم الفاعل بلفظة (مُعَانِق) على بنية (مُفَاعِل) المشتق من الفعل المزيد بالألف (عَانَق)، يقال: العُنُقُ: الجزء الفاصل بين الرأس والجسد وهي الرّقبة، وعَانَقْتُ فلان عِنَاقًا ومُعَانَقَةً: إذا ضممته إلى صدرك وقربت عنقه من عنقك وإذا التزمته ^(٣٤)، يتضح من خلال ذلك دلالة المشاركة في الاسم (مُعَانِق).

مُفَعِّل :

وهي صيغة اسم الفاعل من الثلاثي المزيد بتضعيف العين (فَعِّل)، وقد وردت في الديوان بنسبة كبيرة، منها: (مُمرِّض)، و(مُفَكِّر)، و(مُعَمِّر)، و(مُحَفِّز)، و(مُصَلِّية) ^(٣٥)، منها قول القاموسي:

أرُقُّ على أرقٍ ومثلي يَأرُقُّ وأخو الهموم مُعَرِّبٌ ومُشَرِّقٌ ^(٣٦)

يبدو أنّ الشّاعر في هذا البيت يرسم لنا معاناته من ذهاب التّوم من عينيه وتقلّبه في الفراش مرة إلى جهة العُرب ومرة إلى جهة الشّرق ويرى أنّ الحبّ هو الذي سرق النوم من عينيه ، فاستعمل الشّاعر هنا اسمي الفاعل (مُعْرَب) ، و(مُشْرِق) على وزن (مُفْعَل) المصاغين من الفعلين المزيدين بالتضعيف (عَرَب) ، و(شَرِق) ، والمعْرَب : المتجه ناحية العُرب^(٣٧)، وشَرِقَ الناسُ : أي اتجهوا ناحية المشرق^(٣٨) ، يمكن من خلال المعنى المعجمي وقرينة السياق لمس دلالة التّوجه بصورة واضحة في الاسمين السابقين.

مُنْفَعِل :

وهي صيغة اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة والنون (انْفَعَلَ) ، واستعملها الشاعر بنسبة قليلة في الديوان نحو : (مُنْشَرِح) ، و(مُنْطَوِي) ،^(٣٩) ، ومنها قوله :

قُمْ كَرَمَ الْعِلْمِ يَرْجِعُ عَنْكَ مُنْدَجِرًا
جَهْلًا أَقَامَ عَزِيزًا بَيْنَنَا حُقْبًا^(٤٠)

يلاحظ أنّ الشّاعر يوجّه خطابه إلى المخاطب، فيأمره بتكريم العلم الذي سيؤدي إلى ابتعاد الجهل وهزيمته ، وقد لجأ الشّاعر إلى استعمال اسم الفاعل (مُنْدَجِر) المشتق من الفعل الثلاثي المزيد بحرفين (انْدَجَرَ) ، ودَحَرَ في اللغة يقال : ((دَحَرْتُهُ أَدْحَرُهُ دَحْرًا ، أي بَعَدْتُهُ وَخَيَّيْتُهُ))^(٤١) ، وقيل : ((انْدَجَرَ مَطَاوَع دَحْرَهُ))^(٤٢) ، ومن خلال ذلك يمكن رصد دلالة المطاوعة في اسم الفاعل ، تظهر هذه الدلالة بصورة جلية من خلال إخبار الشّاعر المخاطب بأنّ هذا الجهل سوف ينهزم ويتعد عنك في المستقبل إذا قمت بتكريم العلم وتشريفه .

مُفْتَعِل :

وهي صيغة اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة والتاء (افْتَعَلَ) ، قد وردت في ديوان الشاعر بنسبة كبيرة ، نحو : (مُكْتَبِب) ، و(مُفْتَرَع) ، و(مُسْتَمَع) ، و(مُخْتَرَع) ، و(مُفْتَرِي) ،^(٤٣) كقوله :

وَرُبَّ مُفْتَرِشٍ سَمِعِي بِفِكْرَتِهِ يَظُنُّ أَنِّي إِذَا أَصْغَيْتُ أُؤَيِّدُهَا^(٤٤)

فالشّاعر في هذا البيت يُشير إلى الشّخص الحاقِد والمنافِق الذي يحاول إقناع الشّاعر بالاستماع إلى فكرته الخبيثة وتأييدها ، فاستعمل الشّاعر هنا الاسم المشتق (مُفْتَرِش) على بناء (مُفْتَعِل) المصاغ من المزيد بحرفين همزة الوصل والتاء (افْتَرِشَ) ، يقال : الفَرَشُ : هو البَسَط ، وَفَرَشْتُ الْفِرَاشَ وَأَفْرَشْتُهُ وَأَفْتَرَشْتُهُ : أي بسطته واتخذته فراشاً ، والأَرْضُ : هي الْفِرَاشُ^(٤٥) ، يتّضح في هذا البيت دلالة الاتّخاذ في الاسم (مُفْتَرِش) ، أي أنّ الشّاعر أراد أن يُبين للمتلقّي بأنّ هذا الشّخص قد اتّخذ سمعه فراشاً لطرح فكرته .

مُتَفَعِّل :

وهي صيغة اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المزيد بالتاء وتضعيف العين (تَفَعَّل) وأمثلتها في ديوان القاموسي قليلة ، نحو : (مُتَقَصِّد) ، و(مُتَحَجِّر) ^(٤٦) ، منها قوله :

رُصِّدًا جَعَلْتُكَ لِلْهَوَى فَعَبْدُتُهُ مُتَبَيِّلًا وَكَفَرْتُ بِالشُّرَكَاءِ ^(٤٧)

لجأ الشاعر هنا إلى استعمال اسم الفاعل (مُتَبَيِّل) على بنية (مُتَفَعِّل) المأخوذ من الفعل المزيد بالتاء والتضعيف (تَبَيَّل) ، يقال : التَبَيَّلُ : هو الإِخْلَاصُ وَالْقَطْعُ وَالتَّفَرُّدُ ، وَبَيَّلَ إِلَى اللَّهِ ، أَي انْقَطَعَ إِلَيْهِ ، وَبَيَّلَ عَمَلَهُ إِلَيْهِ ، أَفْرَدَهُ لَهُ وَأَخْلَصَهُ مِنْ السُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ ، وَالْمُبَيِّلُ هُوَ الْمُقْطِعُ لِلَّهِ ، ^(٤٨) ، ودلالة التَّكْلُفِ واضحة لأنَّ التَّبَيُّلَ هُوَ الاِثْقَاعُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى تَكْلُفِ الشَّخْصِ فِي حَدُوثِ الْفِعْلِ وَمُعَانَاتِهِ .

مُتَفَاعِل :

وهي صيغة اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المزيد بالتاء والألف (تَفَاعَلَ) جاءت في شعر القاموسي بنسبة قليلة ، نحو : (مُتَبَاعِد) ، و(مُتَكَاسِل) ^(٤٩) ، كما في قوله :

حَيْثُ الْقَضَا مُتَكَاسِلٌ وَالِدَهْرٌ قَدْ طَرَقَتْهُ غُفْوَةٌ ^(٥٠)

فيلاحظ أنَّ الشاعر هنا يَصِفُ الْقَدْرَ الَّذِي كَانَ يَفْضَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَبِيبَتِهِ بِالْمُتَكَاسِلِ ، فَعَبَّرَ عَنْ اسْمِ الْفَاعِلِ بِ(الْمُتَكَاسِلِ) على صيغة (مُتَفَاعِل) المشتقة من الفعل المزيد بحرفين التاء والألف (تَكَاسَلَ) ، يقال : الكَسَلُ وَالتَّكَاسُلُ عَنِ فِعْلِ الشَّيْءِ بِمَعْنَى التَّثَاوُلِ عَنْهُ وَالتَّقْصِيرِ فِيهِ ^(٥١) ، وَيَلْتَمَسُ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ دَلَالَةَ الْإِظْهَارِ فِي الْاسْمِ (مُتَكَاسِلِ) ، بِمَعْنَى أَنَّ الشَّاعِرَ أَرَادَ أَنْ يُوَضِّحَ لِلْمَتَلَقِّي بِأَنَّ الْقَدْرَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَظْهَرَ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ فِيهِ وَهُوَ التَّكَاسُلُ .

- ولم يستعمل الشاعر اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة وتضعيف اللام (أَفْعَلَ) .

مُسْتَفْعِل :

وهي صيغة اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف (الهمزة والسين والتاء) ، وجاءت بنسبة قليلة في الديوان ، نحو : (مُسْتَلْب) ، و(مُسْتَعْرِض) ^(٥٢) ، كقوله في رثاء السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي * :

فلا مُسْتَنْكِرًا فِيهِمْ رِفَاهًا وَلَا مُسْتَجِدِيًّا لِلدِّينِ زُهْدًا

ولا مُسْتَغْلِقًا بِالْخَوْفِ بَابًا أَبَى حَرْمُ الرِّسَالَةِ أَنْ يُسَدَّ

ولا مُسْتَعْدِيًّا بِلَيْغِ صَمْتٍ عَلَى أَبْنَائِهِ الْخِصْمِ الْأَلْدَا ^(٥٣)

إنّ الشّاعر في هذه الأبيات يُخاطب المرثي في الجبل الجديد الذي أعدّه للانتفاضات الدينية والعلمية ضد الجهل والأخفاف، وقد استعمل عدداً من أسماء الفاعل المزيد بثلاثة أحرف، فاستعمل في البيت الأول الاسمين (مُسْتَنْكِر) ، و(مُسْتَجِدِي) المصاغين من (استنكر) ، و(استجدي) ، يقال : ((نَكِرْتُ الرجل ، بالكسر ، نُكْرًا و نُكُورًا وَاَنْكَرْتُهُ وَاَسْتَنْكَرْتُهُ كله بمعنى ... وَاَسْتَنْكَرَهُ وِتَنَاكَرَهُ ، كلاهما : كَنَكَرَهُ .. . وَاَلْمُنْكَرُ مِنَ الْأَمْرِ : خلاف المعروف ... وكلُّ ما قبحه الشّرع وحرّمه وكرهه ، فهو مُنْكَرٌ ... وَاَلتَّنْكَرُ : التّغْيِيرُ))^(٥٤) ، ومن خلال ذلك يمكن حمل اسم الفاعل (مُسْتَنْكِر) على دالّتين : الجعل والنسبة ، وبهذا يكون المعنى في السياق : أنّ المرثي لم يجعل النعيم قبيحاً ولم ينسبه إلى القبيح الذي كان فيه هؤلاء الطلبة ، فيقال : ((الْجُدُوى الْعَطِيّة ، وِجْدَاهُ وَاِجْتِدَاهُ وَاِسْتِجْدَاهُ أَي طَلَب جِدْوَاهُ وَاَجْدَاهُ أَعْطَاهُ))^(٥٥) ، ومن خلال ذلك يلتمس معنى الطلب في الاسم (مُسْتَجِدِي) ، وعلى هذا فيكون المعنى السياقي للاسم : إنّ المرثي لم يطلب الزهد للدين منهم ، ثمّ جاء في البيت الثاني بالاسم (مُسْتَعْلِق) المشتق من (استعلق) ، وعلّق الباب وأغلّقه بمعنى أفضله وأوصده^(٥٦) ، فيلمح من خلال ذلك أنّ اسم الفاعل قد دلّ على معنى القيام بالشيء ، وبهذا يظهر معنى السّياق : أنّه لم يقم بإغلاق الباب ، ثمّ أتى الشّاعر في البيت الثالث بالاسم (مُسْتَعْدِي) المشتق من (استعدى) ، يقال : ((آدَيْتُكَ وَاَعْدَيْتُكَ مِنَ الْعَدُوِّ وَهِيَ الْمُعُونَةُ ... وَاِسْتَعْدَى فَلَانُ السُّلْطَانَ عَلَى ظَالِمِهِ ، أَي اسْتَعَانَ بِهِ ، فَأَعْدَاهُ عَلَيْهِ أَي أَعَانَهُ عَلَيْهِ))^(٥٧) ، ومن خلال ذلك يستنبط دلالة الاستعانة في اسم الفاعل ، فيوحي معنى السّياق أنّ المخاطب لم يطلب المعونة من البليغ على أبنائه .

- ولم يستعمل الشّاعر اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف (افْعَوْعَل) ، و(افْعَوْل) ، و(افْعَالٌ) .
وأما اسم الفاعل المشتق من الفعل الرباعي المجرد والمزيد فتكون صياغته أيضاً بإبدال ياء مضارعه ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر^(٥٨) ، نحو : (مُدْخِرَج) على بنية (مُفْعَلِل) ، وقد استعمل القاموسي في ديوانه اسم الفاعل من الرباعي المجرد بنسبة قليلة ، نحو : (مُهَيِّين) ، و (مُعْرِيد) ^(٥٩) ، منها قول الشاعر :

لَا بَدَّ لِلصَّهْبَاءِ مِنْ سُكْرِ فَإِنْ لَمْ تَسْتَحْفَكَ شَارِباً فَمُعْرِيداً^(٦٠)

فالشّاعر في هذا البيت يُشير إلى ضرر الخمرة في شاربها فيرى أنّها إنّ لم تجعله سكيراً وتذهب عقله فسوف تجعله سيء الخلق ويتصرف بأفعال سيئة ، فعمد الشّاعر هنا إلى استعمال صيغة (مُفْعَلِل) في الاسم (مُعْرِيد) المشتق من الفعل الرباعي المجرد (عَرَيْدَ) ، يقال : العَرَيْدَةُ هي سوء الخلق ، والشّخص المعْرِيد ، السيء الخلق الذي يؤدي من حوله^(٦١) ، يتضح من خلال ذلك دلالة الحدث وفاعله في المشتق (مُعْرِيد) ، فالشّاعر قد جاء به على صيغة اسم الفاعل الذي يدلّ على

التَّبَوُّت ولم يَأْت به على بنية الفعل (عَزَبَد) الذي يحمل معنى التجدد والتغير لأنه أراد ثبوت الوصف في الموصوف أي أنّ صفة الإساءة ثابتة في شارب الخمر.

نتائج البحث :

- ١- استعمل الشاعر اسم الفاعل من المجرد بنسبة كبيرة وبدلالات مختلفة هي (الدلالة على الحدث المجرد وفاعله , والدلالة على النسب , والدلالة على الثبوت , والدلالة على المبالغة , والدلالة على المصدر) .
- ٢- استعمل القاموسي اسم الفاعل من المزيد الثلاثي بحرف وبجوفين وبثلاثة أحرف من الأوزان الآتية (أفعل , وفاعل , وفعل , وانفعل , وأفعل , وتفعل , وتفاعل , واستفعل) , وأما اسم الفاعل من الفعل الرباعي قد ورد من المجرد وبنسبة قليلة , وقد أفادت تلك الزيادات الداخلة على اسم الفاعل دلالات كشف عنها السياق .
- ٣- وإنّ اسم الفاعل له صلة بالمشتقات الأخرى كصيغ المبالغة والصفة المشبهة .
- ٤- وكان لتوظيف اسم الفاعل أثر دلالي يتناسب مع مقاصد الشاعر في التعبير أو الوصف .

هوامش البحث :

-
- (١) ينظر : المفصل : ٢٢٢ ، والتخمير : ٣ / ٩٩ - ١٠٠ ، والآيات القرآنية المختصة بالشيطان (رسالة) : ٩٥ .
 - (٢) ينظر : النحو الوافي : ٣ / ٢٣٨ ، والاشتقاق ، وفؤاد طرزي : ١٦٧ .
 - (٣) ينظر : الأصول في النحو : ١ / ١٢٢ ، وشذا العرف : ١٢١ ، والمباحث الصرفية في كتب الفروق اللغوية (رسالة) : ٣٣ .
 - (٤) ينظر : معاني الأبنية في العربية : ٤١ ، والصرف العربي أحكام ومعان : ٩٥ - ٩٦ .
 - (٥) أوضح المسالك : ٣ / ٢١٦ ، وينظر : إرشاد السالك : ٥٢٨ .
 - (٦) ينظر : المقتضب : ٣ / ١٦١ ، وشرح كتاب سيبويه : ٤ / ١٣١ .
 - (٧) ينظر : ليس في كلام العرب : ١٢٩ ، والمهذب : ٢٣٩ .
 - (٨) ينظر : الدراسات اللغوية في تراث ابن خالويه : ١٠٥ .
 - (٩) ينظر : فقه اللغة وأسرار العربية : ٣٦٥ - ٣٦٦ ، ومعاني الأبنية في العربية : ٥١ .
 - (١٠) ينظر : الديوان : ١٠٠ / (٢) ، ١٧١ / (٩) ، ١٧٢ / (٣) ، ٢٠٨ / (٤) ، ٢١٠ / (٩) .
 - (١١) المصدر نفسه : ٢٦٠ / (٢) .
 - (١٢) المصدر نفسه : ١٧٨ / (٥) .
- * شيخ الشريعة (ت ١٣٣٩هـ) : وهو فتح الله بن محمد جواد التمازي الأصفهاني ، ولد في أصفهان ، عالم أمامي ، وفقه (ينظر : معجم الشعراء الناظمين في الحسين : ٤ / ١٤٣) .
- * الشيخ عبد الحسين الرشتي النجفي (ت ١٢٩٢م) : هو ابن عيسى النجفي مجتهد ، عالم ، وفقه كبير ، وحجة ، وأستاذ في البيان والمنطق والحكمة (ينظر : معجم رجال الفكر والأدب : ١٩٦) .
- (١٣) العين (رعد) : ١٢٨ / ٢ ، وينظر : معجم متن اللغة : ٦٠٦ / ٢ ، و معجم اللغة العربية المعاصرة : ٩٠٧ / ٢ .

- (١٤) الديوان : ٣٣٣/ (٨) .
- * السيد محمود الحويبي (ت ١٩٦٩م) : هو ابن حسين بن محمود بن قاسم ، ولد في النجف ، شاعرٌ معروفٌ أديبٌ كبير (ينظر : شعراء الغري : ٢٠٠/١١ ، والديوان : ٣٣١)
- (١٥) ينظر : الصحاح / (طهر) : ٧٢٧/٢ ، ومختار الصحاح : ٣٥٠ .
- (١٦) الديوان : ٤٦٠/ (٩-١٠) .
- (١٧) ينظر : المحكم والمحيط (عفو) : ٣٧٢/٢ ، ٣٧٤ ، ولسان العرب (عفا) : ١٥/ ٧٢ - ٧٣ ، والمصباح المنير (عفا) : ٤١٩/٢ .
- (١٨) الديوان : ٢٥٣ : (١ - ٢) .
- (١٩) ينظر : لسان العرب (سير) : ٤ : ٣٨٩ - ٣٩٠ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة : ٢ / ١١٤٦ .
- (٢٠) ينظر : القاموس المحيط (بذل) : ٩٦٥ ، ومعجم متن اللغة : ٢٦٠/١ .
- (٢١) ينظر : الديوان : ١٧٧ - ١٧٩ .
- (٢٢) ينظر : المصدر نفسه : ٤٥٩ - ٤٦٤ (وفي أغلب أبياتها) .
- (٢٣) ينظر : المصدر نفسه : ٤٦٩ (وفي أغلب أبياتها) .
- (٢٤) ينظر : المقرب : ٢ / ١٤٢ ، وشرح الأشموني : ٢ / ٣٥٤ .
- (٢٥) ينظر : ليس في كلام العرب : ٥٤ ، وأبنية الأسماء والأفعال والمصادر : ٣٤٤ .
- (٢٦) ينظر : الديوان : ١٧١ / (٨) ، (٣) / ٢٩٨ ، (٢) / ٤٧١ .
- (٢٧) المصدر نفسه : ١٧١ / (٨) .
- * الشيخ محمد حسن المظفر (١٣٧٥هـ) : هو ابن محمد بن عبدالله ، ولد في النجف ، مرجع ديني كبير ، وكاتب ، وأديب ، وشاعرٌ زريق (ينظر : شعراء الغري : ٥٢٨/٧ ، ومعجم رجال الفكر والأدب : ٤١٨) .
- (٢٨) ينظر : تهذيب اللغة (يفع) : ٤٢٥/٢ ، ولسان العرب : ٤١٥/٨ .
- (٢٩) ينظر : الديوان : ١١٢ / (٣) ، ١١٩ / (١) ، ٢٥١ / (١٠) ، ٢٦٠ / (٤) ، ٤٦١ / (١) .
- (٣٠) المصدر نفسه : ٤٣٤ / (٦) .
- * أبو محسن محمد حسن : هو ابن محمد رضا آل ياسين ، ولد في النجف ، عالمٌ فاضلٌ ، وأديبٌ شاعرٌ (ينظر : شعراء الغري : ٥٤٥/٧)
- (٣١) ينظر : الديوان : ١٧٩ / (٧) ، ٢٤١ / (٤) .
- (٣٢) المصدر نفسه : ٩٤ / (١٠) .
- (٣٣) المحكم والمحيط (حوب) : ٣٠/٤ .
- (٣٤) ينظر : جمهرة اللغة (عنق) : ٩٢٤/٢ ، ومعجم متن اللغة : ٢٢٣/٤ .
- (٣٥) ينظر : الديوان : ١٣٥ / (٦) ، ٢٤٥ / (٧) ، ٢٥٣ / (٥) ، ٢٦٦ / (٥) ، ٣٦٥ / (١١) .
- (٣٦) الديوان : ٣٣٥ / (١) .
- (٣٧) ينظر : الصحاح / (غرب) : ١٩١/١ ، والمصباح المنير : ٤٤٤/٢ .
- (٣٨) ينظر : المحكم والمحيط (شرق) : ١٦٢/٦ ، ومختار الصحاح : ٢٩٥ .
- (٣٩) ينظر : الديوان : ٤١١ / (٣) ، ٤١٢ / (٥) .
- (٤٠) المصدر نفسه : ١٣٥ / (٧) .

- (٤١) العين (دحر): ١٠/٢ , وينظر: تهذيب اللغة: ٤٢٦/٣.
- (٤٢) المعجم الوسيط (دحر): ٢٧٢ , وينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ٧٢٥/١.
- (٤٣) ينظر: الديوان: (٢)/١٣٥, (٥)/٢٢٥, (١١)/٢٩٦, (٥)/٣٠٠, (٦)/٣٤٠.
- (٤٤) المصدر نفسه: ١٩٠/٨).
- (٤٥) ينظر: المحيط في اللغة (فرش): ٣٢٣/٧, ٣٢٥, ومجمل اللغة: ٧١٥/٢.
- (٤٦) ينظر: الديوان: (٢)/٢٤٣, (٨)/٢٥١.
- (٤٧) الديوان: ٩٦/٥).
- (٤٨) ينظر: أساس البلاغة (بتل): ٤٤/١, وأقرب الموارد: ١٤٢/١-١٤٣.
- (٤٩) ينظر: الديوان: ١٧٩/٤, (٨)/٣٢٤.
- (٥٠) المصدر نفسه: ٣٢٣/٨).
- (٥١) ينظر: مجمل اللغة (كسل): ٧٨٤/٢, والقاموس المحيط: ١٤١٧.
- (٥٢) ينظر: الديوان: ١٨٢/٣, (٩)/٢٥٢.
- * عبد الحسين بن السيد يوسف شرف الدين العاملي (ت ١٣٧٧هـ): أحد علماء التجف المعرفة (ينظر: الديوان: ١٨١).
- (٥٣) الديوان: ١٨٤/ (١٠-١٢).
- (٥٤) لسان العرب (نكر): ٢٣٣/٥-٢٣٤.
- (٥٥) مختار الصحاح (جدي): ٨٥, وينظر: معجم متن اللغة: ٤٩١/١.
- (٥٦) ينظر: المحكم والمحيط (غلق): ٣٨٥/٥, والمصباح المنير: ٤٥١/٢.
- (٥٧) تهذيب اللغة (عدا): ٣١٦/٢-٣١٧.
- (٥٨) ينظر: المقتضب: ١٤٢/١, والأصول في النحو: ١٢٣/١, والمقرب: ١٤٢/٢.
- (٥٩) ينظر: الديوان: ٩٥/٥, (١٢)/١٩٢.
- (٦٠) المصدر نفسه: ١٧٢/٥).
- (٦١) ينظر: الصحاح (عريد): ٥٠٨/٢, والقاموس المحيط: ١٠٦٧.
- أولاً: المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- أبنية الأسماء والأفعال والمصادر: ابن القطاع الصقلي (ت ٥١٥هـ), ت: د. أحمد محمد عبد الدايم, د. ط, مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة, ١٩٩٩م.
- إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك: برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ٧٦٧هـ), ت: د. محمد بن عوض بن محمد السهلي, د. ط, أضواء السلف, د. ت.
- أساس البلاغة: لأبي القاسم جار الله محود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ), ت: محمد باسل عيون السود, ط: ١, دار الكتب العلمية - لبنان, ١٩٩٨م.
- الاشتقاق: فؤاد حنا طرزي, ط: ١, مكتبة لبنان ناشرون - لبنان, ٢٠٠٥م.

- الأصول في النحو : لأبي بكر مُجَدِّد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت ٣١٦هـ) ، ت: عبد الحسين الفتلي ، ط: ٣، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٩٩٦ م .
- أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد : سعيد الخوري الشرتوني ، ط: ١، دار الأسوة - قم ، ١٣٧٤هـ . ش - ١٤١٦هـ . ق .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : أبو مُجَدِّد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، ومعه كتاب عدة السالك لمحمد محي الدين عبد الحميد ، د. ط ، دار الفكر - لبنان ، د. ت.
- التخمير أو شرح المفصل في صنعة الإعراب : القاسم بن الحسين الخوارزمي (ت ٦١٧هـ) ، د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، ط: ١ ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، ١٩٩٠ م .
- تحذيب اللغة: أبو منصور مُجَدِّد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠هـ)، ت: د. أحمد عبد الرحمن مخيمر، ط: ١، دار الكتب العلمية - لبنان، ٢٠٠٤ م .
- جهرة اللغة: أبو بكر مُجَدِّد بن الحسن ابن دريد (ت ٣٢١هـ)، ت: د. رمزي منير بعلبكي، ط: ١، دار العلم للملايين - لبنان ، ١٩٨٧ م .
- الدراسات اللغوية في تراث ابن خالويه : د. سليمة جبار غانم الغراوي ، ط: ١، مركز الكتاب الأكاديمي - عمان ، ٢٠٢١ م .
- الديوان: صادق القاموسي (١٩٨٨م)، جمعه وعلق عليه: د. مُجَدِّد رضا القاموسي، ط: ١، المكتبة العصرية - دار المثني - بغداد، ٢٠٠٤ م .
- شذا العرف في فن الصرف : أحمد بن مُجَدِّد بن أحمد الحملاوي (ت ١٣١٥هـ) ، قدم له وعلق عليه : مُجَدِّد بن عبد المعطى ، خرج شواهد ووضع فهارسه : أبو الأشبال أحمد بن سالم المصري ، د. ط ، دار الكيان ، الرياض ، د. ت .
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك) ، ت: مُجَدِّد محي الدين عبد الحميد ، ط: ١، دار الكتاب العربي - لبنان ، ١٩٥٥ م .
- شرح كتاب سيبويه : لأبي سعيد السيرافي (الحسن بن عبدالله بن المرزبان) (ت ٣٦٨هـ) ، ت: أحمد حسن مهدي ، وعلي سيد علي ، ط: ١، دار الكتب العلمية - لبنان ، ٢٠٠٨ م .
- شعراء الغري أو النجفيات : علي الخاقاني ، د. ط ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - إيران ، ١٤٠٨هـ .
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) ، ت: أحمد عبد الغفور عطار ، ط: ٢ ، دار العلم للملايين - لبنان ، ١٩٧٩ م .
- الصرف العربي أحكام ومعان: مُجَدِّد فاضل السامرائي، ط: ١، دار ابن كثير - سوريا، ٢٠١٣ م .
- العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) ، ت: عبد الحميد هندواوي، ط: ١، دار الكتب العلمية - لبنان ، ٢٠٠٣ م .
- فقه اللغة وأسرار العربية : لأبي منصور عبد الملك بن مُجَدِّد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٣٠هـ) ، ضبطه وعلق على حواشيه وقدم له ووضع فهارسه : ياسين الأيوبي ، ط: ٢، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ، ٢٠٠٠ م .
- القاموس المحيظ : مجد الدين مُجَدِّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ، ت : أبو الوفا نصر الموريني المصري الشافعي ، راجعه واعتنى به : أنس مُجَدِّد الشامي ، وكرريا جابر أحمد ، د. ط ، دار الحديث - القاهرة ، ٢٠٠٨ م .
- لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين مُجَدِّد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ) ، ط . د ، أدب الحوزة - إيران ، ١٤٠٥ هـ .
- ليس في كلام العرب : الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ، ت : أحمد عبد الغفور عطار ، ط: ٢، مكة المكرمة ، ١٩٧٩ م .
- مجمل اللغة : لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (ت ٣٩٥هـ) ، ت: زهير عبد الحسن سلطان ، ط: ٢، مؤسسة الرسالة - العراق ، ١٩٨٦ م .

- المحكم والمحيط الأعظم : لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨هـ) ، ت: عبد الحميد هندراوي ، دار الكتب العلمية - لبنان ، ٢٠٠٠ م .
 - المحيط في اللغة : إسماعيل بن عباد الصاحب (ت ٣٨٥هـ) ، ت : مُجَدِّد حسن آل ياسين ، ط: ١ ، عالم الكتب - بيروت ، ١٩٩٤ م .
 - مختار الصحاح : لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ت ٦٦٦هـ) ، د.ط ، مكتبة لبنان - لبنان ، ١٩٨٩ م .
 - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : أحمد بن مُجَدِّد بن علي المقرئ الفيومي (ت ٧٧٠هـ) ، ت: عبد العظيم الشناوي ، ط: ٢ ، دار المعارف - القاهرة ، د.ت .
 - معاني الأبنية في العربية : فاضل صالح السامرائي ، ط: ٢ ، دار عمار - عمان ، ٢٠٠٧ م .
 - معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام : مُجَدِّد هادي الأميني ، ط: ١ ، مطبعة الآداب - النجف ، ١٩٦٤ م .
 - معجم الشعراء الناظمين في الحسين: مُجَدِّد صادق مُجَدِّد الكرباسي ، ط: ١ ، دار المعارف الحسينية، المركز الحسيني للدراسات لندن ، ٢٠١١ م .
 - معجم اللغة العربية المعاصرة : أحمد مختار عمر (بمساعدة فريق عمل) ، ط: ١ ، عالم الكتب - القاهرة ، ٢٠٠٨ م .
 - معجم متن اللغة : أحمد رضا ، د.ط ، دار مكتبة الحياة - بيروت ، ١٩٥٨ م ، ١٩٥٩ م ، و ١٩٦٠ م .
 - المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، ط: ٤ ، مكتبة الشروق الدولية - القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
 - المفصل في علم العربية : لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، ت: فخر صالح قدارة ، ط: ١ ، المكتبة الوطنية ، دار عمار - عمان ، ٢٠٠٤ م .
 - المقتضب: لأبي العباس مُجَدِّد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) ، ت: مُجَدِّد عبد الخالق عضية ، ط: ٣ ، مطابع الأهرام التجارية - مصر ، ١٩٩٤ م .
 - المقرب: علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت ٦٦٩هـ) ، ت : أحمد عبد الستار الجوارى ، وعبدالله الجبوري ، ط: ١ ، مطبعة العاني - بغداد ، إحياء التراث الإسلامي ، ١٩٧٢ م .
 - المهذب في علم التصريف : صلاح مهدي الفرطوسي ، وهاشم طه شلاش ، ط: ١ ، مطابع بيروت الحديثة ، ٢٠١١ م .
 - النحو الوافي : عباس حسن ، ط: ٤ ، دار المعارف - مصر ، د. ت .
- ثانياً : الرسائل والأطاريح :**
- الآيات القرآنية المختصة بالشيطان (دراسة في دلالة البنية والتركيب) (رسالة ماجستير) : فرانس يعقوب خير الله ، د.ط ، جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ٢٠١٨ م .
 - المباحث الصرفية في كتب الفروق اللغوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري (رسالة ماجستير) : علي عدنان عبد الحسين الحجاج ، بإشراف : أ.د . سليمة جبار غانم ، جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ٢٠٢٢ م .

بناء الجملة الفعلية في آيات الأمن في القرآن الكريم دراسة نحوية

د/هدى بنت سعيد مُجَد البطاطي

أستاذ النحو المشارك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبدالعزيز/ فرع السليمانية

الملخص:

تناولت هذه الدراسة بناء الجملة الفعلية لآيات الأمن لرصد خصائص البناء التركيبي لآيات الأمن في القرآن الكريم، من خلال الوقوف على صيغ الأمن واشتقاقاتها في السياق القرآني، وما تؤديه تلك الصيغ في ارتباطها مع عناصر الجملة سابقة ولاحقة من معاني ودلالات معنوية، ومعرفة أنماط بناء الجملة الفعلية وصورها التركيبية وما يعتور تلك الأنماط من تقديم وتأخير ونفي واستفهام. وقد سارت الدراسة في تحقيق هذا الهدف وفق المنهج التحليلي للآيات الكريمة محل الدراسة، معتمداً على أقوال المفسرين والعلماء في الكشف عن معاني الآيات الكريمة وما تحمله من دلالات سياقية متنوعة. الكلمات المفتاحية: الأمن، الشرط، الحذف، التقديم والتأخير

Building the Verbal Sentence in The Security Verses in The Holy Quran Grammatical Study

Abstract

This study focuses on the verbal sentence construction of the security verses to understand the characteristics of the formal structures of the security verses in the Holy Quran by examining the security formula and its derivatives in the Quranic context. The study also aims to understand what these formulas perform in their association with the elements of the sentence, both preceding and subsequent, in terms of meanings and semantics, and to know the patterns of building the verbal sentence and its compositional images, as well as the variations of these patterns, such as introduction, delay, deletion, negation, and interrogation. The study proceeds to achieve this goal by using an analytical approach to the holy verses under study, relying on the sayings of the interpreters and scholars in revealing the meanings of the holy verses and the various contextual connotations they carry.

Keywords: security, condition, deletion, sentence variations

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه أجمعين.
فالأمن نعمة عظيمة تفضل بها الخالق عز وجل على عباده، وفقده نقمة كبيرة تبعث في النفوس الخوف وعدم الاستقرار؛ فبالأمن يطمئن البشر على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ولأهميته قرنه الله تعالى بالطعام والأموال

الآمينين} [القصص: ٣١]، وجاء بصيغة اسم المفعول في موضع واحد، كما قوله تعالى: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ} [المعارج: ٢٨].

وقد وردت كلمة الأمن وما يشتق منها في السياق القرآني بمعاني متعددة تدور حول تحقيق الاطمئنان النفسي، ومن ذلك ورودها بمعنى الأمانة التي هي ضد الخيانة، كما في قوله تعالى: (يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الَّذِينَ آمَنُوا سَلَفًا أُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ أَخْرَجُوا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة: ٢٨٣]، وبمعنى السكينة والبعد عن الخوف والمكراه - وهو المعنى الحقيقي والعام للأمن- كما في قوله تعالى: {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنْكُمْ} [آل عمران: ١٥٤]، جاء في مقاييس اللغة: "فكلمة (أمن) لها أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق"^١ والتصديق هو الإيمان، والأمن والاستقرار النفسي إحدى ثمراته.

كما ورد الأمن بمعنى المكان الآمن على صيغة اسم المكان، وذلك في قوله تعالى: {ثُمَّ أَلْبَسَهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ} [التوبة: ٦] أي: ألبسه موضع أمنه أو منزله الذي فيه أمنه^٢.

ثانيًا: أنماط بناء الجملة الفعلية لآيات الأمن

جاء لفظ الأمن على صيغة الفعل الماضي والفعل المضارع في أساليب وأنماط تركيبية متعددة سيقف البحث على أبرزها وما ينبعث منها من دلالات سياقية متنوعة؛ إذ يتأتى فهم دلالة التركيب من فهم الجملة فهمًا صحيحًا، والسياق الذي وردت فيه. ومن الأنماط التركيبية لآيات الأمن:

النمط الأول: جملة فعلية مصدرية بالشرط

الشرط أسلوب تركيبى يتكون من عناصر لغوية تظهر في مجموعة سياقية محددة بنسب متفاوتة في معدلاتها كثرة وقلة من حالة إلى أخرى^٣؛ فلأدوات الشرط دلالات متعددة تدرك في سياق الجملة، وقد استعمل الخطاب القرآني كل أداة في مواضع معينة بأشكال مختلفة ليعبر عن غرض خاص.

وأكثر الأدوات الشرطية استعمالاً في آيات الأمن (إذا) و(إن) الشرطيتين، فأما (إذا) فهي ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط، والأصل في (إذا) أن تستعمل في الأمر المقطوع بمحصله، بخلاف (إن)، وهذا ما سيوضح في آيات الأمن المصدرية بأدوات الشرط.

ولتركيب الشرط في بناء الجملة الفعلية في آيات الأمن ثلاث صور:

- الصورة الأولى: (إذا) الشرطية+ (الأمن) فعل ماض

ومنها قوله تعالى: {فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} [البقرة: ١٩٦] ف(فَإِذَا) الفاء استئنافية و(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمن، (أَمِنْتُمْ) الجملة الفعلية في محل جر بالإضافة، وجملة (فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ) جواب شرط غير جازم لا محل لها. و(فَإِذَا أَمِنْتُمْ) أي: أمتم الإحصار، بمعنى: إذا لم تُحصروا وكنتم في أمن وسعة من العدو، ومن فسّر الإحصار بالمرض جعل المراد الأمن من المرض لا من العدو، والمعنى: فَإِذَا بَرِئْتُمْ مِنْ

مرضكم. ومن فسّر الإحصار بالعدو لا بالمرض، جعل المعنى: فإذا أمنتم من خوفاكم من العدو، ومن فسّر الإحصار بأنه من العدو والمرض، فالأمن عنده من جميع ذلك، ومعناه سكون في القلب^{١١}.
ومثله قوله تعالى: { فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } [البقرة: ٢٣٩] وفيه تأويلان: أحدهما: معناه فإذا أمنتم فصلوا كما علمكم، والثاني: فاذكروه بالشأن عليه والحمد له، كما علمكم من أمر دينكم^{١٢}.
ودلّ استعمال (إذا) الشرطية مع (الأمن) في الآية السابقة دون غيرها من أدوات الشرط على معنى مقصود؛ إذ يقول ابن عاشور: "وجاء في الأمن ب(إذا)، وفي الخوف ب(إن) إشارة للمسلمين بأنهم سيكون لهم النصر والأمن"^{١٣}، ف(إذا) حرف يستعمل غالباً في الأمور المؤكدة الوقوع والمحجب حصولها.

- الصورة الثانية: إن الشرطية+ (الأمن) فعل ماض

ومنها قوله تعالى: { فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ } [البقرة: ٢٨٣] ف(إن) شرطية جازمة و(أمن) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، و(بعضكم) فاعل و(بعضاً) مفعول به، (فليؤدّ الذي أؤتمن أمانته) الفاء رابطة لجواب الشرط واللام لام الأمر و(يؤد) فعل مضارع مجزوم باللام وعلامة جزمه حذف حرف العلة والجملة في محل جزم. و { فَإِنْ أَمِنَ } بمعنى: إن وثق ربّ الدّين بأمانة الغريم فدفع إليه ماله بغير كتاب ولا إسهاد ولا رهن، فليؤدّ الغريم أمانته، أي: ما ائتمنته عليه رب المال، والأمانة: مصدرٌ أطلق على الشيء الذي في الذمة، ويحتمل أن يراد به نفس المصدر ويكون على حذف مضاف، أي: فليؤدّ دين أمانته، واللام في ﴿فليؤدّ﴾ للأمر، وهو للوجوب^{١٤}.

- الصورة الثالثة: (إن) الشرطية+ (الأمن) فعل مضارع مجزوم

ومنها قوله تعالى: { وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ } [آل عمران: ٧٥]، ف(إن) حرف شرط جازم، و(تأمن) مضارع مجزوم فعل الشرط و(الهاء) ضمير مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت (بقنطار) جار ومجرور متعلق ب(تأمن)، والباء بمعنى (على)، (يؤدّ) مضارع مجزوم جواب الشرط، و(منهم من.. لا يؤدّه إليك) تعرب كصدر الآية، والمعنى: أن من أهل الكتاب من إن تأمنه على كثير من المال يؤدّه إليك من غير خيانة، ومنهم من إن تأمنه على دينار واحد لا يؤدّه إليك. وقيل: المأمونون على الكثير النصارى، لغلبة الأمانة عليهم. والخائفون في القليل اليهود، لغلبة الخيانة عليهم^{١٥}.

ودلّ استعمال (إن) الشرطية في الآيتين السابقتين على أمر غير مؤكد الوقوع؛ وهو استعمال مقصود فإله سبحانه أعلم بحال هؤلاء القوم، ف(إن) الشرطية ترد في القرآن الكريم عندما يكون الأمر محتملاً للشك بعيداً عن اليقين، فيما ترد (إذا) على عكس ذلك كما تقدم.

النمط الثاني: جملة فعلية مصدرية بالاستفهام

الاستفهام نمط تركيبى من الجمل الإنشائية الطلبية، فهو طلب العلم عن شيء لم يكن معلوما أصلاً، ومن أدواته التي تصدرت الجملة الفعلية في آيات الأمن: الهمزة - وهي أم باب الاستفهام - و(هل)، وهما حرفا استفهام لطلب التصديق ولهما صدر الكلام، إلا أن همزة الاستفهام اختصت بالدخول على ثلاثة من حروف العطف هي: "الواو، الفاء، ثم"، فعقد سيويه باباً لذلك عنونه بقوله: هذا باب الواو التي تدخل عليها ألف الاستفهام^{١٦}، وقد دخلت الهمزة على الواو في القرآن الكريم في ستة وخمسين موضعاً، ودخلت على الفاء في واحد وثلاثين ومائة موضعاً، ودخلت على (ثم) في موضع واحد.

وذهب النحويون إلى أن همزة الاستفهام مقدمة على حرف العطف، والأصل فيها أن تكون بعده؛ وللنحويين في هذا رأيان: أولهما: وهو رأي الجمهور أن الهمزة تركت مكانها بعد حرف العطف، وتقدمت عليه؛ تنبيهاً على أصلتها في التصدير - كما يقولون - فالجملة بعد العاطف معطوفة على الجملة التي قبله وقبل الهمزة، ما لم يمنع من هذا العطف مانع. ثانيهما: وهو رأي الزمخشري أن الجملة بعد العاطف معطوفة على جملة محذوفة موقعها بين الهمزة والعاطف. والرأي الأول أشهر، وذهب بعضهم إلى أن الهمزة للاستفهام، وبعدها "الواو" و"الفاء" حروف استئناف داخلية على جملة مستأنفة.

وللتركيب الاستفهامي في بناء الجملة الفعلية في آيات الأمن خمس صور:

- الصورة الأولى: همزة الاستفهام + فاء العاطفة + (الأمن) فعل ماض

ومنها قوله تعالى: {أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ} [الإسراء: ٦٨] فالهمزة في {أَفَأَمِنْتُمْ} للإنكار والتوبيخ والتفريع، والفاء عاطفة على مقدر والتقدير: أنجوتم من الغرق فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض؟، وذهب الزمخشري إلى أن الفاء للعطف على محذوف، ومذهب الجماعة ألا محذوف هناك، وأن الفاء للعطف على ما قبلها، واعتني بهمزة الاستفهام لأن لها صدر الكلام فُقِدَتْ والنبيّة التّأخّير، والتقدير: فَأَمِنْتُمْ. والخطاب للسابق ذكرهم، أي: أَفَأَمِنْتُمْ أَيُّهَا التَّاجِرُونَ المعرضون عن صنع الله الذي نَجَّاكم^{١٧}.

- الصورة الثانية: همزة الاستفهام + فاء العاطفة + (الأمن) فعل ماض

ومنها قوله تعالى: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف: ٩٩]، وقوله سبحانه: {أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ} [يوسف: ١٠٧]، فالهمزة في {أَفَأَمِنُوا} للاستفهام الإنكاري وفيه معنى التوبيخ والتهديد، والفاء استئنافية أو عاطفة و(أمنوا) فعل ماض، والواو فاعل والجملة مستأنفة.

- الصورة الثالثة: همزة الاستفهام + فاء العاطفة + (الأمن) فعل ماض

ومنها قوله تعالى: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ} [الأعراف: ٩٧]، والاستفهام فيها للتفريع والتوبيخ، والفاء لعطف هذه الجملة على ما قبلها^{١٨}، يقول الزمخشري: " فَإِنَّ قُلْتَ: ما المِعْطُوفُ عليه ولم عطفنا الأولى

بالفاء والثانية بالواو؟ قُلْتُ: المِعْطُوفُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ بَعْثَةً﴾... وَإِنَّمَا عَطَفْتُ بِالفَاءِ؛ لِأَنَّ المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بعتة"١٩.

ومنها قوله تعالى: (فَقَدْ جِجْ جِجْ جِجْ جِجْ جِجْ) [النحل: ٤٥] ، فالاستفهام بمعنى الإنكار والتعجب المشوب بالتوبيخ من استرسالهم في المعاندة، والفاء عاطفة على محذوف، تقديره: ألم يتفكروا فأمن الذين مكروا السيئات؟ وقيل: الفاء استئنافية.

- الصورة الرابعة: همزة الاستفهام + واو عاطفة + (الأمن) فعل ماض

ومنها قوله تعالى: {أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ} [الأعراف: ٩٨] حيث دخلت ألف الاستفهام على حرف العطف، والواو عاطفة على الآية السابقة: ﴿أفأمن أهل القرى﴾، فهو عَطَفُ اسْتِفْهَامٍ ثَانٍ بِالْوَاوِ المفيدة للجمع، إنكار بعد إنكار للمبالغة في التوبيخ الشديد. وقرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر بسكون الواو على أنه عطف بحرف "أو" الذي هو لأحد الشئتين عطفًا على التعجب، أي: هو تعجب من أحد الحالين، والمعنى: أفأمنوا هذا أو هذا؟ كما تقول: أجاه زيدٌ أو عمرو؟^{٢٠}.

الصورة الخامسة: همزة الاستفهام + (الأمن) فعل ماض

ومنها قوله تعالى: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} [الملك: ١٦]، فالهمزة للاستفهام الإنكاري، و(أمنتم) فعل وفاعل و(من) مفعول به، والآية الكريمة "انتقال من الاستدلال إلى التخويف؛ لأنه لما تقرر أنه خالق الأرض ومذلها للناس، وتقرر أنهم ما رعوا خالقها حق رعايته استحقوا غضبه... فالجملة معترضة والاستفهام إنكار وتوبيخ وتحذير"^{٢١}.

الصورة السادسة: الاستفهام بهل + (الأمن) فعل مضارع + الفاعل ضمير مستتر

ومنها قوله تعالى: {قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ} [يوسف: ٦٤]. ف(هل) استفهام إنكاري فيه معنى النفي، فهو يستفهم عن وجه التأكيد في قولهم: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^{٢٢}، "أي: هل أنتم صانعون به إلا كما صنعتم بأخيه من قبل، تغيبونه عني، وتحولون بيني وبينه؟"^{٢٣}، و(أمنكم) فعل مضارع وفاعل مستتر.

مما تقدم نلاحظ الثراء الدلالي لأسلوب الاستفهام فقد عبر عن معان أثارها هذا الاستفهام في سياقه، وهي الإنكار والتوبيخ والتفريع والتعجب...؛ ففهم دلالة الاستفهام تتأثر بالسياق اللغوي والمقالي لذلك الأسلوب، ويلحظ أيضًا أن همزة الاستفهام هي الأكثر استعمالًا مع فعل (الأمن) سواء أكانت متصلة بالفعل مباشرة أم فصل بينها وبين الفعل بفاصل، وأن (هل) الاستفهامية أقوى وأكد في الاستفهام من الهمزة.

النمط الثالث: جملة فعلية مسبوقه بحرف عطف، وله صورتان:

- الصورة الأولى: أم المنقطعة + (الأمن) فعل ماض

ومنها قوله تعالى: { أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ } [الإسراء: ٦٩] (أم) منقطعة تقدر ببل والهمزة، فهي للإضراب الانتقالي، أي: بل أأمنتم، فالاستفهام مقدر مع (أم) لأنها خاصة به، أي: "أو هل كنتم آمنين من العود إلى ركوب البحر مرة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح؟" ^{٢٤}.

ومثله قوله تعالى: { أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ } [الملك: ١٧] ف (أم) لإضراب الانتقال من غرض إلى غرض، وهي بمعنى (بل)، كأنه أضرب عن التهديد الأول لينتقل إلى تهديد آخر، فهو "انتقال من الاستفهام الإنكاري التعجبي إلى آخر مثله باعتبار اختلاف الأثرين الصادرين عن مفعول الفعل المستفهم عنه...، فالاستفهام الأول إنكار على أمنهم الذي في السماء من أن يفعل فعلاً أرضياً. والاستفهام الواقع من (أم) إنكار عليهم أن يأمنوا من أن يرسل عليهم من السماء حاصباً" ^{٢٥}.

و(أم) المنقطعة معناها الإضراب مثل (بل) فتقطع الكلام الأول لتستأنف كلاماً جديداً، فإذا كان ما بعدها مستنكراً أضافت إلى معنى الإضراب معنى الاستفهام الإنكاري، وذهب بعضهم إلى أن (أم) المنقطعة ليست عاطفة وإنما هي حرف ابتداء يفيد الإضراب فلا تدخل إلا على الجمل، وهو الرأي الشائع، فيما ذهب بعضهم إلى أنها عطف يعطف بها جملة على جملة، وهي مسبوقة باستفهام غير حقيقي معناه الإنكار والنفي ^{٢٦}.

- الصورة الثانية: الواو العاطفة + الأمن فعل ماض

ومنها قوله تعالى: { الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَأَمَنَّهُمْ مِّنْ خَوْفٍ } [قريش: ٤]، فالواو في ﴿وَأَمَنَّهُمْ﴾ حرف عطف، و(أمنهم) فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره هو، وجملة ﴿أمنهم﴾ معطوفة على جملة ﴿أطعمهم﴾ لا محل لها من الإعراب، وفي الجمع بين إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف نعمة عظيمة؛ لأن الإنسان لا ينعم ولا يسعد إلا بتحصيل النعمتين معاً؛ إذ لا عيش مع الجوع، ولا أمن مع الخوف، وتكمل النعمة باجتماعهما. والواو تفيد المشاركة بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم، ولا تدل على ترتيب بينهما ولا تعقيب.

النمط الرابع: جملة فعلية مصدرية بالنفي، وله صورة واحدة:

- لا النافية + (الأمن) فعل مضارع

{ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ } [يوسف: ١١]، ف(لا) في ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ نافية، و(تأمنًا) فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره (أنت)، وجملة (لا تأمننا) حال والاستفهام بـ (ما لك) فيه معنى التّعجب، والمعنى: لم تخافنا عليه ونحن نحب ونريد الخير به، يقول البقاعي: " أجمع القراء على حذف حركة الرفع في تأمن وإدغام نونه معد إسكانه تبعاً للرسم...؛ دلالة على نفي سكون قلبه عليه - عليهما الصلاة والسلام - بأمنه عليه منهم على أبلغ وجه...، وَلَوْ ظَهَرَتْ ضَمَةُ الرفع عند أحد من القراء فَاتَ هَذَا الإيماءُ إلى هذه النكتة البديعية".

ومثله قوله تعالى: ﴿ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج﴾ [الأعراف: ٩٩]، ف(لا) نافية و(يأمن) مضارع مرفوع، والفاء في قوله (فلا يأمن) للتنبيه على أن العذاب يعقب أمن مكر الله.

ثالثاً: التقديم والتأخير في آيات الأمن

الأصل في الجملة لزوم الرتبة، فكل كلمة لها موضع خاص، غير أنه لعل ما تتغير رتبة بعض الكلمات عدولاً عن الأصل أو القاعدة الأصلية، وذلك بتقديم الألفاظ أو تأخيرها عن مواضعها لغرض مقصود يقتضيه المقام، وامتدحه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، ولا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد أن الذي راقك ولطفه عندك أن قدم فيه شيئاً وحول اللفظ عن مكان إلى مكان" ^{٢٧}؛ فهو ضرب من التوسع اللغوي الجائر الذي لا يعني مخالفة القواعد النحوية.

وتتضح أهمية التقديم والتأخير في الأسلوب القرآني خاصة؛ فكل تقديم أو تأخير إنما هو لحكمة بالغة وغرض اقتضاه المقام وسياق التعبير، ومن ذلك تقديم (أمنة) على (نعاساً) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْعَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَعْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] لحكمة بيانية؛ ف"كَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُقَدَّمَ النُّعَاسُ وَيُؤَخَّرَ أَمَنَةٌ: لِأَنَّ أَمَنَةً بِمَنْزِلَةِ الصِّفَةِ أَوْ الْمَفْعُولِ لِأَجْلِ فَحَقُّهُ التَّجْدِيدُ عَلَى الْمَفْعُولِ كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ الْأَنْفَالِ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمْ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: ١١] وَلَكِنَّهُ قَدِمَ الْأَمَنَةَ هُنَا تَشْرِيفًا لِشَأْنِهَا لِأَنَّهَا جُعِلَتْ كَالْمَنْزِلِ مِنَ اللَّهِ لِنَصْرِهِمْ، فَهُوَ كَالسَّكِينَةِ، فَتَنَسَّبَ أَنْ يُجْعَلَ هُوَ مَفْعُولٌ أَنْزَلَ، وَيُجْعَلُ النُّعَاسُ بَدَلًا مِنْهُ" ^{٢٨}.

و(أمنة) مصدرٌ من أَمِنَ الرَّجُلُ يَأْمُنُ أَمْنًا وَأَمَنَةً وَأَمَانًا، وقرأ جمهور الناس "أمنة" بفتح الميم، وقرأ ابن محيصن والنخعي "أمنة" بسكون الميم، وهما بمعنى الأمن، وفتح الميم أفصح ^{٢٩}، وفي نصبها ثلاثة أوجه: أحدها: أنها مفعول (أنزل)، والثاني: أنها حال من (نعاساً)؛ لأنها في الأصل صفة نكرة فلما قُدِّمَتْ نُصِبَتْ حالاً. والثالث: أنها مفعولٌ لأجله، وهو فاسدٌ صناعة؛ لاختلال شرط اتحاد الفاعل، فإنَّ فاعل (أنزل) غيرُ فاعلِ الأمانة. والرابع، أنه حالٌ من المخاطبين في (عليكم) وفيه حينئذٍ تأويلان: إمَّا على حَذْفِ مُضَافٍ أَي: ذَوِي أَمَنَةٍ، وإمَّا أَنْ يَكُونَ (أمنة) جمع (أمن) نحو: بار وبررة، وكافر وكفرة.

ومن مواطن تقديم الجار والمجرور في آيات الأمن للعناية والاهتمام بالمقدم قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمْ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١]، حيث تقدم الجار والمجرور (عليكم) و(من السماء) على المفعول به (ماء)؛ "وتقديم الجار والمجرور على المفعول به للاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر كما مر غير مرة، وتقديم (عليكم) لما أن بيان كون التنزيل عليهم أهم من بيان كونه من السماء" ^{٣٠}.

وهكذا جاءت الكلمات - تقديمًا وتأخيرًا - غاية في التناسق والانسجام الذي يحقق الغاية التي قصدها سياق النص القرآني الكريم.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، من أهمها:

1. جاء مصطلح الأمن في السياق القرآني شاملاً الأمن الدنيوي والأخروي بمعنييه المادي والمعنوي.
2. يرتبط لفظ الأمن ومشتقاته من الأمانة والأمنة والأمين والمأمون... مادة ومعنى.
3. تنوعت الأنماط الحوارية في بناء الجملة الفعلية لآيات الأمن بتنوع المخاطبين وموضوع الخطاب القرآني والغرض منه، وجاءت اللغة الحوارية وأدوات الخطاب متناسبة مع البيئة الحوارية والمواقف التي عبرت عنها.
4. قوة البناء اللغوي في آيات الأمن، فجاءت اللغة مُشبعة بالدلالات السياقية العميقة، فالكلام ومقامه وسوابقه ولواحقه، ونبرة التلطف به وتنغيمه وقرائن الأحوال المصاحبة له... تتضافر جميعها لفهم المراد من التركيب.
5. وردت مادة الأمن في القرآن الكريم على صيغتي الماضي والمضارع ولم ترد على صيغة الأمر مطلقاً.
6. وردت بعض آيات الأمن بصيغة الخبر المراد به الأمر في مواضع معينة ولأغراض معينة.
7. أدت الأنماط التركيبية دورًا مهمًا في السياق السردى، تراوحت بين أساليب تعبيرية متنوعة تصور حال المخاطبين، وأساليب أخرى خرجت عن معناها الحقيقي لتوظف في معانٍ أخرى استدعاها السياق، وجميع تلك الأساليب محملة بشحنات دلالية بناء على المكون التركيبي.
8. الاستفهام والتقديم والتأخير والحذف من الظواهر اللغوية التي تضمنتها آيات الأمن وكان لها أثرها في إكساب التركيب المعنى المراد منه.
9. للأدوات النحوية باختلاف معانيها النحوية وأدوارها الوظيفية أثر في تكوين الدلالة القرآنية؛ فقد استخدم الخطاب القرآني أداتي الشرط (إذا) و(إن)، وحرفي الاستفهام الهمزة و(هل)، في مواضع معينة في آيات الأمن لأغراض مقصودة بحسب حال المخاطبين وسياق الحال.
10. وردت صيغ الأمن مسبوقه باستفهام ليس على سبيل الحقيقة بل على معنى الإنكار والتقريع والتعجب، ولم ترد على معنى التقرير للارتباط الواضح بين فعل من توجه إليهم الاستفهام بالأمن ومآلهم المحتوم.
11. تكرار أسلوب الاستفهام في الحوار القرآني وتنوع صوره إلا أن التراكيب كانت تحمل في كل مرة دلالات مختلفة تتلاءم مع مقامات الحوار وشخصيات المتحاورين، حتى إن أسلوب الاستفهام يمثل السمة الأسلوبية الأبرز مع فعل الأمن.

- ٢٧ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت: محمود شاكر، مكتبة اليازجي، د.ط، القاهرة، ١٩٨٤، ص١٣٧.
- ٢٨ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٤ ص١٣٣.
- ٢٩ ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي مُجَّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ج١ ص٥٢٧.
- ٣٠ الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ج٥ ص١٥٦.

المصادر والمراجع:

- الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، ط٤، ١٤٣٠هـ.
- الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، ت: مُجَّد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت.
- الألوسي، محمود شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م.
- البوشيخي، الشاهد، مفهوم الأمن في القرآن الكريم، مجلة حراء، ٢٠٠٨، ع١٣٤
- <https://al-maktaba.org/book/#١٤٣٣٤/٣١٨٧١p٢>
- أبو حيان الأندلسي، مُجَّد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ت: زهير جعيد، دار الفكر، بيروت، ١٤٣٢هـ.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، ت: محمود شاكر، مكتبة اليازجي، د.ط، القاهرة، ١٩٨٤م.
- الزمخشري، أبو القاسم مُجَّد بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- سيبويه، عمرو بن قمبر، الكتاب، ت: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.
- الشريف الجرجاني، علي بن مُجَّد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ.
- ابن عاشور، مُجَّد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ٢٠٠٨م.
- ابن عطية الأندلسي، أبو مُجَّد عبدالحق بن أبي بكر، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام

-
- عبد الشافي مُجَّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧م.
 - فضل، صلاح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م.
 - الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين الشيرازي، القاموس المحيط، ت: مُجَّد نعيم العرقسوس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.
 - ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: مُجَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.
 - اللوح، عبد السلام وعنبر، محمود، التربية الأمنية في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية، مجلة الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٦م.
 - الماوردي، أبو الحسن علي بن مُجَّد، النكت والعيون، ت: سيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.
 - ابن منظور، مُجَّد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.
 - ابن هشام الأنصاري، عبدالله بن جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ت: مازن المبارك وحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٤م.
 - الهويميل، إبراهيم، مقومات الأمن في القرآن الكريم، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٠م.

موقف الطبري من الدولة الزبيرية
الأستاذ المساعد الدكتور قيس كاظم الجنابي
الجامعة الإسلامية - النجف الأشرف

الملخص :

يتركز بحثنا (موقف الطبري من الدولة الزبيرية) حول طبيعة علاقة المؤرخ بالأحداث التي سبقته، وبالذات في عهد الدولة الأموية، وبيان كيفية تعامل المؤرخ العربي مع التطورات، ومدى الاستجابة المطلوبة لها، بعيداً عن المؤثرات الخارجية التي كانت تحكم علاقته بالدولة الزبيرية، التي أسسها عبدالله بن الزبير في مكة، لأنه كتب تاريخه تحت تأثير الدولة العباسية التي ترى بأن بني العباس هم ورثة العلويين في السلطة، وكانت الدولة الأموية تناصبهم العداء، كما يناصبونها، ويرون أن الدولة الأموية قامت على الغلبة والادعاء؛ وهذا ما انعكس على الدولة الزبيرية معها. الكلمات المفتاحية: الطبري، الدولة الزبيرية، الدولة الأموية، المؤرخ العربي، الدولة العباسية.

Abstract

If the Arab researchers who chronicled the Islamic state have stopped on a specific mechanism in arranging the political covenants, particularly the era of the Umayyad dynasty, in its Sufyani and Marwani eras, until its end in the year 132 AH / 749 CE, then they agreed that its beginning was in the year 40 AH / 660 CE. The Zubayrid Caliphate, from the death of Yazid bin Muawiyah around the year 64 AH / 683 AD, until the year 73 AH / 692 AD, after Abd al-Malik bin Marwan came to power. departure from a legitimate ruler; This is what is noted by great historians such as al-Baladhuri (d. 279 AH / 892 CE), al-Yaqoubi (d. 292 AH / 904 CE), and al-Tabari (310 AH / 923 CE); Which means that there is an implicitly agreed position that the Zubayrid Caliphate is not a state in the true sense; For this reason, the research will focus on the position of al-Tabari, who is the chief of Muslim historians.

Keywords: al-Tabari, Zubayrid Caliphate, Umayyad Caliphate, the Arab historian, Abbasid Caliphate .

المقدمة :

المؤرخ الطبري، هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، المحدث، والفقيه والمفسر، المولود سنة ١٢٤هـ/٧٤١م، أو في السنة التي بعدها، ومات سنة ٣١٠هـ/٩٢٣م، ودفن ليلاً لأنه اتهم بالتشيع، وكان أحد أئمة العلماء، له عدد من التصانيف في التاريخ والتفسير وكان عالماً بالفقه والحديث والتفاسير والنحو واللغة والعروض.^(١) وكتابه "تاريخ الرسل والملوك وأخبارهم ومن كان في زمن كل واحد منهم" من أهم كتب التاريخ الاسلامي. وكتابه "جامع

البيان في تفسير آي القرآن"، معروف في أهميته، وله كتاب آخر عنوانه " كتاب أدب النفوس الحيدة والأخلاق النفيسة".^(٢) استوطن بغداد وأقام بها الى حين وفاته، كان فصيح اللسان وكان السواد في شعر رأسه ولحيته كثيراً وجهه أسمر أقرب الى الأدمة.^(٣)

مشكلة البحث :

اذا كان الباحثون العرب الذين أرتخوا للدولة الإسلامية ، قد توقفوا على آلية معينة في ترتيب العهود السياسية ، وبالذات عهد الدولة الأموية، في عهدها السفياي والمرواني ، حتى نهايتها سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، فإنهم اتفقوا على أن بدايتها كانت في سنة ٤٠هـ/٦٦٠م، فإن ظهور الدولة الزبيرية، قبيل وفاة يزيد بن معاوية نحو سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، حتى عام ٧٣هـ/٦٩٢م، بعد تولي عبد الملك بن مروان السلطة، بيد أن أغلب المؤرخين لم يفرّدوا لها باباً، أو عهداً أو موقفاً يصفها بالدولة الزبيرية، وإنما اكتفوا بمتابعة أحداثها وكأنها خروج على حاكم شرعي؛ وهذا ما يلاحظ على المؤرخين الكبار من أمثال البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، واليعقوبي (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م)، والطبري (٣١٠هـ/٩٢٣م)؛ مما يعني وجود موقف متفق عليه ضمناً على أن الدولة الزبيرية ليست دولة بالمعنى الحقيقي؛ ولهذا ستركز البحث على موقف الطبري، وهو شيخ المؤرخين المسلمين.

نشأة الدولة الزبيرية :

في عام ٣٦هـ/ ٦٥٦م حصلت وقعة الجمل، بعد تولي الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمر المسلمين وفشل معارضيه في الاستحواذ عليها، فقد كانت موقعة الجمل قرب البصرة؛ مما شجع في انتقال مقر الخلافة من المدينة المنورة الى العراق، وبالذات الكوفة قريباً من أنصار الخليفة الجديد الذي تولى الخلافة بعد ثورة شعبية، واستعداداً لمرحلة جديدة من الصراع الكامن في النفوس، الذي مازال طي الكتمان، فلما انفرد معاوية في السلطة، أخذ يعد الأمر ، بعده الى ابنه يزيد، فحصل الانقسام والتذمر من هذا المنهج في إدارة الدولة، وتجاهل أبناء الصحابة الكبار والمؤثرين، وخصوصاً ما خلفته موقعة صفين من انشقاق الخوارج وتكفيرهم لمن خالفهم في موقفهم، بوصفهم حركة دينية غالبها من القراء.

ومن هنا ، كانت الدولة الأموية من أكثر مراحل تطور الدولة العربية الإسلامية جدلاً، لدى المؤرخين، لأنها تتعلق بتحول الخلافة من الانتخاب والبيعة الى التوريث؛ وهذا بحّد ذاته خرق لما اعتاد الناس عليه في المجتمعات القبلية التي كانت قبل الإسلام، تورث الزعامة كبراً عن كابر، وليس بتولي الابن لملك أبيه، كما قام نظام تولي الخلافة في العهد الراشدي، على نوع من الانتخاب المختلف تماماً عن الأسلوب الجاهلي، فكان المتولي للأمر يمتلك مواصفات خاصة منها القبول والاتفاق، بما يعزز مكانته داخل المجتمع الإسلامي، أما النظام الملكي في دولة المناذرة ، فله مواصفات خاصة، منها قدرة الشخصية على كسب رضا الساسانيين والقبائل العربية؛ من هذا المنطلق فان تولي يزيد بن معاوية للخلافة، كان هزة سياسية مع وجود كبار أبناء الصحابة، ومناخ صلح الحسن بن علي مع معاوية؛ مما يشير الى مواقف لها تداعيات مثيرة في المستقبل.

ولما كان الزبير بن العوام قد قتل في موقعة الجمل، فقد بقيت نفوس عشيرته وابنه عبدالله ملبدة بالهواجس والاطماع؛ فلما توفي معاوية وخلفه ابنه يزيد، الذي كان همه أخذ البيعة له من كبار أبناء الصحابة، وفي مقدمتهم الحسين بن علي وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير، فما كان من عبدالله بن الزبير الا أن انتقل الى مكة المكرمة، وبسط سلطانه عليها؛ فباعه عدد كبير من أهلها، ولكن دولته كانت قلقة متوجسة، بسبب الاضطرابات في العراق، وبقاء الأمويين في الشام محتفظين بعاصمة ملكهم دمشق؛ فضلاً عن باقي الأماكن الأخرى، فباع بنو أمية مروان بن الحكم، لتثبيت ملكهم وترتيب دولتهم.

ففي سنة ٤١هـ/٦٦١م بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية بن أبي سفيان في صلح سمي بعام الجماعة^(٤)، مضطراً لحفظ دماء المسلمين من الفرقة والتحارب، ولكن مبايعة معاوية لابنه سنة ٥٦هـ/٦٧٥م من بعده أحدث سابقة غير محسوبة العواقب^(٥)، ثم توفي معاوية سنة ٦٠هـ/٦٧٩م؛ فطلب يزيد من واليه على المدينة، أن يأخذ له البيعة من الحسين بن علي عليه السلام وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير، عن طريق واليه عليها الوليد بن عتبة برسالة جاء فيها: "أما بعد، فخذ حسيناً وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا؛ والسلام".^(٦) فلما دعي ابن الزبير الى البيعة طلب المهلة؛ فخرج قبل الحسين من المدينة وبقي الحسين يتحين الفرص، حتى سار ابن الزبير الى مكة، وجعلها مقراً له، ينتظر ما تقول اليه الأمور. وكان عبدالله بن الزبير بن العوام، وامه أسماء بنت أبي بكر قد تغلب على مكة وتسمى بأمر المؤمنين ومال اليه أكثر النواحي، وكان ابتداء امره في أيام يزيد بن معاوية، فلما توفي يزيد مال الناس من البلدان جميعاً الى ابن الزبير.^(٧)

ومن هنا تبدو شخصية ابن الزبير، غير واضحة تماماً، من حيث رغبتها في طلب السلطة، فقد وردت غالب الروايات عنها بأنها تتصف بالزهد، وهذا بحد ذاته كان سبباً في تراجعها أمام قوة سلطان الأمويين وكسبهم المؤيدين، حتى وصفت هذه الشخصية بالضعف بالقياس مع شخصية مصعب بن الزبير، التي تتصف بالشجاعة والكرم والاعتداد بالنفس، ولهذا استطاع القضاء على حركة التوابين وقتل قائدهم المختار الثقفي.

فلما توفي يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ/٦٨٢م، كان جيشه يحاصر المدينة، ويقا تل أهلها؛ فحج بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير، وكان يسمى يومئذ العائد، لأنه عاذ بالبيت الحرام، ويرون في الأمر شوري. ثم دخلت سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، ولم يُشر الطبري الى تولي عبدالله بن الزبير للأمر، ولكنه أشار الى مسير أهل الشام الى مكة لحرب ابن الزبير، ومن كان معه على رأيه في الامتناع عن بيعة يزيد.^(٨)

العهد الزبيري :

ولد عبدالله بن الزبير سنة ٢هـ/٦٢٣م ونشأ في المدينة بعد الهجرة، في كنف أبيه، وبويع بالخلافة سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، فحكم الحجاز واليمن ومصر والعراق وخراسان وأكثر بلاد الشام، ولكن ضعف أمره بعد مقتل أخيه مصعب بن الزبير والاستحواذ على العراق حيث المال والرجال، ومحاصرة الحجاج بن يوسف له فخذله أصحابه فقتل وصلب منكساً.^(٩)

لقد أحدث تولي يزيد بن معاوية ردّاً فعل عنيف لم يكن يتوقعه أحد أن يحدث، وذلك لوجود صراعات داخلية مضمرة، ولكنها متففة ضمناً على رفض توليه، في وقت كانت معركة الحرّة.^(١٠) قائمة ، ثم تجرّأ على مكة المكرمة وحرّقها بذريعة عصيان ابن الزبير فيها، ورفضه البيعة ليزيد، ثم جاء موت يزيد وتولي ابنه معاوية الثاني وتنازله عن الأمر، وكان يزيد قد كتب الى عبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ/٦٩٢م) يدعو لبيعتته ، فكتب اليه ابن الزبير كتاباً يدعو الى الشورى.^(١١) مما يؤشّر بداية مرحلة متوترة من الصراع، تمتد بين المطالبة بالحكم الوراثي ، والدعوة من آل سفيان الى حسن السياسة وقوة التمسك بالحكم.^(١٢)

وكالعادة يذكر الطبري ولاية مروان بن الحكم، ولا يذكر ولاية عبد الله بن الزبير؛ مما يشير الى موقف مضمّر ضد تولي ابن الزبير ، فهو لا يذكر من أخباره الا النزح اليسير ، ولا يولي بعض الأحداث التي تمسه ذلك الاهتمام، لأنه يعدها جزءاً من مرحلة مروان بن الحكم وابنه عبد الملك بن مروان، لهذا يشير الى ذلك بالقول: لما بويع عبد الله بن الزبير ولى المدينة عبّيدة بن الزبير ،وعبد الرحمن بن جحّدم الفهري مصرّ، وأخرج بني أمية ومروان بن الحكم الى الشام - وعبد الملك يومئذ ابن ثمانٍ وعشرين - فلما قدم حصين بن نمير ومن معه الى الشام أخبروه بما خلّف عليه ابن الزبير ،وانه دعاه الى البيعة، فأبى فقال له ولبي أمية: نراكم في اختلاط شديد فأقيموا أمركم قبل أن يدخل عليكم شأمكم، فتكون فتنة عمياء صماء، فكان من رأي مروان أن يرّحل فينطلق الى ابن الزبير فيبايعه. لكن الأمر تطور بعد وصول مروان الى الشام ، فاجتمعت بنو أمية على بيعته، ثم حصلت المعركة مع القبائل القيسية الموالية لابن الزبير.^(١٣)

فلما اجتمع بنو أمية واتفقوا على مبايعة مروان بن الحكم، بقي الأمر مرتبكاً، في الشام، فكان الفصل في معركة مرج راهط التي وقعت سنة ٦٥هـ/٦٨٤م، بين أنصار الأمويين وأنصار ابن الزبير؛ انقسمت القبائل العربية الى قسمين: القيسية مع ابن الزبير واليمانية مع بني أمية، فكانت قيس زبيرية وكلب مروانية.^(١٤)

وإذا كان الطبري يذكر خلافة مروان بن الحكم ،ولا يذكر ولاية عبد الله بن الزبير، مما يؤشّر لوجود موقف مضمّر منها، والأمر بالنسبة له طالما بقي نفوذ للدولة الأموية فهي باقية، فهو لا يذكر عن الدولة الزبيرية الا النزح القصير ،ولا يولي الكثير من الأحداث المتعلقة بما اهتماماً ويجعلها تابعة لمدار الأمويين في دولته وسياستهم، مع أن الدولة الأموية سقطت والتحققت حمص بابن الزبير حتى أن ابن الزبير بويع بالخلافة وولى الولاة على المدينة ومصر وأخرج بني أمية الى الشام. التحوّل والصعود:

كانت معركة مرج راهط^(١٥) في بلاد الشام بين بقايا الدولة الأموية بدمشق وأنصار الدولة الزبيرية ، بعد الاتفاق على انتخاب مروان بن الحكم خليفة للأمويين، في سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، وكان انتخاب مروان ضرورة لترتيب البيت الأموي من الداخل والحفاظ على السلطة في وقت عصيب جداً في مكان يقال له (الجابية)؛ وهي موضع يجي منه الماء للابل من أعمال دمشق.^(١٦) لهذا قال أنصاره: " وأما مروان بن الحكم، فو الله ما كان في الإسلام صدعٌ قطُّ الا كان مروان ممّن يشعب ذلك الصدع، وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار، والذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل".^(١٧)

لقد صار التاريخ حكماً، في ترجيح موقف الأمويين، ضد الزبيريين، ومن هنا يبدو الطبري ميلاً، على قدر ما يستطيع، لتجاوز أمر ابن الزبير ومن معه، ولهذا لم يستطع انصار ابن الزبير الصمود في بلاد الشام معقل بني أمية؛ في وقت كانت الشيعة تتحرك من خلال حركة التوابين، في خمسة نفر اجتمعوا في بيت سليمان بن صُرد، وكانوا خيار أصحاب علي بن أبي طالب، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجههم؛ فاشتد التنافس على تقاسم انقاض الدولة الأموية، في ظروف كانت تشير الى نوع من التفاهم المضمّر بين اتباع ابن الزبير والخوارج، لوقت قصير، ثم انفض هذا التقارب، وكان الطبري يتجاوز الكثير من الأحداث لكي يملأ الفراغ بأخبار الجهات الأخرى، غير المتعلقة بالزبيريين. وكان على الجانب الآخر تحرك للتوابين الذي تخاذلوا عن نصره الحسين بن علي بقيادة سليمان بن صُرد، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجههم؛ فاشتد التنافس بينهم وبين الزبيريين للانقضاض على بقايا الدولة الأموية التي انهارت بسرعة فائقة، ولكن الأسرة الأموية تجنبت الخلافات الداخلية وحزمت أمرها حين اتفقت على شخص مروان بن الحكم لاعتبارات عديدة، منها قرابته ومصاهرته للخليفة عثمان بن عفان على ابنته، في نوع من الإيجاء بأن الأمر هو شورى ووراثة في آن واحد؛ وكان ثمة ما يوحي بنوع من التفاهم غير الواضح بين عبد الله بن الزبير والخوارج، على الأقل في هذه الظروف الغامضة، لأن انحسار النفوذ الأموي بسرعة، دفع الخوارج الى فراقهم لابن الزبير، فصاروا الى البصرة، ثم افتقرت كلمتهم فصاروا أحزاباً وجماعات.

وكان الطبري يتجاوز الكثير من الأحداث ليملأ الفراغ بأخبار الجهات الأخرى غير المتعلقة بالزبيريين، ولكنه يذكر أن ابن الزبير قد لجأ الى مكة والبيت الحرام، وقال: "إنما أنا عائد برب هذه البنية"^(١٨). كما يشير الى هدمه للكعبة بعد حرقها في عهد يزيد بن معاوية، وقيامه بتوسعتها لحج الناس إليها، ثم يذكر ولادته، ولكنه لا يعتبر دولته جزءاً مستقلاً لوحده؛ وإنما يُعدها جزءاً من مرحلة مضطربة عانت منها الدولة الأموية. حيث تمرد فيها الترك والأرمن والخوارج.

وبعد وفاة مروان بن الحكم تولى ابنه عبد الملك، فبقي يتربص ويتربص للانقضاض على أقوى خصم له، ألا وهو عبد الله بن الزبير، بعد أن أصبحت بلاد الشام ومصر في حوزته، فاذا استحوذ على العراق صار باب الحجاز مفتوحاً أمامه، حيث المال والرجال والبيت الحرام والمدينة؛ وكان الزمان يعيد انتاج الأحداث من جديد بصراعاتها.

وكان الطبري ينسج حكاياته الخبرية على وفق سيرورة التاريخ الحولي، فيضعنا أمام علاقة السند بالمتن التاريخي المدروس، لكن الطبري يذكر في المقدمة أن ليس له من فضيلة الا الجمع، فما بين أيدينا أخبار منقولة عن مخبرين.^(١٩) وقد نتساءل:

لماذا فعل الطبري ذلك.. ولم يخصص فصلاً لأخبار الدولة الزبيرية؟

لعل واحدة من الأسباب هي المدة القصيرة نسبياً، وقلق قوتها وعدم تلاشي الدولة الأموية نهائياً، والاضطرابات التي صاحبت ذلك، وأسباب أخرى تتعلق بموقف الطبري من عبد الله بن الزبير.

الترقب والثوب :

كان عبد الملك بن مروان يتربص الأحداث ويأمل أن ينقض على خصمه الأقوى ابن الزبير، ويمنحه الفرصة لتصفية التوابين أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي والخوارج معه، وكانت الحجاز تحت سلطة ابن الزبير، والشام ومصر تحت

سلطة الأمويين، وثمة أكثر من نفوذ يتداخل في هذه الدولة ويعكر صفوها، ويدعو المؤرخ للبحث عن موقف ما لبيان قدرتها على الاستمرار، وكان الصراع القديم يعاد انتاجه بين ابن الزبير والشيعية العلويين، في البصرة.

بعد تولي عبد الملك بن مروان يجعل الطبري أخبار ابن الزبير ضمن نفوذ الدولة الأموية وأخبارها، وطبيعة ولاية ابن الزبير الذين أرسلهم للأمصار، وبالذات البصرة والكوفة، لأن المدينتين متنافستان ومختلفتان في آن واحد، لكي يكشف عن الخلاف بين مناصري عثمان ومناصري بني أمية، وكأن الطبري يرى بأن السياق التاريخي لم يتوقف بظهور الدولة الزبيرية، وإنما هو جزء من السياق التاريخي للأمويين؛ لهذا كان يشتم أخبار الدولة الزبيرية، فلا يسمح لها أن تكون واضحة ومؤثرة، ولا يسمح لها أن تكون سرداً متواصلاً يبرز توجهاتها ونسق تناميها وتطورها، وهو مع ذلك يميل الى سدّ الفراغ بأخبار الصراعات الأخرى البعيدة عن الزبيريين، مثل أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي وأصحابه التوابين؛ بينما كان ابن الزبير يرسل الولاة الى الأمصار ويدفع بأنصاره الى الاستحواذ على المشهد السياسي، فأصحاب المختار يعملون من خلف الستار ويمثلون التصور الشعبي للحركة، في حين يمثل ابن الزبير الجانب الرسمي للدولة. في وقت انكفأت الدولة الأموية في بلاد الشام، ثم مصر وتوابعها؛ والمعروف أن تولي الأمور في مكة والمدينة له رمزية خاصة في السيادة على الدولة العربية الإسلامية، في جانبها العقائدي، وهذا ما يطمح اليه ابن الزبير ويتجاهله الطبري.

ومن هنا اضطر الطبري الى القول: قال أبو جعفر: وحج بالناس في هذه السنة (سنة ٦٦هـ/٦٨٥م) عبدالله بن الزبير، وكان على المدينة مصعب بن الزبير من قبل أخيه.^(٢٠) ثم يتجاهل الإشارة الى أخبار ابن الزبير، وينشغل بالأحداث التي تسود في الدولة جميعها.

فالطبري يرى بأن السياق التاريخي للدولة الأموية لم يتوقف بعد ظهور الدولة الزبيرية، وإنما هو جزء من مسيرة الدولة الأموية، حاله حال ظهور المختار الثقفي وعبيد الله بن الحر الجعفي، الذي سيطر على السواد وجباه لحسابه، لأن الطبري استخدم الأسلوب الحولي في كتابة تاريخه؛ فكان يشتم أخبار الدولة الزبيرية، فلا يدع لها هوية ولا سرداً متصلاً، وخلال ذلك يملأ الثغرات الحاصلة في السرد التاريخي بأخبار المختار وأصحابه التوابين؛ بينما كان ابن الزبير يرسل عماله الى الأمصار ويثبت أركان دولته الدينية، بعيداً عن الأمويين، فيصنفهم بالمغتصبين للخلافة، كما كان يُضيق على مُجّد بن الحنفية ليحجّم دوره لقربه منه في الحجاز، ولكن تفشي الاضطرابات كان كبيراً، فقد انتفضت تميم في خراسان، متمردة على والي ابن الزبير.

وكانت سياسة عبد الملك تتخلص بالانتظار حين التخلص من الصراعات الماثلة في الدولة حين بقاء عدو واحد فقط يمكن دحره بالخدعة والمكر ومراسلة قادته واستخدام أسلوب الترغيب والترهيب، وشق صفوف ابن الزبير، بالمال والوعود، في الوقت الذي كان فيه ابن الزبير شحيحاً في صرف الأموال ومنح العطايات؛ كان عبد الملك يرسل رسله لصرف قادة ابن الزبير عن القتال الى جانبه.

الانحدار :

وتستمر هيمنة الأحداث السياسية ، لدى الطبري، من خلال كثاره من رواية الأحداث الخاصة بالدولة الأموية والتي ستؤدي الى مقتل مصعب بن الزبير ، ومسير عبد الملك الى أخيه عبد الله بن الزبير في مكة المكرمة، حيث تبدأ أخبار الدولة الزبيرية بالانحسار بالتدرج، ثم الانحدار الى النهاية المحتومة لها، بشكل مقصود أو غير مقصود، حيث تدين جميع الأمصار الى مبدأ القوة التي فرضها جند الشام، بعد أن ملّ الناس كثرة الأحزاب والصراعات، فأثروا الهدوء والسكينة، لتصبح أخبار الدولة الزبيرية هامشية، وجعل تناول الأحداث التي سبقت الطبري ورغبته في التوثيق ، من قبل الرواة، ذريعة لتجاهله هذه الدولة، فلما أقل نجم الزبيريين صار الاهتمام شبه معدوم.

كانت سياسة عبد الملك بن مروان بعد قتله لمصعب بن الزبير هي تأمين العراق وما يتبعه لتثبيت أركان الدولة الأموية، وتعزيز أوضاعها الداخلية اقتصادياً وسياسياً، وارجاء أمر عبدالله بن الزبير الى وقت آخر، لأنه أمّن جناحيه في العراق في مصرية (الكوفة والبصرة)، وما يتبعهما من الأمصار، لهذا لم يتوجه الى حرب ابن الزبير الا في سنة ٧٢هـ/٦٩١م، بعد أن ضعفت حركات الخوارج، لهذا اختار الحجاج بن يوسف الثقفي لقتال ابن الزبير بمكة، مستفيداً من حرمة البيت الحرام، وكان في نيته من اختيار الحجاج، هو استخدام القسوة والقاء اللوم على طبيعة شخصية الحجاج لهذا أوصاه الهيثم بن الأسود النخعي، فقال له : يا أمير المؤمنين أوص هذا الغلام الثقفي بالكعبة ومثله ان لا يُنقَر أطيارها ولا يهتك أستارها ولا يرمي أحجارها وان يأخذ على ابن الزبير بشعابها وفجاجها وأفارقها حتى تموت فيها جوعاً او يخرج عنها مخلوعاً. فقال عبد الملك للحجاج افعل ذلك واجتنب الحرم وانزل الطائف. ،ولكن هذا الأمر لم يمنع الحجاج من اقتحامه وقتله سنة ٧٣هـ/٦٩٢م، حتى حج الناس وابن الزبير محاصر بمكة منذ سنة ٧٢هـ/٦٩١م، ويتجاهل الطبري الصراع الدائر وحصار ابن الزبير فلا يشير اليه الا حين مهاجمته وقتله، بعد حصار دام ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة.^(٢١)

مناقشة :

تبدو طبيعة الأحداث المتداخلة التي دونها المؤرخ الطبري ، حين قيامه بتصنيف كتابه "تاريخ الرسل والملوك" متعلقة بعصره وزمنه أكثر من تعلقها بالعهد الزبيري الوجيز؛ فقد كتب هذا التاريخ في العصر العباسي، وكانت الدولة العباسية ترى نفسها وريثة الحق العلوي في الحكم الإسلامي، مع اختلاف المعايير والأسس بين الدولتين؛ فهو مؤرخ حولي يحاول قدر الإمكان توثيق الأحداث الهامة لكل حول أو سنة، فيقطعها ثم يعود اليها انسجاماً مع المنهج الذي اتبعه ، مما يوفر له فرصة لالتقاط الأنفاس والعودة الى الموضوع الرئيس، ولكنه وبعد زوال الدولة الزبيرية، وعدم قدرتها على الصمود أمام الأحداث، يراه بأنه انتفاضة عابرة ضد الأمويين سرعان ما تلاشت وعاد الأمر الى سابق عهده، والطبري بطبعه يروي ما سمعه ويبحث عنه، وبالتالي هو مجرد مدون حسب لما يسمعه وينقله ، وان كان منهجه وموقفه يبدو واضحاً في رسم وتصوير طبيعة الكتابة التاريخية.

اذا ما قارنا طبيعة التدوين التاريخي لدى الطبري مع بعض أقرانه من المؤرخين الذين وثقوا الأحداث التاريخية نجد الطبري ينظر اليها نظرة شمولية عامة، وخارجية يهيمن عليها القوي أو الأكثر قدرة على الاستمرار؛ ولهذا جاءت أخباره عن

الزبيريين منقطعاً، كجزء من سياسة البقاء للأقوى والبقاء للأصلح، كما هو الحال مع سيرورة الطبيعة في بقاء الموجودات من النباتات والحيوانات، على وفق المؤثرات المناخية والطبيعية المحيطة به، وكأنه يوحى للقارئ، بأن التاريخ هو مناخ طبيعي يخضع لشدة الحر والبرد وكثافة الأمطار أو شحتها، فينصاع للأحداث الكبرى ويهمل الأحداث الطارئة والقصيرة. لا يمكن أن يبقى المنهج التاريخي منعزلاً عن طبيعة الأحداث وكيفية روايتها، ولهذا فإن المؤرخ الذي يطمح أن يكون موضوعياً، في تاريخ شائك وملتبس كالتاريخ الإسلامي، فكان عليه أن يجد للسرد التاريخي مبرراته الموضوعية، مهما كان الأمر صعباً، وحياة الطبري تكشف عن نوع من التفرد والاستقلالية في معالجة الأحداث وترجمة الأعلام، وإيلاء الشخصيات المهمة والفاعلة دوراً بارزاً من حيث مقارنة الروايات واعتماد منهج التاريخ الحولي والمؤثرات النفسية التي تحيط به.

ما تزال التساؤلات المطروحة حول الدولة الزبيرية وشرعيتها وقدرتها على الاستمرار، في حاجة إلى بحث جدي وعميق للكشف عن الملابسات المحيطة بالموضوع. بالمقارنة مع عدد من المؤرخين المهمين كالبلاذري واليعقوبي والمسعودي .. وغيرهم. لهذا يبقى الجانب الآخر وهو الجانب الإنساني الذي يتعلق بحياة المؤرخ والنزعات الذاتية في الكتابة التاريخية التي تحاول أن تنهض عند مناقشة الموضوع، ولعل الجانب الذاتي كان الأهم فيه، لأن كسر حدة التسلسل التاريخي والحديث عن دولة لم تستطع البقاء والمحافظة على نفسها أمام التحديات يمنح المؤرخ مشروعية خاصة في إهمال توثيق أحداثها بالشكل المطلوب، من حيث توثيق الأحداث الكبرى والاكتماء بأحداث أخرى موازية لها، بعد ظهور منافس شديد لها، وهو عبد الملك بن مروان، وبخاصة بعد استعادة الدولة الأموية لمصر حيث المال والرجال والموقع الجغرافي، والظهير الأفريقي الذي يواجه أوربا وجهاً لوجه.

ومن الطبيعي أن تبرز النزعة الذاتية للطبري في تدوين الأحداث وترتيبها والتغاضي عن الدور الزبيري في الصراعات الدائرة، بعد تدهور الدولة الأموية واحتمال سقوطها، لولا ظهور عبد الملك بن مروان على الساحة واصراره على إزالة ابن الزبير، وكأنه يوحى للقارئ بأن الدولة العباسية لديها قدراتها في التأثير غير المباشر في كتابة مسارات الأحداث وتدوينها.

الخاتمة :

المقصود بموقف الطبري من الدولة الزبيرية، لا نعي به انحياز المؤرخ الطبري إلى جهة ما دون أخرى؛ ولكنه يعني فيما يعنيه أن فاعلية تلك الجهة لم تكن بالشكل المطلوب الذي يستجيب له المؤرخ، ومن يقرأ كتاب "تاريخ الطبري" ويرى بأنه ميال إلى تدوين الأحداث والصراعات المتصاعدة دائماً، ولا يميل إلى الأحداث التي تنضج على نار هادئة. ومهما يكن من رأي فان الطبري يبقى مؤرخاً موضوعياً، على وفق تلك المقاييس؛ وذلك لأسباب عديدة، منها انه يروي الحادثة عن أكثر من طريقٍ أو راوٍ على وفق منهجه المعروف، أو حسب ما سمعها من طرق شتى، وقد لجأ إلى عدة وسائل لتوثيق واضعاف أخبار الدولة الزبيرية منها:

١. ربط سياق الأحداث بالدولة الأموية، بوصفه السياق الرئيسي فيها، ثم ربط الأحداث الأخرى بما في خط ثانوي آخر، لأنها استطاعت تثبيت وجودها عبر الأسرتين السفينانية والمروانية، وخصوصاً بعد ظهور شخصية عبد الملك القوية والمؤثرة، ثم التعويل على هيمنة الفرد الواحد وقوة تأثيره.
٢. تفتت أخبار الدولة الزبيرية الى حُزم متناثرة، والتقليل من كنفاتها، وعدم الإشارة إليها والى انتصاراتها المهمة، أو الاهتمام بأخبار قادتها، كما فعل مع الدولة الأموية في شخصيتي عبد الملك والحجاج.
٣. أسبغ نوعاً من الشرعية المضمرة على حركة الصراعات الخاصة بالدولة الأموية، ولا يمنح مثل هذه الشرعية للقوى الأخرى، وخصوصاً الدولة الزبيرية.
٤. تجاهل الصورة الإسلامية المحملة بقدسية الماضي، وخصوصاً أبناء الخلفاء أو أبناء الصحابة، وأحياناً حتى بعض الصحابة، كما فعل مع عبد الله بن الزبير ومُجد بن الحنفية؛ ولهذا يورد رسالة الأخير الى المختار بن أبي عبيد الثقفي وكأنه غير راضٍ عمّا يحصل؛ في حين يتابع الحجاج وحصاره لمكة وقضائه على ابن الزبير.
٥. يعمل قدر الإمكان على رواية الأخبار التي يضطر الى ذكرها فيرويهها بصورة مقتضبة، ويحاول أن ينتزع منها ما يثير القارئ، وكأنه يعلم مدى تأثيرها المستقبلي على الأحداث اللاحقة فيما بعد، ولعله فعل ذلك بتأثير موقفه من الدولة العباسية وسياستها تجاهه.
٦. يشكل حجم الكتاب "تاريخ الطبري" عائقاً واضحاً في الاهتمام بالأخبار القصيرة والطارئة، لأنه يعمل على وفق منهجية خاصة هي التاريخ الحولي، ويراد أهم الأحداث كل عام، ثم سرد بعض الوفيات التي حصلت في ذلك العام.

الهوامش

١. الحموي: معجم الأدباء، ٥/ ٢٤٤١ - ٢٤٦٦.
٢. ينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٢/ ١٦٢-١٦٩؛ الحموي: معجم الأدباء، ٥/ ٢٤٦٠؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣/ ٣٣٢.
٣. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٢/ ١٦٢-١٦٦.
٤. الطبري: تاريخ الرسل، ٥/ ١٦٢.
٥. الطبري: تاريخ الرسل، ٥/ ٣٠١.
٦. الطبري: تاريخ الرسل، ٥/ ٣٣٨.
٧. اليعقوبي: التاريخ، ٢/ ٢٥٥.
٨. الطبري: تاريخ الرسل، ٥/ ٤٩٤-٤٩٥.
٩. الصفدي: الوافي، ١٢/ ٨٦.
١٠. حرة واقم أحد حربي المدينة. الحموي: معجم البلدان، ٢/ ٢٤٩.

١١. البلاذري: أنساب الأشراف، ٢-٤/١٦.
١٢. الجنابي: أثر الشعر، ١١٠.
١٣. الطبري: تاريخ الرسل، ٣٠/٥-٣٤.
١٤. البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٠٨/٥.
١٥. الحموي: معجم البلدان، ٩١/٢-٩٢.
١٦. الطبري: تاريخ الرسل، ٥٣٦/٥. والجافية: موضع بالغوطة من دمشق. ينظر: الحموي: معجم البلدان، ١٢١/٣.
١٧. الطبري: تاريخ، ٥٧٢/٥.
١٨. المرهج: بنية العقل التاريخي، ١٧٠.
١٩. الطبري: تاريخ الرسل، ٨١/٦.
٢٠. البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٥٨/٥-٣٥٧.
٢١. الطبري: تاريخ الرسل، ١٨٧/٦.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - المصادر :

- * البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م):
- أنساب الأشراف ح ٢-٤ تح محمد باقر المحمودي (مؤسسة الأعلمي ، بيروت، ط ١، بيروت ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، وج ٥ (مكتبة المثني، بغداد، د.ت)
* الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):
- إرشاد الأريب، المعروف بمعجم الأدباء، تح احسان عباس (دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٣م).
- معجم البلدان (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت).
* الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/ ١٥٧٠م):
- تاريخ بغداد، تح مصطفى عبدالقادر عطا (دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت د.ت).
* ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):
- وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تح حسان عباس (دار صادر، بيروت، ١٣٦٧هـ/ ١٩٧٧م).
* الصفدي، صلاح الدين بن أيوب (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م):
- الوافي بالوفيات (دار الفكر، بيروت، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).
* الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ/ ٩٢٣م):
- تاريخ الرسل والملوك، تح محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعارف بمصر، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٨م).

* اليعقوبي، أحمد بن اسحاق بن واضح (ت ٢٨٤هـ / ٨٥٩م):

- التاريخ، المعروف بتاريخ اليعقوبي (دار صادر، بيروت، د.ت).

ثانياً - المراجع :

* الجنابي: د. قيس كاظم:

- أثر الشعر في تدوين الأحداث التاريخية في العصر الأموي (مكتبة الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٧م).

* المرهج، د. سعيد عبد الهادي:

- بنية العقل التاريخي العربي، قراءة سيميائية في مدونة الطبري التاريخية (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٥م).

دور النباتات العطرية والدوائية في المناسبات والاعبياد في الأندلس

الباحثة: انتصار طاهر خزعل

ا.د. عصام كاطع داود

كلية التربية للبنات / جامعة البصرة

الملخص

تعد النباتات الجوهر الاساسي لحياة الإنسان والحيوان على سطح الارض فهي مصدراً مهماً وأساسياً للغذاء بالإضافة الى أهميتها في المداواة لعلاج الامراض.

فعرفت بلاد الأندلس بمناخها الجيد وتوفر العوامل الطبيعية من مياه امطار وأنهار وترته ، والتي ساعدت على نمو النباتات والاعشاب والاشجار المتنوعة الثمار والتي انتشرت على نطاق واسع في انحاء المدن والاقاليم والجبال والوديه في الأندلس فقد وصف الوزير الاديب الغرناطي ابن الخطيب ارض الأندلس بمقولة " خص الله تعالى بلاد الأندلس من الربيع وغدق السقيا ولذاذة الاقوات وفراهة الحيوان ودور الفواكه وكثرة المياه..." ، ادى ذلك الى تنوع المحاصيل الزراعيه ومن بينهما النباتات العطرية والدوائية التي استخدمها الاطباء والعشابين والصيدالة في تركيب الادويه والعقاقير لعلاج الامراض السائدة في المجتمع الأندلسي .

Abstract

Plants are the basic essence of human and animal life on the earth, as they are an important and basic source of food, in addition to their importance in the treatment of diseases.

Good climate and availability of natural factors such as rain water, rivers and soil in Andalusia, these things helped the growth of plants, herbs and trees of various fruits, which spread widely throughout the cities, provinces, mountains and valleys in Andalusia. Rain and watering...

The minister and writer Al-Gharnati Ibn Al-Khatib described the land of Andalusia with the saying, "God gave the land of Andalusia for the sources of income , abundant watering, the deliciousness of the food, the Welfare of animals, the Fruit ripening and the abundance of water..." This led to the diversity of agricultural crops, including aromatic and medicinal plants used by doctors, herbalists and pharmacists In the formulation of medicines and drugs to treat diseases prevalent in Andalusian society

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين. تعد النباتات الجوهر الاساسي لحياة الإنسان والحيوان على سطح الارض فهي مصدراً مهماً وأساسياً للغذاء بالإضافة الى أهميتها في مداواة لعلاج الامراض.

عرفت بلاد الأندلس بمناخها الجيد وتوفر العوامل الطبيعية من مياه امطار وأثمار وترته ، والتي ساعدت على نمو النباتات والاعشاب والاشجار المتنوعة الثمار والتي انتشرت على نطاق واسع في أنحاء المدن والاقاليم والجبال والادويه في الأندلس فقد وصف الوزير الاديب الغرناطي ابن الخطيب ارض الأندلس بمقولة " خص الله تعالى بلاد الأندلس من الربيع وغدق السقيا ولذاذة الاقوات وفراهة الحيوان ودرور الفواكه وكثرة المياه..." ، ادى ذلك الى تنوع المحاصيل الزراعيه ومن بينهما النباتات العطريه والدوائيه التي استخدمها الاطباء والعشابين والصيدالة في تركيب الادويه والعقاقير لعلاج الامراض السائدة في المجتمع الأندلسي .

وقد بلغ اوج استخدامهما في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وخاصة في عهد الخليفة الاموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) بسبب تشجيع الخليفة على الزراعة بالإضافة الى انتشار حركة الترجمة الى اللغة العربية فترجمت المئات من الكتب اليونانية النباتية الى اللغة العربية التي صنفت المئات من انواع النباتات التي كانت مجهولة ومن اهم هذه الكتب كتاب ديسقوريدس المسمى بكتاب الحشائش والذي يحتوي على وصف ستمائة نبات دوائي كان مجهول مع ذكر أهمية هذه النبات وكيفية تأثيرها على الجسم والكمية المطلوبة لوضع هذا النبات في الوصفات العلاجية.

وفيما يلي نتناول اهم الصناعات النباتية والمناسبات والاعباد في الاندلس

اولاً :- اسهام النباتات بالصناعات الدوائية :

يعرف التداوي " هو تعاطي الدواء بقصد معالجة مرض او الوقايه منه وقد اصبح للتداوي اشكال ووسائل عديدة منها علاج بالأدوية او علاج جراحي او نفسي وغيرها من الوسائل لعلاجه والتي اشار لها الرازي " داواه عاجله ، يقال فلان يدوي ويداوي وتداوي بالشيء تعالج به".

ويستعمل الطبيب الأدوية في العلاج لتخفيف عرض او مداواة مرض وقد تكون الادويه من أصل نباتي او حيواني^(١) ، استغل الأندلسيون وفرة الثروة النباتية وتنوع المحاصيل الزراعية وادخلوا قسماً كبيراً من هذه المحاصيل في الكثير من الصناعات ومنها الصناعات الدوائية ، حيث برع أطباء الأندلس في صناعة الكثير من التراكيب الدوائية المستخلصة من النباتات لعلاج مرضاهم ومن أشهرها :-

الادهان :-

وتستخرج الادهان من بذور النباتات التي تحتوي على ادهان ومن أهم هذه الادهان دهن الخردل^(٢) ، ويستخدم لعلاج من تعرض للسعة العقرب حيث يدهن به الموضع المصاب فيسكن وجعه بالإضافة الى استخدامه في علاج من يعاني من العلل الباردة وخاصة الشيوخ والمصابين بمرض الفالج في فصل الشتاء^(٣).

ودهن الياسمين الذي يستخدم لعلاج الاورام وخاصةً اورام الاعضاء العصبية فهو ينفعها ويلطفها وهو من الطيوب المستخدمة في الشتاء للأسترخاء وعلاج الفالج^(٤).

- الاشرية :-

هي مواد علاجية يضاف اليها سوائل مثل السكر والماء ثم تطبخ وتنضج بعد ذلك تصفى وتقدم لعلاج المريض^(٥) ، ومن هذه الأشرية شراب النعناع الذي يعالج السعال الرطب ويحل البلغم ويلين البطن ويقطع القيء ويقوي الكبد^(٦).

- اللعوقات :-

وهي خليط متكون من تراكيب دوائيه ويضاف اليها السكر و العسل لتحبس فترة في الفم لتندفع الى الرئة شيئاً بعد شيء ولا يجوز دفعها مرة واحدة الى المعدة^(٧) ، مثل لعوق الرمان ولعوق آخر نسب الى الطبيب جواد النصراني^(٨) ، وكان أكثر استخداماً عند الأطباء الأندلسيون اللعوق المستخدم لعلاج الحلق وحرقة البول المسمى بلعوق الكثيراء^(٩).

- الشيفات :-

تتألف من ادويه مركبه فتتصف بأنها الطف من الاكحال لذلك كانت تستخدم لعلاج العين^(١٠) ، وقد وضع الطبيب الأندلسي ابو بكر سليمان بن باج للخليفة الناصر أشياًفاً عالج بها الرمد الذي كان يصيب عينه^(١١).

- المعاجين :-

وتصنع على شكل كتل دوائيه وتتكون من مواد دوائيه يضاف الى هذه المواد مواد منكهة لتصبح مستساغة الطعم مثل العسل او عصير الفواكة ثم يتناوله المريض او يذاب في الفم^(١٢) ، ومن المعاجين المشهورة في الأندلس معجون الانيسون " يعالج المعدة ويدر البول والعرق وينفع في استرخاء العصب اذا خلط بمثل ثلثه مع لعوق الكثيراء كان دواء عجبياً لمن يشكو الحصى"^(١٣).

وكذلك معجون العود الهندي والذي ايضاً يقوي المعدة ويشدها ويعالج امراض الكبد ويدر البول ويتميز هذا المعجون بحسن نكهته^(١٤).

- الترياقات (مضاد السموم) :-

" بكسر التاء ، وهو دواء السموم فارسي معرب والعرب تسمي الخمر ترياقاً وترياقاً لأنها تذهب بالهم" كذلك الترياق يعالج الامراض السمية^(١٥).

وقد صنع الطبيب الصيدلاني حسداي ابن شبروط ترياق بالأندلس وأطلق عليه اسم الفاروق وقام بتصحيح الشجاريه التي فيه^(١٦).

- الجوارشانات :-

لفظ فارسي معناه الهاظم وهي ادويه التي لم تسحق بشكل جيداً ولم تطرح على النار ويجب ان تقطع رقاقاً واغلب مكوناتها من البهارات العطرية ، ويضاف عليها العسل ثم تعجن كل تلك المكونات وهي تستعمل غالباً لعلاج المعدة وتحليل الرياح^(١٧).

وقد صنع أطباء الأندلس من هذه الجوارشنات فذكر ابن جلجل انه رأيت حكاية عند الراوي بخط المستنصر وهي ان الطبيب الصيدلاني في قرطبة أحمد بن يونس الحراني قد صنع للخليفة المستنصر جوارشن كان يبيع منه الشربة بخمسين دينار لعلاج اوجاع الجوف فكسب جراء ذلك مالاً كثيراً وعرف هذا الجوارشن بأسم "المغيث الكبير"^(١٨) ، وهناك ما يسمى بالجوارشن الغلا فلي يعالج برودة المعدة وسوء استمرار الرياح والجشاء الحامض وأهم مكوناته " يؤخذ فلفل ابيض واسود ودار فلفل من كل واحد ثلاث اواق^(١٩) ومن عيدان البلسان اوقيه ومن الحماما والسنبل من كل واحد اربعة دراهم ومن الزنجبيل وبزر الكرفس وسيساليون وسليخة واسارون من كل واحد درهم ، يدق وينخل ويعجن بعسل منزوع الرغوة وترفع في أناء وتستعمل عند الحاجة"^(٢٠).

السفوفات :-

وتعتبر من التراكيب الدوائية القديمة وهي العقاقير المسحوقة سواء كانت مفردة او مركبة والسفوفات تعطي للمريض عن طريق الفم^(٢١) ، وقد قام الطبيب الصيدلاني حمدين بن أبان^(٢٢) بصناعة السفوفات مع الطبيب جواد النصراني^(٢٣).

الاقراص :-

وتعرف بأنها هي اجسام جامدة ومستديرة ، قرصت عجينة بها مواد طبية ثم بعد ذلك تجفف ، وقد ادخل الزهراوي الاقراص المكبوسة وذلك عن طريق ضغط العجينة في قوالب محفورة في الواح خاصة وتحمل أسماء الاقراص ويقول الزهراوي " ان الاقراص اكثر ثباتاً من السفوفات واكثر نفعاً وأسهل في الاستعمال في اثناء السفر وفي المنزل"^(٢٤). وقد صنع أطباء الأندلس الكثير من هذه الاقراص وعالجوا فيها الكثير من الأمراض ومنهم الطبيب ابو بكر سليمان بن باج الذي صنع حب من صنعه عالج به اوجاع الخاصرة^(٢٥).

استخدم النباتات بالمناسبات العامة في الأندلس.

اولاً :- الأعياد والمناسبات والأحتفالات في الأندلس:

استخدم الأندلسيون النباتات في الكثير من المناسبات والاعیاد والأحتفالات التي كانت سائدة في الأندلس لذلك تنوعت وتعددت أستعمالاتها.

والأعياد والمناسبات هذه أمانكون اسلاميه يحتفل بها المسلمين مثل عيد الفطر وعيد الأضحى أو أعياد مسيحية يشارك بها المسلمين المسيح مثل عيد الميلاد^(٢٦) وعيد العنصرة^(٢٧) وعيد العهد^(٢٨) أو أعياد يهوديه ، وفيما يلي سنذكر اهم هذه الاعیاد.

عيد الفطر:

هو العيد الذي يعقب صوم رمضان^(٢٩) وحرص مسلمي الأندلس الأحتفال بهذا العيد حيث يتم الأحتفال خلال الأيام الثلاثة الأولى من شهر شوال وكان الأندلسيون يحرصون في العيد على الاستعداد والتهيؤ لهذا اليوم بكل ما يتوفر من أنواع الطيب والعطور والزينة^(٣٠).

ومن اليوم السابع والعشرون من شهر رمضان تبدأ تحضيرات الأندلسيون للعيد حيث يبدأ الناس على أبتياح الفواكه أستعداداً للعيد ليتم تقديمها الى الضيوف^(٣١).

وفي صباح العيد يتوجه الرجال والأطفال والنساء الى المساجد الصلاة العيد مرتدين أجمل الثياب وتفوح منهم روائح الطيب والمسك والعنبر^(٣٢)، وهناك من الأندلسيون من يعود الى عاداته السيئة بعد انتهاء الشهر الفضيل وذلك بشرب الخمر معتبراً ان رمضان شهر حرم به الخمر ليعود الى ماكان مدمناً عليه في العيد^(٣٣).

عيد الأضحى المبارك:

هو العيد الثاني من أعياد المسلمين المصادف العاشر من شهر ذي الحجة من السنة الهجرية والذي تتم في هذا العيد ذبح الأضحية ونحر المواشي من أغنام وأبقار بالإضافة الى العوائل الأندلسية يعدون أجمل الموائد والتي تحتوي على أجود انواع الطعام والخضروات والفواكه ومن الاكلات التي كانت تقدم على هذه الموائد الحنطة مع الحليب أقتداءً بما كانت تتناوله السيدة أمه بنت وهب (رضي الله عنها) في ولادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٣٤).

كما كان المسلمون أيضاً في غرناطة يخرجون الى الشوارع أيام الأعياد رجالاً ونساءً يعطوهم التي صنعت من ماء الورد (الغالية) ويلعبون وذلك برمي البرتقال وأغصان باقات الورد بعضهم على بعض معبرين بذلك عن فرحهم بهذه الأعياد^(٣٥).

مناسبة عاشوراء :

يحتفل الأندلسيون في هذا العيد في اليوم العاشر من شهر محرم حيث كان الأندلسيون يحتفلون في هذا اليوم بالصيام فكانت الاسر الأندلسية تنتهياً لأحياء هذا اليوم بشراء انواع الطعام فهم يعتبرونه عيد للفاكهة والحلوى، فكانوا يشتررون انواع الفواكه وانواع اليايش (فواكه مجففة) والحلوى^(٣٦).

وذكر ابن قزمان في ديوانه ما يشتره الأندلسيون في هذا اليوم " نشترى بلوط وقسطل واش تقل قط فالجوز واش خير لوز ان منقى وكثيراً ما نأكل"^(٣٧).

وهناك اعياد مسيحية شاركها المسلمون مع النصارى ومن هذه الاعياد .

عيد يناير :

وهذا العيد شبيه بعيد النيروز وكان الاندلسيون يحتفلون به بالمنازل حيث تقام الموائد الكبرى التي تحتوي على انواع وأصناف الفواكه وكانوا يسمون هذه الموائد(النصبات) ويبلغ سعر النصبه الواحدة مايقارب سبعين ديناراً او يزيد

على ذلك لما فيها من انواع الفواكه وغراير التمر والزبيب والتين على اختلاف انواعه وأصنافه والجوز ذات القشور واللوز والقسطل والصنوبر والبلوط وقصب السكر واجود انواع الاترج والنانج والليمون^(٣٨).

كما تعد حلوى خاصة بهذا العيد تسمى مدائن لأنها تصنع على شكل مدن صغيرة ذات اسوار حيث تشكل هذه العجينة وتنقش مركبه على البيض الذي يصبغ بألوان مختلفه كالأحمر او الأخضر اوغير ذلك من الألوان ثم يفرم عليها الزعفران ويطبخ في الفرن ويجمع اليه اصناف وانواع الفواكه ثم تدفع هذه الحلوى وتوزع الى الأطفال لأدخال البهجة والسرور الى قلوبهم^(٣٩).

عيد العصير :

يحتفل الأندلسيون بعيد العصير الذي يعتبر من الاحتفالات الموسمية حيث يحتفل فيه في فصل الخريف اذ يخرج الأندلسيون نساءً ورجالاً الى الحقول لعدة ليال يستغلونها في جني العنب ويخرج معهم بعض الاهالي من أجل النزهة^(٤٠)، وقد استمر الأندلسيون والاحتفال بحصاد محصول العنب حتى سقوط مملكة غرناطة (٨٩٨هـ / ١٤٩٢م)^(٤١).

بالأضافة الى الأحتفال بحصاد محصول العنب هناك احتفالات أخرى موسمية مثل موسم جمع القرمز المستخدم في صباغة الحرير فيأخذ الأندلسيون خيامهم ويخرجون الى الأودية والحقول لعدة ايام وليال مصطحبين الاتهم الموسيقية ويقضون ايامهم ما بين جمع القرمز والعمل به وما بين الرقص والغناء^(٤٢).

عيد النيروز^(٤٣) :

وهو من أعظم الاعياد عند النصارى حيث تقام الاحتفالات في منازل الأندلسيين ويقال انه من الاعياد الفارسية ويقع في بداية السنة في اوائل يناير في كل عام ويقوم الأندلسيين بشراء المواد الغذائية والبخور والحناء ونشر مظاهر الفرح والسرور بين افراد المجتمع الأندلسي^(٤٤).

عيد العنصرة :

ويعتبر من الأعياد المهمة بالأندلس ويقام بعد خمسين يوماً من عيد الفصح ويمثل هذا العيد ذكرى نزول روح القدس على حواري السيد المسيح الاثني عشر ويسمونه ايضاً (بعيد المهرجان) والسبب في تسميته بعيد العنصرة هو نسبه الى شعله النار الذي كان يفقرها الأندلسيين وكانت من العادات السائدة عند النساء في هذا العيد هو يرشثن بيوتهن بالماء ويلقن ثيابهن بورق الخضره والكربن ثم يغتسلن ويعتبر هذا اليوم بدايه فصل الصيف عندهم^(٤٥).

ومن العادات السائدة في هذا العيد التوسع في شراء انواع الفواكه وتوزيعها على العامة^(٤٦)، وكان صاحب الشرطة في الأندلس المسمى ابا بكر بن القوطية يهدي في ليلة المهرجان اجمل انواع الورد ومطيبات الأزهار الى الوزراء والأدباء فقد أهدى الى الوزير ابي عامر بن مسلمة الورد وكتب له ابيات رائقة السمات^(٤٧).

عيد الرسل او عيد القديسين :

ويحتفل به في ليلة الخميس في الخامس والعشرين من شهر رجب حيث يشتري النصارى الشموع ويحتفلون في اسراج هذه الشموع ويكاد لا يخلو احد منهم صغيرهم وكبيرهم ذكورهم واناثهم من شمعة في يده ويتقدم القسيس للصلاة بهم ويستمرّون الى الأحد السابع والعشرين منه^(٤٨).

عيد الرسل السبع :

يحتفل به المسيح في بداية شهر ماي ويتم الاحتفال بهذا العيد في وادي آش بكورة غرناطة ويستمر الاحتفال به لمدة سبعة أيام وان السبب في هذا الاحتفال يعتقد المسيحيين ان القديس نوركاتومس جاء الى منطقة شبه الجزيرة الايبيرية ومعه سبعة رسل لنشر المسيحية بين سكانها وبعد ان توفي دفن في كنيسة قد غرس فيها شجرة زيتون يزهر ثمرها يوم الثلاثين من شهر افريل. وعند نضوج ثمرها ويستخرجون منه الزيت ومن ثم يستخدمونه في أضاءة الكنيسة^(٤٩).

اما اعياد اليهود فنرى كيف كان استخدام النبات في الحياة اليومية وفي ما يلي سيتم ذكر اهمها

عيد رأس السنه او يسمى روش هلهشانا :

ويدوم الاحتفال به ثلاثه ايام ويبدأ في اول شهر تشرين ومن العادات التي كان يفعلها اليهود قراءة التوراة ، اما الطقوس المتبعة فيه فهم يمارسون طقوس غذائية تبعدهم عن الحسد ولجلب السعادة فيقومون باستهلاك عدد كبير من الزيتون الاخضر بدلاً من الزيتون الاسود ويأكلون الكثير من الفواكه كالتين والتفاح والتمور والرمان والخضر ذات اللون الاخضر تفاعلاً بهذا اللون لجلب الخير والسعادة^(٥٠).

عيد الفصح :

من الاعياد الدينية اليهوديه وتسمى ليلته الاولى ليلة السدر وهي أهم الليالي وطقوسه حفل يجمع ما بين الطعام والشراب والرمز ، (والسدر) معناه الترتيب وعلى ضوء اسمها يرتب اليهود مائدة وتزين المائدة بنباتات سبعة كل نبات يرمز لأمر معين^(٥١).

عيد شعبون او ما يسمى بعيد الأسابيع :

ويحتفل به الأمر ان الأمر الاول ذكرى نزول التوراة والأمر الثاني يحتفلون ببواكير الغل والحصاد^(٥٢).

عيد السكوت او المظال :

ويذكر فيه اليهود الفتره التي قضوها في الصحراء تحت المظال اثناء التيه حتى مشارف فلسطين ومن طقوسه توزيع الحلويات وانواع الفواكه على النساء والرجال والأطفال^(٥٣).

وبذلك نرى ان اليهود كانوا يولون الطعام اهتماماً كبيراً فقد اهتموا بالطبخ حتى ان اكثر الاكلات والطبخات الأندلسيه كانت قد نسبت اليهم بالإضافة الى عاداتهم في الطعام مثل اكل الفطائر المصنوعة من الخل والنبيد المسماة (بواريد) وكذلك الهريسة المصنوعة من الدقيق واللحم بالإضافة الى الفطير المحشو بالفطر حيث كانوا يقيمون ولائم خاصة في مناسبتهم ويقدمون أجمل الأطباق وانواع الفواكه للضيوف^(٥٤).

اما المناسبات الدينية فيمكن ذكر اهمها فيما يلي :-

شهر رمضان :

وهو من المناسبات الدينية المهمة في الأندلس حيث يتم استقبال هذا الشهر في اول ليلة لشراء المأكولات للسحور " فقد امرت امرأة ابنها ببيع غزل صوف وشراء خبز و زيت لأن هذه الليلة اول ليلة من رمضان ليلة مباركة"^(٥٥).

وكانت طقوسهم احراق الشمع في المسجد الجامع اضافة الى استعمال الزيت حيث كان يصرف من فتائل الكتان في كل شهر رمضان ثلاثة ارباع القنطار ويصرف من الزيت في السنة "خمسائه ، ربع او نحوها يصرف منه في رمضان خاصة نحو نصف العدد ومما كان يختص بشهر رمضان ثلاث قناطير من الشمع وثلاثة ارباع القنطار من الكتان المقصر لاقامة الشمع المذكور والشمعة الكبيرة توقد بجانب الامام يكون وزنها من خمسين الى ستين رطل تحترق طول الشهر" وكذلك الحال بالنسبة الى استعمال الشموع حيث يتم حرقها جميعها ليلة الختمة^(٥٦) ، بالإضافة الى تنظيف المساجد وأحراق كميات كبيرة من البخور فيها^(٥٧).

المولد النبوي الشريف :

وتقديساً لهذا اليوم العظيم المصادف الثاني عشر من ربيع الأول يحتفل الأندلسيون بأيقاد الشموع وتوزيع الفواكه ، وتعد الأطعمة وتوزع على الفقراء فهو يوم لا يستحب الصيام به ، كما جريت العادة عند المعلمين ايقاد الشموع في الكتاتيب فكان الصبيان يطالبون اباؤهم بشراء الشمع وتقديمه لمؤدبهم في حانوته^(٥٨).

لم يقتصر تأثير النباتات على الأعياد والأحتفالات الدينية بل انعكس تأثيرها على مواسم احتفالات اسلامية اخرى مثل الأحتفال بالزفاف والعقيقة بالإضافة على تأثيرها على العادات والتقاليد السائدة في الأندلس وفيما يلي سنذكر أهمها :-

الزواج :-

كان الأندلسيون عند الزواج يستدعون الفقيه ليقوم بعقد القران بين الزوجين اما القرى التي لا يتواجد فيها الفقيه فسيتدعي أهل العروسين أحد العدول من أجل اتمام شروط الزواج^(٥٩) ، فالزوجة القرويه تختلف في مهامها عن الزوجة في المدينة فهي تقوم بالأعمال المنزلية اضافة الى أعمال زراعية مثل غزل القطن والكتان والحريير ثم تباع ما غزلته في الأسواق^(٦٠).

اما المدة التي تستغر فيها حفلة الزفاف فهي تدوم سبعة ايام ثم تزف العروسة الى بيت زوجها بعدها تقام وليمة للنساء والرجال^(٦١) والوليمة تعني تحضير الطعام في المناسبات وخاصة الاعراس^(٦٢).

وكان من عادات نساء الأندلس المبالغة في التزين واستخدام العطور وخاصة (الغاليه) واستخدام المراد والمكاحل والقوارير لحفظ الدهن^(٦٣).

وكانت المرأة الأندلسية تستخدم الطرحة وهي غطاء يوضع على الرأس وتكون طويلة قليلاً ومصنوعة من الكتان والقطن بالإضافة ارتداها ما يعرف (الغفارة) وهي أيضاً قطعة قماش وتوضع بين الرأس والخمار حتى تحافظ على نظافة خمارها وكى لا يتسخ من الزيت الذي تعطرت به او الزيت الذي وضعته على شعرها ويصنع هذا الخمار من الكتان او الحرير^(٦٤).

كما اولت المرأة الأندلسية اهتماماً بالغاً بمظهرها الخارجي فأهتمت بسائر ادوات التبرج والتعطر فهي تستخدم العطور المستخرجة من الليمون والازهار والحشائش او تستخدم العطور المستوردة من الخارج " وأصول الطيب خمسة أصناف : المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران ، وكلها من ارض الهند ، الالزعفران والعنبر فأنتها موجودات بأرض الأندلس " ، كما استعملت الحنة على الأظفار وقد شاع استخدام الحنة في الأندلس بين الرجال والنساء. فقد لقب السلطان محمد السادس (بالملك الأحمر) لانه كان يستخدم الحنة في صبغ لحيته وشعره بالإضافة الى القاضي خالد البلادي الذي عاصر المؤلف ابن الخطيب كان دائماً يصبغ لحيته بالقرطم او بالحنه او بالعصفر^(٦٥).

كما استخدمت النباتات عند الأحتفال بالختان والعقيقة فيقوم والدا المولود بذبح عقيقه وحلق شعره في اليوم السابع من ولادته فيكره ان يلمس رأس المولود بالدم واستخدموا عوضاً عن الدم الزعفران^(٦٦).

واما اذا رزقت العائلة بطفل جديد تحتفل الأسرة بتلك المناسبة ويدعى الاهل والاصدقاء وتقوم لهم اطيب المأكولات والفواكه على انواعها كلاً حسب مقدرته المادية^(٦٧). وهذا بالإضافة أن هناك فاكهه تسمى الترفاس (وهي تشبه الكمأ) والترمس تباع بالقرب من المساجد وقد منع بيع هذه الفاكهه لأنها تسمى فاكهه الخلاع وهناك فلسفة عند البعض في اشكاليه بيعها^(٦٨).

ومن الجدير بالذكر ان أهل الأندلس كانوا يخرجون الى الاماكن الخضراء المزروعة بأجمل وأطيب الثمار للترفيه والتنزه وخصوصاً ايام العيد والأحتفالات العامة والخاصة والايام الأخرى وذلك بسبب ما تحتويه الأندلس من مناخ جميل ومروج خضراء ومناظر خلابة للجبال وارضيتها التي يخرقها الأنهار^(٦٩).

وبذلك نلخص اعياد ومناسبات الأندلس بمقولة لابن الخطيب " وقد زينت العيون بالتكحيل ، والشعور بالترجيل ، وكرر السواك على مواضع التقبيل ، وطوقت الأعناق بالعقود ، وضرب الفكر في صفحات الحدود ، ومدد بالغالية على مواضع السجود ، وأقبلت صنعاء باوشيتها ، وعنت بأرديتها ، ودخلت العروس في حليتها ، ورقمت الكفوف بالحناء ، وأثنى على الحسن وهو أحق بالثناء..."^(٧٠).

استخدام النباتات بالمناسبات المخزنه (الطقوس الجنائزية) :-

لكل أنسان نهاية والنهية الحتمية للأنسان هي الموت كما قال تعالى : " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ "^(٧١).

وتختلف طقوس الغسل والتكفين والدفن بحسب البناء الطبقي وأختلاف الاديان فكل طائفة دينية طقوس جنائزية خاصة فهناك الكثير من العادات تجرى قبل الدفن وبعده ، فعند الموت يغسل الميت ثم يكفن وتختلف الأكفان

بحسب الحالة الميسورة للميت فاذا كان الميت من طبقة أرستقراطية حاکمة او من عوائل الميسورة الحال والجاه السلطان كفن بالحريير وأما اذا من عامة الشعب كفن بالكتان وبعد الانتهاء من التعزیه وفي اليوم السابع من رحيلته وتقام مأدبة طعام خاصة للقراء^(٧٢).

فسنن الغسل خاصة وقد حث الرسول على وجوب الغسل للميت وذلك قوله (صلى الله عليه واله وسلم) " واغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبه ولا تخمروا رأسه فان الله يبعثه يوم القيامة ملبياً "^(٧٣).

وسنن الغسل ثمان ، فتعميم جسد الميت بالغسل وكون ذلك بالماء المطهر والمبالغة في تنظيفه ، فالوتر في اعداد غسله ثلاثاً فما زاد ، وان يغسل في الثانية بالسدر ، و مايقوم مقام السدر ثم يغسل بالكافور والأ يزال له ظفر ولا شعر^(٧٤).

اما التكفين فله سننه الخاصة أيضاً هو أن يحنط الميت بالكافور والمسك وشبهه من الطيب ومكروهات الدهن أيضاً خمس ان لا يكون سرفاً او حريراً او من العصفور او اكثر من سبعة حنوط توضع فوق أكفانه^(٧٥).

اما طقوس الجنائز والدفن عند اليهود فهي مختلفة تماماً فيستخدم اليهود الشراف لتنشيف جسد الميت ثم يكفن بقطع من نسيج الكتان والقطن^(٧٦) ، ثم يقدم الزيتون الأسود مع البيض الى جميع الحاضرين من الأقرباء والأصدقاء كوجبه عشاء للمعزين^(٧٧).

ومن خلال ما تقدم تبين لنا دور النباتات الدوائية والعطرية واثرها على حياة العامة من خلال استخدامها في الحياة اليومية ودخولها في مجالات شتى فدخلت في الكثير من الصناعات الدوائية بالإضافة استخدامها في الاعياد والمناسبات الدينية والأحتفالات السائدة في الأندلس ، ولم يقتصر استخدامها في الحياة فقط بل استخدمت في المناسبات الحزنة كتعطير جسد الميت وتكفينه كما ذكرنا سابقاً لذلك نرى دورها البارز على طول الازمنة ومدى العصور.

الهوامش

(١) الكندي ، عبد الرزاق بن عبدالله بن صالح بن غالب الكندي ، المفطرات الطبية المعاصرة دراسة فقهية طبية مقارنة ، ط ١ ، دار الحقيقة الكونية للنشر والتوزيع ، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م ، ص ٥٨.

(٢) الخردل :- ويعرف بحشيشة السلطان هو حب شجر قالع للبلغم ملين وهاضم نافع للنقرس والنسا والبرص ودخانها يطرد الحيات . ينظر : الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٦٧.

(٣) ابن زهر ، ابي مروان عبد الملك بن زهر الأندلسي ، النشاط والقوه والشفاء في الاغذية ، ط ١ ، تح: محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص ٩٢.

(٤) ابن زهر ، الاغذية ، ص ٩٧.

(٥) حسين ، محمد كامل ، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، الجمهوريه الليبية ، ص ٣٧٤.

- ٦) مؤلف مجهول ، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين ، ص ٢٤٠ .
- ٧) ابن سينا ، القانون في الطب ، ج ٣ ، ص ٤٥٩ .
- ٨) جواد الطبيب النصراني :- كان في أيام الامير محمد وله اللعوق المنسوب الى جواد وله دواء الراهب والشرايات والسفوفات المنسوب اليه . ينظر : ابن ابي اصبيحة ، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تح: د. نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص ٤٨٥ .
- ٩) ابن زهر ، الاغذية ، ص ٨٦ .
- ١٠) حسين ، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة ، ص ٣٧٨ .
- ١١) ابن جلجل ، ابي داوود سليمان بن حسان الأندلسي ، طبقات الأطباء والحكماء ، تح: فؤاد سيد ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ص ١٠٢ .
- ١٢) ابن زهر ، الأغذية ، ص ٨٤ ؛ حسين ، تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، ص ٣٨١ .
- ١٣) ابن زهر ، الأغذية ، ص ٨٦ .
- ١٤) ابن زهر ، الأغذية ، ص ٨٨ .
- ١٥) الجوهري ، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ط ٤ ، تح: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ج ٤ ، ص ١٤٥٣ .
- ١٦) ابن ابي أصبيحة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٤٩٤ .
- ١٧) حسين ، الموجز بالطب والصيدلة عند العرب ، ص ٣٧٦ .
- ١٨) ابن ابي اصبيحة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٤٨٦ .
- ١٩) الاوقية :- يوزن به ويكاله ويساوي عشرة دراهم وخمسة اسباع الدرهم او الرطل يساوي اثنا عشر اوقية . ينظر: رضا ، أحمد ، معجم متن اللغة ، ج ٢ ، ص ٦٠٢ .
- ٢٠) ابن سينا ، القانون في الطب ، ج ٣ ، ص ٤٤٤ .
- ٢١) حسين ، الموجز في تاريخ الطب ، ص ٣٧٨ .
- ٢٢) حمدين بن أبان :- كان طبيباً حاذقاً مجرباً في أيام الامير محمد بن عبد الرحمن الأوسط وكان لا يركب دواء الا من نتاجه ولا يأكل الا من زرعه ولا يلبس الا من كتان ضيعته . ينظر: ابن ابي أصبيحة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٤٨٥ .
- ٢٣) ابن أبي أصبيحة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٤٨٥ .
- ٢٤) حسين ، الموجز في تاريخ الطب ، ص ٣٧٥ .
- ٢٥) ابن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ، ص ١٠٢ .
- ٢٦) عيد الميلاد :- هو العيد الذي ولد فيه المسيح ويقولون كان يوم الاثنين فيجلون عشيه الاحد ليلة الميلاد ويوقدون المصاييح بالكنايس ويزينوها . ينظر: النويري ، نهایه الأدب في فنون الادب ، ج ١ ، ص ١٩٢ .

- ٢٧) عيد العنصرة :- يعمل بعد خمسين يوماً من يوم القيام ويقولون فيه أن روح القدس حملت بالتلاميذ وتفرقت عليه السنه الناس فتكلموا بجميع الالسنه وتوجه كل واحد منهم الى بلاد لسانه الذي تكلم به يدعوههم الى دين المسيح. ينظر: النويري ، نهاية الادب في فنون الادب ، ج ١ ، ص ١٩١.
- ٢٨) عيد العهد :- ويعمل قبل عيد الفصح بثلاثة أيام وسنتهم ان يأخذوا اناء وملؤه وماء ويزمزموا عليه ثم يغسل البطريك ارجل سائر الناس ويزعمون ان المسيح عيسى (عليه السلام) فعل مثل هذا بتلاميذه . ينظر : النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ١ ، ص ١٩٢.
- ٢٩) عمر ، أحمد مختار عبد الحميد ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط ١ ، عالم الكتب ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م ، ج ٢ ، ص ١٥٧٢.
- ٣٠) عيساوة، مُجدد، الأعياد والأحتفالات الدينية مظهراً بارزاً من مظاهر التسامح والتعايش السلمي والأجتماعي بين الأديان السماويه ، مقالة منشورة في مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية الأنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار ، عنابة ، مج ١٠ ، ع ٤٤ ، ٢٠١٨م ، ص ١٤.
- ٣١) الطرطوشي ، مُجدد بن الوليد بن مُجدد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي المالكي ، الحوادث والبدع ، ط ٣ ، تح: علي بن حسن الحلبي ، دار ابن الجوزي ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص ١٥٠.
- ٣٢) ابن الخطيب ، الأحاطة في اخبار غرناطة ، مج ٣ ، ص ٥٠٢.
- ٣٣) ابن الخطيب ، الأحاطة في أخبار غرناطة ، مج ٢ ، ص ٣٥٢.
- ٣٤) العامري، مُجدد بشير بن حسن راضي، دراسات حضاريه في التاريخ الأندلسي، ط ١ ، دار غيداء للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م ، ص ٢٢.
- ٣٥) العامري ، دراسات حضاريه في التاريخ الأندلسي ، ص ٢٣.
- ٣٦) دندش ، عصمت عبد اللطيف ، الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (٥١٠ / ٥٥٤هـ - ١١١٦ / ١١٥١م) تاريخ سياسي وحضاره ، ط ١ ، دار الغرب الاسلامي بيروت ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، ص ٣٢٦.
- ٣٧) ابن قزمان ، مُجدد بن عيسى القرطي ، (ت ٥٥٤هـ / ١١٤٩م) ، ديوان ابن قزمان ، تح : كورنيطي ، المعهد الاسباني العربي للثقافة ، مدريد ، ١٩٨٠م ، ص ٦٢٢.
- ٣٨) دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، ص ٣٢٦.
- ٣٩) دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، ص ٣٢٧.
- ٤٠) بوتشيش ، ابراهيم القادري ، المغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ط ١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ص ٩٢.
- ٤١) النبروي ، التقويم المصري بالأندلس في عصر الخلافة الامويه ، ص ٣٤.
- ٤٢) النبروي ، التقويم المصري بالأندلس في عصر الخلافة الأمويه ، ص ٣٥.

- (٤٣) النبروز :- هي كلمة معربة لكلمة نوروز وهي من الاعياد الفارسية و السبب في احتفالهم في هذا اليوم وهو ان هناك ملك يدعى شاد احد ملوك الطبقة الثانية من الفرس وهو عند مجيئه اصلح ما فسد من الدين ، وأظهره فسمي اليوم الذي ملك فيه هذا الملك نوروز اي اليوم الجديد وكانت مدته ستة ايام . ينظر: القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الأنشا ، ج ٢ ، ص ٤٤٦ .
- (٤٤) بوتشيش ، المغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص ٩٣ .
- (٤٥) النبرواي ، التقويم المصري بالأندلس في عصر الخلافة الأموية ، ص ٣٧ .
- (٤٦) الطرطوشي ، الحوادث والبدع ، ص ١٥١ .
- (٤٧) ابن حبيب الحميري ، ابي الوليد اسماعيل بن عامر الحميري ، البديع في وصف الربيع ، تح: هنري بيريس ، المطبعة الاقتصادية ، الرباط ، ١٩٤٠هـ / ١٣٥٩م ، ج ٧ ، ص ١٠٢ .
- (٤٨) ابن جبير ، محمد بن أحمد الكناني الأندلسي ، رحلة ابن جبير ، دار الهلال ، بيروت ، د.ت ، ص ٢٥٨ .
- (٤٩) قادي ، زليخة ، عبید ، نور الهدى ، الاعياد والاحتفالات في الأندلس ، رسالة ماجستير ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، ١٤٣٧-١٤٣٨هـ / ٢٠١٦-٢٠١٧م ، ص ٤٢ .
- (٥٠) بو عمارة ، فاطمة ، اليهود في المغرب الإسلامي (خلال القرنين ٧-٨هـ / ١٤-١٥ م) ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م ، ص ١٤٢ .
- (٥١) شحلان ، أحمد ، التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي (التسامح حق) ، ط ١ ، دار ابي رفاق للطباعة والنشر ، الرباط ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، ص ٤٨ .
- (٥٢) شحلان ، التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي (التسامح حق) ، ص ٤٨ .
- (٥٣) شحلان ، التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي (التسامح حق) ، ص ٤٩ .
- (٥٤) الخالدي ، خالد بن يونس عبد العزيز ، اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس (٩٢-٨٩٧هـ / ٧١١-١٤٩٢م) مطبعة دار الارقم ، فلسطين - غزة ، ١٩٩٩م ، ص ٢٨٦ .
- (٥٥) بوتشيش ، المغرب و الأندلس في عصر المرابطين ، ص ٨٧ .
- (٥٦) ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .
- (٥٧) بو لعراس ، خميسي ، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (٤٠٠-٤٧٩هـ / ١٠٠٩-١٠٨٦م) ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب والعلوم الأنسانية ، جامعة الحاج لخضر ، (١٤٢٧-١٤٢٨هـ / ٢٠٠٦-٢٠٠٧م) ، ص ٨٤ .
- (٥٨) ابو مصطفى ، كمال ، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٩٧م ، ص ٤٤ .
- (٥٩) دنش ، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، ص ٣٠٢ .
- (٦٠) دنش ، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، ص ٣٠٣ .

- ٦١) فرحات، يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، ط١، دار الجليل، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص١٠٢.
- ٦٢) ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن خمارة الدمشقي الصالح الحنفي، فص الخواتم فيما قيل في الولايم، ط١، تح: نزار أباضة، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٩٥.
- ٦٣) الونشريسي، أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقيا والأندلس والمغرب، تح: محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت، ج٢، ص٥٠٢.
- ٦٤) راوية، عبد الحميد شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة (٩٢-٤٢٢هـ/ ٧١١-١٠٣١م)، عين الدراسات والبحوث الإسلامية والاجتماعية، الهرم، ٢٠٠٦م، ص٨١، ٩٢.
- ٦٥) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص١١٠-١١١.
- ٦٦) ابن جزى الكلبي، ابو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله الغرناطي، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، تح: محمد بن سيدي محمد مولاي، د.ت، ص١٢٩.
- ٦٧) دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص٣٣٢.
- ٦٨) دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص٣٣٤.
- ٦٩) دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص٣٣٤.
- ٧٠) ابن الخطيب، الأحاطة في أخبار غرناطة، ج٢، ص٣٥٣.
- ٧١) سورة العنكبوت، ايه ٥٧.
- ٧٢) دندش، عصمت عبد اللطيف، من مظاهر الحياة الاجتماعية بالأندلس (طقوس الجنائز)، مجلة دراسات الأندلسية، ١٩٠٤هـ/ ١٩٩٥م، مج ١٩٩٤، ص٢٧.
- ٧٣) البخاري، ابي عبدالله اسماعيل، صحيح البخاري، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص٣٠٧.
- ٧٤) القاضي عياض، ابي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، الأعلام بحدود وقواعد الإسلام، تح: محمد صديق المشاوي ومحمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضليه، القاهرة، د.ت، ص٨٢.
- ٧٥) القاضي عياض، الأعلام بحدود وقواعد الإسلام، ص٨٣.
- ٧٦) فؤاد، ناصري، جمال، مقدم، خالد، ملياني، طقوس الجنائز في الأندلس من خلال كتب التراجم والنوازل (٤-٩هـ/ ١٠-١٥م) رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون، الجزائر، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٢م، ص٣٠.
- ٧٧) فؤاد، ناصري، جمال، مقدم، خالد، مليانه، طقوس الجنائز في الأندلس، ص٣١.

The Effect of Inferring Meaning Technique on EFL Learners' Listening Skills at the Upper-intermediate Level

Yasser Abedulsada Hussein

Bahman Gorjian*

Associate Professor, Islamic Azad University, Abadan, Iran

Abstract

This study was conducted with the aim of exploring the impact of using inferring meaning technique as a cognitive strategy on the upper-intermediate EFL learners' listening skill. Furthermore, it intended to investigate the difference between the effects of inferring meaning technique on the upper-intermediate vs. advanced EFL learners' listening skill. Whereas universities and schools pay more attention to writing, reading, and vocabulary. Listening is not an important part of many course books and most teachers do not pay attention to this important skill in their classes, so students have critical difficulties in listening comprehension. This study will try to show the importance of inferring meaning in developing the listening skills. The participants of this study composed up of 45 Iraqi males and female learners of English as a foreign language (EFL) at Basrah University. They were assigned into a control group (CG) (N= 15) and two experimental groups in terms of language proficiency and the employed treatment. The first experimental group was labeled as Upper-intermediate Inferring Meaning (UIMG) (N = 15) and the second group was named as Advanced Inferring Meaning (AIMG) (N= 15). In order to collect the data, two series of Top-Notch textbook were used as the material, and two tests were adopted as measurement instruments. As a result of collecting and analyzing data it was found that integration of inferring meaning technique as an instructional strategy could lead to the significant development of the upper-intermediate and advanced EFL learners' listening comprehension. More specifically, the results suggested that both group of the EFL learners, i.e., upper-intermediate and advanced could take maximum advantages of the inferring meaning technique in the classroom to enhance their listening skill. Teachers can create such an environment by using inferring meaning technique positively keeping the actively listening to all students and responding to them in an appropriate manner. Moreover, the English language teacher should avoid responding sarcastically and sarcastically to the

learners' questions in order to help them decode the English language and also reduce distractions and unjustified interruptions.

Keywords: inferring meaning technique, cognitive strategy, upper-intermediate EFL, listening skill

1. Introduction

Imagine you are a tourist in a country whose language you do not speak. In a restaurant, you hand over a credit card to pay for the bill, but the server seems to say something apologetic in response. Even though you do not understand his words, you can probably conclude that the restaurant does not take credit cards, and you need to pay with cash instead. This is the technique of inferring meaning: using clues and prior knowledge about a situation to work out the meaning of what we hear. Similarly, we can infer the relationship between people from the words they use, without having to find out directly. Take the following conversation:

A: Tom, did you do your homework?

B: I did, sir, but the dog ate it.

A: That's a terrible excuse. You'll never pass your exams if you don't work harder.

We can infer from the use of the words 'homework' and 'exams' that this is a conversation between a student and his teacher. By using contextual clues and our knowledge of the world, we can work out what is being said, who is speaking, and what is taking place. How much the learners can infer about what is taking place, who is talking, and what their relationship is? The next time they hear a word they do not understand, they try to guess its meaning using the context or situation. It should not be difficult to realize the importance of listening that it occupies more than speaking, which accounts for 30 percent, and reading and writing, which make up 16 per cent and nine per cent respectively. Yet, for all its importance, the students (and even teachers) often fail to listen to what they need. This is all the more remarkable as learners often say that listening is the most challenging of all the skills in English. There are many difficulties an individual may face in understanding a talk, lecture, or conversation in a second language (and sometimes even in their first language). The speaker, the situation, and the listener can all be the cause of these difficulties. Contributing factors include the speaker talking quickly, background noise, a lack of visual clues (such as on the telephone), the listeners' limited vocabulary, a lack of knowledge of the topic, and an

inability to distinguish individual sounds. While the challenges posed by the speaker or the situation may be out of the listener's hands, there are a few skills or 'strategies' that English learners can use to help them along.

2. Review of Literature

Listening is one of the most important skills in English language learning. When students listen to the English language, they face a lot of listening difficulties. Students have critical difficulties in listening comprehension because universities and schools pay more attention to writing, reading, and vocabulary. Listening is not an important part of many course books and most teachers do not pay attention to this important skill in their classes. Therefore, having an exact definition of listening can be rather challenging. Several definitions have been suggested by researchers. Brown and Yule (1983) believe that listening is an activity that involves speakers, listeners, content, and various supporting elements such as images or diagrams. According to many other researchers listening is the process of decoding messages by using signals, between hearing and already-known data (Rost, 2002). According to Devito, (1995), listening is a process of understanding and evaluating a message through communication and requires mastering skills such as social context, sentence structure, tone, voice, and register. It also requires additional skills such as "physiological and cognitive processes" at different levels. Rost, (2002). Further definitions have been contributed by other researchers who have also investigated the problems of listening such as Underwood (1989), several difficulties such as speech rate or lack of vocabulary; Goff (1999) emphasizes the role of concentrating, and Kurita (2012) focuses on listening anxiety. Additionally, since listening is a skill in second language learning, the difficulty is further caused by numerous other factors varying from the difference of sound between the second language learners' first language and the second language he or she is learning, his or her lack of vocabulary, his or her grammatical unawareness, to pragmatic differences between two languages. In general, listening is a very complicated process that requires the collaboration of other factors. Listeners must understand the meaning of listening comprehension and its importance in mastering English.

Experience and similar works have indicated that when teachers are aware of students' learning difficulties, they can help them develop effective listening strategies and finally solve their difficulties in listening and improve their listening comprehension

abilities. Therefore, it is significant to recognize the differences and be familiarized with the major problems that Learners are Faced with Listening Comprehension.

According to Azmi Bingol, Celik, Yidliz, and Tugrul Mart (2014), there are numerous difficulties that learners are encountered in the listening comprehension processes and the main focus is to be aware of such problematic areas and try to find a solution for them. Some of these problems are as follows:

Familiarity with Cultural Differences or language background. The differences between the cultural background may be completely different as compared to the learner's knowledge therefore, it is the responsibility of the teacher to provide the students with the necessary knowledge about the listening activities before the task begins. (Azmi, Celik, Yidliz, & Tugrul, 2014). Munro and Derwing (1999) stated that accent variety can lead to a substantial reduction in comprehension. According to Goh (1999), 66% of learners expressed that a speaker's accent is the main cause of their misunderstanding factor which affects their comprehension ability. It has been indicated that in such cases both native and non-native listeners may confront some difficulties in hearing an unfamiliar accent such as Indian English for the first time after studying American English. This will certainly if not completely stop the entire listening comprehension, it would certainly interrupt the whole process of listening tasks, Buck (2001). Another factor According to Underwood (1989), speed can make listening passages difficult. In combination with an accent, fast speakers may add to the difficulty of listening comprehension. In this situation, listeners are not able to control the speed of speakers and this can create critical problems.

Additionally, Bingol, Celik, Yidliz, and Tugrul Mart (2014), mentioned that listening to texts containing known words is relatively easier on the hand, and hearing unfamiliar or new words may cause a major problem. This idea is further supported by the fact that students may not know that, a lot of words may have a few different meanings, especially in terms of context-related words, collocations, family words, part of speech, or if the words are not high-frequency words. Azmi Bingol, Celik, Yidliz, and Tugrul Mart (2014) further stated that the level of students can have a significant role in listening comprehension particularly if the lower students are faced with longer lengths of hearings. The suggested suitable length of a passage is estimated at three minutes. Short listening passages may make it easier for learners to listen and reduce their tiredness.

The quality of materials used in the classrooms can contribute to the lack of comprehension and may hinder the students' total performance ability and confidence. Celik, Yidliz, & Tugrul Mart, 2014).

There are some other barriers to the effective listening comprehension process. Graham (2006) said that there are some other factors affecting the increase of learners' listening comprehension problems such as limited and restricted vocabulary, incorrect or poor grammar, and misinterpretations of listening tasks and materials.

When children hear a story, for instance, good listening comprehension enables them to understand it, remember it, discuss it, and even retell it in their own words. This is an important skill to learn even at an early age because good listeners grow up to become good communicators.

In this regard, Bloomfield et al. (2010) and Walker (2014) expressed that one of the serious problems of listening comprehension is related to pronunciation. The spoken and written English, that is the way words appear in print rather than orally, is rather different. Because spoken language varies in the form of written language, the recognition of words can create some difficulties for students. As mentioned earlier, according to Vandergrift (2007) and Walker (2014), in addition, identifying the words, unfamiliar words as well as unfamiliar pronunciation, will create further confusion for the students. Therefore, they cannot decide which linguistic part belongs to which word. Furthermore, Prosodic features of the spoken language like stress fall, weak forms and strong forms of words, intonation, and register also impact the comprehension of oral text.

Vandergrift (2007) and Walker (2014) declared that listeners can use pragmatic knowledge to make inferences and identify speakers' implied meaning these should be specifically considered by teachers when teaching listening comprehension. Hasan (2000) supported the idea that a combination of unfamiliar words, difficult grammatical structures, and the length of the spoken passages are the most significant factors that cause problems in learners' listening comprehension. He further indicated that clarity, lack of interest, and the demand for complete answers to listening comprehension questions are serious difficulties for students and that teachers should take these factors into their teaching considerations. Yagang (1994) also stated that there are four sources for listening comprehension problems. They are the message, the speaker, the listener, and the physical environment. Numerous other similar works have indicated that those factors

mentioned above are the main components that affect listening comprehension. Boyle (1984).

Accordingly, learners of English as a foreign language (EFL) need to be prepared to handle tests in listening comprehension (Nasrudin, 2013). Listening comprehension refers to the understanding of the implications and explicit meanings of words and sentences of spoken language. Listening comprehension is more than just hearing what is said, it is a child's ability to understand the meaning of the words they hear and to relate to them in some way. Therefore, there are three approaches to listening comprehension in this regard: bottom-up, top-down, and interactive 45 percent of the time adults spend in communication. This is significantly approaching. Bottom-up approaches look at the process of listening as the way to get information from the (listening) text. This approach believes that linguistic knowledge decides whether or not the listener understands the text. Understanding of information starts from a very low level of recognition: listening to sounds, phonemes, words, and sentences considering the structures of each sentence, as well as considering the non-linguistic context. In the process of comprehension, listeners may also try to guess what a speaker is saying. Nasrudin (2013) explains that this process of listening constitutes the sequence from audio input transferred into phonemes (the smallest meaningful unit of sounds), recognizing words at the syntactic level, predicting semantic contents, understanding meaning through basic linguistic meaning, to interpreting literal meaning based on the context of communication. b. Top-down approaches gave a top-down approach, the schemata or background knowledge plays an important role in the listening process. The schemata will help the understanding of a text because the knowledge can make the listener know what the topic is being talked about, and if the listener knows about the topic, it will make him or her get the meaning because he or she has already known about the topic.

3. Methodology

3.1. Participants

The participants of this study consist of 50 male and female learners of English as a foreign language in two intact classes of advanced and upper-intermediate groups at Basrah University /Iraq. They are randomly divided into two equal experimental groups. The two groups are at different levels of education, that is, intermediate. Both groups are

proved to have the two levels of listening proficiency at the beginning of the study. They are all native speakers of Arabic.

3.2. Instruments

3.2.1. Listening Comprehension Pre-test

The third and most important instrument for gathering the needed data to answer the research question was a researcher-made listening pre-test with 40 multiple-choice items. It was based on the students' coursebooks (Top Notch 2 and 3). It included two topics that the students will be required to write about one of them arbitrarily. The researcher wants the participants to write a composition on a selected topic. The respondents should listen to a passage with at least 250 words. The pre-test was carried out in the class under the supervision of the researcher to make sure that the students do it by themselves. After listening to the topic, all the learners answer the questions to two English teachers according to the same criteria. The raters considered the students' listening correctness, the meaning of the sentences, and the length of each composition while measuring the students' listening skills. The students' errors (lack of listening for grammatical correctness, the meaning of the sentences, and the length of each composition) were counted and then scored. The validity of the pre-test will be confirmed by two English experts and its reliability was computed through the KR-21 formula.

3.2.2. Listening Post-test

A researcher-made listening post-test was used in the present study. The post-test was based on the passages in Top Notch 2 and 3 which were taught to the upper-intermediate and advanced groups. The post-test included two passages and the students should listen to them. it included 40 multiple-choice items. The post-test will be administered to measure the impact of the treatment on the participants' listening improvement. It should be noted that the validity of the post-test was confirmed by two English experts and its reliability was calculated through the KR-21 formula.

3.3. Procedure

The learners were divided randomly into two experimental groups they were assigned to one of the two conditions: (a) receiving the treatment of upper-intermediate inferring technique, and (b) Receiving the treatment of advanced listening inferring techniques. Each group consisted of 25 students. The learners sat for a pretest, which

showed they were homogeneous concerning listening proficiency in English. Afterward, in the control group, the listening program started without thinking or discussing the topic. In other words, in the control group, the listening task started with a regular approach. The experimental group was provided with intermediate listening activities whenever they were to listen to something. After the completion of the training sessions, a posttest was given to the learners in both groups. The data were gathered from the participants in the study and were analyzed by SPSS, version 24. To carry out the statistical analysis of this study, first, the scores of the listening pre-test for the two groups were computed, and the means of upper-intermediate and advanced groups' listening comprehension of the passages. Then, participants' scores in a listening post-test and data were computed. Both descriptive and inferential statistics were employed to analyze the data.

3.4. Data Analysis

The gathered data through the above-mentioned instruments were analyzed and interpreted based on the objectives of the study. Firstly, to check the normality of the data, Kolmogorov-Smirnov (K-S) test was used. Then, paired samples t-test and independent samples t-test were used to find out the impacts of the treatment on Iranian EFL learners' speaking skills.

4. Results

4.1 Reliability of the Research Instruments

To make sure that the entire utilized test was reliable to measure the participants' listening comprehension and language proficiency, the reliability of the tests was calculated through the KR-12 method. The reliability results of the test were illustrated in Table 1.

Table 1:

The Reliability Index for Listening Pretest, Posttest, and OPT

Instruments	Number of Items	N	Cronbach's alpha
Listening Pre	25	45	.89
Listening Post	25	45	.75
OPT	60	45	.81

As shown in the above table that, Cronbach's alpha for the pretest and post of listening comprehension and OPT, turned out to be 0.89, 0.75, and 0.81, respectively. Therefore, it was proved that all the measurement instruments indicated an acceptable and satisfactory level of reliability for a test to be appropriate for use in a study.

4. 2 Investigating the Normality of Scores

To ensure that the pre-and post-test scores of the listening test are normally distributed, a Kolmogorov-Smirnov Test was employed. The findings of the normality test were demonstrated in Table 2 below.

Table 2:

The Normality Test for the Listening Comprehension Test Scores

		Pre	Post
	N	45	45
Normal Parameters ^{a,b}	Mean	10	16.44
	Std. Deviation	1.23	2.41
	Test Statistic	.543	.432
	Asymp. Sig. (2-tailed)	.143 ^c	.266 ^c

As is demonstrated in the above table, since both the Sig value of Kolmogorov-Smirnov tests were greater than 0.05 in all the groups, it could be concluded that for the three groups of the participants, the dependent variable of the study (listening comprehension scores) was normally distributed. The Kolmogorov-Smirnov test revealed a significant level of normality of the listening pre-test ($W(60) = 0.543$, $p = .143$), and post-test scores ($W(60) = 0.432$, $p = .266$) for the three groups.

4.2.2 Investigating the Homogeneity

The homogeneity of the participants was examined from two different points of view including the homogeneity in terms of initial listening comprehension ability, and the homogeneity in terms of metacognitive strategy use before the intervention.

4.2.3. Homogeneity in Terms of Listening Comprehension

Before starting the main phase of the study, it was necessary to ensure that there was not any pre-existing difference between the three groups' mean scores on listening comprehension. Therefore, a one-way ANOVA was conducted summary of the results is presented in Table 3 below.

Table 3:

Descriptive Statistics for the Three Groups Scores on Listening Comprehension Pre-test

	N	Mean	Std. D	Std. Error	95% Confidence Interval for Mean		Min	Max
					Lower Bound	Upper Bound		
					CG	15		
UIMG	15	11.13	1.88	.76	10.12	12.51	6	14
AIMG	15	11.55	1.32	.63	11.01	12.72	10	15
Total	45	11.32	2.22	.71	11.09	12.38	7	13

- Control Group (CG)
- Upper-intermediate Inferring Meaning (UIMG)
- Advanced Inferring Meaning (AIMG)

As can be seen in Table 3 above, the mean scores of the three groups i.e., CG (M = 11.45, SD = 2.54), UIMG (M = 11.13, SD = 1.88), and AIMG (M = 11.55, SD = 1.32) did not differ greatly on pre-test of listening comprehension. To ensure that these descriptive statistics were significant, one-way ANOVA was conducted, and the results were presented in Table 4.

Table 4:

ANOVA for the Mean Scores of the Three Groups in the Listening Comprehension Pre-test

	Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
--	----------------	----	-------------	---	------

Between Groups	5.66	2	1.98	.98	.342
Within Groups	165.35	43	2.76		
Total	188.98	44			

As displayed in Table 4, there was not any significant and meaningful difference between the three groups' scores on the listening comprehension pre-test ($F(2, 43) = .98, p > 0.05$). Thus, it could be concluded that the participants in the three groups had approximately a similar level of listening comprehension performance before the intervention.

4.4 Main Statistical Analyses

To answer the research questions of this study one-way between-groups ANOVA was conducted. The previous section, it is made ensures that there are no pre-existing differences in terms of the initial listening comprehension ability. Therefore, any likely development of the participants' listening comprehension can be attributed to the treatment. The descriptive statistics for the three groups' scores on the listening comprehension post-test are demonstrated in Table 5 below.

Table 5:

Descriptive Statistics for the Three Groups Scores on Listening Comprehension Post-test

	N	Mean	Std. D	Std. Error	95% Confidence Interval for Mean	
					Lower Bound	Upper Bound
CG	15	13.54	1.88	.89	13.22	16.02
UIMG	15	19.87	1.98	.66	16.22	17.03
AIMG	15	18.44	2.55	.96	15.66	18.11
Total	45	16.44	2.21	.38	15.32	17.51

- Control Group (CG)
- Upper-intermediate Inferring Meaning (UIMG)
- Advanced Inferring Meaning (AIMG)

As it is illustrated in Table 5, the mean scores of the three groups on the post-test of listening comprehension, i.e. CG (M = 13.87, SD = 1.88), UIMG (M = 19.87, SD = 1.98) and AIMG (M = 18.44, SD = 2.55) are different. More specifically, both the experimental groups which underwent the treatment showed much higher scores on the listening comprehension post-test compared to the control group. However, to ensure that these descriptive statistics were significant, there should be referred to the ANOVA below. The summary of ANOVA for the three groups i.e., UIMG, AIMG, and CG on the listening comprehension ability was presented in Table 6 below.

Table 6:

ANOVA Analysis for Comparing Mean Scores in Listening Comprehension Posttest

	Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
Between Groups	2165.87	3	546.23	154.32	.000
Within Groups	456.34	42	7.64		
Total	28.43	43			

As it is illustrated in Table 6, there is a statistically significant difference at the $p < .05$ level in listening comprehension scores for groups: $F(3, 43) = 154.32$, $p = .000$. It means that using the inferring meaning technique can exert a positive influence on the upper-intermediate and advanced EFL students listening comprehension ability. Thus, the results have rejected the first null hypothesis and suggested the successful development of listening comprehension ability through the listening inferring meaning courses suitable for upper-intermediate and advanced participants. In other words, the group of EFL learners who were taught listening comprehension using listening inferring meaning courses for upper-intermediate and advanced EFL learners revealed much better performance in the listening comprehension test

compared to the learners for whom the listening test was taught merely by traditional methods without integration of any inferring meaning technique. Furthermore, to find out if the listening inferring meaning courses suitable for upper-intermediate and advanced participants have a different effect on the EFL learners' listening comprehension ability a post hoc comparison using the Scheffé test was conducted and the obtained results are presented in Table 7 below.

Table 7:

Results of Post hoc (Scheffé) Test on Listening Comprehension Post-test Scores

(I) Id	(J) Id	Mean Difference	Sig.	95% Confidence Interval	
				Lower Bound	Upper Bound
1. CG	3	- 4.9*	.000	.003	-4.007
	2	- 6.33*	.000	.003	.575
2. UIMG	1	6.33*	.000	.000	-5.920
	3	1.43	.231	.003	-.574
3. AIMG	2	-1.43	.221	.000	5.920
	1	4.9*	.000	.003	.575

As shown in Table 7, the three groups, i.e. CG, UIMG, and AIMG were significantly different in their immediate post-test score. Post-hoc comparisons using the Scheffé test indicated that the mean score for UIMG (M = 19.87, SD = 1.98); AIMG (M = 18.44, SD = 2.55) was significantly different from CG (M = 13.54, SD = 1.88). However, there was not any significant difference between the two experimental groups in terms of the obtained mean scores in the listening comprehension post-test.

4.5. Discussion and Conclusion

The first research question sought to investigate the effectiveness of inferring meaning technique on the upper-intermediate EFL learners' listening skills. The results showed that the group of EFL learners who were taught listening comprehension courses using the inferring meaning technique for upper-intermediate EFL learners

obtained significantly higher mean scores in listening comprehension compared to the group of EFL learners who did not undergo the inferring meaning technique. Therefore, it was found that inferring meaning technique could have a significant effect on upper-intermediate EFL learners/ listening comprehension.

The second research question aimed to investigate the effectiveness of inferring meaning technique on the advanced EFL learners' listening skills. The findings suggested that the mean scores of the group of EFL learners who were taught listening comprehension courses using the inferring meaning technique for advanced EFL learners (AIMG) had obtained much higher scores on the post-test of listening comprehension compared to the EFL learners who did not undergo the inferring meaning technique (CG). Furthermore, it was found that the difference between the AIMG and CG's mean scores on listening comprehension was statistically significant.

The third research question of this study is intended to explore the difference between the effects of the inferring meaning technique on the upper-intermediate and advanced EFL learners' listening skills. The findings revealed that the group of upper-intermediate EFL learners who received the inferring meaning technique (UIMG) and the advanced EFL learners who were taught using the inferring meaning technique (AIMG) were significantly different from the control group (CG) in their immediate post-test score. Post-hoc comparisons using the Scheffè test indicated that there was not any significant difference between the two experimental groups in terms of the obtained mean scores in the listening comprehension post-test. It implied that the instruction of listening through the inferring meaning courses could lead to the development of the EFL learners' listening comprehension ability regardless of participants' level of language proficiency.

This study was conducted to explore the impact of using the inferring meaning technique as a cognitive strategy on upper-intermediate EFL learners' listening skills. Furthermore, it intended to investigate the difference between the effects of the inferring meaning technique on the upper-intermediate vs. advanced EFL learners' listening skills. According to the analysis, it was concluded that the group of EFL learners who underwent listening comprehension courses based on the inferring meaning practices suitable for both upper-intermediate and advanced EFL learners could obtain much higher achievement and development in the listening

comprehension ability compared to the EFL learners who were not taught the listening courses accompanied by the inferring meaning technique and were underwent traditional teaching of listening courses. In other words, it was found that the integration of inferring meaning technique as an instructional strategy could lead to the significant development of the upper-intermediate and advanced EFL learners' listening comprehension. More specifically, the results suggested that both groups of EFL learners, i.e., upper-intermediate and advanced could take maximum advantage of the inferring meaning technique in the classroom to enhance their listening skills. Teachers can create such an environment through positive interaction, actively listening to all students, and responding openly and appropriately. Teachers should avoid responding either condescendingly or sarcastically. As much as possible, they should minimize distractions and interruptions. An emphasis on listening comprehension as well as the application of listening strategies will help students to decode English input and to achieve greater success in English learning. We must shift our listening classroom from a teacher-centered classroom to a student-based one. To improve students' listening ability, teachers should base their teaching on theoretical principles. And because of the limitations in resources and teacher training, both textbooks and teachers' books should take the responsibility of guiding teachers throughout their teaching, which should inform teachers of relevant theories, and offer suggestions on what activities should be carried out in listening classes and how to train students in various listening strategies. English listening competence is a complex skill that needs conscious development. It can be best developed with practice when students reflect on the process of listening without the threat of evaluation. Guiding students through the process of listening provides them with the knowledge from which they can complete a listening task; it also motivates them and puts them in control of their learning. By focusing on the process of listening, students can acquire a useful tool to raise their English comprehensive competence. Listening comprehension levels affect the capacity for improvement in other language skills such as speaking, reading, writing, and translating. The study suggests sound reasons for emphasizing listening comprehension, which highlights the importance of spending much more time doing it. The teacher needs to provide numerous opportunities for students to practice listening skills and to become actively engaged in the listening

process. In closing, evidence indicates that improving listening comprehension is no small task, but requires explicit and systematic instruction beyond vocabulary. Explicit instructional attention to vocabulary, syntactic and grammatical structure, inferences, characters' thoughts and emotions, and comprehension monitoring is needed. Despite emerging evidence, however, our understanding is limited about the best approaches to teaching these multiple skills to children, including children with learning disabilities, and thus, future research efforts are needed.

References

- Anderson, J. (1980). *Cognitive psychology and its implications*. New York: Freeman.
- Anderson, J. R. (1985). *The architecture of cognition*. Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Azmi, B. M., Celik, B., Yidliz, N., & Tugrul, M. C. (2014). Listening comprehension difficulties encountered by students in second language learning class. *Journal of Educational and Instructional Studies in the World*, 4(4), 1-6.
- Benson, M. J. (1994). Lecture listening from an ethnographic perspective. In J. Flowerdew (Ed.), *Academic English: Research perspectives* (pp. 181-198). Cambridge, England: Cambridge University Press.
- Bloomfield, A. et al. (2010). What makes listening difficult? Factors affecting second language listening. *Language Learning*, 7, 5- 4.
- Boyle, J. P. (1984). Factors affecting listening comprehension. *ELT Journal*, 38(1), 34-38.
- Carrier, K. (2003). Improving high school English language learners' second language listening through strategy instruction. *Bilingual Research Journal*, 27(3), 383-408.
- Chabahar Maritime University Iranian Journal of English for Academic Purposes ISSN: 2476-3187 IJEAP, (2017) vol. 6 issue. 1 (Previously Published under the title: Maritime English Journal)
- Chamot, A. (2005). Language learning strategy instruction: Current issues and research. *Annual Review of Applied Linguistics*, 25, 112-130.

- Chamot, A. U., & O'Malley, J. M. (1987). The cognitive academic language learning approach: A bridge to the mainstream. *TESOL Quarterly*, 21, 227-249. <http://dx.doi.org/10.2307/3586733>
- Chastain, K. (1971). *The development of modern language skills: Theory to practice*. Philadelphia: Center for Curriculum Development.
- Chastain, K. (1988). *Developing second language skills theory and practice*. Orlando: Florida 32887.
- Chien, C. and Wei, L. (1998). Comprehension for EFL learners in the strategy used in listening
- Cross, J. (2009). Effects of listening strategy instruction on news videotext comprehension. *Language Teaching Research*, 13, 151.
- Ellis, R. (2002). *The methodology of task-based teaching*. Retrieved May 5, 2017, from www.kansai-u.ac.jp/fl/publication/pdf_education/04/5rodellis.pdf
- Ellis, R. (2003). *Second language acquisition*. Oxford: Oxford University Press.
- Feez, S. (1998). *Text-based syllabus design*. Sydney: National Centre for English Teaching and Research.
- Field, J. (2000). Finding one's way in the fog: Listening strategies and second language learners. *Modern English Teacher*, 9, 29-34.
- Goh, C. (2002). A Cognitive Perspective on Language Learners' Listening Comprehension Problems. *System*, 28, 55-75. [http://dx.doi.org/10.1016/S0346-251X\(99\)00060-3](http://dx.doi.org/10.1016/S0346-251X(99)00060-3)
- Goh, C. (2002). Exploring listening comprehension tactics and their interaction patterns. *System*, 30, 185-206.
- Goh, C. (2006). Metacognitive instruction in listening for young learners. *ELT Journal*, 60, 222-232.
- Grabe, W. (1986). The transition from theory to practice in teaching reading. In F. Dubin, D. E. Eskey, & W. Grabe (Eds.), *Teaching second language reading for academic purposes* (pp. 25-48). Reading, MA: Addison-Wesley.
- Hasan, A. (2000). Learners' perceptions of listening comprehension problems. *Language, Culture and* <http://dx.doi.org/10.1093/elt/38.1.34>

- Keihaniyan, M. (2014). The effect of post-reading questions on vocabulary learning. *International Journal of Management and Humanity Sciences*, 3 (1), 1197-1202.
- Lee, L & Gundersen, E. (2000). *Select reading*. Canada, Oxford University Press.
- Maxine, H. & Keene, M. (2003). *Successful writing* (5th ed). New York: Norton.
- Morris, A. & Stewart-Dore, N. (1990). *Learning to learn from the text: Effective reading in the content areas*. North Ryde, NSW: Addison-Wesley.
- Nunan, D. (1999). *Second language teaching and learning*. Boston: Newbury House Publication.
- Nunan, D. (2006). *Second language teaching and learning*. Massachusetts 02116 U.S.A.: Heinle & Heinle Publisher.
- O'Malley, J. M., & Chamot, A. U. (1990). *Learning Strategies in Second Language Acquisition*. Cambridge: Cambridge University Press.
<http://dx.doi.org/10.1017/CBO9781139524490>
- O'Malley, J. M., Chamot, A. U., & Kupper, L. (1989). Listening comprehension strategies in second language acquisition. *Applied Linguistics*, 29, 331-341.
<http://dx.doi.org/10.1093/applin/10.4.418>
- Richards, J. C. & Rodgers, T. L. (2001). *Approaches and methods in language teaching* (2nd Ed.). Cambridge: Cambridge University Press.
- Richards, J. C., & Renandya, W. A. (Eds.). (2002). *Methodology in language teaching: An anthology of current practice*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Richards, J.C. & Schmidt, R. (2002). *Longman dictionary of language teaching and applied linguistics*. Third Edition. London: Pearson Education.
- Rooney, K. (2000). Redesigning non-task-based materials to fit a task-based framework. *The Internet TESOL Journal*, 6(12), 1-15. Retrieved April 12, 2015, from www.iteslj.org/html
- Rost, M. (2001). Listening. In R. Carter, & D. Nunan (Eds.), *The Cambridge guide to teaching English to speakers of other languages* (pp. 7-13). Cambridge: Cambridge University Press.
<http://dx.doi.org/10.1017/CBO9780511667206.002>
- Rost, M. (2002). *Teaching and researching listening*. London: Longman.

- Seferoglu, G., & Uzakgoren, S. (2004). Equipping learners with listening strategies in English language classes. Hacettepe University Faculty of Educational Journal, 27, 223-231.
- Skehan, P. (1998). A cognitive approach to language learning. Oxford: Oxford University Press.
- Thanabalan, V. (2013). The potential of Twitter in post-reading activities among community college students in Malaysia. 13th International Educational Technology Conference, Kuala Lumpur, MALAYSIA.
- Underwood, M. (1989). Teaching listening. London: Longman.
- Vandergrift, L. (1997). The comprehension strategies of second language (French) listeners: A descriptive study. Foreign Language Annuals, 30(3), 387-409. <http://dx.doi.org/10.1111/j.1944-9720.1997.tb02362.x>
- Vandergrift, L. (1999). Facilitating second language listening comprehension: Acquiring successful strategies. ELT Journal, 53(3), 168-176. <http://dx.doi.org/10.1093/elt/53.3.168>
- Vandergrift, L. (2003). Orchestrating strategy use: Towards a model of the skilled L2 listener. Language Learning, 53, 461-491. <http://dx.doi.org/10.1111/1467-9922.00232>
- Vandergrift, L. (2004). Listening to learn or learning to listen? In Cambridge University Press (Ed.), Annual Review of Applied Linguistics (pp. 3-25) Cambridge University Press, USA. <http://dx.doi.org/10.1017/S0267190504000017>
- Vandergrift, L. (2007). Recent development in second language listening comprehension research.
- Vandergrift, L., Goh, C., Mareschal, C., & Tafaghodtari, M. (2006). The metacognitive awareness listening questionnaire (MALQ): Development and validation. Language Learning, 56, 431-462. <http://dx.doi.org/10.1111/j.1467-9922.2006.00373.x>
- Wahjudi, A. (2010). Interactive post-reading activities that work. BAHASA DAN SENI Universitas Negeri Malang Tahun, 38 (1), 84-92.

التواصل والتشويش في كتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)

أ.م.د. واثق حسن مجهول الحسناوي

جامعة المثنى / كلية الآداب

المقدمة

لاشك إن التراث العربي زاخرٌ بالكثير من العلوم والفنون والنظريات التي لم يكشف عنها بعد، لعدّة أسباب منها، سعة التراث وشموليته، وكثرة المؤلفات وتداخل العلوم والنظريات الى درجة تدعو الى الاستغراب والاغراق في كثير منها، ما يدعونا الى التأمل فيها ورصد حركتها وحفر طبقاتها، لتداخلها او لغموضها مل يصعب الكشف عنها بسهولة، لذلك كانت من حصّة المستشرقين الاجانب؛ لخبرتهم في مجال البحث والتنقيب والتقصي والمطالعة والمطالعة، على الرغم من الاشكالات والمتاهات التي دخلوا فيها .

وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، احد الكتب التراثية القيمة والمهمة، التي وقف عندها الكثير من الباحثين القدامى والمحدثين العرب والمسلمين والاجانب، كون الجاحظ عالما موسوعيا ألف عدّة مؤلفات في مختلف المجالات. ونظرا لكثرة ما وجدناه من دراسات في هذا الكتاب، لمسنا وجود جذور الكثير من النظريات والعلوم في هذا التراث الموسوعي العظيم، والتي لها اثرها الواضح في بعض النظريات النقدية الحديثة، التي تقارب ما طرحه الجاحظ منذ قرون، ومنها نظرية التواصل والتشويش (القطع)، والتي لمسنا تركيز الجاحظ عليها بشكل لافت للنظر، حينما يذكر ويستشهد ويحلل ويعلل اقوال الكثير من البلاغيين او اللغويين او المتكلمين حول هذه النظرية، وان كان في خلال اقوالهم وذكرهم لها بشكل متداخل، في حوارهم او حديثهم عن البلاغة. وعلى الرغم من عدم ايضاح هذه النظرية بالشكل الذي ذكره اللساني (جاكسون)، الا ان ذلك لا يعني اغفال نصب السبق للقدماء الذين اسسوا لملامح النظريات النقدية الحديثة، كابن المعتز والجاحظ والعتابي وابن جني والجرجاني والقرطاجني وغيرهم؛ كونهم كثيرا ما يركزون على المرسل/الخطيب، من حيث لغته وحركة جسمه وفهمه وثقافته ومقامه وسياق كلامه ووجوده. وكذلك الحال بالنسبة للمتلقي/المستمع. وعلى الرغم من تركيزهم على عملية المحسّنات اللفظية والجسدية والافهامية؛ لغرض الايضاح أو اخضاع المستمع الى المتكلم . حتى اخذ عليهم اغفال عناصر مهمة من عملية التواصل، واهمها عنصر المرسل اليه /المتلقي/المستمع والسياق، لذلك ظهرت هذه العناصر كنظريات جديدة تطرح نفسها على الساحة النقدية الحديثة، مستغلة هفوات او غفلات القدماء لتؤسس الى نظريات أكثر دقة ووضوحا مبتعدة عن التأليف الشمولي المتداخل غير واضح المعالم والتخصص، كالنظرية البنوية والتفكيكية او السيميائية او نظرية القراءة او التلقي والنظرية السياقة، والبلاغة الجديدة والنقد الثقافي غير ذلك. ومن هذا المنطلق حاولنا النقاط بعض مما ذكر من عناصر تواصل وتشويش في كتاب البيان والتبيين وادخالها في مختبر التشريح والتفكيك، وصولا

الى اعادة الصياغة والتنظيم والترتيب في خلال الاتجاه السيميائي، ثم التأصيل واطهارها كنظرية قارة منذ القدم بعنوان (التواصل والتشويش). وقد جاء البحث على محورين : الاول، التعريف بالجاحظ وكتاب البيان والتبيين وبعض المصطلحات الاجرائية، والثاني تحليل وتطبيق لما جاء من اقوال تُعنى بالتواصل والتشويش في الكتاب . ثم الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع .

المحور الاول : الاجرائي والاصطلاحي :

التواصل (لغة) :

التَّوَصَّل (لغةً) : (الواو والصاد واللام اصل واحد يدل على شي إلى شيء حتى يعلقه، ووصلته به وصلا ، والوصل ضد المجران). (١) و(وصل) اليه يصل (وصولاً) أي بلغ و(وصل) بمعنى (أتصل) ..وبينهما (وصلة) أي اتصال وذريعة. وكل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلة والجمع (وصل)....و(توصل) اليه أي تطف في الوصول اليه. و(التواصل) ضد التصارم. و(وصله توصيلاً) و(وصالاً) اذا اكثر من الوصل. و(واصله مواصلة) و(وصالاً) ومنه (المواصلة) في الصوم وغيره). (٢)

التواصل (اصطلاحاً): نشاط اجتماعي يتم بين طرفين أو أكثر، ويكون منظماً حسب مقتضيات اللغة المستعملة فيه، وذلك لتنسيق علاقات الناس ويهدف التواصل . (٣) و يعني استمرار العلاقة المتينة بين طرفي العلاقة التواصلية التشاركية (المرسل والمرسل إليه) (٤) ويعني كذلك ، انفتاح الذات على الآخر، في علاقة حيّة لا تنقطع وتعود من جديد، تقوم بين طرفين كلّ منهما يمثل ذات أو فكرة معيّنة ، لبناء علاقة تشاركيه تعاونية تفاعلية بينهما، وقد يكون طرفا التواصل أفراداً أو جماعات أو شعوب ودول لتحقيق المنفعة العامة .(٥) ويعني كذلك تبادل كلامي، بين ذات متكلمة تتبع ملفوظاً موجهها إلى ذات متلقية أخرى، ترغب بالاستماع أو التلقي أو التعاطي مع المرسل بحسب أهداف ومضامين الرسالة، وأدوات المرسل والظروف المحيطة بكلّ ذلك. (٦) والتواصل ميكانيزم، بواسطته توجد العلاقات الانسانية، وتتطور ويتضمن رموزاً ذهنية، ووسائل تبليغية عبر مجال معين، وتعزيزها في الزمان ، ويشمل كذلك تعابير الوجه، وهيئات الجسم ونبرة الصوت، والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات، والتلغراف والتلفونات، وكلّ ما يشمله آخر ما تم اكتشافه في الزمان والمكان . وقد يكون التواصل ذاتياً شخصياً أو تواصلاً غيرياً، وقد يبني على الموافقة أو المعارضة والاختلاف، ويعتمد على المرسل والرسالة والمستقبل، والسياق المرجعي ومقصديه الرسالة، بوصفها نقلاً إخبارياً أو إعلامياً. (٧) وقد شكّل مصطلح التواصل غموضاً وتداخلاً مع مصطلحات او مجالات أخرى؛ لتعدد الرؤى والاتجاهات الفكرية أو بسبب الترجمة ، حيث كانّ التواصل موضع اهتمام علماء اللغة، و علم النفس والعلوم الإنسانية

والاجتماعية، والتداولية، والسيمائية، وكان العالم "نوربرت فينر" (*). أول من قام بتحديد السيرورة، التي يمكن من خلالها التحكم في أشكال التواصل وتوجيهه. وعدّ مخطط (كلود شانون). (*) من أهم الأسس التي بنيت عليها "نظرية التواصل" الحديثة. وقد مهّد اللساني "جاكسون" للعوامل المكوّنة لكلّ صيرورة لسانية، ولكلّ فعل تواصلية لفظي، وهي (المرسل، والرّسالة، والمقام، والسّين، والمرسل إليه)، (٨) وادّفعها بتوضيح للتوظيف التواصلي، خاصة بكل عنصر من عناصر عملية التواصل الستة، والتي لها اثرها الكبير في عملية وآلية التواصلي، (٩) ومن انواع التواصل اللغوي بحسب ما نرى: لفظي/ كتابي (فردية، جماعية)، وغير لغوي (لغة جسد، البسة وازياء وموضا والوان، اطعمة، واشربة، عطور، اكسسوارات، ظواهر طبيعية، موسيقى العاب اعلام رموز علامات اشكال هندسية ارقام، تشكيلات رياضية ..). والتشويش (لغة): تعددت دلالات التشويش في معاجم اللغة العربية منها، ((الليث: الوشوش الخفيف من النعام، وناقاة وشواشة، ومزاقاة شوشاء ممدود.. اما التشويش فقال ابو منصور: انه لا اصل لها في العربية وانه من كلام المولدين، واصله التشويش، وهو التخليط وقد تشوش عليه الامر)). (١٠) و((ش و ش (التشويش) التخليط وقد تشوش عليه الامر)). (١١)

التشويش (اصطلاحاً):

التشويش هو، ((كل ما يحول دون نقل الخبر الادبي وغيره بشكل طبيعي ..ويمكن ل(التشويش) ان يكون بمعناه العادي كلمة غير مقروءة او بموضوع يحول دون ظهور الخبر ..ويتدخل (التشويش) في كل لحظة من لحظات نقل الخبر وعمليات كشف الكود ..وتعويض الاثر السلبي ل(التشويش) يقوم التكرار بضمان فعالية التواصل)). (١٢) والتشويش ايضا كل ما يعيق عملية التواصل بين المرسل والمرسل اليه، بهدف الاعاقاة ويقصد التوقف او خلق ثغرات تربك المرسل، لغايات شخصية وبدوافع غريزية كالغيرة او الانتقام او الانتقاص او السخرية او اضعاف المرسل او قد يكون غير متعمد

(*) الذي يُنسب إليه علم السيرنطيقا... ومُنح مفهوم الإرجاع بعدا كونيا يصدق على كل الظواهر الطبيعية منها والاجتماعية... وعلى هذا الأساس، فإن السيرنطيقا ستكون "جهازا علميا للغاية منه التحكم في "آليات التواصل" كما تتحقق عند الآلة، وعند الحيوان. والمثال الصريح على فكرة الإرجاع، هو ما تقدمه حالة التواصل الإشهاري. فمن أجل التحكم في السلوك الشرائي الاستقبالي للمستهلك وتوجيهه يجب جمع أكبر عدد من المعلومات الخاصة بوضعه الحالي: ما يتعلق بوجوده ووضعه المادي (القدرة الشرائية) وميولاته الذوقية، وكذا معتقداته الدينية والأسطورية، وكل ما يسهم في تحديد "هوية شرائية" من خلالها يتحدد الفرد ويمارس مجمل نشاطاته. (مجلة علامات: استراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماءة: سعيد بنكراد: العدد/ ٢١ : ٧-٨).

(*) وهو مهندس أمريكي كان يعمل في ميدان الاتصالات الهاتفية خطاطة جديدة تختصر من خلال خاناتها ونمط اشتغالها العملية التواصلية برمتها. ولقد كانت الغاية من هذه الخطاطة هي تحسين مردودية الاتصالات الصوتية التي تتم عن بعد بجميع أشكالها من خلال التقليص من حجم الضياع الذي يشوش على الإرسالية ويتلف الكم المعلوماتي الذي تتضمنه الإرسالية المبتوثة. (المصدر نفسه: ٨).

بسبب الجهل أو قلة المعرفة أو عدم الأهلية . وغالبا ما تكون في الخطب أو الأشعار أو الكتب أو التجمعات العامة أو الخاصة التي يقوم بها بعض الافراد أو مجموعة من الافراد / المتلقين ، بالتشويش الى المصدر أو المرسل أو الباث لغاية ما . تعيق عملية البث أو الارسل أو التواصل . كالذي يحدث في البرلمان أو النقابات أو اللقاءات والمؤتمرات السياسية المحلية أو الدولية تؤدي الى تعرية أو اضعاف أو دحض أو ارباك الخصم، ومنها ما يحدث من بعض الجماعات في جماهير الفرق الرياضية، إذ تسعى للتشويش على فريق الخصم أو أحد لاعبيه لإعاقة خلال اللعب والذي تم تناوله من قبلنا في كتاب بلاغة خطاب الالتراس . وكذلك الحال بالنسبة للتظاهرات الصفراء التي تشوش على أداء الحكومة لإسقاطها وليس بدافع الحرص على طبقات الشعب المهتمشة . وهو الحال بالنسبة للتشويش التعليمي، إذا يسعى طالب أو بعض الطلبة الى ممارسة عملية التشويش على المعلم أو الاستاذ بهدف اثارته أو السخرية منه أو اضعاف شخصيته . وهو الحال ذاته بالنسبة للمحاكم إذ يسعى المتهم أو المحامي الى ممارسة التشويش والتظليل على القضاء . والتظليل هو جزء من التشويش كونه يخفي جزء من الحقيقية ويظهر جزء اخر بعيد عنها بهدف التشويش أو التشويه . وهذا الاسلوب كثير ما نستخدمه في حياتنا اليومية مع الاسرة أو في العمل، بدافع الحفاظ على وجودنا المادي أو المعنوي . ومن وسائل التشويش اطلاق الكلام المتداخل المكرر أو غير المفهوم أو اطلاق الصوت العالي أو ممارسة بعض الحركات الشاذة أو الساخرة أو الادعاء الكاذب وغير ذلك . وكذلك الحُجب أو الاخفاء جزء من التشويش، إذ يسعى المتلقي الى حجب نفسه أو اخفاء جزء من اعضائه، لغرض التشويش البصري والذهني على المرسل . ويعالج التشويش أو يعوض بالتكرار والتأكيد والايضاح بمختلف الوسائل والطرائق الممكنة، كأن يعيد الاستاذ الجامعي المحاضرة أكثر من مرة أو يجري المعلم أكثر من اختبار (امتحان) أو يطلب من التلاميذ ترديد وتكرار الاحرف أو المفردات أو الجمل المهمة أو غير المفهومة لديهم، وكذلك الحال بالنسبة لأي محاضر أو ربّ عمل أو اسرة أو حزب أو .. فجميعهم يلجؤون الى وسيلة التكرار والايضاح، لغرض الفهم . بخلاف المرسل المغالط الذي يبحث عن ثغرات ووسائل، لإعاقة فهم المتلقي لأغراض خاصة . كلاعب كرة القدم الذي يشوش على الحكم بافتعال حركات مصطنعة ، والطالب المشاكس الذي يشوش على زملائه أو معلمه في الصف ، والموظف الذي يشوش بالاحتتيال على مديره باختلاق اعداء واهي أو يظهر خلاف ما يبطن له من مشاعر كره حينما يجلس مع زملائه من الموظفين، والنفاق الاجتماعي والكذب والسخرية والتدليس والتلبيس والاختباء . جميعها وسائل للتشويش، لأنها لم تكن صادقة أو واضحة ، كونها سلوكيات اجتماعية مغالطة لا اخلاقية . وقد تكون معوقات التشويش عضوية أو ذهنية كنقص الادراك أو قلة السمع أو ضعف البصر أو عدم تناسب العمر كصغر سن الاطفال أو كبر العجزة .. وقد تكون عوائق تقانية مثلا ارتفاع مستوى المذياع أو التلفاز أو الموسيقى أو ضعف أو قوة الاضاءة أو

محدودية الحركة ونوع الوضع الذي يتخذه المتلقي، فجميع هذه المعوقات الطبيعية وغير الطبيعية، تؤثر سلبا على علمية التواصل لتشويشها على المتلقي . وهكذا دواليك .

الملاحظ :

هو امام الادب ((ابو عثمان عمر الجاحظ بن بحر بن محبوب الكناني البصري، ولد حوالي سنة ١٦٠هـ بمدينة البصرة . ونشأ بها فتناول كل فن، ومارس كل علم، عُرف في زمانه بما وضع في الاسلام أو نُقل عن الامم الاوائل، فأصبح له مشاركة في كل ما يقع عليه الحس او يخطر بالبال. فهو راوية متكلم فيلسوف كاتب مصنف مُترسّل شاعر مؤرخ، عالم بالحيوان والنبات والموت، وصّاف لأحوال الناس ووجه معاشهم واضطرابهم واخلاقهم وحيلهم -.. وكان كثير الانتجاع للخلفاء ببغداد وسرّ من رأى، حتى فُلج بالبصرة بقي مفلوجا بما مدّة الى ان انتقل الى بغداد، فمات بها، ودفن بمقبرة الخيزران (ام الرشيد) سنة ٢٥٥ هـ وله اكثر من مائتي كتاب)).(١٣)

المحور الثاني : التحليلي

يذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين: (أن تخيير ابيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته كانه يقول : فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد، وخطبة الصلح وخطبة التواهب ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه ؛فانه لا خير في كلام لا يدل على معنك، ولا يشير الى مغزك ، والى العمود الذي اليه قصدت، والغرض الذي اليه نزعتم). اذ يشير-هنا- الى عوامل التشويش، التي تقطع التواصل على المتلقي ، فيؤكد على ضرورة التمكّن من حسن الابتداء، واختيار مطالع تدلّ على المخارج أي، ان الصدر يدلّ ويشير ويومئ الى العجز قبل الوصول اليه والوقوف على مشارفه، كأنه يقول : عليك ان تشرك المتلقي في استكشاف واستذواق وتحسس رسالتك واسلوبك عن بعد من دون ان يكمل قراءة الرسالة، يعلم منها ما تريد أي تجعل المتلقي يعيش حالتك ويفكر معك، ويستنتج نهاية رسالتك. كذلك فيه اشارة الى الوحدة الموضوعية والعضوية، التي تجعل من العمل الادبي متماسكا محبوبا متواصلا غير منقطع او مشوش، وتفرض على المتلقي شاعريته وجماليته واقناعيته ، لغرض التواصل مع المتلقي او المستمع واقناعه ،أي يوصي المرسل أن يختار ما لَدّ وطاب ولطّف وظرف وحسن وشرف من اللغة و الالفاظ والمعاني والفنون البلاغية ؛ لتدعيم عملية الدخول والاستهلال والتواصل .مؤكدًا على ان تباعد وهجرة المعاني لألفاظها، قد يؤدي الى قطع التواصل والفهم والادراك لدى المتلقي. فاستعمال الحوشي او السوقي او المستهجن او المستوحش من الالفاظ، قد يؤدي الى سوء الفهم او عدم الاستئناس ولإيناس والنفور والهجران والجفاء من قبل المتلقي، وبالتالي يصعب التواصل معهم . لذلك يوصي بحسن الابتداء ليكون المدخل مثار تشويق وتحفيز واستئناس واستببان بالنسبة للمتلقين . وقوله: (قال. فقيل: فإن من السامع الاطالة التي ذكرت أنّها حق ذلك الموقف؟ قال: اذا اعطيت كلّ مقام حقّه، وقيمت

بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وارضيت من يعرف حقوق الكلام ، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو، فإنه لا يرضيهما شيء) .

وهنا يجدر المرسل من المتلقي السلبي (المشوش)، إذ يُوصي المرسل المتكلم بأن يُعطي النظم حقه في المقام والنفس والسياسة، أي إنه يركز ويشدد على ضرورة وضع الكلام في موقعه الصحيح ضمن عملية النظم أي، مراعاة المقامات والسياقات والسياسات والحقوق، والمقام هنا يعني لديه اما مقام النظم أي وضع الكلمات في سياقها الصحيح ضمن الجمل وكذلك العبارات، او مراعاة مقامات الكلام من حيث المناسبة كأن تكون مناسبة فرح او حزن ، فعليه ان يختار الرسائل التي تناسب مقام المناسبة وسياق الكلام الداخلي والخارجي معا، وان يكون حذرا في التعامل مع الرسائل، كوتها ربما تسبب له مشاكل كبيرة كالتشويش غير المتعمد مثلا، قد تؤدي الى قطع الرأس او السجن او النفي او الاقصاء والحرمات فكمن الشعراء من قتلهم شعرهم بسبب التشويش الذي ادى الى قطع التواصل ما بين المرسل/ الشاعر والمرسل اليه / خليفة او ملك او عدو او حاسد ..، لذلك يقول إن اعددت واكملت ذلك، فلا تهتم لما قاله حاسد او عدو يوقعك في مأزق او موقف لا تحسد عليه، أي في اشارة الى وجود متلق آخر سلبي وهو المتلقي الحاسد (المشوش) ، الذي لا يرى الا بعين واحدة، كما يشاء هو ولا يروم الا الهدم، وهو لا يضير - بحسب وجهة نظر ابن المقفع- ان اجدت صنع طبقك وتمكنت من صنعك وحفظت حقاك في وضع الكلام في موضعه، فذلك سيرد كيده الى نحره بالتأكيد لما تكون واثقا من حفظك لحق المقام والسياق ، لذلك يقول انهما لا يرضيهما شيء أي ان التواصل معهما مقطوع (مشوش) كونهما كمتلقين غير مستعدين لتلقي الرسالة والتواصل معها والافتناع بها مسبقا. وقوله : (وأما الجاهل فلست منه وليس منك). اشارة أخرى الى المتلقي السلبي (المشوش)، الى متلقٍ اخر جامد مُغلق ثابت لا يريد او يرغب بالتواصل مسبقا؛ كونه ليس لديه وسائل ومجسات ادراكية افهامية ومصادر ثقافية تؤهله للتواصل الفعال ، لاستيعاب فحوى ومضمون وجوهر الرسالة لعقم فكري عقلي او عصبي، اذ كثيرا ما نجد حتى على مستويات ادارية او علمية في المؤسسات الحكومية، اذ تدفع النرجسية والانوية والشخصنة والدوغمائية بهم الى ممارسة اسلوب القهر والاقصاء على المرسلين بسبب جهلهم او تعصبهم او انويتهم ، لذلك ينصح بالابتعاد عن هكذا اناس جهلة لايفقهون ما تصنع من ابداع فكري او ادبي او انساني او فني يخدم الانسانية جمعاء لأن الدخول معهم في سجالات نتائجها وخيمة وعقيمة. فكمن من جاهلٍ قاد حروبا عبثة ودموية دون ان يكثرث؟! وكمن من حروب شنت بسبب العصبية القبلية او الدينية او القومية مخالفة للعقل والمنطق والشرع؟! وكمن من الموظفين الذين تم اقصاؤهم دون ذنب او حجة قانونية؟! فهؤلاء لا يمكن التواصل معهم لغويا او ادبيا او اجتماعيا لجهلهم . وقوله: (ورضا جميع الناس شيء لا تناله)..(١٤) هنا يشير على تنوع المستويات الطبقيّة والادراكية والعمرية والثقافية للمتلقين قد يؤدي الى قطع التواصل معهم اذا كانت هناك معوقات تؤدي الى التشويش ثم التقاطع وعدم التواصل الفعال معهم لعدم رضاهم عما تفعله، وهذه الفئات او الطبقات او المجموعات لا يمكن اقناعها جميعها، لوجود اختلاف او خلاف كبير فيما بينها في مختلف المجالات، ولذلك ينصح

بالتركيز على المتلقين الاقرب فكريا او أكثر فهما وتواصلًا، يؤكد على إنَّ عملية اقناع الناس والتواصل معهم جميعًا شبه مستحيلة، كون الناس مختلفي الافكار والمذاهب والملل والطبقات والثقافات ... وكذلك لابتعاد موضوع الرسالة عن ميولهم الشخصية، فحدث القطع المسبق للتواصل معها فقال: (وقد كان يقال: "رضا الناس شيء لا ينال) أي لاختلاف مرجعياتهم الثقافية والسياقية والمقامية ومستويات ادراكهم وفهمهم واعمارهم وطبقاتهم. وهذا نوع اخر من (التشويش)، وهو الجهل وعدم الفهم .

ومن جميل وبديع ما ذكر "الجاحظ" -ايضا- عن التواصل ومعناه ومواضعه، في كتابه "البيان والتبيين"، عن سُنَّة خطبة التَّكاح، اذ يقول: (الا ترى أن قيس بن خارجة بن سنان، لما ضرب بصفحة سيفه مؤخرة راحلي الحاملين في شأن حمالة داحس والغبراء، وقال: مالي فيها أيها العثمان؟ قال له: بل ما عندك؟ قال: عندي قري كل نازل، ورضا كل ساخط، وخطبة من لدن تطلع الشمس الى أن تغرب، أمرُ فيها بالتواصل، وانهى فيها عن التقاطع، قالوا: فخطب يوما الى الليل فما اعد فيها كلمة ولا معنى فقبل لابي يعقوب: هلا اكتفى بالأمر بالتواصل عن النهي بالتقاطع؟ اليس الامر بالصلة هو النهي عن القطيعة؟ قال: او ما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الافصاح والكشف). (١٥)

فمن انصح و اروع ما ذكر في التواصل -هنا- قول قيس بن خارجة هذا، اذا اجاب حينما سُئل عما يجعبته فقال: (عندي قري كل نازل) وهو نوع من التواصل الاجتماعي من خلال تقديم الطعام للضيف، وضيافته بأفضل ما يمكن، فهو تواصل غير (لغوي) اجتماعي حميمي ودِّي انساني من خلال الغذاء والمكان والايواء والالفة وجميعها عناصر سياقية تشجع على التواصل الايجابي الفعال، وقال: (ورضا كل ساخط) أي ان لديه طريقة في التواصل الاجتماعي، تجعل الساخط عليه او على غيره يرضا عنه او عن غيره وهو تواصل ايضا، في اشارة سيميائية كناية؛ لاستطاعته ان يوفق بين المتخاصمين في حرب داحس والغبراء ودعوتهم للصلح. فهي رسالة اشتهارية تواصلية سيميائية من قبل المرسل الى المتلقي، بان لديه مختلف الادوات والعدد والوسائل، لإقناع الخصم، واجباره للعدول عن فعله او غيه و اغضبه، فاستخدم المرسل خطابا حجاجيا اشتهاريا تداوليا اقناعيا لاستمالة المتلقي وافحامه. ثم قال: (وخطبة من لدن تطلع الشمس الى أن تغرب، أمرُ فيها بالتواصل وانهى فيها عن التقاطع ..) ومن ضمن آليات وادوات التواصل لديه -ايضا- خطبة طويلة طولها من شروق الشمس الى غروبها في وصف زماني راقٍ واشهار اعلامي بالمقدرة والتمكن والتحكم، وتعبير بلاغي جمالي ارقى، واثبات قدرة وامكانية عظيمة من قبل المرسل كحجج لإقناع المتلقي وافحامه، عبر هذا التواصل اللغوي (الشفهي). وذكر إن الغاية من الخطبة (الرسالة) هي التواصل، والنهي عن التقاطع، لأنه تيقن إنَّ السبب في عدم حل المنازعات بسبب عدم وجود رغبة حقيقية للتواصل، ورفض الاطراف للجلوس والحوار والافهام والاقناع، لوجود حواجز وموانع تشويشية كالعصبية القبلية. وحينما سُئل لماذا لم يكتب بالتواصل دون النهي بقولهم: (هلا اكتفى بالأمر بالتواصل عن النهي بالتقاطع؟ اليس الامر بالصلة هو النهي عن القطيعة؟ قال: او ما علمت أن الكناية

فسادها، ما فسح المجال للمتلقي الشرود ذهنيا وربما مكانيا. وعدّ ذلك عيا أي عجزا وحصرًا وضعفا وفسادا. اشبه بالمعلم الذي يعاني من عاهات نطقية أو سمعية تؤدي إلى عدم السيطرة على طلابه، بسبب عدم استطاعته اقناعهم أو افهامهم بالطريقة أو الصورة، التي تجعلهم ينصاعون ويذعنون إليه، ويقنعون بما يطرحه أو يفهمونه، وصولا للتواصل الحقيقي .

وعن وضع الكلام في موضعه الصحيح بالنسبة للمتكلم وعدم استغلال المخاطب لغرض اقناعه والتواصل معه ، ذكر الجاحظ تأويل قول عمر بن الخطاب " ما يتصدني كلام كما تتصدني خطبة النكاح " ،(١٩) قال : (وقد ذهب ذاهبون إلى ان تأويل قول عمر، يرجع إلى ان الخطيب لا يجد بدّ من تركية الخاطب ، فلعله كره ان يمدحه بما ليس فيه ، فيكون قد قال زورا وغرّ القوم بصاحبه . ولعمري ان هذا التأويل ليجوز اذا كان الخطيب موقفا على الخطابة) .(٢٠) اظن إنّ المراد من قول عمر بن الخطاب، بقوله (يتصدني) ، أي يتكلّفني ويشقى عليّ كلامُ خطبة النكاح، لما فيه من شروط وفنون ومهارات فقهية اعلامية اشهارية حجاجية ، قد تكون سفسطائية مغالطة، الغرض منها هو الاقناع السفسطائي ليس الا؛ لذلك يشقى عليه ان يرى هكذا امور في عقد النكاح من كسر للذوات لصالح الارادات القهرية لما يحصل فيها من تشويش واضح من قبل بعض الخطباء او الشيوخ او رجال الدين من محاولان اعلامية اشهارية مغالطة الغرض منها هو اقناع كلا الزوجين بالآخر بما ليس فيهم وهنا يتحول هذا التواصل الاجتماعي إلى تشويش اعلامي وحجاج سفسطائي يقطع التواصل بين الزوجين في المستقبل بسبب هذا التضليل. وذكر جمهورية الصوت عند العباس بن عبد المطلب ، كنوع من انواع التواصل والتأثير والاقناع ، فقال : (وقد كان العباس بن عبد المطلب [جهيرا]

جهير الصوت . وقد مُدح بذلك؛ وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حنين ، حين ذهب الناس عن رسول الله ﷺ ، فنادى العباس : يا أصحاب سورة البقر ، هذا رسول الله . فترجع القوم ، وانزل الله عزّ وجلّ النصر واتى بالفتح) . (٢١) يشيرُ هنا إلى إن جهارة صوت العباس بن عبد المطلب - كلغة جسد ومركب لغوي ايضا - نوع من انواع التواصل اللغوشاري، لها دور في عملية التواصل لما لها من وسيلة تأثير واقناع جيدة مستشهدا بيوم حنين . فقد كان الشعر الجاهلي، نشيدا في أول ظهوره، (بسبب من المرحلة الشفاهية ، أي معنى غير مكتوب كان الانسجام الصوتي الممتد والمنسق عبر الزمن عند النطق هو ما يشكل مقوم الشعريّة المبرز ، وهذا الامر أدى إلى خلق حالة من التوافق والانسجام العميقين بين قيم الشعر الصوتية ومحتواه الانفعالي العاطفي حتّى صار الأمر إلى الصلة العضوية بين الشعر والغناء عند العرب) .(٢٢) لذلك يرى "جورج ميد": (أنّ الإنسان يحتاج إلى ما يثيره ، كالعطر أو الضوء أو الصوت... ومن بين المثيرات للانتباه هي اللغة... لأنها تعطينا معلومات عن طريق الصوت أو الصورة). (٢٣) فكلمًا كان عامل الإثارة للانتباه قويًا ، كان التأثير في المتلقي أشد وأقوى. وبهذا يعد الصوت عنصرا مهما من عناصر التواصل

الاجبائي والفعال بين المرسل والمتلقي وكذلك يسهم في الاقناع ويسر الفهم وتقبل الافكار . حتى انه يدخل في مجال ما اسميناه ب(الاشهار التواصلي الصوتي) الذي يوظفه المجددون والمرتلون والمغنون والشعراء، لغرض التأثير في المتلقين واستمالتهم، عبر نبرات اصواتهم وتنغيمها موسيقيا يجعل منها اشبه بمقطوعات موسيقي تستميل نفوسهم وتجذب اذواقهم . وهو نوع اخر من انواع التواصل الاجتماعي (لغوشاري) لاشترك اللفظ مع لغة الجسد في حينه .

التشويش في التواصل اللغوي/ الكتابي (التشفير الرمزي) :

وحول التكلّف في الكتابة وصعوبة التواصل - بسبب التشويش - مع المستمع او المخاطب، ذكر الجاحظ وصايا بشر بن المعتمر للمتكمم ، اذ قال بشر : (فإن ابتليت بأن تتكلف القول ، وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطبع في اول وهلة، وتعاصى عليك بعد احالة الفكرة ، فلا تعجل ولا تضجر، ودعه بياض يومك وسواد ليلك ، وعواده عند نشاطك وفراغ بالك ؛ فإنك لا تعدم الاجابة والمواناة ، إن كانت هناك طبيعة ، أو جريت من الصناعة على عرق ، فإن تمنّع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ، ومن غير طول اهمال ، فالمنزلة الثالثة ان تتحول من هذه الصناعة الى اشهى الصناعات اليك ، واخفها عليك ، فإنك لم تشتهه ولم تنازع اليه الا وبينكما نسب ، والشئ لا يحنّ الا الى ما يشاكله ، وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات ؛ لان النفوس لا تجود بمكنوناتها مع الرغبة ، ولا تسمح بمحزونها مع الرهبة ، كما تجود به مع الشهوة والحبّة) . (٢٤) يرى ابن بشر إن التشويش الذي يصيب الكاتب (عنصر مهم من عناصر التواصل التي حددها جاكبسون) خلال الكتابة ، ويمنعه من التواصل الكتابي، ويجعله يتخذ الطريق الوعر في التكلّف والصنعة والعسر... عليك ان تختار اقرب فنون الصناعة (الكتابة اليك) ، واشهاها واخفها ثقلا وتكلفا عليك ، بدافع النسب الذي يدفعك اليها لوجود المشابهة والمشاكلة بعيدا عن الرهبة والرغبة ، وبدافع الشهوة والحبّة . كمن يقبل على طعام بدافع الاشتهاء، لا بدافع سدّ الجوع فقط . وهذا يقودنا الى احد اهم عناصر وركائز التواصل، وهو عنصر الرغبة بين المرسل والمرسل اليه ، فان لم تكن هناك رغبة وتوافق وتفاهم واستعداد بين الطرفين، فلا يمكن ان تستمر عملية التواصل كما هول الحال بالنسبة للطالب الجامعي الذي يفترّ بذهنه او خياله او ربّما حتى جسده من الاستاذ، حينما تكون المحاضرة مُكثّرة مُسهبة مُملة مُكررة او بعيدة عن صلب الموضوع ، او يكون في اسلوب المرسل خلل او عطب او عي او عطل او فحش ، او غير متمكن ان مصادر معرفته وضعف علميته . وكذلك الحال بالنسبة للكاتب غير المقتدر، سيعاني من عدم التواصل اللغوي الكتابي في بادئ الامر، لتعرضه الى عدّة صعوبات تجعله يلي عنق النص او يخرمه او يثلمه او يشتمه .. وبالتالي يصطدم بالتشويش الذي يرافقه طيلة فترة الكتابة مالم يختار الوقت والمكان والموضوع والفن والسياق واللفظ والمعنى والنظم المناسب . والغريب في ذلك ان كثير من الهواة والمتدوقين

يسألنا: كيف نصيح كتابا او شعراء او نقادا ، وكأن الامر هو تعلم صنعة؟! وحول اقدار المعاني المستعملة بين المتكلمين والمستمعين. وعن اختيار الالفاظ من قبل المتكلم/ المرسل تحدث الجاحظ قائلا : (وكما ينبغي ان لا يكون اللفظ عاميا وساقطا سوقيا ، فكذلك لا ينبغي ان يكون غريبا ووحشيا ؛ الا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً ، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس ، كما يفهم السوقي رطانة السوقي . وكلام الناس في طبقات كما أن الناس انفسهم في طبقات) . (٢٥) وفي اشارة اجتماعية لغوية بلاغية ، يشير الى التواصل الاجتماعي الطبقي ، ان على الخطيب من اجل تحقق شروط عملية التواصل الفعال، ان يتأنق في اختيار الفاظه من حيث سهولة المخرج والجزالة والبساطة والانسيابية والفصاحة والسهولة وغير ذلك من الصفات اللفظية اذا كانت طبقة المتلقين ذات مستوى) ابستمولوجي) متوسط، وان يبتعد عن وحشي ووحشي وسوقي الالفاظ كونه مدعاة لسوء الفهم والتشويش والنفور والاعراض الذي يؤدي الى فشل عملية التواصل مع هذه الطبقة ، اذ لا يفهمها الا اصحابها ، وكذلك الحال بالنسبة الى السوقيين فعليه ان يختار الفاظ تناسب معارفهم ومدراكاتهم بالطريقة التي يفهمونها اما اذا كانت طبقة المتلقين بدوية فعليه ان يخاطبها بما تفهمه من الفاظ منها الوحشية او الغريبة فهي اقرب الى فهمهم . اراد ان يقول خاطب الطبقات الاجتماعية على قدر عقولها ولغاتها وطبقاتها ومقامتها الاجتماعية من خلال اختيار ما يناسبها من الفاظ مشكلة ومقاربة او مرادفة او مطابقة لمعانيها . وكما ان الناس طبقات كذلك الكلام طبقات لتحقيق التواصل عبر بلاغة الاقناع فهو هنا تحدث عن عنصر من عناصر التواصل التي حددها جاكسون في نظريته وهي الرسالة التي يجب ان تكون مفهومة لتحقيق التواصل. وذكر قول العنابي : (فمن زعم ان البلاغة ان يكون السامع يفهم معنى القائل ، جعل الفصاحة ، واللكنة ، والخطأ والصواب ، والاعراق والابانة ، والملحون والمعرف ، كله سواء ، وكله بيانا . وكيف يكون ذلك كله بيانا) . (٢٦) هنا يتساءل مستغربا حول من زعم ان البلاغة هي افهام السامع فقط. فقد جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والاعراق والابانة واللعن، كلها بيانا وسواء ويتساءل كيف يكون ذلك بيانا . فاللكنة والخطأ والاعراق واللعن .. جميعها عوامل تشويش على المتلقي وقطع او تضعيف في عملية التواصل والفصاحة ، وهدف البلاغة ليس الافهام فقط ، بل الاقناع والجمال والذوق والحسن والتواصل ، فلا افهام او فهم من دون فصاحة وجمال وصواب وابانة واقناع وتواصل ورغبة ورسالة واضحة ومبادئ متفق عليها مسبقا بين الطرفين، فلا يمكن للعربي ان يفهم لغة الاعجمي من اول كلام بينهما او يتكلم كلام الاعجمي بطلاقة بعد مرور اشهر او سنين، ربما لذلك هو يريد ان يشير الى امكان الفهم البسيط ، ولكن لم يكن فهما كليا كما هو الحال بالنسبة للكلام بين الجنس الواحد او الطبقة الواحدة او في الكلام السليم الفصيح الجميل المنظم فالأخطاء واللعن والاعجمية وعدم الفصاحة بالتأكيد سيضعف

عملية التواصل كونه يعد تشويشا وتشويها للكلام والفهم والتواصل ايضا فقد لا يفهم الاعجمي فصاحة العربي ولا يفهم العربي سوقية الاعجمي وهكذا يشير الى ضرورة وضوح الرسالة (الشفرة) كإحدى عناصر التواصل وتحقيق الوظيفة المرجعية والافهامية كذلك . ويستأنف قوله ب (ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه للفساد من الكلام لما عرفه ، نحن لم نفهم عنه الا للنقص الذي فينا . واهل هذه اللغة وارباب هذا البيان لا يستدلون على هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رطانة الرُّومي والصِّقلي، وان كان هذا الاسم اما يستحقونه بأننا نفهم عنهم كثيرا من حوائجهم . فنحن قد نفهم بمحممة الفرس كثيرا من حاجته ، ونفهم بغضاء السنور كثيرا من ارادته . وكذلك الكلب ،والخمار ، والصبي (٢٧) فالجاحظ علّق على قول العتايي : " إنَّ كلَّ مَنْ أفهمك حاجتك فهو بليغ)،(٢٨) يشير هنا الى تعلّم الكلام الاجنبي او الاعجمي للنقص الذي فينا او للحاجة التي تستدعي الاستماع له او تعلّمه او لفهمه ، فالحاجة هي الشرط الاساسي في تعلّم اللغات الاجنبية الاخرى، ولكن هذا لا يعني اننا نفهمه كما يفهمه الاجنبي او الاعجمي بخاصة ان هناك مستويان من اللغة : الفصيح او الرسمي والمتداول او العامي وهنا يكمن الفرق الذي يؤدي الى سوء الفهم والتشويش وقطع التواصل بين المتواصلين ، بل قد نفهمه نحن رطانة او قد يكون لنا او عسيرا علينا، بخاصة اذا كان الاجنبي او الاعجمي يتكلم بلغة فصيحة او ملحونة في اشارة الى المعنى التداولي للكلام، فضلا عن العنصر السياقي والثقافي والمرجعي لكل وصلة لغوية ، بأنّ ليس كلُّ مَنْ أفهمنا من معاصر المولدين والبلدين .. بالكلام الملحون والخطأ والمصروف عن حقه ،محكوم بالبلاغة أي قد نفهمه لكنه ليس بليغا . فهو يرى لولا طول الاستماع والمخالطة للعجم والاستماع للفساد من الكلام، ولسد النقص الذي فينا -في اشارة الى الحاجة للتواصل- مع الاخر، ويرى ان ارباب البيان لا يستدلون بكلام هؤلاء الاعجميين او الاجانب لصعوبة الفهم التام للاستعمال اللغوي للغاتهم وان استحقوا منا معرفة الكثير من حوائجهم وهو ما اختلف فيه المفسرون واللغويين بخاصة ما يسمى بالمعرب والدخيل بسبب الاختلاط الاجتماعي واللغوي . ويذكر امثلة للغة جسد الحيوانات التي عبّرت فيها عن حاجتها من خلال اشارة الحدس، التي نفهم من خلالها حاجة كل حيوان ، وبهذه المقارنة الظريفة يضعنا في علم اخر وهو علم (لغة جسد الحيوان)،الذي استمد منه معظم علماء الأنثروبولوجيا كثير من علوم النفس والاجتماع بخاصة النظرية السلوكية ونظرية بافلوب وغيره . ومن خلالها تم فهم كثير من العلوم التي تتعلق بالإنسان وبهذه الاشارة يضعنا الكاتب امام قصب السبق لهذا العلم الحديث والمتطور حاليا . كذلك يشير على علم اخر من العلوم الحديثة الا وهو (علم الصوت) والتي ذكرها الخليل بن احمد الفراهيدي حين فرّق بين صوت الجندب والبازي، وفصلها ابن جني في كتابه " الخصائص " بخاصة في موضوع اصوات اللغة والدلالات الصوتي وانواعها وجرس الكلمات في باب تصاقق الالفاظ لتصاقب المعاني وباب امسا الالفاظ اشباع المعاني

وباب قوة اللفظ لقوة المعنى، والتي قارن فيها بين اصوات الحيوانات كصوت الجندب والبازي ، واصوات الطبيعة وما شابه ذلك .ففهم دلالات الاصوات فهم المعاني المقصودة والخفية عبر فهم سبب اطلاقها وسبب حاجتها . كما مثل بالفرس والكلب والحمار .وهنا يوظف الدلالة الصوتية أي في اشارة الى فهم معاني الاصوات واصوات ودلالاتها وتأويلها ، فهو يدعو الى فهم ما وراء القول او الصوت والقصد منه، وفهم اللفظ اللغوي المتداول لفهم المعنى الحقيقي له، والمقصود من اطلاقه لغرض التواصل السليم والافهام الحقيقي.(٢٩)

الخلاصة :

١- ان الجاحظ أشار الى مصطلحي (التواصل والتشويش) في كتابه البيان والتبيين، وان لم يشر اليهما بالمصطلح الحرفي لهما.

٢- عدّ الجاحظ الكلام الموضوع في غير محله تشويشا وقطعا للتواصل.

٣- عدّ الجاحظ اختلاف طباقات واصوات وتونات المتحدثين/ المرسلين قد يؤدي الى التشويش على المتلقي/ المستمع.

٤- الجاحظ يحذر من الاكثار من لغة الجسد كونها قد تشويش على عملية التواصل اللفظي.

٥- يعدّ الجاحظ أي عمل او نشاط (لغوي جسدي انفعالي) خارج سياق الحدث اللغوي تشويشا وخارجا عن اليات التواصل .لذا ينصح بضرورة الاهتمام في مرجع وسياق الخطاب من قبل المرسل .

٦- ذكر عدد من معوقات التواصل والتي تؤدي بدورها الى التشويش منها (الاكثار، التكرار، الأصوات، الالكنة، العي، الخطل، الغلط، الانفعال النفسي او العاطفي، السكوت، الغموض، سوء الابتداء، الحجاج المغالط، المدح المبالغ، سوء التقدير، الجهل..) وبهذه المعوقات شكل الجاحظ نظريته في التواصل والتشويش بحسب ما لمسناه وثبتناه .

الهوامش :

١ - مقاييس اللغة :١١٥/٦.

٢ - مختار الصحاح : ١٩٨٣ : ٧٢٥

٣- انظر: استراتيجيات الخطاب : ١٠ .

٤ - انظر: المدخل في الاتصال الجماهيري ،عصام سليمان الموسى، العالمية، ط ٦ ، ٢٠٠٩م. : ٢٢ .

٥ - انظر: المدخل الاتصالي الجماهيري : ٢٥ .

٦ - انظر: استراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماءة : سعيد بنكراد : ٨ .

٧ - انظر: اللغة والتواصل التربوي والثقافي : ٥٣ .

(*) الذي يُنسب إليه علم السبرنطيقا... ومُنح مفهوم الإرجاع بعدا كونيا يصدق على كل الظواهر الطبيعية منها والاجتماعية... وعلى هذا الأساس، فإن السبرنطيقا ستكون "جهازا علميا للغاية منه التحكم في "آليات التواصل" كما تتحقق عند الآلة، وعند الحيوان. والمثال الصريح على فكرة الإرجاع، هو ما تقدمه حالة التواصل الإشعاعي. فمن أجل التحكم في السلوك الشرائي الاستقبالي للمستهلك وتوجيهه يجب جمع أكبر عدد من المعلومات الخاصة بوضعه الحالي: ما يتعلق بوجوده ووضعه المادي (القدرة الشرائية) وميولاته الذوقية، وكذا معتقداته الدينية والأسطورية، وكل ما يسهم في تحديد "هوية شرائية" من خلالها يتحدد الفرد ويمارس مجمل نشاطاته. (مجلة علامات: استراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماءة: سعيد بنكراد: العدد/٢١: ٧-٨).

(*) وهو مهندس أمريكي كان يعمل في ميدان الاتصالات الهاتفية خطاطة جديدة تختصر من خلال خاناتها ونمط اشتغالها العملية التواصلية برمتها. ولقد كانت الغاية من هذه الخطاطة هي تحسين مردودية الاتصالات الصوتية التي تتم عن بعد بجميع أشكالها من خلال التقليل من حجم الضياع الذي يشوش على الإرسالية ويتلف الكم المعلوماتي الذي تتضمنه الإرسالية المباشرة. (المصدر نفسه: ٨).

٨- انظر: قضايا الشعرية: رومان جاكسون: تر: محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، ط١، الدار البيضاء /المغرب، ١٩٨٨ م. ٢٧.

٩- انظر المصدر نفسه: ٢٧، و التواصل نظريات ومقاربات: عز الدين خطابي، وزهور حوتي، منشورات عالم التربية، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٧ م: ٦٥.

١٠- حلسان العرب: ابن منظور، تحقق: نخبة من العاملين بدار المعارف، دار المعارف القاهرة: ٢/٢٣٥٩.

١١- مختار الصحاح: ٣٥٠.

١٢- معجم المصطلحات الادبية المعاصرة: د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، سوشبرس، ط١، بيروت / الدار البيضاء، ١٩٨٥: ١٣١.

١٣- جواهر الادب في ادبيات وانشاء لغة العرب: احمد الهاشمي، دار الكتب العالمية، ط٢٧، بيروت / لبنان ١٩٧٨: ٤٣٠ / ٢.

١٤- البيان والتبيين: ١١٥-١١٦.

١٥- البيان والتبيين: ١١٦/ ١- ١١٧.

١٦- البيان والتبيين: ٨٣ / ١.

١٧- البيان والتبيين: ٨٣ / ١.

١٨- المصدر السابق: ٨٣- ٨٤ / ١.

- ١٩- المصدر نفسه : ١ / ١٠٥ .
- ٢٠- المصدر نفسه : ١ / ١١٢ .
- ٢١- المصدر نفسه : ١ / ١١٣ .
- ٢٢- الذكاء والتوافق في النفس والمجتمع : ٧٥ .
- ٢٣- امظر النظرية الراجماتية اللسانية (التداولية) ، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ : د. محمود عكاشا ، مكتبة الاداب ، ط١ ، القاهرة / مصر ، ٢٠١٣ : ٩٩-١٠٠ .
- ٢٤ البيان والتبيين : ١ / ١٦٢ .
- ٢٥ المصدر نفسه : ١ / ١٦٢ .
- ٢٦ - المصدر نفسه : ١ / ١٦١ .
- ٢٧ - ينظر: المصدر نفسه : ١ / ١٦٢ .
- ٢٨-المصدر نفسه : ١ / ١٦٢ .
- ٢٩ - المصدر نفسه : ١ / ١٦٣ .

المصادر والمراجع :

- استراتيجيات التواصل الإشهارى: سعيد بنكراد وآخرون، دار الحوار، ط١، سوريا /اللاذقية، ٢٠١٠م.
- استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية: عبد الهادي ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م.
- الأغاني: لابي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ط، د.ت . القاهرة.
- البيان والتبيين : أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ :تح: عبد السلام هارون ، ط١، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ط٧، القاهرة/مصر، ١٩٩٨ م.
- التواصل نظريات ومقاربات: عز الدين خطابي، وزهور حوتي، منشورات عالم التربية، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٧م.
- جواهر الادب في ادبيات وانشاء لغة العرب: احمد الهاشمي، دار الكتب العالمية، ط٢٧، بيروت/ لبنان ١٩٧٨ .
- الذكاء والتوافق في النفس والمجتمع [:د.حيدر ابراهيم مُجد العطار، كلية الامام الكاظم ، جامعة المستنصرية ، بغداد ، ٢٠١٩ .
- لسان العرب : ابن منظور ،تحق: نخبة من العاملين بدار المعارف ، دار المعارف القاهرة .

- قضايا الشعرية : رومان جاكبسون : تر: مُجّد الوالي ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، ط١، الدار البيضاء /المغرب ، ١٩٨٨ م.
- اللغة والتواصل التربوي والثقافي :مجموعة مؤلفين/ منشورات مجلة علوم التربية ، ٢٠٠٨ .
- مجلة علامات: استراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماءة :سعيد بنكراد :العدد/٢١.
- مختار الصحاح : مُجّد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ،دار الرسالة، د.ت ، الكويت ، ١٩٨٣م.
- المدخل في الاتصال الجماهيري ،عصام سليمان الموسوي،العالمية، ط٦ ، ٢٠٠٩م.
- المدخل الاتصالي الجماهيري :٢٥.
- معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ) ،تحقيق عبد السلام هارون ، دار إحياء الكتب العربية ، ط١، القاهرة/ مصر ، ١٣٦٩م.
- معجم المصطلحات الادبية المعاصرة :د. سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، سوشيرس ، ط١، بيروت / الدار البيضاء ، ١٩٨٥ .
- الموشح: مُجّد بن عمران المزرباني، تح: علي مُجّد بجاوي، مطبعة لجنة التأليف العربي، ط١، بيروت/ لبنان، ١٩٦٥ : ٣٩ .
- -النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) ،دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ :د. محمود عكاشا ، مكتبة الآداب ، ط١، القاهرة / مصر ، ٢٠١٣ .
- نهاية الارب في فنون الادب /احمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٦ .

سجن البصرة المركزي وادارته والاطرواع العامة في السجن ١٩٣٣-١٩٥٨

م.م. وسام نوري عبد الواحد

أ. د. نجات عبد الكريم عبد السادة

الملخص

تعد السجون حلقة مكملة لنشاط وعمل الشرطة من خلال عدها المكان الذي يوضع فيه المجرمين الذين تثبت ادانتهم بتهم وحوادث مختلفة، واعطت مديرية الشرطة العامة اهمية بالغة للسجون وتجهيزها بكل ما تحتاج اليه من مستلزمات. وعلى اثر ذلك جاء هذا البحث ليكشف الضوء عن احد السجون المهمة في العراق، وهو سجن لواء البصرة المركزي الذي يعد من اقدم السجون في منطقة جنوب العراق. وقسم البحث الى محورين تضمن اولهما ادارة سجن البصرة المركزي والاطرواع العامة فيه، بينما ركز المحور الثاني على زيارة المفتشين الاداريين الى سجن البصرة.

اعتمد البحث على عدد من المصادر المهمة وكان في مقدمتها وثائق وزارة الداخلية العراقية غير المنشورة التي كانت تحت عنوان ((تقارير التفتيش الاعتيادية للواء البصرة ١٩٣٤-١٩٣٤)) التي تضمنت معلومات قيمة ونادرة عن سجن البصرة المركزي، فضلاً عن الصحف البصرية التي ضمت في اعدادها معلومات قيمة ونادرة افتقرت اليها المصادر الاخرى.

الكلمات المفتاحية: سجن - مفتش - شرطة - مدير - البصرة

Basra Central Prison, its administration and general conditions in the prison

1933-1958

Wissam Nuri Abdel Wahid

Prof. Dr. Najat Abdel Karim Abdel Sada

Basra University - College of Arts

Abstract

Prisons are a complementary link to the activity and work of the police, as they are considered the place where criminals found guilty of various charges and incidents are kept. The General Police Directorate has given great importance to prisons and equipped them with all the requirements they need. As a result, this research came to shed light on one of the important prisons in Iraq, which is the Basra Central Brigade Prison, which is one of the oldest prisons in the southern region of Iraq. The research was divided into two axes, the first of which included the administration of Basra Central Prison and the

general conditions therein, while the second axis focused on the visit of the administrative inspectors to Basra Prison.

The research relied on a number of important sources, foremost of which were the unpublished documents of the Iraqi Ministry of Interior, which were under the title ((Regular Inspection Reports of the Basra Brigade 1934-1934)), which included valuable and rare information about the Central Prison of Basra, as well as the optical newspapers that were included in its numbers. Valuable and rare information that other sources lacked

key words: Prison – Inspector – Police – Director – Basra

المقدمة

ارتبطت السجون ارتباطاً وثيقاً بنشاط وعمل مديرية شرطة لواء البصرة لكونها المكان الذي يوضع فيه المجرمين والمخالفين للقوانين والأنظمة، ونتيجة لذلك جاء هذا البحث ليسلط الضوء عن احد ابرز السجون في جنوب العراق، فضلاً عن كونها مكملة لعمل ونشاط مديرية شرطة لواء البصرة. كما حظيت السجون بأهتمام كبير من قبل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، فضلاً عن زيارة المفتشين الاداريين اليها للأطلاع على اوضاعها الداخلية وما تحتاج اليه من مستلزمات ضرورية للسجناء.

يحاول البحث الاجابة عن بعض التساؤلات منها: كيف تتم ادارة السجن المركزي في لواء البصرة؟ ومن ابرز الذين تولوا ادارته؟ وما هي ابرز الخدمات والاعمال التي يمارسها السجناء فيه؟ فضلاً عن معرفة اثر زيارات المفتشين الاداريين الى السجن وابرز ملاحظاتهم ومقترحاتهم؟

ولغرض الاجابة عن هذه التساؤلات قسم البحث الى مقدمة ومحورين وخاتمة، تطرق المحور الاول الى ادارة السجن وابرز العاملين فيه، بينما ركز المحور الثاني على زيارة المفتشين الاداريين الى السجن، واطلاعهم على محتوياته من ادارة ومستلزمات واحتياجات السجناء.

اعتمد البحث على عدد من المصادر المتنوعة وكان في مقدمتها وثائق وزارة الداخلية غير المنشورة ومنها الملف المعنون ((تفتيش السجون في الوية البصرة والعمارة والمنتفق، ١٩٣٩)) فضلاً عن الصحف البصرية التي ضمت معلومات جيدة وقيمة عن الموضوع وافقرت اليها المصادر الاخرى.

اولاً: ادارة سجن البصرة المركزي والاوزاع العامة فيه:

تمثل السجون حلقة مكملة لعمل قوات الشرطة التي تسعى لفرض الامن والنظام. احتل سجن البصرة بناية خاصة في مقابل المستشفى الملكي في باب الزبير تسع ل (٤٠٠) سجين^(١)

اعتمدت ادارة السجن على تشكيلات مختلفة منها: مدير السجن ومعاونيه. ومأمورا السجن. وقلم التحرير. وقلم المحاسبة: كان يشرف على شؤونه محاسب وعدد من الكتاب ومهمته السيطرة على حسابات

السجن وضبطها. اما مأمورا السجن فمهمتهما، كان يقوم احدهما بواجب الاشراف على المعامل ومراقبة السجناء العاملين، اما الثاني فكانت مهمته مراقبة المساجين وطعام السجناء^(٢)

احتوى السجن على مستشفى ضم (٢٠) سريراً للمرضى ومستوصفا للتداوي، وكان يتولى الاشراف على معالجة المرضى طبيب مختص من قبل رئاسة صحة اللواء ومضمدين على ملاك المساجين، وضم الاقسام التالية: قسم السجناء من الرجال. قسم السجناء من النساء^(٣)

اما في ما يتعلق بمنتهي السجن وتنقلاتهم واجازاتهم فكانت خاضعة لقوانين مديرية السجون العامة، إذ جرت عدة تنقلات مختلفة بين منتهي سجن البصرة: منح مدير سجن البصرة المركزي محمد حسين اجازة اعتيادية قدرها (٢٠) يوماً وقد عهد الى عيسى روجي بك معاون المدير بوكالة المديرية مدة غيابة^(٤) ونقل ناجي افندي حسين مدير ناحية الطارمية الى ملاك السجون براتبه الحالي وعين محمد حسين افندي الباركان مدير سجن البصرة مديراً لناحية الطارمية^(٥)

ومنح محمد وهي مدير السجن المركزي بالبصرة اجازة اعتيادية قدرها (٩٠) يوماً يقضيها خارج العراق وقد اسندت وكالة المديرية الى محمد مأمور سجن العمارة وانيطت وكالة مأمورية سجن العمارة الى عبدالقادر الجامع معاون مدير سجن البصرة^(٦) ومنح ناجي طه السعيد مدير سجن البصرة اجازة اعتيادية قدرها (٣٠) يوماً على ان يقوم حسن صيري مأمور سجن البصرة بوكالة مديرية السجون مدة تمتع المدير بالأجازة^(٧) ونقل عبدالرزاق راجي مأمور سجن العمارة الى وظيفة وكالة مديرية سجن البصرة براتبه الحالي البالغ ١٥ ديناراً^(٨) ونقل سعدون محمود رامز مدير سجن البصرة المركزي الى بغداد وباشير الرئيس الركن المتقاعد خليل اسماعيل المدير الجديد شؤون وظيفته^(٩) وقررت مديرية السجون العاصمة نقل كل من فائق حلمي محمد امين مدير سجن البصرة ونعمان رضوان مدير سجن الرمادي الواحد بمحل الاخر^(١٠)

قررت مديرية السجون العامة اجراء التنقلات الاتية: نقل عبدالجبار خضر مأمور سجن بعقوبة الى مثل وظيفته في سجن الناصرية ونقل فلاح حسن العزاوي مأمور سجن البصرة الى مثل وظيفته في بعقوبة ونقل صادق قطفان مأمور سجن الحلة الى مثل وظيفته في سجن البصرة^(١١) و قد تعاقب على ادارة السجن عدد من الشخصيات كما يوضحهم الجدول في ادناه:

جدول رقم (١) مدراء سجن البصرة خلال المدة ١٩٣٣-١٩٥٨^(١٢)

ت	الاسم	مدة ادارته
١	محمد حسين	١٩٣٣-١٩٣٤
٢	محمد وهي	١٩٣٤-١٩٣٨
٣	عباس الجبوري	١٩٣٨-١٩٤١

١٩٤٢ - ١٩٤١	خليل إسماعيل	٤
١٩٤٧-١٩٤٢	جابر منير	٥
١٩٤٨-١٩٤٧	ناجي طه السعد	٦
١٩٤٩-١٩٤٨	سعدون محمود رامز	٧
١٩٥٢-١٩٤٩	خليل إسماعيل	٨
١٩٥٣- ١٩٥٢	فائق حلمي مُحمّد امين	٩
١٩٥٥-١٩٥٣	نعمان رضوان	١٠
١٩٥٨-١٩٥٥	فلاح حسن العزاوي	١١

ولما كانت مديرية السجون العامة قد فتحت في سجن بغداد المركزي^(١٣) صفوفًا لتعليم الاميين القراءة والكتابة ، فقد سعت ادارة سجن البصرة الى مخاطبة وزارة المعارف على لغرض الحصول على مدرس او مدرسين يعلمون الاميين القراءة والكتابة^(١٤)

اما الاوضاع العامة في سجن البصرة المركزي فكان ابرزها الاحداث التي شهدها السجن عام ١٩٣٣ هي اعمال الشغب على اثر قيام المساجين بالاعتراض على تردي الاوضاع وسوء معاملتهم من قبل الحراس، ولجأوا الى اعمال الشغب، مما دفع الحراس على اطلاق النار على المسجونين فقتل (٧) اشخاص وجرح (٢٠) منهم^(١٥)

ومن خلال التحقيق بالحادثة وجد ان المسجونين كانوا قد تأمروا فيما بينهم على الفرار من السجن ووضعوا خطة محكمة لتنفيذها وذلك انه لما عاد المساجين الذين يشتغلون في الخارج الى السجن وهموا بالدخول انضم اليهم مساجين المعامل الذين كانوا يشتغلون في الردهة الداخلية وهجموا مستعملين الآلات الحديدية والحشبية فعاجلوا الحراس بضربة على رأسه اوقعته على الارض ثم نزلوا على الحراس ضربا ولكما فلما شعر هؤلاء بخطورة الموقف اطلقوا نيران بنادقهم في الهواء بقصد الارهاب غير ان ذلك لم يثن المسجونين عن هجومهم على باقي الحراس الذين لم يروا بدا من مقاومتهم بالفعل وبالوقت نفسه استنجدت حرس قوات السجن بالمتصرف وبالشرطة. فحضر المتصرف ومدير الشرطة بالوكالة عبد الرزاق فتاح وعدد من الافراد الى السجن وكان الهياج قد بلغ اشده فتمكن المتصرف من تهدئة الاوضاع داخل السجن، واسفرت هذه الحادثة عن وقوع (٧) قتلى و(١٧) جريحا من المساجين^(١٦) ومن خلال استمرار التحقيقات في اسباب وقوع الشغب في السجن المركزي حصل المحققين على الادلة الكافية على ان ثلاثة من الاشقياء المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة لمدة طويلة هم كانوا المحرضين على اثاره الشغب ولا بد من سوقهم الى ساحة القضاء لينالوا ما قد جنته يداهم. اما المسجونون الذين قتلوا في الحادثة فهم كل من : خويف ابن صيوان و خليل ابن ابراهيم

وعباس ابن مُجَدَّ علي وحميد ابن الحاج حسون وعبدالحسين عباس وفهد ابن عبد وسيد محسن السيد نعمة وعبد الحسين السهر الذي مات متأثراً من جروحه. اما المرحون فهم كل من: عليوي ابن يوسف وخيام ابن حزام وحسين الطاهر وعباس عبدالله وحميد ابن حسين وسيد عقاب السيد نعمة وحسن الراشد والحاج عبدالصمد الحاج الكريم وجبار ابن حويل وقاسم ابن مطيليج ودهيش ابن علي وجاسم ابن الحاج مُجَدَّ وعبد الصاحب ابن خلف وخضير ابن عباس ولعيبي ابن جبر^(١٧)

ويسبب ضيق مساحة السجن المركزي في البصرة وقلة عدد ما يستوعب من المساجين فقد تقرر استملاك الارض المجاورة وتشيد جناح له^(١٨) وعلى اثر ذلك قررت ان مديرية السجون العامة توسيع سجن البصرة المركزي نظرا لضيقه وشكلت لجنة من: الحاج احمد جليبي الذكير والحاج مصطفى جليبي الطه السلطان والحاج عبدالرحمن جليبي سليمان البدر والمهندس البلدي واجبها لتقدير الارض المجاورة له والعائدة الى الشيخ مُجَدَّ العبد الجبار من اهالي الزبير^(١٩)

وفي عام ١٩٣٦ أعادت الحكومة تشكيل إدارة السجون بمقتضى إدارة السجون رقم (٦٦) لسنة ١٩٣٦ ومن خلاله أطلعت مديرية السجون بمهام الاشراف على عمل السجون كافة^(٢٠) وكانت مديرية السجون تبدي اهتمامها بالسجون ومعاملة المسجونين بالحسنى وضمان حقوقهم، وحرص مدير السجن المركزي بالبصرة على اثر اقتراح مديرية السجون العامة بالطلب من كافة الدوائر الحكومية معاضدتها في ايجاد عمل للمساجين بأجور يومية وذلك رغبة في تكثير واردات الخزينة من جهة وتشغيل المساجين المذكورين من الجهة الاخرى^(٢١)

استمر السجناء بعملهم الذي اثار اعجاب الناس بما ينتجه فرع النجارة في سجن البصرة المركزي من ادوات نجاريه على اختلاف انواعها تضاهي ارقى الادوات وقد كثرت الطلبات على السجن في عمل طاوولات وكراسي وطبلاط وغير ذلك^(٢٢) ونتيجة لذلك وسع فرع النجارة في سجن البصرة المركزي وضوعف عدد النجارين فيه وذلك لكثرة الطلبات التي وردت الى السجن في صنع ادوات النجارة التي اصبحت تضاهي احسن الادوات وبأسعار مناسبة جدا^(٢٣)

وخلال عام ١٩٣٦ ابدت مديرية السجون العامة اهتمامها وارسلت معلما خاصا الى سجن البصرة قام مدة من الزمن علم فيها السجناء صنع السجاد شعار الدولة العراقية بصورة ابدع واحسن بكثير مما كانت عليه وقد انجز المعمل كمية قليلة فجاءت على احسن ما يرام من حيث المتانة والنقوش^(٢٤)

وفي عام ١٩٣٧ طلبت ادارة سجن البصرة من مديرية شرطة اللواء تزويدها بخمسة افراد من الشرطة لمراقبة المساجين في مستشفى العزل^(٢٥) نظرا لاضطراب ادارة السجن الى ارسال المساجين المصابين بالأمراض المعدية الى مستشفى العزل لكثرتهم ولعدم استيعاب مستشفى السجن لهم، ونتيجة لذلك قدمت ادارة

السجن مقترح الى مديرية السجون العامة لإنشاء مستشفى عزل داخل سجن البصرة المركزي وبذلك تكفي نفسها مهمة المراقبة^(٢٦)

كان سجن البصرة عام ١٩٣٨ يحتوي على عدد من المعامل المصغرة التي كان يديرها بعض السجناء، وكانت ادارة سجن البصرة المركزي تقوم بالأعلان عن منتجاتها في صحيفة النهر البصرية التي كانت تنشر اعلانات بأنها مستعدة لتجهيز المواد التالية بأسعار مناسبة جدا فعلى الراغبين بالشراء او بالتوصية على احد المواد مراجعتها في بنائها بباب الزبير وسيلاقون ما يسرهم من اتقان الصنع والمهاودة في الاثمان وبنفس الوقت يؤدون خدمة خالصة لتشجيعهم هذه المنتجات المصنوعة بأيدي وطنية والمواد هي :-

كسبار ملون وعادي، سجاد فاخر (شعار الدولة وخارطة العراق) واشكال اخرى، شراشف قطنية وسانتييم، مناشف يدوية ، ستائر يدوية ، ستائر للنوافذ ، اثاث تجارية متقنة الصنع لا تضاهيها اخر في الجودة على مختلف اشكالها^(٢٧)

واشارت صحيفة الناس الى ان بعض الأهالي ممن اشتروا من هذه المنتجات اثنوا على حسن صناعة السجاد في سجن البصرة كما اظهروا اعجابهم بالصناعات الخشبية الاخرى مما يدل على بذل عناية فائقة من قبل ادارة السجن^(٢٨)

ووفقاً لنظام السجون رقم ٣٥ لعام ١٩٤٠ قسمت السجون العراقية إلى قسمين : سجون الرجال وسجون النساء. وقسمت المواقف إلى ثلاثة أقسام : مواقف للرجال ب. مواقف للنساء ومواقف لمن هم دون (١٨) عام من العمر . وتتكون سجون الرجال على الأصناف الأربعة التي تعين باقتراح مدير السجون ومصادقة وزير الشؤون الاجتماعية ، وهي كالآتي :

الصنف الأول : الذي يقبل فيه كافة المسجونين، على اختلاف مدد وأنواع محكومياتهم.

الصنف الثاني : الذي يقبل فيه كافة المسجونين، الذين لا تتجاوز مدة محكومياتهم الثلاث اعوام.

الصنف الثالث : السجن السيار الذي يؤسس وقتياً لأغراض استخدام وتشغيل السجناء فيه، ببعض المشاريع ويقبل فيه المحكومون كافة عدا :

أ. المحكومين بالحبس البسيط.

ب. المحكومين من أجل جريمة سياسية .

ج. المحكومين عند دين .

د. المحكومين الذين تتجاوز أعمارهم الستين سنة.

الصنف الرابع : الذي يكون في مراكز الشرطة، عندما لا توجد فيها سجون من الصنفين الأول والثاني ويقبل فيها السجناء الذين لا تزيد مدة محكومياتهم عن ثلاثة أشهر^(٢٩)

ومن ضمن نشاطاتها الصحية ارتأت رئاسة صحة اللواء عام ١٩٤٧ ضرورة تطعيم المساجين في سجن البصرة ضد مرض الكوليرا^(٣٠) احتياطاً ووقاية من الطوارئ وعليه أوفدت مستخدمين صحيين إلى السجن المركزي وباشراً بتطعيم موظفي السجن والمسجونين فيه^(٣١)

وفي عام ١٩٤٧ أعلنت إدارة سجن البصرة في صحيفة الثغر اعلاناً جاء فيه... ((نعلن بهذا وجود مناقصة سرية لتعهد ارزاق المسجونين في سجن البصرة لمدة ستة اشهر ويمكن الحصول على استمارة شروط المناقصة من كاتب المجلس الاداري بعد دفع ثمن لمجموعة الواحد ١٠٠ فلس نقداً تقدم العطاءات بغلاف محتوم الى مجلس ادارة اللواء قبل الساعة ١٢ من يوم الاثنين ٢٢ كانون الاول ١٩٤٧ وفق العطاءات بتأمينات نقدية قدرها ٥٠٠ ديناراً التي يمكن تسليمها الى خزينة لواء البصرة على ان يرفق الوصل المعطى لقاء ذلك بمجموعة استمارات شروط المناقصة كل مناقصة لا تقدم في الوقت المعين او تكون غير معززة بوصل التأمينات وشهادة غرفة التجارة تمهل كما ولا تقبل الصكوك من التأمينات مطلقاً))^(٣٢)

وفي عام ١٩٤٩ نشرت ادارة السجن اعلاناً في صحيفة الثغر ورد فيه... ((ستجري مناقصة علنية لتعهد تجهيز ارزاق المسجونين في سجن البصرة لمدة ستة اشهر من قبل المجلس الاداري في الساعة ١٢ من يوم الاثنين ٧ شباط ١٩٤٩ فعلى الراغبين مراجعة كاتب المجلس للحصول على مجموعة استمارات الشروط ومن ثم الحضور في الموعد المضروب للاشتراك في المناقصة مستصحين تأميناتهم النظامية وشهادة غرفة التجارة))^(٣٣)

ولغرض توفير افضل المستلزمات والارزاق الجيدة للسجناء حرصت ادارة السجن على نشر الاعلانات في صحيفة الثغر لغرض الحصول على افضل المتعهدين لتجهيز الارزاق الخاصة بالسجناء، وورد في احد الاعلانات ما يلي... ((نتيجة للتشريفات الجارية فقد تم تعهد تجهيز الارزاق الى المساجين في سجن البصرة بمبلغ ٦٠ فلس لإطعام السجن الواحد يومياً واحتمال الحصول على راغبين للمناقصة قرر المجلس تمديدتها الى الساعة ١١ من صباح يوم الاثنين ٢ تشرين الاول ١٩٥٠ فعلى الراغبين الحضور لدى المجلس في الوقت والموعد المضروبين اعلاه لمعرفة الشروط والاشترك بالمناقصة مستصحين تأميناتهم وشهادة غرفة التجارة))^(٣٤)

وفي عام ١٩٥٣ طلبت مديرية السجون العامة من متصرفية لواء البصرة تشكيل لجنة لجرد محتويات معامل سجن البصرة واثاث الدائرة وتدقيق السجلات وعليه فقد القت المتصرفية المذكورة لجنة قوامها كل من السادة نعمان رضوان مدير السجن وحسن عريم مدير واردات لواء البصرة والحاج ناهي النجم عضو مجلس الادارة للقيام بالمهمة المذكورة وتقديم تقرير بذلك^(٣٥)

ونص نظام تشغيل السجناء رقم ١٨ لسنة ١٩٤٦ على مديري ومأموري السجون في الألوية بذل الجهود اللازمة والاتصال بالسلطات الإدارية؛ لغرض تشغيل السجناء في المشاريع الحكومية وشبه الحكومية والمؤسسات الخيرية، ويجوز تشغيل السجناء في البيوت والمؤسسات الأهلية، بعد استحصال موافقة وزير الشؤون الاجتماعية في كل قضية ولمديري ومأموري السجون، الذين تناط بهم إدارة السجون، في مراكز الألوية تشغيل السجناء وعليهم أن يقدموا إلى مديرية السجون، العامة المعلومات الآتية :

١. أعداد السجناء .
٢. عدد أيام الأسبوع .
٣. ماهية العمل والجهة التي يعود إليها .
٤. أجره العمل وفقاً للتعليمات التي تصدرها وزارة الشؤون الاجتماعية من وقت إلى آخر .
٥. الجهة القائمة بحراسة السجناء أثناء العمل (الشرطة أو الجيش).

ولا يجوز تشغيل السجناء مجاناً، كما لا يجوز تشغيلهم في تعهدات مقطوعة بل يجب تشغيلهم بأجور يومية، أو بحساب المتر، المربع أو المكعب . وعند تشغيل السجناء في الأشغال الخارجية، يجب أن تنظم قائمة باسمائهم ومدد محكومياتهم، ونوعها ويحتفظ الضابط المسؤول، عن تشغيل السجناء بصورة منها لتكون أساساً لحساب أجورهم^(٣٦) وكما يجب تعداد السجناء قبل خروجهم وبعد عودتهم من العمل بالإضافة إلى تعدادهم وتفتيشهم اليومي. ولا يجوز تشغيل السجناء خارج السجن، في الأعمال غير اللائقة كنقل الأشياء القذرة . وتشغيلهم في المعامل، حسب الأوقات التي يقرها مدير السجن، بالاتفاق مع السلطة الصحية، وفق الفقرة الخامسة (ب) من المادة (٥) من نظام إدارة السجون الصحية رقم ٥١ لسنة ١٩٤٠ م . وعلى مأمور المعامل، ان يقدم طلباً إلى مدير السجن المختص بما يحتاج إليه من السجناء للأشتغال، في فروع المعامل وعلى مدير السجن توزيعهم على الفروع حسب الطلب، على أن يرجح من كان من أرباب المهنة من السجناء. وإذا لم يقم السجين بعمله كما ينبغي، أو أهمل واجبه أو سبب اتلاف مواد المعمل المسلمة اليه فإنه يعاقب بمقتضى قانون وأنظمة إدارة السجون ويغرم ثمن المواد المتلفة من قبله^(٣٧) ووفقاً لذلك كان السجن يحتوي عام ١٩٥٤ على اربع معامل عصرية مزودة بالمعدات الكافية التي جهزت اليه من مديرية السجون العامة وهي:

معامل النجارة:

وتتم فيه صناعة الموبليات والاثاث الخشبية البيتية بصورة منتظمة وجيدة الصنع، ويقوم بهذه العمل سجناء سبقت لهم الخبرة والممارسة في فن النجارة في ايام حريتهم، وبعد انجاز هذه المواد تقوم ادارة السجن ببيعها على الموظفين والمواطنين بربح لا يزيد على (١٠%) تخصص للسجناء العاملين في المعمل، بأجرة يومية تتراوح من (٣٠ - ٥٠) فلساً يومياً وتتناسب مع خبرة العاملين وسعت اطلاعهم، وتودع هذه المبالغ في خزانة اللواء وتسلم اليهم بعد مغادرة السجن^(٣٨)

معمل الخياطة:

انحصرت مهمة العاملين فيه بخياطة ملابس السجناء وما يحتاجونه، وتخصص لهم مديرية السجون اجور يومية لقاء اتعابهم على غرار زملائهم.

معمل الحدادة:

كانت تتم في هذا المعمل والعاملون فيه مهمة اعداد المواد الحديدية التي يحتاجها السجن وتقوم مديرية السجون العامة بتزويده بالمواد الاولية لغرض مواصلة العمل.

معمل النسيج:

يقوم السجناء فيه باعداد المواد التي يحتاجها السجناء كصنع الملابس والبطانيات
ثانياً: زيارة المفتشين الاداريين الى سجن البصرة.

حرصت وزارة الداخلية على تنظيم عمل المفتشين الاداريين وتوزيعهم حسب الالوية، لكي يقوموا بجولاتهم التفتيشية وتسجيل ملاحظاتهم ومقترحاتهم عن الدوائر والمؤسسات الحكومية التي يزورونها خلال عملهم، وعلى اثر ذلك زار المفتش الاداري عبد المجيد يعقوبي^(٣٩) سجن البصرة عام ١٩٣٤ وسجل عدد من الملاحظات في تقريره جاء فيه:

كان عدد المسجونين (٤٩٧) سجينا بينما استيعابه الكلي هو (٤٦٠) سجين، مما حمل ادارة السجن على اشغال الحمامات ايضا وتخصيصها للسجناء، اما عدد الموقوفين فقد بلغ (٣٨) موقوف وخصص لهم احد قلاع السجن، لأنه وجد في تماس مع المسجونين وهذا لا يصح اذ يجب عزلهم عن السجناء في مكان منعزل ومن الضروري ان يكون بناية خارج السجن او بجانبه، كما وجد داخل السجن مكانا كتب عليه السجن الخاص، و اشار في ملاحظاته ((توقعت انه مكانا خاص بالأحداث من المسجونين او السياسيين، لكن بعد تفتيشه وجدت انه مخصص للجنة المتهمين بالقتل والنهب وكان عددهم لا يتجاوز (٣) مع ان المكان المخصص لهم يكفي لأعداد أكبر))^(٤٠)

وعام ١٩٣٦ قام المفتش الإداري جعفر حمدي^(٤١) بزيارة تفتيشية التي سجن البصرة وسجل عدد من الملاحظات ومنها: أن محلات الموقوفين التي خصصتها مديرية الأشغال العامة في بناية سجن البصرة لا تكفي الا لعدد قليل لا يتجاوز (٣٠) موقفاً ، بينما الموجودين آنذاك ما يقارب الـ(١٠٠) سجين، وذكر ان امر توسيع الزنزانات ضروري جدا وفي غاية العجلة مع العلم أن حارس سجن البصرة اخبره أن يسكن الموقوفين في المحلات المخصصة لمنام المسجونين ، مع وجود هذا العدد الهائل مما يؤثر على سير التحقيق لذا أقترح المفتش الإداري مطالبة وزارة الأشغال العامة بتوسيع بناية السجن مع رصد مبالغ كافية لتنظيفها. ووجه المفتش أيضا مديرية الأشغال بخصوص تشييد بناية خاصة الى سجن الموقوفين في البصرة .

يتضح من ملاحظات المفتش الاداري انه ركز على الامور المستعجلة في ما يخص مكان المساجين وتوسيع مساحة السجن.

وفي السادس من شهر اذار عام ١٩٣٧ قام المفتش الاداري علي البازركان بتفتيش سجن البصرة المركزي وأشار إلى وجود مستشفى صغير يحتوي على عشر أسرة وصيدلية وغرفة للعمليات البسيطة، كذلك وجود طبيب واحد و مضمدين عدد (٢) و اقترح المفتش فحص السجناء يوميا للتأكد من خلوهم عن الأعراض المعدية لكي لا تنتشر بين السجناء الاخرين. وفي الثاني والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٣٨ قام المفتش الاداري علي البازركان بتفتيش سجن البصرة المركزي اذ أشار في تقريره الى الادارة الجيدة في السجن، فضلا عن توفير شروط الصحة والسلامة للمسجونين، وعلى الرغم من ذلك قد انتقد المفتش قلة عدد القوة المسؤولة عن حماية السجن الذي بلغ عددها (٥٤٥) سجانا لذا اقترح المفتش زيادة عدد السجناء الي (١٥) سجانا. وفي الثاني من ايلول ١٩٣٩ قام المفتش الاداري علي البازركان بتفتيش سجن البصرة المركزي ومن خلال الزيارة اشار الى حالة المساجين الموجودين في السجن ، اذ بين أن حالتهم يرثى لها وأن غرفهم كانت وسخة وغير نظيفة ، اضافة الى أن ملابسهم كانت قديمة فات عليها أكثر من شهر تقريبا، ووجد في الغرفة الواحدة يوجد أكثر من سبعة اشخاص ، علما أن الغرفة لا تسع الى أكثر من (٤) مساجين لذلك طالب المفتش كل من وزارة الداخلية و متصرفية اللواء و رئاسة السجن على متابعة حالة هؤلاء المساجين و إيجاد حل لمثل هذه الحالة ، كذلك طالب أن يعاملوا معاملة خاصة مع توفير كادر طبي خاص بهم من أجل المعالجة و العمل على تنظيفهم مع تخفيف مدة الحبس الخاصة بهم جراء الجناية التي قاموا بها^(٤٢)

استمرت زيارة المفتشين الى سجن البصرة إذ قدم المفتش الاداري امين خالص الى سجن البصرة عام ١٩٥٠ وجاء في تقريره ما يلي:

١- مدير السجن خليل اسماعيل باشر في ٧ شباط ١٩٤١ يعاونه في ذلك مأمور السجن السيد داود وهي راتبه ١٨ دينار باشر في مايس ١٩٥٠ وان ملاك السجن كامل.

٢- الارزاق: يعطي السجن حسب القائمة المصادق طيها من قبل وزارة الشؤون الاجتماعية والتي يقوم بتجهيزها متعهدين وفق الشروط الواردة في قوائم المناقصات ولقد وجدت ان تنوع المخضرات في الصيف محدود جدا في ارزاق السجناء فمثلا يعطي من المخضرات الشجر (اليقطين) والخيار والباذنجان واما الخضروات الاخرى فأنها ليعرفها ذكر في قائمة الارزاق او التعهد كالتماطة والبامية والفاصولية الخضراء وهي كثيرة الفيتامين لا تعطى ضمن الارزاق الصيفية فلو تنوعت الخضروات ولا اعتقد ان هناك فرق في اسعارها كما وان الفواكه في ايام الصيف يعطى منها للسجين العنب والرقي والخيار ولم يرد ذكر سواها من الفواكه فلو نوعت بالمشمش والخوخ والكوجة اذا تساوت الاسعار فليس هناك ضير او ضرر على الخزينة.

٣- حالة السجين: ان السجين كما ذكرت عنه بتقرير المرقم ٢٦ والمؤرخ في ٢٩ ايلول ١٩٤٩ على حالته تلك وان الموقف مخصص لاستيعاب ٤٠ موقوفا وبعد الان لا موقوفا ويزداد العدد الى ما يقرب من ال (٨٠) موقوفا ولقد طلب مدير السجن الى ملحقات اللواء ومديرية الشرطة وحكامة التحقيق عدم ارسال اي موقوف مالم يخف الازدحام الموجود الان في الموقف هذا.

٤- ان وضع السجن بحالة جيدة جدا من حيث النظافة والانتظام وان لأشكر مديره الحالي السيد خليل اسماعيل كما وانه مجد في تنظيف السجن في هذه البؤرة مكتبة لتهديب من يحسن القراءة .

٥- ان بناية السجن من حيث العموم لا بأس بها لولا ضيق الموقف، وان حالة جميع المواقف في السجن تضيق بنزلائها فيرجى لوزارة الشؤون الاجتماعية ان تأمر بملاحظة توسيعها ان رأيت ذلك ممكن في ميزانيتها^(٤٣)

وبتاريخ ٢٣ تشرين الثاني عام ١٩٥١ تم تفتيش السجن من قبل المفتش الاداري امين خالص وجاء في تقريره:

مدير السجن السيد خليل ابراهيم والملاك كامل لكل الموظفين والمساجين.

الارزاق:

علمت انه قد تم تعديل نظام السجن في ما يخص تغذية المساجين وفق ما كنت قد عرضته بتقرير المؤرخ في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٥٠. المرقم ٢٥ حول ادخال قائمة الغذاء بالفواكه والخضروات الصيفية والشتوية بدون تحديد نوعها، كذلك ادخال السكر والزبدة والجبن والحليب والبيض والدبس، وعدم الاقتصار على اللحم (٤) مرات في الاسبوع ، بل يصرف للسجين طيلة ايام الاسبوع الكمية المخصصة له من غذاءه من لحم الظأن، وعدم اعطائه لحوم البقر طيلة ايام السنة، فأن هذه المنحة في سبيل الاعاشة يزيد ما في السجن من تهديب وشدة ارتباطه بالهيئة الاجتماعية، ولا شك انه كان يتصور ان الفكرة السائدة هي اهانة شعور السجن واضطهاده حتى في سبيل عيشه خلال مدة حجره في هذه المؤسسات التي تعد مؤسسات تهذيبيية واصلاحية اذا ما شعر السجين انه فرد من هذه المجموعة التي قررت حجره لتأديبه لا لأهانة شعوره الانساني .

أما حالة السجن: كان يحتوي على (٤٠٠) سجين و (٧٨) موقوفا منهم (١٠) نساء والباقي رجال كما يبينه الجدول ادناه:

جدول رقم (٢) عدد السجناء في سجن البصرة عام ١٩٥١^(٤٤)

ت	نوع الحكم	الذكور	الاناث
١	اعدام	١	
٢	مؤبد	٦٦	

٣	شاق	٩٥	
٤	شديد	١٧٠	٦
٥	بسيط	٥٨	٣
٦	مديون	١٠	
٧	موقوف	٧٨	١
	المجموع	٤٧٨	١٠

ان وضع السجن جيد جدا، اما بناية السجن كافية لاستيعاب هذا العدد سوى ضيق في بناية الموقوف والمكان نظيف جدا ولا توجد شكاوي عن سوء الادارة سوى قلة الارزاق (٤٥)

الخاتمة

يمكن تلخيص النتائج التي توصل اليها البحث بما يلي:

- ١- اهمية السجن بوصفها المكان الذي يوضع فيه المجرمون لكي يؤخذون عقابهم الكافي لقاء ما اقترفوه من جرائم ضد المجتمع.
- ٢- ارتباط السجن بشكل كبير ومباشر مع ما تقوم به قوات مديرية شرطة لواء البصرة من اعمال ونشاطات، لتكون السجن عقاباً لكل من يقوم بجريمة ما.
- ٣- اهتمت مديرية السجن العامة بسجن البصرة المركزي الذي ظهرت فيه بعض المعامل الصغيرة التي مارس فيها السجناء انواع الاعمال من خياطة وحدادة ونجارة.
- ٤- اهتمام الصحف البصرية بنقل اخبار السجن، فضلاً عن نشر الاعلانات الخاصة بكل ما يتعلق به من امور.
- ٥- اهتمام المفتشين الاداريين بزيارة سجن البصرة المركزي والاطلاع على الاوضاع العامة، وتسجيل ابرز المقترحات التي تخص السجناء.
- ٦- لم يخل السجن من الاحداث الداخلية فيه من اعمال شغب، وعمليات هروب، الا ان حراسة السجن كانت مشددة وتقف بالمرصاد ضد ذلك.

الهوامش:

- ١- صحيفة الثغر، العدد ٢، في ١٣ اذار ١٩٣٣.
- ٢- امين لطفي، المصدر السابق، ص ١٣٢.
- ٣- المصدر نفسه، ص ١٣١.

- ٤- صحيفة الثغر، العدد ٢٥٤، في ٨ كانون الثاني ١٩٣٤.
- ٥- صحيفة الثغر، العدد ٢٦٧، في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٤.
- ٦- صحيفة الثغر، العدد ٩٩٥، في ١٦ حزيران ١٩٣٨.
- ٧- صحيفة الثغر، العدد ٣٧٤٠، في ٢١ ايلول ١٩٤٧.
- ٨- صحيفة الثغر، العدد ٣٨٠٢، في ٩ كانون الاول ١٩٤٧.
- ٩- صحيفة الثغر، العدد ٤١٥٢، في ١٤ شباط ١٩٤٩.
- ١٠- صحيفة الثغر، العدد ٥٥٣٩، في ١٧ تشرين الاول ١٩٥٣.
- ١١- صحيفة الثغر، العدد ٥٩٨٨، في ١٩ تموز ١٩٥٥.
- ١٢- الجدول من عمل الباحثة بالاعتماد على ، صحيفة الثغر، العدد ١٧٦، في ٥ تشرين الاول ١٩٣٣؛ صحيفة الثغر ، العدد ٢٦٧ في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٤؛ صحيفة الناس ، العدد ١٨٦ في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٦؛ صحيفة الناس، العدد ٤٣٩ في ١٠ ايار ١٩٣٨؛ صحيفة الثغر ، العدد ٣٧٤٠ في ٢١ ايلول ١٩٤٧؛ صحيفة النبأ، العدد ٥١ في ٢٣ حزيران ١٩٤٨؛ صحيفة الثغر ، العدد ٤١٥٢ في ١٤ شباط ١٩٤٩؛ صحيفة الدستور ، العدد ١٠٣ في ٢٦ اب ١٩٥٠؛ صحيفة الدستور، العدد ١٣٦ في ٢ تشرين الثاني ١٩٥٣؛ صحيفة الثغر ، العدد ٥٩٨٨ في ١٩ تموز ١٩٥٥.
- ١٣- سجن بغداد المركزي: انشأ عام ١٩٣١ على عهد الملك فيصل الاول وكان موقع السجن في باب المعظم في بغداد، ويتكون من (٥) قلاع كبيرة تحيط بها الجدران العالية، وابوابها حديدية متينة القضبان وفي داخلها السجناء، كما ضم السجن بعض المعامل الصغيرة ومسجد ومكتبة وحديقة كبيرة وتطل المعامل على ساحة السجن الكبيرة، ويعمل فيها عدد كبير من المساجين، ومن ابرز المعامل فيه معمل النسيج الذي كان ذا فائدة كبيرة للعاملين، وكانت مساحة المعمل كبيرة بلغت ١٥ متر طولاً و ٣٠ متراً عرضاً، واحتوى على عدد من المناسج بلغ عددها ٤٧ منسجة، وعمل عليها عدد كبير من المساجين وبلغ عددهم ٢٥٠ سجيناً، ومنتج المعمل انواع من الاقمشة والمناشف والبطانيات، فضلاً عن انتاجه لفافات لأفراد الشرطة، ينظر: عهد مُجَّد عبد علي العامري، السجن والمعتقلات العراقية دراسة في احوال السجناء والمعتقلين السياسيين ١٩٢١-١٩٥٨، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠١٥، ص ٤٤-٤٥.
- ١٤- صحيفة الثغر، العدد ٢، في ١٣ اذار ١٩٣٣.
- ١٥- صحيفة الثغر، العدد ١٤٩، في ٣ ايلول ١٩٣٣.
- ١٦- صحيفة الثغر، العدد ١٥٠، في ٤ ايلول ١٩٣٣.
- ١٧- صحيفة الثغر، العدد ١٥٢، في ٦ ايلول ١٩٣٣.

- ١٨- صحيفة الثغر، العدد ١٤١، في ٢٤ ايلول ١٩٣٣.
- ١٩- صحيفة الثغر، العدد ١٦٨، في ٢٦ ايلول ١٩٣٣.
- ٢٠- قحطان حميد كاظم العنبيكي، وزارة الداخلية الهيكل الوظيفي وتطور مؤسسات العمل التخصصي ١٩٢٥-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى جامعة ديالى، كلية التربية، ٢٠٠٣، ص ٥٤.
- ٢١- صحيفة الناس، العدد ٧٧، في ١٠ اذار ١٩٣٦.
- ٢٢- صحيفة الناس، العدد ١١٠، في ٢٨ ايار ١٩٣٦.
- ٢٣- صحيفة الناس، العدد ١٣١، في ١٦ تموز ١٩٣٦.
- ٢٤- صحيفة الناس، العدد ١٤٦، في ٢٠ اب ١٩٣٦.
- ٢٥- مستشفى العزل: يعرف بمستشفى (دويد) ويقع قرب قرية (ام النعاج) بالقرب من مقبرة المسيحيين في منطقة المطيحة حالياً، سمي المستشفى في بهذا الاسم لان طبيب المستشفى كان يسمى ديفيد، واصبح مثلاً شائعاً لدى اهالي القرية راح فلان للطبيب ديفيد ورجع من دويد، ينظر: وسام نوري عبد الواحد المطوري، الأوضاع الصحية في لواء البصرة ١٩٣٩-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب- جامعة البصرة، ٢٠١٧، ص ٣٢.
- ٢٦- صحيفة الثغر، العدد ٨٥٠، في ٢٩ ايلول ١٩٣٧.
- ٢٧- صحيفة الناس، العدد ٣٦٩، في ٢٣ اذار ١٩٣٨.
- ٢٨- صحيفة الناس، العدد ٤٠٧، في ١٠ ايار ١٩٣٨.
- ٢٩- صحيفة الوقائع العراقية، العدد ١٨٠٩ في ١٦ حزيران ١٩٤٠؛ للمزيد من التفاصيل ينظر: مجموعة الأنظمة والقوانين لسنة ١٩٤٠، بغداد-١٩٣٩، ص ١٢٠-١٣٩.
- ٣٠- الكوليرا: وتسمى الهیضة الآسيوية أيضاً وهي من أشد الاوبئة خطورة وفتكاً، لسرعة أنتشارها بين الناس بسبب العدوى وأرتفاع نسبة الوفيات فيها، ومن أعراضها القيء المتكرر والسعال الشديد دون ألم أو مغص الذي يستنزف السوائل في الجسم مع هبوط في درجات الحرارة والدورة الدموية ونقص البول أو أنحباسه مما يسبب حالة الوفاة للمريض، وتنتقل العدوى عن طريق المأكولات والفواكه الملوثة أو استخدام الماء الملوث بالمواد البرازية للمصابين، وتتراوح مدة حضانة المرض من ١٢ ساعة الى أربعة أيام او خمسة، ويتوطن المرض بعض المناطق في آسيا والهند. ينظر: وميض سرحان ذياب عبد الواحد، موجات الأوبئة والقحط والكوارث الطبيعية في العراق ١٨٣٠-١٩١٧ رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٠، ص ٥٠.
- ٣١- صحيفة الناس، العدد ١٢٣٨، في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٧.
- ٣٢- صحيفة الثغر، العدد ٣٨٠٣، في ١٠ كانون الاول ١٩٤٧.

- ٣٣- صحيفة الثغر، العدد ٤١٤٤، في ٥ شباط ١٩٤٩.
- ٣٤- صحيفة الثغر، العدد ٤٦٣٢، في ٢١ ايلول ١٩٥٠.
- ٣٥- صحيفة الدستور، العدد ٣٦٤، في ٢ تشرين الثاني ١٩٥٣.
- ٣٦- ناجي تركي حمزة عمران، وزارة الشؤون الاجتماعية ١٩٣٩-١٩٥٨، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد- كلية التربية ابن رشد، ٢٠١٢، ص ١٣٣-١٣٤.
- ٣٧- صحيفة الوقائع العراقية، العدد ٢٣٤١ في ١٤ شباط ١٩٤٦.
- ٣٨- - امين لطفي، دليل البصرة، البصرة، ١٩٥٤، ص ١٣١.
- ٣٩- عبد المجيد يعقوبي: ولد عام ١٩٠٧ في مدينة كركوك ومثلها في المجلس النيابي في عدة دورات خلال المدة ١٩٣١-١٩٤١، وتنقل في المناصب الادارية إذ شغل منصب مفتشاً اداريا لألوية البصرة والعمارة والمتنق خلال المدة ١٩٣٥-١٩٣٧، كان له خلاف كبير مع متصرف لواء البصرة تحسين علي ١٩٣٤-١٩٣٨، وتوفي في مدينة كركوك في تشرين الثاني عام ١٩٥٧، حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، لبنان، ٢٠١٣، ص ٥٥.
- ٤٠- د، ك، و، ملفات وزارة الداخلية، الديوان، رقم الملف ٨٣٤٣ / ٣٢٠٥٠، عنوان الملف / تقارير التفتيش الاعتيادية للواء البصرة ١٩٣٤-١٩٣٤، و ٣، ص ٣١.
- ٤١- جعفر حمدي: ولد في بغداد في عام ١٨٩٤ من عائلة دينية عربية عرفت بالصلاح والتقوى، تعلم القراءة والكتابة ومارس التجارة في مستقبل حياته على نطاق محدود، واصل دراسته في المدرسة الجعفرية في بغداد حتى اكما مرحلة الثانوية فيها، وعمل مدرساً في مدرسة اعداد المعلمين في بغداد خلال الفترة ١٩١٤-١٩١٨، ثم التحق بكلية الحقوق لغرض اكمال دراسته الجامعية وتخرج منها عام ١٩٢٥، وتدرج في السلك الاداري اذ اصبح حاكماً للصلح في الكاظمية عام ١٩٢٥، ثم أصبح قاضياً في محكمة النجف، وعين في عام ١٩٢٨ مديراً للحقوق في وزارة الداخلية، ثم عاد ليصبح حاكماً لمدينة الكاظمية عام ١٩٢٩، ثم نقل الى وزارة الداخلية ليمارس عمله فيها، أذ اصبح قائم مقام النجف في ايار ١٩٣١، وبعدها قائم مقام قلعة سكر في تشرين الأول ١٩٣٣، ثم مندي في ايار ١٩٣٤، ثم اصبح مفتشاً ادارياً في عام ١٩٣٥، واصبح بعد ذلك متصرفاً للواء الكوت في اذار ١٩٣٦، ثم نقل الى لواء الحلة في كانون الاول من العام نفسه، ثم عين وزيراً للمعارف عام ١٩٣٧، ثم اصبح مديراً عاماً لشؤون العشائر عام ١٩٣٧، ثن اعيد متصرفاً للواء الكوت في ١٩٣٨، ثم نقل الى لواء المتنق في شباط ١٩٣٩، ثم عين متصرفاً للواء كربلاء في ايلول من العام نفسه، ثم عين متصرفاً للواء الدليم في حزيران ١٩٤٠، كما شارك في المجلس النيابي في عدة دورات انتخابية، وتوفي في بغداد في ١٩ كانون الثاني ١٩٥٢، للمزيد من التفاصيل ينظر: جلال كاظم محسن مُجد الكناي، جعفر

حمدي سيرته الاجتماعية ونشاطه السياسي والبرلماني في العراق ١٨٩٤-١٩٥٢، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد ٣٩، ٢٠١٢، ص ٢٣٩-٢٤٠.

٤٢ - د. ك. و. وزارة الداخلية- الديوان، رقم الملف ٢٥٤٢ / ٣٢٠٥٠، عنوان الملف ، تفتيش السجون في الوية البصرة والعمارة والمتفق، ١٩٣٩، و١١، ص ١٢.

٤٣ - د. ك. و. وزارة الداخلية - الديوان، رقم الملف ٧٦٤٣ / ٣٢٠٥٠، عنوان الملف، تقارير تفتيش البصرة ١٩٥٠-١٩٥٢، عن تقرير المفتش الاداري امين خالص المرقم ٢٥ في ١١/٢٨، ١٩٥٠، و١٠، ص ١٣.

٤٤ - الجدول من عمل الباحثة بالاعتماد على تقرير المفتش الاداري امين خالص المرقم ٦٨ بتاريخ ١١/٢٣ / ١٩٥١، و١٢، ص ١٩.

٤٥ - عن تقرير المفتش الاداري امين خالص المرقم ٦٨ بتاريخ ١١/٢٣ / ١٩٥١، و١٢، ص ١٩.

المصادر

أولاً: وثائق وزارة الداخلية غير المنشورة.

١- د، ك، و، ملفات وزارة الداخلية، الديوان، رقم الملف ٨٣٤٣ / ٣٢٠٥٠، عنوان الملف / تقارير التفتيش الاعتيادية للواء البصرة ١٩٣٤-١٩٣٤.

٢- د . ك. و. وزارة الداخلية - الديوان، رقم الملف ٧٦٤٣ / ٣٢٠٥٠، عنوان الملف، تقارير تفتيش البصرة ١٩٥٠-١٩٥٢.

٣- تقرير المفتش الاداري امين خالص المرقم ٢٥ في ٢٨ / ١١، ١٩٥٠.

٤- تقرير المفتش الاداري امين خالص المرقم ٦٨ بتاريخ ١١/٢٣ / ١٩٥١.

ثانياً: الرسائل الجامعية:

١- عهد محمد عبد علي العامري، السجون والمعتقلات العراقية دراسة في احوال السجناء والمعتقلين السياسيين ١٩٢١-١٩٥٨، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠١٥.

٢- فحطان حميد كاظم العنكي، وزارة الداخلية الهيكل الوظيفي وتطور مؤسسات العمل التخصصي ١٩٢٥-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى جامعة ديالى، كلية التربية، ٢٠٠٣.

٣- وسام نوري عبد الواحد المطوري، الأوضاع الصحية في لواء البصرة ١٩٣٩-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب- جامعة البصرة، ٢٠١٧.

- ٤- وميض سرحان ذياب عبد الواحد، موجات الأوبئة والقحط والكوارث الطبيعية في العراق ١٨٣٠-١٩١٧ رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٠.
- ٥- ناجي تركي حمزة عمران، وزارة الشؤون الاجتماعية ١٩٣٩-١٩٥٨، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد- كلية التربية ابن رشد، ٢٠١٢.

ثالثاً: الكتب العربية:

- ١- امين لطفي، دليل البصرة، البصرة، ١٩٥٤.
- ٢- حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، لبنان، ٢٠١٣.

رابعاً: البحوث المنشورة:

- ١- جلال كاظم محسن مُجد الكناني، جعفر حمدي سيرته الاجتماعية ونشاطه السياسي والبرلماني في العراق ١٨٩٤-١٩٥٢، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد ٣٩، ٢٠١٢.

خامساً: الصحف:

أ- صحيفة الثغر:

- صحيفة الثغر، العدد ٢، في ١٣ اذار ١٩٣٣.
- صحيفة الثغر، العدد ١٤، في ٢٤ ايلول ١٩٣٣.
- صحيفة الثغر، العدد ١٤٩، في ٣ ايلول ١٩٣٣.
- صحيفة الثغر، العدد ١٥٠، في ٤ ايلول ١٩٣٣.
- صحيفة الثغر، العدد ١٥٢، في ٦ ايلول ١٩٣٣.
- صحيفة الثغر، العدد ١٤١، في ٢٤ ايلول ١٩٣٣.
- صحيفة الثغر، العدد ١٦٨، في ٢٦ ايلول ١٩٣٣.
- صحيفة الثغر، العدد ٢٥٤، في ٨ كانون الثاني ١٩٣٤.
- صحيفة الثغر، العدد ٢٦٧، في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٤.
- صحيفة الثغر، العدد ٨٥٠، في ٢٩ ايلول ١٩٣٧.
- صحيفة الثغر، العدد ٩٩٥، في ١٦ حزيران ١٩٣٨.
- صحيفة الثغر، العدد ٣٧٤، في ٢١ ايلول ١٩٤٧.
- صحيفة الثغر، العدد ٣٨٠٢، في ٩ كانون الاول ١٩٤٧.
- صحيفة الثغر، العدد ٣٨٠٣، في ١٠ كانون الاول ١٩٤٧.
- صحيفة الثغر، العدد ٤١٤٤، في ٥ شباط ١٩٤٩.

- صحيفة الثغر، العدد ٤١٥٢، ١٤ في شباط ١٩٤٩.
- صحيفة الثغر، العدد ٤٦٣٢، في ٢١ ايلول ١٩٥٠.
- صحيفة الثغر، العدد ٥٥٣٩، في ١٧ تشرين الاول ١٩٥٣.
- صحيفة الثغر، العدد ٥٩٨٨، في ١٩ تموز ١٩٥٥.

ب- صحيفة الناس:

- صحيفة الناس، العدد ٧٧، في ١٠ اذار ١٩٣٦.
- صحيفة الناس، العدد ١١٠، في ٢٨ ايار ١٩٣٦.
- صحيفة الناس، العدد ١٣١، في ١٦ تموز ١٩٣٦.
- صحيفة الناس، العدد ١٤٦، في ٢٠ اب ١٩٣٦.
- صحيفة الناس، العدد ٣٦٩، في ٢٣ اذار ١٩٣٨.
- صحيفة الناس، العدد ٤٠٧، في ١٠ ايار ١٩٣٨.
- صحيفة الناس، العدد ١٢٣٨، في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٧.

ج- صحيفة الوقائع العراقية:

- صحيفة الوقائع العراقية، العدد ١٨٠٩ في ١٦ حزيران ١٩٤٠.
- صحيفة الوقائع العراقية، العدد ٢٣٤١ في ١٤ شباط ١٩٤٦.

د- صحيفة الدستور:

- صحيفة الدستور، العدد ٣٦، في ٢ تشرين الثاني ١٩٥٣.

الاستعارة التمثيلية في المعلقات العشر

الطالبة/ أماني حمدان مرزوق الرقب

أ.د. هاشم صالح مناع/ أستاذ الدراسات العليا في الأدب والنقد/ جامعة الإسرء/ الأردن

الملخص:

تتناول هذه الدراسة الاستعارة التمثيلية في المعلقات العشر؛ منزلتها ومكانتها في البلاغة العربية؛ وقد اعتمدها الشعراء الجاهليون- لاسيما شعراء المعلقات- في تقريب الصورة من ذهن المتلقي، بعد أن أعملوا فيها الفكر، وكد القرحة، وعمق التفكير؛ لإبرازها، وتوظيفها في النص، وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الاستعارة التمثيلية؛ لتبرز أثرها في تركيب الصورة التمثيلية المركبة التي تحمل في طياتها معنى المعاني الكثيرة المتعددة في شتى الموضوعات، كما أنها تجلو الغموض الذي يكتنف بعض الصور، وذلك من خلال الأنموذجات الشعرية ذات الصلة، أما المنهج المتبع فهو المنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج مهمة، منها: أن الشاعر لجأ إلى نسج الصور بصورة حكمة، أو مثل؛ للتأثير، كما أنها وظفت؛ لخدمة السياق وتقوية المعنى، بقوة اللفظ، وعمق المعنى، ودقة التشبيه، وجودة الكناية، وتحقيق الهدف.

الكلمات المفتاحية: (الاستعارة - التمثيلية - المعلقات العشر)

The Compound Metaphor in the Ten Moalaqas

Student: Amani Hamdan Marzooq Al-Raqab

Professor: Hashim Saleh Manna / Ex-dean of Faculty of Arts. Professor of

Graduate Studies in Literature and Criticism

Isra University, Jordan.

Abstract:

This thesis delves into the world of compound metaphors in the ten Moalaqas, unearthing their significance in the realm of Arabic rhetoric. The pre-Islamic poets, particularly those who composed the Moalaqats, wielded the compound metaphor with precision and finesse, conjuring vivid images in the minds of their readers. Such linguistic prowess required profound contemplation, enabling the poets to unveil the metaphor's potential to enrich the text.

The study casts light upon the compound metaphor, examining its influence on the structure of the compound metaphor itself, which embraces a myriad of meanings across a diverse range of subjects. Furthermore, the metaphor serves to dispel ambiguity,

illuminating the essence of certain images through pertinent poetic examples. To achieve this, a descriptive analytical approach has been employed in the exploration.

Significant findings emerged from the research, such as the poet's artful construction of images in the guise of proverbs or sage aphorisms for heightened emotional impact. The compound metaphor was also skillfully harnessed to bolster the context and strengthen meaning, achieved through powerful diction, profound significance, precise comparisons, the art of metonymy, and the realization of objectives.

Keywords: Compound, Metaphor, Ten Moalaqas.

المقدمة

اعتمد الشعراء في العصر الجاهلي الصور البيانية؛ لأهداف وغايات كثيرة، منها أنه قرب الصورة، ووضحها، وبينها في أبهى تصوير؛ لتؤثر في المتلقي الذي يمكنه أن يعيش مع تلك الصور ويراهها، وقد تجلت هذه الصور في التشبيهات والمجازات والكنائيات، وقد اعتنى هذا البحث بالاستعارة التمثيلية منها؛ لأنها جزء مهم من المجاز، وقسم جليل في الاستعارة التي تمثل عمدة علم البيان، وقد تناول البلاغيون القدامى والمحدثون موضوع المجاز، والاستعارة، وبينوا مكانتها في باب البيان، وخصوا بالذكر الاستعارة التمثيلية؛ لأنها تمثيلية تركيبية، تصلح أن تكون حكمة، أو مثلاً، يقاس به وعليه موضوعات كثيرة، ويحتج به في ضرب المثل، وتسعف المستشهد بها بتوصيل المعنى المطلوب، دون توجيه الكلام مباشرة للمتلقي؛ فيكون أكثر تأثيراً، وأعمق موقفاً، وبالتالي يشجع على إعمال الفكر؛ للوصول إلى الغاية من توظيف الاستعارة التمثيلية.

وتتجلى أهمية هذه الدراسة في أنها مخصصة بالمعلقات العشر التي لم يتم تناولها بالدراسة من باب الاستعارة التمثيلية، على الرغم من عدم وجود دراسات معمقة في هذا الباب، وفق معلومات الباحثين، سوى بعض الدراسات القليلة جداً، والمتعلقة بالقرآن الكريم، نذكر منها:

١. الترك، صفاء حسني عبدالمحسن (٢٠١١)، الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين (رسالة ماجستير).

على الرغم من عدم التشابه بين الموضوعين: القرآن الكريم، والمعلقات العشر، إلا أنها تبقى دراسة في باب الاستعارة التمثيلية التي لا بد من الإشارة إليها من باب المنهجية البحثية، والأمانة العلمية.

٢. رمضان، أحمد فتحي (١٩٨٨)، الاستعارة في القرآن الكريم، جامعة الموصل. الموصل، الجمهورية العراقية. (رسالة ماجستير).

وهذه الدراسة كما نلاحظ فهي متصلة بالقرآن الكريم، وتناولت بعجالة الاستعارة التمثيلية؛ لأنها لم تكن مقتصرة عليها وهناك دراسات أخرى، لكنها لم تكن مختصة بالاستعارة التمثيلية على وجه التحديد، إنما بالاستعارة بصورة عامة، وقد تناول الاستعارة التمثيلية بالاستشهاد ببعض بعض الأبيات ذات الصلة، من عصور أدبية مختلفة: جاهلية، وإسلامية،

وأموية، وأندلسية، وعباسية، وحديّة، وقد ركزت تلك الدراسات على الاستعارتين (التصريحية، والمكنية)، وكأن الاستعارة التمثيلية، غير متصلة اتصالاً وثيقاً بالاستعارة، أو المجاز، أو التشبيه، ولذلك، لا نجد أهمية لسرد تلك الدراسات ههنا؛ لا سيما أنّها لم تكن معنية بشكل أساس بموضوع دراستنا^(١).

والاستعارة التمثيلية هي موضوع بلاغي مهم، وبياني له مكانته، ومجازي له منزلته، واستعارة تركيبية لها أثرها القوي؛ لأنها تركيب لغوي، لا لفظي كالاستعارتين: التصريحية، والمكنية، وهي تشبيه تمثيلي حذف منه المشبه، فهي تركيبية تمثيلية بامتياز، تعتمد العقل والتفكير في صياغتها؛ لأنها تقوم على خدمة النص، وتماسكه، لا سيما في المعنى؛ لأن هدفها هو تقريب الصورة، ووظيفتها توضيح المعنى، وإصابة التشبيه، وتوضيح الكناية... ولعلنا نجد فيها: المقارنة، والقياس، والحجاج، والمجازة، والموازنة، والمماثلة، والمشابهة، والمطابقة، والافتداء، والاحتذاء، والتساوي، والتشاكل، والتناسب، والتضارع، والتآلف، والتجانس، والتناسق، والتساق، والانسجام، والتلاؤم، والتوافق، والتناغم... وما إلى ذلك مما تحمله هذه الكلمات من معان، ودلالات... وستضح حقيقة ما ذهبنا إليه حين نعرض أنموذجات تطبيقية على الاستعارة التمثيلية...

أما هدف هذه الدراسة فإنها تتجلى بكل وضوح تناول موضوع الاستعارة التمثيلية في المعلقات العشر؛ لإظهار أهميتها ومكانتها في البلاغة والبيان والمجاز والاستعارة، وبيان تأثيرها في المتلقي، وتوضيح علاقتها بالحكمة والمثل، وعلاقتها بالفكر والعاطفة، والصياغة والسبك، ما يشكل تقريب الصورة الاستعارية التمثيلية المركبة، وإمكانية القياس بها موضوعات شتى، في أغراض متنوعة، من: تحذير، وتنويه، وتهديد، ونهي، ووعظ، وإرشاد، وفضيلة، وإنسانية... ويمكن مساواتها بعيار الميزان الذي توزن به أشياء كثيرة متنوعة ومختلفة، إذن، فهو مقياس ثابت؛ لموضوعات مختلفة، وهو يمثل (حال المشبه به) المذكور، والموضوعات التي تقاس به تمثل (حال المشبه) المحذوف المقدر.

وقد تم تعيين المعلقات العشر؛ لتكون ميدان الدراسة، فإن ذلك يعود لأسباب عدة، أهمها: أن هذه المعلقات لم يتم استهدافها بدراسة ماثلة، كما أن فيها أنموذجات كثيرة تسعف الدراسة في باب الاستعارة التمثيلية التركيبية التي عمادها الحكمة والمثل، وأخيراً، فإن موضوع "روائع التشبيه والاستعارة في المعلقات العشر" مسجل؛ للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، بجامعة الإسراء من قبل الطالبة/أماني الرقب، بإشراف أ.د.هاشم صالح مناع، أستاذ الدراسات العليا في الأدب والنقد.

وستتناول هذه الدراسة عنوانات، لا أبواباً، وفصولاً، ومباحث؛ لأنها عبارة عن بحث مركز، يحاول تسليط الضوء على مجموعة من القضايا؛ لتكون أساساً متيناً لموضوع الدراسة من خلال الأنموذجات التطبيقية، بعد الوقوف على تعريف الاستعارة التمثيلية موضوع هذه الدراسة، أما الموضوعات؛ فهي: (المجاز) و(الاستعارات: المكنية، والتصريحية، والتمثيلية)، و(الحكمة والمثل)، وعلاقتها بالاستعارة التمثيلية، (الأنموذجات التطبيقية)، ثم ردف كل ذلك بخاتمة ونتائج بأهم ما توصل إليه البحث.

المجاز اللغوي: هو باب من أبواب علم البيان، وقسم من أقسام المجاز، إذ يقسم المجاز إلى قسمين: مجاز عقلي، ومجاز لغوي، والبحث معني بالأخير الذي ينبثق عنه: المجاز المرسل (هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة مع وجود قرينة مانعة من إيراد المعنى الأصلي)، والاستعارة (هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع وجود قرينة مانعة من إيراد المعنى الأصلي)، والفرق بينهما المشابهة كما نلاحظ^(٢).

الاستعارة: لا نريد أن نتحدث عن تفاصيل أقسام الاستعارة تبعاً للطرفين، و(الجامع)؛ لأن ذلك سيشتت موضوع البحث، ويخرجه عن منهجيته لذلك سنشير بعجالة إلى أقسام الاستعارة تبعاً ل(ذكر أحد الطرفين)، وهي الاستعارات: (التصريحية)، و(المكنية)، و(التمثيلية التركيبية)، وسنقف على الأخيرة بالتفصيل، فالاستعارة التصريحية، هي: ما صرح فيها بلفظ المشبه به، وحذف المشبه، مع وجود قرينة مانعة من ذكر المعنى الأصلي، أما الاستعارة المكنية؛ فهي: ما صرح فيها بلفظ المشبه، وحذف المشبه به، مع وجود قرينة مانعة من ذكر المعنى الأصلي، أما الاستعارة المكنية، وكلاهما تشبيه بليغ، حذف أحد طرفيه^(٣).

الاستعارة التمثيلية:

الاستعارة التمثيلية هي تشبيه تمثيلي حذف منه صورة المشبه المركبة، وبقي صورة المشبه به المركبة؛ لفتح مجازاً واسعاً لتشبيه التركيب المذكور بما يقابله من موضوعات تتفق معه؛ فالفرق بين التشبيه التمثيلي والاستعارة التمثيلية، أن الأولى تشبيه صورة بصورة مذكورتين، أما الأخرى تشبيه حال محذوفة بحال مذكورة، فالمذكورة ثابتة؛ لأنها تعد مقياساً، والأخرى مقاسة على هذا المقياس... فهذا ابن رشيق القيرواني يقول: "التمثيل والاستعارة من التشبيه، إلا أنهما بغير أدواته وعلى غير أسلوبه"^(٤)، أما ابن الأثير فإنه يعد التمثيل باباً من أبواب الكناية، فهذا هو ذا يقول: "أن تراد الإشارة إلى معنى فيوضع لفظ معنى آخر، ويكون ذلك مثلاً للمعنى الذي أرادت الإشارة إليه، كقولهم: فلان نقي الثوب: أي منزه"^(٥)، ولم يذكر عبد القاهر الجرجاني الاستعارة التمثيلية بالاسم، لكنه ألمح إليها على أن التمثيل مجاز بالاستعارة، أي: قائم على التشبيه، فيقول: "وأما التمثيل الذي يكون مجازاً لمجئك به على حد الاستعارة، فمثاله قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه: أراك تقدم رجلاً، وتؤخر أخرى"^(٦)، ويلاحظ أن العلماء وإن اختلفوا في تعريفهم للتمثيل والاستعارة، فقد اتفقوا إلى حد ما بالمعنى، واختلفوا في اللفظ والصياغة، ولعل قدامة بن جعفر يحسم هذا الاختلاف بتوضيح مفهوم التمثيل بقوله: "أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى؛ فيضع كلاماً يدل على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يشير إليه"^(٧).

غرض الاستعارة التمثيلية وسماها وفائدتها وإجراؤها:

بعد أن قدمنا لتعريف الاستعارة التمثيلية فإنه حري بنا أن نقول: إنها تعد من أهم أبواب الاستعارة؛ لأنها تشبيه حال بحال، أي: إنها مركبة، وبهذا تختلف عن (المكنية) و(التصريحية) في أنهما تشبيه حذف أحد طرفيه.

غرضها: القياس، والتشبيه، والتأثير، والإقناع، والحجاج، وتوصيل المعنى بيسر وسهولة.

سماحاً: إيجاز اللفظ، وعمق المعنى وسعته ودلالته، وقوة التشبيه، وجودة الكناية، وتعدد الحالات المشبه، ولا شك أن هذه السمات تمثل مميزات الحكم والأمثال التي هي أساس الاستعارة التمثيلية.

فائدتها: التوضيح بالكناية، وعدم التصريح، وإصابة الهدف، وتحقيق الغاية، وقد تحمل معنى المبالغة، لا سيما حين نحملها فوق طاقتها عند إجراء الاستعارة، وهي تصلح أن تكون (توقيعاً)؛ لا سيما إن كانت حكمة، أو مثلاً، لأنها تعتمد الحجة والدليل والبرهان، وتقوم بالإقناع، فهي واسعة العبارة، عميقة الدلالة.

إجراؤها: تشبيه حال محذوفة (المشبه المقدر)، بحال المذكور (المشبه به)، وتكون القرينة (حالية)، أي: حين نقوم بتوظيف الحكم، أو المثل، أو القول المأثور في الاستعارة التمثيلية علينا أن نتقن هذا التوظيف في مراعاة مقتضى الحال؛ لأن المشبه به ههنا هو عبارة عن معنى ثابت لا يتغير، ولا يجوز تغييره، وهو (عيار)، أو (مقياس) يقاس به موضوعات متنوعة كثيرة، تتساق مع هذا (العيار)، لا سيما من حيث المعنى، أو المضمون، فلو قلنا: "إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشُّوكِ الْعَنْبِ"، فإنك لا تستطيع أن تغير في صيغة المثل، وتقول: "إنك لا تجني من الصبر التفاح" مثلاً، أو "إنك لا تجني من الشوك الموز"، إذ لا بد أن يبقى على حاله دون تغيير، أما إجراء الاستعارة فيه، فنقول: إنه شبه حال من يعاديك أن ينتظر الحب والسلام منك بحال من يزرع الشوك فإنه لن يجني العنب منه، فالعلاقة بينهما (المشابهة في إظهار العداوة وانتظار الخير أو السلام)، والقرينة (حالية)، وعلى هذا فإننا يمكن أن نأتي بموضوعات كثيرة تمثل المشبه، مثل أن نقول: "شبه حال من لم يدرس للامتحان أن يجني النجاح"، أو "من يهمل تجارته تاركاً إياها للآخرين أن يجني الأرباح"، أو "من يأكل مما لا يزرع لا محالة أن يأتي اليوم الذي لن يجد فيه طعاماً"، أو "من لا يجرس حدوده فتكون مفتوحة للأغراب والأعداء يدخلون منها ويخرجون وينهبون فلا أمن ولا سلام"، أو من لا يسقي مزروعاته ويهملها فلا تنمر، أو قد تموت... وهكذا، إذ يمكن استخدام موضوعات لا حصر لها من خلال هذا المثل...

والجدير بالذكر أن الاستعارة التمثيلية ليست مقصورة على الشعر والنثر الفني فحسب، إذ يمكن أن تكون في الأمثال الشعبية والحكم أيضاً، ويعني هذا أنها ليست مقصورة على فئة من الناس، دون غيرهم، ولكن الفئة المثقفة تعي معنى توظيفها في مقتضى الحال، في أنها تمثل استعارة تمثيلية، أما الفئة الأخرى من الناس، فلا يعينها المصطلح؛ لأنها لا تعرف معناه، ولا يحظر في بالها أنه باب من أبواب البلاغة، فهدفها هو القياس، وتحقيق الهدف.

الحكمة والمثل: لن نطيل ههنا الحديث عنهما؛ وسنكتفي بموجز عنهما: لنبين أهميتهما، وتأثيرهما، وسماتهما، لا سيما أن الحكمة تعتمد المنطق والحجة والبرهان. فالحكمة: "هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم"، ويقال لمن يحسن دقائق من الصناعات ويتقنها: "حكيم"، وهو: ذو حكمة. أي: عالم. والحكْم والحكمة من العلم^(٨)، وقد ورد في الحديث الشريف: "... وإن من الشعر حكماً"، ويروى: "الحِكْمَةُ"، أي: كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه، وينهى عنهما، ويقال: أراد بها المواعظ والأمثال التي ينتفع الناس بها^(٩).

والحكمة اصطلاحاً: قول بليغ موجز يحاول سراً نظم خلقية يتبعها الناس فيما يرضونه من خصال وسلوك، أو ما ينكرونه من أفعال وعادات، تصاغ في بيت شعر أو مثل، أو عبارة أنيقة موجزة غزيرة المعنى، ذات دلالات بعيدة^(١٠)، تؤدي ما يؤديه المثل، إلا أنها لم تشع في الجمهور، هذا ما يقوله السيوطي^(١١)، بمعنى أنها إذا شاعت على الألسن صارت مثلاً، أقول: لا بدّ من توافر شروط في كل منهما للتمييز بينهما، من ذلك أن الحكمة لا يشترط فيها أن ترتبط بمحادثة أو مناسبة، بينما المثل لا بدّ من ارتباطه بذلك، ثم إن الحكمة تسمو في معانيها، ولا تسفّ في لفظها، هدفها توجيه النفس الإنسانية إلى الكمال، وتدعوها إلى الفضيلة والمنفعة، وتنهاها عن الجهل، أو الوقوع في الخطأ، وليس هذا من هدف المثل الذي قد ينحطّ في لفظه، ولا يدعو إلى الفضيلة والخلق. كما أن الحكمة يشترط فيها أن يسلم بها الجميع؛ لأنها تدعو إلى الأخلاق وتنتهي عن الرذائل^(١٢)، ولا شك أن الحكمة على وجه الخصوص تتناولها الخاصة والعامة، وتقرّ بها؛ لأنها صدرت عن عقل واع، وتفكير عميق، وخبرة طويلة، وتجربة عميقة، ونتيجة لمشاهدات وملاحظات، فهي تعبر عن المجتمع وبيئته، وحياته، وأخلاقه، وتصرفاته، وأمانيه، يقول أبو هلال العسكري: "إني ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن، كحاجته إلى الشاهد والحكمة والمثل والكلمة السائرة، فإن ذلك يزيد المنطق تخميماً، ويكسبه قبولاً، ويجعل له قدراً في النفوس، وحلاوة في الصدور، ويدعو القلوب إلى وعيه، ويبعثها على حفظه، ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكرة، والاستظهار به أو أن المجاورة في ميادين المجادلة، والمصاولة في حلقات المقابلة، وإنما هو في الكلام كالتفصيل في العقد، والتنوير في الروض، فينبغي أن يُستكثر من أنواعه، لأن الإقلال منها كاسمه إقلال والتقصير في التماسه قصور، وما كان منه مثلاً سائراً فمعرفة أزم؛ لأن منفعته أعم، والجهل به أقبح"^(١٣)، وقد أسهبت المصادر والمراجع في الحديث عن الحكمة والمثل، ويكفي أن نشير إلى ما تتميز به الحكمة والمثل من غيرها من الكلام، إذ يقال: "يجتمع في الحكمة أربعة أمور لا تجتمع في غيرها من ضروب الكلام، وهي: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهذه هي نهاية البلاغة"^(١٤)، وهي وشي الكلام وجوهر اللفظ، وحلى المعاني، والتي تخيّرتما العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها كلّ زمان وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عمّ عمومها، حتى قيل: أسير من مثل"^(١٥)، وقد أظهر كثير من القدامى منزلة الحكمة والمثل، ومكانتهما، ومقارنتهما بفنون القول الأخرى، لما تميّزا به، ولا شك أن كلا منهما يبين منهج التفكير عند العرب، وفلسفتهم الفطرية، وتفسيرهم للحياة، ولذلك حرصوا عليها في أقوالهم وفنونهم الأدبية، إذ طبعت بطابع خاص، ومميزات تميزت بها من غيرها من فنون القول، فهي: "تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في مجلّ أساليب القول، أخرجوها في أقواها من الألفاظ، ليخف استعمالها، ويسهل تداولها، فهي من أجلّ الكلام وأنبه، وأشرفه وأفضله، لقلّة ألفاظها، وكثرة معانيها، ويسير مؤنتها، على المتكلم، مع كبير عنايتها، وجسيم عائدتها. ومن عجائبها أنها من إيجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب، والحفظ مُوكّل بما راع من اللفظ، وندر من المعنى"^(١٦)

وحين نتحدث عن الحكمة عند العرب؛ فإننا نجد أنها منثورة في ثنايا القصائد، إذ لم تكن القصيدة كلها حكماً؛ لأن الشاعر الجاهلي كان يعيش حياة بدائية بسيطة غير معقدة، لذلك كانت الحكمة عنده تصدر من خلال تجربة أو خبرة،

أو نتيجة لحدث مر به الشاعر، فتأتي الحكمة خلاصة تجارب، يثبتها الشاعر في ثنايا قصائده في موضعها؛ نتيجة، أو حجة، أو تفسيراً لما مضى من حدث، ولا شك أن الحكم التي تأتي في ثنايا القصائد نتيجة لواقع أو حدث فإنها تكون أوقع في النفس، وأكثر تأثيراً، وهذا ما أشار إليه الجاحظ بقوله: "لو أن شعر صالح بن عبد القدوس، وسابق البربري كان مُفَرَّقاً في أشعار كثيرة، لصارت تلك الأشعار أرفع مما هي عليه بطبقات، ولصار شعرها نوارس سائرة في الآفاق. ولكن القصيدة إذا كانت كلها أمثالاً لم تَسِرْ، ولم تَجْرَ مجرى النوارس، ومتى لم يخرج السامع من شيء إلى شيء لم يكن لذلك عنده موقع" (١٧).

علاقة الاستعارة التمثيلية بالحكمة والمثل:

لا نكاد نجد فرقاً بين الاستعارة التمثيلية والحكمة والمثل في الإجراء، إلا في المصطلح، فهناك نقاط التقاء كثيرة بينهما، نذكر منها:

١. يضرب المثل لتشبيه حال الثاني بالأول، ويستشهد بالحكمة للأمر نفسه، وينطبق هذا على الاستعارة التمثيلية.
٢. كلاهما لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، وهذا ما ذهب إليه ابن السكيت (١٨).
٣. كلاهما "أوضح للمنطق، وأتق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث" كما يقول ابن المقفع (١٩).
٤. كلاهما يقاس به، وهدفه التأثير، والإقناع، والحجاج، وتوصيل المعنى ببسر وسهولة.
٥. كلاهما يهدف إلى التوضيح بالكناية، وعدم التصريح، وإصابة الهدف، وتحقيق الغاية، وهما يعتمدان إقامة الدليل والبرهان، ويقومان بالحجاج والإقناع.

أمثلة تطبيقية:

بعد أن عرضنا لمفاهيم الاستعارة التمثيلية (المركبة) التي تعتمد بصورة أساسية الحكمة والمثل، والقول المأثور، فإننا معنيون ههنا بعرض أمثلة شعرية، لا نثرية؛ لأن طبيعة الموضوع المستهدف هو في المعلق العشر، وسيحاول هذا البحث اختيار مجموعة من الأبيات التي وردت في ثنايا القصائد، والتي ذهبت مثلاً، أو تصلح أن تكون حكمة، ثم نحللها، ونبين أهميتها، وكيفية إجرائها، وسيتم اختيار تلك الأمثلة من القصائد المختلفة.

فمن الحكم الرائعة التي تمثلت فيها الاستعارات بكل جلاء ووضوح، وفاضت عظمة ونصحاً، في قول زهير:

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضْرَسَ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأَ بِمَنْسَمٍ
وَمَنْ لَمْ يَدُدْ عَن حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهْدَمَ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمَ (٢٠)

في هاتين الصورتين الفنييتين اللتين يفرغ بهما زهير خلاصة تجاربه، وخبراته، ونظراته إلى الحياة التي استوحاها من صميم تعامله مع الناس، واكتشافه لطباعهم، فهي حكم فرضتها مبادئ المجتمع، وحكم دالة على غوصه في النفس البشرية، وإبراز حقيقتها، ففي الحكمة الأولى يشبه زهير حال الإنسان الذي لا يعرف معاملة الناس؛ فيعرض عن مصانعتهم ومداراتهم، ومن لا يعامل الأمور بروية وحكمة وحنكة، فإنه يُخفق ويفشل، وربما يلحق به الأذى فيندم، بحال من يعرض نفسه للذم والشتم، وسيوطأ بحف البعير، وسيقطع بهذه الأنياب، أما الحكمة الثانية، فيشبه زهير حال من لا يدافع عن

عرضه، ومن لم يسع إلى رد ظلم الناس، وإبعاده عنه، ومن لا يحمي حريمه، فتستباح، بحال من تعرض للظلم وانتهاك حقوقه، ونهبها، ويستحل الناس حرمانه؛ فسيصبح لقممة ساعة لهم، فاستعير التركيب الدال على حال المشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة الحالية، وحذف المشبه مبالغةً في التشبيه، وبقي المشبه به، فهاتان الحكمتان دلتا على رقي عقلية زهير، وطريقة تفكيره، وفهمه لأسرار الدهر، ومدى فهمه لقضايا الإنسان، فزهيرٌ كان على رتبةٍ عليّةٍ في البلاغة، ومقامٍ جليلٍ في صناعة الكلام.

ومنحت الاستعارة التمثيلية جماليةً خاصةً، فقد أبرزت خفايا الكلام، ورفعت الستار عن الحقائق، ورفعت مقام هذا الفن من الكلام، وحسنه وبينته، وأظهرت روعة الألفاظ، وجودة السبك، وفضل الصياغة، وتتنحج جمالية الاستعارة التمثيلية، أنها تكون في التركيب، والقرينة التي تمنع ورود المعنى فيها غير لفظية، وأنها أكثر صلةً وتأثيراً في المتلقي، وأقوى من الاستعارتين: التصريحية، والمكنية.

ويقول أيضاً:

وَمَنْ يَغْتَرِبَ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَمْ يُكْرِمِ (٢١)

ويستمر زهيرٌ في سكب حكمه في ثنايا معلقته وقصيدته، إذ جمع بين حكمتين في بيت واحد، وكل واحدة منها تصلح أن تكون استعارة تمثيلية، فما هو ذا يشبه حال من يغترب ويسافر، ويغادر الوطن، بحال الإنسان الضعيف الذي لا يقدر على تمييز عدوه من صديقه، وكأن عدوه يخاله صديقاً، يأنس به، ويثق به؛ لأنه لم يجربهم، فقد حذف المشبه مبالغةً في التشبيه، وأبقى على المشبه به، والقرينة الحالية، أما الشطر الثاني فإنه يشبه فيه حال من لا يكرم نفسه بتجنب الدنيا والخطايا، ولم يعتل بنفسه، ويقدرها، بحال الذي لا يكرمه الناس، وقد أنزلوه قدراً ومنزلةً، وأصبح مذموماً من عشيرته وقبيلته، وانتزعت منه شيم الرجال، وحرم مجالسة الكبار والعقلاء والحكماء، فالمشبه محذوف، والمشبه به مذكور، مبالغةً في التركيب والتشبيه، مع وجود لفظيةٍ حاليةٍ، والتركيب يقوم على علاقة المشابهة، ويمنع فيها إرادة المعنى الأصلي.

وإذا ما نظرنا إلى الشطرين فإننا نجد أن زهيراً قد جمع بين الغربة وإكرام النفس، وحفظها من كل إهانة، أو عيب قد يلحق بها؛ لأن الغريب إذا ما أكرم نفسه واحترمها وقدرها، وهانت عليه، فإنه لن يحترمه الآخرون، لا سيما في الغربة، فيصبح منبوذاً مذموماً ممقوتاً؛ لأننا نتحدث عن زهير شاعر الحكمة التي امتدحها الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فلا يمكن أن ينظم الشطرين في بيت واحد دون أن يكون بينهما رابط، ولهذا نعتقد أن ما ذهبنا إليه يحتمل الصواب، وإلا فإننا نجد تفككاً، وعدم ترابط بينهما؛ لأن الأول يتحدث عن الغربة، والآخر يتحدث عن إكرام النفس وترفعها.

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَعْنَى عَنْهُ وَيُذَمُّ (٢٢)

وتتوالى الحكم عند زهير، كالسيل المنهمر، وهذا يدل على ما كان يملكه من خبرة وتجربة؛ لأن الحكمة لا تأتي إلا من خلالهما، يضاف إليهما، المشاهدة والملاحظة والمراقبة؛ لأن هذه الحكم لا بد أن تُخدم موضوعها الذي صيغت من أجله، فالحكمة تقوم على إعمال العقل، وكد القرينة، فهو هنا يشبه حال الذي يمتلك من الخير والفضل، والسعة في المال والرزق، ويبخل به على قومه، وذوي الحاجة إلى المال، ولم يساعد فقيراً، ولا محتاجاً، ففضل نفسه وماله وخيره عليهم،

وعلى قومه، بحال الذي يُستغنى عنه، ويذمّ من قومه وعشيرته؛ لأنه لم يغدق عليهم من خيره وماله، وأصبح في أعين قومه بخيلاً، لم توبخه نفسه على هذا الخلق الذميم، فكان مذموماً ومكروهاً، فكما نلاحظ أن هذه الحكم تمثل دعوة إلى القيام بكل ما يملكه الإنسان من عفو وكرم وسخاء وفضل وخلق وعون ومساعدة.. تجاه الآخرين الذين هم بأمرس الحاجة إليه، لا سيما تلك الحرب التي كانت دائرة بين قبيلتي: عبس، وذيبيان، فقد أخذ زهير يثير فيهم مكامن الكرامة والنخوة والعطف والأمن والسلام والصلة؛ لإطفاء تلك الحرب التي لم تخلّف إلا الدماء والقتل والدمار، إذن، فالحكم دعوة للسخاء والعطاء، لوقف سفك الدماء والقتل، وإثارة النعرات، عن طريق التكرم بدفع ديات القتلى؛ لأن الحرب بلا طائل، ولا فائدة، ولا يوجد فيها رابح، أو خاسر، فالكل خاسر.

وتتجلى قيمة الاستعارة التمثيلية، في وضوح الدلالة، وإيصال المعنى المراد إلى المتلقي بعباراتٍ تمثيلية، وصورة مركبة، تعكس متانة الألفاظ، وجودة المعاني، والبراعة في الصياغة، وحسن السبك. ويقول أيضاً:

وَمَنْ يَغْضِ أَطْرَافَ الرَّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي زَكَيْتُ كُلِّ لَهْدَمٍ^(٢٣)

في هذه الصورة الفنية التي يظهر فيها جلياً، أن زهيراً يمقت الحرب، بدلالة كلمة: (يطيع)، وهو الانقياد للقوة والإرغام؛ لأنه يرى أن القوة هي التي تقرر مصير الحرب، فيشبهه حال من أباي السلام، والمصالحة، ورفض الصلح والعهود، وأوقف شرور الحرب ونيرانها، بحال من ذلكته الحرب، وأرغمته أحوالها على طلب السلام، والاحتماء به، فمن الحكمة الاحتكام إلى العقل الذي يرفض الخراب والدماء والدمار، وإذا لم نحتكم لذلك، كان السلاح سيد الموقف، وكان الحكم الفصل. فزهيرٌ في حكمته تلك يعني أن السلام ليس معناه الخضوع والاستسلام، بل السلام القائم على العدل، لكن يجب بالمقابل أن ندافع عن النفس، إذا باغتنا القوة العاشية الباغية، وانتزاع الحق بالقوة؛ لأنه مطلب كل المبادئ والشرائع والأديان التي أقرت به.

وتظهر جمالية الاستعارة التمثيلية، في هذه الصورة الفنية، أن المشبه محذوف، وبقي المشبه؛ مبالغةً في التشبيه، والقرينة حالية، وتوضح جمالياتها في تمثيل حكمة، بعباراتٍ تمثيلية، ذات الألفاظ الرصينة، والجودة في المعاني، وبراعة السبك، وتماسك المفردات بعضها ببعض، كأنها كلاً واحداً، وتشكل بذلك مثلاً، وقيماً، وأخلاقاً. ومن قيمه وحكمه أيضاً قوله:

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِزِّهِ يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّتْمَ يُشْتَمُ^(٢٤)

يستمر زهيرٌ في توجيهاته السديدة، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، وضرورة أن يتحلّى الإنسان بالسلوك الحسن، فيشبهه حال من يتحلّى بالأخلاق العالية، والفعل الطيب، ومعاملته الحسنة، بحال الذي يحظى بعرضه موفور السلامة، وبكرامته عزيزة المنزلة، وشبه حال من يسلك سبيل السب والشتم، ويسلك طريق الهوان والإذلال، بحال الذي يشتم، ولقي بسبب ذلك جزاءً وافرًا.

وحكمة زهير تدل على أن الإنسان العربي لم يكن محروماً من حضارة النفس، والإحساس، والقيم والأخلاق، وهذه دعوة صريحة إلى الحفاظ على العرض، وهو كل ما يجب على الإنسان المحافظة عليه وحمائته، فالتضحية من أجله شرف وقدر وعز ورفعة.

وتتجلى الاستعارة التمثيلية، في حذف المشبه، وإبقاء على المشبه به، مبالغةً للتشبيه، وتتجلى جماليات العبارات التمثيلية، في اتحادها ببعضها بقرينةٍ حاليةٍ؛ لتشكيل القيم والحكم، في تماسكٍ في المعنى والأسلوب، ومثانة الألفاظ وجودتها؛ ولعل ما يجعلها، ويعطيها منزلة على غيرها من أقسام أبواب البلاغة، أنها تتميز بأنها مركبة، ثم أن المشبه محذوف، يقدر وفق المشبه به الذي يتسع للمماثلة والمشاكلة بموضوعات لا حصر لها. وفي معلقة طرفة بن العبد، تجلت بعض الحكم والقيم التي دعا إليها، ومنها قوله:

سُبْدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبْعَ لَهُ بِنَاتًا وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتِ مَوْعِدِ^(٢٥)

في هاذين البيتين، فرغ طرفة خلاصة تجاربه وخبراته في الحياة، ولا سيما حياة البدوي الجاهلي، ففي البيت الأول يقدم طرفة حكمة قيّمة، إذ يقول: إن الأيام كفيلاً بأن تطلع الإنسان عما غفل عنه، وجهله ولم يعرفه، وستنقل الأخبار له من غير أن يسعى لها، ومن لم تزود بها، فكل شيء سيعرفه الإنسان مع الزمن، ولن يبقى خبر مجهول، ولا شيء غامض، وتتجلى جمالية الاستعارة التمثيلية في هذا البيت، أن المشبه محذوف، وإبقاء المشبه به؛ مبالغةً في التشبيه، وأن ما منع ورود المعنى الحقيقي هو السياق، والقرينة حالية، وتتجلى جمالياتها في اختلافها عن الاستعارتين التصريحية، والمكنية، بأنهما يجريان في اللفظ، بينما هي في التركيب، ولكنها شاركت شقيقتها أن (التصريحية، والمكنية)، في الأصل، وهو الاستعارة. أما في البيت الثاني، فيتابع طرفة قوله في الحديث عن الأخبار، وكيفية وصولها: إن الأخبار ستنقل للإنسان، دون الحاجة إلى السفر والتنقل؛ للإتيان بها، ومعرفتها، وستأتي له دون عناءٍ أو مشقةٍ، ولم تبين له وقتاً لنقل الأخبار، وتتضح جمالية الاستعارة التمثيلية في هذا البيت، أنها فخّمت المعنى وكملتته، ووضّحته، وجعلت المعنى جلياً، والعبارات التمثيلية متناسقةً ومتناسكةً، وعبرت عن فصاحة القول، فأعطت معاني كثيرةً، بألفاظٍ يسيرةً، والمعنى يفهم من خلال السياق، ولها الأثر الواضح القوي في إبراز المعنى وتوجيهه، فلفظها قليل، لكن معانيها كثيرة، إذ تيسر الفهم على المتلقي، فالاستعارة التمثيلية والتمثيل "كالجوهر في الصدف، لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه، وكالعزير المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه".^(٢٦) ويلاحظ في البيتين التكامل في المعنى، إذ كان الأول عتبةً للآخر، مع أن كلاهما يمكن أن يستشهد به دون حاجته إلى الآخر، ولكن هذا التوظيف في التأكيد يمكن أن يعد نمطاً جديراً بالاهتمام، إذ ركز الشاعر على المعنى؛ لأهميته، إذ جاء البيت الثاني تأكيداً للأول؛ ليشكلاً معاً صورةً رائعةً فريدةً من نوعها، والجدير بالذكر أن الرسول - ﷺ - كان يعجب بالبيت الأول، ويستشهد به، لكنه كان يكسر وزن البيت، بتقديم كلمة القافية على ما قبلها من الكلام، حتى لا يستقيم الوزن، ويدل هذا على تلك المعاني العميقة التي تحمل الدلالات الكثيرة

ويتحدث طرفة في البيتين "عن كون الأيام ستكشف كل شيء من أخبار الناس، وكأنه يريد أن يبينه أذهان سامعيه إلى قضية خلافة مع سادة قبيلته، وإلى تجنيهم عليه، ونكراهم جميله، وهو إذ يرى نفسه عاجزاً عن إقناعهم واسترضائهم، ولا يجد مفرّاً من أن يحيل قضيته معهم إلى حكم التاريخ، وهو واثق من أن التاريخ سوف ينصفه، ويردّ له اعتباره".^(٢٧) ويقول أيضاً:

لَعَمْرُكَ مَا الْأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ فَمَا اسْتَطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدْ
عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يُقْتَدِي^(٢٨)

تتجلى في هاتين الحكمتين فلسفة طرفة، وخبراته في الحياة، وأصول المعاملة مع الأصحاب، والأمر بالاستزادة من عمل الخير والمعروف، ففي الحكمة الأولى يتندى طرفة بالقسم، ويقول: أقسم بحياتك أن الدنيا وما فيها من خير، هي عارية بيد الإنسان، زائلة، فأكثر من صنع الخير والمعروف قبل الرحيل منها، وقبل فوات الأوان، فلا يبقى إلا عمله، ومعروفه الذي صنعه قبل مماته، ويبقى له ذكراً له بعد مماته، فلا يذهب المعروف بين الله والناس، وتتضح حسن الاستعارة التمثيلية في البيت أهما عبّرت عن جمالية المعاني، وفصاحتها، وأكسبتها أسلوباً بلاغياً جذاباً، فالمشبه محذوف، وإبقاء على المشبه به؛ مبالغة في التشبيه، وآلفت بين المعاني، فمنحتها قوة وتأثيراً وحسناً؛ لتكون الأقرب؛ لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأفعل في نفوس السامعين.

أما في البيت الثاني الذي يعد من عيون الشعر العربي الجاهلي، ومن روائع حكمة طرفة، وهو منهج تربوي دعا إليه، وهو اختيار الأصحاب والأقران بدقة عالية متناهية، فالشخص في اختياره لأصحابه ينبغي أن يكون عارفاً فاحصاً ودقيقاً في اختياراته، فلا نسأل عن الشخص نفسه، بل نسأل عن صاحبه ورفيقه؛ لأن حالات الجنوح والسلوك السيء تأتي من القرناء، فيكتسب منهم كل أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم، والنشأة الدينية لهم، ويتأثر بتنشئتهم وبيئتهم التربوية، فإذا صلحت صلح، وإذا فسدت فسدت، فيكون الشخص مهياً لكل ذلك، فهو بمنزلة المرأة والصورة التي تعكس اختياراته وانتقائه لأقرانه وأصحابه.

أما حسن الاستعارة التمثيلية وجماليتها في هذا البيت، فتتجلى واضحة في براعة المعنى وفصاحته، وفخامته، فالألفاظ قليلة، لكن المعاني كثيرة وبسيرة، والعبارات التمثيلية جعلت المعنى جلياً وواضحاً، وأكسبته أثراً فنياً جذاباً، والمشبه محذوف، وإبقاء على المشبه به؛ مبالغة في التشبيه، ويفهم المعنى من السياق. ويقول طرفة أيضاً :

أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَاكُمْ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمْتَشَدِّدِ^(٢٩)

في هذا البيت يضيف طرفة حكمه وخبرته في الحياة، فيقول: إن الموت يعم الأجواد والبخلاء، فيصطفى الكرام، وكرائم أموال البخلاء، وإن الموت يختار الكرام بالإفناء، لكنه يصطفى كريمة مال البخيل المتشدد، يريد أنه لا تخلص منه لواحد من الصنفين، فلا يجدي البخل على صاحبه بخير، فالجود أحرى؛ لأنه أحمد.

وتتجلى جمالية الاستعارة التمثيلية في هذا البيت، أنها فحمت المعنى، وعبرت عن فصاحة القول وجودته، فبلغت رتبةً عليّةً، فالمشبه محذوف، وإبقاء المشبه به؛ مبالغةً بالتشبيه، والمعنى المراد يفهم من السياق، وفي هذا البيت تظهر فلسفة الموت والحياة عند طرفه.

ومن حكمه في الموت والحياة يقول :

أَرَى الْعَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالذَّهْرُ يَنْقُدُ
أَرَى قَبْرَ نَحْمٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ عَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدٍ^(٣٠)

في هذين البيتين اللذين بيّنا ثنائية الموت والحياة لطرفة، واتضح فيهما فلسفته وحكمته، فيقول في البيت الأول: إن العيش صائرٌ إلى النفاذ لا محالة، وما تنقصه الأيام والدهر ينفذ لا محالة، فهذه الحياة مصيرها الفناء، والخلود والبقاء أمران منفيان، فهذه الحياة لا تبقى على أحد، فهي زائلةٌ وفانيةٌ بكل محتوياتها، فطرفة يؤمن بعدم الخلود في الدنيا، إنها الروح الجاهلية الوثنية التي تعد الموت نقطة النهاية، فطرفة يبني فلسفته الذاتية حول فكرة استحالة الموت، ويشير إلى قضية اللاخلود، وهذه المفارقة الأبدية تحفر في الفكر الإنساني كل يوم؛ لتشكّل القلق والفرع في ذات طرفه الشديدة الحساسية والشفافية والتي تخضع سلبيتها لموضوعية مزعومة؛ لأن كل شيء ينقص، ولا يمكن تعويضه.

وتتجلى جمالية الاستعارة التمثيلية في هذا البيت، أن ألفاظها قليلة، لكن معانيها يسيرة، والمشبه فيها محذوف، وبقي على المشبه به؛ مبالغةً في التشبيه، والمعنى المراد يفهم من السياق، وتتضح جمالياتها أيضاً في فخامة الألفاظ، والتناسق بين أطرافها، وبيّن المعنى وقوّته وأكملته، ومنحته صورةً حسنةً متألفةً.

أما البيت الثاني، فيستمر طرفه في فلسفته ورؤيته الفكرية، باعتبار الموت الهاجس الرئيس في معلقته، ومحاوله التشبع في ملذات الحياة، لا تمتنع من أن يظهر الموت كنهاية لكل ذلك، فيقول: إنه لا فرق بين البخيل والجواد بعد الوفاة، فقبر الفقير الذي لم يتمتع بملذات الحياة وهوها، كقبر البخيل الذي يحرص بماله، وهو يشبه قبر الضال في بطالته المفسد بماله، فهم أمام حتمية الموت سواسية.، ويريد أن يؤكد أمراً مهماً، هو تساوي الناس بعدالة بالموت، والقبر، فكلهم سواء، وبناء على ذلك، فإنه من المفروض أن يكون العدل في الدنيا بين الفقير والغني أيضاً، والتساوي والمشاركة في الحياة ضرورة حتى تستمر الحياة بأمن وسلام ووثام.

يقول الدكتور هاشم مناع في معرض تعليقه على سلسلة الحكم التي أوردتها طرفه في هذا الباب الذي منه البيتان المذكوران آنفاً: "إنها تصور تلك الفلسفة التي يؤمن بها الموت نهاية كل شيء، ولو تأملنا القبور لرأيناها تسوي بين الجميع، لا فرق بين قبر الغني وقبر الفقير، ولا بين الكرم والبخيل، والعمر أشبه بكنز كل يوم يمر منه ينتقص منه شيئاً حتى ينفذ في النهاية، بل هو كحبلٍ ممدود مهما روخي فيه، فإنه لا بدّ أن تشده يد الموت أخيراً فينقطع."^(٣١)

وتتضح جمالية الاستعارة التمثيلية وبلاغتها، أنها حسنت الكلام وقوّته، وبلغت العبارات التمثيلية قمةً في الترابط والتماسك، وأضفت جمالية التركيب ورسائنه للمعنى لمسات فنية بليغة، وأثراً بلاغياً كبيراً.

وفي معلقة الأعشى، نجد بعضاً من أبيات الحكمة، ومنها قوله:

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُقْلِقَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنُهُ الْوَعْلُ^(٣٢)

في هذا البيت ينثر الأعشى حكيمته، ونتاج خبراته وتجاربه، ويشبهه حال الإنسان الذي يشق على نفسه، ويحملها ويكلفها ما لا طاقة لها به، ويجشمها ما لا طاقة لها على احتماله، فيتعبها ويرهقها، بحال النيس الجبلي الذي ينكح الصخرة؛ ليضعفها ويشققها، أو يحركها عن محلها؛ ليسقطها، فلم تتأثر من نطحه، ولم يحصل للصخرة ضررٌ من نطحه، لكنه بذلك أضعف قرنه وكسره، فكان هو المتضرر الوحيد، فأتعب نفسه بلا جدوى.

وتتجلى جمالية الاستعارة التمثيلية، في رصانة التركيب، وفصاحة القول، وقوة المعنى والأسلوب، وتماسك العبارات التمثيلية؛ لتشكّل نسقاً بلاغياً مميزاً، فالفت بين المعاني وأكملت، والمشبّه فيها محذوف، وإبقاء على المشبه به، والمعنى يفهم من السياق، والقرينة حالية منعت من ورود المعنى الحقيقي.

ويقول أيضاً:

أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عَنْ نُحْتِ أَثْلَتِنَا وَلَسْتَ ضَائِرًا مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ^(٣٣)

في هذه الصورة الفنية، ينسج الأعشى حكيمته في القدر والأصل والمجد الرفيع، وأن العز والكبرياء لا يحط من قدرهما، مهما أنت الإبل وحنت، دلالة على الأبدية في ذلك، فالأصل أبدي لا يمكنه أن يتبدد، أو يتغير، أو يتأثر بأي مؤثر مهما بلغ قوته وهيمته، فالرجل الجاهلي البدوي متمسكٌ جداً بأصله وقدره، إذ يعدها دستوراً ملزماً به، لا تشوبه شائبة، وهي بالنسبة إليه وسام العزة، والفخر بالنفس.

وتتجلى جمالية الاستعارة التمثيلية، في عمق معانيها، وسبكها المحكم، وفي ألفاظها المنتقاة، وتماسك العبارات التمثيلية، وفصاحة القول وجودته، ويظهر التماسك والترابط بين أجزائها، والمشبّه محذوف، وإبقاء للمشبّه به، ويفهم المعنى من السياق.

أما في معلقة عمرو بن كلثوم، فقد احتوت على بعض من أبيات الحكمة، وهي من نتاج خبراته في الحياة، وفي حتمية الموت، يقول:

وَإِنَّا سَوْفَ نُدْرِكُنَا الْمَنَآيَا مُقَدَّرَةً لَنَا وَمُقَدَّرِينَ^(٣٤)

في هذا البيت، يقرُّ عمرو بن كلثوم بحتمية الموت وحقيقته، وعدم المقدرة على الإفلات منه، وأنه مقدر ولا هروب منه، فإقدام الإنسان الجاهلي على الموت وقبوله والإيمان به، أحياناً كانت تقوده للحرب؛ بسبب قسوة الحياة وشدها، والصحراء وقسوتها كانت تساوي بين الموت والحياة، فمعطيات الحرب، وقسوة العيش في الصحراء، جعلت من الشاعر الجاهلي يتقبل فكرة الموت وحتميته، ورفض فكرة اللاخود والبقاء، وعمرو بن كلثوم أقرَّ بحقيقة الموت المطلقة، ولا خلاص لأي كائنٍ من ملاقاتها، وهي قضية وجودية، لا هروب منها.

وللاستعارة التمثيلية في هذه الحكمة رونقٌ وتأثيرٌ وجمالٌ، باتحادٍ في الأسلوب والصياغة وجودتها، وتظهر المنطق الحسن والكلام البين، وتماسك في التركيب والعبارات التمثيلية، والمشبّه فيها محذوف، وإبقاء على المشبه به، والمعنى واضح يفهم من خلال التركيب والسياق.

ومن حكمه أيضاً:

وَأَنَّ عَدَاً وَإِنَّ الْيَوْمَ رَهْنٌ وَبَعْدَ عَدٍ بِمَا لَا تَعْلَمِينَا^(٣٥)

في هذا البيت، ينسج عمرو بن كلثوم حكمته من نتاج خبراته وتجاربه، فيقول: إن الأيام رهنٌ بما لا يحيط علمك به، وسواءً اليوم، أو بعد غدٍ سيأتيك ما لا تعلم من الحوادث والأخبار، والحياة كفيلاً أن تبين الخفايا، وتجلي الأمور، وتوضح المجهول.

وفي حسن الاستعارة التمثيلية في هذا البيت، فقد تجلت في جودة الأسلوب، وحرصاً المعنى، فجاء في لطفٍ وخلابةٍ وحسنٍ، والألفاظ عبّرت عن معانٍ كثيرة، كالغصن الواحد نجني منه أنواعاً من الثمر وأحسنه، والتركيب دلّ على تماسكٍ وتناسقٍ وجدّةٍ.

أما النابغة الذبياني، فقد اشتملت معلقته بعضاً من الأبيات التي تدل على الحكمة، ومنها قوله:

يَوْمًا بِأَجُودَ مِنْهُ سَيَبِ نَافِلَةً وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ مِنْ عَدٍ^(٣٦)

ينسج النابغة في هذا البيت حكمته عن العطاء والجود والسخاء، فيقول: إن الجود والعطاء لا ينقصان، فهما مستمران يلازمان الشخص في معاملاته مع الآخرين، فمن سخا اليوم، وجاد بما لديه، لا يمنعه ذلك من أن يوجد في أيامٍ تابعةٍ ومتتاليةٍ، فالخير باقٍ بلا انقطاع.

وجمالية الاستعارة التمثيلية في حكمة النابغة، لا غثاة فيها، ولا ركافة، فالمعنى فيها مترصّ وقويّ، واللفظ يوئد معاني كثيرة، فحسنته ونظمته.

وبعد أن تم استعراض بعض روائع الحكمة والمثل في المعلقات، فإننا نرى أن الأخلاق والحكم والقيم شكلت منظومةً للمجتمع في العصر الجاهلي، كما أن القيم الأخلاقية شكلت محوراً أساسياً للرجل البدوي، وبينت التزامه تجاه مجتمعه، وما تمليه عليه أخلاقه ومبادئه التي يؤمن به، من منطلق المحافظة على المجتمع في ظل أمن وأمان، وسلام ووثام، تسوده المحبة والسلم والمساواة والعدل.

وكانت محاور القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي وتحديداً شعر المعلقات كثيرةً ومتعددةً، فلم تترك قوافي الشعراء من فضيلةٍ من الفضائل، ولا حكمة من الحكم، إلا بينوها ومدحوها، ودعوا إليها، وحببوا إلى الناس التحلي بها، ورغبوهم فيها، فسادت تلك القيم والأخلاق، فأصبحت من ركائز عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم، وأصبحت من أهم مصادر إلهامهم، فعضّ عليها الرجل البدوي بالنواجذ.

الخاتمة:

وبعد أن تناولت الدراسة الاستعارة التمثيلية، يمكن تحديد أهم النتائج في النقاط الآتية:

١. تمثل الاستعارة التمثيلية أهم أقسام البيان؛ لأنها ترسم الصور بكل دقة، إذ تحرص على أن تكون تأكيداً وبياناً وبرهاناً، ودليلاً على القضية المتناولة، فهي مستقلة في ألفاظها المنتقاة، ومعانيها العميقة، وسبكها المحكم، توزن بما الموضوعات الأخرى الكثيرة المتنوعة المختلفة، فهي كعيار الميزان الذي توزن به الأشياء على اختلافها، فالاستعارة التمثيلية حين يتم

إجرائها، فإنها تقريريةً قياسيةً، تقوم على الدليل والبرهان؛ ولذلك يتقبلها المتلقي، ويقتنع بطبيعتها، ويؤمن بمآلاتها؛ لأنها تشرح الحال، وتفسر الأحوال، فلا تترك مجالاً للشك في القياس.

٢. تتميز الاستعارة التمثيلية من الاستعارتين: التصريحية، والمكنية، بأنها تجري في التركيب، بينما هما تجريان في المفرد، وهذا يدل دلالة قاطعة على قدرة الاستعارة التمثيلية المركبة على رسم الصورة بوضوح وجلاء، وشرح المطلوب بيسر وسهولة، كما أن لديها قدرة هائلة على التأثير، والإقناع، والحجاج؛ لأنها تمثل الحجة البرهان.

٣. إذا كانت الألفاظ الحقيقية تخاطب الأذهان، فإن الاستعارة التمثيلية تخاطب الأذهان، وتعمل الحواس، ما يجعلها تؤكد المعنى، وتوضح الفكرة، بأسلوب منطقي، يقبلها الجاهل، ويقرها العاقل.

٤. لم تكن الحكمة التي تصلح أن تكون استعارة تمثيلية، بمعزل عن مضمون القصيدة، أو الموضوع المستهدف، فقد تم صياغتها؛ لتكون مؤكدة، شارحة، مفسرة، مقنعة لما دعت إليه، أو تضمنته من معنى، أو دعوة.

الهوامش

- (١) انظر مثلاً: الصاوي، أحمد (١٩٧٩)، فن الاستعارة دراسة تحليلية في البلاغة و النقد مع التطبيق على الادب الجاهلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، مصر، ورباعه (١٩٩٧)، موسى، البناء الاستعاري للدهر في الشعر الجاهلي، الجامعة الأردنية - عمادة البحث العلمي، عمان، الأردن، والدريدي، الحبيب (٢٠١٨)، من التصورات الاستعارية في الشعر الجاهلي: الحرب نار، الجمعية التونسية للدراسات الأدبية والإنسانية، تونس.
- (٢) انظر: ياسين، شفاء، ومناع، هاشم (٢٠١٩)، البلاغة العربية الوافية (المعاني والبيان والبديع)، دار يافا العلمية، عمان/الأردن، ص ٢٦٠.
- (٣) انظر: المصدر السابق نفسه، ص ٢٧٥، و ٢٩٩ وما بعدها.
- (٤) القيرواني، أبو علي بن الحسن بن رشيق (١٩٧٢)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. تحقيق: مُجّد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط ٤، بيروت، ٢٨٠/١.
- (٥) ابن الأثير، ضياء الدين (١٩٩٨)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: كامل مُجّد د عويضة، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت ١٧٦/٢.
- (٦) الجرجاني، عبد القاهر (١٩٩٢)، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ط ٣، القاهرة، ص ٦٨-٦٩.
- (٧) ابن جعفر، قدامة أبو الفرج (١٩٦٣)، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، ومكتبة المتني، القاهرة، وبغداد، ص ١٥٩.
- (٨) ابن منظور، أبو الفضل (١٩٩٣)، لسان العرب، دار صادر، ط ٣، بيروت، مادة (حكّم) ٤/٤١٠.
- (٩) المناوي، مُجّد عبد الرؤوف (١٩٧٢)، فيض القدير (شرح الجامع الصغير للسيوطي)، دار المعرفة، بيروت ٢/٥٢٤ (رقم ٢٤٥٧ و ٢٤٥٨). والمصدر السابق نفسه.
- (١٠) الجبوري، يحيى (١٩٨٣)، الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، ط ٤، بيروت، ص ٤٠٣.

- (١١) السيوطي، جلال الدين (١٩٨٦)، المزهري، تح: علي محمد الجاوي وآخرين، المكتبة العصرية، بيروت ٤٨٦/١
- (١٢) انظر مزيداً من التفصيل: مناع، هاشم صالح (١٩٩٣)، النشر في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، ط ١، بيروت، ص ١٦١-١٧٢.
- (١٣) العسكري، أبو هلال (١٩٨٨)، جمهرة الأمثال، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، ط ٢، بيروت ٣/١-٤.
- (١٤) الميداني، أبو الفضل أحمد (د.ت)، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت ٦/١.
- (١٥) ابن عبد ربه، أحمد أبو عمر (١٩٨٤)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت ٣/٣.
- (١٦) العسكري، أبو هلال (١٩٨٨)، جمهرة الأمثال ١/٥-٤.
- (١٧) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (١٩٨٥)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ٥، القاهرة ٦/١-٢٠٦.
- (١٨) انظر: الميداني، أبو الفضل أحمد (د.ت)، مجمع الأمثال ٦/١.
- (١٩) انظر: المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.
- (٢٠) ابن أبي سلمى، زهير (١٩٨٨)، ديوان زهير بن أبي سلمى، تح: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ص ١١١، ١١٠. الضرس: العض على الشيء بالضرس. يصانع: يترقب ويداري. المنسم للبعير: بمنزلة الحافر للفرس، بمنزلة الظفر للإنسان، والجمع مناسب. الذود: الكف والردع. (الزوزني، أبو عبد الله الحسين، شرح المعلقات السبع، ص ٨٣، ٨٢).
- (٢١) ابن أبي سلمى، زهير، ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ١١٠.
- (٢٢) المصدر السابق نفسه، ص ١١١.
- (٢٣) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها. (الزجاج: الرمح وهو الحديد المركب في أسفله، وإذا قيل زج الرمح: عني بما ذلك الحديد والسنان. اللهدم: السنان الطويل. عالية الرمح ضد سافلته، والجمع العوالي). (الزوزني، أبو عبد الله الحسين، شرح المعلقات السبع، ص ٨٣).
- (٢٤) ابن أبي سلمى، زهير، ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ١١١. وفرت للشيء، أوفره وفراً، أكثرته، ووفرتة فوفر وفوراً. (الزوزني، أبو عبد الله الحسين، شرح المعلقات السبع، ص ٨٢).
- (٢٥) ابن العبد، طرفة (٢٠٠٢)، ديوان طرفة بن العبد، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط ٣، بيروت، ص ٢٩. التبات: كساء المسافر وأداته. (الزوزني، أبو عبد الله الحسين، شرح المعلقات السبع، ص ٦٨).
- (٢٦) الجرجاني، عبد القاهر (١٩٩١)، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، ط ١، جدة، ص ١١٩.
- (٢٧) مناع، هاشم (٢٠١٧)، الأدب العربي الجاهلي، دار يافا للنشر والتوزيع، ط ١، الأردن، ص ١٨٠.
- (٢٨) ابن العبد، طرفة، ديوان طرفة بن العبد، ص ٢٦.
- (٢٩) ابن العبد، طرفة، ديوان طرفة بن العبد، ص ٢٦. (الاعتيام: الاختيار. العقائل: كرائم المال والنساء، والواحدة عقيلة. الفاحش: البخيل). (الزوزني، أبو عبد الله الحسين، شرح المعلقات السبع، ص ٦١).
- (٣٠) ابن العبد، طرفة، ديوان طرفة بن العبد، ص ٢٦. (النحام: الحريص على الجمع والمنع. الغوي: الغاوي الضال، والغوي والغواية الضلالة). (الزوزني، أبو عبد الله الحسين، شرح المعلقات السبع، ص ٦١).
- (٣١) مناع، هاشم، الأدب العربي الجاهلي، ص ١٧٧.
- (٣٢) الأعشى، ميمون بن قيس (٢٠٠٩)، ديوان الأعشى الكبير، تح: محمد حسين، مكتبة الآداب، د.ط، القاهرة، ص ٦١. (ناطح: اسم فاعل من نطح الثور: أو الكبش غيره إذا ضربه بقرنه. ليفلقها: ليكسرهما وليشققها. أوهى: أضعف وكسر. الوعل: بفتح الواو وكسر

- العين التيس الجبلي، والأنثى تسمى أروية، ويقال وَعلة). (الدرة، مُجّد علي طه، فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال، ص ٤٢٤).
- (٣٣) الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، ص ٦١. (نحت: أراد به الدم، والنحت في الكلام تركيب كلمة من كلمتين أو أكثر. أثلتنا: عزنا وأصلنا ومجدنا الرفيع. أظت الإبل: حنت وأثت حنيناً أو تعباً). (الدرة، مُجّد علي طه، فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال ٤٢٣/٢).
- (٣٤) ابن كلثوم، عمرو (١٩٩١)، ديوان عمرو بن كلثوم، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط ١، بيروت، ص ٦٦.
- (٣٥) المصدر السابق نفسه، ص ٦٧.
- (٣٦) الذبياني، النابغة (١٩٩٦)، ديوان النابغة الذبياني، تح: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، ط ٣، بيروت، ص ٦١. (السبب: هو من ساب الماء يسب سيباً إذا جرى. النافلة: الزيادة). (الدرة، مُجّد علي طه، فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال، ص ٥٠١).

المصادر والمراجع:

١. ابن الأثير، ضياء الدين (١٩٨٨)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: كامل مُجّد د عويضة، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت.
٢. الأعشى، ميمون بن قيس (٢٠٠٩)، ديوان الأعشى الكبير، تح: مُجّد حسين، مكتبة الآداب، د.ط، القاهرة.
٣. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (١٩٨٥)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ٥، القاهرة.
٤. الجبوري، يحيى (١٩٨٣)، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، ط ٤، بيروت.
٥. الجرجاني، عبد القاهر (١٩٩٢)، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ط ٣، القاهرة.
٦. — (١٩٩١)، أسرار البلاغة، تح: محمود مُجّد شاكر، دار المدني، ط ١، جدة.
٧. ابن جعفر، قدامى أبو الفرج (١٩٦٣)، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، ومكتبة المثني، د.ط، القاهرة وبغداد.
٨. الدريدي، الحبيب (٢٠١٦)، فن التصورات الاستعارية في الشعر الجاهلي: الحرب نار: الجمعية التونسية للدراسات الأدبية والإنسانية، د.ط، تونس.
٩. الذبياني، النابغة (١٩٩٦)، ديوان النابغة الذبياني، تح: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، ط ٣، بيروت.
١٠. ربابعة، موسى (١٩٩٧)، البناء الاستعاري للعصر في الشعر الجاهلي، الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، عمان، الأردن.

١١. ابن أبي سلمى، زهير (١٩٨٨)، ديوان زهير بن أبي سلمى، تح: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت.
١٢. السيوطي، جلال الدين (١٩٨٦)، المزهر، تح: علي مُجَّد البجاوي وآخرين، المكتبة العصرية، بيروت.
١٣. الصاوي، أحمد (١٩٧٩)، فن الاستعارة دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية.
١٤. ابن عبد ربه، أحمد أبو عمر (١٩٨٤)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت.
١٥. ابن العبد، طرفة (٢٠٠٢)، ديوان طرفة بن العبد، تح: مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط ٣، بيروت.
١٦. العسكري، أبو هلال (١٩٨٨)، جمهرة الأمثال، تح: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش، دار الجيل، ط ٢، بيروت.
١٧. القيرواني، أبو علي بن الحسن بن رشيق (١٩٧٢)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: مُجَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، د.ط، بيروت.
١٨. ابن كلثوم، عمرو (١٩٩١)، ديوان عمرو بن كلثوم، تح: إيميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط ١، بيروت.
١٩. مناع، هاشم (٢٠١٧)، الأدب العربي الجاهلي، دار يافا للنشر والتوزيع، ط ١، الأردن.
٢٠. — (١٩٩٣)، النثر في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، ط ١، بيروت.
٢١. ابن منظور، أبو الفضل (١٩٩٣)، لسان العرب، دار صادر، ط ٣، بيروت.
٢٢. الميداني، أبو الفضل (د.ت)، مجّع الأمثال، تح: محيي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت.
٢٣. ياسين، شفاء، مناع، هاشم (٢٠١٩)، البلاغة العربية الوافية (المعاني والبيان والبديع)، دار يافا العلمية، ط ١، عمان، الأردن.

الكفاءة الذاتية وعلاقتها بالفضول الادراكي لدى المرشدين التربويين

م.د. ذكريات كاظم دعدوش

جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص

يهدف البحث الحالي الى قياس مستوى الكفاءة الذاتية لدى المرشدين التربويين وقياس مستوى الفضول الادراكي لدى المرشدين التربويين والتعرف على العلاقة الارتباطية بين الكفاءة الذاتية والفضول الادراكي لدى المرشدين التربويين قامت الباحثة بتطبيق مقياس الكفاءة الذاتية على عينة بلغت (٢٠٠) مرشد ومرشدة من مركز محافظة البصرة إذ بلغ الوسط الحسابي (١٥٣,٤٢) والانحراف المعياري (٢٨.٧١٤) والقيمة التائية المحسوبة (٢١.٩٧٩) وهي اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وبمقارنة الوسط الحسابي بالوسط الفرضي البالغ (١١٧) للمقياس تبين أن الوسط الحسابي اكبر من الوسط الفرضي للمقياس وهذا يدل ان عينة البحث لديهم كفاءة ذاتية عالية من اجل التعرف على مستوى الفضول الادراكي لدى المرشدين التربويين تم تحليل إجابات عينة البحث النهائية البالغة (٢٠٠) مرشد ومرشدة على مقياس الفضول الادراكي وجدت الباحثة ان الوسط الحسابي لعينة البحث بلغ (٩٠,١٥) بانحراف معياري (١١,٥٩٦) وعند مقارنة المتوسط الحسابي بالمتوسط الفرضي للمقياس البالغ (٨٠) وبعد اختبار دلالة الفرق بين المتوسطين باستعمال معدلة الاختبار التائي لعينة واحدة ظهر ان هناك بين المتوسطين باتجاه متوسط العينة إذ ان القيمة التائية المحسوبة بلغت (٢٠,٧٧) وهي اكبر من القيمة التائية الجدولية (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٤٩٩) هذا يشير الى ان المرشدين التربويين لديهم فضول ادراكي

لغرض تحقيق هذا الهدف قامت الباحثة بأستخراج العلاقة الارتباطية بين متغيري البحث (الكفاءة الذاتية) و (الفضول الادراكي) لدى عينة البحث الحالي بأستعمال معامل ارتباط بيرسون فتبين وجود علاقة ارتباطية طردية دالة بين متغيري البحث إذ بلغت قيمة معامل الارتباط المحسوبة (٠,٢٦٦) وهي اكبر من القيمة الجدولية (٠,٠٩٨) عند درجة حرية (١٩٨) وبمستوى دلالة (٠,٠٥) ولاختبار معنوية هذا الارتباط استعملت الباحثة اختبار فرضية الاختبار التائي لمعامل الارتباط إذ بينت النتائج ان القيمة التائية المحسوبة بلغت (٣,٨٨) وهي اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (١,٩٦٠) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (١٩٩) وهذا يعني ان القيمة التائية المحسوبة ذات دلالة احصائية, وهذا يشير الى وجود علاقة ارتباطية دالة معنوية. الكلمات الافتتاحية: الكفاءة الذاتية, الفضول الادراكي, المرشدين التربويين

Abstract

The current research aims to measure the level of self-efficacy of educational counselors and measure the level of cognitive curiosity among educational counselors and identify the correlation between self-efficacy and cognitive curiosity among educational counselors The researcher applied the self-efficacy scale to a sample of (200) counselors

from the center of Basra Governorate, as the arithmetic mean reached (153.42), the standard deviation (28.714) and the calculated T value. (21.979), which is greater than the tabular T value of (1.96) at the level of significance (0.05) and by comparing the arithmetic mean with the hypothetical mean of (117) of the scale, it was found that the arithmetic mean is greater than the hypothetical mean of the scale, and this indicates that the research sample has high self-efficacy

In order to identify the level of cognitive curiosity among educational counselors, the answers of the final research sample of (200) counselors were analyzed on the scale of cognitive curiosity, the researcher found that the arithmetic mean of the research sample reached (90.15) with a standard deviation of (11.596) and when comparing the arithmetic mean with the hypothetical mean of the scale of (80) and after testing the significance of the difference between the two averages using the average T-test for one sample, it appeared that there are between the two averages towards the average of the sample, as the calculated T value reached (20.77), which is greater than Tabular T value (1.96) at significance level (0.05) and degree of freedom (499) This indicates that educational counselors have cognitive curiosity

For the purpose of achieving this goal, the researcher extracted the correlation between the two research variables (self-efficiency) and (cognitive curiosity) at the sample of the current induction using Pearson's correlation coefficient, showing a positive correlation function between the two research variables, as the value of the calculated correlation coefficient (0.266), which is greater than the tabular value (0.098) at the degree of freedom (198) and the level of significance (0.05) and to test the significance of this correlation, the researcher used to test the hypothesis of the T-test for the correlation coefficient, as the results showed that the calculated T value reached (3.88) It is greater than the tabular T value of (1,960) at the level of significance (0.05) and degree of freedom (199), and this means that the calculated T value is statistically significant, and this indicates a significant correlation

المبحث الأول: مشكلة البحث

تعد الكفاءة الذاتية من أبرز العوامل المؤثرة في المثابرة والأداء المهني ، وتتلور هذه الكفاءة على شكل أفكارٍ ومعتقداتٍ حول الذات بشأن مدى كفايتها. ومن خلال الكفاءة الذاتية يُمكن التنبؤ بأداء المرشد التربوي إذا كان مُرتفعاً أم مُنخفضاً . ومن ثم فإنّ تتمتع المرشدين التربويين بمستوى مُرتفع من الكفاءة الذاتية دليل واضح على سلامة العملية التربوية، ويعد

هذا أحد أهم مفاتيح النجاح التي يمتلكها المرشد التربوي في تحقيق التوافق الاجتماعي وانفسي لمواجهة المشكلات والتحديات التي يتعرضون لها، في حين تدني مستوى الكفاءة الذاتية يُشير إلى حاجة المرشدين إلى ضرورة تدعيم خبراتهم لكي يرتفع هذا المستوى لديهم، لأنَّ انخفاضه يجعلهم مُعرضين للضغوط والصعوبات في الحياة اليومية مما قد يؤثر على توافقهم الاجتماعي وأدءهم المهني (الدواغرة، ٢٠٠٦، ص ٤٣)

يعد الإرشاد النفسي والتربوي من الخدمات الأساسية لأي مؤسسة تربوية إذ يعمل المرشدون جنباً إلى جنب مع بقية الكوادر الفنية والإدارية في المؤسسة التربوية، سواء كانت مدرسة أو جامعة. فهم يعملون في مساعدة الطلبة لتحقيق التكامل في تطور شخصياتهم؛ وخاصة في الجوانب غير الأكاديمية التي تقع خارج اهتمام المعلمين، وهم يعملون ضمن الكادر الفني لمعالجة مشكلات الطلبة النفسية والتربوية، وتقييم قدراتهم ومساعدتهم في تحديد ميولهم، وتشخيص إمكاناتهم، واستطلاع فرصهم، تمهيداً لمساعدتهم في تحديد الخيارات، واتخاذ القرارات فيما يخص مستقبلهم المهني، والوصول بهم إلى أقصى مستويات التطور الشخصي والمهني، من خلال استغلال قدراتهم وميولهم وفرصهم لتحقيق أعلى مستويات (Alhareri، الصحة النفسية (٢٠١١)

لذا فهو يحتاج إلى مجموعة من الصفات الشخصية التي تُعد معايير لأداء المرشدين. وتشمل هذه الصفات العدالة، والإخلاص، والتعاطف والثقافة الاجتماعية، والصحة الجسمية والنفسية التي تتمثل في مفهوم ذات مرتفع، وخاصة في المجال الإرشادي، والقدرة على التعامل مع الناس وميولهم، وتمكنهم مهنياً في مجال الإرشاد من خلال امتلاك المعرفة الأساسية للمهارات الإرشادية الأساسية والمتقدمة عن طريق الإعداد النظري والتدريب العملي إعداد خطة عمل، وتصميم برنامج للإرشاد المدرسي، وعمل مسوح لمعرفة مشكلات الطلبة وحاجاتهم، وتوعية أعضاء الهيئة التدريسية وأولياء الأمور بتلك الحاجات والمشكلات وإظهار أهمية الإرشاد، وإبراز دور المرشد التربوي في التخفيف من تلك المشكلات، وإيجاد طرق لعلاجها، و عقد ندوات ولقاءات، مع اولياء امور الطلبة (علوان، ٢٠٠٥، ص ٥٤)

يوصف الفضول بأنه الرغبة في الحصول على المعلومات في غياب أية مكافأة والدافعية. لذلك كان الفضول بوصفه طبيعة بشرية احدى القوى الدافعة وراء الاكتشاف العلمي، شرطاً ضرورياً لاتساع المعرفة والنهوض بالحضارة قوة مهمة جدا للإنسان ليس لأنه عنصرا اساسيا للبقاء وعنصر مهم في نمو الصحة النفسية للفرد (عبد الحميد، ٢٠٠٠، ص ٣٤)

الفضول والسلوك الاستكشافي لهما اهمية كبيرة في النمو الانساني لأنهما يساعدان على التكيف المرن لتغير الظروف والاثار البيئية، إذ هو "توجه تطوري نحو نماذج التفاعل المختلفة، وحل المشكلات بشكل أكثر فاعلية " لهذا تم وصف الفضول برغبة البحث عن المعلومات والمعرفة، وغالبا ما كان يعد واحدا من الدوافع المهمة في السلوكيات البشرية طوال الحياة أن الفضول لدى الفرد أحد اهم المحددات الإيجابية للحصول على المعرفة (علوان، ٢٠٠٥، ص ٧٦)

ومن هنا تبرز مشكلة البحث با لتساؤلات الآتية

١- مامستوى الكفاءة الذاتية لدى المرشدين التربويين

٢- مامستوى الفضول الادراكي لدى المرشدين التربويين

٣- هل توجد علاقة ارتباطية بين الكفاءة الذاتية والفضول الإدراكي لدى المرشدين التربويين؟

أهمية البحث

تَكْمُنُ أهمية هذا البحث في أهمية متغيراته والمشكلة التي يتناولها، والنتائج التي يتوصل إليها. إذ تأتي أهمية دراسة الكفاءة الذاتية باعتبارها بُعداً من الأبعاد المهمة في الشخصية الإنسانية لما لها من أثر كبير في سلوك الفرد، مُتمثلة في فئات ذاتية حول قدرة الفرد على التغلب على المهام والمشكلات الصعبة التي تواجهه من خلال المهام التربوية،

(Schwarzer, 1995:105)

إن الفاعلية الذاتية تظهر من خلال الإدراك المعرفي للقدرات الشخصية والخبرات المتعددة، سواء المباشرة أو غير المباشرة. وأن الكفاءة الذاتية تؤكد على معتقدات الفرد في قدرته على ممارسة التحكم في الأحداث التي تؤثر على حياته، فالكفاءة الذاتية لا تهتم فقط بالمهارات التي يمتلكها الفرد، وإنما بما يستطيع الفرد عمله بالمهام التي يمتلكها. وتعتمد الكفاءة الذاتية المدركة في جزء منها على إدراك الذات وهي الصورة التي يطورها الفرد عن نفسه يف

(Bandura, 1997: 35 م)

إنَّ العلاقة بين الكفاءة الذاتية الأكاديمية والنجاح الأكاديمي ذات أهمية كبيرة، وتم تعريف الكفاءة الذاتية الأكاديمية على أنها الثقة بقدرة الفرد على تنظيم وتنفيذ الأفعال التي تقود للنجاح أكاديمياً، وهي متغير مرتبط بنجاح المرشد التربوي

(Dale, 2002:21-22)

أما الفرد الذي لديه إحساس بكفاءة متدنية فيؤدي إلى انخفاض مستوى الأداء الوظيفي من هنا تبرز أهمية هذا البحث من خلال التعرف على مستوى الكفاءة الذاتية لدى المرشدين التربويين والذي يُعد من أبرز العوامل المؤثرة في ارتفاع أو انخفاض مستوى الأداء لديهم، ومدى كما تنبثق أهمية البحث الحالي من أهمية مجتمع البحث وعينته وهم المرشدين

التربويين وهم الطاقة الحيوية التي لها القدرة على رسم ملامح الحركة والتجدد لشعب يطمح للتطور في حياته وحضارته تتبلور أهمية الفضول الإدراكي بما يتسم به صلاحه من طلاقة ومرونة وأصالة في التفكير وتكون نتائجه مثمرة ومفيدة في شتى مجالات الحياة. كما يمكن أن يوظف في الجوانب والمجالات المعرفية والحياتية جميعها ويرفد قدرات الأفراد على مزيد من الإبداع بشكل مستمر. والفضول الإدراكي يعني التميز في التفكير والندرة والقدرة على

النفاد إلى ما وراء المباشر والمألوف من الأفكار، وهي تمثل جانب التميز للإبداع.

إن الفضول الإدراكي يظهر أكثر مما تظهر في لم يسبق أن ظهرت إعطاء أفكار جديدة نسبياً من قبل بصورة جلية و ذات قيمة علمية وفكرية يمكن الاستفادة منها بصورة كبيرة قديمة والنظرة الجديدة وكذلك يظهر الفضول الإدراكي في إحياء أفكار لها ولستثمارها في مجالات جديدة لم يسبق استخدامها فيها من قبل. كما " أن الفضول الإدراكي تعد من أهم مكونات التفكير الإبداعي حتى أن بعض الباحثين وحدوا بين مصطلحي الابتكار والأصالة في دليل على الاعتماد عليها في إطلاق، مدى أهمية الأصالة ودورها الكبير في تحديد ما هو مبتكر وجديد من الأمور. صفة

الإبداعية على الإنجازات البشرية ، ولكي تستمر الحياة بشكل أفضل يجب أن يتعرف الإنسان على كل جديد من أساليب الحياة خلاصة تلك المتصلة بحياته

مباشرة ومن هنا تبرز أهمية الفضول الادراكي والتعرف على كل ما هو جديد . ويعد دافع حب الاستطلاع من الدوافع التي تحرك سلوك الكائن الحي وتوجهه وتشكل المحرك الأول للدافع إلى المعرفة والفهم لأنه يواجه الفرد لتلقي المثيرات والانتباه إليها ومن ثم تتم عملية ترميزها ومقارنتها بغيرها من المعلومات الموجودة في بنية الفرد المعرفية لتحديد مدى جدتها أو قدمها . " وقد جبلت النفس الإنسانية على حب الاستطلاع يثيرها ما لم تألفه ويشدها ما لم تتعود عليه ومن أحب الأشياء إليها معرفة الغريب والظريف الذي ، يتنافى مع ما هو مألوف (هلال ١٩٩٧، ص٨٧)

إيجاز أهمية هذا البحث فيما يأتي:

أهمية مفهوم الكفاءة الذاتية بوصفها بُعداً من أبعاد الشخصية الإنسانية المهمة-

أهمية معرفة مستوى الكفاءة الذاتية التي يتسم بها المرشدين التربويين

أهمية التعرف على مستوى الفضول الادراكي لدى المرشدين التربويين

من المحتمل أن تكون هذه الدراسة إضافة نظرية جديدة للمكتبة العراقية والعربية

اهداف البحث

يهدف البحث الحالي الى

١- التعرف على مستوى الكفاءة الذاتية لدى المرشدين التربويين

٢- التعرف على مستوى الفضول الادراكي لدى المرشدين التربويين

١- التعرف على طبيعة العلاقة بين الكفاءة الذاتية والفضول الادراكي لدى المرشدين التربويين

حدود البحث

يتحدد البحث الحالي بعينة من المرشدين التربويين في مدارس محافظة البصرة للعام الدراسي (٢٠٢١-٢٠٢٢)

(Determining The Terminology) تحديد المصطلحات)

الكفاءة الذاتية عرفها :

عبد الحميد: هي كل ما يعتقد الفرد أنه يملكه من إمكانيات، وقدرات ، والتي تعد بمثابة مقياس أو معيار لقدراته و فكاره

وافعاله وانما توقع الفرد بأنه قادر على أداء السلوك الذي يحقق نتائج مرغوب فيها في موقف معين (عبد الحميد، ب:ت)

رضوان: هي الفئات التي تختلف في درجات وضوحها لدى الأفراد بأن الإنسان قادر على تحقيق أداء معين في موقف

محدد(رضوان ،ب:ت)

الفضول الادراكي عرفه

(perceptual curiosity) ١- بيرلان (الاهتمام وتركيز الانتباه على المنبهات الإدراكية الجديدة وغير المألوفة وتحفيز البحث والفحص الحسي والبصري (الذي ياتي، ٢٠١٣، ص ٨٧) بأنه " استجابة الفرد إيجابيا نحو الأشياء الجديدة والمعقدة والمفاجئة والمتناقضة ٢- هانم الشرييني بالتحرك نحوها لفحصها واستكشافها وإبداء الرغبة في المزيد عنها من خلال التساؤلات والاستفسارات يطرحها نحو هذه الأشياء" . (الشرييني، ١٩٩٣، ص ١٢)

، يقدم خدماته الإرشادية من خلال علاقة رسمية مهنية بينه وبين الطالب، لمساعدة الطلبة في تحقيق أقصى مستويات النمو التي تسمح بها إمكاناتهم وفق تخطيط منظم وهادف (السفاسفه، ٢٠٠٥ المرشد التربوي هو الشخص المؤهل للمدرّب للعمل في مجالات الارشاد النمائي والوقائي والعلاجي.

الاطار النظري والدراسات السابقة

يتضمن هذا الفصل عرض الإطار النظري والدراسات السابقة تناولت الكفاءة الذاتية والفضول الإدراكي
أولاً: الكفاءة الذاتية

لقد ظهر مفهوم الكفاءة الذاتية على يد باندورا في مقال نشره نحو نظرية لتعديل السلوك". وقد أكد في المقال على أهمية الكفاءة الذاتية لكونها تُعد عاملاً وسيطاً لتعديل السلوك ومؤشراً على التوقعات حول قدرة الشخص في التغلب على مهمات مختلفة وأدائها بصورة ناجحة والتخطيط لها بصورة واقعية متمثلة في الإدراك لحجم القدرات الذاتية التي تمكنه من تنفيذ سلوك معين بصورة مقبولة، ومدى التحمل عند تنفيذ هذا السلوك كما أنها تؤثر بشكل مباشر في أنماط السلوك والتفكير، بحيث يُمكن أن تكون إيجابية أو سلبية. فالأفراد الذين لديهم شعور إيجابي بكفاءتهم الذاتية يميلون في تفكيرهم نحو تحليل المشكلات محاولين التوصل إلى حلول منطقية مما يؤثر في سلوكهم بشكلٍ فعّال. في حين يتجه تفكير الأفراد الذين يشعرون بتدنٍ في كفاءتهم الذاتية إلى الداخل يجعلهم مضطربين عند مواجهتهم لمهامهم مُترددين في سلوكياتهم مُقللين من كفاءتهم الشخصية، وغير قادرين على الاستخدام الفعّال لقد ارتهم المعرفية.

(Bandura, 1987:90-92)

إنَّ مصطلح الكفاءة الذاتية يعد مصطلحاً محورياً في النظرية الاجتماعية المعرفية، ويرى أصحاب هذه النظرية إن مصطلح الكفاءة الذاتية يمثل مكوناً حاسماً في إحساس الفرد بالضبط الشخصي والسيطرة على مصيره، والتوافق مع أحداث الحياة، وإن الإحساس بالضبط والسيطرة الشخصية والتوافق يعلمان على التقليل من مستوى الضغوط النفسية وتتكون الكفاءة الذاتية بالنسبة لباندورا من ثلاثة أبعاد هي الكفاءة الذاتية السلوكية المرتبطة بالمهارات الاجتماعية، والكفاءة الذاتية المعرفية المرتبطة بالمعتقدات المسيطرة على الأفكار، والكفاءة الذاتية الانفعالية المرتبطة بالسيطرة على المشاعر في مواقف الحياة. (بروتي، ٢٠١٢، ص ٧٦)

وتشير النظرية المعرفية الاجتماعية لباندورا إلى أن الكفاءة الذاتية يمكن أن تتطور من خلال مصادر أساسية، هي إجتياز الخبرات المتقنة: فإذا تكرر نجاح الفرد في المهمات التي يؤديها، فإن ذلك يؤدي إلى زيادة الكفاءة الذاتية لديه الإقناع

اللفظي: ويتم من خلال المحيطين بالفرد، من خلال إقناعه بأنه قادر يستطيع النجاح بمهمة ما، إذا بذل جهداً مناسباً والخبرات الإبدالية: من خلال ملاحظة الفرد لأفراد آخرين يُمثلونه بقدراتهم، وقد نجحوا في أداء مهمة ما الحالات الانفعالية والفسولوجية: فكلما كان الانفعال شديداً، أثر ذلك سلباً على شعور الفرد بكفاءته الذاتية، أما إذا كان متوسطاً فإن ذلك يدفعه لأداء المهمة بمستوى عالٍ من النجاح، وبالتالي ينعكس ذلك إيجاباً على شعور الفرد بكفاءته الذاتية (Benz, et.al, 1992:273)

كما يعتقد باندورا أن للكفاءة الذاتية الأكاديمية عوامل تُعد مُحددات لها تأثيرات فعّالة على دافعية السلوك لدى الفرد تتمثل فيما يأتي:

١- اختيار الأنشطة؛ يختار الإنسان النشاط الذي يؤديه بنجاح لأن النجاح يدفع إلى كفاءة ذاتية أعلى، ويتجنب النشاط الذي يقود إلى الفشل أو أي احتمال إلى الفشل ويختار الطلبة الأنشطة التي يستطيعون التكيف معها بنجاح، وتجنب الأنشطة التي تفوق قدراتهم يستطيعون التكيف معها

٢- الجهد والمثابرة؛ أن الفرد مهما واجه من صعوبات ولديه كفاءة ذاتية لأن يبذل مثابرة عالية لازاحة المعوقات والصعوبات للوصول إلى تحقيق درجة عالية في موضوع دراسي ما، تنتج جهداً مثابراً يؤدي إلى تحطيم تلك الصعوبات والمشاكل والقيام بالعمل بحماس

٣- التعلم والإنجاز: أن الفرد الذي يطور كفاءة ذاتية عالية ويدركها فإن ذلك يساعد على تحقيق درجات تعلم أعلى وكذلك درجه عالية من الإنجاز، أن فكرة الفرد هذه تساعده على توليد قدرات فعلية ذاتية ملبية لتحقيق التعلم والإنجاز.

٤- التفكير واتخاذ القرار: أن الأفراد الذين لديهم أيمان بفاعليتهم في حل المشاكل، يكون لديهم القدرة على التفكير واتخاذ القرار عند انجاز المهمات المعقدة، وعلى عكس الافراد الذين لديهم شك وعدم ثقة بكفاءتهم الذاتية عند حل المشاكل يكون نمط تفكيرهم سطحيًا وليس لديهم القدرة على اتخاذ القرار المناسب عند مواجهة المشاكل وتدني تفكيرهم عند أداء العمل

٥- ردود الفعل العاطفية: ان الافراد الذين يتمتعون بالكفاءة الذاتية المرتفعة يركزون في تفكيرهم على متطلبات وتحديات المهمة، ويتجاوزون مع تحديات المهمة او النشاط بأداء حماسي ومتفائل، وبالمقابل فان الأفراد الذين يعانون من الشعور بعدم الكفاءة الذاتية يشعرون بالقلق والإحباط وتوقع الفشل والشعور بالنقص والتشاؤم وعدم القيام بالمهمات أو الأنشطة. والكفاءة الذاتية الأكاديمية تقاس عن طريق تقديم فقرات لفظية في قائمة أو مقياس يستجيب لها المفحوص عن طريق التقرير الذاتي. (الضمور، ٢٠١٠، ص ٣٤) :

ويذكر باندورا أن معتقدات الكفاءة الذاتية تلعب دوراً رئيسياً في التنظيم الذاتي للدافعية، إن الأشخاص يحفزون أنفسهم ويقومون بتشكيل المعتقدات حول ما يستطيعون القيام به، ويصنعون أهدافاً لأنفسهم، ويخططون مسارات العمل المصمم لتحقيق مستقبل ذي قيمة جيدة كما تؤثر توقعات الكفاءة الذاتية على ثلاثة مستويات من السلوك، هي: أولاً:

اختيار الموقف، ثاني الجهد الذي يبذله الفرد، وثالث المثابرة في السعي للتغلب على الموقف فالمستوى الأول: يمكن للمواقف التي يمر بها الفرد أن تكون مواقف اختيارية أو لا تكون كذلك. فإذا ما كان الموقف واقع ضمن إمكانات حرية الفرد في الاختيار فإن اختياره للموقف يتعلق بدرجة كفاءته الذاتية أي أنه سيختار الموقف التي يستطيع فيها السيطرة على مشكلاتها ومتطلباتها ويتجنب المواقف التي تحمل له الصعوبات في طياتها والمستوى الثاني والثالث: تحدد درجة الكفاءة الذاتية شدة المساعي والمثابرة المبذولة في أثناء حل مشكلة ما. فالشخص الذي يشعر بدرجة عالية من الكفاءة الذاتية سوف يبذل من الجهد والمثابرة أكثر من ذلك الذي يشعر بدرجة أقل من الكفاءة الذاتية. فالتقدير المسبق المرتفع للكفاءة الذاتية سيعطي الفرد الثقة بأن مساعيه سوف تقوده للنجاح بغض النظر عن صعوبتها، في حين أن التقدير المنخفض للكفاءة الذاتية سيدفع الفرد أيضاً بذل القليل من الجهد والمثابرة. وهذا ما يطلق عليه سكوارزرتسمية الإرادة التي تقوم على تحويل أي سلوك ما أيضاً إلى سلوك فعلي، وعلى المحافظة على استمرارية هذا السلوك أمام العقبات التي تواجهه (رضوان، ١٩٩٧، ص ٩٨)

ثانياً: الفضول الادراكي

يعرف الفضول الادراكي بأنه سمة إيجابية توحى بالتفوق والنجاح وهو أيضاً سمة منتجة ، فلطالما اعتبر الاستكشاف والفضول عاملين إيجابيين في تعزيز وتطور معلومات الفرد ن العالم حوله وتوسع إدراكه نسبياً والاستكشاف لها ، وهو الميل إلى الاقتراب من المنبهات المركبة غير المتجانسة والاستكشاف لها.

(عبد الحميد و خليفة ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٢

بعض النظريات المفسرة للفضول الادراكي .

أ – النظرية المعرفية : تفسر هذه النظرية التعلم على أنه عملية استكشاف ذاتي يقوم على التبصر والإدراك والتنظيم الذاتي وفهم العلاقات نتيجة تفاعل القدرات العقلية للإنسان مع المثيرات التعليمية ومن) .رواد هذه النظرية (برونر ، أوزيل ، بياجيه) . (الموسوعة الحرة ، ٢٠٠٧ ، ص ٧

إن التعلم وفق هذه النظرية يحدث من خلال التغيير في البنى المعرفية وهذا التغيير يتضمن جانبين

١- التمثيل (الاستيعاب): تفسير الفرد للموضوعات والأحداث في ضوء الأفكار والمعلومات المتاحة لديه ومن ثم

استيعابها.

٢- الموائمة: ويقصد بها الإدراك والاستبصار للعلاقة بين خصائص الموضوعات الخارجية والعمليات الداخلية (منصور

والأحمد ، ٢٠٠٦ ، ص ٩٧

يفترض علماء النفس المعرفي أن الفضول الادراكي المعرفي ينمو ويتطور مع العمر وتسهم الظروف

البيئية في تطوره وبلورته على صورة أداءات وبحث وتقصي ونشاطات ذهنية أخرى ترتبط بذلك

(قطامي ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٢٠)

وهذا ما يتفق مع رأي بياجيه من حيث التركيز على دور البيئة والتفاعل معها وأنها المصدر الأول للخبرات والمعارف والمحسوسات ، حيث يرى بياجيه أن عملية الاستطلاع والنمو تحدث أولاً من خلال عملية معيشة الطفل في بيئته وتفاعله مع هذه البيئة ، وأكد أن البيئة الغنية التي تزود الطفل بخبرات تساعد على النمو بسرعة أكبر (الطواب ، ١٩٩٣ ، ص ١٠٩)

ب - نظرية الإدراك الحسي: مفادها أن الطفل يستطلع ما يراه ويلفت اهتمامه وما يدهشه ، كذلك يستطلع الصور الحسية التي يحصل عليها من خلال مستقبلاته الحسية ، وبالتالي فإن العمليات العقلية تقوم بتفسيرها بطرق جديدة وإبداعية أحياناً ، وقد تفيد في تمثيلها وتفسيرها ومعالجتها . وليست خيالاتنا الذهنية إلا مزيجاً من الصور الحقيقية التي طبعت بشيء من ذاتنا وطرق تفكيرنا وإحساساتنا . ويفترض (برلاين) أن الفضول الإدراكي يمكن معالجته من جانبين : الأول - حب الاستطلاع المعرفي يرتبط بالمعرفة والقدرة على الاطلاع أي العمليات الذهنية المعرفية - الثاني : دافع حب الاستطلاع المتعلق بالإدراك الحسي الذي يرتبط بزيادة الاهتمام بالمنبهات التي تتوفر في المجال الإدراكي للفرد . ويضيف برلاين أن هناك ثلاثة مجموعات لخصائص المؤثرات الخارجية وهي (خصائص عقلية بدنية ، بيئية ، خصائص مقارنة) (قطامي ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٣٤)

ج - نظرية التوجه المعرفي ل (كريتير) : بنيت هذه النظرية من خلال تأثير دافع حب الاستطلاع على الجانب المعرفي وتداخلهما وخلصت هذه الدراسات إلى انطباع أساسي بخصوص دور الجانب المعرفي في تشكيل دافع حب الاستطلاع وتحديد مستواه وشكله لدى الأطفال . وخلص (كريتير) إلى مسلمة مؤداها أن دافع حب الاستطلاع ييسر الوظيفة المعرفية عامة والجهد العقلي خاصة، وبذلك تتضح معالم تلك النظرية في بيان مدى التداخل بين متغيرات دافع حب الاستطلاع ومتغيرات التوجه المعرفي

ثالثاً : العلاقة بين الكفاءة الذاتية والفضول الإدراكي .

من خلال اطلاع الباحثة على الأدبيات النظرية والمراجع التي تناولت المتغيرين ، تبين له أن الكفاءة الذاتية لدى الأفراد الذين يتمتعون بالكفاءة الذاتية المرتفعة يركزون في تفكيرهم على متطلبات مهمة، ويتجاوزون مع تحديات المهمة أو النشاط بأداء حماسي ومتفائل وكذلك الأمر بالنسبة للفضول الإدراكي الأمر الذي يجعل كل من المتغيرين ينمو بالتوازي مع الآخر ما يجعل العلاقة بينهما إيجابية وتفاعلية حيث فضل الأفراد المبدعين ذوي الكفاءة الذاتية العالية وذوي الدرجات المرتفعة في الكفاءة الذاتية البيئات ذات الدرجة العالية من التغيير كذلك فقد تبين أن الأفراد الذين لديهم فضول ادراكي يحصلون على درجات عالية في اختبارات الابتكار والإبداع ويعتبر السلوك الاستكشافي هو مكون أساسي من مكونات التفكير الإبداعي ومكمل لمهارة الكفاءة الذاتية حيث وجدت الباحثة أن هناك صلة وثيقة بين الاستطلاع وبين الأفكار الجديدة والمبتكرة وقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج التي تدل على العلاقة الإيجابية والقوية بين المتغيرين حيث يظهر لدى الأفراد الذين يتوافر لديهم كفاءة ذاتية مرتفعة لديهم سلوكيات تدل على الفضول الإدراكي كالبحت والاكتشاف والحلول للمشكلات والأسئلة والقيام بإعادة تنظيم عناصر المشكلات الحالية لاكتشاف علاقات

جديدة ومن ثم الحلول الجيدة لها . كذلك التمتع بقدر كبير من الانفتاح على المجهول أو الجديد و القدرة على التعبير عن الذات والتمتع باستخدام أشكال التفكير التباعدي بشكل يفوق استخدامهم لأشكال التفكير التقاربي الدراسات السابقة

الكفاءة الذاتية

دراسات عربية

دراسة الصقر(٢٠٠٥) " مستوى النمو الأخلاقي والكفاءة الذاتية لدى عينة من طلبة جامعة اليرموك في ضوء بعض المتغيرات جرت هذه الدراسة في جامعة اليرموك، وكانت تهدف لمعرفة مستوى متغيري النمو الأخلاقي والكفاءة الذاتية لدى عينة من طلبة جامعة اليرموك، والفروق ذات الدلالة الإحصائية بين الطلاب والطالبات في مستوى المتغيرين النمو الأخلاقي والكفاءة الذاتية تكونت عينة الدراسة من ٦٥٤ طالب وطالبة من طلبة البكالوريوس في جامعة اليرموك. وبعد التحقق من صدق وثبات المقياسين طبق الباحث المقياسين على عينة البحث. وقد توصل الى النتائج الآتية: ١ إن غالبية الطلبة كانوا يتمتعون بالمستوى الثاني من النمو الأخلاقي وهولتمسك بالعرف والقانون ٢ توجد فروق فردية ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطالبات في مستوى النمو الأخلاقي ولصالح الطالبات. ٣ يتمتع الطلبة بمستوى عال من الكفاءة الذاتية الطلاب. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطالبات في مستوى الكفاءة الذاتية المدركة ولصالح الطلاب(صقر, ٢٠٠, ص٧٦)

دراسات أجنبية-

دراسة فولك وميشل " (Voelk & Michael, 2004) - الأداء الأكاديمي وعلاقته بالكفاءة الذاتية وبعض المتغيرات لدى طلبة الجامعة هدفت هذه الدراسة التعرف على العلاقة بين الأداء الأكاديمي والكفاءة الذاتية والغش وأثر الجنس والعمر والمستوى الدراسي. تكونت عينة البحث من ٣١٥ طالب وطالبة أُختيروا من ثلاث كليات. طبق الباحثان مقياسي للأداء الأكاديمي والكفاءة الذاتية. وبعد جمع البيانات واجراء التحليلات الإحصائية المناسبة، تمّ توصل الى النتائج الآتية: وجود علاقة دالة إحصائية بين العمر والجنس والمستوى الدراسي والكفاءة الذاتية والأداء الأكاديمي.

الفضول الإدراكي

دراسات عربية

دراسة الجبوري (٢٠١٦) الفضول الإدراكي لدى طلبة الجامعة

هدفت الدراسة الى التعرف على الفضول الإدراكي لدى طلبة الجامعة والفروق في مستوى الفضول الإدراكي تبعاً لمتغير الجنس(ذكور-إناث) واقتصر ت الدراسة على عينة مكونة من (٥٠٠) طالب وطالبة من جامعة القادسية وقد توصلت الدراسة الى النتائج الآتية يوجد فضول إدراكي لدى طلبة الجامعة ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الفضول الإدراكي تبعاً لمتغير الجنس(ذكور -إناث)

Population of research مجتمع البحث

Population ويعني به "جميع المفردات الظاهرة التي يقوم بدراستها الباحث" وقد يختار الباحث عينة ممثلة لمجتمع البحث الأصلي، (ملحم، ٢٠١٠، ص ٢٦٩-٢٧٠). يتكون مجتمع البحث من المرشدين التربويين في محافظة البصرة من كلا النوعين الذين يزاولون عملهم فعلاً في المدارس المتوسطة والإعدادية والثانوية للعام الدراسي ٢٠٢٠-٢٠٢١ وقد بلغ العدد الكلي (٤١٢) عدد الذكور (١٤٢) وعدد الإناث (٢٧٠)

جدول (1)

الذكور	١٤٢
الإناث	٢٧٠
المجموع	٤١٢

ثالثاً-عينة البحث: Sample Of The research

يستخدم الباحث العينة لأن في بعض الحالات من الصعب دراسة المجتمع ككل، و من الأفضل دراسة كل العناصر المكونة للمجتمع من الناحية النظرية، إلا أنه قد يصعب ذلك من الناحية العملية، خاصة بالنسبة إلى المجتمعات الكبيرة، لذا لا بد من أخذ عينة ممثلة للمجتمع الأصلي وتعميم نتائج هذه العينة على مجتمع البحث. وتعرف (العينة) Sample على أنها: "مجموعة من المستجيبين (الناس) يتم اختيارهم من مجتمع أكبر لتحقيق أغراض الدراسة" (الكبيسي، ٢٠٠٧، ص ٢١٧).

تم اختيار عينة للبحث ممثلة لخصائص المجتمع الأصلي وقد بلغت (٢٠٠) مرشد ومرشدة و تم سحب العينة بطريقة الطباق العشوائية،

اداءا البحث

أولاً: مقياس الكفاءة الذاتية

لغرض تحقيق اهداف البحث الحالي تطلب اعداد أداة لقياس الكفاءة الذاتية السيكومترية اتبعت الخطوات اطلعت الباحثة على عدد من المقاييس والادبيات التي تناولت هذا المفهوم بالاضافة الى قيام الباحثة بتوجيه استبانة استطلاعية مفتوحة الى عينة من مجتمع البحث لمعرفة اهم مواصفات المرشد التربوي الذي يتمتع بكفاءة ذاتية وقد اجريت هذه الاستبانة على عينة من مجتمع البحث بلغت (٦٠) مرشد ومرشدة عشوائياً طالبا وبعد جمع استجابات العينة الاستطلاعية ومراجعة الادبيات والمقاييس السابقة تم الحصول على (٤٣) فقرة موزعة على مجالات الكفاءة لذاتية وهي المجال الانفعالي (١٠) المجال الاجتماعي (٩) مجال الإصرار والمثابرة (٨) والمجال المعرفي (٨) والمجال

الاكاديمي(٨): قامت الباحثة باعادة صياغة الفقرات بما يلائم تحقيق اهداف البحث وقد روعي في صياغة الفقرات قواعد عامة :

- ١- ان تدمم الفقرات بسهولة القراءة ويسر التعبير
- ٢- ان لاتوحي الفقرات بالزطرف مثل غالبا , دائما
- ٣- تفسرها ووضح مضمون الفقرات وعدم الاختلاف في تفسيرها
- ٤- الابتعاد عن النفي المزدوج لانها تربك المفحوص.
- ٥- تجذب وضع فقرة تحمل اكثر من فكرة واحدة (فرج ١٩٩٧, ص١٣٣)

الخصائص السيكمترية للمقياس

صدق الفقرات

الصدق هو الخاصية السيكمترية التي تكشف عن مدى تأدية المقياس للغرض الذي اعد من اجله (عودة, ١٩٨٥, ص١٨٣) وعليه فالصدق من المفاهيم الاساسية التي يتم التأكد منه عندما يراد تطبيق اي اداة, وبعد ان اعدت واصيغت فقرات المقياس والبالغ عددها (٤٣) فقر عرضت بصورتها الاولية على لجنة من الخبراء في التربية وعلم النفس . ولاستخراج الصدق الظاهري المتضمن ووضح الفقرات ومدى صلاحيتها لقياس الكفاءة الذاتية حللت اجابات الخبراء واعدت كل فقرة صالحة وصادقة اذا اتفق على صلاحيتها (٨٠%) واكثر وفي ضوء هذا المحك تم حذف (٤) فقرات وبهذا اصبح (٣٩) من المقياس موزعة على المجالات الاربعة, كما اتفق الخبراء على اعتماد الميزان الخماسي لانه يعطي حرية اكثر للمجيب في التعبير عن كفاءته الذاتية ولسهولته في التصحيح وتمتعه بدرجة ثبات عالية وذلك من خلال وجود عدة بدائل امام الفقرة الواحدة وتسمح باكبر تباين بين الافراد (زهران, ١٩٨٤, ص١٤٩)

الثبات

الثبات يعني به الحصول على نفس النتائج او مقارنة لها عند اعادة تطبيق المقياس بشرط ان تتوفر نفس الظروف ونفس الاجراءات التي روعيت في التطبيق الاول. والاختبار الثابت هو الاختبار الموثوق فيه ويعتمد عليه (احمد, ١٩٨١, ص١٩٩)

وقد استعملت الباحثة

طريقة التجزئة النصفية لاجاد الثبات بهذه الطريقة تم فرز الفقرات الفردية عن الزوجية واصبح المقياس يتكون من نصفين . وتم احتساب معامل الارتباط بطريقة بيرسون لكل من نصفي المقياس اذ بلغ, ٠.٧٢. وعند تصحيحه بمعادلة سبيرمان بلغ, ٠.٨٣ وهو معامل ثبات يمكن الركون . اليه

تطبيق المقياس بصيغته النهائية

أصبح مقياس الكفاءة الذاتية بصورته النهائية مؤلفاً من (٣٩) فقرة وإمام كل فقرة خمسة بدائل لاتنطبق ، تنطبق بدرجة متوسطة، تنطبق قليلاً ، تنطبق كثيراً ، تنطبق تماماً وتحصل البدائل على الدرجات ١، ٢، ٣، ٤، ٥ في الفقرات الإيجابية والعكس للفقرات السلبية وبذلك تتراوح درجات المقياس ٣٩-١٩٥ وبمتوسط فرضي (١١٧)

مقياس الفضول الادراكي

بعدا طلاع الباحثة على الادبيات والدراسات السابقة وفي ضوء نظرية بيرلان اطارا نظريا والاستفادة منها قامت الباحثة بصياغة فقرات مقياس الفضول الادراكي بعد تحديد المجالات التي يتكون منها المقياس وتعريف كل مجال بحيث تكون الفقرات معبرة عن المجال الذي تنتمي اليه ومنسجمة مع طبيعة المجتمع الذي سيطبق عليه المقياس اذ تم صياغة (٣٢)فقرة تغطي المجالين مصاغة بأسلوب العبارات التقريرية بواقع (١٧)فقرة منها (٥)فقرات سلبية للمجال الأول و (١٥) فقرة منها (٣)سلبية للمجال الثاني .

بدائل الاجابة

تضمن المقياس خمسة بدائل هي (تنطبق علي دائما ,تنطبق علي غالبا,تنطبق علي أحياناً,تنطبق علي نادرا,لاتنطبق علي ابدا) ولحساب الدرجة الكلية للمستجيب على المقياس تعطى الاوزان (١,٢,٣,٤,٥) في حالة الفقرات الإيجابية وتعكس هذه الاوزان بلنسبة للفقرات السلبية.

صلاحية فقرات المقياس

وللتأكد من صلاحية فقرات مقياس الفضول الادراكي عرض المقياس بصيغته الأولية المكونة من (٣٢) فقرة بواقع (١٧) للمجال الأول و(١٥) فقرة للمجال الثاني على مجموعة من المحكمين من ذوي الاختصاص في مجال الارشاد النفسي والعلوم النفسية والتربوية بلغ عددهم (٢٦)محكماً والطلب منهم ابداء ملاحظاتهم في :

١-مدى صلاحية فقرات المقياس في قياسها وضعت لأجله

٢-مدى صلاحية البدائل

٣-ترك للمحكمين إمكانية إضافة أو حذف أو تعديل أي فقرة تحتاج ذلك مما يجعل المقياس ملائماً لعينة البحث ولتحديد صلاحية فقرات المقياس اعتمدت قيمة (كاي)٢ المحسوبة بالقيمة الجدولية البالغة (٣,٨٤) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (١) تبين ان قيمة (كاي)٢ المحسوبة كانت دالة احصائياً لفقرات المقياس.

الخصائص السيكومترية للمقياس

صدق المقياس

الصدق الظاهري

تحقق الصدق الظاهري لمقياس الفضول الادراكي من خلال عرضه بصيغته الأولية على مجموعة من المحكمين من ذوي الاختصاص في الارشاد النفسي والعلوم النفسية والتربوية لتقدير مدى صلاحية وملائمة فقرات المقياس وتعليماته وبدائله وكانت نسبة اتفاق المحكمين على مقياس الفضول الادراكي (٨٠%)

الثبات

الثبات يعني به الحصول على نفس النتائج او مقارنة لها عند اعادة تطبيق المقياس بشرط ان تتوفر نفس الظروف ونفس الاجراءات التي روعيت في التطبيق الاول . والاختبار الثابت هو الاختبار الموثوق فيه ويعتمد عليه (احمد، ١٩٨١، ص١٩٩)

وقد استعملت الباحثة طريقة التجزئة الانصافية لايجاد الثبات بهذه الطريقة استعملت الاستمارات ذاتها التي استعملت في استخراج الثبات بطريقة الفا تم فرز الفقرات الفردية عن الزوجية واصبح المقياس يتكون من نصفين . وتم احتساب معامل الارتباط بطريقة بيرسون لكل من نصفي المقياس اذ بلغ، ٠.٧٢. وعزد تصحيحه بمعادلة سبيرمان بلغ، ٠.٨٣ وهو معامل ثبات يمكن الركون اليه

تطبيق المقياس بصيغته النهائية

اصبح مقياس الفضول الادراكي بصورته النهائية مؤلفا من (٣٢) فقرة وامام كل فقرة خمسة بدائل لاتنطبق ، تنطبق بدرجة متوسطة، تنطبق قليلاً ، تنطبق كثيراً ، تنطبق تماما وتحصل البدائل على الدرجات ١، ٢، ٣، ٤، ٥ في الفقرات الايجابية والعكس للفقرات السلبية.

الوسائل الإحصائية :

اعتمد البحث على الوسائل الإحصائية الآتية :

١ - الانحراف المعياري .

٢ - تطبيق الاختبار التائي .

٣ - مربع كاي .

٤ - الوسط الفرضي .

٥ - الوسط الحسابي

عرض النتائج ومناقشتها

الهدف الأول: لتحقيق الهدف الأول هو التعرف على مستوى الكفاءة الذاتية لدى المرشدين التربويين.

قامت الباحثة بتطبيق مقياس الكفاءة الذاتية على عينة بلغت (٢٠٠) مرشد ومرشدة من مركز محافظة البصرة إذ بلغ الوسط الحسابي (١٥٣،٤٢) والانحراف المعياري(٢٨.٧١٤) والقيمة التائية المحسوبة.(٢١.٩٧٩) وهي اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (١،٩٦) عند مستوى دلالة (٠،٠٥) وبمقارنة الوسط الحسابي بالوسط الفرضي البالغ (١١٧) للمقياس تبين أن الوسط الحسابي اكبر من الوسط الفرضي للمقياس وهذا يدل ان عينة البحث لديهم كفاءة ذاتية عالية

جدول (٢)

قيمة الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية لدرجات المرشدين التربويين على مقياس الكفاءة الذاتية

العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	القيمة التائية		مستوى الدلالة (٠,٠٥)
				المحسوبة	الجدولية	
٢٠٠	١٥٣.٤٢	٢٨.٧١٤	١١٧	٢١.٩٧٩	١,٩٦	دالة احصائياً

ويمكن تفسير هذه النتيجة وقوع افراد عينة البحث في مستوى كفاءة ذاتية جيدة اي ان عملية ادراك الذات تستمر في طور النمو واكتساب الخبرات اذ ان الافراد في هذه المرحلة وصلوا في مرحلة الاعتماد الكلي على الذات المتمثلة في بناء العديد من المهارات التي تساعدهم على اتخاذ القرار التي تزيد من اكتساب الخبرات التي تدعم المعلومات المباشرة وغير المباشرة والتي تعمل على تكوين اتجاهات ايجابية لقدرة الفرد وامكاناته وبالتالي تعمل على رفع قدرة الفرد على مواجهة الاحداث واتخاذ مواقف حيالها، وتتفق هذه الدراسة مع دراسة الصقر ٢٠٠٥

الهدف الثاني: التعرف على مستوى الفضول الادراكي لدى المرشدين التربويين

من اجل التعرف على مستوى الفضول الادراكي لدى المرشدين التربويين تم تحليل إجابات عينة البحث النهائية البالغة (٢٠٠) مرشد ومرشدة على مقياس الفضول الادراكي وجدت الباحثة ان الوسط الحسابي لعينة البحث بلغ (٩٠,١٥) بانحراف معياري (٥٩٦,١١) وعند مقارنة المتوسط الحسابي بالمتوسط الفرضي للمقياس البالغ (٨٠) وبعد اختبار دلالة الفرق بين المتوسطين باستعمال معدلة الاختبار التائي لعينة واحدة ظهر ان هناك بين المتوسطين باتجاه متوسط العينة اذ ان القيمة التائية المحسوبة بلغت (٢٠,٧٧) وهي اكبر من القيمة التائية الجدولية (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٤٩٩) هذا يشير الى ان المرشدين التربويين لديهم فضو ادراكي

جدول (٣)

قيمة الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية لدرجات المرشدين التربويين على مقياس الفضول الادراكي

العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	القيمة التائية		مستوى الدلالة (٠,٠٥)
				المحسوبة	الجدولية	
٢٠٠	(٩٠,١٥)	(١١,٥٩٦)	(٨٠)	(٢٠,٧٧)	(١,٩٦)	دالة احصائياً

ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن المرشدين التربويين يتمتعون بفضول ادراكي وذلك بسبب التطورات الهائلة والسريعة التي تحدث في عصرنا الحالي وخاصة التكنولوجيا منها والذي أدى الى الانتشار الواسع للأجهزة المحسوبة والأجهزة الذكية والتي يتوفر بأمثوات وتنبهات حسية ادراكية والتي غالبا ماتتصف بالجددة والتنوع في شتى مجالات الحياة فضلا عن قدرتها

الفائقة على توفير التواصل بصورة لأمحدودة مع الاخرين مما أدى الى زيادة رغبة الفرد الذي يتعامل معها على ان يعرف اكثر عن العالم المحيط به.

المهدف الثالث : التعرف على العلاقة بين متغيري البحث (الكفاءة الذاتية) و(الفضول الادراكي) لدى عينة البحث الحالي لغرض تحقيق هذا المهدف قامت الباحثة بأستخراج العلاقة الارتباطية بين متغيري البحث (الكفاءة الذاتية) و (الفضول الادراكي) لدى عينة البحث الحالي بأستعمال معامل ارتباط بيرسون فتبين وجود علاقة ارتباطية طردية دالة بين متغيري البحث اذ بلغت قيمة معامل الارتباط المحسوبة (٠,٢٦٦) وهي اكبر من القيمة الجدولية (٠,٠٩٨) عند درجة حرية (١٩٨) وبمستوى دلالة (٠,٠٥) ولاختبار معنوية هذا الارتباط استعملت الباحثة اختبار فرضية الاختبار التائي لمعامل الارتباط اذ بينت النتائج ان القيمة التائية المحسوبة بلغت (٣,٨٨) وهي اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (١,٩٦٠) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (١٩٩) وهذا يعني ان القيمة التائية المحسوبة ذات دلالة احصائية , وهذا يشير الى وجود علاقة ارتباطية دالة معنويا

القيمة التائية		قيمة الارتباط المحسوبة	المتغير الثاني	المتغير الأول
الجدولية	المحسوبة			
1,96	3,88	0,266	الفضول الادراكي	الكفاءة الذاتية

الاستنتاجات:

- ١- تبين ان عينة البحث تتمتع بكفاءة ذاتية
- ٢- بين ان عينة البحث تتمتع بفضول ادراكي
- ٣- تبين انه توجد علاقة ارتباطية بين الكفاءة الذاتية والفضول الادراكي

التوصيات:

- ١- تعزيز الكفاءة الذاتية لدى طلبة الجامعة عن طريق استعمال البرامج الارشادية القائمة على زيادة تحسين الكفاءة الذاتية

- ٢- الاهتمام بموضوع حب الاستطلاع بشكل عام والفضول الادراكي بشكل خاص

المقترحات:

قيام دراسة تتناول الكفاءة الذاتية وعلاقتها ببعض المتغيرات مثل (الذكاء الانفعالي المهارات الدراسية) المصادر

الخطيب، محمد (٢٠٠٤). التوجيه والإرشاد بين النظرية والتطبيق، ط ٢ غزة، فلسطين-

- الدواغرة، حسان (٢٠٠٦). اتجاهات المعلمين في مدارس محافظة الكرك نحو العمل الإرشادي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن
- الذيباني، قصي عجاج (٢٠١٣) التفكير الجانبي وعلاقته بالدافعية العقلية لدى طلبة الجامعة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية بن رشد، جامعة بغداد
- الزعبي، أحمد (٢٠٠٢). الإرشاد النفسي : نظرياته، اتجاهاته، مجالاته، عمان، الأردن: دار زهران للنشر
- السفسافة، مُجد (٢٠٠٣). أساسيات في الإرشاد والتوجيه النفسي والتربوي الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
- السفسافة، مُجد (٢٠٠٥). إدراك المرشدين التربويين لأهمية العمل في مجالات الإرشاد (النمائي والوقائي والعلاجي) في بعض المدارس الأردنية
- الشريبي، هانم أبو الخير (١٩٩٣) دراسة تجريبية لتنمية دافع حب الاستطلاع لدى تلامذة الحلقة الثانية في التعليم الأساسي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنصورة، مصر -----
- القاضي، يوسف وآخرون (١٩٨١). الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، الرياض، السعودية: دار المريخ للنشر
- القذافي، رمضان (١٩٩٦). الإرشاد والتوجيه النفسي، الإسكندرية، مصر: المكتبة الجامعية
- الضمور، مُجد مسلم- (٢٠١٢) الفاعلية الذاتية الأكاديمية، ورقة عمل منشورة، الموقد، مصر
- الطواب. سيد محمود ١٩٩٣ (سيكولوجية النمو الإنساني) مصر، القاهرة. مكتبة الانجلو
- زهران أحمد عبد السلام، ١٩٨٤، علم النفس الاجتماعي، ط ٥
- العنزي، خالد (٢٠٠٤). دور المرشد الطلابي كما يدركه مديرو المدارس المتوسطة والثانوية في الإدارة العامة للتربية والتعليم بمنطقة الحدود الشمالية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية
- المشيخي، غالب. (٢٠٠٩) قلق المستقبل وعلاقته بكل من فعالية الذات ومستوى الطموح لدى عينة من طلاب جامعة الطائف. مذكرة دكتوراه في علم النفس تخصص إرشاد نفسي. جامعة أم القرى : المملكة العربية السعودية
- جابر عبد الحميد: ت الشخصية، البناء، الديناميات، النمو، طرق البحث، التقويم، دار النهضة العربية، القاهرة
- بروني، عائدة، وحمدي، نزيه - ٢٠١٢ فاعلية تدريب الأمهات على التعزيز التفاضلي وإعادة التصور في خفض سلوك عدم الطاعة لدى أطفالهن وتحسين الكفاءة الذاتية المدركة لدى الأمهات، بحث منشور، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، المجلد ٨ (العدد ٢
- رضوان، سامر جميل ١٩٩٧ توقعات الكفاءة الذاتية، البناء النظري والقياس، بحث منشور، مجلة شؤون اجتماعية الشارقة
- سلطان، مُجد (٢٠٠٤). السلوك التنظيمي، القاهرة، مصر : دار الجامعة-
- عقل، محمود (٢٠٠٤). الإرشاد النفسي والتربوي، الرياض، السعودية : دار الخريجين للنشر

-علوان، رائد (٢٠٠٥). فاعلية برنامج مقترح لتنمية التفكير الإبداعي لدى المرشدين النفسيين في مدارس وكالة الغوث الدولية، رسالة ماجستير غيرمنشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين
- داوود، عزيز حنا، وعبد الرحمن، أنور حسين) - ١٩٩٠ (مناهج البحث التربوي، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد.
- رضوان، سامر جميل ١٩٩٧ (توقعات الكفاءة الذاتية، البناء النظري والقياس، بحث منشور مجلة شؤون اجتماعية، ع .٥٥

- فرج- صفوت، ١٩٩٧، اقياس النفسي -مكتبة الانجلو المصرية ط٣
- غاتم، حجاج (٢٠٠٥). علم النفس التربوي، القاهرة، مصر : مكتبة عالم الكتب
- محاسنه، محمد (٢٠٠٦). واقع التزام المرشد التربوي بأخلاقيات مهنة الإرشاد من وجهة نظر المرشدين والمسترشدين، رسالة ماجستير غيرمنشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.
- ديراني، محمد (١٩٩٣). السمات الشخصية للمشرفين التربويين في الأردن وعلاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية. الجامعة الأردنية، المجلد العشرون (أ)، عدد ٣
- الزعبي، أحمد (٢٠٠٢). الإرشاد النفسي : نظرياته، اتجاهاته، مجالاته، عمان، الأردن: دار زهران للنشر.
- هلال، محمد عبد الغني ١٩٩٧ (مهارات التفكير الابتكاري) مصر، مركز التطوير والتنمية

المصادر الاجنبية

- Bandura, A. (1997). Self – efficacy. The exercise of control .Stand ford university New York :W. H. Freeman and company.
- Bandura, A. (1987) Social foundations of thought and action: A social- cognitive theory .NJ: print ice- Hall.
- Al-Hareri, R. (2011). Educational and psychological counseling in educational institutions. Amman, Jordan .
- Dale.W.(2002) Self – efficacy.Stand ford university New York :W. H. Freeman and company
- LOEWENSTEIN, G., 1994, The psychology of curiosity: Areview and reinterpretation. Psychological Bulletin, 116
- Schwarzer, R. B. & et al. (1995) Efficacy scale. submitted for publication. Berlin: Frerpsychologie.
- Benz, L. Bradley, L, Alderman, K. & Flowers, A. (1992). Personal teaching efficacy, developmental relation-ships in Education. Journal of Educational. Research, 85(5), 272-274.

النقد الاجتماعي في سيرة فدوى طوقان الذاتية "رحلة جبلية رحلة صعبة"

د. معاذ عبدالله إشتية - أستاذ النقد والأدب الحديث المساعد

جامعة الإستقلال - أريحا / فلسطين

الملخص

يسعى هذا البحث إلى الوقوف على ملامح النقد الاجتماعي في سيرة فدوى طوقان الذاتية "رحلة جبلية رحلة صعبة"؛ فالقارئ لسيرتها المذكورة يجد أنها تتبنى اتجاهها نقدياً ذا أبعاد اجتماعية تسعمره إلى الكشف عن بعض العادات الاجتماعية والتربوية التي كان لها أثر في حياتها .

وصحيح أن سيرة " رحلة جبلية رحلة صعبة " هي سيرة ذاتية ، لكن ذاتية الأديب لا تقف عند الذاتية الفردية حين يتعلق الأمر بالمجتمع الذي تنتمي إليه، من هنا، ينطلق الباحث في بحثه من رؤية ترى في السيرة مواقف ذات أبعاد اجتماعية وتربوية تتصل بفدوى لكنها تمس الحياة الاجتماعية والتربوية التي عاشتها وتعيشها كثير من النساء في مجتمعنا الذكوري .

وهكذا، فكل حدث وكل موقف تتناوله طوقان يعبر عن تفاعل الذات مع المجموع من جهة ، ويجسد رؤية ذات أبعاد نقدية بعد أن تحسست الذات أوجاعها ووقفت تنظر إلى الماضي من شرفة الحاضر ، حيث تعتمد تقنية الاسترجاع في استعادة الزمن المفقود والذكريات الغابرة ، وتجسد تجربة المرأة في صراعها مع الواقع وانعكاس ذلك على حياتها الذاتية . كل ذلك ، جعل الباحث يرى في سيرة طوقان صرخة مكتوبة تجسد صوت المرأة العربية بعامة والمرأة الفلسطينية بخاصة ، ويحمل دعوة إلى وجوب التغيير في النمط القديم الذي ساد في معاملة المرأة ، وهي تتبنى اللواء الذي حمله كثير من الناشطين والمفكرين والأدباء أمثال هدى شعراوي ، وأحمد فارس الشدياق وقاسم أمين .

Abstract

This research seeks to understand the features of social criticism in the biography of Fadwa Touqan "A Mountainous Journey A Difficult Journey." The reader of her above-mentioned biography finds that she adopts a critical direction which has social dimensions through which she seeks to uncover some social and educational customs which had an effect on her life.

It is true that "A Mountainous Journey A Difficult Journey" is an autobiography. However, the subjectivity of the literary man does not stop at the individual subjectivity when the matter is concerned with the society to which it belongs. From here, the researcher sets out in his research from a vision which sees in the biography positions having social and educational dimensions which are related to Fadwa but they touch the

social and educational life which she had lived and which many women live in our male society.

So, ever event and every position which is treated by Touqan expresses an interaction of the self with the total on the one hand, and it embodies a vision having critical dimensions after the self sensed its pained and it stopped to look at the past from the balcony of the present, whereby she adopts the technique of recall in recovering the lost time and the ancient memories, and she embodies the experience of woman in her struggle with the reality and the reflection of this on her subjective life.

All of the this made the researcher view in the biography of Touqan a written cry which embodies the voice of the Arab woman in general and the Palestinian woman in particular, and it carries a call for the necessity of change in the old pattern which prevailed in the treatment of the woman. And she adopts the banner which was carried by many activists, thinkers and men of letters such as Huda Sha'arawi, Ahmad Fares Al-Shidyaq, and Qasem Amin.

التمهيد

إن مصطلح النقد الاجتماعي ينطلق من منطلق " تفسير الأدب والظاهرة الأدبية في المجتمعات التي تنتجه وتستقبله وتستهلكه" ^١، والمعروف أن العلاقة بين الأدب والحياة الاجتماعية تبادلية؛ فالأدب بحسب نظرية المحاكاة التي نادى بها الفلاسفة والنقاد مرآة للمجتمع يعكس أحواله وظروفه ويعبر عن آماله وآلامه، وهو نشاط اجتماعي قبل أن يكون بناء فنيا يقوم في بنائه على عناصر أبرزها اللغة التي يمكن أن تفسر من منظور اجتماعي ^٢.

وقد ذهب أصحاب نظرية الفن للحياة أو للمجتمع مذهباً اعتقدوا فيه بالوظيفة الاجتماعية للفنون، وتأتي هذه الدراسة لتنتقل من منطلق يرى في المبدع ابناً للمجتمع الذي يعبر عنه، فمهما يكن الفنان ذاتياً في التعبير عن نفسه، فهو ابن المجتمع يكتب منه وله، وربما تكون ذاته هي المحور الذي يقوم عليه نصه الإبداعي لكن ذاته لا تعيش في فراغ إنما تتحرك في فضاء يبقى المجتمع جزءاً من مكوناته.

وإذا كان النقد الاجتماعي منهجاً نقدياً يتخذه المتلقي من أجل تفسير الأدب من منطلقات اجتماعية، فإن الباحث يتناوله بوصفه اتجاهها أدبياً للمبدع، فمهما يكن من أمر فإن النقد في أهم مرتكزاته يقوم على الكشف عن النقص والعيوب في مجال من مجالات الحياة التي تتصل بالمبدع، والباحث في كثير من النصوص الإبداعية على امتداد تاريخنا الأدبي يجد أن كثيراً من المبدعين تبناوا هذا الاتجاه في فنونهم، من منطلق يرى في الفنون تعبيراً عن انعدام التوازن في الحياة.

وإذا كانت حياة المبدع بمفهومها الفردي هي محور السيرة الذاتية، فإن هذه الحياة جزء من منظومة مجتمعية تتقاطع فيها حيوات أخرى، وسواء وعينا أم لم نع فإن السيرة الذاتية تبرز التفاعل بين الأدب والحياة؛ حيث تتفاعل الأنا

مع واقعها، وفي ذلك يلجأ المبدع إلى خلق الماضي، الذي يعز على البعث رغم استنفار آليات الذاكرة من أجل الاستحضار لنسج حكاية حياة^٢.

من هنا، فإن كتابة السيرة الذاتية تتطلب إمكانات إبداعية تسهم في نقل ما هو حياتي إلى نص مكتوب، وهكذا، فإن تفسير هذه الحياة وتحليلها يجب أن يبقى وفق علاقة الذات بالجماعة وتفاعلها مع المحيط، وإن استرجاع الأديب لكثير من المواقف والتصرفات والأحداث التي عاشها ينبثق من رؤية حاضرة ربما تأخذ اتجاهها تقييماً أو تقويمياً، وهذان هما معياران ذوا ارتباطات نقدية .

وهكذا ، يمكن دراسة سيرة فدوى تأتي في سياق دراسة ما يعرف بالأدب النسوي، الذي تلجأ فيه المرأة إلى التعبير عن جنسها في إطار الذات وتفاعلها مع البيئة الاجتماعية ، وفي ذلك يقول الغدامي "إن كتابة المرأة جاءت كطارئ لغوي وكحدث جديد على ثقافة ترسخت تقاليداً وأعرافها حسب قواعد الفحولة، ولم تجد لها المرأة بدا من أن تكتب مثلما كتب الرجل ، فتسير على خطاه وتستعين بمجازاته ورموزه"^٣.

"رحلة جبلية رحلة صعبة" قراءة في العتبات

إن سيرة فدوى طوقان الذاتية الموسومة بـ(رحلة جبلية رحلة صعبة) أبعد ما تحتزل في الوقوف الوصفي والسرد الحكائي الذي يقف عند تتبع المحطات الأولى في حياتها ؛ من هنا ، فإن الباحث في عنوان سيرتها يجد أنه يحمل في تكوينه دلالة الحدث الذي يقوم مفارقة تجمع بين نقيضين ؛ فالرحلة في مدلولها ترفيهية ، لكن فدوى منحتها صفتين ، الأولى جبلية أما الأخرى فصعبة ؛ وإذا كان الشابي في شعره يرى في الصعود إلى الجبال محبة حين قال :

ومن لا يحب صعود الجبال
يعش أبد الدهر بين الحفر^٤

فإن صعود الجبال لدى فدوى كان ممراً فرضته الظروف الاجتماعية وما يتصل بها من عادات وتقاليد شكلت عوائق وعقبات في طريقها وتركت ندوباً لم تبرا في نفسها، تقول :

" على هذا الطريق رماني المجهول ومن هذا الطريق بدأت رحلتي الجبلية، حملت الصخرة والتعب، وقمت بدورات الصعود والهبوط، الدورات التي لا نهاية لها"^٥.

والمتمعن في صفحة الغلاف بوصفها واجهة السيرة يجد أنها تتضمن ثلاثة منازل متفاوتة الحجم ، تبدو جامدة ومترهلة خالية من مقومات الحياة بمفهومها الواسع الذي يشمل الاستقرار الاجتماعي والنفسي ، حيث تتربع بطريقة عشوائية ، لكنها توازي ببوابة كبيرة بالمقارنة مع المنازل ، تظهر بدفتين مشرعتين ؛ ويكأن طوقان ترى في هذه البوابة نقطة انطلاق بين عالمين ؛ عالم الموات المتمثل في المنازل التي عاشت فيها ، وعالم الحياة والخالص الذي حققت فيه ذاتها وشقت طريقها نحوه بالكد والتعب .

والقارئ لعتبة الإهداء أو الاستهلال الذي يتصدر السيرة يجد أن العبارة التي اختارتها مدخلا لسيرتها تدلل على الأبعاد الاجتماعية لهذه السيرة، حيث تقول: " لقد لعبوا دورا في حياتي ثم غابوا في طوايا الزمن"^٧. وفي ذلك إشارة صريحة إلى تأثير المجتمع الذي ولدت ونشأت وعاشت في كنفه وتأثرت بمعطياته طوعا أو كرها .

من هنا ، بدت رحلة طوقان رحلة كفاح وعرة ، حيث راحت تشق طريقها من ظلمة الواقع فظهرت كالبذرة التي تبحث عن النور، تقول : " إن البذرة لا ترى النور قبل أن تشق في الأرض طريقاً صعباً ، وقصتي هنا هي قصة كفاح البذرة مع الأرض الصخرية الصلبة ، إنما قصة الكفاح مع العطش والصخر"^٨.

وظلت طوقان تشعر بحجم الضرر الذي لحق بها حتى سني حياتها الأخيرة: "ما أشد الضرر الذي يصيب الطبيعة الأصلية للصغار والمراهقين بفعل خطأ التربية وسوء الفهم"^٩.

وهكذا، يأتي هذا البحث للوقوف على الجوانب الاجتماعية من سيرتها، من منطلق أنها لم تتناول الحياة الاجتماعية تناولا وصفيا حياديا بقدر ما عبرت فيه عن رؤية سيولوجية ذات أبعاد نقدية ساخرة تتصل بالبيئة التي نبتت على أطرافها. ومهما يكن من أمر، فصحيح أن سيرة " رحلة جبلية رحلة صعبة " هي سيرة ذاتية ، لكن ذاتية الأديب لا تقف عند الذاتية الفردية حين يتعلق الأمر بالمجتمع الذي تنتمي إليه ، من هنا ، ينطلق الباحث في ورقته من رؤية ترى في السيرة مواقف ذات أبعاد اجتماعية وتربوية تتصل بفدوى لكنها تلمس الحياة الاجتماعية والتربوية التي عاشتها وتعيشها كثير من النساء في مجتمعنا الذكوري ، حيث ترى أنه لا يمكن التحلل من الإحساس بالألم المرتبط بمرحلة الطفولة ، إذ ، إن حرصها على إبراز الجانب الشخصي يأتي بالتوازي مع إبرازها لقضية المرأة التي لا تنفصل عن محيطها العام^{١٠} ، تقول : " إن المشاعر المؤلمة التي نكابدها في طفولتنا نظل نحس بمداقها الحاد مهما بلغ بنا العمر"^{١١} . والقارئ لتقديم سميح القاسم لسيرة فدوى طوقان يجد أنه ذهب مذهبا رأى فيه أن سيرتها تنطلق من منطلقين ؛ " الكشف والاكتشاف ، فالكتاب حين يكتب عن نفسه إنما يكشف عن ذاته التي اكتشفها ، وهو بذلك يأخذ بأيدي الآخرين على طريق النور طريق الكشف والتخطي على المستويين الفردي والجمعي ، التنوير . التشوير . التغيير ، هذا الثالوث المتكامل في مهمة إعادة صياغة العالم والحياة "^{١٢}.

وإذا كان القاسم قد ذهب مذهبا رأى فيه أن الكشف والاكتشاف عنوانان بارزان في سيرتها المذكورة فإن القارئ لسيرتها يجد أنهما ينطلقان من أبعاد اجتماعية محورها الذات المبدعة ؛ من هنا ، فكل حدث وكل موقف تناوله طوقان يعبر عن تفاعل الذات مع المجموع من جهة ، ويجسد رؤية ذات أبعاد نقدية بعد أن تحسست الذات أوجاعها ، حيث تعتمد تقنية الاسترجاع في استعادة الزمن المفقود والذكريات الغابرة ، وتجسد تجربتها في صراعها مع الواقع وانعكاس ذلك على حياتها الذاتية .

النقد الاجتماعي في سيرة فدوى طوقان " رحلة جبلية رحلة صعبة " :

يمثل كتاب " رحلة جبلية رحلة صعبة " الجزء الأول من سيرتها التي تبدأ بالميلاد مروراً بالطفولة ومرحلة تعلم الشعر وانتهاءً برحلتها إلى إنجلترا ، فإن " الرحلة الأصعب " الصادرة بطبعتها الأولى عن دار الشروق في عمان عام ١٩٩٣ م ، تمثل الجزء الثاني من حياتها ، والمطلع على السيرة يجزأها يجد أن الجزء الأول المتمثل في "رحلة جبلية رحلة صعبة " يجسد الجانب الاجتماعي والتجارب الأولى من حياتها الإبداعية ، أما " الرحلة الأصعب " فتعبر عن المرحلة السياسية المتصلة بحرب ١٩٦٧ م ، وما انبثق عنها من أشعار .

ويمكن الوقوف على مظاهر النقد الاجتماعية التي ظهرت في سيرتها " رحلة جبلية رحلة صعبة " عبر الآتية :

الميلاد والطفولة ، البيت والجو العائلي ، المجتمع النابلسي

أولاً :الميلاد والطفولة :

إن الحكايات المتصلة بالميلاد قد أورثت فدوى طوقان الشعور بالألم والحسرة ، إذ تعرض موقف والدها الذي عبرت عنه بضمير الغائب المتصل بولادتها وقدموها إلى الحياة ، فتصف مشاعر الخيبة التي انتابته ، وبذلك فهي تُعَرِّضُ بالمجتمع الذي يتفاعل بالذكر ويتشاءم بالأنتى ، في سياق فهم معوج للنص الديني ، حيث تتناص مع قوله تعالى : " المال والبنون زينة الحياة الدنيا... " ^{١٣} وتقول : " كان المال والبنون بالنسبة له زينة الحياة الدنيا، وكان يطمح بصبي خامس، لكنني خيبت أمله وتوقعه " ^{١٤} .

وتشعر طوقان أنها ربما كانت مصدر نحس ومبعث تشاؤم ؛ ولعل مثل هذا الشعور إنما يتأتى من انعدام التوازن النفسي في ظل عائلة لا تهتم لأمرها ولا تشعرها بوجودها عبر الاستماع إليها وتحسس أوجاعها ، تقول : " في بلادنا فلسطين يربط الناس السعد والنحس بالمولود الجديد أو الفرس الجديدة أو الزوجة الجديدة أو المنزل الجديد ، فيكون هذا الجديد مبعث تفاؤل أو تشاؤم بحسب ما يرافقه من أحداث سعيدة أو تعيسة ، ترى هل ربطت أمني مقدمي إلى العائلة بالنحس الذي طرأ عليها .. لست أدري .. فما أحب أن أظلم أمني " ^{١٥} .

وتسترجع بمرارة حكاية ضياع تاريخ ميلادها في تلافيف ذاكرة والديها ، وتناولها لهذا الأمر يتصل بالكشف عن مدى التقصير الذي أحيط بوجودها ، ويبين تأثير ذلك على نفسها ، فتاريخ الميلاد هو أبسط الحقوق التي تتصل بوجود الإنسان : " تاريخ ميلادي ضاع في ضباب السنين ، كما ضاع في ذاكرتيهما ، وأسأل أمني ، لكن يا أمني على الأقل في أي فصل ؟ وفي أي عام ؟ وتجيّب ضاحكة : كنت يومها أظهي عكوب ، هذه شهادة ميلادك التي أحملها ، لقد أنسيت الشهر والسنة " ^{١٦} .

وتبدو المفارقة غريبة عندما تلح طوقان على أمها في استذكار تاريخ ميلادها ، حيث تربط الأم ميلادها بوفاة ابن عمها، فتضطر طوقان إلى استخراج شهادة الميلاد من شاهدة قبر ابن عمها ^{١٧} .

ولم يقف الأمر عند تاريخ الولادة لدى فدوى طوقان ، بل تعدى ذلك إلى ذكريات مرحلة الطفولة التي طوتها الأيام وتلاشت في ذاكرة والديها ، دون أن تترك أثراً يستحق أن يذكر ، فقد كانت تطلب من أمها أن تحكي لها شيئاً عن

طفولتها لكن أمها لم تذكرها بشيء ، وهذا جعلها تشعر بأنها لا شيء في عيني والديها، تقول: "أحس بلاشيئتي ، إنني لا شيء وليس لي مكان في ذاكرتها"^{١٨}.

ثانيا: البيت والجو العائلي :

قدمت فدوى طوقان البيت في صورة سلبية ، فوصفته بالقبر الذي يسحق طفولتها وشبابها عبر تمييزه في التعامل مع الجنسين، وقد أشارت إلى البيت كما يشير المرء إلى بيت لا يخصه ، واستشهدت بالكلمة الشعبية التي تتداولها الألسن " الحريم " للدلالة على مجتمع الإناث ، كما استعارت كلمة (موؤدة) للتعبير عن الظلم الذي يقع على المرأة من قوله تعالى (وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت)^{١٩} ، تقول : " في هذا البيت وبين جدرانها العالية التي تحجب كل العالم الخارجي عن جماعة " الحريم " الموؤدة فيه انسحقت طفولتي وصباي وجزء غير قليل من شبابي "^{٢٠}.

ويظهر البيت والأهل سجنا ، يجرم طوقان الحرية : "كان الإحساس بالحرية والانطلاق بعيدا عن جو البيت الأثري المختنق بالخطوات وبالأمور والنواهي التي لا أول لها ولا آخر"^{٢١}.

وفي موطن آخر ، تقول : " أهلي هم سجني الذي أريد أن أفلت من أبوابه المغلقة "^{٢٢}.

وتعبر طوقان من موقع الطفولة المقهورة عن الحال النفسية التي كانت تعيشها عبر رسم صور أدبية تجسد حلمها بالتحول إلى عصفور طليق ينتصر على الواقع والانطلاق في الفضاء ؛ لكسر قيود البيت والتحرر من الخوف والحرمان " كما تابعت ببصري العصفير وهي تنطلق من عب الأشجار في صحن الدار وتمضي إلى ما وراء الجدران سارحة في الفضاء الفسيح ، حرة من الخوف والحرمان ، كنت أنظر إليها بجزن وأشتهي وأحلم بامتلاك جناحين طليقين ، لكن صفعات الواقع كانت تهوي علي ، وتردني مستلبة الأحلام ، ضائعة الأمنيات "^{٢٣}.

ونجد أن طوقان تتحدث عن نفسها في تلك المرحلة وذلك السجن بضمير الغائب ؛ وكأنها تريد أن تعبر عن انفصالها عن ذلك الماضي الذي لم يورثها سوى الألم والحسرة ، وتريد أن تقول : إن الأمر لا يتعلق بما وحدها ، وفي المقابل تعرض بمجتمع الرجال حين ترى فيهم (أربابا) : " حق التعبير عن النفس محظور عليها ، الضحك والغناء من المحرمات ، ويمكن اختلاسها بعد أن يغادر الرجال (الأرباب) إلى أعمالهم ، الاستقلال الشخصي مفهوم غائب لا حضور له إطلاقا في حياتها "^{٢٤}.

وتلقت طوقان النظر إلى التربية الذكورية التي تقوم على التسلط ، وهي تربية تسلبها حق الرفض والتعبير عن الرأي : "أما الجو العائلي فيسيطر عليه الرجل كما في كل بيت وعلى المرأة أن تنسى وجود لفظة (لا) في اللغة إلا حين شهادة (لا إله إلا الله) في وضوئها وصلاتها ، أما نعم فهي اللفظة الببغاوية التي تلقنها منذ الرضاع ، لتصبح فيما بعد كلمة صمغية ملتصقة على شفتيها مدى حياتها كله " .

وهي بذلك تتناص مع قول الفرزدق في مدح زين العابدين بن الحسين :

ما قال لا قطّ إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعم^{٢٥}

لكن طوقان في تناصها حوّرت المعنى بما ينسجم مع رؤيتها في وصف حياة الكبت التي تعيشها كثير من النساء في مجتمعها .

وتصف طوقان أسلوب تواصل والدها معها ، وهي ترى في هذا الأسلوب استخفافا واستهانة بها ، تقول : "كان أحيانا إذا أراد أن يبلغني أمرا يستعمل صيغة الغائب ولو كنت حاضرة بين عينيه ، كان يقول لأمي قولي للبننت تفعل كذا وكذا " ^{٢٦} .

وتقف طوقان عند بعض المفارقات والتناقضات الغربية في الحياة الاجتماعية والتربوية، إذ تنتقد تلك الثقافة التي تفصل بين الدين والقومية والوطنية كمفاهيم ومنهج حياة ، حيث تقول : "يشوب المناخ العائلي التناقض " يلتقي التعصب الديني واللاتعصب ، وحيث يلتقي الشعور الوطني والقومي بتقليد ثقافي حرص أبي وعمي على ترسيخه في العائلة وذلك بإيفاد الأبناء إلى المدارس الأجنبية لتحصيل العلم والتزود بالثقافة الغربية " ^{٢٧} .

وتصف العقبات التي يضعها أهلها في طريق محاولاتها الخروج على القيود الاجتماعية عبر سعيها إلى تحقيق ذاتها من خلال الشعر والوعي بالذات لتحقيق الاستقلال والتحرر من القيود الاجتماعية التي تحرمها من الشعور بالحياة، تقول : "كنت في نظرهم النعمة النشاز في البيت والنعجة التي خرجت على راعي القطيع ، من هذا المنطلق ، ومن البداية ظلوا يتعاملون معي ، ولكي يخنقوا تطلعاتي إلى تحقيق الذات، كانوا يعملون بمختلف الطرق على زرع بذور عدم الثقة بنفسي والشك بإمكاناتي " ^{٢٨} .

وترى طوقان أن العزلة التي فرضها أهلها عليها في طفولتها كانت سببا في عدم قدرتها على التعايش مع المجتمع ، حيث بات ينقصها الخبرة والمعرفة في التعامل مع الآخرين ، و أحست بالفجوة معهم ، وهذا ما جعلها تشعر بالخيبة : " حين خرجت إلى الحياة كنت عزلاء من سلاح الخبرة ومعرفة الناس ... المشاعر والأفكار المعزولة عن أفكار الناس والواقع .. الحس الاجتماعي العاجز عن النمو الحقيقي بسبب كساحة الزمن، كل هذا فوجئ بالناس والحياة المتحركة وراء عالم الحريم المعزول ووجدتني أقف حائرة مبليلة : الحياة الاجتماعية ومعطياتها في طرف وأنا في طرف آخر وكان ذلك باعثا على الدهشة والخيبة والتأمل " ^{٢٩} .

وظلت ذاكرة طوقان تحفظ بعض مظاهر الظلم الاجتماعي التي تعانيتها الفتاة ، وما زالت تترك ندوبا في نفسها ، حيث دفعت ثمن قبولها زهرة من صبي ؛ فمنعت من الذهاب إلى المدرسة ، وحرمت من حقها في الالتحاق بها: " كان التواصل الوحيد الذي جرى لي مع الغلام هو زهرة فل ركض إلي بها ذات يوم صبي صغير في حارة (العقبة) وأنا في طريقني إلى بيت خالتي ثم حلت اللعنة التي تضع اللعنة لكل الأشياء الجميلة ، كان هناك من يراقب المتابعة فوشى بالأمر لأخي يوسف ، ودخل يوسف علي كزوبعة هائجة : قولي الصدق ، وقلت الصدق لأنجو من اللغة الوحيدة التي كان يخاطب بها الآخرين ، العنف والضرب بقبضتين حديديتين .. أصدر حكمه القاضي بالإقامة الجبرية في البيت حتى يوم مماتي كما هددني بالقتل إذا أنا تخطيت عتبة المنزل ، وخرج من الدار لتأديب الغلام " ^{٣٠} .

قبعت داخل الحدود الجغرافية التي حددها لي يوسف ذاهلة مبخوعة لا أصدق ما حدث " ص ٥٥

ثالثا: المجتمع النابلسي :

إذا كان تناولها للبيت والأهل وصفا غير مباشر للمجتمع الكبير الذي عاشت فيه ، فإنها أخذت تتناول المجتمع النابلسي الذي تعيش فيه بصورة مباشرة ، حيث عبرت عن إعجابها ببعض المظاهر التي تعد مثار فخر وتقدير ، كتلاحم الناس وتوحدتهم في لحظات الخطر والمآزق ، تقول : " فحين تقع المدينة في مآزق أو خطر يأتيها من الخارج ، يقوم هناك " حب جماعي " بين النابلسيين يربط الناس بعضهم البعض الآخر ، وهذا نزوع طبيعي لدى الجماعة الواحدة في كل زمان ومكان ، فالخوف والمخاطر التي يحسها الناس من العدوان الخارجي تثير في نفوس الأفراد مشاعر مشتركة نحو العدو المشترك " ٣١ .

وتناولت كثير من المواقف والقوانين التي يحددها المجتمع بشيء من التعريض والاستهجان ، فالمجتمع النابلسي يتقن التهكم اللاذع ، ولا يتقبل فكرة المعرفة الفردية ؛ لأنه يرى فيها مخالفة وخروج عن المجموع ، تقول : للنابلسيين قوانينهم الاجتماعية الخاصة ، لكي يرضى عنك الناس يجب عليك المحافظة على تلك القوانين ، وكان أهمها ألا تتخذ بين الجماعة الموقف الذي يظهر أكثر معرفة وإلا فأنت المفرور المدعي البغيض إلى النفوس ، إن الانتقاد التهكمي اللاذع صفة عامة للنابلسيين " ٣٢ .

وتصف أحوال النساء النابلسيات في الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي ، فتري أن الجهل والامية ملمحان في تكوين شخصياتهن ، " كانت الصفة العامة للنساء في ذلك الحين هي أمية العقل ، ولم يكن تحصيل من يعرفن القراءة والكتابة ليتجاوز مرحلة التعليم الأولى " ٣٣ .

وترسم صورة منفرة للواقع الذي يفرضه المجتمع على النساء ، حيث تبدو النساء خاضعات مستسلمات لقوانين المجتمع الظالمة ويظهرن أشبه بطيور داجنة ، يقتصر دورها الأكل والتفقيس والتفريخ ، والطبخ والتنقل بين المواقد والحطب ، تقول : " كانت الدار أشبه بحظيرة كبيرة تملؤها الطيور الداجنة ، يلقي إليها العلف فتزدرده دون نقاش ، راضية قانعة به ، وكان ذلك غاية الغايات ونهاية النهايات ، كانت رسالة تلك الطيور الداجنة تقتصر على تفقيس الفراخ الصغيرة ، واستنفاد أيام العمر بين حلال الطبخ النحاسية الكبيرة ، وبين حطب المواقد الدائم الاشتعال شتاء وصيفا " ٣٤ .

وتستخدم طوقان " القمقم الحرمي " للتعبير عن الواقع الذي تزرع فيه المرأة لقيود المجتمع ، إذ تبدو النساء ضحايا لا يملكن أمرهن ، حيث يتعجل فيه المجتمع شيخوخة النساء ، ويفرض عليهن حياة التبتل والتكشف ، ويقضين حياتهن خلف الجدران حبيسات التعصب والتزمت ، يحرمن من أبسط الحقوق الإنسانية كإقامة علاقات الصداقة وامتلاك حياة خاصة ، واختيار شريك الحياة : " كان الواقع المعاش في ذلك " القمقم الحرمي " مذلا مهينا ، حيث تعيش الإناث وجودها الهزيل القاتم ، كنت ألتفت حولي فلا أرى إلا ضحايا بلا شخصية ، بلا كيان مستقل ، يقبعن في بيت يتعجل فيه شيخوخة أخواته وبنات عمه ، ... لم أعرفهن إلا في ثياب التبتل والتكشف ، ... لبس لهن صديقات ،

ليس لمن حياة خاصة ، كان تزويج البنت من رجل غريب يتعارض وتقاليد العائلة ، فإما ابن العم شقيق الأب أو البقاء على العذرة حتى القبر " ٣٥ .

وتؤمن طوقان برؤية مفادها أن تحرر المرأة الاجتماعي هو المدخل للتحرر السياسي ، وهي ترى أن خطورة القيود التي يفرضها المجتمع على المرأة لا تقل عن خطورة المحتل ، حيث تستغرب من إلحاح أبيها عليها بطلبه أن تكتب قصائد في السياسة ، وقد نشأت حبيسة الجدران ، تقول : " كان أي يأتي إلي طالبا مني كتابة الشعر السياسي ... فكلما برزت مناسبة وطنية أو سياسية أقبل علي يسألني الكتابة في الموضوع ، وكان صوت في داخلي يرتفع بالاحتجاج الصامت ، كيف وبأي حق أو منطق يطلب مني والدي نظم الشعر السياسي وأنا حبيسة الجدران ، لا أحضر مجالس الرجال ولا أسمع النقاشات الجادة ولا أشارك في معمة الحياة ، حتى وطني لم أكن قد تعرفت على وجهه بعد " ٣٦ .

وتصف طوقان تعصب المجتمع النابلسي للتقاليد البالية وعدم تقبله لتحويلات الاجتماعية التي جرت في الخمسينات من القرن الماضي ، وترى أن التعليم لم يسهم في تقبل الجديد ، تقول : " ظلت نابلس بلد التعصب والتقاليد العتيقة ، لا تتم التحولات الاجتماعية فيها بسهولة ويسر ، فالقوالب والقواعد المتصلبة تبقى هي المتحكمة ، رغم كثرة المتعلمين من أبنائها ، ومن الغريب أن أهلها الذين وصفوا بالدينامكية وكثرة الحركة تظل ترفض الجديد الذي يمس تقاليدنا " ٣٧ .

وتعرض بالتقاليد التي يفرضها المجتمع النابلسي على المرأة عبر تناولها للقدس ، ففي رحلتها إلى القدس أخذت تعقد مقارنة بين حياة الحرمان التي تعيشها في نابلس وبين حياة الحرية والانطلاق التي تنعم بها المرأة في القدس " كان المجتمع المحيط بي مجتمعا متحررا ، تتمتع فيه المرأة الحديثة بشخصية لم تضعفها صرامة الرجل وفضاظته ، يبدو ذلك واضحا في لباسها وحديثها ، وسلوكها في مجتمع رفع الحجاب الحاجز بين الجنسين ، وأتاح للمرأة قسطا أكبر من التعليم " ٣٨ .

وتشكل رحلة طوقان إلى إنجلترا منعظا هاما في حياتها ، وفي وقوفها على رحلتها تصف المجتمع الإنجليزي ، فالباحث في سردها الحكائي الذي يتصل بذلك يجد أنها تتحدث عن المجتمع الإنجليزي في ضوء المقارنة بالمجتمع الذي عاشت فيه ، فلمر في إنجلترا في سلام مع نفسه ، وإنجلترا تمدده بالشعور بالحرية ٣٩ ، وفي إنجلترا تعوض طوقان النقص بالشعور الإنساني ، وتفتن بكثير من العادات المجتمع الإنجليزي كالصوت الخفيض في الحوارات والهدوء الذي يحيم على حياة الناس ، تقول : " لا تنحصر عندي قيمة السفر بالاستمتاع بالتحرر والاستقلال ، إن الشعور بالنقص الإنساني هو الدافع الذي يدفعني إلى السفر ، ... كان أكثر ما أحبته ذلك الطابع الإنجليزي المتجسد في الصوت الخفيض في أثناء الحديث وفي الصوت المخيم في الأماكن العامة في الحافلات وفي صفوف الانتظار ، لا ريب في أن البيت هو المدرسة الحضارية العظمى من ناحية تأثيره على الإنسان المتمدن ... " ٤٠ .

الخاتمة :

وهكذا ، يمكن القول : إن عكوف فدوى طوقان على كتابة السيرة الذاتية هو تجسيد حي للمواجهة الاجتماعية وتأکید لهويتها التي تمثل هوية المرأة ، من هنا ، يأتي النظر لسيرتها بوصفها سيرة جمعية ، حاولت عبرها أن ترسم صورة

المجتمع الذي عاشت فيه بلغة ذات اتجاه نقدي ، فقد قدمت نفسها في صورة المرأة الضحية التي عاشت في مجتمع تقليدي محافظ ، وتناولت أبرز مظاهر الظلم والمعاناة الذي يلحق بالمرأة في المجتمع الذكوري ، وسواء أعلنت أم لم تعلن فقد اتخذت في سيرتها اتجاهها ثوريا وتحريضا تدعو فيه المرأة إلى التمرد على القوانين الظالمة التي يسنها المجتمع ، واعتمدت في نقدها على مفارقة الصورة حين عقدت مقارنة المجتمع الإنجليزي الذي بدأ مجتمعا إنسانيا في منحها الشعور بإنسانيتها ، والمجتمع العربي الذي بدأ يسلب شعوبه الشعور بالإنسانية عبر العادات والسلوكيات التي تقيد حريته . كل ذلك يجعل من سيرة طوقان صرخة مكتوبة تجسد صوت المرأة العربية بعامة والمرأة الفلسطينية بخاصة ، ويحمل دعوة إلى وجوب التغيير في النمط القديم الذي ساد في معاملة المرأة ، وهي تتبنى اللواء الذي حمله كثير من الناشطين والمفكرين والأدباء أمثال هدى شعراوي ، وأحمد فارس الشدياق وقاسم أمين .

النتائج والتوصيات :

- يخرج الباحث في دراسته إلى مجموعة من النتائج والتوصيات يمكن حصرها بالآتية :
١. يمكن دراسة السير الذاتية عبر البحث في الأبعاد الاجتماعية التي تشكل فضاء اجتماعيا للمبدعين .
 ٢. الذاتية في السير الذاتية ليست مطلقة ، إنما تأتي ذات ارتباطات جمعية تتصل بالبيئة التي يعيش فيها المبدعون .
 ٣. تعد سيرة فدوى طوقان واحدة من السير التي اتخذت النقد الاجتماعي اتجاهها أدبيا .
 ٤. إن عكوف فدوى طوقان على كتابة السيرة الذاتية هو تجسيد حي للمواجهة الاجتماعية وتأكيد لهويتها التي تمثل هوية المرأة
 ٥. وتؤمن طوقان برؤية مفادها أن تحرر المرأة الاجتماعي هو المدخل للتحرر السياسي .

الهوامش

١. بركات ، وائل ، السيد ، غسان : مقدمة في المناهج النقدية للتحليل الأدبي ، دمشق ، مطبعة لانا ، ١٩٩٥ ، ص ١٣
٢. بو علي : عبدالرحمن: البنى الأدبية وبنية الواقع والظاهرة الروائية، مجلة الوحدة، محور الجمالية والجمالية العربية، المغرب، الرباط ، ١٩٨٦ م ، ص ٩٦-٩٥ .
٣. ورنوك ، ميري: استكشاف الذات: اليوميات والسير الذاتية، ترجمة فلاح رحيم، مجلة آفاق عربية، العدد الثالث، بغداد، آذار، ١٩٩٣ م ، ص ٩٤ .
٤. الغدامي ، عبدالله : المرأة واللغة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ٢٠٠٦ م ، ص ٢٠٨
٥. الشابي ، أبو القاسم : الديوان، قدمه وشرحه أحمد حسن بسبح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٤ ، ٢٠٠٥ م ، ص ٧٠
٦. طوقان ، فدوى: رحلة جبلية رحلة صعبة، منشورات دار الأسوار ، عكا ، ١٩٨٥ ، ص ١١
٧. طوقان : رحلة جبلية رحلة صعبة : ص ٧ .
٨. نفسه : ص ٩
٩. نفسه : ص ٥٥

- ١٠ العجلوني ، نايف : السيرة الذاتية لعدوى طوقان :الشخصي السياسي الأدبي ، مؤتمة للبحوث والدراسات . العلوم الإنسانية والاجتماعية . الأردن ، مج ١٠، ٤٤، ص ٩٢
١١. طوقان : رحلة جبلية رحلة صعبة، ص ٥٤
- ١٢ نفسه : ص ٦
- ١٣ القرآن الكريم : سورة الكهف ، الآية ٤٦
١٤. طوقان: رحلة جبلية رحلة صعبة ، ص ١٣
- ١٥ طوقان :رحلة جبلية رحلة صعبة: ص ٢٠
١٦. نفسه، ص ١٣
- ١٧ نفسه : ص ١٥
١٨. طوقان :رحلة جبلية رحلة صعبة ،ص ٢١
- ١٩ القرآن الكريم :سورة التكوير ، آية ٩٨
- ٢٠ طوقان :رحلة جبلية رحلة صعبة ، ص ٤٠
- ٢١ نفسه : ص ٤٥
٢٢. نفسه : ص ٥٨ .
٢٣. طوقان :رحلة جبلية رحلة صعبة ،ص ١٣٠ .
- ٢٤ نفسه : ص ٤٠ .
- ٢٥ الفرزدق :ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ م ، ص ٥١٢
- ٢٦ طوقان : رحلة جبلية رحلة صعبة، ص ٥٧ .
٢٧. نفسه : ص ٤١ .
٢٨. نفسه : ص ٩٨ .
- ٢٩ طوقان :رحلة جبلية رحلة صعبة ،ص ١٥٨ .
- ٣٠ نفسه : ص ٥٥ .
٣١. طوقان : رحلة جبلية رحلة صعبة ، ص ١٠٧
٣٢. نفسه :ص ١١٤ .
- ٣٣ نفسه : ص ١١٥ .
- ٣٤ طوقان :رحلة جبلية رحلة صعبة، ص ١٣٣ .
- ٣٥ نفسه : ص ١٢٩ . ١٣٠ .
٣٦. طوقان :رحلة جبلية رحلة صعبة ،ص ١٣١ .
٣٧. نفسه : ص ١٣٨ .
- ٣٨ طوقان :رحلة جبلية رحلة صعبة: ص ١٢٢ .
٣٩. نفسه:ص ١٧٤
٤٠. نفسه : ص ١٩٣ .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم

- بركات ، وائل ، السيد ، غسان : مقدمة في المناهج النقدية لتحليل الأدبي، دمشق ، مطبعة لانا ، ١٩٩٥ .
- الشابي ، أبو القاسم : الديوان، قدمه وشرحه أحمد حسن بسبح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٤ ، ٢٠٠٥م .
- طوقان ، فدوى: رحلة جبلية رحلة صعبة ، منشورات دار الأسوار ، عكا ، ١٩٨٥ .
- العجلوني ، نايف : السيرة الذاتية لفدوى طوقان :الشخصي السياسي الأدبي ، مؤتة للبحوث والدراسات . العلوم الإنسانية والاجتماعية .الأردن ، مج ١٠ .
- بو علي : عبدالرحمن : البنى الأدبية وبنية الواقع والظاهرة الروائية ، مجلة الوحدة ،محور الجمالية والجمالية العربية ، المغرب ، الرباط ، ١٩٨٦ م .
- الغدامي، عبدالله: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٦ م .
- الفرزدق :ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
- ورنوك ، ميري : استكشاف الذات : اليوميات والسير الذاتية ، ترجمة فلاح رحيم ، مجلة آفاق عربية ، العدد الثالث ، بغداد ، آذار ، ١٩٩٣ م .

توظيف إيران للدين في توجهاتها السياسية تجاه العراق ١٩٧٩-١٩٨٩

الباحثة: أسماء جواد كاظم حداد

أ.د. فرقد عباس قاسم

جامعة البصرة- كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

يسلط هذا البحث الضوء على دراسة دور الدين في الحرب التي وقعت بين العراق وإيران لمدة ثمانية سنوات، ألا وهي الحرب العراقية- الإيرانية التي بدأت في عام ١٩٧٩، وانتهت في عام ١٩٨٨، فضلاً عن ذلك سلط البحث الضوء على نشاط الدعاية من جانب البلدين أبان تلك الحرب، وكيف استعملا الدين كوسيلة من أجل استمرار الحرب. وركز البحث على دراسة العلاقات بين البلدين حتى وفاة المرشد الأعلى لإيراني آية الله الخميني في عام ١٩٨٩. الكلمات المفتاحية: الحرب العراقية- الإيرانية، الخميني، الدين، صدام حسين.

Iran's employment of religion in its political orientations towards Iraq

1979-1989

Researcher: Asmaa Jawad Kazem Haddad

Prof. Dr. Farqad Abbas Qassem

Abstract:

This research sheds light on the study of the role of religion in the war that took place between Iraq and Iran for eight years, namely the Iraqi-Iranian war that began in 1979 and ended in 1988. In addition, the research sheds light on the propaganda activity on the part of the two countries during that period. war, and how they used religion as a means for the continuation of the war. The research focused on studying the relations between the two countries until the death of Iran's Supreme Leader Ayat Khomeini in 1989.

keywords: The Iraqi-Iranian war, Khomeini, religion, Saddam Hussein.

المقدمة:

أدى قيام الجمهورية الإسلامية في إيران إلى إجراء العديد من التغيرات في السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول العالم، إذ تحسنت علاقاتها مع بعضها، وساءت واضطربت مع البعض الآخر، وأبرز تلك الدول هي جمهورية العراق، الدولة الجارة والأقرب إليها.

وعلى هذا الأساس اخترنا الخوض في كتابة البحث المعنون: "توظيف إيران للدين في توجهاتها السياسية تجاه العراق ١٩٧٩-١٩٨٩" لإعطاء صورة واضحة للقارئ عن أهمية دور الدين في السياسة الخارجية بين إيران والعراق أبان تلك المدة.

حدد بداية البحث بعام ١٩٧٩، كونه العام الذي حدث فيه انقلاب في الحكم داخل إيران، إذ قضى على الحكم البهلوي تحت زعامة شاه إيران محمد رضا البهلوي، وبدأ فيه الحكم الجمهوري الإسلامي بقيادة رجل الدين الإيراني آية الله الخميني، وكيف بدأت علاقاته تسوء مع العراق، إذ بدأت فيه الحرب العراقية-الإيرانية، في حين انتهى البحث بعام ١٩٨٩، لكونه العام الذي توفي فيه الخميني، وانتهى حكمه.

اعتمد البحث على مجموعة متنوعة من المصادر ذات ترجمات مختلفة، منها الوثائق لا سيما ووثائق وزارة الخارجية الأمريكية والمعروفة اختصاراً بـ F.R.U.S وكذلك ووثائق المعروفة بصحيفة الإمام، التي أفادت البحث كثيراً بمعلومات مهمة جداً، وفضلاً عن المصادر العربية والمعربة والفارسية.

عد العراق من بين الدول الأكثر أهمية لدى السياسة الخارجية الإيرانية، نظراً لما يملكه من موقع استراتيجي مهم^(١)، وموارد اقتصادية متنوعة وكثيرة^(٢). ونظرت إيران للعراق كونه جزءاً مهماً لنفوذها الثقافي في المنطقة، وجاءت نظرتها تلك على وفق رؤاها الأيديولوجية، فضلاً عن ذلك كانت إيران تنظر للعراق وعلى مر التاريخ منافساً إقليمياً واستراتيجياً لها، لما يؤديه من دور مؤثر يمس بأمنها القومي^(٣).

ولا ننسى الأماكن الشيعية المقدسة المتمركزة في العراق^(٤)، لا سيما النجف الأشرف التي تعد مركزاً ثقافياً ودينيّاً وموطناً لمراجع الشيعة، إذ تنطلق منها سلطتهم الروحية، ليس لشيعة العراق فقط، وإنما إلى الشيعة في جميع أنحاء العالم، نشأت تلك السلطة من رحم الحوزة العلمية ونظامها الدراسي الديني. وتميزت الحوزة بعدم خضوعها لسيطرة الحكومة أو دعمها لأي سلطة حاكمة، بمعنى استقلالية المؤسسات الدينية الشيعية ومرجعيتها في النجف الأشرف كما هو الحال في قم المقدسة^(٥).

وكان الغرب ينظر، لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، إلى العراق بكونه يقوم بدوره "الرائع والفعال نسبياً" في المنطقة آنذاك، ولكن في ضوء المستجدات التي حصلت في إيران، وضحت وزارة الخارجية الأمريكية في برقية أرسلتها إلى قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة في بغداد بتاريخ الرابع والعشرين من آذار عام ١٩٧٩، أكدت فيها "أن العراق هو البلد الأكثر عرضة للتأثر بالأحداث التي جرت في إيران، لا سيما في ظل وجود عدد كبير من الأكراد

والشيعة فيه"، إذ أن العراق نشط دبلوماسياً خلال تلك المدة، في محاولة منه لتحسين مكانته في العالم العربي، فضلاً عن سعيه المتواصل من أجل فرض هيمنته الإقليمية في المنطقة^(٦). ويظهر أن التغييرات التي طرأت داخل إيران والمتمثلة بسقوط الشاه، وتغيير نظام الحكم فيها، شكلت دافعاً ليتبنى العراق سياسة خارجية فعالة لإحكام سيطرته على المنطقة العربية حينذاك.

وهكذا استغلت الحكومة العراقية خبر قيام الجمهورية الإسلامية في إيران لتحقيق مبتغاها، وأرسل أحمد حسن البكر^(٧)، رئيس جمهورية العراق في العاشر من نيسان عام ١٩٧٩ رسالة تهنئة لآية الله الخميني^(٨)، أعرب من خلالها عن رغبته في إقامة علاقات جيدة بين الدولتين الجارتين^(٩).

لكن الأمور لم تسر كما أرادت الحكومة العراقية. فقد تأثرت الحركات الإسلامية الشيعية داخل العراق بنجاح الثورة الإيرانية، وأرادت السير على خطى إيران. لذا بدأت الأحداث تنذر بوقوع اضطرابات بين البلدين. لمنع ذلك، أتبع أحمد حسن البكر في مطلع شهر حزيران ١٩٧٩، إجراءات مشددة ضد الحوزة الدينية التي كانت تتمتع بنوع من الاستقلالية كما أشرنا، حفاظاً على سلطته كي لا يحصل في العراق مثلما حدث في إيران، ويسقط نظام حكمه. فعلى أثر ذلك، تصاعدت حدة الإجراءات من جانب الحكومة العراقية ضد أي حركات إسلامية، ومنها: فرض الإقامة الجبرية على أحد أهم المراجع الدينية الشيعية البارزة في العراق المتمثلة بآية الله محمد باقر الصدر^(١٠). ووجهت الحكومة العراقية اتهاماً واضحاً لإيران بتقديمها الدعم للحركات الشيعية في العراق وإسنادها، ولكن لم تسكت الحكومة الإيرانية الجديدة عن ذلك الاتهام، بل ردت معترضة على كل "الإجراءات القمعية"، بحق الحوزة العلمية في النجف الأشرف، والإقامة الجبرية للصدر^(١١).

وفي ضوء ذلك، أرسل الخميني رسالة لآية الله محمد باقر الصدر في الرابع عشر من حزيران ١٩٧٩، معرباً فيها عن "أسفه" لما قامت به الحكومة العراقية تجاهه بقوله: "لم نتصور أن تقوم الحكومة العراقية بهذا التصرف بحقكم، وأنتم شخصية علمية إسلامية معروفة". وفي الوقت نفسه قدم الخميني نصيحة للنظام العراقي بضرورة المحافظة على هذه الشخصية، لأنها "صمام الأمان" في العراق^(١٢)، إلا أن محاصرة الصدر وصلت إلى حد عدم السماح للأطباء برؤيته لغرض العلاج^(١٣).

وعلى أثرها، تزايد قلق الحكومة العراقية التي أخذت تشعر بعدم الأمان تجاه إيران، بل وأيقنت أنها ستبقى على ذلك الحال حتى تُشكل إيران حكومة يمكن لبغداد أن تبني معها "علاقة مرضية غير تصادمية"، ولكن ليس مع هذه الحكومة القائمة آنذاك. وقد خشي النظام الحاكم في العراق من الحركة الإسلامية في إيران ذات الأغلبية الشيعية سيطرتها المطلقة على نظام الحكم الإيراني، لا سيما وأنه على معرفة وإدراك كامل لطبيعة الخميني شخصياً، إذ أمضى أربعة عشر عاماً في المنفى في النجف الأشرف كما ذكرنا سابقاً، بحيث كان يرى نفسه زعيماً دينياً يجب أن يمتد تأثيره إلى ما وراء حدود إيران هذا من جانب. ومن جانب آخر كان هناك مصدر قلق آخر لدى الحكومة العراقية ألا وهو أن غياب سيطرة الحكومة المركزية في طهران وعدم استقرارها، سيسمح من جهته بتدفق الأسلحة من إيران إلى أكراد العراق، وهذا

الأمر ما لا تريده الحكومة العراقية، إذ سيتعين عليها الاستمرار في استعمال القوة العسكرية للسيطرة على السخط في المناطق الشيعية والكرديّة التي بدأ عليها التأثير بالفعل لما شهدته إيران. كل تلك الأمور ستدفع الحكومة العراقية على المدى القريب للتوجه لإقامة علاقات غير تصادمية وودية مع العديد من الدول العربية الأخرى التي لم تحبذ قيام حكومة إسلامية في إيران. وفضلاً عن ذلك، قررت الحكومة العراقية دعمها لتطوير المنظمات الحزبية في الدول العربية الأخرى، من أجل نشر العقيدة الاشتراكية البعثية في جميع أنحاء المنطقة^(١٤).

لكن على الرغم من ذلك، شهد العراق تطوراً سياسياً مهماً، تمثل بتنازل أحمد حسن البكر عن السلطة، وتسلم صدام حسين^(١٥)، رئاسة الجمهورية العراقية، في السادس عشر من تموز ١٩٧٩^(١٦). فبتسلمه السلطة أمر الرئيس الجديد بإجراء حملة تطهير واسعة بدأت من الجهاز التنفيذي في السلطة، وشملت حتى المؤسسات الحكومية والدينية في عموم العراق كافة، وأثر تلك الحملة استهداف عدداً كبيراً من الشيعة والسنة أيضاً، إذ قام بتصفيتهم، معتقداً أنهم يشكلون خطراً على نظامه الجديد^(١٧).

بعد يوم من تسلم صدام حسين السلطة في العراق، ألقى خطاباً أشار فيه إلى رغبته بإقامة علاقات قوية مع النظام الإسلامي الجديد في إيران، لكن بشرط وهو أن تكون هذه العلاقات مبنية على أساس عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكلا الطرفين^(١٨).

لقد نظر الرئيس العراقي صدام حسين لإيران بكونها مصدر تهديد محتمل له، بتدخلها بدعم الحركات الشيعية. فكما هو معروف أن النظام الجديد في إيران أكد في سياسته الخارجية على دور الدين وأهميته في المحيط الداخلي، وانعكاساته على علاقات الجمهورية الإسلامية الإيرانية الخارجية، من خلال تصدير الثورة عبر الحدود الإيرانية^(١٩)، كل تلك الانعكاسات ستؤثر -حسب وجهة نظر صدام حسين- بالسلب على الوضع الداخلي في العراق، ومن ثم حدوث انتفاضات من جانب الشيعة والأكراد معاً ضده، لذا عمل بنفسه على إعادة تنظيم القيادة المسلحة ليضمن الولاء له، ويبعد التهديدات الإيرانية عنه^(٢٠).

على الرغم مما قام به رئيس الحكومة العراقية صدام حسين من أعمال، لكن ذلك لم يمنع الجمهورية الإسلامية الإيرانية من السعي إلى تحقيق هدفها الأساس، وهو تصدير الثورة الإسلامية، إذ طلبت إذاعة طهران في منتصف عام ١٩٧٩، داعية من خلال بثها، مقاومة السلطة الحاكمة في العراق، الأمر الذي أثار موجة من التظاهرات في مدن عدة بالعراق. فقد رفعت صوراً للخميني، وصوراً أخرى لزعماء الدين الشيعة الآخرين، لا سيما المتمركزين منهم في العراق خلال تلك المظاهرات، الأمر الذي أثار حفيظة الحكومة العراقية، وحاولت تهدئة الأوضاع ومسك زمام الأمور^(٢١)، لذا أسرع لتؤكد رغبتها في تحقيق تعاون مشترك ضمن مبدأ حسن الجوار^(٢٢)، وتنفيذاً لاتفاقية الجزائر المبرمة عام (١٩٧٥)، التي أضحت ذا أهمية كبيرة لكلا الجانبين^(٢٣).

ومن جانبه، أخذ الشباب العراقي الثائر يبحث عن رمز ديني على غرار الخميني في إيران، وفعلاً وجد الشعب ضالته في آية الله محمد باقر الصدر الذي كان تحت الإقامة الجبرية في عهد الرئيس أحمد حسن البكر، وهو مؤسس حزب

الدعوة الإسلامية^(٢٤)، ذلك الحزب الداعي للإطاحة بنظام الحكم في العراق، وإقامة حكومة إسلامية فيها تقوم على مبدأ ولاية الفقيه التي كان يراها الصدر ذي أهمية فائقة، فضلاً عن ذلك، حث الصدر أتباعه على طاعة الخميني، وأعلن دعمه للثورة الإسلامية الإيرانية وتصديرها^(٢٥).

بناءً على ذلك، كثفت الحكومة العراقية ضغطها من أجل القضاء على أي حركة إسلامية شيعية تبرز للوجود. وفي ضوء تلك الأحداث، طلب الرئيس الأمريكي جيمي كارتر من الاستخبارات المركزية الأمريكية إجراء دراسة حول طبيعة المنطقة، ومدى تأثيرها بإيران عقب انتصار الثورة فيها، وبالفعل أجريت تلك الدراسة، وأوضحت أن العراق هو الأقرب تأثيراً بإيران ذو الغالبية الشيعية من السكان، وأن من الممكن أن يشهد اندلاع ثورة إسلامية شيعية على غرار ثورة إيران فيها، ومن ثم سيكون لها مردود سلبي على المصالح الأمريكية في المنطقة^(٢٦).

إنّ تصدير الثورة الإسلامية الذي عد أحد الركائز الأساسية للإيديولوجية الثورية الإيرانية كما ذكرنا سابقاً، وفي الواقع هو هدف الخميني، الرئيس للسياسة الخارجية الإيرانية، بحيث أكد أن على بلاده واجب خاص لنشر رسالتها في جميع أنحاء العالم الإسلامي "المضطهد" -على حد تعبيره- عقب الخطاب التي كان يلقيها، وفي سياق تنفيذ هذه المسؤولية، سعت إيران إلى تحقيق هدفين: أولاً، تعبئة الحماسة الثورية للمسلمين في كل مكان للإطاحة بحكوماتهم، وإقامة جمهوريات إسلامية على غرار جمهورية إيران. ثانياً، تعمل إيران على استعادة وحدة المجتمع الإسلامي - الأمة - لتمكين الإسلام من تأدية دوره الأسمى في التاريخ. ومع ذلك، فإن الفحص الدقيق لحسابات السياسة الإيرانية منذ صعود الخميني إلى السلطة تكشف عن صورة أكثر تعقيداً. فعلى الرغم من تأكيده الواضح على أولوية وحدة المسلمين في الحفاظ على الدولة القومية الإيرانية، لكن عمل "العلماء" الإيرانيون مراراً وتكراراً لحماية السلامة الإقليمية والسياسية لإيران على أساس نظام الحكم آنذاك^(٢٧).

إنّ ما أهتم أبناء الشعب العراقي، لا سيما الشيعة منهم، وتوجههم نحو إقامة حكومة إسلامية على غرار إيران هو ما أكده الخميني في سياسة بلاده الخارجية، مشيراً لنصرة حقوق الضعفاء من الطبقة السائدة المضطهدة؛ وتفادي الفساد وحكم الأقلية؛ والحفاظ على النظام الإسلامي، وجعل الأفراد يسلكون الطريق الإسلامي؛ ومنع إقرار القوانين المناهضة للإسلام من البرلمانات الصورية؛ وتحطيم نفوذ وسيطرة القوى الأجنبية في بلاد الإسلام. علاوة عن ذلك، أكد الخميني على أنه من واجب جميع المسلمين الحقيقيين ليس فقط الصلاة، ولكن أيضاً العمل للدفاع عن الإسلام من الفساد الداخلي والتهديدات الخارجية، وذلك لاتباع طريق النبي محمد (ﷺ) الذي قاد المسلمين دينياً وسياسياً^(٢٨).

وفي سياق ذلك، ركز الخميني على نصرة الشعب العراقي وحماية الضعفاء هناك، وأكد على ضرورة تعاون الشعب مع الجيش ليتمكنوا سوياً من التحرر من السلطة الحاكمة، كما فعل الجيش الإيراني. فمن الواجب عليهما التخلص من الحزب والأشخاص غير الإسلاميين، المتمركزين في السلطة، ليتمكنوا من إقامة حكومة إسلامية، لكون العراق بلد الإسلام والقرآن^(٢٩).

وفي ضوء تلك المستجدات الخطيرة، لم تتردد الحكومة العراقية من تضيقها للخناق بشكل علني على كل من يدعي الانتماء للحركات الشيعية والمؤيدة لإيران، بل وأصدرت في الحادي والثلاثين من آذار من عام ١٩٨٠ قراراً يقضي بتحريم الانتماء لحزب الدعوة الإسلامية، والحكم بالإعدام لكل من ينتمي أو يتعاون مع ذلك الحزب^(٣٠)، لا سيما بعد محاولة الاغتيال التي تعرض لها طارق عزيز^(٣١)، نائب رئيس الوزراء العراقي^(٣٢)، عند زيارته للجامعة المستنصرية في الأول من نيسان من عام ١٩٨٠، تلك الحادثة التي أدت إلى رد فعل عنيف من السلطة الحاكمة، فقد أصدرت أمراً باعتقال آية الله محمد باقر الصدر، وأخته العلوية بنت الهدى في الخامس من الشهر نفسه، التي كانت عالمة إسلامية مؤثرة، وأصدر بحقهما حكم الإعدام، وبالفعل نفذ الحكم بعد مرور أربعة أيام، ووجه الاتهام بهذه الحادثة لإيران^(٣٣).

شهدت تلك الحادثة ردود فعل عنيفة من جانب الشيعة في العراق وإيران، ففي العراق اجتاحت البلاد موجة من التظاهرات احتجاجاً على الإعدام، الأمر الذي قوبل بحملة اعتقالات كبيرة من جانب الحكومة العراقية، أما في إيران فقد أعلنت وزارة الخارجية الإيرانية بيان صادر عن الخميني، بعد هذه الحادثة، استنكر فيه ذلك الإعدام لشخصية الصدر المؤثرة مع أخته بنت الهدى^(٣٤). وأعلن الحداد لمدة ثلاث أيام تكريماً لهما^(٣٥). فضلاً عن ذلك، أصدر آية الله بهشتي رئيس المحكمة الإيرانية العليا، تصريحاً استنكر فيه هذا الإجراء من جانب الحكومة العراقية وأشار قائلاً: "أن صدام حسين يدعي أن العراق يتمتع بالديمقراطية والحرية، ولكن ما نراه غير صحيح، فلم يكن السيد محمد باقر الصدر يستطيع التعبير عن رأيه جراء الإجراءات القمعية المتبعة من النظام الحاكم في العراق"^(٣٦).

استمرت الحكومة العراقية بإجراءاتها التعسفية لتثير الحكومة الإسلامية في إيران، وشدت على المجتمع العراقي طائفيًا. وبدءاً من نيسان عام ١٩٨٠، أمرت الحكومة العراقية باعتقال آلاف الشيعة الذين يعيشون في جنوب العراق، لا سيما أولئك الذين يحملون الجنسية الإيرانية، أو الذين لم يتمكنوا من تقديم دليل على امتلاكهم للجنسية العراقية، إذ هجروا ونُقلوا إلى الحدود ومنها إلى إيران^(٣٧).

لذا، انتقد الخميني النظام الحاكم في العراق، وأدان رئيسه صدام حسين "لقمعه الغالبية الشيعية"^(٣٨)، مؤكداً على دعمه للمسلمين المستضعفين والحركات الإسلامية في الدول الإسلامية كافة^(٣٩). وفي السادس عشر من نيسان عام ١٩٨٠ وجه الخميني رسالة واضحة للشعب العراقي أشار فيها إلى "أننا حزمنا أمرنا على إسقاط النظام الحاكم في العراق"، وجاء تأكيد هذه الرسالة على لسان وزير الخارجية الإيراني صادق قطب زاده^(٤٠)، مشيراً إلى ذلك بقوله: "قررنا إسقاط نظام البعث في العراق". فقد ركز النظام الجديد في إيران على ذلك؛ لأن سقوطه سيكون مفتاح لسقوط الأنظمة الخليجية، بحيث عد العراق "مفتاح الصد"^(٤١). وفي السياق ذاته، صرح الوزير صادق قطب زاده مرةً أخرى أمام جمع من الصحفيين في السادس عشر من نيسان عام ١٩٨٠

إن الحكومة الإيرانية تراقب وبشدة الأوضاع في العراق^(٤٢)، وأعاد ما صرحه به خلال مؤتمر صحفي آخر عقد في بيروت بتاريخ الثامن والعشرين من الشهر نفسه دعوته للشعب العراقي للتخلص من النظام الحاكم لديه^(٤٣). واستمرت التوترات

بين البلدين لتشهد اشتباكات حدودية في الثاني من حزيران من العام نفسه^(٤٤)، لتتجدد مرةً أخرى مطلع شهر تموز من العام نفسه^(٤٥).

وتصعيداً لما سبق، أعلن الخميني في حديث له في التاسع من آب عام ١٩٨٠ "أن تصدير الثورة الإسلامية هو تصدير للمعنويات التي وجدت في إيران، نعني بما تصدير القيم التي جاءت بها الثورة، ولا نريد شهر سيفاً أو بندقية تحمل على الآخرين. فمنذ مدة والعراق يهاجمنا، إلا إننا لم نرد عليه، أنهم يهاجمونا ونحن ندافع عن أنفسنا؛ لأن الدفاع واجب، أننا نتطلع إلى تصدير ثورتنا الثقافية الإسلامية إلى بلدان العالم الإسلامي، وأينما حلت قيم هذه الثورة فلن تكون هناك معضلة"^(٤٦).

جاء رد الرئيس العراقي صدام حسين على تلك التصريحات من خلال قيامه "بلاعتداءات" على الأراضي الإيرانية في التاسع من أيلول عام ١٩٨٠، فضلاً عن ذلك، حاول استغلال الضعف الذي ظهر في حكومة بني الصدر الإيرانية آنذاك، معتقداً إمكانية سقوط تلك الحكومة، ومن ثم يكمل مسعاه في توسيع علاقاته في المنطقة العربية بدون أي منافس يقف في طريقه^(٤٧)، لكن برز دور الدين كأداة فاعلة في السياسة الإيرانية حتى وأن كان هناك ضعف في داخل الحكومة الإيرانية، الأمر الذي حتم على الحكومة العراقية أن توظف الدين للغاية ذاتها ضد إيران، من خلال إثارة النزاعات العرقية بين سكانها، ووجهت الحكومة الإيرانية اتهامها للنظام الحاكم في العراق بإثارة "الفتنة" و"الكفر"، بسبب خضوعه للأيديولوجية العلمانية^(٤٨)، في حين لم تهتم الحكومة العراقية لذلك الاتهام، وإنما ركزت على توظيف الدين داخل العراق من خلال استغلال وجود العتبات المقدسة الشيعية فيها كما ذكرنا، مما يعني تأثره المباشر في نفوس الغالبية العظمى من الشيعة في العراق^(٤٩). ويظهر أن النظام العراقي اعرج على الجانب الديني، لحشيته من تشكيل حركة شيعية إسلامية على غرار إيران، ستصبح عندها مصدر تهديد خطير على الحكومة العراقية^(٥٠).

يبدو أن تصرفات الحكومة العراقية المتمثلة برئيسها صدام حسين أرادت القضاء على أي حركة يمكن أن تقوم ضدها هذا من جانب، ومن جانب آخر نرى أن صدام حسين وجد في تصدير الثورة الإيرانية حجر عثر في طريق طموحاته المتمثلة في توسيع سلطته وهيمنته الإقليمية آنذاك، لذا سعى للقضاء على كل من يقف في طريقه، ونجد كلاهما استعمل الأيديولوجية الدينية بطريقته الخاصة من أجل تحقيق مآربه.

نتيجةً لكل ما تقدم، أصبحت الأجواء مشحونة، وتندرز بكارثة بين البلدين، وبالفعل أعلن العراق الحرب على إيران بتاريخ الثاني والعشرين من أيلول عام ١٩٨٠^(٥١)، بحجة درء الخطر الإيراني، ورغبته الخميني بتصدير ثورته للمنطقة، إذ عدت الحكومة العراقية أن من أبرز أولوياتها السياسية على الصعيد الإقليمي هو التصدي للنظام الجديد في إيران، والقضاء على توجهاته الهدافة إلى تحقيق مبدأ تصدير الثورة إلى المنطقة الإقليمية وفي طليعتها العراق^(٥٢). وهكذا شن الجيش العراقي هجوماً واسع النطاق على إيران بذلك التاريخ^(٥٣).

رفع الخميني خلال الحرب، ومن أجل رفع الروح المعنوية لدى اتباعه، شعار "الحرب حتى النصر"، مع تأكيده على تأسيس حكومة إسلامية عالمية^(٥٤)، وأوضح أن "كربلاء ليست إلا الخطوة الأولى في طريق الوصول إلى القدس"، إذ عدت إيران حربها مع العراق هي حرب عقائدية أيديولوجية^(٥٥). فقد أعطى الطابع الأيديولوجي الديني للسياسة الخارجية الإيرانية قدرة كبيرة في مواجهة كل ما يعترضها، كونها فرصة مهمة لبروزها على الساحة الإقليمية، والأخذ بزمام الأمور فيها لتخفيف ما تصبو إليه من ترويج لمبادئها الثورية في المنطقة العربية، على الرغم من إدراكها مدى استياء جميع حكام المنطقة العربية من ذلك المبدأ، لخشيته من وقوع أحداث وثورات مماثلة لديها^(٥٦).

إنّ محاولة الخميني في إلهام إحياء الوحدة الإسلامية من ناحية، ودعم الجماعات الشيعية في العراق من ناحية أخرى، جعلت من إيران "محرزاً استفزازياً للشريعة" في البلدان الإسلامية الأخرى، الأمر الذي أدى إلى زيادة مخاوف وشكوك الدول السنية، بل عزز هذا الوضع بشكل كبير قدرة الرئيس العراقي صدام حسين على استعمال الدين كأداة حرب، في محاولة منه للحصول على الأراضي الإيرانية والهيمنة الإقليمية^(٥٧).

ومن أجل إحياء تلك الوحدة، استعملت السياسة الخارجية الإيرانية خلال عام ١٩٨٠ وسائل الإعلام المؤثرة، لكونها الأكثر فاعلية، والأسرع في التأثير. فقد استعمل الخميني مصطلح "الكافر" في العديد من خطبه خلال الحرب، إذ وصف الرئيس العراقي صدام بـ "الكافر" و"خادم" القوى العظمى. فضلاً عن ذلك، أطلقت العديد من الرسائل الإذاعية مطلع الحرب خطابات للخميني، وجهت للجيش والشعب العراقي معاً، مطالباً من القوات المسلحة العراقية أن تنتفض ضد صدام، ولا تخاف من «حزب الكفر»، أي الحزب الحاكم، وهو حزب البعث العراقي^(٥٨)، ومن جهته، انتقد الخميني من وصفوا الحرب العراقية الإيرانية بـ "حرب المسلمين ضد المسلمين"، مشيراً بقوله: "هؤلاء المنحرفون الذين اتهموا إيران بمحاربة المسلمين [يجب أن يعلموا] أننا لا نعد حزب البعث حزباً مسلماً فقط، لكننا نراه حزباً مناهضاً للإسلام؛ لأن صدام وحزبه يمثلون الكفر، وعلى الشعب العراقي التخلص منهم، وإيجاد زعيم إسلامي من بينهم ليحكم العراق بالشريعة الإسلامية"، مؤكداً دعم إيران لهم من أجل تحقيق هذه الغاية^(٥٩).

وفي تشرين الأول من العام نفسه، وجه الخميني نداءً للشعب العراقي، مذكراً إياهم فيه بكل أنواع "الظلم والقمع" الذي مارسه نظامهم ضدهم، وضد المراجع الدينية، و"الأسى" الذي تعرضت له الحوزة العلمية في النجف الأشرف، فضلاً عما لاقاه السيد الصدر، وأخته بنت الهدى، من "تعذيب وحشي"، أنهى بإعدامهما، مضيفاً إلى ذلك، حركة التهجير الجماعي الواسعة التي قادها النظام العراقي بحق أبناء الشعب العراقي، لذا فعلى الشعب الدفاع عن الإسلام، وحفظ القرآن وإحكامه؛ لأن الدفاع ضد هذا النظام "واجب" على كل مسلم ومسلمة، مع التركيز على دور العلماء الإعلام، والمشايخ، وخطباء أهل السنة "العظام". والمفكرين والمثقفين المسلمين في العراق، لضرورة إيقاظ الشعب من "غفلته" للنهوض والدفاع عن الإسلام^(٦٠).

يتضح أن استعمال الخميني لمصطلح "الكفر" في خطابات كانت منتقياً بدقة، نظراً لما يحمله هذا المصطلح من تأثير كبير لدى الشعب العراقي، كون الغالبية العظمى من المسلمين هم من الشيعة. فمن الطبيعي أن يكون لهذا المفهوم أثراً واضحاً في زعزعة الجهة الداخلية؛ وذلك لعدم رغبتها بالقتال إلى "جانب الكفر"، ومن ثم تهيئة الأجواء لأحداث اضطرابات داخلية في العراق.

امتازت إيران بامتلاكها منظومة إعلامية كبيرة، وهي الأولى في المنطقة، تحت قيادة الولي الفقيه، وإشراف الخميني، وبثت بلغات عدة، وفي محطات تلفازية محلية، ووطنية خارجية ودولية، كان هدفها الأساس هو نشر مبادئ الثورة الإسلامية لخارج حدود إيران، على أثرها، عدت إيران المركز الثقافي العالمي للشيعة، لعمق تأثيرها في الحركات والأحداث التي تشهدها المنطقة وفي مقدمتها العراق^(٦١).

ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل استمرت الحكومة الإيرانية بتوسيع دائرة المصطلحات المستعملة لعدد من العقائد والرموز والخطابات الدينية، لما له من أثر واضح في تعبئة الروح المعنوية. ونظراً لأن جمهورية إيران الإسلامية صورت نفسها على أنها دولة إسلامية محلياً وخارجياً، لذا كان عليها إضفاء الشرعية على استعمالها للقوة على وفق الفقه الإسلامي. لذا اعتمدت على القرآن والأحاديث والفقه للتطبيق، وبناء العقائد الدينية والرمزية في أثناء الحرب، من خلال تأكيدها على "الجهاد في سبيل الله" و"الإيمان ضد الكفر". فضلاً عن ذلك، استعمل القادة الدينيون في الجمهورية الإسلامية صور كربلاء^(٦٢)، واضعين الحرب في سياق النضال الأكبر للعدالة ضد القمع، من أجل تعبئة الجماهير، ورفعت شعارات ولافئات تنص على أن "كل يوم هو عاشوراء، كل أرض كربلاء" استخدمها النظام استراتيجياً لإثارة المشاعر الدينية، للمشاركة في الحرب^(٦٣).

كانت طريقة الحرب مختلفة جداً من جانب إيران، بحيث استخدمت لهجمات ضد الجيش العراقي الموجات البشرية التي أدت إلى خسائر كبيرة في الأرواح تحت مصطلح "الجهاد الجماعي". وغالباً ما استعملت القوات الإيرانية متطوعين غير مسلحين، ضد المواقع العراقية المحصنة، لا سيما في المراحل الأولى من المعركة من أجل إضعاف المقاومة العراقية، لقد تضمنت هجمات الموجات البشرية الركض فوق الألغام الأرضية، لتمهيد الطريق للدبابات والمدافع الإيرانية. ولكن من المثير للتساؤل هو إن استخدام هجمات الموجات البشرية في الحروب الإسلامية كان تحت مسمى "الانتحار"، ومن المعروف أن الشريعة الإسلامية تمنع ذلك بشدة. ولكن بررت الحكومة الإيرانية هجمات الموجة الانتحارية بكونها استشهادية. مستشهدة فعلتها تلك بموقف الإمام الحسين (عليه السلام)، وشهادته في كربلاء المقدسة. فضلاً عن ذلك اتبعت القيادة الإيرانية وسيلة أخرى في الحرب وهو استعمال الصور الدينية المشابهة لحادثة كربلاء، وهدفها في ذلك هو تصعيد السلوك الفدائي للجنود الإيرانيين. وبالمثل، فإنهم رفعوا صورة مشابهة للإمام المهدي المنتظر "عج"، على حياة جندي يقاتل في الخنادق مع الجنود الإيرانيين هي مثال آخر للإلهام بالاستشهاد. أخيراً، تم إعطاء بعض الجنود ميداليات على شكل "مفتاح الجنة"، ارتدوه حول أعناقهم قبل شن هجمات الموجة البشرية^(٦٤).

على كل حال، قادت إيران خلال الحرب، تسعة وثمانين من أصل خمسة وتسعين عملية عسكرية حملت اسماً إسلامياً. وكان لكل وحدة عسكرية تقريباً يشترك في قيادتها ضابط عسكري ورجل دين. وهكذا، تم تذكير القوات باستمرار، من خلال الصور اللفظية، بضرورة التضحية في "حرب مقدسة". وعلى طول المواجهة، كانت هناك لوحات إعلانية كبيرة تحوي على آيات وعقائد إسلامية. فضلاً عن ذلك، تم تزيين أزياء الجنود وعرباتهم بشعارات دينية مختلفة. وتم استعمال هذه الأشكال من الصور الدينية لتعزيز الروح المعنوية للقوات البرية. وعلى طول الجبهة الداخلية، تم استعمال الصور الدينية من خلال وسائل مثل التلفزيون والمذياع وخطب الجمعة والندوات والمصنوعات، لتذكير الناس بضرورة تضحياتهم، مع تعزيز الروح المعنوية للسكان المدنيين من أجل التحاقهم بالجيش^(٦٥).

خلال الحرب أعلن الخميني أن قواته "تقاتل من أجل قضية إلهية"، وذكر أن الحرس الثوري، والجيش النظامي في إيران كانا "مجهزان بقوة إلهية"، وسلاحهما سيكون الدعاء الإسلامي "الله أكبر"، وأكد لقواته "لا يوجد سلاح أكثر حدة على الأرض" منه. وحث الخميني الجنود العراقيين على "العودة إلى الإسلام قبل فوات الأوان"، وعدم "اتباع كافر ومرتد". وشجع العراقيين على "التمرد" ضد قادة البعث بقوله: "اتبعوا نبي الله وليس صدام. افصلوا أنفسكم عن هؤلاء الرجال... تعالوا إلى إيران. أنا أرحب بكم هنا هذا البلد المسلم سيحميكم. وسنرحب بكم هنا ومستعدون لخدمتكم... يجب أن ينهض الشعب العراقي. انتفضوا على صدام. سنتنصر كما انتصرنا بالتوكل على الله. دعونا نمسك أيدينا لسحق هذا الرجل وحزبه. دعونا نتخلص من شر هؤلاء الرجال... فليؤسس كل منا حكومة إسلامية... لتكن لإيران حكومتها الخاصة وللعراق حكومته الخاصة بها ولكن تحت راية الإسلام"^(٦٦)، فضلاً عن ذلك، ذكر الخميني أن هذه الحرب هي "حرب الدفاع من أجل حفظ الإسلام والدولة الإسلامية"، موضحاً أن صدام حسين هو الذي بدأ بالهجوم، فعلى أثرها اتخذت الحكومة الإيرانية حالة الدفاع ضده^(٦٧).

مرت الحرب العراقية - الإيرانية بأربعة مراحل، تمثلت المرحلة الأولى منذ انطلاقها بالتقدم والتفوق العسكري للقوات العراقية^(٦٨). وعلى الرغم من ضعف الجانب الإيراني، لكنه لم ييأس، إذ قاد سلسلة من العمليات العسكرية حملت مسميات دينية، لها أثر كبير في الاندفاع والحماس في صفوف الجيش والحرس الثوري الإيراني، فقد أطلق تسمية عمليات "الأمم الثامن علي بن موسى الرضا (عليه السلام)"، في ذكرى وفاته في الثلاثين من صفر المصادف في السابع والعشرين من أيلول عام ١٩٨١، التي كسرت حصار عبادان^(٦٩)، وهي مدينة استراتيجية في محافظة خوزستان الإيرانية، من أجل استعادة الأراضي الإيرانية. فكان التخطيط واضح لهذه العمليات من حيث اختيار الاسم والتوقيت، إذ نجح الخميني في مزج الفكر العسكري بالديني، مما عزز الثقة بالنفس لدى قواته، لا سيما وأن الإمام الرضا (عليه السلام) لديه مكانة كبيرة في نفوس الإيرانيين الشيعة. فاختيار التاريخ لهذه العمليات المتزامن بوفاة الإمام مزج بين الحزن عليه، ورغبتهم في "القضاء على كل طاغية"، لا سيما وهو قتل مغدوراً بدم السم إليه من الخليفة العباسي المأمون^(٧٠).

بعدها، أطلقت عمليات "طريق القدس" بتاريخ التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٨١^(٧١)، حملت رمز "الحسين أنت القائد"، جاءت تلك العمليات لأجل استكمال استرداد بقية الأراضي في محافظة خوزستان، تزامنت مع ذكرى مقتل آية الله حسن مدرس^(٧٢)، وهو أحد كبار علماء الثورة الدينية، الذي كان لديه مكانة مميزة وشعبية مطلقة ومقلدون كثير، لذا نجد أن اختيار المسمى يرمز إلى آية الله مدرس يمثل قائد الثورة الدينية قد مات، وكان من المطالبين بمحاربة "إسرائيل"، لأجل تحرير القدس. فضلاً عن ذلك، شن الجانب الإيراني عمليات أخرى حملت اسم "مطلع الفجر"، وذلك في الحادي عشر من كانون الأول من العام نفسه، برمز "يا مهدي أدركني الله أكبر"، التي تزامنت مع وفاة السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام"، وهي بنت رسول الله محمد (ﷺ)، وذلك في الثالث عشر من جمادى الأولى، نجد أن الربط بهذه العمليات بين مطلع الفجر، وظهور الإمام الغائب المهدي المنتظر "عج"، جاء بمعنى الربط بين اسم العمليات ورمزها، إذ نجحت القوات الإيرانية على أثرها من استرداد بعض الأماكن في خوزستان^(٧٣). بيد أن جمهورية إيران الإسلامية نجحت في تحرير واسترداد تلك الأماكن على وفق تلك الخطط، على الرغم من معاناتها من النقص الحاد في مخزون قطع الغيار الخاصة بالأسلحة العسكرية^(٧٤).

في المرحلة الثانية من الحرب، تفوقت القوات الإيرانية بشكل ملحوظ على الجيش العراقي. فقد بدأت تلك المرحلة في عام ١٩٨٢، لذا عدل نظام البعث العراقي من سياسته وتوجهاته نحو شعبه، لخشيته من انعكاس ذلك التقدم على وضع بلاده الداخلي، بهدف التقليل من تأثير إيران على شيعة العراق، وفي ضوء ذلك كنف رئيس الحكومة العراقية صدام حسين زيارته للأماكن الشيعية، لا سيما النجف الأشرف وكربلاء المقدسة، لما لهما من أهمية في نفوس شيعة العراق والعالم ككل، بهدف جذب تعاطف تلك الشريحة لجانبه في الحرب، ومن ثم بدأت الحكومة العراقية في قيامها بعمليات تجديد لمباني تلك المدن، وحاول تصوير الحرب على إنها صراع تاريخي بين العرب والفرس، وليس على أنها صراع طائفي بين الشيعة والسنة، في الوقت الذي شكلت فيه المعتقدات الدينية دوراً مركزياً في التعبئة الشعبية، ورفع الروح المعنوية والعسكرية لدى الجانب الإيراني^(٧٥).

أطلقت عمليات عسكرية أخرى في العشرين من شباط عام ١٩٨٢، عرفت باسم عمليات "يا أمير المؤمنين"، حملت رمزاً مهماً لدى نفوس الشيعة، وهو "يا علي أدركني"، تزامنت هذه العمليات مع ذكرى وفاة الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)، وهو الإمام السابع لدى الشيعة الاثني عشرية، المصادف في الخامس والعشرين في شهر رجب. فكان لذلك المسمى أثراً في إحراز تقدم لدى القوات الإيرانية في مرتفعات رملي على بعد عشرة كيلومترات شمال غرب مدينة البستان، ونجحت في استرداد مدينة خرمشهر الاستراتيجية المهمة لها التي تنطلق عبرها إلى مياه الخليج العربي. فضلاً عن ذلك أطلقت عملية أخرى تزامنت مع ذكرى بعثة الرسول (ﷺ) في السابع والعشرين من شهر رجب^(٧٦)، بتاريخ الثاني والعشرين من أيار عام ١٩٨٢، حملت اسماً مميزاً تمكنت من خلاله من تحقيق أهدافها تحت مسمى عمليات "بيت

المقدس" (٧٧)، إذ تمكنت القوات الإيرانية من استعادة مدينة خرمشهر بالكامل (٧٨). وعلى أثر هذا النصر هنيئ الخميني في الرابع والعشرين من الشهر نفسه، قواته المسلحة، لرفع روحهم المعنوية (٧٩).

ومن جهتها، استمرت العمليات الإيرانية ضد القوات العراقية، إذ أطلقت عملية "رمضان" للمدة الثالث عشر-الثلاثين من تموز عام ١٩٨٢ (٨٠)، في محاولة للسيطرة على البصرة، التي حملت رمز "حضرة إمام الزمان". وقد تزامن توقيت هذه العمليات مع وقفة عرفات، ونجحت القوات الإيرانية في استرداد بعض الأراضي من القوات العراقية (٨١). فضلاً عن تلك العمليات، قادت إيران عملية "مسلم بن عقيل"، وكان الهدف من تلك العملية هو الاستيلاء على مدينة مندلي (٨٢)، منذ الأول من تشرين الأول من العام نفسه. فكان اسم العملية يدل على أهميتها لعمق أثر الشخصية الدينية التي سميت العملية باسمه، وهو سفير الإمام الحسين (عليه السلام)، وابن عمه الذي قتل في الكوفة (٨٣). وشتت القوات الإيرانية في اليوم نفسه عمليات أطلق عليها اسم "عمليات محرم"، ويرمز مهم "يا زينب سلام الله عليها"، وجاءت هذه العمليات متزامنة مع ذكرى نفي الخميني من إيران إلى العراق، فضلاً عن العلاقة الواضحة في التسمية والرمز لشهر محرم من أهمية لدى الشيعة، وما حملته السيدة زينب بنت الإمام علي "X" التي كانت حاضرة في كربلاء لحظة استشهاد أخويها الحسين وأبي الفضل العباس في العاشر من محرم. فكان لهذه العمليات أثر كبير في مشاعر الشيعة، وهدفوا في عملياتهم تلك الوصول لكربلاء المقدسة (٨٤).

في أواخر عام ١٩٨٢ شهد العراق اضطراب داخلي، نتيجة لتشكيل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية (٨٥)، في العراق (٨٦)، تحت قيادة السيد محمد باقر الحكيم (٨٧)، وشكل ذلك المجلس بدعم من جمهورية إيران الإسلامية وإسنادها، وعد بمثابة الجهاز المسؤول عن كفاح الشيعة المضطهدين من حزب البعث الذي اتبع أبشع الطرق للنبيل منه، لكن سعى المجلس لإنشاء قوة عسكرية، لتنفيذ مخططاتها (٨٨)، فضلاً عن قراره بالاشتراك في الحرب إلى جانب القوات الإيرانية (٨٩).

كل تلك التطورات حتمت على رئيس الحكومة العراقية صدام حسين أن يلتجأ إلى أساليب جديدة تكون ذات تأثير أكبر على الشيعة من أبناء الشعب العراقي، لذا قام بزيادة الأموال المخصصة للأماكن المقدسة، لا سيما في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة، لمنحها الكثير من الاهتمام، ولكنه في الوقت نفسه هاجم المجموعات الشيعية سراً، الأمر الذي أسفر عن نفيهم، علاوة على ذلك، أعلن عن منح حوافز تشجيعية مالية لكل عراقي يطلق زوجته، إذا كانت ذات جنسية إيرانية، وأمر أيضاً بوضع جميع المزارات الشيعية بأنواعها مع رجال الدين تحت تحكم الحكومة العراقية بشكل مباشر، مع جعل علماء الشيعة موظفين برواتب محدودة من الدولة، ظناً منه بالسيطرة والتحكم فيهم، ومن ثم منع إشراكهم بأي تنظيمات مناوئة للدولة (٩٠).

على الرغم من تلك "الإجراءات التعسفية" من جانب الحكومة العراقية، إلا أن ذلك الوضع لم يثن عن عزيمته الجانب الإيراني، بل على العكس من ذلك فقد قام الحرس الثوري باللجوء إلى طرق مختلفة للنصر في الحرب. فعندما يتم أسر جندي عراقي يتم إخضاعه للتدريب العسكري الإيراني، ومن ثم ينضم إليهم، بعد إعلانه التوبة والبراءة من القوات

العراقية^(٩١). فقد كان للحرس الثوري دورٌ مميزٌ في التدريب الأيديولوجي والعسكري "لحركات التحرير" التابعة للطوائف الشيعية. فهو كما ذكرنا سابقاً أبرز أداة في السياسة الخارجية الإيرانية، بل الأقوى في تصديرها للثورة الإسلامية، وهدفهم الأساس هو "الجهاد الدائم لتحقيق المبادئ الإلهية"، وتوسيع نطاق حكم النظام الإلهي من خلال دعم حركات التحرر العالمية^(٩٢).

وفي الوقت نفسه، قامت القوات الإيرانية بعمليات متقطعة، حملت اسم "الفجر"، وارتبطت تلك العمليات بالقرآن الكريم، وبسورة الفجر ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشُّعْرِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ أَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾^(٩٣)، إلى آخر الآية التي يتضح فيها "مصير كل من طغى، وتجرى في التاريخ". أما المفهوم الثاني هو الانتصار الذي حققته الثورة الإسلامية على النظام البهلوي، لذا سميت تلك العمليات بسورة الفجر تيمناً وتبريكاً بها. ولا شك أن تلك المفاهيم كانت ذات أثر كبير لدى الشعب الإيراني، لذا أخذ أول اسم من السورة "والفجر" على العمليات الهجومية للقوات الإيرانية التي أحرزت تقدماً ملحوظاً^(٩٤)، وقد نفذت القوات الإيرانية أربع من تلك العمليات، بدءاً من مطلع شهر شباط ١٩٨٣، وهي عملية "الفجر ١" في محافظة ميسان في جنوب العراق، وعملية أخرى حملت اسم "الفجر ٢" استهدفت منطقة كردستان شمال العراق، في حين وجهت عملية "الفجر ٣" نحو منطقة مهران في وسط العراق، في الوقت الذي عادت فيه إيران هجومها في عملية "الفجر ٤". فكان لذلك المسمى أثر عميق على وفق المعتقدات الإسلامية في طربي الصراع^(٩٥).

ومن أجل تعزيز الروح المعنوية لدى القوات والشعب الإيرانيين، أعلن الخميني في حديث له في الحادي عشر من شباط عام ١٩٨٣ "الهي! أنعم بالقوة على الشعب الإيراني الذي أضحي سبباً في عزة الإسلام في العالم، وإقامة دولة أمّوزجية نأمل في أن يعم نورها مشارق الأرض ومغاربها، وأن تحقق لمستضعفي العالم الراسخين تحت نيران الظلم، النصر على المستكبرين أن شاء الله"^(٩٦).

دخلت الحرب في مرحلتها الثالثة، وشهدت تفوقاً عسكرياً للجانب الإيراني، الذي استطاع استرداد أراضيه الكاملة التي سبق وأن سيطرت عليها القوات العراقية في نهاية شهر آذار ١٩٨٣^(٩٧)، عندها أطلقت القيادة الإيرانية على هذه الحرب "نعمة من الله"، ومن شأنها أن تعزز أسس الثورة الإسلامية، وأشار الحرس الثوري إلى هذه الحرب أنها "عززت الأمة الإيرانية"^(٩٨). وبناءً على هذا التقدم أعلن الخميني في السادس عشر من آب عام ١٩٨٣ مجدداً بقوله: "نحن لم نعلن الحرب على أحد، وإنما ندافع عن بلادنا، ولا يزال جزءاً من بلادنا محتل من صدام حسين، وتتمثل هذه الحرب بالدفاع المقدس"^(٩٩).

شهد عام ١٩٨٤ بعض العمليات الحربية التي استهدفت الاستيلاء على المواقع في شط العرب، لذا بدأت عمليات "خيبر" في الرابع عشر من شباط من العام نفسه، وتزامنت هذه العمليات مع ذكرى ولادة الإمام علي (عليه السلام) في الثالث عشر من رجب، متخذة منه رمزاً مؤثراً، وهو "يا علي بن أبي طالب"، كان لذلك التوقيت والرمز أثر كبير في

نفوس الشيعة، لأن الإمام علي (عليه السلام) فاتح خيبر، ونال ثناء الرسول (ﷺ)، وتمكنت القوات الإيرانية من الاستيلاء على بعض المواقع في شط العرب^(١٠٠).

وفي الثالث عشر من آذار عام ١٩٨٤ انطلقت عمليات "الفتح المبين"، وحملت رمز "يا صاحب الزمان" تلك العملية حملت عبارة قرآنية، تزامنت مع ولادة الأمام الثاني عشر للشيعة، وهو الإمام المهدي "عج". فكانت العلاقة واضحة بين الفكر العقائدي الشيعي والفكر العسكري لأهمية وقوة تأثيره، بحيث جاء مع أمنية الشيعة في عودة الإمام المهدي المنتظر "عج"، وتحقيق الفتح المبين، لما تمتلك ليلة ولادته من أدعية خاصة به، ومؤثرة في النفوس ومتأصلة في العقيدة الشيعية، فضلاً عن رغبة القوات الإيرانية في الوصول إلى البصرة، إلا إنها لم تحقق النصر المطلوب على أثر الفشل الذي وقع خلالها، لذا حاولت القوات الإيرانية قيادة عمليات أخرى من أجل رفع الروح المعنوية، فأطلقت مسمى جديد ومهم أيضاً وهو "عمليات عاشوراء"، التي هي عبارة عن سلسلة عمليات متقطعة قسمت على أربع مراحل، بدأً من "عاشوراء ١" إلى "عاشوراء ٤"، انطلقت في السادس عشر من أيلول عام ١٩٨٥، ويرمز بميز "الإمام الحسين بن علي"، وتزامنت هذه العمليات مع ذكرى ولادة الرسول (ﷺ)، وقد تمكنت تلك العمليات من إحراز النصر^(١٠١).

دخلت الحرب العراقية الإيرانية في المرحلة الرابعة، وشهدت تقدماً واضحاً للجانب الإيراني أيضاً، وأطلق عليها "مرحلة الاستنزاف"، أي استنزاف موارد العراق الدفاعية، بحيث أصبح هناك تقدم عسكري وبشري لصالح إيران، فقد تمكنت الأخيرة من اتباع طرق أثرت بشكل واضح على الشيعة، من خلال تأكيدها على العامل النفسي، مستخدمة بذلك الأسماء الدينية التي اطلقتها على كل عملياتها العسكرية، وكانت لها صفة عقائدية دينية، بل شيعية بحتة^(١٠٢).

امتازت القوات الإيرانية بوجود القوات الشعبية والثورية، التي حاربت بعمق الإيمان، وبتوجيه الخميني وطاعته، مارست الدور الأساس في إبطاء وإيقاف المدفعية العسكرية العراقية في نهاية المطاف، بحيث كانت الروح الثورية والاستشهادية للمقاتلين الإيرانيين أكثر إثارة للخوف بالنسبة للعراقيين؛ بسبب انعدام الروح المعنوية الكافية بين الجنود العراقيين. بينما كانت روح المقاومة الثورية الإيرانية عاملاً مهماً في إبطاء التقدم العراقي ثم إيقافه. لذا نجد استمرار الإيمان بالإسلام والثورة ساعد إيران على مواصلة الحرب في السنوات التي أعقبت انطلاقها، بدوافع دينية وثورية قوية وبوجود الخميني وتأثيره الروحي، و"التفاني الصادق المتبادل من المقاتلين له"، لكونه يمتلك "دوراً محورياً وحاسماً" في استدامة التعبئة للحرب، فضلاً عن أن العلاقة التي تمكن الخميني من إقامتها مع الشعب الإيراني هي علاقة يصعب على وسائل الإعلام الغربية فهمها^(١٠٣).

حين التمعن في النظر لمبادئ الثورة الإيرانية الهادفة لتصدير الثورة الإسلامية من أجل تأسيس حكومة إسلامية، تظهر واضحة جداً من خلال قيامها بسلسلة من الهجمات المتواصلة قسمت على عشرة مراحل بالاسم نفسه له بدءاً من "كربلاء ١" حتى "كربلاء ١٠"، التي انطلقت منذ الرابع من تموز لعام ١٩٨٦، ولعل العلاقة تبدو واضحة بين الفكر المذهبي الشيعي وهذه الهجمات، وهي محاولة لاحتلال بعض المناطق المهمة في العراق ومنها البصرة^(١٠٤). أن تفكيرهم باحتلال البصرة لم يكن عن طريق الصدفة، وإنما بتخطيط عسكري وديني واضح، لكون الغالبية العظمى من سكان

محافظة البصرة - من وجهة نظر الحكومة الإيرانية - هم من الشيعة المضطهدين من النظام العراقي، ومن خلالها يمكن إقامة حكومة موالية لهم، ومن ثم يمكن للعالم أن يعرف أن قضية تصدير الثورة أصبحت أمراً واقعياً وليس مجرد شعارات دينية^(١٠٥).

لم يسكت الجانب العراقي عن تلك التطورات، وإنما رد بالأسلوب نفسه، فقد استعمل تسميات مماثلة لتلك التسميات التي كانت تطلقها القيادة الإيرانية على العمليات العسكرية، فمثلاً أطلقت تسمية "رمضان مبارك" وعملية "توكلنا على الله" وغيرها من التسميات الدينية، من أجل رفع الروح المعنوية لدى القوات العراقية^(١٠٦).

أبان تلك الأحداث، عقد الخميني مؤتمراً صحفياً في طهران للمدة الرابع والعشرين - السابع والعشرين من كانون الأول عام ١٩٨٦ حضره رجال الدين المقيمين في إيران، وبعض الزعماء القوميين من الأكراد، وأظهر رجال الدين فيه تأكيدهم على إقامة حكومة إسلامية قائمة على أساس أيديولوجية دينية وسياسية واستراتيجية تشمل إيران وكل بقاع العالم الإسلامي^(١٠٧).

ولإحكام السيطرة الإيرانية في جبهات القتال، استمرت سلسلة العمليات العسكرية باتجاه البصرة، بتاريخ الثامن من كانون الثاني من عام ١٩٨٧، ذلك العام الذي أطلقت عليه الحكومة الإيرانية بـ "عام الحسم". فيما أطلقت الحكومة العراقية عليه "الحصاد الأكبر"، فضلاً عن ذلك شهدت تلك المدة مراقبة الإدارة الأمريكية للوضع الراهن بين الدولتين الجارتين، وقد فشلت العمليات العسكرية من جانب إيران في تلك المدة، على الرغم من استمرارها بأطلاق الأسماء والرموز الدينية المميزة لدى الشيعة طوال تلك الهجمات^(١٠٨). لكنها لم تستلم، بل أكدت على استمرارها بالحرب حتى سقوط النظام الحاكم في العراق، جاء ذلك التأكيد من خلال تصريح خاص للخميني نشرته جريدة (تشرين-دمشق) في الحادي عشر من شباط عام ١٩٨٧، بقوله: "إن سقوط النظام وتحقيق النصر النهائي لا يعني سوى إقامة النظام الإسلامي في العراق"، وعند التمعن في النظر للتصريح نجد في طياته حقيقة واضحة للعيان، لإطالة الحرب من أجل تحقيق الهدف المعلن بتكوين حكم إسلامي في العراق عقب سقوط نظامه^(١٠٩).

استمرت القوات الإيرانية بشن سلسلة عمليات تحت مسمى عمليات "النصر" على ثمانية مراحل حملت الاسم نفسه، بدأت في الثالث عشر من آذار عام ١٩٨٧، كان شعارها ورمزها المميز "يا صاحب الزمان أدركني"، تزامنت مع ذكرى ولادة الإمام المهدي "عج"، هدفها إنهاء على العمليات العسكرية في الشريط الحدودي الغربي مع العراق التي تكلفت بالنجاح حينها^(١١٠).

من خلال ما تقدم، يتضح أن سلسلة العمليات العسكرية التي خاضها النظام الإيراني خلال الحرب، مع التركيز الواضح على الفكر المذهبي العقائدي، وإيمانه المطلق بصدق ثورته والرغبة في تصديرها، وجعلها عالمية، من خلال المسميات المذهبية لشخصيات شيعية، وأحداث لها أثر كبير في نفوس الشيعة، سواء للشعب أو الجيش الإيراني، وحتى الشعب والجيش العراقي، فهو ذو غالبية شيعية ويتأثر بتلك الرموز والمسميات أيضاً.

لكن نتيجةً لتردي الوضع الاقتصادي في إيران، جراء انخفاض الإيرادات النفطية، بسبب تلك الحرب، التي خلفت آثاراً سلبية على إيران، مما أدى إلى تأزم وضعها اقتصادياً وعسكرياً^(١١١)، فضلاً عن حصول العراق على أسلحة متطورة من الدول العظمى^(١١٢)، لذا أصبح الوضع مقلقاً للجانب الإيراني، ومن ثم قبلت الحكومة الإيرانية القرار الصادر عن مجلس الأمن الدولي في الثامن من آب عام ١٩٨٨^(١١٣)، والمرقم (٥٩٨) والقاضي بإنهاء الحرب العراقية الإيرانية التي أطلق عليها تسمية حرب الخليج الأولى^(١١٤).

في العشرين من آب عام ١٩٨٨ تم وقف إطلاق النار رسمياً بين الجانبين برعاية هيئة الأمم المتحدة^(١١٥). لذا انتهت الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت لمدة ثمان سنوات، راح ضحيتها العديد من القتلى من الجانبين، فضلاً عن استنزاف القدرات المالية، من دون التوصل إلى نتيجة نهائية^(١١٦).

على الرغم من ذلك، أشار الخميني إلى أن قبوله لوقف الحرب، جاء من أجل حماية السلامة الإقليمية لإيران، وللحفاظ على نظام الحكم فيها من جهة، وحفاظاً لمصلحة الإسلام والمسلمين من أجل درء الخطر العراقي، وحقناً للدماء من جهة أخرى^(١١٧)، والحفاظ على مبادئ ثورته الدينية^(١١٨).

بيد إن استعمال المذاهب والرموز الدينية لرفع الروح المعنوية، للمتطوعين في الحرب عد أسلوباً متطوراً استحدثه رجال الدين، لإثارة المشاعر الدينية للناس، وذلك من خلال تسخير الموضوعات الأكثر إثارة للإسلام الشيعي لقضيتهم، لا سيما قضية الإمام الحسين (عليه السلام)، التي أبقّت الدعم الجماهيري والحماس الثوري الديني للشعب الإيراني "على قيد الحياة". وفي الواقع، ذكر الخميني في كثير من الأحيان أن الإيمان كان شرطاً أساسياً للنصر. وهذا يعني أن الروح المعنوية كانت العامل الأساس في تحديد قدرة إيران على الانتصار في الحرب، لأنه بدون درجة عالية من الروح المعنوية، يصبح الإيمان بالنصر مستحيلاً^(١١٩).

على كل حال، برز الأثر الديني بوضوح كأداة وسلاح في الحرب العراقية الإيرانية، بحيث قام كل طرف بخلط الدين والسياسة بشكل استراتيجي، لكسب الولاء الداخلي، والدعم الخارجي. فقد حرص كلاً من صدام حسين والخميني على استعمال الدين لتعبئة أتباعهما، وكان لكل منهما لغته الخاصة في توجيه الخطاب لتحقيق الفائدة الأكثر لهم على الصعيد الداخلي. الأمر الذي أدى إلى تسهيل تشكيل الوحدة داخل بلديهما، والانقسام داخل المنطقة على الصعيد الخارجي. ووفقاً للأهمية الاستراتيجية التي احتلها الدين لطرفي الحرب، وظف كلاهما هذه الاستراتيجية على وفق رؤيته الخاصة، إذ سعى الرئيس العراقي لكبح إحياء إيران الشيعية والخطاب والجهود التوسعية. ومع ذلك، كان قلقاً بشأن الأيديولوجية الثورية الإيرانية من أن تخرق العراق. أما الجانب الإيراني، فقد صاغ الخميني الحرب على أنها حرب للدفاع ليس فقط عن إيران، ولكن عن الإسلام والثورة الإسلامية التي سعى بنشاط لتصديرها إلى دول العالم، لا سيما تلك التي يسكنها الشيعة مثل العراق^(١٢٠).

وفي الوقت نفسه، أعطت الحرب العراقية الإيرانية منظوراً جديداً لدور الدين في الحرب. فبالنسبة للعراق، استخدمت القيادة العقيدة الوطنية لتبرير الحرب. لكن نظر القادة الإيرانيون لقضية الحرب من منظور آخر، فقد تبناوا

استراتيجية مختلفة، إذ استخدموا الرموز الدينية لتحفيز الجنود، وتشجيع الناس على المشاركة في الحرب. واستخدموا الرموز الدينية لتقليل رد الفعل العام العنيف ضد الحرب. وتضمنت الرموز الدينية مفاهيم إسلامية عدة كـ "الإمام"، و"الكفر" و"الشهادة" و"الحق" و"البطل"، مع إبراز شخصيات تاريخية شيعية مثل الإمام علي وهو "أول إمام للشيعية". والإمام الحسين "الإمام الثالث للشيعية"^(١٢١). لم تشهد المدة التي أعقبت إنهاء الحرب بين البلدين حتى عام ١٩٨٩ أي تقدم ملحوظ، في العلاقة بينهما، بل دعم كلاهما أطراف المعارضة ضد الآخر سراً، مع اتجاه الحكومة الإيرانية نحو بناء اقتصادها المتهالك^(١٢٢).

الخاتمة:

نستنتج مما سبق أن الجمهورية الإسلامية في إيران، وتحت قيادة زعيمهم الخميني، أنها ركزت على توظيف الدين في سياستها الخارجية بشدة، لا سيما في الحرب العراقية الإيرانية، بحيث كانت تعزز القوات العسكرية بدعم معنوي ديني، فضلاً عن حثهم في التأزر من أجل تحقيق النصر ضد النظام الحاكم في العراق، مستعملة بذلك صور الشهادة، والإيمان، والجهاد في سبيل الله، من أجل نصره "المضطهدين" من الشيعة في العراق، ويبدو أن الخميني قد نجح بالفعل طوال ثمان سنوات من استعمال تلك الاستراتيجية الدينية، من أجل صمود القوات الإيرانية بوجه المدفعية العراقية. وأتضح أن الحرب العراقية الإيرانية أثرت جداً على العلاقات بين البلدين الجارتين أيضاً، فقد انتهت العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بينهما على أثر تلك الحرب المدمرة. والظاهر أنه لولا تدهور الأحوال الاقتصادية في إيران لما قرر الخميني قبول قرار الأمم المتحدة بإنهاء الحرب. فضلاً عن ذلك، أثرت تلك الحرب على علاقات الجمهورية الإسلامية الإيرانية محلياً وإقليمياً ودولياً مع كل الدول، فبعض الدول أيدت الحرب، والبعض الآخر رفض قيامها واستمرارها، التي على أثرها ساءت أو تحسنت علاقات الجمهورية الإيرانية معها.

الهوامش:

(١) يقع العراق بين مجموعة من الدول، هي الكويت في الجنوب، والسعودية والأردن وسوريا في الغرب، وتركيا شمالاً، وإيران شرقاً. فاضل حسن كطافة الياسري، العراق وموقعه المجاور لإيران (دراسة في الجغرافية السياسية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦، ص ٨.

(٢) مهند عبد العزيز عيسى، سياسة إيران الخارجية في عهد الرئيس علي أكبر هاشمي رفسنجاني (١٩٨٩-١٩٩٧): دراسة تاريخية سياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٥، ص ٣٤.

(٣) هيبه غربي، التنافس الأمريكي الإيراني في العراق منذ سنة ٢٠٠٣، مجلة مدارات إيرانية، العدد ٤، المركز الديمقراطي العربي، برلين، حزيران ٢٠١٩، ص ١١٥-١١٦.

(٤) يأتي في مقدمتها وجود ضريح الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) في مدينة النجف الأشرف، ووجود ضريح الإمام الحسين وأخيه العباس (عليهما السلام) ولدا الإمام علي ابن أبي طالب في مدينة كربلاء المقدسة، ووجود ضريح الأماميين الجوادين الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام)،

والإمام محمد الجواد (عليه السلام) في مدينة الكاظمية المقدسة، ووجود ضريح الإمام علي الهادي (عليه السلام)، وأبنة الحسن العسكري (عليه السلام) في مدينة سامراء المقدسة.

(٥) منوهر محمد، تداعيات الثورة الإسلامية في العالم الإسلامي، ط١، مركز المصطفى (ص) العالمي للترجمة والنشر، قم، ٢٠١٢، ص١٤٧.

(6) F.R.U.S., 1977-1980, Vol. XVIII, Telegram From the Department of State to the United States Interests Section in Baghdad, Washington, March 24, 1979, No. 136, Pp.433-434.

(٧) **أحمد حسن البكر** (١٩١٤-١٩٨٢): سياسي ورجل دولة عسكري عراقي، ولد في تكريت بمحافظة صلاح الدين شمال بغداد، وأنهى دراسته وتخرج فيها عام ١٩٣٢، وعمل معلماً لستة أعوام قبل التحاقه بالكلية العسكرية عام ١٩٣٨، اسهم في إطاحة النظام الملكي بالعراق عام ١٩٥٨، بعد انضمامه لتنظيم الضباط الوطنيين. أصبح رئيساً للوزراء بعد حركة عام ١٩٦٣، ثم أطاح بعبد السلام عارف يوم الثامن عشر من تشرين الثاني من عام ١٩٦٣ بحكومة حزب البعث، بعد انشقاقات وإخفاقات متوالية داخل الحزب، إلا أن البكر عاود من خلال حركة السابع عشر من تموز ١٩٦٨ إسقاط الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف وأصبح هو رئيساً بدلاً عنه، وبقي البكر على رأس السلطة حتى عام ١٩٧٩ قبل أن يعلن حزب البعث الحاكم آنذاك إصابته بمرض باركنسون، أو ما يعرف بالشلل الرعاش، وأنه غير قادر على أداء مهامه رئيساً للدولة، وسط تقارير تحدثت حينها عن أن نائبه = حينذاك صدام حسين قد أجبره على التنحي لاستلام السلطة بدلاً منه، ليبقى البكر بعيداً عن السلطة والسياسة عموماً حتى وفاته يوم الرابع من تشرين الأول ١٩٨٢ عن عمر ناهز ثمانية وستين عامًا، ودفن في مقبرة الكرخ بقضاء أبي غريب التابع للعاصمة بغداد. عماد الشمري، ظلته التاريخ ونسب إنجازاته لغيره.. أحمد حسن البكر رئيس العراق الذي قاد الانقلابات، تقرير نشر بتاريخ ٢٠١٩/١٠/٤، على موقع الجزيرة العربية الإلكتروني: <https://www.aljazeera.net/news/politics/2019/10/4> ؛ موسوعة المعرفة الإلكترونية: <https://www.marefa.org> ؛ <https://www.britannica.com/biography/Ahmad-Hasan-al-Bakr>

(٨) **آية الله الخميني** (١٩٠٢-١٩٨٩) : عالم وزعيم ديني سياسي إيراني، اسمه الحقيقي روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي الخميني، ولد في قرية خمين قرب قم واليهما تُنسب، درس آداب اللغة العربية والنحو والبلاغة والصرف والمنطق، توجه الخميني إلى الحوزة العلمية في مدينة قم عام ١٩٢١، التي أسسها الخائري، وعمل في التدريس عام ١٩٢٨، تنقل من مدرسة إلى أخرى حتى عام ١٩٤٥، عندها عمل في المدرسة الفيضية في مدينة قم، نفي إلى تركيا في عام ١٩٦٤، بقي لمدة عام واحد، ثم انتقل بعد ذلك إلى العراق، ليقيم حينها في مدينة النجف الأشرف بقي فيها حتى عام ١٩٧٨، ثم انتقل إلى فرنسا في العام نفسه، وعقب مغادرة الشاه لإيران في السادس عشر من كانون الثاني ١٩٧٩، عاد إلى طهران في الأول من شباط من العام نفسه، ومن ثم أسس **جمهورية إيران الإسلامية وكان قائد للثورة الإسلامية** في عام ١٩٧٩ التي شهدت الإطاحة بحكم الشاه **محمد رضا بهلوي**، وبعد الثورة، أصبح روح الله الخميني المرشد الأعلى للبلاد في المدة من (١٩٧٩-١٩٨٩)، وهو منصب تم إنشاؤه في **دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية** كأعلى سلطة سياسية ودينية للأمة. توفي الخميني في الرابع من حزيران ١٩٨٩، ودفن جثمانه في (بشت الزهراء) في جنوب طهران. للمزيد ينظر: محمد وصفي أبو مغلي، دليل الشخصيات الإيرانية المعاصرة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، شعبة الدراسات الفارسية، سلسلة إيران والخليج العربي (١٦)، جامعة البصرة، ١٩٨٣، ص ٥٨-٦٠ ؛ محمد يحيى صبحي سكيك، عقيدة الخميني - دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية - غزة، فلسطين، ٢٠١٤، ص ٦-١٩.

(٩) روح الله أمين آبادي، إيران پس از انقلاب إسلامي رخدادهای بحمن ١٣٥٧ تا خرداد ١٣، جلد ١، چاپ أول، خبرگزاری فارس، معاونت پژوهش و آموزش، اداره كل پژوهش؛ تابستان، تهران، ١٣٩٢، ص ٢٤٣.

(١٠) **آية الله محمد باقر الصدر** (١٩٣٥-١٩٨٠): فقيه ومفسر، ومفكر شيعي، وقائد عراقي. ولد في مدينة الكاظمية المقدسة، كان والده العلامة المرحوم السيد حيدر الصدر ذا منزلة عظيمة، وقد حمل لواء التحقيق والتدقيق والفقه والأصول، وكان عابداً زاهداً عالماً عاملاً، ومن علماء الإسلام البارزين. درس الصدر العلوم الدينية عند كبار علماء الحوزة العلمية في النجف من أمثال السيد الخوئي، والشيخ محمد رضا آل ياسين. واستطاع أن يصل إلى مرتبة الاجتهاد في سنين مبكرة، وبدأ بتدريس العلوم الدينية في حوزة النجف. وقد كان مؤلفاً في مجالات مختلفة، فضلاً عن تدريسه للعلوم الإسلامية؛ كالاقتصاد الإسلامي، والفلسفة الإسلامية، وتفسير القرآن، والفقه وأصوله، فضلاً عن كتابه في نظرية المعرفة وهو الأسس المنطقية للاستقراء. لم يكن الصدر غائباً عن الحياة السياسية، فقد أسس حزب الدعوة الإسلامية، وأصدر فتواه الشهيرة بحجة الانتماء = لحزب البعث العربي الاشتراكي، وأنه أول من دعا إلى إسقاط نظام البعث. أعدمه النظام السابق في عام ١٩٨٠ أثناء حكم الرئيس الأسبق صدام حسين بتهمة العمالة والتخابر مع إيران. مؤسسة الصدرين للدراسات الاستراتيجية، السيرة الذاتية للإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر.

<http://alsadrain.com/sader1/index.htm> مكتبة الروضة الحيدرية؛ <https://www.haydarya.com/?id=1357>; <https://www.britannica.com/biography/Ayatollah-Muhammad-Baqir-al-Sadr>

(١١) فادية يعكوب يوسف، السياسة الخارجية للعراق تجاه إيران وموقف الولايات المتحدة الأمريكية منها (١٩٧٩-٢٠٠٣)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠٢٠، ص ٧٧.

(١٢) نقلاً عن: روح الله أمين آبادي، منع قبلي، ص ٤٢٨.

(١٣) همام منبع، ص ٤٥٠؛ روزنامه اطلاعات، شماره ١٣٥٨، ٢١ حزيران ١٩٧٩.

(14) F.R.U.S., 1977-1980, Vol. XVIII, National Intelligence Estimate, Washington, June 21, 1979, No. 137, P.435.

(١٥) **صدام حسين** (١٩٣٧-٢٠٠٦): خامس رئيس لجمهورية العراق، والأمين القطري لحزب البعث العربي الاشتراكي للمدة (١٩٧٩-٢٠٠٣). برز إبان الانقلاب الذي قام به حزب البعث العراقي - ثورة السابع عشر من تموز ١٩٦٨ - دعا لتبني الأفكار القومية العربية، والتحضر الاقتصادي والاشتراكية والعلمانية، كان نائب رئيس جمهورية العراق، وعضو القيادة القطرية، ورئيس مكتب الأمن القومي العراقي بحزب البعث العربي الاشتراكي خلال المدة (١٩٧٥-١٩٧٩). وفي عام ١٩٨٠ دخل صدام حرباً مع إيران استمرت ثمان سنوات انتهت في عام ١٩٨٨. غزا بعدها الكويت في الثاني من آب عام ١٩٩٠ التي أدت إلى نشوب حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١. ظل العراق بعدها محاصراً دولياً حتى عام ٢٠٠٣. قبض عليه في عام ٢٠٠٣، في عملية سميت بالفجر الأحمر، وجرت بعدها محاكمته بسبب الجرائم التي اتهم بها وتُقد حكم الإعدام به في عام ٢٠٠٦.

Con Coughlin, Saddam His Rise And Fall, HarperCollins Publishers, Australia, 2007; <https://www.britannica.com/biography/Saddam-Hussein>; <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

(16) F.R.U.S., 1977-1980, Vol. XVIII, Telegram From the United States Interests Section in Baghdad to the Department of State, Baghdad, July 17, 1979, No.138, P.439;

مُجَّد داخل كريم وشذى فيصل رشو، الرؤية البريطانية للحرب العراقية - الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد الحادي عشر، العدد (٢-٤٢)، مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت، ٢٠١٩ ص ٢٩.

(17) Claudia Wright, Religion and Strategy in the Iraq-Iran War, Journal Third World Quarterly, Vol. 7, No. 4 (October 1985), P. 842.

(١٨) فادية يعكوب يوسف، المصدر السابق، ص ٧٨.

(19) Ishtiaq Ali Mehkri, Religion and Politics in Iran-Iraq Relations, Pakistan Institute of International Fairs, Pakistan Horizon, Vol. 58, No. 4,(October 2005, Pp.33-34.

(20) F.R.U.S., 1977-1980, Vol. XVIII, Telegram From the United States Interests Section in Baghdad to the Department of State, Baghdad, July 17, 1979, No.138, P.440.

(٢١) أحمد ثابت مُجَّد وآخرين، أثر المذهبية في السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الشرق الأوسط: دراسة حالة "العراق-سوريا-لبنان"، المركز الديمقراطي العربي، د.م، ٢٠١٧، ص ٤٥.

(٢٢) رماح سعد مرهون المعموري، موقف إيران من الاجتياح العراقي للكويت ١٩٩٠-١٩٩١: دراسة تاريخية، ط ١، مركز الرافدين للحوار، بيروت، ٢٠٢١، ص ٤٤.

(٢٣) فاضل حسن كطافة الياسري، المصدر السابق، ص ١٠٥؛ مُجَّد وصفي أبو مغلي، الأبعاد الجيوبوليتيكية للاعتداءات على الحدود العراقية، مجلة الخليج العربي، المجلد الرابع عشر، العدد ٢، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٢، ص ٤٤-٤٥.

(٢٤) **حزب الدعوة الإسلامية**: تأسس في عام ١٩٥٧، وقد ضمت الهيئة التأسيسية مجموعة من الفقهاء والناشطين الإسلاميين، كان أهمهم آية الله مُجَّد باقر الصدر. وقد تبني الحزب في منهجه السياسي الأسلوب المرحلي المتدرج في العمل، وقسم مسيرته على أربع مراحل، لكل واحدة خصوصيتها ومستلزماتها وأهدافها، وتولى آية الله الصدر وضع الأسس الفكرية والعقائدية للحزب. للمزيد ينظر: علي سعود شكاحي المياحي، فكر ومواقف حزب الدعوة الإسلامية ١٩٥٧-١٩٧٩ م: دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠١٣؛ صادق الطائي، شيعة العراق.. مسيرة حزب الدعوة من المعارضة إلى الحكم، موسوعة العربي الإلكترونية.

<https://arabi21.com/story/>

(٢٥) منوچهر مُجَّد، المصدر السابق، ص ١٥٢-١٥٥.

(٢٦) عبد الرحيم عبيد سالم العامري، نشاط المعارضة الإسلامية الشيعية العراقية ١٩٨٠-٢٠٠٣، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٢٠، ص ٣٩-٤٠.

(27) Haggay Ram, Exporting Iran's Islamic Revolution: Steering a Path between Pan-Islam and Nationalism, Johns Hopkins University, 2015, P.7.

(28) Bledar Prifti, The Security and Foreign Policy of the Islamic Republic of Iran: An Offensive Realism Perspective, A thesis Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Art, Department of Government an

International Affairs, College of Arts and Sciences, University of South Florida, 2009, Pp. 40-41.

(٢٩) خطاب من روح الله الموسوي الخميني إلى أعضاء لجنة تعبئة المدن، بعنوان: ضرورة الاستعداد والدفاع أمام القوى الكبرى ونظام البعث العراقي، ٧ آذار ١٩٨٠، صحيفة الإمام، ج ١٢، ص ٢٠٦-٢٠٧.
(٣٠) عبد الرحيم عبيد سالم العامري، المصدر السابق، ص ٤٦.

(٣١) طارق عزيز (١٩٣٦-٢٠١٥): سياسي عراقي، ولد قرب مدينة الموصل. تلقى تعليمه في العراق، فدرس اللغة الإنجليزية في كلية الآداب بجامعة بغداد. عمل في بداياته بالصحافة منذ عام ١٩٥٨، وترقى فيها حتى تولى رئاسة تحرير صحيفة "الثورة" الناطقة باسم حزب البعث في العراق. صار وزيراً للإعلام في عام ١٩٧٢، وتولى منصب نائب رئيس الوزراء بين عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٣، ثم وزيراً للخارجية حتى عام ١٩٩١، وتسلم في تلك المدة أهم ملفات بلاده السياسية منها: الملف الإيراني والملف الكويتي، ليصبح من أبرز الشخصيات في السياسة الخارجية العراقية. أصدرت المحكمة الجنائية العراقية العليا عدداً من الأحكام في حق عزيز، من بينها الإعدام شنقاً. موسوعة الجزيرة الإلكترونية: <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2014/12/20/> ; <https://www.Alarabiya.net/arab-and-world/iraq/2022/02/28> ; <https://www.britannica.com/biography/Tariq-Aziz>

(٣٢) محمد حسين شذر الوحيلي، العلاقات العراقية - الإيرانية بعد عام ٢٠٠٣: دراسة في المتغيرين السياسي والاقتصادي، ط ١، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٦، ص ٤٤.

(٣٣) عبد المجيد تراب زمزمي، الحرب العراقية - الإيرانية الإسلامية والقوميات، ط ١، الوكالة العالمية للتوزيع، بيروت، ١٩٨٥، ص ٤٩-٥١.

(٣٤) عبد الرحيم عبيد سالم العامري، المصدر السابق، ص ٤٩.

(٣٥) نداء من روح الله الموسوي الخميني إلى الشعب الإيراني المسلم والمسلمون في العالم بمناسبة (استشهاد السيد محمد باقر الصدر وأخته المظلومة بنت الهدى)، بعنوان: مسؤولية الشعب العراقي حيال جرائم حزب البعث، ١٢ آيار ١٩٨٠، صحيفة الإمام، ج ١٢، ص ٢١٣.

(٣٦) روز نامه اطلاعات، شماره ١٦١٢٣، ٢١ نيسان ١٩٨٠؛ داود علي باباي، بيست و پنج سال در ايران چه گذشت؟ (از بازگان تا خاتمی): از بنی صدر تا شورای موقت ریاست جمهوری، جلد دوم، جاب أول ١٣٨٣، انتشارات امید فردا، تهران، ١٣٨٣، ص ٣٤٠.

(37) Nader Talebi, State Power and Revolution: Toward a Strategic-Relational Analysis of the 1979 Revolution in Iran, This dissertation is submitted for the degree of Doctor of Philosophy, Department of Sociology, University Lancaster, 2018, P. 231; Claudia Wright, Op. Cit., P. 843;=

=إعداد وزارة الخارجية في جمهورية إيران الإسلامية، الحرب العراقية المفروضة على جمهورية إيران الإسلامية - دراسة وتحليل، ترجمة وإصدار وزارة الإرشاد الإسلامي، ط ١، طهران، ١٩٨٣، ص ٢٠.

(38) Ishtiaq Ali Mehkri, Op. Cit., P.34.

(٣٩) يزداني عنایت اله، اخجسته جميل، بررسی تطبیقی «صدور انقلاب» در گفتمان های سیاسی جمهوری اسلامی ایران، ژوهشنامه انقلاب اسلامی، دوره ١، شماره ٣، دانشگاه بوعلی سینا، دانشکده ادبیات و علوم انسانی، همدان، تابستان ١٣٩١، ص ٧٥.

(٤٠) **صادق قطب زاده** (١٩٣٦-١٩٨٢): سياسي ووزير خارجية إيراني، أكمل دراسته الابتدائية والثانوية في إيران، ثم التحق بجامعة جورج تاون في الولايات المتحدة الأمريكية لإكمال دراسته الجامعية فيها، برز دوره السياسي في مقتبل العمر، والتحق بالحركة الإسلامية من خلال إنشاء منظمة طلابية في الولايات المتحدة مع عدد من زملائه، التحق بالخميني عنده إقامته في باريس عام ١٩٧٨، ثم عاد معه إلى إيران عام ١٩٧٩، وعندما تم تشكيل الحكومة الإيرانية برئاسة بازركان شغل منصب مدير مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، ثم تولى منصب وزير خارجية الجمهورية الإسلامية الإيرانية. عارض نظام ولاية الفقيه، لذا أجبر على الاستقالة، وسجن في طهران لمدة أسبوع في عام ١٩٨٢، ومن ثم أعلن التلفزيون الرسمي الإيراني أن وزير الخارجية السابق، متهم بإطاحة بنظام الحكم، وبعد أدانته حكم عليه بإعدام رمياً بالرصاص كان يبلغ من العمر ستة وأربعين عاماً. للمزيد ينظر: حسين كريم حمود وفاء عبد المهدي الشمري، رجالات الثورة الإسلامية في إيران، ط ١، النبراس للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١٩، ص ٦٧-٦٨؛ محمد خير رمضان يوسف، المستدرك على تمتة الإعلام للزركلي (الأول والثاني)، ط ١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٧٧؛ محمد وصفي أبو مغلي، دليل الشخصيات الإيرانية المعاصرة، ص ٩٨-٩٩؛ موسوعة المعرفة الإلكترونية: m.marefa.org.

(٤١) نقلاً عن: منهل الهام عبد ال عزو عقراوي، العلاقات التركية-الإيرانية ١٩٧٩-١٩٨٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٨، ص ٥٧.

(٤٢) روز نامه اطلاعات، شماره ١٦١١٩، ١٦ نيسان ١٩٨٠.

(٤٣) علي حسين علي، أمن الخليج العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد، ١٩٨٢، ص ٢٢٥.

(٤٤) جريدة الوطن (الكويت)، العدد ٢٠٠١، ٢ حزيران ١٩٨٠.

(٤٥) جريدة الوطن (الكويت)، العدد ٢٠٣١، ٧ تموز ١٩٨٠؛ جريدة الوطن (الكويت)، العدد ٢٠٣٢، ٨ تموز ١٩٨٠.

(٤٦) نقلاً عن: إصدارات مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (قدس سره) الشؤون الدولية، تصدير الثورة كما يراه الإمام الخميني (قدس سره)، طهران، ١٩٩٧، ص ٢٥.

(47) Claudia Wright, Op. Cit., P. 844.

(٤٨) **العلمانية**: هي لفظ تُرجم عن المصطلح الإنكليزي سيكولار (secular)، ويعود لأصل لاتيني سيكولاريزم (Secularism) يعني «قرن، زمن، عالم»، وهي كلمة ولدها السياق الكنسيّ بالأساس، واتخذت دلالة جديدة بعد الحروب الدينية في أوروبا، وأخذت تلازم عملية تجريد الكنيسة من أراضيها وأملاكها من الدولة، إلا أن الثابت في استخدام لفظ العلمانية هو الدلالة على عملية «زمنية»، وذلك مقابل ما هو روحي. وأما مجموعة من المعتقدات التي تتمحور حول أنّ الدين لا يجب أن يُشارك في الجوانب السياسية والاجتماعية مع أي دولة، وتُعرف أحياناً النظام الفلسفي السياسي أو الاجتماعي الذي يرفض أي شكل من أشكال الدين، تحت مبدأ فصل الأمور السياسية والدينية عن بعضها، فيتم استبعاد الدين عن جميع الشؤون المدنية المتعلقة بالدول. وتُشير العلمانية أيضاً إلى التوجه نحو الجانب المادي للحياة على الأرض دون الجانب الدينيّ الغيبي. ينظر: سفر بن عبد الرحمن الحوالي، العلمانية، نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، دار الهجرة، السعودية، (د.ت)، ص ٢١-٢٢؛ عبد الوهاب المسيري، العلمانية، د.م.د.ت، ص ١؛ محمد عمارة، العلمانية بين الغرب والإسلام، ط ١، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٩٦، ص ٥؛ رانيا سنجق، مفهوم العلمانية، مقالة نشرت بتاريخ ٢٣ حزيران ٢٠١٩، على الموقع الإلكتروني: <https://mawdoo3.com/>

(٤٩) أحمد ثابت مُجد وآخرين، المصدر السابق، ص ٤٥-٤٦؛ سهير ذبيح، قصة الثورة الإيرانية: سرد محاميد ليوميات الثورة الإيرانية، ترجمة عبد الوهاب غلوب، ط ١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٢٨.

(50) Bledar Prifti, Op. Cit., P.70.

(٥١) إعداد وترجمة: السيد عباس نور الدين، الإمام الخميني - مسيرة الثورة والجهاد-، ط ١، مركز بقية الله الأعظم (عليه السلام)، بيروت، ١٩٩٨، ص ٤٣؛ جيمي كارتر، مذكرات البيت الأبيض، ترجمة: سناء شوقي حرب، ط ٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٣، ص ٦١٣.

(٥٢) توفيق نجم الأنباري، سياسة إيران الإقليمية حيال منطقة الخليج العربي بعد ٢٠٠٣ في ظل مؤثر في إدراك الماضي والتحويلات الراهنة في هيكل النظام الدولي، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، المجلد السابع عشر، العدد ٦٩، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، الجامعة المستنصرية، آذار ٢٠٢٠، ص ٢٣٤.

(٥٣) جيمي كارتر، المصدر السابق، ص ٦١٣.

(٥٤) جمال سند السويدي، إيران والخليج البحث عن الاستقرار، ط ٢، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٨، ص ١٢٤.

(٥٥) نقلاً عن: يزداني عنايت اله، اخجسته جميل، منبع قبلي، ص ٧٦.

(٥٦) جاسم مُجد حاتم، الدور الإيراني في الشرق الأوسط: المتغيرات الإقليمية (العراق-سوريا) انموذجاً، مجلة مدارات إيرانية، العدد ٤، المركز الديمقراطي العربي، برلين، حزيران ٢٠١٩، ص ١٧٢.

(57) Satgin Hamrah, The Iran-Iraq War: The Use of Religion as a Tool, N.P,2016, P.1.

(٥٨) **حزب البعث العراقي**: حزب قومي عربي، تبنى الفكر الاشتراكي، وتأسس أول الأمر في سوريا في نيسان عام ١٩٤٣ على يد ميشيل عفلق، الذي عُيّن رئيساً له في ذلك الوقت، وصلاح البيطار، وجلال السيد، ووهيب الغانم. يتبنى الحزب التوجه القومي العربي والفكر الاشتراكي، وقد أعلن في مؤتمره الأول عام ١٩٤٧ عن ثلاثة أهداف، وهي: النضال ضد الاستعمار من أجل تحرير الوطن، والعمل على توحيد العرب في دولة واحدة ذات سيادة، وبعث الواقع العربي بوساطة الانقلاب على ما يسوده من فساد. ورفع شعاره المشهور "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة". ظل يحكم العراق حتى الغزو الأميركي في ٢٠٠٣، وتم إعدام زعيمه الرئيس العراقي صدام حسين في ٢٠٠٦. وقد عيّن الحزب -على الرغم من حله- عزت الدوري على رأس أمانته العامة. موسوعة الجزيرة الإلكترونية.

<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties/2014/2/13>; <https://www.britannica.com/topic/Baath-Party>

(59) Quoted in: Peyman Asadzade, War and Religion: The Iran-Iraq War, Online Publication Date: Jun 2019, P. 7.

(٦٠) نداء من روح الله الموسوي الخميني إلى الشعب والجيش العراقي-مسلمو إيران والعالم-، بعنوان: دعوة الشعب العراقي لإسقاط الحكومة البعثية في العراق، ٤ تشرين الأول ١٩٨٠، صحيفة الإمام، ج ١٣، ص ١٩٨-١٩٩.

(٦١) عبد الرحمن فريجة، أدوات التأثير الإيراني على سوريا-العراق- اليمن، مجلة مدارات إيرانية، العدد ٤، المركز الديمقراطي العربي، برلين، حزيران ٢٠١٩، ص ٤٤-٤٥.

(٦٢) قاصدين بذلك ما حصل للإمام الحسين، وأهل بيته "β" الذي خرج من أجل القضاء على الظلم، لكنه قتل، واستشهد في يوم العاشر من شهر محرم في مدينة كربلاء.

(63) Ardalan Rezamand, Use of Religious Doctrine and Symbolism in the Iran-Iraq War, *Illumine: Journal of the Centre for Studies in Religion and Society*, Vol. 9, No. 1, 2010, Pp.85-94.

(64)Ibid., Pp. 102-103.

(65)Ardalan Rezamand, Op. Cit., Pp. 94-95.

(66)Quoted in : Afshon Ostovar, *Vanguard of the Imam Religion, Politics, and Iran's Revolutionary Guards*, Oxford University Press, 2016, P. 63.

(٦٧) مركز نون للتأليف والترجمة، الكلمات القصار للإمام روح الله الموسوي الخميني (قدس سره)، ط ١. بيروت، ٢٠١١، ص ٣٥٧-٣٥٨.
R. k. Ramazani, *Independence Without Freedom Iran's Foreign Policy*, University of Virginia Press, 2013, Pp. 138-139.

(٦٨) كينيث هنت، تأثير الثورة الإيرانية على التوازن الاستراتيجي الإقليمي والدولي، ترجمة: هاشم كاطع لازم، من كتاب إيران في محنة، ط ١، سلسلة إيران والخليج العربي (١٨)، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، شعبة الدراسات الفارسية، جامعة البصرة، ١٩٨٣، ص ١٥٣؛ عبد الوهاب القصاب، الحرب العراقية - الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨ : قراءة تحليلية مقارنة في مذكرات الفريق الأول الركن نزار عبد الكريم فيصل الخزرجي، ط ١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٤، ص ٨٠.

(٦٩) للمزيد عن حصار عبادان ينظر: جاسم محسن عبيد، موقف الاتحاد السوفيتي من الحرب العراقية - الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، ٢٠١٨، ص ٤٢-٤٣.

(٧٠) محمد السعيد عبد المؤمن، ولاية الفقيه في إيران بين النظرية والتطبيق، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٨٧-١٨٨؛

Peyman Asadzade, Op. Cit., P.9.

(71)Afshon Ostova, Op. Cit., P.75.

(٧٢) آية الله حسن مدرس (١٨٧٠ - ١٩٣٧): من الشخصيات الدينية والسياسية الإيرانية البارزة والمعروفة سيد حسن بن إسماعيل عبد الباقي الطباطبائي المعروف بـ "مدرس"، ولد في قرية سراي كجو التابعة لمدينة اردستان في محافظة أصفهان، تلقى تعليمه فيها على يد أبرز علمائها في شتى العلوم، هاجر عام ١٨٩٦ إلى مدينة النجف الأشرف وتلمذ على يد علمائها، بقى سبع سنوات فيها، ثم عاد إلى أصفهان عام ١٩٠٣، ليعمل في مجال تدريس الفقه والأصول في بعض مدارسها، فقد أصبح من الشخصيات الدينية والسياسية الإيرانية البارزة منذ أحداث الحركة الدستورية الإيرانية ١٩٠٥ - ١٩١١، إذ دخل العمل السياسي بجداره، وعرف كسياسي برلماني، ومن المعارضين البارزين لسياسة الحكومة الإيرانية آنذاك، اتسع نشاطه إبان سنوات الحرب العالمية الأولى ولابعده، في مقاطعة الظلم الذي عانى منه الشعب الإيراني بسبب الوجود الأجنبي في إيران، وحاول جاهداً الخيلولة دون تولي رضا شاه الحكم فيها، لكنه لم ينجح فسرعان ما تمت تصفيته من الشاه. ارونند ابراهيميان، تاريخ إيران الحديثة، ترجمة: مجدي صبحي، عالم المعرفة: سلسلة كتب ثقافية، الكويت، ٢٠١٤، ص ٢٧٢؛

<https://ar.irna.ir/news/84559295>

(٧٣) محمد السعيد عبد المؤمن، ولاية الفقيه في إيران بين النظرية والتطبيق، ص ١٨٨-١٨٩.

(74)Behrang Vameghi Vessali, Iranian-Israeli Relations In Light of the Iranian Revolution, Thesis Presented to the Faculty of the Graduate School of the University of Texas at Austin in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts, The University of Texas at Austin, 2010, P. 20.

(75) Peyman Asadzade, Op. Cit., Pp. 6-7.

(٧٦) محمد السعيد عبد المؤمن، ولاية الفقيه في إيران بين النظرية والتطبيق، ص ١٨٩.

(77) Afshon Ostova, Op. Cit., P.81.

(٧٨) حسين شيخ إسلام، دبلوماسي فعال ايران در دوران جنگ تحميلي، مجله شاهد ياران، يادمان شهيد آيت الله سيد محمد باقر حكيم شماره ٤١ و ٤٢، انتشارت بنياد شهيد وامور ايتارگران، مركز جاب سباه، فروردين وارديهشت، تهران، ١٣٨٨، ص ٢٩.

(٧٩) نداء من روح الله الموسوي الخميني إلى الشعب الإيراني، بعنوان: الإشادة بجند الإسلام والتهنئة بفتح خرمشهر، ٢٤ آيار ١٩٨٢، صحيفة الإمام، ج١٦، ص ١٩٦.

(٨٠) محمد السعيد عبد المؤمن، ولاية الفقيه في إيران بين النظرية والتطبيق، ص ١٨٩.

(٨١) المصدر نفسه.

(٨٢) للمزيد ينظر: إسلام محمد عبد ربه المغير، الحرب العراقية - الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية-غزة، فلسطين، ٢٠١٥، ص ١٣٠-١٣١.

(٨٣) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

(٨٤) محمد السعيد عبد المؤمن، ولاية الفقيه في إيران بين النظرية والتطبيق، ص ١٩٠.

(٨٥) **المجلس الأعلى للثورة الإسلامية**: أعلن السيد محمد باقر الحكيم في تشرين الثاني ١٩٨٢ في مؤتمر صحفي موسع تشكيل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، ليكون كياناً قيادياً لإدارة الثورة الإسلامية في العراق، يستمر في تحمل مسؤولياته حتى الإطاحة بالنظام الحاكم، ثم يترك الأمر بعد ذلك للشعب العراقي في اختيار نظامه السياسي المناسب له من خلال الانتخاب الحر المباشر. ينظر: قاسم آل ماضي، المجلس الأعلى الإسلامي العراقي.. تاريخ وهوية، مقالة نشرت في وكالة أنباء براتا الإلكترونية بتاريخ ١٣ كانون الأول ٢٠٢١، على الموقع الإلكتروني: <http://burathanews.com/arabic/articles/404371>

(٨٦) سيد محمد بحر العلوم، تأثير گذارتين شخصيت در وحدت همه جريانات مخالف رژيم بعث، مجله شاهد ياران، يادمان شهيد آيت الله سيد محمد باقر حكيم شماره ٤١ و ٤٢، انتشارت بنياد شهيد وامور ايتارگران، مركز جاب سباه، فروردين وارديهشت، تهران، ١٣٨٨، ص ٤٥.

(٨٧) **السيد محمد باقر الحكيم** (١٩٣٩ - ٢٠٠٣): رجل دين شيعي عراقي بارز، وقائد المجلس الأعلى الإسلامي العراقي. ولد في مدينة النجف، وهو نجل آية الله العظمى السيد محسن الطباطبائي الحكيم، المرجع الديني العام للشيعة في العالم منذ أواخر الخمسينيات حتى وفاته عام ١٩٧٠. انتخب محمد باقر الحكيم عام ١٩٦٤ أستاذاً في كلية أصول الدين في بغداد، درس علوم القرآن، والشريعة، والفقه المقارن، وقد استمر في = ذلك النشاط حتى عام ١٩٧٥، ولكن توقف عن التدريس في الكلية، بعد مصادرتها من نظام حكم حزب البعث العراقي في ذلك العام، حيث كان عمره حين شرع بالتدريس خمسة وعشرون عاماً. وهاجر العراق إلى سوريا ثم إيران التي قضى فيها أكثر من عشرين

عاماً، عاد للعراق في عام ٢٠٠٣. عاصر الحكيم آية الله الخميني، وقارنت الفارديان بينهما من حيث المدة التي قضياها في المنفى ودعمهما لوطنيهما. للمزيد من الاطلاع ينظر: موسوعة المعرفة الإلكترونية: <https://www.marefa.org>

(٨٨) منوچهر مُجدي، المصدر السابق، ص ١٥٦.

(٨٩) تقرير رقم (٣٨) حول الشرق الأوسط، إيران في العراق: مبادئ النفوذ، عمان، ٢١ آذار ٢٠٠٥، ص ٧.

(٩٠) إلهه روستامي - بوفقي، تأثير إيران ونفوذها في المنطقة، ترجمة: فاطمة نصر مُجدي، ط١، إصدارات سطور جديدة، د.م، ٢٠١٠، ص ١٨١.

(٩١) الشيخ أحمد سالك، شهيد محراب عالمي بزكوار، مردسي، باتاردش ود لسوزبود، مجله شاهد ياران، يادمان شهيد آيت الله سيد مُجدي باقر حكيم شماره ٤١ و ٤٢، انتشارت بنياد شهيد وامور ايتاكران، مركز جاب سباه، فروردين وارديهشت، تهران، ١٣٨٨، ص ٣٧.

(92) Bayram Sinkaya, The Revolutionary Guards and The Iranian Politics: Causes and outcomes of The Shifting Relations Between The Revolutionary Guards and The Political Leadership In Post-Revolutionary Iran, A Thesis Submitted to The Graduate School of Social Sciences of Middle East Technical University, In Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree of Doctor of Philosophy, In The Department of International Relations, 2011, Pp. 159-163.

(٩٣) سورة الفجر/ آية ١-٧.

(٩٤) مُجدي السعيد عبد المؤمن، ولاية الفقيه في إيران بين النظرية والتطبيق، ص ١٩٠-١٩١.

(٩٥) إسلام مُجدي عبد ربه المغير، المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٩٦) إصدارات مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (قدس سره) الشؤون الدولية، المصدر السابق، ص ٢٤.

(٩٧) إسلام مُجدي عبد ربه المغير، المصدر السابق، ص ١٣١.

(98) Bayram Sinkaya, Op. Cit., Pp. 163-164.

(٩٩) خطاب من روح الله الموسوي الخميني إلى السيد موسوي خويئي ها (مندوب الإمام والمشرف على بعثة الحجاج الإيرانيين، السيد خاتمي (وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي)، علماء الدين المرافقون لقوافل الحجاج، مسؤولو وزارة الإرشاد ومؤسسة الحج والزيارة، بعنوان: فلسفة الحج وأبعاده السياسية، ١٦ آب ١٩٨٣، صحيفة الإمام، ج ١٨، ص ٥٣.

(١٠٠) مُجدي السعيد عبد المؤمن، ولاية الفقيه في إيران بين النظرية والتطبيق، ص ١٩٧-١٩٨.

(١٠١) المصدر نفسه، ص ٢٠٣-٢٠٤.

(١٠٢) عبد الوهاب القصاب، المصدر السابق، ص ٩٦-٩٩.

(103) Annie Tracy Samuel, The Unfinished History of the Iran-Iraq War Faith, Firepower, and Iran's Revolutionary Guards, University of Tennessee at Chattanooga, First Published 2022, Pp. 193-197.

(١٠٤) ذكي خيرى، الحرب العراقية-الإيرانية: قضايا الدفاع عن الوطن والثورة، د.م، ٢٠١٨، ص ١٥؛ مُجدي السعيد عبد المؤمن، ولاية الفقيه في إيران بين النظرية والتطبيق، ص ١٩٤؛ إسلام مُجدي عبد ربه المغير، المصدر السابق، ص ١٤٣-١٤٩.

(105) Afshon Ostova, Op. Cit., Pp. 91-93.

- (١٠٦) عبد الوهاب القصاب، المصدر السابق، ص ١١٧-١١٨.
- (١٠٧) ذكي خيري، المصدر السابق، ص ١٦.
- (١٠٨) فادية يعكوب يوسف، المصدر السابق، ص ١٠٢.
- (١٠٩) نقلاً عن: ذكي خيري، المصدر السابق، ص ١٧.
- (١١٠) محمد السعيد عبد المؤمن، ولاية الفقيه في إيران بين النظرية والتطبيق، ص ٢٠٤-٢٠٥.
- (١١١) نبيل جعفر عبد الرضا، دراسات في الاقتصاد الإيراني، ط ١، مؤسسة وارث الثقافية، د.م، ٢٠٠٨، ص ٢٨.
- (١١٢) للمزيد من الاطلاع ينظر: شيماء محمد جواد وسهير صلاح محمود، القوى الدولية المؤثرة في العلاقات العراقية الإيرانية، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد الثاني والعشرين، العدد ٩٦، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٦، ص ٦٠٤-٦٢٢.
- (١١٣) كيم خديجة، قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية وانعكاساتها الداخلية والخارجية ١٩٧٩-١٩٨٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر-بسكرة، ٢٠١٥، ص ٦٨.
- (١١٤) فراس إبراهيم حميد، العراق في وثائق هيئة الأمم المتحدة ١٩٩٠-٢٠٠٣، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠١٩، ص ٢٨-٣٥؛ هوزان سليمان ميرخان، الدعم الإيراني-السوري للحركة القومية الكردية التحررية في كردستان العراق ١٩٨٠-١٩٨٨، المجلة الأكاديمية لجامعة نورو، المجلد السادس، العدد ٢، جامعة نورو، ٢٠١٧، ص ٣٧٦-٣٧٦=
- =Hamza Demirel, Assessing The Role of The Islamic Revolutionary Guards Corps' Extraterritorial Activities In Attaining Iran's Foreign Policy Goals, A Dissertation Submitted to The Faculty of Old Dominion University In Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree of Doctor of Philosophy International Studies Old Dominion University, 2016, P. 68.
- (١١٥) علي آلفونه، الخلافات السياسية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية: صعود الحرس الثوري، معهد دول الخليج العربي في واشنطن لبناء جسور التفاهم، ٢٠١٨، ص ١٤.
- (١١٦) إسامة عبد الرحمن، القوة الناعمة الإيرانية، ط ١، د.م، ٢٠١٨، ص ٤١؛ حيدر عبد الواحد ناصر الحميداوي، العلاقات الإيرانية-الألمانية ١٩٧٩-٢٠٠٥، مجلة دراسات إيرانية، العدد ١٥، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، جامعة البصرة، آذار ٢٠١٢، ص ٦.
- (117) Haggay Ram, Op. Cit., P.7.
- (١١٨) أسعد حيدر، أيام مع الإمام الخميني وبدايات الثورة، ط ١، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٢٠، ص ٤٦.
- (119) Ardalan Rezamand, Op. Cit., P. 94.
- (120) Satgin Hamrah, Op. Cit., P.1.
- (121) Peyman Asadzade, Op. Cit., P.7.

(١٢٢) إسلام محمد عبد ربه المغير، المصدر السابق، ص ٢٢٩-٢٣٤.

المصادر:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الوثائق المنشورة:-

١. مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني - الشؤون الدولية، صحيفة الأمام : تراث الإمام الخميني(خطابات، نداءات، مقابلات، أحكام، وكالات شرعية، رسائل شخصية)، ترجمة: عبد العلي فيض الله زاده، ج١٢، الجمهورية الإسلامية الإيرانية طهران ٢٠٠٩.
٢. _____ ترجمة: إحسان حساني صوفان، ج١٣، الجمهورية الإسلامية الإيرانية طهران ٢٠٠٩.
٣. _____ ترجمة: صادق خورشيا، ج١٦، الجمهورية الإسلامية الإيرانية طهران ٢٠٠٩.
٤. _____ ترجمة: منير مسعودي، ج١٧، الجمهورية الإسلامية الإيرانية طهران ٢٠٠٩.
٥. _____ ترجمة: علي كنتجيان خناري، حسن نجفي، ج١٨، الجمهورية الإسلامية الإيرانية طهران ٢٠٠٩.

ب. وثائق وزارة الخارجية الأمريكية المنشورة والمعروفة اختصاراً **F.R.U.S**:

1. Foreign Relations of The United States, 1977-1980, Vol. XVIII, Middle East Region; Arabian Peninsula, United States Government Publishing Office, Washington, 2015.

والمنشورة على الموقع الإلكتروني:

<https://history.state.gov/historicaldocuments/frus1977-80v18>

ثالثاً: الكتب الوثائقية:-

- إعداد وزارة الخارجية في جمهورية إيران الإسلامية، الحرب العراقية المفروضة على جمهورية إيران الإسلامية - دراسة وتحليل، ترجمة وإصدار وزارة الإرشاد الإسلامي، ط١، طهران، ١٩٨٣.

رابعاً: المذكرات:-

١. أسعد حيدر، أيام مع الإمام الخميني وبدايات الثورة، ط١، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٢٠.
٢. جيمي كارتر، مذكرات البيت الأبيض، ترجمة: سناء شوقي حرب، ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٣.
٣. عبد الوهاب القصاب، الحرب العراقية - الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨ : قراءة تحليلية مقارنة في مذكرات الفريق الأول الركن نزار عبد الكريم فيصل الخزرجي، ط١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٤.

٤. مؤسسة الصدرين للدراسات الاستراتيجية، السيرة الذاتية للإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر.

<http://alsadrain.com/sader1/index.htm>

خامساً: الرسائل والاطاريح الجامعية المطبوعة باللغة العربية:-

١. فاضل حسن كطافة الياسري، العراق وموقعه المجاور لإيران (دراسة في الجغرافية السياسية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦.
٢. مهند عبد العزيز عيسى، سياسة إيران الخارجية في عهد الرئيس علي أكبر هاشمي رفسنجاني (١٩٨٩-١٩٩٧): دراسة تاريخية سياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٥.
٣. محمد مجي صبحي سكيك، عقيدة الخميني - دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية - غزة، فلسطين، ٢٠١٤.
٤. علي سعود شكاحي المياحي، فكر ومواقف حزب الدعوة الإسلامية ١٩٥٧-١٩٧٩ م: دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠١٣.
٥. علي حسين علي، أمن الخليج العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد، ١٩٨٢.
٦. منهل الهام عبد ال عزو عقراوي، العلاقات التركية-الإيرانية ١٩٧٩-١٩٨٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٨.
٧. جاسم محسن عبيد، موقف الاتحاد السوفيتي من الحرب العراقية - الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، ٢٠١٨.
٨. إسلام محمد عبد ربه المغير، الحرب العراقية - الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية-غزة، فلسطين، ٢٠١٥.
٩. كيم خديجة، قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية وانعكاساتها الداخلية والخارجية ١٩٧٩-١٩٨٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر-بسكرة، ٢٠١٥.
١٠. فراس إبراهيم حميد، العراق في وثائق هيئة الأمم المتحدة ١٩٩٠-٢٠٠٣، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠١٩.
١١. فادية يعكوب يوسف، السياسة الخارجية للعراق تجاه إيران وموقف الولايات المتحدة الأمريكية منها (١٩٧٩-٢٠٠٣)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠٢٠.

سادساً: الرسائل والاطاريح المطبوعة باللغة الإنكليزية:-

1. Behrang Vameghi Vessali, Iranian-Israeli Relations In Light of the Iranian Revolution, Thesis Presented to the Faculty of the Graduate School of the University of Texas at Austin in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts, The University of Texas at Austin, 2010.
2. Bledar Prifti, The Security and Foreign Policy of the Islamic Republic of Iran: An Offensive Realism Perspective, A thesis Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Art, Department of Government an International Affairs, College of Arts and Sciences, University of South Florida, 2009.
3. Nader Talebi, State Power and Revolution: Toward a Strategic-Relational Analysis of the 1979 Revolution in Iran, This dissertation is submitted for the degree of Doctor of Philosophy, Department of Sociology, University Lancaster, 2018.
4. Bayram Sinkaya, The Revolutionary Guards and The Iranian Politics: Causes and outcomes of The Shifting Relations Between The Revolutionary Guards and The Political Leadership In Post-Revolutionary Iran, A Thesis Submitted to The Graduate School of Social Sciences of Middle East Technical University, In Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree of Doctor of Philosophy, In The Department of International Relations, 2011.
5. Hamza Demirel, Assessing The Role of The Islamic Revolutionary Guards Corps' Extraterritorial Activities In Attaining Iran's Foreign Policy Goals, A Dissertation Submitted to The Faculty of Old Dominion University In Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree of Doctor of Philosophy International Studies Old Dominion University, 2016.

سابعاً: الكتب العربية والمعرّبة:-

١. أحمد ثابت مُجّد وآخرين, أثر المذهبية في السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الشرق الأوسط: دراسة حالة "العراق- سوريا- لبنان", المركز الديمقراطي العربي, د.م, ٢٠١٧.
٢. ارونڊ ابراهيميان, تاريخ إيران الحديثة, ترجمة: مجدي صبحي, عالم المعرفة: سلسلة كتب ثقافية, الكويت, ٢٠١٤.
٣. إسامة عبد الرحمن, القوة الناعمة الإيرانية, ط١, د.م, ٢٠١٨.

٤. إصدارات مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (قدس سره) الشؤون الدولية، تصدير الثورة كما يراه الإمام الخميني (قدس سره)، طهران، ١٩٩٧.
٥. إعداد وترجمة: السيد عباس نور الدين، الإمام الخميني - مسيرة الثورة والجهاد-، ط ١، مركز بقية الله الأعظم (عج)، بيروت، ١٩٩٨.
٦. إلهه روستامي - يوفقي، تأثير إيران ونفوذها في المنطقة، ترجمة: فاطمة نصر محمد، ط ١، إصدارات سطور جديدة، م.د، ٢٠١٠.
٧. جمال سند السويدي، إيران والخليج البحث عن الاستقرار، ط ٢، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٨.
٨. حسين كريم حمود وفاء عبد المهدي الشمري، رجالات الثورة الإسلامية في إيران، ط ١، النبراس للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١٩.
٩. ذكي خيرى، الحرب العراقية-الإيرانية: قضايا الدفاع عن الوطن والثورة، م.د، ٢٠١٨.
١٠. رماح سعد مرهون المعموري، موقف إيران من الاجتياح العراقي للكويت ١٩٩٠-١٩٩١: دراسة تاريخية، ط ١، مركز الرافدين للحوار، بيروت، ٢٠٢١.
١١. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، العلمانية، نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، دار الهجرة، السعودية، (د.ت).
١٢. سهير ذبيح، قصة الثورة الإيرانية: سرد محاميد ليوميات الثورة الإيرانية، ترجمة عبد الوهاب علوب، ط ١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤.
١٣. عبد الرحيم عبید سالم العامري، نشاط المعارضة الإسلامية الشيعية العراقية ١٩٨٠-٢٠٠٣، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٢٠.
١٤. عبد المجيد تراب زمزمي، الحرب العراقية - الإيرانية الإسلام والقوميات، ط ١، الوكالة العالمية للتوزيع، بيروت، ١٩٨٥.
١٥. عبد الوهاب المسيري، العلمانية، م.د، د.ت.
١٦. علي آفونيه، الخلافات السياسية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية: صعود الحرس الثوري، معهد دول الخليج العربي في واشنطن لبناء جسور التفاهم، ٢٠١٨.
١٧. كينيث هنت، تأثير الثورة الإيرانية على التوازن الاستراتيجي الإقليمي والدولي، ترجمة: هاشم كاطع لازم، من كتاب إيران في محنة، ط ١، سلسلة إيران والخليج العربي (١٨)، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، شعبة الدراسات الفارسية، جامعة البصرة، ١٩٨٣.

١٨. مُجَّد السعيد عبد المؤمن، ولاية الفقيه في إيران بين النظرية والتطبيق، القاهرة، ١٩٩٠.
١٩. مُجَّد حسين شذر الوحيلى، العلاقات العراقية - الإيرانية بعد عام ٢٠٠٣: دراسة في المتغيرين السياسى والاقتصادى، ط ١، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٦.
٢٠. مُجَّد خير رمضان يوسف، المستدرك على تنمة الإعلام للزركلى (الأول والثاني)، ط ١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢.
٢١. مُجَّد عمارة، العلمانية بين الغرب والإسلام، ط ١، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٩٦.
٢٢. مُجَّد وصفي أبو مغلي، دليل الشخصيات الإيرانية المعاصرة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، شعبة الدراسات الفارسية، سلسلة إيران والخليج العربي (١٦)، جامعة البصرة، ١٩٨٣.
٢٣. مركز نون للتأليف والترجمة، الكلمات القصار للإمام روح الله الموسوي الخميني (قدس سره)، ط ١، بيروت، ٢٠١١.
٢٤. منوجهر مُجَّدِي، تداعيات الثورة الإسلامية في العالم الإسلامي، ط ١، مركز المصطفى (ص) العالمي للترجمة والنشر، قم، ٢٠١٢.
٢٥. نبيل جعفر عبد الرضا، دراسات في الاقتصاد الإيراني، ط ١، مؤسسة وارث الثقافية، د.م، ٢٠٠٨.

ثامناً: الكتب الإنكليزية:-

1. Afshon Ostovar, Vanguard of the Imam Religion, Politics, and Iran's Revolutionary Guards, Oxford University Press, 2016.
2. Annie Tracy Samuel, The Unfinished History of the Iran-Iraq War Faith, Firepower, and Iran's Revolutionary Guards, University of Tennessee at Chattanooga, First Published 2022.
3. Con Coughlin, Saddam His Rise And Fall, HarperCollins Publishers, Australia, 2007.
4. Haggay Ram, Exporting Iran's Islamic Revolution: Steering a Path between Pan-Islam and Nationalism, Johns Hopkins University, 2015.
5. Peyman Asadzade, War and Religion: The Iran-Iraq War, Online Publication Date: Jun 2019.
6. R. k. Ramazani, Independence Without Freedom Iran's Foreign Policy, University of Virginia Press, 2013.
7. Satgin Hamrah, The Iran-Iraq War: The Use of Religion as a Tool, N.P,2016.

تاسعاً: الكتب الفارسية:-

١. داود علي بابايي، بيست و پنج سال در ايران چه گذشت؟ (از بازگان تا خاتمي): از بني صدر تا شوراي موقت رياست جمهوري، جلد دوم، جاب اول ١٣٨٣، انتشارات اميد فردا، تهران، ١٣٨٣.
٢. روح الله امين آبادي، ايران پس از انقلاب اسلامي رخدادهای بهمين ١٣٥٧ تا خرداد ١٣، جلد ١، چاپ اول، خيرگزار ي فارس، معاونت پژوهش و آموزش، اداره كل پژوهش؛ تابستان، تهران، ١٣٩٢.
٣. يزدياني عنايت اله، اخجسته جميل، بررسي تطبيقي «صنور انقلاب» در گفتمان هاي سياسي جمهوري اسلامي ايران، ژوهشنامه انقلاب اسلامي، دوره ١، شماره ٣، دانشگاه بوعلی سینا، دانشکده ادبيات و علوم إنساني، همدان، تابستان ١٣٩١.

عاشراً: الدوريات المطبوعة باللغة العربية:-

أ. المجالات

١. توفيق نجم الأنباري، سياسة إيران الإقليمية حيال منطقة الخليج العربي بعد ٢٠٠٣ في ظل مؤثر في إدراك الماضي والتحولت الراهنة في هيكل النظام الدولي، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، المجلد السابع عشر، العدد ٦٩، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، الجامعة المستنصرية، آذار ٢٠٢٠.
٢. جاسم محمد حاتم، الدور الإيراني في الشرق الأوسط: المتغيرات الإقليمية (العراق-سوريا) نموذجاً، مجلة مدارات إيرانية، العدد ٤، المركز الديمقراطي العربي، برلين، حزيران ٢٠١٩.
٣. حيدر عبد الواحد ناصر الحميداوي، العلاقات الإيرانية- الألمانية ١٩٧٩-٢٠٠٥، مجلة دراسات إيرانية، العدد ١٥، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، جامعة البصرة، آذار ٢٠١٢.
٤. شيماء محمد جواد وسهير صلاح محمود، القوى الدولية المؤثرة في العلاقات العراقية الإيرانية، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد الثاني والعشرين، العدد ٩٦، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٦.
٥. عبد الرحمن فريجة، أدوات التأثير الإيراني على سوريا-العراق- اليمن، مجلة مدارات إيرانية، العدد ٤، المركز الديمقراطي العربي، برلين، حزيران ٢٠١٩.
٦. محمد داخل كريم وشذى فيصل رشو، الرؤية البريطانية للحرب العراقية - الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد الحادي عشر، العدد (٢-٤٢)، مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت، ٢٠١٩.
٧. محمد وصفي أبو مغلي، الأبعاد الجيوبوليتيكية للاعتداءات على الحدود العراقية، مجلة الخليج العربي، المجلد الرابع عشر، العدد ٢، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٢.
٨. هوزان سليمان ميرخان، الدعم الإيراني-السوري للحركة القومية الكردية التحريرية في كردستان العراق ١٩٨٠-١٩٨٨، مجلة الأكاديمية لجامعة نوروز، المجلد السادس، العدد ٢، جامعة نوروز، ٢٠١٧.

٩. هبة غربي، التنافس الأمريكي الإيراني في العراق منذ سنة ٢٠٠٣، مجلة مدارات إيرانية، العدد ٤، المركز الديمقراطي العربي، برلين، حزيران ٢٠١٩.

ب. الصحف:-

١. جريدة الوطن (الكويت)، العدد ٢٠٠١، ٢ حزيران ١٩٨٠.

٢. جريدة الوطن (الكويت)، العدد ٢٠٣١، ٧ تموز ١٩٨٠.

٣. جريدة الوطن (الكويت)، العدد ٢٠٣٢، ٨ تموز ١٩٨٠.

الحادية عشر: الدوريات الفارسية:-

أ. المجالات:

١. حسين شيخ إسلام، ديلماسي فعال ايران در دوران جنگ تحميلي، مجله شاهد ياران، يادمان شهيد آيت الله سيد محمد باقر حكيم شماره ٤١ و ٤٢، انتشارت بنياد شهيد وامور ايتارگران، مركز جاب سباه، فروردين وارديهشت، تهران، ١٣٨٨.

٢. سيد محمد بحر العلوم، تأثير گذارترين شخصيت در وحدت همه جريانات مخالف رژيم بعث، مجله شاهد ياران، يادمان شهيد آيت الله سيد محمد باقر حكيم شماره ٤١ و ٤٢، انتشارت بنياد شهيد وامور ايتارگران، مركز جاب سباه، فروردين وارديهشت، تهران، ١٣٨٨، ص ٤٥.

٣. الشيخ أحمد سالك، شهيد محراب عالمي بزرگوار، مردسي، باتاردش ود لسوزبود، مجله شاهد ياران، يادمان شهيد آيت الله سيد محمد باقر حكيم شماره ٤١ و ٤٢، انتشارت بنياد شهيد وامور ايتارگران، مركز جاب سباه، فروردين وارديهشت، تهران، ١٣٨٨.

ب. الصحف

١. روز نامه اطلاعات، شماره ١٦١١٩، ١٦ نيسان ١٩٨٠.

٢. روز نامه اطلاعات، شماره ١٦١٢٣، ٢١ نيسان ١٩٨٠.

٣. روزنامه اطلاعات، شماره ١٣٥٨، ٢١ حزيران ١٩٧٩.

الثانية عشر: الدوريات الإنكليزية:-

1. Ardalan Rezamand, Use of Religious Doctrine and Symbolism in the Iran-Iraq War, Illumine: Journal of the Centre for Studies in Religion and Society, Vol. 9, No. 1, 2010.
2. Ardalan Rezamand, Use of Religious Doctrine and Symbolism in the Iran-Iraq War, Illumine: Journal of the Centre for Studies in Religion and Society, Vol. 9, No. 1, 2010.

3. Claudia Wright, Religion and Strategy in the Iraq-Iran War, Journal Third World Quarterly, Vol. 7, No. 4 (October 1985).
4. Ishtiaq Ali Mehkri, Religion and Politics in Iran-Iraq Relations, Pakistan Institute of International Fairs, Pakistan Horizon, Vol. 58, No. 4,(October 2005).

الثالثة عشر: التقارير المنشورة:-

١. تقرير رقم (٣٨) حول الشرق الأوسط، إيران في العراق: مبادئ النفوذ، عمان، ٢١ آذار ٢٠٠٥.
٢. عماد الشمري، ظلمه التاريخ ونسب إنجازاته لغيره.. أحمد حسن البكر رئيس العراق الذي قاد الانقلابات، تقرير نشر بتاريخ ٢٠١٩/١٠/٤، على موقع الجزيرة العربية الإلكتروني:
[https:// www .aljazeera. net /news / politics/2019/10/4 /](https://www.aljazeera.net/news/politics/2019/10/4/)

الرابعة عشر: البحوث والمقالات المنشورة:-

١. رانيا سنجق، مفهوم العلمانية، مقالة نشرت بتاريخ ٢٣ حزيران ٢٠١٩، على الموقع الإلكتروني:
[/https://mawdoo3.com](https://mawdoo3.com)
٢. قاسم آل ماضي، المجلس الأعلى الإسلامي العراقي.. تاريخ وهوية، مقالة نشرت في وكالة أنباء براثا الإلكترونية بتاريخ ١٣ كانون الأول ٢٠٢١، على الموقع الإلكتروني:
<http://burathanews.com/arabic/articles/404371>
٣. مكتبة الروضة الحيدرية [https:// www. haydarya. com/?id=1357](https://www.haydarya.com/?id=1357)

الخامسة عشر: الموسوعات:-

١. صادق الطائي، شيعة العراق.. مسيرة حزب الدعوة من المعارضة إلى الحكم، موسوعة العربي الإلكترونية.
[/https://arabi21.com/story](https://arabi21.com/story)
٢. موسوعة المعرفة الإلكترونية: <https://www.marefa.org>
٣. موسوعة الجزيرة الإلكترونية:
<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2014/12/20/>
4. <https://www.britannica.com/biography/Saddam-Hussein>
5. [https://ar. Wikipedia .org /wiki/](https://ar.Wikipedia.org/wiki/)
6. [https://www.Alarabiya .net/arab-and-world/iraq/2022/02/28](https://www.Alarabiya.net/arab-and-world/iraq/2022/02/28) .

مقدار التغير والاتجاه الشهري لدرجة الحرارة الصغرى الأقصى اليومية وتوزيعه الجغرافي خلال فصل الربيع في العراق

الباحث: وسام عبدالله عصملي الكعبي / المديرية العامة للتربية / ميسان

أ. د. علي غليس ناهي السعيد / جامعة ميسان / كلية التربية

المستخلص:

ركز البحث على دراسة التغير الشهري في مؤشر TN_x^* من خلال بيان مقدار التغير الحاصل في منطقة الدراسة خلال فصل الربيع، بعد تحليله في ثمان نقاط مختارة موزعة على عموم مساحة العراق، وتم في البحث بيان إتجاه ذلك التغير وتوزيعه الجغرافي من خلال الخرائط المناخية لكل شهر من أشهر الربيع. وحُددت الدراسة بمدة زمنية مقدارها ٤٤ سنة ما بين ١٩٧٧-٢٠٢٠ وتم خلال البحث تطبيق معادلة الانحدار الخطي البسيط. واعتمد البحث على بيانات المركز الاوربي متوسطة المدى ECMWF*،*، للنقاط التي اختيرت للبحث، وهذه البيانات كانت يومية وتم استخلاص قيم المؤشر (TN_x) منها.

ظهر من خلال البحث ان أعلى مقدار تغير خلال مدة الدراسة لفصل الربيع في العراق هو ٨٠.٨% في النقطة B في المنطقة الشمالية، وأدنى مقدار للتغير سجل في النقطة D وبلغ -2.2%، وتبين من خلال البحث أن معامل الاتجاه Bi كان موجبا لجميع اشهر الربيع (عدا النقطتين C,D لشهر نيسان فقط. وتبين الدراسة أن أغلب نتائج sig من التحليل الإحصائي كانت معنوية لشهر آذار (عدا النقطتين D,F)، والنتائج غير معنوية في شهر نيسان، وكذلك شهر آيار (عدا نقطة B). وبينت خرائط التوزيع لمقدار قيم التغير بأن المنطقة الشمالية تميزت خلال شهور الربيع عن غيرها من مساحة العراق بكون إتجاه التغير فيها نحو التزايد.

الكلمات المفتاحية: مقدار واتجاه التغير، التوزيع الجغرافي للتغير، مؤشر TN_x ، الانحدار الخطي البسيط.

The Change Amount and Direction for the Maximum of the Minimum Daily Temperature and it's Geographical Distribution During the Spring Season in Iraq

Wissam Abdullah Osmally Al-Kaabi

General Direction of Education – Maysan

Prof. Ali Ghlais Nahi Al-Saeedi, Ph.D

Maysan Universty

Abstract:

The research focused on studying the change in the TN_x index* by showing the amount of change that occurred in the study area during the spring season, after analyzing it in eight selected points distributed over the entire area of Iraq. The Direction of Change has been plotted by Climatic maps for each month of spring. The study was determined with a period of time of 44 years between 1977-2020 as a

* TN_x مؤشر لقياس التطرف المناخي ويعني درجة الحرارة الصغرى الأقصى اليومية المسجلة.

ECMWF* وتعني المركز الاوربي للتنبؤات الجوية متوسطة المدى European Center for Medium-Range Weather Forecasts

sufficient period as a time series that gives more reliable results when relying on it in the statistical work represented by applying the simple linear regression equation. The research relied on the data of the European Center for Medium Range ECMWF* in order to be continuous, non-dotted data during the study period, which is considered a long period, and this data was downloaded from the sites of the selected points for research, which took into account their proximity to the Iraqi weather stations approved by the General Authority for Meteorology, which is daily data that was done by extracting the temperature for the studied thermal index.

It appeared through the research that the highest amount of change during the study period for the spring semester in Iraq was 80.8% in point B in the northern region, and the lowest amount of change was recorded in point D and amounted to -2.2%. Positive for all spring months, except for two points, C and D. Bi values were negative, in April. The study shows that most of the sig results from the statistical analysis were significant for the month of March (except for points D and F), and the results were not significant in the month of April, as well as the month of May (except for one point, (point B). The distribution maps showed that the trend of change towards increasing was in the northern region during the spring months and within the school period.

المقدمة:

شغل الاهتمام بالتغير المناخي مختلف الاختصاصات العلمية ، إذ لا يقتصر فقط على علماء الطقس و المناخ ذلك لما للمناخ من آثار على مختلف القطاعات ، لذا تنوعت الاختصاصات العلمية التي أُمسى التغير المناخي محل اهتماماتها . لعل واحدة من مؤشرات التغير المناخي هو التغير الحاصل في درجات الحرارة والتي ارتفعت حوالي (درجة واحدة) خلال مدة العشرين سنة الماضية (1 , Jameel, 2016) ولأهمية التغير في درجات الحرارة الذي له استجابة مباشرة على عناصر و ظواهر المناخ الأخرى فقد تم الاعتماد على أحد المؤشرات التي أوصى بها الفريق الدولي المعني باكتشاف التغير المناخي (ETCCDI)* وهو المؤشر (TNx) .

إن مؤشر ال (TNx) الذي يمثل (درجة الحرارة الصغرى الأقصى اليومية) يعد ذا أهمية في تطرف درجات الحرارة الصغرى وإن معرفة مقدار التغير فيه ومآلات اتجاهاته يعطي صورة واضحة عن تغير خصائص درجات الحرارة في الربيع بمنطقة الدراسة(العراق) والتي لها تداعيات على مختلف الصعد .

مشكلة البحث: ما مقدار التغير و الإتجاه الشهري في مؤشر TNx (درجة الحرارة الصغرى الأقصى اليومية) لأشهر الربيع وللمدة المحددة للدراسة ١٩٧٧ - ٢٠٢٠ في العراق.

فرضية البحث: يفترض البحث وجود مقدار للتغير في إتجاه مؤشر TNx (درجة الحرارة الصغرى الأقصى اليومية) خلال اشهر الربيع في العراق.

أهمية البحث: تعتمد الدراسة على رصد التغير والاتجاه الشهري في درجات الحرارة الصغرى الأقصى اليومية في منطقة الدراسة خلال أشهر الربيع للمدة ١٩٧٧-٢٠٢٠ إذ ان ذلك يُعد من الدراسات الحديثة اذ تختلف عن نمط الدراسات

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، الجزء ٢ العدد ٢٦ بتاريخ ٢٠٢٣/٦/١٥

الخاصة بالتغير والتي تعتمد المتوسطات في الكشف عن التغير فهذا النوع من الدراسات يعتمد على النهايات للعنصر المناخي لا المتوسطات كما هو معتاد ويكشف البحث احد اهم الخصائص الحرارية في العراق والمتمثلة بالتطرف الحراري.

*أوصى الفريق الدولي المعني باكتشاف التغير المناخي (ETCCDI) باعتماد حوالي (٢٧) مؤشر تعتمد على النهايات في قياسات العنصر المناخي ، للمزيد : etccdi.pacificclimate.org

هدف البحث: يهدف البحث الى تحديد قيم التغير والاتجاه الشهري لدرجات الحرارة الصغرى الأقصى اليومية TN_x لأشهر الربيع خلال مدة الدراسة في العراق.

الحدود المكانية للبحث: وتمثل بخريطة العراق (خريطة ١) التي تحدها من الشمال الجمهورية التركية ومن الشرق الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومن الشمال الغربي الجمهورية السورية والمملكة الأردنية و غرباً، والمملكة العربية السعودية وأخيراً دولة الكويت من الجنوب. فلكياً يقع العراق ما بين دائرتي عرض (١٥ ° ٣ ° ٢٩ °) - (٤٠ ° ٢٢ ° ٣٧ °) شمالاً، وخطي طول (٥٠ ° ٣٣ ° ٤٨ °) - (٥٥ ° ٤٧ ° ٣٨ °) .

الحدود الزمانية: تم اختيار مدة زمنية تمثلت ب ٤٤ سنة (١٩٧٧-٢٠٢٠) لدراسة بيانات درجات الحرارة التي تخلو من فقدان في السلاسل الزمنية والتي يوفرها المركز الاوربي ECMWF.

الحدود النوعية: تم رصد درجات الحرارة اليومية مع فرز درجات الحرارة الصغرى الأقصى اليومية منها والتي تمثل المؤشر TN_x . وذلك بالاعتماد على بيانات المركز الاوربي السالف الذكر.

منهجية البحث: إعتد البحث المنهج الكمي التحليلي في تحليل بيانات الدراسة المتسلسلة بمدة زمنية مناسبة، والموزعة على أشهر الربيع، وهي عبارة عن بيانات يومية تم تصنيفها بجداول خاصة بحسب متطلبات الدراسة. وكذلك المنهج التكاملي، ما بين تكامل بيانات درجات الحرارة المطلوبة للدراسة، واستخدام نظم المعلومات الجغرافية لرسم خرائط التوزيع لمقدار التغير في اتجاهات درجات الحرارة الصغرى الأقصى. و تم تحديد ثمان نقاط موزعة على عموم مساحة العراق، وتم ترميز النقاط الثمان بإحرف باللغة الإنكليزية (جدول ١) لكي يتم تناولها في التحليل ورسم الخرائط.

وتم تنزيل البيانات من المركز الأوربي الآنف الذكر، وبدقة مكانية 0.125 والشبكة من نوع Grid على مواقع النقاط المختارة، إذ تم فك البيانات من صيغة Nc Files من خلال برنامج ال MATLAB الى بيانات Excel لتسهيل التعامل معها. و تطبيق نموذج الانحدار الخطي البسيط في برنامج الإحصاء (SPSS). وتم اعتماد مستوى الدلالة الإحصائية أقل من ٠.٠٥ في قيم sig في التعبير عن قيم المعنوية للنتائج.

وبعدها تم تطبيق معادلة التغير*، ثم معدل التغير السنوي* ثم معدل التغير خلال مدة الدراسة* (القريشي، ٢٠٢١، ١٨٥).

* معادلة التغير: $C = (bi/y) * 100$. إذ أن $C =$ معدل التغير، و $Bi =$ معامل الاتجاه، و $Y =$ المعدل العام.

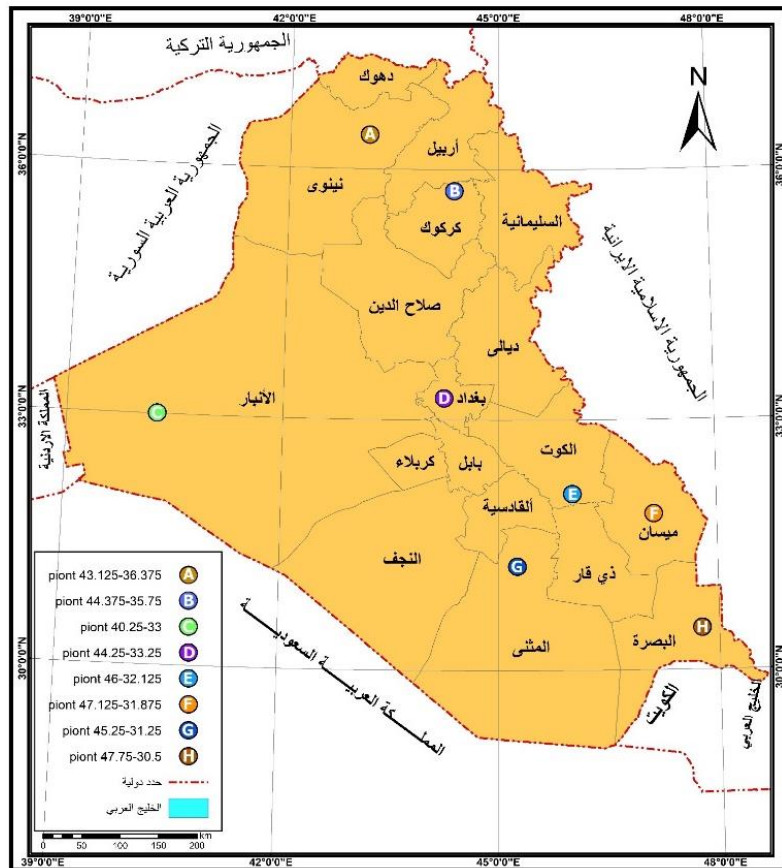
* معدل التغير السنوي يتم من خلال المعادلة: (معامل الاتجاه Bi \ المعدل العام) $\times 100$.

* معدل التغير خلال مدة الدراسة: (المعدل السنوي \times عدد سنوات الدراسة

جدول (١) نقاط الدراسة المختارة مع إحداثياتها على الخريطة

ت	رمز النقطة	خط الطول للنقطة	خط العرض للنقطة
١	A	43.125	36.375
٢	B	44.375	35.75
٣	C	40.25	33
٤	D	44.25	33.25
٥	E	46	32.125
٦	F	47.125	31.875
٧	G	45.25	31.25
٨	H	47.75	30.5

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على برنامج ArcMap في تحديد إحداثيات نقاط الدراسة ووزارة النقل - الهيئة العامة للأبناء الجوية والرصد الزلزالي ، قسم المناخ خريطة (١) موقع الدراسة والنقاط المختارة لتنزيل البيانات



المصدر: من تنفيذ الباحث بالعمل على برنامج ArcMap 10.4.1 والاعتماد على موقع ECMWF

مقدار التغير للقيمة القصوى لدرجة الحرارة الصغرى واتجاهاتها في فصل الربيع:

١. شهر آذار: يتبين من الجدول (2) أن قيم التغير لنقاط الدراسة خلال المدة الزمنية المعتمدة والمشار إليها سابقاً قد إتجهت نحو التزايد، وأعلى قيمة تغير رصدت في النقطة (B) في شمال العراق، إذ بلغت مقدار تغير ٨٠.٠٨% وكان معامل الاتجاه لهذه النقطة موجباً (الشكل B-1) وهو ذو معنوية. ثم تلتها النقطة (A) بمقدار تغير بلغ ٧٠.٤%، كما أن هذه النقطة التي تقع ايضاً في المنطقة الشمالية كانت ذو إتجاه موجب (الشكل A-1) وهي ذو معنوية. وأن الجنوب سجل أدنى مقدار للتغير وبلغ في النقطة (F) ١٧.٦% وكان ذو إتجاه موجب (الشكل F-1) وغير معنوياً. وتظهر الخريطة (2) أن قيم التغير متجهة نحو الارتفاع شمالاً. ويبين الجدول الآنف الذكر أن المعنوية كانت في النقاط الشمالية والغربية والنقطة (H) في اقصى الجنوب، في حين أن نقاط الوسط وباقي نقاط الجنوب لم تكن ذو معنوية.

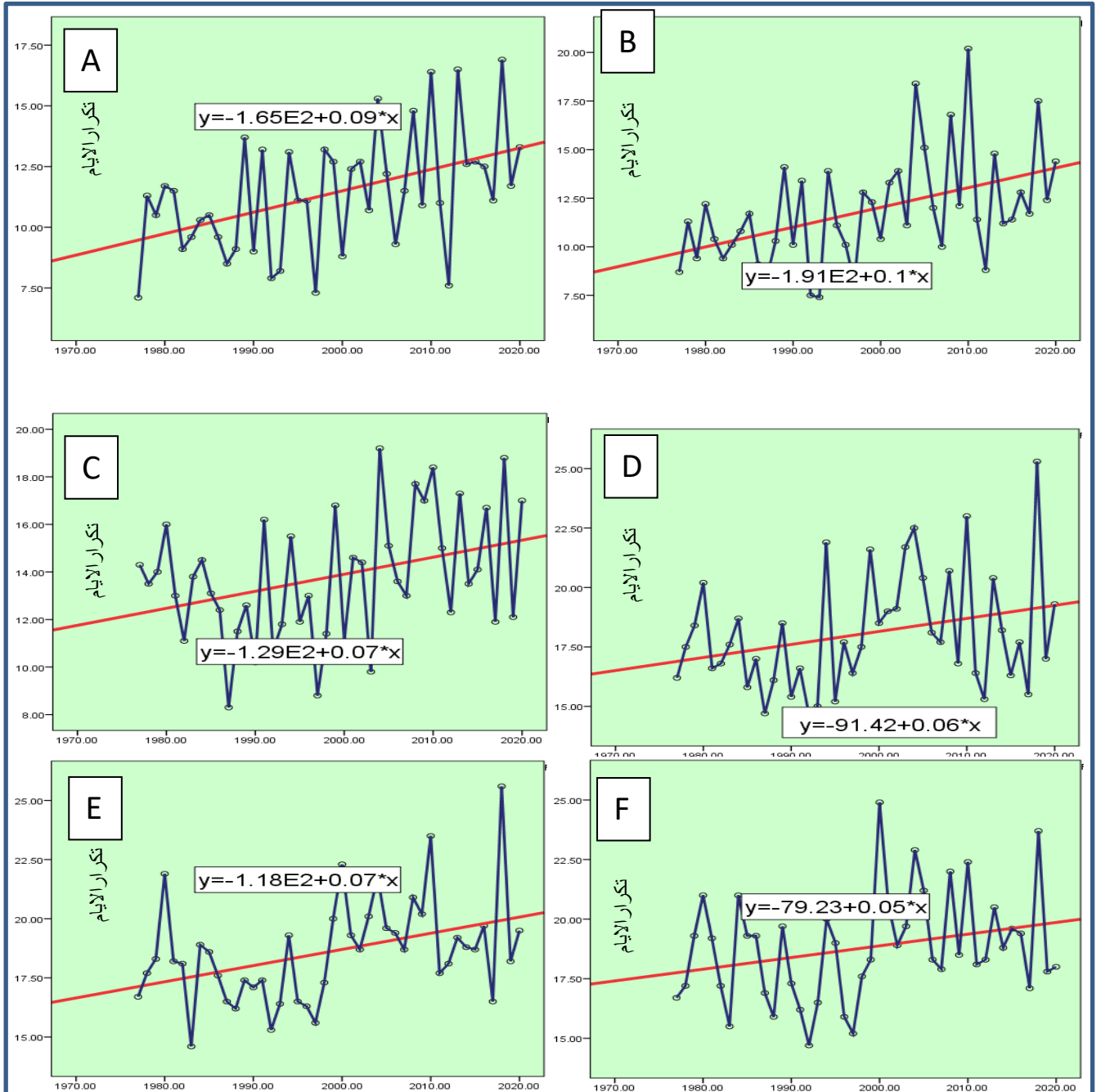
الجدول (٢) المعاملات الخطية لمقدار التغير للقيمة القصوى الشهرية لدرجة الحرارة الصغرى اليومية TN_x لشهر اذار

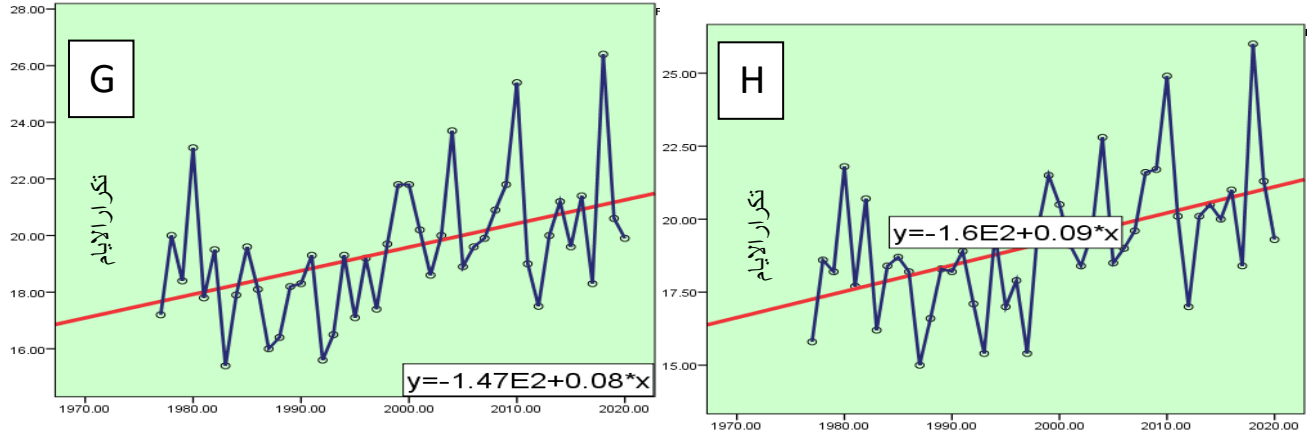
(١٩٧٧ - ٢٠٢٠)

المعاملات الاحصائية	المعدل العام	عدد السنوات	الحد الثابت	معامل الاتجاه (bi)	قيمة الاتجاه	معدل التغير خلال مدة الدراسة %	المعدل السنوي للتغير % (C)	مستوى المعنوية Sig	المعنوية
A	5.5	٤٤	-164.990	0.088	-	70.4	1.60	0.003	معنوي
B	5.6	44	-191.076	0.102	-	80.08	1.82	0.003	معنوي
C	7.7	44	-129.353	0.072	-	41.36	0.94	0.036	معنوي
D	11.3	44	-91.420	0.055	-89	21.56	0.49	0.112	غير معنوي
E	12.2	44	-118.070	0.068	-	24.64	0.56	0.018	معنوي
F	12.4	44	-79.231	0.049	-77.075	17.6	0.40	0.137	غير معنوي
G	12.7	44	-147.104	0.083	-	28.6	0.65	0.005	معنوي

معنوي	0.002	0.74	32.56	-	0.090	-159.892	44	12.2	H
-------	-------	------	-------	---	-------	----------	----	------	----------

المصدر: من عمل الباحث باستخدام معادلات التغير من خلال برنامج SPSS وبيانات المركز الأوربي www.ecmwf.int/en/about

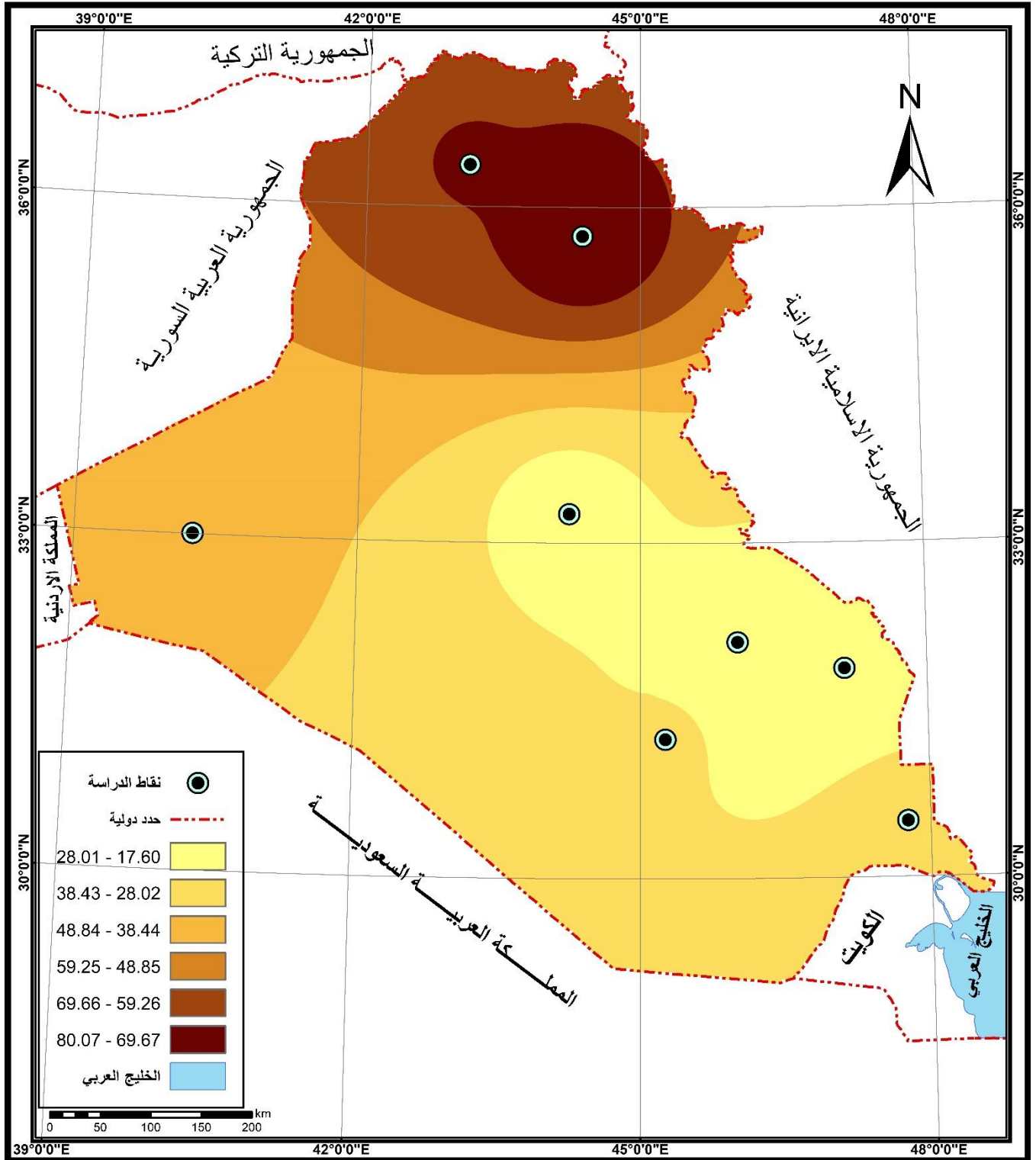




الشكل (١) إتجاه التغير للقيمة القصوى الشهرية لدرجة الحرارة الصغرى اليومية TNx شهر اذار

المصدر: الباحث بالاعتماد على الملحق (١)

الخريطة (٢) التوزيع الجغرافي لمقدار التغير في القيمة القصوى الشهرية



المصدر: من تنفيذ الباحث بالاعتماد على برنامج ArcMap 10.4.1 وبيانات الجدول (٢)

٢. شهر نيسان: يظهر من ملاحظة الجدول (٣) أن أعلى مقدار تغير خلال مدة الدراسة قد سُجل في النقطة (A) الواقعة في المنطقة الشمالية، وكان مقدار التغير ١٩.٨% وبمعامل إلتجاه موجب (الشكل A-2) وغير معنوي. كان مقدار التغير التالي لهذه القيمة هو في النقطتين (E,G) في الجنوب إذ سجلت النقطة (G) مقدار بلغ 7.48% تليها النقطة (E) مقدار 7.04%، وإن معامل الإلتجاه لتلك النقطتين الذي كان موجباً (الشكل E,G-2) قد كان غير ذي معنوية. في حين سجلت النقطتين (C,D) في الغرب ووسط العراق أدنى مقدار تغير قد بلغ في النقطة (C) 1.76%- وفي النقطة (D) مقدار 2.2%-، وكان الإلتجاه السالب لكل من النقطتين غير معنوياً. ويتبين من الجدول المذكور أن مقدار التغير الذي لم يكن معنوياً لكل نقاط الدراسة قد إلتجه نحو التزايد بإلتجاه الشمال، في حين أن التناقص كان واضحاً في الوسط في النقطة (D) والغرب في النقطة (C)، كما يتضح من الخريطة (٣).

الجدول (٣) المعاملات الخطية لمقدار التغير للقيمة القصوى الشهرية لدرجة الحرارة الصغرى اليومية TNx لشهر نيسان

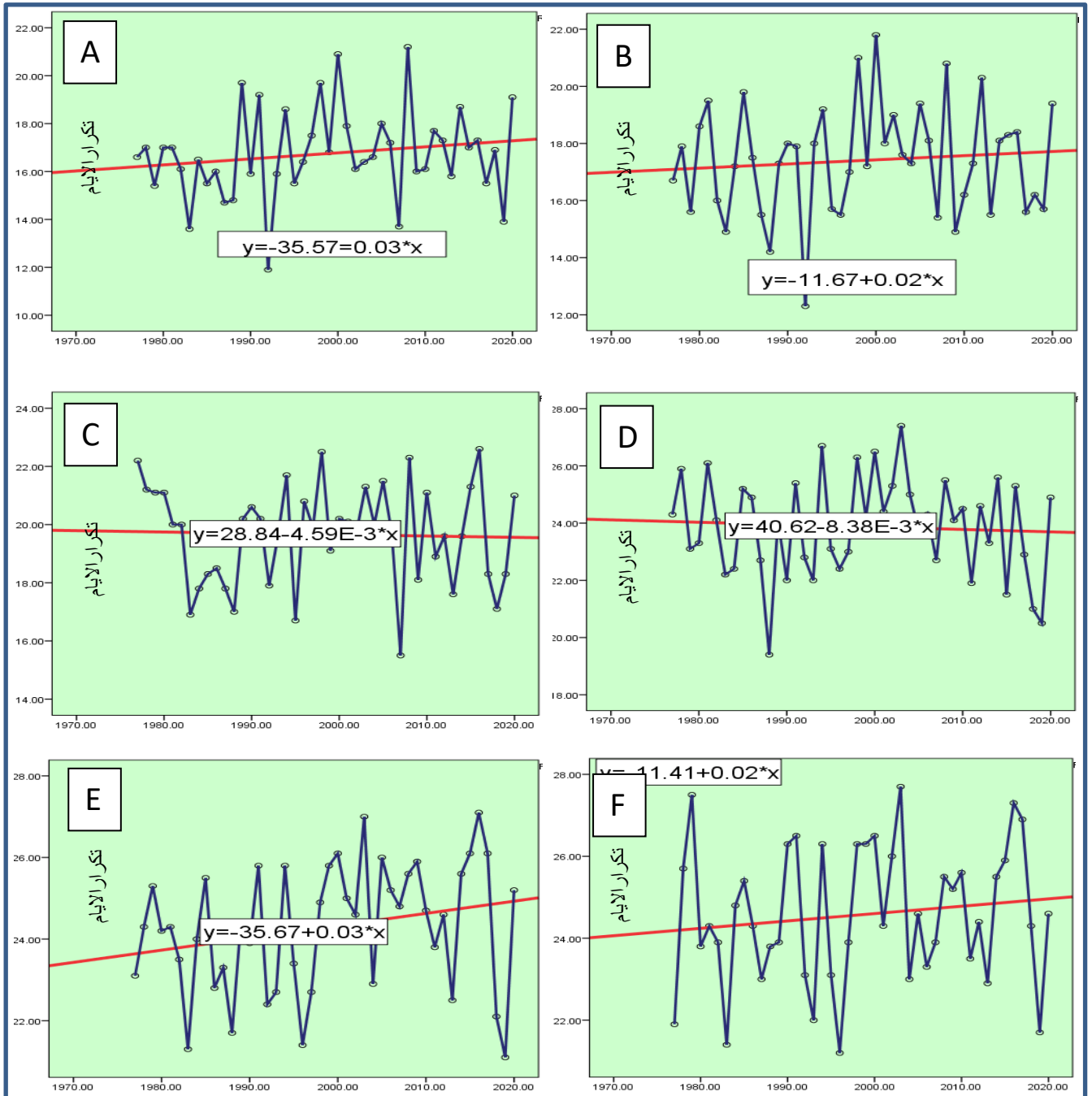
(١٩٧٧ - ٢٠٢٠)

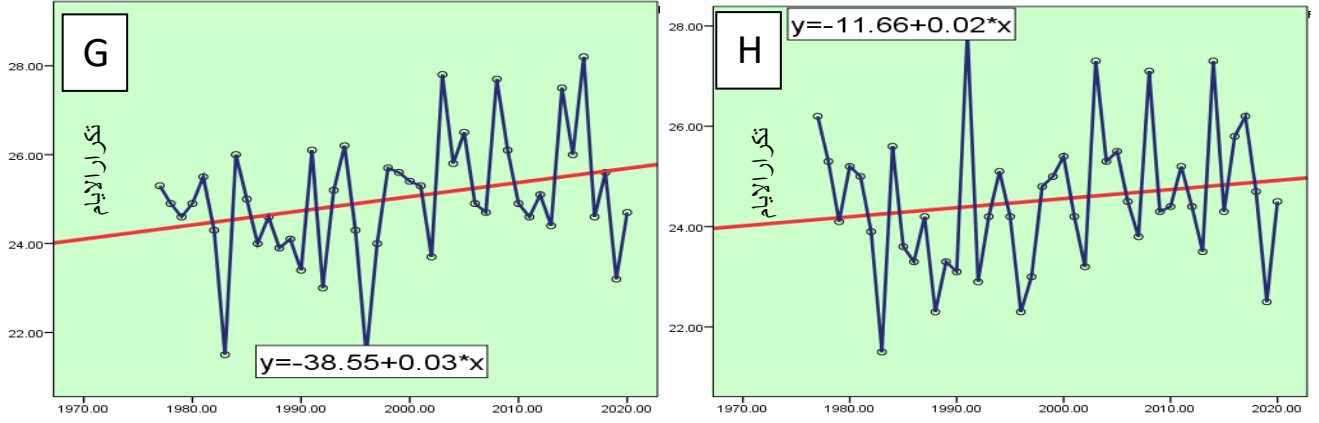
المعاملات الإحصائية	المعدل العام	عدد السنوات	الحد الثابت	معامل الإلتجاه (bi)	قيمة الإلتجاه	معدل التغير خلال مدة الدراسة %	المعدل السنوي للتغير % (C)	مستوى المعنوية Sig	المعنوية
A	5.6	44	-35.567	0.025	-34.467	19.8	0.45	0.450	غير معنوي
B	10.5	44	-11.693	0.015	-11.033	6.16	0.14	0.803	غير معنوي
C	12.6	44	28.842	-0.005	28.622	-1.76	-0.04	0.491	غير معنوي
D	17.2	44	40.621	-0.008	40.269	-2.2	-0.05	0.339	غير معنوي
E	18.2	44	-35.671	0.030	-34.351	7.04	0.16	0.334	غير معنوي
F	18.6	44	-11.409	0.018	-10.617	4.4	0.10	0.776	غير معنوي

غير معنوي	0.238	0.17	7.48	-37.146	0.032	-38.554	44	18.6	G
غير معنوي	0.728	0.10	4.4	-10.872	0.018	-11.664	44	18.0	H

المصدر: من عمل الباحث باستخدام معادلات التغير من خلال برنامج SPSS وبيانات المركز

www.ecmwf.int/en/about الأوربي

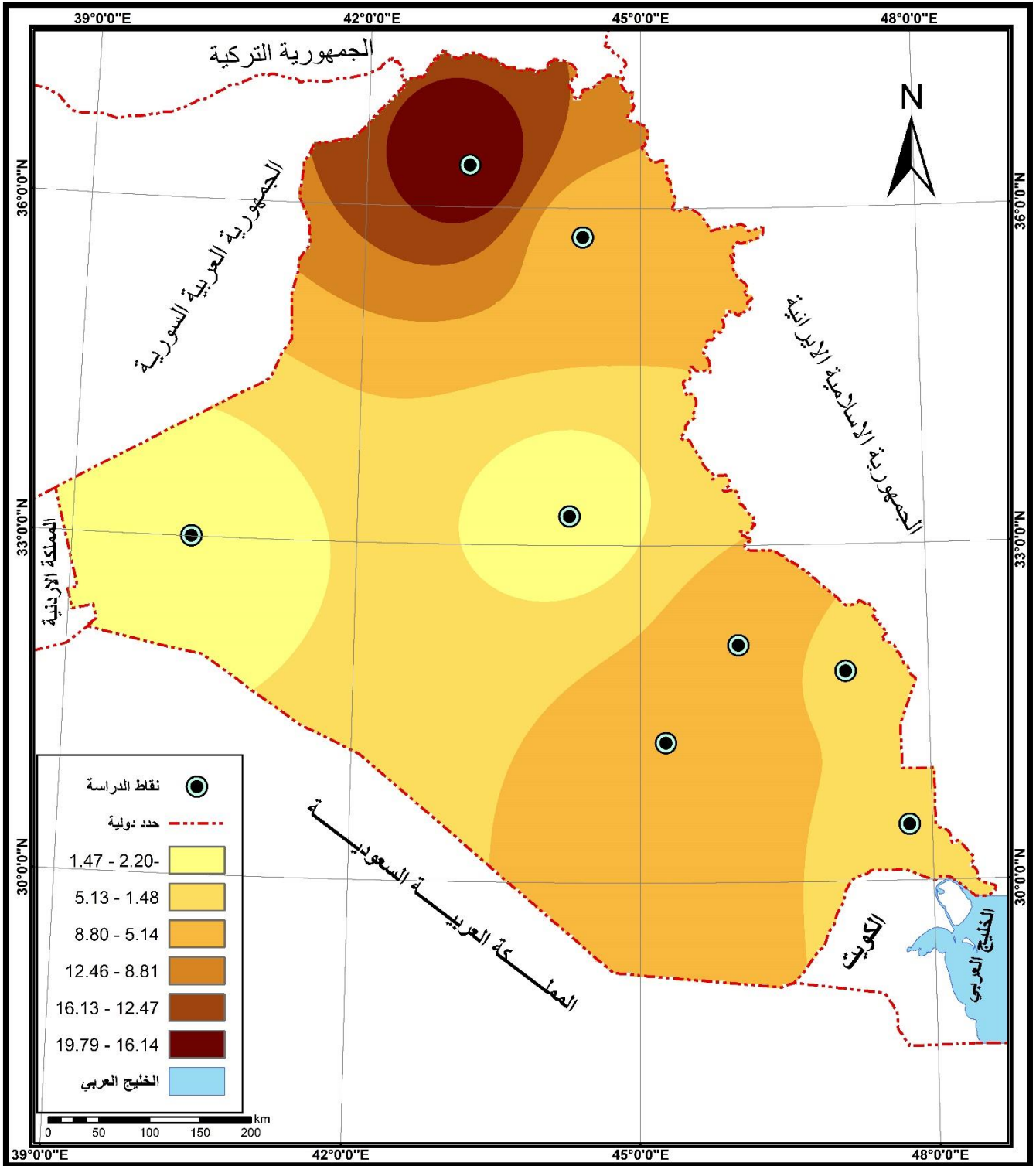




الشكل (٢) إتجاه التغير للقيمة القصوى الشهرية لدرجة الحرارة الصغرى اليومية TNx شهر نيسان

المصدر: الباحث بالاعتماد على الملحق (٢)

الخريطة (٣) التوزيع الجغرافي لمقدار التغير في القيمة القصوى الشهرية



المصدر: من تنفيذ الباحث بالاعتماد على برنامج ArcMap 10.4.1 وبيانات الجدول (٣)
 ٣. شهر آيار: يبين الجدول (٤) أن جميع نقاط الدراسة في شهر آيار قد سجلت قيما متجهة نحو التزايد في مقدار التغير خلال مدة الدراسة، وكان اعلاها في المنطقة الشمالية، إذ سجلت النقطة (A) أعلى مقدار تغير بلغ 18.04%، وكان إتجاه التغير موجب (الشكل A-3) غير ذي معنوية، ثم تلتها النقطة (B) بمقدار تغير 12.46%، في حين أن الاتجاه الموجب (الشكل B-3) للنقطة كان مغايراً للنقطة (A) إذ كان ذو معنوية. وسجل أدنى مقدار تغير في الوسط في النقطة (D) في الجنوب التي بلغ مقدار التغير فيها ٤.٨٤%، وكان الاتجاه الموجب لهذه النقطة (الشكل D-3) غير ذي معنوية. ويظهر من الجدول المذكور أن التزايد في قيم التغير لنقاط الدراسة يأخذ مسراه من الجنوب بإتجاه الشمال (الخريطة 4) كما أن المعنوية سائدة لجميع النقاط عدا النقطة (B).

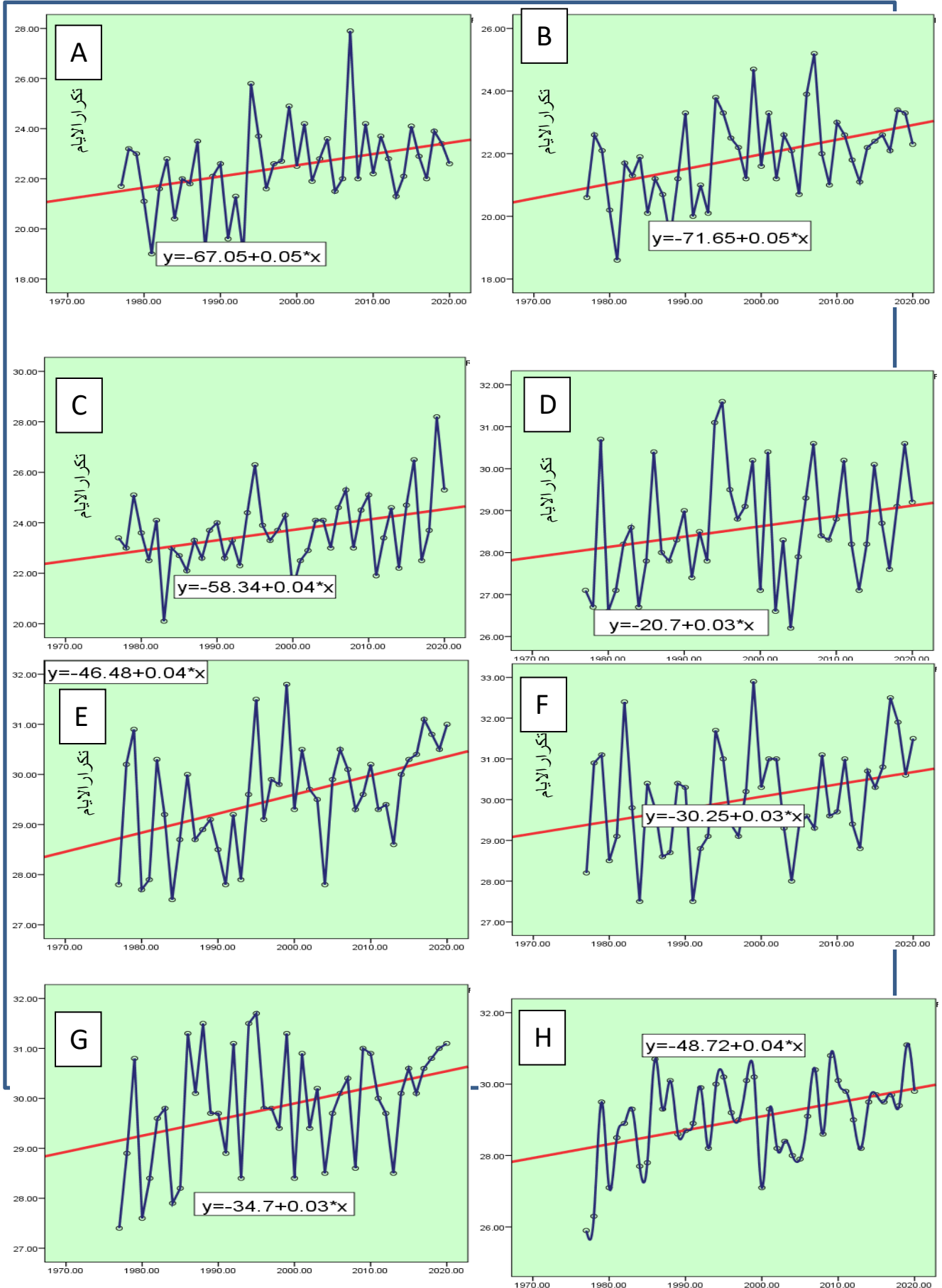
الجدول (٤) المعاملات الخطية لمقدار التغير للقيمة القصوى الشهرية لدرجة الحرارة الصغرى اليومية TNx

لشهر آيار (١٩٧٧ - ٢٠٢٠)

المعاملات الإحصائية	المعدل العام	عدد السنوات	الحد الثابت	معامل الاتجاه (bi)	قيمة الاتجاه	معدل التغير خلال مدة الدراسة %	المعدل السنوي للتغير (C) %	مستوى المعنوية Sig	المعنوية
A	10.9	44	-67.044	0.045	-65.064	18.04	0.41	0.085	غير معنوي
B	16.4	44	-71.664	0.047	-69.596	12.76	0.29	0.020	معنوي
C	17.8	44	-58.342	0.041	-56.538	10.12	0.23	0.074	غير معنوي
D	23.4	44	-20.691	0.025	-19.591	4.84	0.11	0.519	غير معنوي
E	24.7	44	-46.484	0.038	-44.812	6.6	0.15	0.051	غير معنوي
F	25.2	44	-30.252	0.030	-28.932	5.28	0.12	0.313	غير معنوي
G	24.9	44	-34.739	0.032	-33.331	5.72	0.13	0.181	غير معنوي
H	24.1	44	-48.718	0.039	-47.002	7.04	0.16	0.056	غير معنوي

المصدر: من عمل الباحث باستخدام معادلات التغير من خلال برنامج SPSS وبيانات المركز

www.ecmwf.int/en/about الاوربي



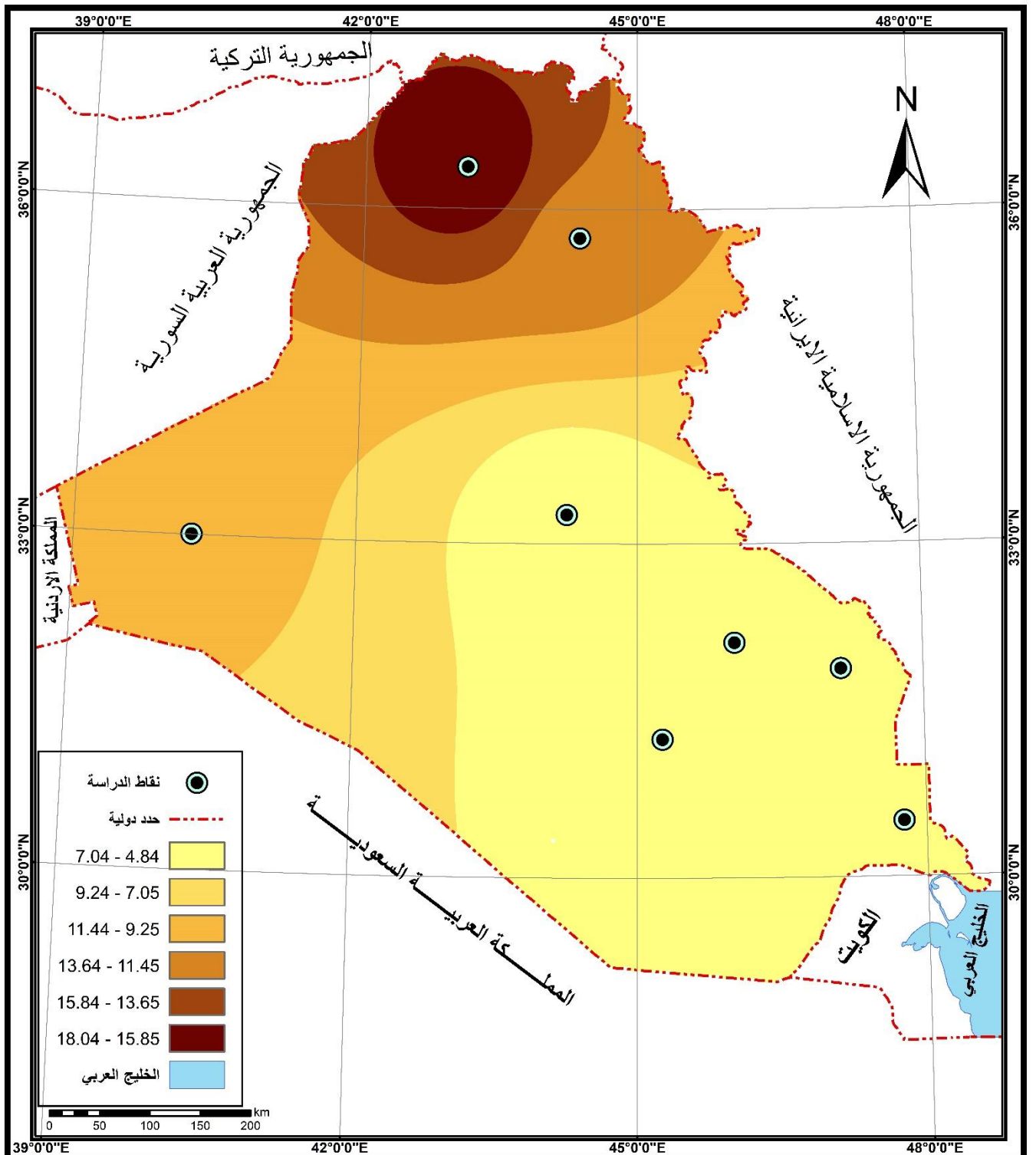
تكرار الأيام

تكرار الأيام

الشكل (٣) إتجاه التغير للقيمة القصوى الشهرية لدرجة الحرارة الصغرى اليومية T_{N_x} شهر آيار

المصدر: الباحث بالاعتماد على الملحق (٣)

الخريطة (٤) التوزيع الجغرافي لمقدار التغير في القيمة القصوى الشهرية



لدرجة الحرارة الصغرى اليومية لشهر آيار

المصدر: من تنفيذ الباحث بالاعتماد على برنامج ArcMap 10.4.1 وبيانات الجدول (٤)

الخلاصة: أظهر البحث ان اعلى قيمة للتغير خلال أشهر الربيع وخلال مدة الدراسة كان في شهر آذار في المنطقة الشمالية (النقطة B) وبلغ ٨٠.٨%، وأدنى مقدار تغير خلال مدة الدراسة بلغ 2.2- % وسط منطقة الدراسة (النقطة D) وذلك في شهر نيسان. وكانت قيم التغير (قيمة معامل الاتجاه bi) موجبة في فصل الربيع عدا النقطتين (C,D) من شهر نيسان اللتان سجلتا اتجاهاً سالباً.

وتبين أن إتجاه التغير في فصل الربيع ولجميع الأشهر الربيعية كان يتجه نحو التزايد في المنطقة الشمالية من منطقة الدراسة، أما قيم الدلالة الإحصائية sig فقد سجلت القيم الغير المعنوية في الأغلب، عدا شهر آذار الذي سجلت فيه النقطتين (D,F) قيما معنوية ، والنقطة (B) من شهر آيار .

المصادر:

١. إبراهيم، عيسى علي، "الأساليب الإحصائية والجغرافيا"، كلية الاداب جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، سنة ١٩٩٩.

2. القريشي، ستار ترف رزاق، مالك ناصر عبود الكناني، "التغير المناخي وتأثيره على الاتجاهات العامة لدرجات الحرارة أيام الانقلاب الصيفي في العراق"، جامعة واسط. سنة ٢٠٢١م.

المصادر باللغة الانكليزية:

1. R. Kaddo, Jameel, " Climate Change: Causes, Eggets, and Solution" , 2016, A with Projects. 164.

الملاحق:

ملحق (٢) قراءات مؤشر TNx								
شهر نيسان								
A	B	C	D	E	F	G	H	السنة
16	16	22	24	23.	21	25	26	19
.6	.7	.2	.3	1	.9	.3	.2	77
17	17	21	25	24.	25	24	25	19
.0	.9	.2	.9	3	.7	.9	.3	78

15	15	21	23	25.	27	24	24	19
.4	.6	.1	.1	3	.5	.6	.1	79
17	18	21	23	24.	23	24	25	19
.0	.6	.1	.3	2	.8	.9	.2	80
17	19	20	26	24.	24	25	25	19
.0	.5	.0	.1	3	.3	.5	.0	81
16	16	20	24	23.	23	24	23	19
.1	.0	.0	.1	5	.9	.3	.9	82
13	14	16	22	21.	21	21	21	19
.6	.9	.9	.2	3	.4	.5	.5	83
16	17	17	22	24.	24	26	25	19
.5	.2	.8	.4	0	.8	.0	.6	84
15	19	18	25	25.	25	25	23	19
.5	.8	.3	.2	5	.4	.0	.6	85
16	17	18	24	22.	24	24	23	19
.0	.5	.5	.9	8	.3	.0	.3	86
14	15	17	22	23.	23	24	24	19
.7	.5	.8	.7	3	.0	.6	.2	87
14	14	17	19	21.	23	23	22	19
.8	.2	.0	.4	7	.8	.9	.3	88
19	17	20	24	24.	23	24	23	19
.7	.3	.2	.1	4	.9	.1	.3	89
15	18	20	22	23.	26	23	23	19
.9	.0	.6	.0	9	.3	.4	.1	90
19	17	20	25	25.	26	26	27	19
.2	.9	.2	.4	8	.5	.1	.9	91
11	12	17	22	22.	23	23	22	19

.9	.3	.9	.8	4	.1	.0	.9	92
15	18	19	22	22.	22	25	24	19
.9	.0	.6	.0	7	.0	.2	.2	93
18	19	21	26	25.	26	26	25	19
.6	.2	.7	.7	8	.3	.2	.1	94
15	15	16	23	23.	23	24	24	19
.5	.7	.7	.1	4	.1	.3	.2	95
16	15	20	22	21.	21	21	22	19
.4	.5	.8	.4	4	.2	.5	.3	96
17	17	19	23	22.	23	24	23	19
.5	.0	.9	.0	7	.9	.0	.0	97
19	21	22	26	24.	26	25	24	19
.7	.0	.5	.3	9	.3	.7	.8	98
16	17	19	24	25.	26	25	25	19
.8	.2	.1	.2	8	.3	.6	.0	99
20	21	20	26	26.	26	25	25	20
.9	.8	.2	.5	1	.5	.4	.4	00
17	18	20	24	25.	24	25	24	20
.9	.0	.1	.4	0	.3	.3	.2	01
16	19	19	25	24.	26	23	23	20
.1	.0	.8	.3	6	.0	.7	.2	02
16	17	21	27	27.	27	27	27	20
.4	.6	.3	.4	0	.7	.8	.3	03
16	17	20	25	22.	23	25	25	20
.6	.3	.0	.0	9	.0	.8	.3	04
18	19	21	23	26.	24	26	25	20
.0	.4	.5	.7	0	.6	.5	.5	05

17	18	19	24	25.	23	24	24	20
.2	.1	.7	.3	2	.3	.9	.5	06
13	15	15	22	24.	23	24	23	20
.7	.4	.5	.7	8	.9	.7	.8	07
21	20	22	25	25.	25	27	27	20
.2	.8	.3	.5	6	.5	.7	.1	08
16	14	18	24	25.	25	26	24	20
.0	.9	.1	.1	9	.2	.1	.3	09
16	16	21	24	24.	25	24	24	20
.1	.2	.1	.5	7	.6	.9	.4	10
17	17	18	21	23.	23	24	25	20
.7	.3	.9	.9	8	.5	.6	.2	11
17	20	19	24	24.	24	25	24	20
.3	.3	.6	.6	6	.4	.1	.4	12
15	15	17	23	22.	22	24	23	20
.8	.5	.6	.3	5	.9	.4	.5	13
18	18	19	25	25.	25	27	27	20
.7	.1	.6	.6	6	.5	.5	.3	14
17	18	21	21	26.	25	26	24	20
.0	.3	.3	.5	1	.9	.0	.3	15
17	18	22	25	27.	27	28	25	20
.3	.4	.6	.3	1	.3	.2	.8	16
15	15	18	22	26.	26	24	26	20
.5	.6	.3	.9	1	.9	.6	.2	17
16	16	17	21	22.	24	25	24	20
.9	.2	.1	.0	1	.3	.6	.7	18
13	15	18	20	21.	21	23	22	20

.9	.7	.3	.5	1	.7	.2	.5	19
19	19	21	24	25.	24	25	24	20
.1	.4	.0	.9	2	.6	.3	.5	20

ملحق (١) قراءات مؤشر TNx								
شهر آذار								
A	B	C	D	E	F	G	H	السنة
7.	8.	14	16	16	16	17	15	19
1	7	.3	.2	.7	.7	.2	.8	77
11	11	13	17	17	17	20	18	19
.3	.3	.5	.5	.7	.2	.0	.6	78
10	9.	14	18	18	19	18	18	19
.5	4	.0	.4	.3	.3	.4	.2	79
11	12	16	20	21	21	23	21	19
.7	.2	.0	.2	.9	.0	.1	.8	80
11	10	13	16	18	19	17	17	19
.5	.4	.0	.6	.2	.2	.8	.7	81
9.	9.	11	16	18	17	19	20	19
1	4	.1	.8	.1	.2	.5	.7	82
9.	10	13	17	14	15	15	16	19
6	.1	.8	.6	.6	.5	.4	.2	83
10	10	14	18	18	21	17	18	19
.3	.8	.5	.7	.9	.0	.9	.4	84
10	11	13	15	18	19	19	18	19
.5	.7	.1	.8	.6	.3	.6	.7	85
9.	9.	12	17	17	19	18	18	19
6	1	.4	.0	.6	.3	.1	.2	86
8.	8.	8.	14	16	16	16	15	19
5	4	3	.7	.5	.9	.0	.0	87
9.	10	11	16	16	15	16	16	19

1	.3	.5	.1	.2	.9	.4	.6	88
13	14	12	18	17	19	18	18	19
.7	.1	.6	.5	.4	.7	.2	.3	89
9.	10	10	15	17	17	18	18	19
0	.1	.2	.4	.1	.3	.3	.2	90
13	13	16	16	17	16	19	18	19
.2	.4	.2	.6	.4	.2	.3	.9	91
7.	7.	10	14	15	14	15	17	19
9	5	.7	.7	.3	.7	.6	.1	92
8.	7.	11	15	16	16	16	15	19
2	4	.8	.0	.4	.5	.5	.4	93
13	13	15	21	19	20	19	19	19
.1	.9	.5	.9	.3	.0	.3	.5	94
11	11	11	15	16	19	17	17	19
.1	.1	.9	.2	.5	.0	.1	.0	95
11	10	13	17	16	15	19	17	19
.1	.1	.0	.7	.3	.9	.2	.9	96
7.	8.	8.	16	15	15	17	15	19
3	2	8	.4	.6	.2	.4	.4	97
13	12	11	17	17	17	19	19	19
.2	.8	.4	.5	.3	.6	.7	.7	98
12	12	16	21	20	18	21	21	19
.7	.3	.8	.6	.0	.3	.8	.5	99
8.	10	11	18	22	24	21	20	20
8	.4	.1	.5	.3	.9	.8	.5	00
12	13	14	19	19	20	20	19	20
.4	.3	.6	.0	.3	.6	.2	.1	01

12	13	14	19	18	18	18	18	20
.7	.9	.4	.1	.7	.9	.6	.4	02
10	11	9.	21	20	19	20	19	20
.7	.1	8	.7	.1	.7	.0	.5	03
15	18	19	22	21	22	23	22	20
.3	.4	.2	.5	.8	.9	.7	.8	04
12	15	15	20	19	21	18	18	20
.2	.1	.1	.4	.6	.2	.9	.5	05
9.	12	13	18	19	18	19	19	20
3	.0	.6	.1	.4	.3	.6	.0	06
11	10	13	17	18	17	19	19	20
.5	.0	.0	.7	.7	.9	.9	.6	07
14	16	17	20	20	22	20	21	20
.8	.8	.7	.7	.9	.0	.9	.6	08
10	12	17	16	20	18	21	21	20
.9	.1	.0	.8	.2	.5	.8	.7	09
16	20	18	23	23	22	25	24	20
.4	.2	.4	.0	.5	.4	.4	.9	10
11	11	15	16	17	18	19	20	20
.0	.4	.0	.4	.7	.1	.0	.1	11
7.	8.	12	15	18	18	17	17	20
6	8	.3	.3	.1	.3	.5	.0	12
16	14	17	20	19	20	20	20	20
.5	.8	.3	.4	.2	.5	.0	.1	13
12	11	13	18	18	18	21	20	20
.6	.2	.5	.2	.8	.8	.2	.5	14
12	11	14	16	18	19	19	20	20

.7	.4	.1	.3	.7	.6	.6	.0	15
12	12	16	17	19	19	21	21	20
.5	.8	.7	.7	.7	.4	.4	.0	16
11	11	11	15	16	17	18	18	20
.1	.7	.9	.5	.5	.1	.3	.4	17
16	17	18	25	25	23	26	26	20
.9	.5	.8	.3	.6	.7	.4	.0	18
11	12	12	17	18	17	20	21	20
.7	.4	.1	.0	.2	.8	.6	.3	19
13	14	17	19	19	18	19	19	20
.3	.4	.0	.3	.5	.0	.9	.3	20

ملحق (٣) قرينة TNx								
شهر آيار								
A	B	C	D	E	F	G	H	السنة
21.7	20.6	23.4	27.1	27.8	28.2	27.4	25.9	1977
23.2	22.6	23.0	26.7	30.2	30.9	28.9	26.3	1978
23.0	22.1	25.1	30.7	30.9	31.1	30.8	29.5	1979
21.1	20.2	23.6	26.6	27.7	28.5	27.6	27.1	1980
19.0	18.6	22.5	27.1	27.9	29.1	28.4	28.5	1981
21.6	21.7	24.1	28.2	30.3	32.4	29.6	28.9	1982
22.8	21.3	20.1	28.6	29.2	29.8	29.8	29.3	1983
20.4	21.9	23.0	26.7	27.5	27.5	27.9	27.7	1984
22.0	20.1	22.7	27.8	28.7	30.4	28.2	27.8	1985
21.8	21.2	22.1	30.4	30.0	29.8	31.3	30.7	1986
23.5	20.7	23.3	28.0	28.7	28.6	30.1	29.3	1987
19.2	19.3	22.6	27.8	28.9	28.7	31.5	30.1	1988

22.1	21.2	23.7	28.3	29.1	30.4	29.7	28.6	1989
22.6	23.3	24.0	29.0	28.5	30.3	29.7	28.7	1990
19.6	20.0	22.6	27.4	27.8	27.5	28.9	28.9	1991
21.3	21.0	23.3	28.5	29.2	28.8	31.1	29.9	1992
19.0	20.1	22.3	27.8	27.9	29.1	28.4	28.2	1993
25.8	23.8	24.4	31.1	29.6	31.7	31.5	30.0	1994
23.7	23.3	26.3	31.6	31.5	31.0	31.7	30.2	1995
21.6	22.5	23.9	29.5	29.1	29.4	29.8	29.2	1996
22.6	22.2	23.3	28.8	29.9	29.1	29.8	29.0	1997
22.7	21.2	23.7	29.1	29.8	30.2	29.4	30.1	1998
24.9	24.7	24.3	30.2	31.8	32.9	31.3	30.2	1999
22.5	21.6	21.4	27.1	29.3	30.3	28.4	27.1	2000
24.2	23.3	22.5	30.4	30.5	31.0	30.9	29.3	2001
21.9	21.2	22.9	26.6	29.7	31.0	29.4	28.2	2002
22.8	22.6	24.1	28.3	29.5	29.3	30.2	28.4	2003
23.6	22.1	24.1	26.2	27.8	28.0	28.5	28.0	2004
21.5	20.7	23.0	27.9	29.9	29.4	29.7	27.9	2005
22.0	23.9	24.6	29.3	30.5	29.6	30.1	29.1	2006
27.9	25.2	25.3	30.6	30.1	29.3	30.4	30.4	2007
22.0	22.0	23.0	28.4	29.3	31.1	28.6	28.6	2008
24.2	21.0	24.5	28.3	29.6	29.6	31.0	30.8	2009
22.2	23.0	25.1	28.8	30.2	29.7	30.9	30.1	2010
23.7	22.6	21.9	30.2	29.3	31.0	30.0	29.8	2011
22.8	21.8	23.4	28.2	29.4	29.4	29.7	29.0	2012
21.3	21.1	24.6	27.1	28.6	28.8	28.5	28.2	2013
22.1	22.2	22.2	28.2	30.0	30.7	30.1	29.5	2014
24.1	22.4	24.7	30.1	30.3	30.3	30.6	29.7	2015

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، الجزء ٢ العدد ٢٦ بتاريخ ٢٠٢٣/٦/١٥

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

22.9	22.6	26.5	28.7	30.4	30.8	30.1	29.5	2016
22.0	22.1	22.5	27.6	31.1	32.5	30.6	29.7	2017
23.9	23.4	23.7	29.1	30.8	31.9	30.8	29.4	2018
23.4	23.3	28.2	30.6	30.5	30.6	31	31.1	2019
22.6	22.3	23.4	29.2	31.0	31.5	31.1	29.8	2020

الوحدة الإنسانية من منظور القرآن الكريم

م.د. علي ضيفم طاهر

جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص

وضع القرآن الكريم أسس ومبادئ الوحدة الإنسانية وخط لها قيماً وأصولاً، ويشدّد القرآن دائماً على الوحدة المتأصلة بين جميع البشر وتساويهم في الإنسانية بغض النظر عن أصولهم. وتتمثل الوحدة الإنسانية في القرآن في وحدة النوع الإنساني التي تعني اشتراك جميع أفراد البشرية في أصل هذا النوع، وبعبارة أخرى إن النوع الإنساني موجود في كل واحد منّا؛ لأن حقيقة كل إنسان هي أنه كائن مركب من الروح والجسد ويشارك أفراد جنسه بصفات مشتركة. وتتمثل في وحدة الرابطة النسبية التي توحد النوع الإنساني في أب واحد وأم واحدة، فالنوع البشري بأكمله ينحدر من هذين الشخصين. وتتمثل أيضاً في الوحدة الدينية التي تعني أن أتباع الأنبياء هم أمة واحدة؛ لأنهم يشتركون في هدف ونهج واحد. وكذلك تتمثل في وحدة الكرامة التي تعني أن الناس متساوون في الكرامة الإنسانية، وايضاً تتمثل في دعوة القرآن الى القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري وتعزيز أواصر الأخوة والوحدة البشرية والتعاون العالمي.

الكلمات المفتاحية: القرآن. النوع الانساني. الوحدة الإنسانية. القيم الإنسانية

Human Unity from Qur'anic Point of View

Abstract

The Qur'an initiates the basics and principles of human unity, and establishes values assets for it. the Qur'an emphasizes the intrinsic unity of all human beings and their equality, whatever their origins.

The human unity in the Qur'an represented by: Unity of human species, which means the participation of all members of the human race in the origin of the species, in other words the whole of humankind is in each one of us, Because the truth of every human being is that it is made up of spirit and body. And the unity of the relative bond that unites the human race in one father and one mother, that the entire human race is descended from these two persons. Religious unity which means that the followers of the prophets are one nation; because they share one goal and approach. And the unity of dignity which means that people are equal in human dignity, and the human unity is also represented by the Quranic call for the elimination of all forms of racial discrimination and in strengthening the bonds of brotherhood, human unity and global cooperation.

Keywords: The Qur'an. Humankind. Human unity. Human values.

المقدمة

إن البحث عن الوحدة الإنسانية من المنظور القرآني، يكشف لنا عمق العلاقة القائمة بين الأخلاق والدين، ويكشف لنا سعة دائرة النزعة الإنسانية في نصوص الآيات، وكثرة ما يختص منها بالمسائل والقضايا الإنسانية المشتركة الحاكية عن الوحدة الإنسانية الشاملة والمتكاملة، ويكشف عن مكانة الإنسان الخاصة في القرآن ودوره في الحياة، ويدحض الرؤية النقدية الأخرى التي تنظر إلى الدين الإسلامي كمصدر من مصادر التعصب والجمود والعنف، وهي رؤية مستندة إلى التوقف عند ظواهر النصوص، وإهمال البحث حول كرامة الإنسان والنزعة الإنسانية في القرآن الكريم. ومن يشاهد تفكك المجتمعات البشرية وتشرذمها والإنتهاكات المستمرة لكرامة الإنسان وحقوقه؛ يدرك الحاجة المؤكدة إلى إحياء النزعة الإنسانية القرآنية القادرة على توحيد البشرية تحت راية الإنسانية والتوحيد.

يهدف هذا البحث إلى تقديم مقاربات تحليلية لمفهوم الوحدة الإنسانية في ضوء نصوص القرآن الكريم، ولا نعني بالوحدة الإنسانية إعدام التنوع والاختلاف بين أبناء الجنس البشري، فهذا ضرب من التجريد، فالوحدة هي الأمر الجامع من جهة أنه مشتمل على أمر مشترك بين جميع أفرادها؛ بحيث أن كل الأفراد تدخل في وحدة كلية. ولا نعني بالإنسانية، النزعة الإنسانية بمفهومها المعاصر وهي النظرة التي تتخذ من الإنسان محوراً لتفكيرها، وقيمتها العليا، وتعتبره كياناً فردياً ليس له أي علاقة أخلاقية مع الآخرين. وإنما نعني بالإنسانية: مفهوم جامع يدل على الطبيعة النوعية الموجودة في جميع الأفراد، وعلى ما اختص به الإنسان من الصفات المشتركة، وهو يشير أيضاً إلى قيم معينة ترتبط بذلك المفهوم، كاحترام الكائن البشري وتكريم الإنسان، وإشاعة السلام وروح الإخاء والتعاون والرحمة والرأفة والعطف في المجتمعات البشرية. جاء في المعجم الفلسفي: «الإنسانية تدل على ما اختص به الإنسان من الصفات، وأكثر استعمال هذا اللفظ في العربية، إنما هو للمحامد، نحو الجودة، والكرم، وغيرها»^(١). فالوحدة الإنسانية تعني: أن النوع الإنساني نوع واحد والإنسان حقيقة نوعية واحدة، وتتجلى هذه الوحدة الإنسانية في وحدة التكوين والحلق ووحدة الأصل، ووحدة الهدف والمقصد، ووحدة الرّب، كما تتجلى في القيم الإنسانية المشتركة التي تعزز إنسانية الإنسان وكرامته.

أولاً: وحدة التكوين الإنساني

توافقت الأديان السماوية على القول بأن الله قد خلق الإنسان مركباً من جزئين ومؤلفاً من جوهرين؛ مادة بدينية أصلها الطين، وجوهر مجرد هي النفس والروح، وهما متلازمان مادامت الحياة الدنيوية، فإذا مات فارق روحه بدنه، فالروح والبدن هما المكونان للحقيقة الإنسانية التي تمثل جوهر كل إنسان، وقد أشار القرآن بوضوح إلى خلق هذا النوع من هذين المبدئين، وتساوي أفرادها في أصل الخليقة، وهو ما نطلق عليه الوحدة الإنسانية في التكوين:

– وحدة التكوين المادي

يخبرنا الله سبحانه في عدد من آي الذكر الحكيم بأن التراب هو المادة الأولى في خلق الإنسان؛ منها ما كان الحديث فيها عن خلق الإنسان الأول – آدم عليه السلام –، ومنها ما كان الحديث فيها عن خلق الإنسان النوعي الذي يشمل الناس كافة.

وقد ذكر الله عزوجل ذلك في ستة مواضع منها قوله سبحانه: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ} (٣: ٥٩) ويقصد بهذا التشبيه؛ أن شأن عيسى كشأن آدم خلقه الله من غير أب كما خلق آدم من تراب من غير أم ولا أب، وقوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} (٢٠: ٣٠)، {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} (٣٥: ١١)، وخلق الناس من التراب؛ إما أن يكون إشارة إلى خلق الإنسان الأول، أي آدم -عليه السلام-، أو إلى خلق جميع الناس من التراب^(٢)؛ لأن جميع المواد التي يتشكل منها جسم الإنسان وتتعد منها النطفة ترجع إلى المواد الموجودة في التراب.

كما تشير آية أخرى إلى أن مبدأ خلق الإنسان هو الماء: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا} (٢٥: ٥٤)، أي إن الإنسان الأول خُلِقَ من ماء وهو الماء الذي حَمَر به طينته، أو المراد نوع الإنسان الشامل لجميع أفراد نسل آدم، أي خُلِقَ من النطفة إنساناً، ثم جعله يمر بالمراحل التي يطوئها في عالم الجنين.

وقد بين القرآن الطور الآخر، وهو خُلِقَ الإنسان من طين، قال عز وجل: {إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ} (٣٨: ٧١)، وقال: {وَوَخَّلَفْتُهُ مِنْ طِينٍ} (٧: ١٢)، والطين هو الماء والتراب، وقال سبحانه: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} (٩٩: ٢٦)، والصلصال طين يابس، والحما طين متغير إلى السواد، والمسنون طين متغير يمكن تكييفه بسهولة، وقال: {إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ} (٣٧: ١١)، والطين اللازب هو الطين الملتصق بعبه ببعض.

وعن ابن عباس قال: اللازب، والحما، والطين واحد، كان أوله تراباً، ثم صار حمأ منتناً، ثم صار طيناً لا زباً فخلق الله منه آدم^(٣). فالطين بشتي أنواعه ماء وتراب، وأصل الإنسان الأول من سلالة من طين، ثم أنشأ نسله من نطفة تنتهي أيضاً إلى الطين، كما في قوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ} * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ { (٢٣: ١٢-١٣)، فإن النطفة تتكون من الغذاء، والغذاء يتكون من نبات الأرض، والنبات يتكون من عدد من العناصر المكونة لتراب الأرض، وهذه العناصر هي نفسها المكونة لبدن كل إنسان، وعليه فالإنسان الأول ونسله جميعاً أصلهم التراب؛ ولكن هذا التركيب المادي موات لا حياة فيه حتى تحل فيه الروح التي هي من أمر الله سبحانه.

- وحدة التكوين الروحي

بعد أن ذكر القرآن المادة التي خُلِقَ منها الإنسان ومراتب الخلقة الجسمانية، ذكر أن الإنسان ينطوي وجوده على حقيقة جوهرية أخرى مغايرة لجنس البدن، لا تتجلى فيها صفات المادة، تلك هي الروح التي هي خُلِقَ آخر، أضافها الله إلى بدنه فجعله ذا نفس إنسانية حيّة؛ كما في قوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ} * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ الْخَالِقِينَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (٢٣: ١٢-١٤)، وإن إنشاء هذا الإنسان خلقاً آخر ناظر إلى كينونة الروح وهي النفس الإنسانية، خلقها الله بعد أن خلق الجسد، وفي صياغة أخرى ذكر تعالى أنه نفخ في الجسد المادي للإنسان الأول من روحه، قال تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} (١٥: ٢٨-٢٩)، وقال: {ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ} (٣٢: ٧-٩)، وفي ذلك كناية عن إيجاده تعالى الروح الإنسانية بما لها من الرابطة والتعلق بالبدن^(٤)، وأضافها سبحانه إلى نفسه تكريماً وتشريفاً؛ فهي من سنخ أمر الله تعالى {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} (١٧: ٨٥).

وإن تساوي جميع البشر في أصل الخلقة وجوهر الإنسانية؛ يلزم منه مساواتهم في الإعتبار الإنساني، والحقوق الإنسانية، فلا فرق بين إنسانية الرجل والمرأة، والأسود والأبيض، والعربي والعجمي، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم، ومن هنا عدّ القرآن الإعتداء على أي نفس إنسانية بمثابة إعتداء على الإنسانية كلها، وإنقاذ أي نفس إنقاذ للناس جميعاً، وقرّر ذلك في قوله: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} (٥: ٣٢)، يقول العلامة الطباطبائي: أن في الآية «كناية عن كون الناس جميعاً ذوي حقيقة واحدة إنسانية متحدة فيها، الواحد منهم والجميع فيها سواء، فمن قصد الإنسانية التي في الواحد منهم فقد قصد الإنسانية التي في الجميع...»^(٥).

ثانياً: وحدة النسب واختلاف الأعراق

ثمّة مجموعة من الآيات تؤكد الوحدة الإنسانية بشكل صريح؛ من خلال إرجاعها الناس الى نفس واحدة أو الى زوجين متماثلين، كقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} (٦: ٩٨)، و{خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} (٣٩: ٦)، و{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...} (٤: ١)، والخطاب في (أَنْشَأَكُمْ) و(خَلَقَكُمْ) و(يَا أَيُّهَا النَّاسُ) موجّه الى البشرية جميعاً، ولا يختص بعنصر أو قبيلة أو طائفة أو فئة، وظاهر هذه الآيات ونظائرها: أن المراد بالنفس الواحدة (آدم) وبزوجها (حواء)، فهما أصل هذا النسل الموجود الذي ينتهي اليهما، وإن كلاً من النفس الواحدة وزوجها خلقاً من أصل واحد، وهذا الأصل هو التراب، فهما متماثلان في أصل الإنسانية وقيمتها، والبشر الموجودون مرجعهم الى هذين الفردين المتماثلين^(٦).

وتذكير البشر بأنهم من نفس واحدة يجعل البشرية بمثابة الجسد الواحد والأمة الواحدة، «فإننا قد نستوحي من عنوان "النفس الواحدة" الرفض القرآني لكل جوانب التمييز العنصري والعنصري واللوني واللغوي والجغرافي، فإن هذه العناصر المتنوعة لا تمثل عمقاً في إنسانية الإنسان المتمثلة في نفس واحدة، بل هي من الأمور الطارئة في حركة وجوده»^(٧).

ومن أجل الحفاظ على هذه الوحدة الإنسانية بين جميع البشر، أمرهم الله وأوصاهم أن يتعاونوا ويتآزرُوا ويتضامنوا ويتراحموا فيما بينهم، وهذا ما يفهم من مطلع سورة النساء في: {أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ..}، ومن هنا يمكن أن يقال أن في هذه الآيات ونظائرها إشارة أخلاقية تتضمن دعوة الجنس البشري الى التواد والتراحم، «وفي الإخبار بأنه خلقهم من نفس واحدة، و أنه بثهم في أقطار الأرض، مع رجوعهم إلى أصل واحد- ليعطف بعضهم على بعض، و يرقق بعضهم على بعض»^(٨)، وقال الطبري: «ومنبههم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة، وأن بعضهم من بعض، وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه، لإجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة، وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض، وإن بُعد التلاقي في النسب إلى الأب الجامع بينهم، مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب»^(٩).

ويرى بعض المفسرين أن تكاثر النسل البشري قد تم عن طريق آدم وحواء، ثم عن طريق أولاد آدم في الطبقة الأولى

من أولاده، أي بدون أن يشاركهما في ذلك عنصر غير إنساني من ذكر أو أنثى، وقد استفاد هذا من ظاهر إطلاق قوله تعالى: { وَبَتَّ مِنْهُمَا رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً }^(١٠).

ويخبر الله تعالى بأنه جعل الناس متفرعين من أصل واحد إلى شعوب وقبائل؛ ليحصل التعارف فيما بينهم في قوله: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (٤٩: ١٣)، فالخطاب بـ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) خطاب عام يشمل الكل؛ ويعني أنكم ترجعون في أنسابكم إلى ذكر واحد هو أبوكم آدم وأنثى واحدة هي أمكم حواء -عليهما السلام-، وجعل منهما شعوباً وقبائل منتشرة، وجعلت هذه الآية التقوى معياراً للقيم الإنسانية وللكرمة عند الله وميزاناً واقعياً للتمايز و«التفاضل قائم بالأمور الدينية فقط وما عداه فالناس متساوون فيه»^(١١).

وقد تجلّى هذا المعنى الإنساني في سيرة الرسول الأعظم في ما روي عن جابر بن عبد الله أنه قال: خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في خطبة الوداع فقال: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ" ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فليبلغ الشاهد الغائب»^(١٢).

- التعدد والتنوع في إطار الوحدة الإنسانية

من يدقق في النصوص القرآنية يجد أنها تشير بوضوح إلى أن نظام الخلق قائم على أساس النظام الأحسن والأكمل الذي لا يمكن تحيّل نظاماً أفضل وأجمل منه، { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ } (٣٩: ٧)، وهو نظام تابع لحكمة متعالية لا يمكن التخلف عنها، وما اختلاف وتنوع المخلوقات إلا سنة من سنن الطبيعة تسير وفق هذا النظام الدقيق، وتتحرك نحو الكمال المعد لها، فبالرغم من أن جميع البشر مشتركون في الخصائص الإنسانية إلا أن الاختلاف من لوازم الإنسان ولا يفارقه، فهناك مميزات فردية وعرقية يمتاز بها البشر، وقد عدّ القرآن الكريم اختلاف المجموعات البشرية في الألوان والألسن من آيات الله ومن براهينه العلمية التي تتجلّى فيها عظمة الخالق، قال -عزّ وجلّ-: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاختلافُ األَسْنَانِ وَالْوَالِدَاتُ إِذَا رَضَىٰ بِمَا رَزَقْنَاهُنَّ لِحُسْنِ الْوَالِدَاتِ وَالْأَسْنَانِ وَالْأَلْوَانِ } (٣٠: ٢٢)، وفي هذه الآية تنبيه لما في ذلك الاختلاف والتنوع من المنافع الجليلة؛ فقد إقتضت الحكمة الإلهية هذا التنوع العجيب في اللغات والألوان؛ ليكون سبيلاً للتنوع في الخصائص الذاتية التي يتبعها التنوع في الخصائص الحضارية؛ وليكون الاختلاف وسيلة إلى التكامل لا وسيلة للتدافع والصراع. وهذه الحكمة يدركها العلماء الذين يتعرفون على أسرار وفوائد هذا التنوع؛ ولذلك يقول القرآن في نهاية الآية الآتفة الذكر: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ }؛ بل إن هذا التنوع والاختلاف هو منشأ للوحدة الإنسانية كما يقول عالم الاجتماع ادغار موران: «ثمة وحدة إنسانية وثمة تنوع إنساني، هناك وحدة داخل التنوع الإنساني وثمة تنوع داخل الوحدة الإنسانية»^(١٣)، وعلى الأفراد والمجتمعات البشرية الإقرار بهذه السنة واستثمارها، والإنتفاع بكل الخصوصيات والتجارب والأفكار المتنوعة لدى الشعوب بعيداً في عن روح العصبية، وكما قال علي-عليه السلام-: «لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا فإذا استووا هلكوا»^(١٤)، كما عليهم أن ينظروا إلى هذه الاختلافات على أنها عرضية لا تمس جوهر

الإنسان، ومن هنا صرح بعض المفسرين إلى أن الأوصاف المذكورة في الآية (اللون واللغة)، متعلقة بأحوال عرضية في الإنسان ملازمة له^(١٥).

ثالثاً: وحدة الدين وتنوع الشرائع السماوية

الرسالات السماوية حلقات متصلة في سلسلة الوحي الإلهي غير منفصلة عن بعضها البعض، منسجمة فكراً وعملاً وهدفاً، تلقاها الأنبياء وحيّاً من الله في حركة تكاملية عبر الزمن، تكون فيها الرسالة اللاحقة استكمالاً لسابقتها؛ ولهذا يقول عيسى المسيح -عليه السلام-: «لا تظنّوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل»^(١٦)، كما روي عن النبي الأكرم محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-: أنه قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١٧)، وجاء القرآن الكريم ليبيّن بأن الأنبياء هم أمة واحدة ويشكلون القدوة الحسنة للبشرية.

إن أحد معاني (الأمة) في التصور القرآني هي الجماعة التي تنتسب إلى عقيدة واحدة، وتنهج نهجاً واحداً، وليس إلى رابطة الأنساب والأقوام والأوطان والألسنة، وهذا التصور أليق بإنسانية الإنسان.

وقد ذكر الراجب أن أصل الأمة: الجماعة، وتطلق على الجماعة الذين تربطهم رابطة إجتماع يُعدّون بها كياناً واحداً، قال: «الأمة: كل جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد»^(١٨)؛ وبما أن دعوة الله التي حملها الأنبياء، دعوة واحدة، ذات هدف واحد، فكلهم أمة واحدة تدين بعقيدة واحدة وتنهج نهجاً واحداً وتعبّد لها واحداً.

وقد ورد في الذكر الحكيم آيتان تؤكدان على وحدة رسالة الأنبياء، ووحدة أمّتهم في عبادة الله الواحد وتقواه والرجوع إليه، وهما الآية (٩٢) من سورة الأنبياء: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}، والآية (٥٢) من سورة المؤمنون: {وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}، ومما يلفت النظر وحدة المعنى في الآيتين مع فارق بسيط، فإن كل واحدة منهما جاءت في سياق ما ذكر من شأن جماعة الأنبياء -صلوات الله عليهم-، ثم الإشارة إلى أن أتباع الأنبياء يشكلون أمة واحدة ويجمعهم هدف ومنهج واحد؛ لذلك رجّح كثير من المفسرين أن يكون معنى (أمة) في هذين الآيتين، هو الملة، وأن يكون المراد: أن جميع أنبياء الله ورسله على ملة واحدة ودين واحد^(١٩)، ومقتضى ذلك أن يكون أمم الأنبياء أمة واحدة، كونهم على دين التوحيد والإنقياد لله وحده؛ ومن هنا جاء قوله: {هَذِهِ أُمَّتُكُمْ} في الآيتين؛ خطاباً للناس كافة دون استثناء «والمعنى عليكم أيها الناس أن تدينوا جميعاً بدين التوحيد الذي كان عليه الأنبياء، وأن تعبّدوا الواحد الأحد»^(٢٠)، وأما لو قلنا أن الخطاب للرسالة خاصة، فإنه أيضاً يقصد منه تبليغ ذلك لأتباعهم ليعلموا أن دين الله واحد^(٢١)، والجمع بين الآيتين يوضح وحدة الرسالة ووحدة الأمم في عبادة الله الواحد وتقواه، «فالبشر ليس إلا أمة واحدة لها رب واحد هو الله عز اسمه ودين واحد هو دين التوحيد يُعبّد فيه الله وحده»^(٢٢).

وعندما يقول الله سبحانه: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} (٣: ١٩)، فإن الظاهر منه إرادة الإسلام بمعناه العام الشامل لجميع الرسالات السماوية، ويتناول جميع الملل التي جاء بها الأنبياء؛ لأنه هو روحها الكلي وجوهرها الذي اتفقت فيه، فجميع أديان الأنبياء تضمنت الإيمان بالله والوحي والبعث وإن اختلفت في الفروع والأحكام^(٢٣)، «إن الدين عند الله سبحانه واحد لا اختلاف فيه لم يأمر عباده إلا به، ولم يبيّن لهم فيما أنزله من الكتاب على أنبيائه إلا إياه، ولم

ينصب الآيات الدالة إلّا له وهو الإسلام الذي هو التسليم للحق الذي هو حق الاعتقاد وحق العمل^(٢٤)، وقد تعدّدت الآيات التي اعتبرت الإسلام دين كل الأنبياء، وقد وصف القرآن عدداً منهم بأنهم مسلمون^(٢٥).

وفي مقابل وحدة الدين تتنوّع الشرائع، فلكل واحدة منها ما يلائم زمانها ومكانها وطبيعتها، واستعداداتها، ويشير بوضوح قوله تعالى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} (٣: ٤٨)، الى أن الحكمة من إرسال الرسل تباعاً وتعدّد الشرائع السماوية، وتعدّد الكتب التي جاؤوا بها هي «أن الشرائع العملية تختلف باختلاف أحوال الاجتماع وطبائع البشر واستعداداتهم وإن اتفق الرسل جميعاً في أصل الدين، وهو توحيد الله والإخلاص له»^(٢٦).

كما أن في قوله تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى} (٤٢: ١٣)، تنويه بوحدة الدين، وتعدّد الشريعة، فعبارة (من الدين) تبين أن الدين هو المنبع الوحيد الذي تنبثق منه الشرائع، وهو الجامع للأصول العامة وللعقائد والقوانين والتعليمات التي لا تختلف باختلاف الأزمان، ويستفاد من هذه الآية أيضاً؛ أن الشرائع الإلهية المنتسبة الى الوحي إنما هي شرائع الأنبياء أُولي العزم وهم هؤلاء الخمسة المذكورون في الآية، إذ لكل واحد من هؤلاء شرع وكتاب، كما أن في الآية إشارة الى أن كل شريعة لا حقة تنسخ الشريعة التي سبقتها^(٢٧)، والنسخ في الشرائع الإلهية يقتصر على تلك الأحكام الشرعية التي تتبدل بحسب المصالح والظروف، ولا يجري في أصول الدين، ولا في الأحكام العقلية التي يحكم بحسبها جميع العقلاء والتي كشف عنها الشارع المقدس، ولا في مهمات فروع الدين- كأصل الصلّاة و الصوم والزكاة ونحوها-، وهذا ما يدل عليه الآية نفسها، وعليه يمكن القول بالنسخ في الشرائع على نحو الإجمال لا على نحو الكليّة، بل ذهب بعضهم الى القول: «أن كل شريعة لا حقة مقررة للشريعة السابقة إلا إذا علم بنسخها أو بطلانها»^(٢٨).

وتوجيه الخطاب في هذه الآية في (لكم) هو للنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وللمؤمنين؛ يفيد الامتنان عليهم، وهذا الامتنان يفيد أن الشريعة المحمدية جامعة للشرائع الماضية وتزيد عليها بما ليس فيها؛ ولذلك نلاحظ أن القرآن يصرّح في مواضع عديدة بأنه مهيمن وشاهد على ما سبقه من الكتب السماوية، ومصدّق للمفاهيم العقدية والأخلاقية والشرعية التي جاءت فيها، كما في قوله: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ} (٣: ٤٧).

وهكذا تبين هذه الآيات وحدة الدين الإلهي، واتفق النبيين في جوهره، ووحدة حقيقة جميع الكتب الإلهية، ووحدة المنهج منذ النبوات الأولى للبشرية الى سالة النبي محمّد -صلى الله عليه وآله وسلم- التي تمثل أجلى صورة لحقيقة وحدة الدين الصادر من الله الواحد إلى الجامعة الإنسانية الواحدة.

رابعاً: الوحدة الإنسانية في أسلوب الخطاب القرآني

من يتأمل في آيات القرآن يجد فيه أصولاً جامعة تخاطب الناس عامّة، استثمرها القرآن لإيصال خطابه الى الإنسانية كافة، وعلى رأسها الفاظ وتراكيب، مثل: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ)، (يَا بَنِي آدَمَ)، (الإنسان)، (العالمين)، ليشمل جميع أصناف المخاطبين من البشر؛ لأن الرب الواحد هدفه هداية كل أفراد الإنسانية على حد سواء.

وهناك خطابات قاطعة الدلالة تؤكد عالمية رسالة محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- وعمومية بعثته، وعدم اختصاصها بجماعة أو إقليم خاص، أو بزمان محدد؛ بل تنطلق في الفضاء الإنساني العام وتطالب الناس جميعاً بقبول الإسلام أينما كانوا في أيّ وقت وزمان إلى يوم القيامة، كقوله سبحانه: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (٢١: ١٠٧)، فإن هذا الرسول الخاتم: «رحمة مرسله إلى الجماعات البشرية كلهم والدليل عليه الجمع المحلى باللام وذلك مقتضى عموم الرسالة...»^(٢٩)، وقد فسّر صاحب مجمع البيان قوله تعالى: {وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ} (٦: ١٩)، بقوله: أي لأخوفكم من عذاب الله وأنذر جميع من بلغه القرآن إلى يوم القيامة، وقال: «وفي قوله {وَمَنْ بَلَغَ} دلالة على أنه خاتم الأنبياء ومبعوث إلى الناس كافة»^(٣٠).

ومن الآيات الدالة نصاً على عموم رسالة الإسلام؛ قوله سبحانه: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} (٣٤: ٢٨)، فكلمة (كافة) خطاب عام بغض النظر عن اللون والعرق والحدود الإقليمية، ونظيره قوله سبحانه: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} (٧: ١٥٨)، وقد جاء في شأن نزول هذه الآية عن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب -عليهما السلام-، أنه قال: «جاء نفر من اليهود إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، فقالوا: يا محمد، أنت الذي تزعم أنك رسول الله، وأنت الذي يوحي إليك كما يوحي إلى موسى بن عمران؟ فسكت النبي ساعة ثم قال: نعم أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النبيين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، قالوا: إلى من، إلى العرب أم إلى العجم، أم إلينا؟ فأنزل الله هذه الآية»^(٣١)، وفي قوله سبحانه: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} (٢٥: ١) تصريح بعالمية الرسالة، فلفظة (عالمين) لم تقيّد بأي قيد من ناحية المكان وناحية الزمان أيضاً، ومن المفسّرين من يرى أنها تدل على أنه: منذر لجميع العالمين من الإنس والجن^(٣٢).

ومما يثير الانتباه أنّ معظم الآيات التي تذكر كشواهد على عالمية القرآن والدعوة الإسلامية قد نزلت في مكة، وهذا يعني أن هذه المسألة قد طرحها الوحي الإلهي منذ الأيام الأولى للدعوة، وفي هذا ردّ على من يدّعي أن الدعوة كانت مقتصرة على العرب خاصة، أو محصورة في منطقة خاصة هي مكة وأطرافها، وأن عالمية الإسلام كانت حالة طارئة ظهرت في المدينة بعد أن تسعت إنتصارات الرسول، وأنها قد ظهرت بعد موته -صلى الله عليه وآله وسلم-، «فأنت ترى الخطاب القرآني يتجه إلى المخاطبين، مستعملاً كلمة: الناس، أو بني آدم أو المؤمنين، ولم ترد ولو مرة كلمة العرب أو قريش أو أهل كذا، أو ما يشابه ذلك من صيغ الخطاب الخاصة بفتنة معينة من الناس»^(٣٣).

فهذه الخطابات والتعابير الإلهية ونظائرها، موجهة لجميع أفراد الإنسانية وتدعوهم لدين الفطرة الذي ينسجم وإنسانياتهم، ويحقق سعادتهم، {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٣٠: ٣٠)، وهي في نفس الوقت تتضمن إحياء روح الأخوة الإنسانية في الناس، وبناء مجتمع إنساني تنماسك فيه الروابط التي تربط الإنسان بالإنسان، وتواخي بينهما، وتسري في كيانه مشاعر الحب والرحمة والمودة التي تؤلّف بين أفرادهم وتوحدهم بوحدة الإنسانية ووحدة الدين.

خامساً: وحدة الكرامة الإنسانية

يعدّ القرآن الكريم الإنسان كائناً مكرماً، وتجلت هذه الحقيقة الواضحة في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (١: ٧٠)، ولا شك أن هذا التكريم يشمل البشر عامة؛ لأن الخطاب موجه لبني آدم سواء كانوا في زمن الخطاب أم لم يكونوا، وبغض النظر عن أديانهم وأعراقهم ولغاتهم وألوانهم. «إن هذه الكرامة يستحقها الإنسان، بوصف كونه إنساناً لا لأنه عربي أو أعجمي أو أبيض أو أسود أو متخلف أو متعلم، فهي حق كل إنسان»^(٣٤).

ومعنى تكريم الإنسان هو تخصيصه بالعناية وتشريفه بما يختص به دون غيره من المخلوقات، ومعنى تفضيله هو تخصيصه بزيادة العطاء بالنسبة إلى غيره مع اشتراكهما في أصل العطية، ولقد كرم الله بني آدم بما خصهم به عن غيرهم من سائر الموجودات^(٣٥).

أما مصداق هذا التكريم الذي كرم الله به الإنسان؛ فبعض المفسرين يعزو سببه لميزة العقل وحرية الإرادة التي وهبها الله للإنسان، ومنهم من يعزو ذلك إلى الإمتيازات الجسمية، أو إلى القدرات والمواهب التي يتمتع بها، أو سلطته على جميع الكائنات الأرضية أو قدرته على معرفة الله.

ويمكن القول أن تكريم الخالق لهذا المخلوق الكريم يتجلى من خلال جميع هذه المواهب وغيرها^(٣٦)، ونذكر هنا أهم مظاهر وحدة الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم التي يتساوى بها أفراد الإنسانية جمعاء:

- خلق الإنسان بأحسن تقويم

أقسم الله سبحانه في سورة التين بأربعة أمور: التين، الزيتون، طور سينين، والبلد الأمين، لغرض تأكيد قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٩٥: ٤)، والتقويم: جعل الشيء في قوام، أي عدلٍ وتسوية، وحسن التقويم أكمله وأليقه بنوع الإنسان^(٣٧)، وهذا يقتضي أنه تقويم خاص بالإنسان لا يشاركه فيه غيره من المخلوقات^(٣٨)، كما يقتضي إشمال التقويم على جميع شؤونه وجهات وجوده، «وسعة مفهوم الآية يشير إلى أنّ الله سبحانه خلق الإنسان بشكل متوازن لائق من كلّ الجهات، الجسمية والروحية والعقلية»^(٣٩)، وقد خصّه الله سبحانه بالعقل والإستعداد لقبول العلوم والمعارف وعلمه ما لم يعلم: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٩٦: ٥)، وعلمه البيان: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (٥٥: ٣-٤)، قال الألويسي: «وما يدل على أحسنية تقويمه أن الله تعالى رسم فيه من الصفات ما تذكّره صفاته -عز وجل- وتدلّه عليها فجعله عالماً مريداً قادراً»^(٤٠)، وما يدل على شرف الإنسان وعظمة مكانته؛ أمر الله الملائكة بالسجود له بعد إكتمال خلقته، كما حكى القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (١٥: ٢٩)، فهذا هو الإنسان الذي قال فيه الله سبحانه بعد أن أتم خلقه: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (٢٣: ١٤).

إن منح كل فرد من أفراد الإنسانية كل هذه الكفاءات والطاقات في بنيانه الجسدي وروحه وعقله وفطرته السليمة له من أعظم مظاهر وحدة التكريم الإنساني.

- الإنسان خليفة الله في أرضه

ومن مظاهر تكريم الإنسان أيضاً أن اصطفاه الله -جلّ وعلا- خليفة ونائباً له على ظهر الأرض كما يشير قول الله

تعالى: {وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (٢: ٣٠)، ولإكمال استخلافه، خصّه بالعلم {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} (٢: ٣١)، والأسماء هي أشياء الكون وخواصها وصفاتها^(٤١).

واستخلاف الله الإنسان في الأرض ليعمرها؛ يرتبط بالغاية التي خلق لأجلها الإنسان ووجود هذه الحياة، وقد تتابعت آيات القرآن لتقرر هذه الحقيقة بأساليب وصيغ مختلفة، كما في قوله تعالى: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} (١١: ٦١)، وقد ذكر كثير من المفسرين أن القرآن استعمل كلمة (الإستعمار) في هذه الآية بمعنى تفويض عمارة الأرض للبشر بما يملكونه من طاقات الفكر وإمكان التصرف في ساحة الوجود^(٤٢).

وهناك مجموعة من الآيات أشارت الى مفهوم تسخير الموجودات للإنسان؛ كتسخير الفلك والأقمار والشمس والقمر والليل والنهار، والنجوم، وما في الأرض جميعاً، والبحر^(٤٣). وهذا الإستخلاف المقرون بتسخير هذا الكون الهائل الكبير للإنسان، وبالموهب والإمكانات، وبمهمة عمارة الأرض؛ يشمل كل إنسان بصفته الإنسانية، وتحقيق هذا الهدف الكوني يتوقف على إيجاد الكثير من المشتركات الإنسانية التي تصلح بها المجتمعات، وتجمع البشر في وحدة قائمة على أساس التعاون والإحترام المتبادل وتمدّ جسور التواصل والتفاعل في جميع المجالات.

– الإنسان حامل الأمانة الإلهية

لا شك في إن تحمّل الأمانة الإلهية من أعظم مظاهر التكريم والرفعة، كون تحمّلها يقوم أساساً على مبدأ الحرية والاختيار، وهو ما يجعل الإنسان يمتلك إمكانية الصعود والترقي في مدارج الكمال والكرامة الإلهية، فالمكلف أرفع قيمة من سائر المخلوقات، ولقد عرض الله تعالى على الإنسان الأمانة فحملها: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَ أشفقن منها وَ حملها الإنسان إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} (٣٣: ٧٢)، والأمانة هي الولاية الإلهية، وقيل: الإرادة والاختيار، وقيل: التكليف^(٤٤)، وبعبارة أجمع: «أنّ الأمانة الإلهية هي قابلية التكامل غير المحدودة والممتزجة بالإرادة والاختيار، والوصول إلى مقام الإنسان الكامل، وعبودية الله الخاصّة وتقبّل ولاية الله»^(٤٥) وعُزِّبَ عنها بالأمانة لأنها إمتياز عظيم يضاف الى البشر.

إن إشارة هذه الآيات القرآنية إلى تكريم الإنسان وتفضيله، وخلقها بأحسن تقويم، واستخلافه وتفويضه بعمران الأرض، وتسخير الكون له، وتحمّله الأمانة الإلهية، وغير ذلك من مصاديق التكريم؛ جاءت على نحو الإستغراق للجنس الآدمي دون أيّ استثناء، وهي تتضمن إبراز خصائصه الإنسانية المشتركة بعيداً عن محددات الجنس واللون واللغة والحدود الإقليمية الضيقة، وتحث على تنمية تلك الخصائص وإعلانها، وتنوّه الى وحدة الكرامة الإنسانية؛ فالإنسانية ترتبط بالكرامة... وقوام الكرامة في القرآن الشمول فهي تشمل الجميع دون استثناء. وكذلك إن هذه الآيات فيها دليل واضح على أن دعوة القرآن إنسانية عالمية تتحلى بروح الأخوة الإنسانية، وتفصح عن الوحدة الإنسانية التي تجعل البشرية بمثابة الجسد الواحد والنفس الواحدة، وتدعو الى التآلف والتعارف، والى ترك التعادي والتخالف؛ «وبهذا يتبيّن معنا أن كتاب الله وسنة رسوله يعتبران الإيمان بالإنسان جزءاً متمماً للإيمان بالله ورسله وكتبه، وعليه يكون المراد بالمؤمن... هو الذي يؤمن بالله وبالإنسان بما هو إنسان»^(٤٦).

سادساً: وحدة التشريع بالمساواة في العدل

إذا أمعنا النظر في قوانين وشرائع الأمم؛ وجدنا أن قوانين كل أمة هي إنعكاس لطبيعتها وأعرافها، وانبثق عن تجاربها وظروفها، وتعبير عن حاجاتها ومتطلباتها، غير أننا نجد التشريع القرآني لم يتأثر بنزعة البيئة التي نزل فيها ولم يلحظ أي خصوصية للقوم الذين نزل بينهم، وإنما ينبثق عن النظرة الإنسانية الشاملة، ويراعي المصالح الإنسانية العامة، فلا تجد فيما شرعه القرآن أي تمايز عرقي وانتماء جغرافي وقومي أو تفاضل طبقي؛ بل تجد وحدة التشريع ومساواة جميع الناس أمام القانون، وتحقق العدل في جميع المجالات.

ذكر صاحب تفسير المنار أن من القضايا الإنسانية المشتركة التي قصد القرآن إقامتها هي (الإصلاح الاجتماعي الإنساني والسياسي)، وذكر أن هناك ثماني وحدات تحقق هذا المقصد القرآني، إحداها هي "وحدة التشريع بالمساواة والعدل" قال: «الأصل الرابع: وحدة التشريع بالمساواة بين الخاضعين لأحكام الإسلام في الحقوق المدنية والتأديبية بالعدل المطلق بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والملك والسوقة، والغني والفقير، والقوى والضعيف»^(٤٧).

فالقرآن ينظر إلى العدل على أنه مفهوم ديني إنساني عام، وينظر إلى كل إنسان بنظرة منصفة ليشعره بقيمته الحقيقية وكرامته التي منحها الله سبحانه وإياه؛ ولذا جاءت تشريعاته منسجمة مع جميع ما تطمح إليه النفس الإنسانية من القيم الإنسانية العليا كالعدل والإحسان؛ ومن هنا يصرح القرآن بأن الغرض الإلهي من إرسال الرسل وإنزال الكتب هو تحقيق العدل في المجتمع الإنساني، قال الله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} (٥٧: ٢٥)، ونجد في مقدمة دعوته: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...} (١٦: ٩٠)، والظاهر من السياق الذي ترتبط به هذه الآية أن المراد بالعدل هو العدل الاجتماعي وهو أن يعامل كل من أفراد المجتمع بما يستحقه ويوضع في موضعه الذي ينبغي أن يوضع فيه، وهذا أمر متوجه إلى الجميع، بمعنى أن الله سبحانه يأمر كل واحد من أفراد المجتمع أن يأتي بالعدل^(٤٨).

ويؤكد القرآن على ضرورة تطبيق العدالة، وينبه على أن لا تحول الأحقاد والعداوات القبلية والثارات الشخصية دون تحقيق العدل، فقال تعالى: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ} (٥: ٨)، وفي آية أخرى ينبه على أن الهدف من إنزال الكتاب السماوي هو تحقق مبادئ الحق والعدل بين الناس، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا} (٤: ١٠٥)، فالآية توضح أن شرط الحكم بين الناس هو تحقق العدل من خلال تطبيق منهج الحق على الجميع، سواء كانوا مؤمنين أو كافرين، وقد ذكر في سبب نزولها: أن أحد المسلمين أراد أن يبرئ نفسه من قضية سرقة كانت من فعله باتهام جاره اليهودي، فتعرّف الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله وسلم- على حقيقة الأمر عن طريق الوحي، فبرأ الله ورسوله اليهودي من تهمة السرقة^(٤٩).

سابعاً: القيم الأخلاقية القرآنية منطلقاً للوحدة الإنسانية

الأخلاق في الإسلام لا تقوم على طبيعة خاصة أو عرف محدد ولا تتغير تبعاً لتغير العوامل البيئية؛ لأنها فضائل وأخلاق تنسجم وطبيعة الإنسان وتناغم فطرته وجبلته التي جبل عليها، فثمة مساحة واسعة من القيم والمبادئ الأخلاقية

التي نادى بها القرآن الكريم نجد المعنى الإنساني هو الأساس في الدعوة إليها والأمر بها، وأنها وضعت للناس كلهم مهما اختلفت أعراقهم وألسنتهم، ونذكر هنا بعض النماذج التي تكشف عن حرص القرآن على بناء القواسم الأخلاقية المشتركة الناظرة الى الوحدة الإنسانية:

– الدعوة العامة الى البر والإحسان

يدعو القرآن كل فرد في المجتمع الإنساني الى عمل البر والإحسان، ويحث على قدر من التواصل الإنساني ينبغي أن يرتقي اليه الكائن البشري في كل أحواله ويستمر عليه، وتشهد على ذلك نصوص من آيات ترغّب وتأمّر بالبر والإحسان للناس كافة، منها قوله تعالى: {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} (٧: ٥٦)، {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (٢: ١٩٥)، {وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} (٢٨: ٧٧)، {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} (١٦: ٩٠)، وقد قال الإمام علي -عليه السلام- في تفسير العدل والإحسان في هذه الآية: «العدل: الإنصاف، والإحسان: التفضل»^(٥٠)، فالإحسان قيمة أخلاقية فوق العدل الذي هو مفهوم إجرائي، «فإن العدل... هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه»^(٥١).

يمدّ القرآن جسوراً من التعايش والسماحة والسلم ويشيع أخلاق التعاون والودّ بين المسلمين وغيرهم، ويحدد علاقة المسلم مع غير المسلمين بأنها علاقة إنسانية، فيرخص بالبر حتى الى المخالف في الدين، فيقول: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَهُمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (٦٠: ٨)، قال ابن كثير: «أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم أن تبرؤهم أي تحسنوا إليهم»^(٥٢)، وإذا رجعنا الى عموم اللفظ نجد الآية صريحة شاملة لكل من لم يناصر المسلمين العداء ولم يظهر سوءاً إليهم، وذكر ابن جرير الطبري أن الآية تشمل: «جميع أصناف الملل والأديان أن تبرؤهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عز و جلّ عمّ بقوله... جميع من كان ذلك صفته، فلم يخص به بعضاً دون بعض»^(٥٣)، وكلمة (البر) بمدلولها الأخلاقي قد تتسع للكثير من النشاطات الإنسانية، كما أن كلمة (العدل) قد تتحدث عن التوازن في مجال واسع من المواقف والعلاقات الإنسانية.

إن القرآن الكريم ينظر الى البر والإحسان واقامة العدل، كعناصر تنبثق من حاقّ الفطرة المشتركة بين المسلم وغيره؛ ولذا يدعو المسلمين أن يقدموا الخير والبر لجميع البشر لا لبعضهم دون الآخر، لتحقيق التعاون والتآلف بين أبناء الجنس البشري أفراداً وجماعات، وهذا مظهر من مظاهر الوحدة الإنسانية التي يقصدها القرآن الكريم.

– الدعوة العامة للعفو والصفح

العفو والصفح والتجاوز نقيض العقوبة، وكثيرة هي آيات العفو والصفح والإعراض عن المشركين والجاهلين والمسالمة وحسن المعاملة ونبذ الحشونة والغلظة، وهي في ضمن الدائرة الإنسانية الواسعة تحثّ الرسول والمسلمين على العفو عن غير المسلمين والتجاوز عنهم، منها قوله تعالى: {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} (٢: ١٠٩)، وقد استظهر صاحب تفسير المنار العموم من تركيب ألفاظ هذه الآية، قال: «فقال: فاعفوا واصفحوا ولم يقل فاعفوا واصفحوا عنهم

لإرادة العموم، أي عاملوا جميع الناس بالصفح والعفو، فإن هذا هو اللائق بشأن المؤمنين المتقين»^(٥٤). والصفح لا يكون إلا عن مقدرة، وقد ذكر صاحب مجمع البيان أن المسلمين وإن كانوا مقهورين مضطهدين لكن كثيراً منهم كانوا عزيزين في أقوامهم وكانوا يقدرون على الإنتقام من الكفار والإنتصاف منهم، ومع ذلك أمرهم الله سبحانه أن يعفوا ويصفحوا^(٥٥).

وفي قوله: {وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (٥: ١٣)، يبيّن الله عز شأنه بعض صفات اليهود السيئة، كنتقضهم للعهد، وقسوتهم، وتحريفهم للحقائق، وخيانتهم، ومع كل هذه الصفات، يأمر الله رسوله أن يتحلّى بالصفح عمن أساء منهم، وأن يعاملهم بالإحسان الذي يحبه سبحانه. يأمر الله نبيه أن يتحمّل أذى المعاندين وأن يسالمهم: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} (٤٣: ٨٩)، ويأمره بالإعراض عن أذاهم وسوء تلقيهم الدعوة والصفح عنهم: {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} (١٥: ٨٥)، وعن علي بن موسى الرضا- عليهما السلام- في قوله: {الصَّفْحُ الْجَمِيلُ}، قال: «العفو من غير عتاب»^(٥٦).

وحق الآيات التي تحث المؤمنين على العفو والصفح والتسامح فيما بينهم، هي أوامر تنطلق من الدائرة الإنسانية العامة، وترتكز على البعد الإنساني قبل كل شيء؛ لأن العفو والصفح والتسامح ونظائرها مفاهيم ذات طابع إنساني وروحي عام؛ ولذلك يريد الله -عز وجل- من المؤمنين أن يفتحوا على كل عناصر الخير فإنه اليق بالمؤمنين من غيرهم.

النتائج

- ١- الوحدة الإنسانية تنبثق من وحدة التكوين الإنساني في جانبه المادي والروحي، فكل البشر على اختلافهم متساوين في أصل الخلقة وجوهر الإنسانية.
- ٢- عنوان خلق الإنسان "من نفس واحدة" يشير إلى الوحدة الإنسانية، ويؤكد رفض كل جوانب التمييز العنصري والعنصري والإقليمي.
- ٣- الدعوة إلى الله التي حملها الأنبياء تمثل أعلى صورة لملة التوحيد الصادرة عن الله الواحد إلى الجامعة الإنسانية الواحدة التي هي على نهج واحد ومقصد واحد.
- ٤- قوام الكرامة الإنسانية في القرآن الشمول فهي تشمل جميع البشر دون استثناء.
- ٥- الخطابات الإلهية، موجهة لجميع أفراد الإنسانية وهي في نفس الوقت تتضمن إحياء روح الأخوة الإنسانية في الناس.
- ٦- ركز القرآن على ترسيخ المبادئ الإنسانية في السلوك البشري، من خلال دعوته العامة إلى القيم الإنسانية العليا كالعدل والإحسان والعفو والرحمة.

- (١) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ج٢، ص١٥٨.
- (٢) انظر: الشيرازي، ناصر، مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٢، ص٤٩٣.
- (٣) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم، ج١٠، ص٣٢٠٦.
- (٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص١٥٤.
- (٥) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص٣١٧.
- (٦) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص١٣٥؛ مغنیه، محمد جواد، التفسير الكاشف، ج٢، ص٢٤٤.
- (٧) فضل الله، محمد حسين، من وحي القرآن، ج٧، ص٢٥-٢٦.
- (٨) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص١٦٣.
- (٩) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج٧، ص٥١٢.
- (١٠) إذا كان تكثير النسل البشري قد تم عن طريق آدم وحواء وأولادهم فقط؛ فلازمه أن يكون أبناء آدم (أخوة وأخوات) من الطبقة الأولى قد تزاوجوا فيما بينهم دون تدخل نوع آخر وهذا ما ذهب اليه بعض المفسرين؛ انظر: الطباطبائي، محمد حسين الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص١٤٤؛ والشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٣، ص٨٠.
- (١١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٣٨٥.
- (١٢) الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١٣، ص٣١٤.
- (١٣) موران، ادغان، النهج إنسانية البشرية، ص٨١.
- (١٤) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، عيون أخبار الرضا، ج١، ص٥٨.
- (١٥) انظر: ابن عاشور، محمد طاهر، التحرير والتنوير، ج٢١، ص٣٤.
- (١٦) انجيل متى، الإصحاح ٥: ١٧.
- (١٧) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ج٦٨، ص٣٨٢.
- (١٨) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات الفاظ القرآن، ص٨٦.
- (١٩) انظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج٢، ص٢٧٦؛ ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج١٧، ص١٠٢؛ مغنیه، محمد جواد، التفسير الكاشف، ج٥، ص٢٩٨؛ الصادقي، محمد، الفرقان في تفسير القرآن، ج١٩، ص٣٥٤؛ المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، ج١٧، ص٦٩.
- (٢٠) مغنیه، محمد جواد، تفسير الكاشف، ج٥، ص٢٩٨.
- (٢١) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج١٧، ص١٠٢.
- (٢٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٤، ص٣٢١.
- (٢٣) فضل الله، محمد حسين، من وحي القرآن، ج٢، ص٦٩؛ رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج٣، ص٢٥٧؛ مغنیه، محمد جواد، التفسير الكاشف، ج٢، ص٢٧.
- (٢٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٤١٨.
- (٢٥) [البقرة: ١٣١-١٣٢]، [الحج: ٧٨]، [يونس: ٧٢]، [يونس: ٨٤]، [المائدة: ١١١]، [النمل: ٤٤]، [المائدة: ٤٤].

- (٢٦) المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، ج٦، ص ١٣٠.
- (٢٧) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص ٣٥١.
- (٢٨) السبزواري، عبد الأعلى، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج١، ص ٣٨٥.
- (٢٩) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٤، ص ٣٣١.
- (٣٠) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٤، ص ٤٣٧.
- (٣١) الفيض الكاشاني، محسن، تفسير الصافي، ج٢، ص ٢٤٣.
- (٣٢) الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٩، ص ٤٢٢؛ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص ١٧٤.
- (٣٣) البوطي، محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله، ص ٢٢١.
- (٣٤) أبو زهره، محمد، زهرة التفاسير، ج٨، ص ٤٤٢٦.
- (٣٥) انظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص ١٥٦.
- (٣٦) انظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٩، ص ٦٤.
- (٣٧) ابن عاشور، محمد طاهر، التحرير والتنوير، ج٣٠، ص ٣٤.
- (٣٨) ابن عاشور، محمد طاهر، التحرير والتنوير، ج٣٠، ص ٢٧٤.
- (٣٩) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٢٠، ص ٣١٠.
- (٤٠) الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١٥، ص ٣٩٥.
- (٤١) مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، ج١، ص ٧٩.
- (٤٢) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج١٢، ص ١٢١؛ الشيرازي، ناصر مكارم، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٦، ص ٥٧٩؛ الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني، ج٦، ص ٢٨٦، مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، ج٤، ص ٢٤٣؛
- (٤٣) من هذه الآيات: { وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ } ١٤: ٣٢-٣٣، { وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ } ١٦: ١٢، { سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ } ٤٥: ١٣، ٣١: ٢٠، { وَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ } ١٦: ١٤.
- (٤٤) الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، ج٢٥، ص ١٨٧.
- (٤٥) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٣، ص ٣٧٠.
- (٤٦) مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، ج٧، ص ١١٥.
- (٤٧) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج١٢، ص ٢٥٥-٢٥٦.
- (٤٨) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص ٣٣١.
- (٤٩) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٣، ص ١٨٢.
- (٥٠) الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين، نهج البلاغة، ج٤، ص ٥١، ح ٢٣١.
- (٥١) الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات الفاظ القرآن، ص ٥٥٢.
- (٥٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج٨، ص ١١٨.
- (٥٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج٢٨، ص ٤٣.

(٥٤) رضا، مُجَّد رشيد، تفسير المنار، ج١، ص٤٢١.

(٥٥) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١، ص٣٥٤.

(٥٦) الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، ج٣، ص٢٧.

المصادر

-القرآن الكريم.

- انجيل متى.

١- ابن ابي حاتم، عبد الرحمن بن مُجَّد، التفسير العظيم، ط٣، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ١٤١٦هـ.

٢- ابن عاشور، مُجَّد الطاهر، التحرير والتنوير، ط١، مؤسسة التاريخ الإسلامي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٣- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط٤، دار طيبة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٤- أبو زهرة، مُجَّد، زهرة التفاسير، ط١، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.

٥- الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٦- البوطي، مُجَّد سعيد رمضان، من روائع القرآن- تأملات علمية وأدبية في كتاب الله، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٧- الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، ط٤، مؤسسة إسماعيليان، قم، ١٤١٢هـ.

٨- الراغب الأصفهاني، الحسين بن مُجَّد، مفردات الفاظ القرآن، ط٣، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٢هـ.

٩- رضا، مُجَّد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٠- الزحيلي، وهبة، التفسير الوسيط (للزحيلي)، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٢هـ.

١١- السبزواري، عبد الاعلى، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ط٢، الناشر: مكتب السيد السبزواري، بلامكان، ١٤٠٩هـ.

١٢- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٣- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط٣، الناشر: مدرسة الإمام أمير المؤمنين(ع)، قم، ١٤١١هـ.

١٤- الشريف الرضي، أبو الحسن مُجَّد بن الحسين، نهج البلاغة، ط١، شرح: مُجَّد عبده، دار الذخائر، ايران، ١٤١٢هـ.

١٥- الصادقي، مُجَّد، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن السنة، ط٢، دار الثقافة الإسلامي، قم، ١٤٠٦هـ.

- ١٦- الصدوق، مُجَّد بن علي بن الحسين بن بابويه، عيون أخبار الرضا، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ١٧- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، الناشر: الشركة العالمية للكتاب، بلا مكان، بلا تاريخ.
- ١٨- الطباطبائي، مُجَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط٢، مؤسسة إسماعيليان، بيروت، ١٣٩٠ هـ.
- ١٩- الطبرسي، أبي علي الفضل ابن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١، الناشر: ناصر خسرو، طهران ١٤١٣ هـ.
- ٢٠- الطبري، مُجَّد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢ هـ.
- ٢١- الفخر الرازي، مُجَّد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ط٣، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- ٢٢- فضل الله، مُجَّد حسين، من وحى القرآن، ط١، دار الملاك، بيروت، ١٤١٩ هـ.
- ٢٣- الفيض الكاشاني، محسن، تفسير الصافي، الناشر: مكتبة الصدر، طهران، ١٤١٦ هـ.
- ٢٤- المجلسي، مُجَّد باقر، بحار الأنوار، ط٢، دار الوفاء، ١٤٠٣ هـ.
- ٢٥- المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، ط١، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.
- ٢٦- مغنية، مُجَّد جواد، التفسير الكاشف، ط١، دار الكتاب الإسلامي، قم، ١٤٢٤ هـ.
- ٢٧- موران، ادغان، النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، ترجمة د. هناء صبحي، ط١، الناشر: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩ م.

قواعد العرف والعادة وتطبيقاته في السياسة الشرعية

الدكتورة فوزية سالم مبارك بصبوص

الملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع قواعد العرف والعادة وتطبيقاته في السياسة الشرعية، فكانت هذه الدراسة العلمية محاولة لضبط الأحكام والتطبيقات المستفادة من هذه القواعد الفقهية، وذلك بذكر نبذة بسيطة عن القواعد الفقهية في تعريفها وأهميتها ثم نتابع الدراسة في بيان تطبيقات القاعدة على النحو الذي يخدم فرضيات الدراسة.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم، أما بعد. فإن الله سبحانه وتعالى انعم على هذه الأمة بان جعلها خير أمة أخرجت للناس، وان مما امتازت به هذه الشريعة المباركة الشمولية في كل جوانب الحياة، والمرونة في المستجدات بالتعامل فيها، فما من نازله ولا واقعة ألا ولها في شريعة الله حكم، ومن الجوانب المهمة جوانب السياسة الشرعية، وهي من الأبواب الدقيقة والمهمة التي تحتاج إلى مزيد عناية واهتمام. من هنا جاءت هذه الدراسة بعنوان: قواعد العرف والعادة وتطبيقاتها في السياسة الشرعية فأسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل ويكون خالصاً لوجهه الكريم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مشكله الدراسة:

تجيب هذه الدراسة عن الأسئلة الآتية:

١. ما مفهوم قواعد العرف والعادة؟
٢. ما هي الأدلة التي تنهض بها؟
٣. ما هي تطبيقاتها في السياسة الشرعية؟

أهمية الدراسة:

- إبراز مرونة هذه الشريعة وصلاحتها لكل زمان ومكان وقدرتها على مسايرة الأحداث والمستجدات، وان باب الاجتهاد واعتبار المصالح والمفاسد في السياسة مهم جداً.

منهجية البحث:

تعتمد هذه الدراسة تحديداً على المنهج الاستقرائي منهجاً رئيسياً كونه أكثر ملائمة لمثل هذا النوع من الدراسات ناهيك عن إمكانية الإفادة من بعض المناهج التي تخدم الموضوع.

الدراسات السابقة:

لقد تكلم العلماء والفقهاء قديماً وحديثاً في موضوع السياسة الشرعية وذلك في أبواب الفقه المختلفة.

وسأحاول بإذن الله تعالى أن أسلط الضوء على قواعد العرف وتطبيقاتها في السياسة الشرعية.

وقد جاءت هذه الدراسة على النحو الآتي: مبحث وتحتته مطلبان

وختمت بحثي هذا بنتائج وتوصيات قد توصلت إليها والحقت البحث بفهرس الآيات القرآنية وفهرس الأحاديث النبوية وختاماً فالكمال من صفات الله عز وجل والنقص من صفات البشر ويأبى الله إلا أن تكون العصمة لكتابه ولرسوله عليه الصلاة والسلام.

المبحث الأول: قواعد العرف والعادة وتطبيقاتها في السياسة الشرعية

المطلب الأول: التعريف بالقاعدة لغة واصطلاحاً وأهمية القاعدة

الفرع الأول: القاعدة لغة:

تفيد مادة (قعد) المكونة من القاف والعين والذال معنى الاستقرار والثبات، قال العلامة ابن فارس: القاف والعين والذال أصل واحد مضطرد لا يخلف، وهو يضاوي الجلوس، وان كان سيتكلم في مواضع لا يتكلم فيها بالجلوس^(١). يطلق لفظ القاعدة في لغة العرب، ويراد بها عده معاني ومن هذه المعاني:

١. الأسس: ومنه قواعد البيت، أي أسس، وفي القرآن الكريم قوله تعالى (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل)^(٢) وقوله تعالى (فأتى الله بنيانهم من القواعد)^(٣).
٢. الأصل: ويقال قواعد السحاب، والمعنى أصولها المعترضة في آفاق السماء شبهت بقواعد البناء^(٤).
٣. الثابت: قال العلامة الزخشي: " والقواعد جمع قاعدة وهي صفة غالبه، ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله، أي أسأل الله أن يقعدك أي يثبتك"^(٥).

الفرع الثاني: القاعدة اصطلاحاً

عرفها الفقهاء والأصوليون تعريفات عدة، واخترت منها ما يلي:

١. عرفها الجرجاني: " قضيه كليه منطبقة على جميع جزئياتها"^(٦).
٢. عرفها الفيومي: " الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياتها"^(٧).
٣. عرفها تاج الدين السبكي: " القاعدة الأمر الكلي الذي ينطبق على جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منه"^(٨).
٤. عرفها التفتازاني بأنها: " حكم كلي ينطبق على جزئياته لتعرف أحكامها منه"^(٩).
٥. عرفها الحموي بأنها: " حكم اغلبي ينطبق على معظم جزئياته لتعرف أحكامها منه"^(١٠).

ومن خلال التعريفات السابقة للقاعدة يلحظ أنها تختص بعده خصائص هي:

١. أنها قضية كلية، لان القاعدة يجب ان تنطبق على جميع جزئياتها دون تخلف أي جزئية منها، لذا اجتهد بعض العلماء من التخلص من لفظ جميع ووضع بدلا منها لفظ جزئيات كثيرة أو اغلب الجزئيات ومن هؤلاء العلماء ابن السبكي والحموي^(١١).

٢. أنها تختص بالعمومية والتجريد: تتميز القاعدة عن الجزئية بأنها غير موجهة إلى شخص معين أو أشخاص بذواتهم ولا أي وقائع معينة لان العبرة بعموم اللفظ^(١٢).

الفرع الثالث: القواعد الفقهية لغة واصطلاحا

الفقهية: هي نسبة إلى الفقه وهي قيد في القوات، لإخراج ما ليس فقهيا منها كقواعد الحساب، والهندسة، وأصول الفقه وكون القواعد فقهية، وذلك بسبب نسبتها إلى الفقه.

أولاً: معنى الفقه لغة

فقه هو من الحروف الثلاثية، وقد ذكر علماء اللغة عده معان:

١. العلم، فالفقه يدل على إدراك الشيء والعلم به^(١٣).
٢. الفهم والفتنة- فقه يفقه فقهيا إذا فهم^(١٤).
٣. البيان، فقولنا أفقته، اي بينته له^(١٥).

فالفقه عند علماء اللغة العربية يطلق عليه إدراك الشيء والعلم به ويراد به الفطن والفهم، ويراد أيضا بيان الشيء وتوضيحه.

ثانياً: معنى الفقه اصطلاحا

عرف جمهور العلماء الفقه بالصيغة نفسها وذلك بقولهم "الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية اكتسب من أدلتها التفصيلية"^(١٦).

ثالثاً: تعريف القاعدة الفقهية باعتبارها علما

اذكر فيما يلي بعض تعريفات الفقهاء القدامى وبعض تعريفات المعاصرين للقاعدة باعتبارها علما منها:

١. تعريف الحموي الحنفي فقال: هي عند الفقهاء حكم أكثرى لا كلي ينطبق على أكثر جزئياته لتعرف أحكامها منه^(١٧)، فهذا التعريف علم ينطبق على القاعدة الفقهية وعلى غيرها، لأنه ينقصه أمر هام وهو قيد الشرعية ليكون ذا دلالة واضحة على معنى القواعد الفقهية بشكل خاص.
٢. عرفها الأستاذ مصطفى الزرقاء هي: أصول فقهية كلية في نصوص موجهة دستورية تتضمن أحكاما تشريعية عامة في الحوادث التي تدخل تحت موضوعها^(١٨). فالقاعدة الفقهية هي حكم شرعي أكثرى، ينطبق بقوه على أحكام جزئية مندرجة تحتها.

الفرع الرابع: أهمية القواعد الفقهية

علم القواعد الفقهية من العلم الهام جدا، فهو جليل الفائدة، ذا اثر عظيم على طالب العلم الذي يشتغل به، وقد ذكر الفقهاء نصوصا كثيرة جدا تبين أهمية القواعد ومكانتها الفقهية، وقد ذكر الإمام القراني (ت ٦٤٨هـ) في تبيان أهمية القواعد الفقهية في كتابه: (أنوار البروق في أنواع الفروق)، وهذه القواعد مهمة في الفقه، عظيمة النفع، ويقدر

الإحاطة بما يعظم قدر الفقيه ويشرف، ويظهر رونق الفقه ويعرف، وتتضح مناهج الفتاوى وتكشف، فيها تنافس العلماء، وتفاضل الفضلاء، وبرز القارج على الجذع، وحاز قصب السبق من فيها برع، ومن جعل يخرج الفروع بالمناسبات الجزئية، دون القواعد الكلية، تناقضت عليه الفروع واختلفت، وتزلزلت ظواهره فيها واضطربت، وضاعت نفسه من طلب مناهجها، واحتاج إلى حفظ الجزئيات التي لا تنتهي، وانتهى العمر ولم تقض نفسه من طلب مناهجها. ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات لاندرجها في الكليات، واتحد عنده ما تناقض عند غيره وتناسب، وأجاب الشاسع البعيد وتقارب، وحصل طلبه في أقرب الأزمان، وانشرح صدره لما أشرق فيه من البيان، فبين المقامين شأو بعيد، وبين المنزلتين تفاوت بعيد^(١٩).

ومن ثمار القواعد الفقهية توافق الأحكام وانسجامها وعدم تناقضها بقول الأستاذ مصطفى الزرقاء: "ولولا هذه القواعد لبحثت الأحكام فروعاً مشتتة قد تتعارض ظواهرها دون أصل تمسك بها في الأفكار"^(٢٠).

المطلب الثاني: قواعد العرف والعادة وتطبيقاتها في السياسة الشرعية وعن فروع:

الفرع الأول: قاعدة العادة محكمه

أولاً- توضيح القاعدة

ثانياً- أهمية القاعدة

ثالثاً- أدلة القاعدة

رابعاً- تطبيقات القاعدة العامة.

خامساً- تطبيقات القاعدة في السياسة الشرعية.

أولاً- توضيح القاعدة:

القاعدة لغة: العود أو الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه إما انصرافاً بالذات، أو بالقول والعزيمة^(٢١).

قال تعالى: (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)^(٢٢).

والعادات تطلق ويراد بها الشيء المتكرر المعتاد، وهي ما يسمى الديدن، أي الرأي والاستمرار على الشيء،

سميت بذلك لأن صاحبها يعاودها، أي يرجع إليها مده بعد أخرى وجمعها عادات وعوائد^(٢٣).

والعادة في الاصطلاح "عبارة عما يستقر في النفوس من الأمور المتكررة المقبولة عند الطباع السليمة"^(٢٤).

وتفسير العادة بالعرف وهو ما عبر عنه القرطبي بقوله: "العرف والمعروف والعارفة: كل خصلة حسنة ترتضيها

العقول، وتطمئن إليها النفوس"^(٢٥).

مُحَكَّمَةٌ: اسم مفعول من التحكيم، ومعنى التحكيم القضاء والفصل بين الناس، أي ان العادة هي المرجع للفصل عند

التنازع^(٢٦):

"ان العادة تجعل حكما لإثبات حكم شرعي، أي أن للعادة في الاعتبار الشرعية حاكمية تخضع لها أحكام التصرفات فتثبت تلك الأحكام على وفق ما تقضي به العادة أو العرف إذا لم يكن هناك نص شرعي مخالف لتلك العادة"^(٢٧).

معنى شرح هذه القاعدة يقال: " جميع الأحكام تحتاج كل واحد منها إلى الأمرين: الأول معرفه حده وتفسيره والثاني: بعد هذا يحكم عليها بأحد الأحكام الخمسة، فإذا وجدنا الشارع قد حكم عليها بإيجاب أو استحباب، أمر منع أو إباحة، فإن كان قد حدها وفسرها، كالصلاة والزكاة والصيام والحج ونحوها، رجعنا إلى ما حده الشارع كما رجعنا إلى ما حكم به، وأما إذا حكم عليها الشارع ولم يحددها، فانه حكم على العبارة بما يعرفونه ويعتادونه"^(٢٨).

ثانيا: أهمية القاعدة

يقول ابن عابدين رحمه الله: " واعلم ان اعتبار العادة والعرف رجوع إليه في مسائل كثيرة حتى جعلوا ذلك أصلا، فقالوا في الأصول في باب ما تترك به الحقيقة: تترك الحقيقة بدلاله الاستعمال والعادة"^(٢٩).

ويقول أيضا الشاطبي رحمه الله ولولا اطراد العادات معلوم لما عرف الدين من أصله فضلا عن التعرف على فروعه، لان الدين لا يعرف الا عند الاعتراف بالنبوة، ولا سبيل إلى الاعتراف به إلا بواسطة المعجزة ولا معنى للمعجزة إلا أنها فعل خارق للعادة، ولا يحصل فعل خارق للعادة إلا بعد تقرير اطراد العادة في الحال والاستقبال، كما اطردت في الماضي"^(٣٠).

وإعمال القاعدة يدل على استيعاب الشريعة للمتغيرات والمستجدات فمن أمعن النظر في هذه القاعدة ولم ينكر تغيير الأحكام المبنية على الأعراف والمصالح بتغيير الزمان، أدرك سعة آفاق الفقه الإسلامي وكفاءته الكاملة لتقديم الحلول الناجعة للمسائل والمشاكل المستحدثة وصلاحيته لمساره ركب الحياة، ومناسبته لجميع الأزمنة والأمكنة وهذا من أعظم عوامل القابلية للخلود في مباني الشريعة وفقهها وعلى هذا الأساس قرر الفقهاء عليها أحكاما كثيرة"^(٣١).

ثالثا: أدلة القاعدة

وردت أدلة هذه القاعدة في الكتاب والسنة

اما من الكتاب

١. قوله تعالى: " لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ"^(٣٢).

وجه الدلالة: فالضابط في أطعام المساكين هو ما تعارف عليه الناس انه طعام يشبع المسكين، وكذا بالنسبة للكسوة"^(٣٣).

٢. قوله تعالى: "وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ"^(٣٤).

وجه الدلالة: وفي تفسير هذه الآية أي وللنساء على بعولتهن من الحقوق واللوازم مثل الذي عليهن لأزواجهن من الحقوق اللازمة والمستحبة ومرجع الحقوق بين الزوجين يرجع إلى المعروف، وهو العادة في البلد، وذلك

الزمان، ويختلف ذلك باختلاف الأزمنة والأمكنة فالكسوة والنفقة والمعاشرة الكل يرجع إلى المعروف وأما الشرط فمعنى شرطهما إلا شرطا احل حراما أو حرم حلالا^(٣٥).

أما في السنة فأحاديث منها:

١. ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: " جاءت هندُ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: يا رسولَ اللهِ إنَّ أبا سفيانَ رجلاً شحيحٌ، لا يعطيني ما يكفيني وولدي، إلَّا ما أخذتُ من ماله، وهو لا يعلمُ، فقال: خُذي ما يكفيكِ وولَدكِ بالمعروفِ"^(٣٦).

وجه الدلالة: قال ابن حجر رحمه الله: " وفيه اي الحديث اعتماد العرف في الأمور التي لا تحديد فيها من قبل الشرع"^(٣٧).

رابعاً: تطبيقات القاعدة العامة

١. إن من وصى أو أوقف على جيرانه بأنه يرجع إلى مقصده في كلامه هذا فإن لم يعرف مقصده إلا بقريئة لفظه أو عرفيه فيرجع إلى عرفه في مسمى الجيران^(٣٨).

٢. أنه يجب في المضاربة الفاسدة بريح المثل، فيعطى العامل ما جرت به العادة أن يعطاه مثله من الريح إما نصفه وإما ثلثه^(٣٩).

٣. إن الأضحية تعتبر من النفقة بالمعروف فيضحى عن اليتيم من ماله وتأخذ المرأة من مال زوجها ما تقضي به عن أهل البيت وان لم يأذن لها في ذلك^(٤٠).

٤. جواز بيع المغيبات في الأرض من البصل والثوم والجزر واللفت والفجل، ونحوها على ما جرت به عادة أصحاب الحقول^(٤١).

٥. جواز تأخير تسليم المبيع إذا كان العرف يقتضيه كما إذا باع مخزوننا له في متاع كثير لا ينقل في يوم ولا أيام، فلا يجب عليه جمع دواب البلد ونقله في ساعة واحده^(٤٢).

خامساً: تطبيقات القاعدة في السياسة الشرعية

١. إن عموم الولايات وخصوصها- اي كون هذه الولاية عامة، وهذه خاصة، والصلاحيات المتاحة في كل وظيفة وما يستفيد منه المتولي بالولاية، يتلقى من الألفاظ والأحوال والعرف وليس لذلك احد في الشرع، فقد يدخل في ولاية القضاء في بعض الأمكنة والأزمنة ما يدخل في ولاية الحرب في مكان وزمان آخر، وبالعكس وكذلك الحسبة وولاية المال^(٤٣).

٢. عدم قطع اليد في الشيء التافه، فإن عادة الناس التسامح في الشيء الحقير من أموالهم إذا لا يلحقهم ضرراً بفقدته^(٤٤).

٣. لو كانت عادة الناس أنهم لو قدموا لأمير كبير عندهم هديه فاتهم يقدمونها على سبيل إن يعرضهم عنها خيراً منها وكان يفعل ذلك لهم، فقدم احدهم هبه أو هديه ولم يعطى عوضاً عن تلك الهدية فله المطالبة بالعوض أو الرجوع في هبته^(٤٥).

٤. إن ضابط الحرز في السرقة الموجبة لقطع اليد يرجع فيه إلى العرف، فما عده حرزاً فهو كذلك وما لا فلا^(٤٦).
ومن التطبيقات المعاصرة تغير الحكم التطبيقي المبني على العرف لتغير العرف الذي يبنى على الحكم الأول ومن أمثله تعجيل المهر أو بعضه أو كله أو تأجيله؛ بحسب العرف، وما يترتب على ذلك لدى القضاة من اعتبار الزوجة ناشزاً أو غير ناشز ان هي امتنعت عن الدخول في طاعة الزوج^(٤٧).

الفرع الثاني: قاعدة لا ينكر تفسير الأحكام بتفسير الزمان والمكان والأحوال.

أولاً: توضيح القاعدة

ثانياً: أهمية القاعدة

ثالثاً: أدلة القاعدة

رابعاً: تطبيق القاعدة العامة

خامساً: تطبيقات القاعدة في السياسة الشرعية

أولاً: توضيح القاعدة

يقول الشاطبي في الموافقات: "إن العوائد تختلف باختلاف الأعصار والأمصار والأحوال وغير ذلك من الأمور التي تتغير من زمن إلى زمن، وبلد إلى آخر، ولذلك فإنها لا يقضي بها البتة على من تقدم حتى يقوم دليل على موافقة العرف الجاري اليوم السابقة فيكون الدليل هو الذي جعلنا نقضي به على الماضي لا بمجرد العادة، وكذلك في المستقبل لا يحكم بالعادة الماضية أو العرف السابق، لأنها غير مستقره من ذاتها، وحيث كانت غير مستقره لا يتأتى الحكم بها إلا على التصرف الحادث وقت قيامه"^(٤٨).

ومن خلال ذلك نستخلص شروط اعتبار العرف

١. أن لا يخالف نصاً أو قاعدة شرعية.
٢. أن يكون موجوداً عند إنشاء التصرف.
٣. أن يكون مستقراً في جميع حوادثه؛ أو غالباً في كل زمان وفي كل مكان.

ثانياً: أهمية القاعدة

هذه القاعدة من القواعد المهمة، والتي لها تعلق ظاهر بالسياسة الشرعية لأنها مبنية على اعتبار أعراف الناس وعوائدهم والاجتهاد في تحقيق المصالح ودرء المفاسد كذلك هي مبنية على اعتبار حاله الدولة من قوه وضعف، واعتبار أحوال الناس من صلاح وفساد، فهي من القواعد المهمة التي يحتاجها العلماء والفقهاء والساسة.

وفي ذلك يقول ابن القيم - رحمه الله - "فهذا أصل عظيم يحتاج إليه المفتي والحاكم. فإن لم يكن فقيهاً فيه، وفقياً في الأمر والنهي، ثم يطبق أحدهما على الآخر، كان ما يفسد أكثر مما يصلح. فإنه إذا لم يكن فقيهاً في الأمر، وله معرفة بالناس، تصور له الظالم بصورة المظلوم وعكسه، والمحق بصورة المبطل وعكسه وراج عليه المكر والخداع والاحتيال، وتصور له الزنديق في صورة الصديق والكاذب في صورة الصادق، وليس كل مبطل ثياب زور تحتها الإثم والكذب

والفجور، وهو لجهله بالناس وأحوالهم وعوائدهم وعرفياتهم لا يميز هذا من هذا، بل ينبغي له أن يكون فقيهاً في معرفة مكر الناس وخداعهم واحتيايلهم وعوائدهم وعرفياتهم، فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال، وذلك كله من دين الله كما تقدم بيانه وبالله التوفيق^(٤٩).

ومن خلال النص السابق يتضح شروط الشخص الذي يفتي على أساس هذه القاعدة منها:

- ١- أن يكون ممن له رأي ونظر ومعرفة بقواعد الشرع.
 - ٢- إن يكون عارفاً بوقائع أهل الزمان مدركاً لأحوال أهلهم.
- وقد زادت أهمية هذه القاعدة في هذا العصر وحيث تتعدد الأقاليم الإسلامية وتناثر الجاليات المسلمة وغيرها مما ينبغي معه تقييد الفتاوى بأعراف المستفتين زماناً ومكاناً وحالاً.

ثالثاً: أدلة القاعدة

هذه القاعدة من القواعد المتفرعة من قاعدة العادة محكمة فكما أن عوائد الناس محكمه في الأحكام التي جاءت مطلقه من غير تحديد وتقييد، فإن هذه الأحكام تتغير نظراً لتغير الأعراف والأحوال، وعليه فإن من أدلة هذه القاعدة:

١. من القرآن العظيم قوله تعالى: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ ۗ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)^(٥٠).

وجه الدلالة: ارجع الله سبحانه وتعالى تقدير نفقه المرضع إلى العرف غني وفقراً فهي متغيره بحسب الزمان والمكان.

٢. قوله ﷺ لهند بنت عتبة ﷺ: " خذي ما يكفيك وولديك بالمعروف "^(٥١).

وجه الدلالة: أحال في نفقه الزوج والولد أي العرف وهو أيضاً متغير بحسب الزمان والمكان.

٣. ما رواه مالك والشيخان عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: «لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعه نساء بني إسرائيل»^(٥٢).

وجه الدلالة: كان الصلاح غالباً في عهده ﷺ حيث كانت النساء يخرجن مستورات الثياب فكانت المصلحة بخروجهن أي إلى المساجد لينالنا ثواب الجماعة ويتفقهن في الدين لذلك قال رسول الله ﷺ " لا تمنعو إماء الله مساجد الله "^(٥٣).

إما فقد تغير الزمان والحال فصار النساء يخرجن متبرجات بالزينة مما لا يؤمن معه ان يتعرض لهن السفهاء، رأت عائشة ﷺ أن المصلحة في منعهن من الخروج تغير الزمان.

رابعاً تطبيقات القاعدة العامة

١. إن الدين ليس له استيفاء دين من وإلى المدين حال غيبته إلا إذا كان من حبسه حقه، لما كان من زمانهم من انقياد الناس إلى الحقوق. قال به المتقدمون ثم لما استولت عادة الناس إلى الجمود قال الفقهاء للدائن استيفاء دينه ولو من غير حبس حقه^(٥٤).

٢. جواز إغلاق أبواب المساجد في غير أوقات الصلاة في زماننا، وذلك صيانة للمسجد عن العبث والسرقة لان وظيفة معظم المساجد اليوم اقتصرت على الصلاة، وغابت عنها وظائف المسجد ورسالته المقررة شرعا^(٥٥).
٣. على الزوجة إن تتابع زوجها بعد إيفائه لها معجل مهرها حيث أحب لما كان في الزمن الأول من المودة والوفاء ثم لما استقلت عادة الناس إلى الحقوق والأضرار قال المتأخرين: " لا تجبر الزوجة على متابعه الزوج إلى غير وطنه الذي نكحها فيه، وان أوفاهها معجل مهرها لتغير حال الناس إلى؟؟؟؟؟"^(٥٦).
٤. وجوب تسجيل النكاح لدى المأذون وتوثيقه من القاضي ونائبه في المحكمة وضبطه في السجلات لتغير أعراف الناس وأصولهم، وتطور أساليب حياتهم، وحفاظا على الأعراس ونسب الأولاد، وحقوق الزوجين^(٥٧).

خامسا: تطبيقات القواعد في السياسة الشرعية

١. لولي الأمر أن يمنع الناس من بعض الأمور المستحبة والمباحة للمصلحة العامة، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " لو أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منع نساء بني إسرائيل"^(٥٨).
٢. إن القضاة وغيرهم من أصحاب الولايات اذا لم يوجد إلا غير العدل أقمنا أصلحهم، وأقلهم فجورا، لئلا تضيع المصالح، وتتعلل الحقوق والأحكام، فقد حسن ما كان متبعا واتسع ما كان ضيقا، واختلقت الأحكام باختلاف الأزمان فإن خيار زماننا هم أراذل أهل العصر الأول وولاية الأراذل فسوق^(٥٩).
٣. انه لما نذرت العدالة وعزت في هذه الأزمان قالوا بقبول شهادة الأمتل فالأمتل، والأقل فجورا فالأقل^(٦٠).
٤. منع عمر بن عبد العزيز عماله عن القتل إلا بعد إعلامه وإذنه به بعد ان كان مطلقا لهم، لما رأى تغير حالهم^(٦١).
٥. جواز أحداث أحكام سياسيه لقمع أرباب الجرائم عند كثره فساد الزمان، وأول من فعل ذلك عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فانه قال: ستحدث للناس أقضيا بقدر ما أحدثوا من الفجور^(٦٢).
٦. جواز تحليف الشهود عند الحاح الخصم وإذا رأى الحاكم ذلك لفساد الزمان^(٦٣).

الخاتمة:

وتشتمل على نتائج وتوصيات

فالعرف قاعدة تطبيقه مهمة يرجع إليها في تطبيق كثير من الأحكام العملية، فالعلماء عند اعتبارهم الأعراف وملاحظتها عند تطبيق الأحكام، يستند إلى أصل شرعي ودليل معتبر؛ يؤكد ذلك اهم شروط اعتبار العرف وهو: ان لا يخالف نصا شرعيا.

احمد الله حمدا كثيرا واسأله سبحانه وتعالى ان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وفي ختام هذا البحث أشير إلى أهم النتائج التي توصلت إليها:

١. ان القواعد الكلية الكبرى المتفق عليها التي تنظم قواعد لها تعلق بالسياسة الشرعية ومنها. قواعد العرف والعادة

٢. ان هذه القواعد تركز على معالم رئيسيه في السياسة الشرعية وهي:

- رعاية المتغيرات التي تحصل بالأمة من سلم وحرب وعافيه وبلاد وضيق وسعه.
- سعه مفهوم السياسة الشرعية

٣. سعه مفهوم السياسة الشرعية وانتظامها لكل مصالح الناس الدينية والدنيوية.

ومن التوصيات المتعلقة بالبحث

أن باب السياسة الشرعية باب واسع فكتابه القواعد والضوابط المتعلقة من الوسائل المعنية عن إعطاء الجانب حقه أكثر وفي الختام الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأسأله سبحانه أن يتجاوز عني ما حصل من خطأ وتقصير وان يجعله عملاً متقبلاً وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

الهوامش

- (١) ابن فارس، أبو الحسن احمد زكريا (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٨م، ج٥، ص ١٠٨.
- (٢) سورة البقرة، الآية ١٥٧.
- (٣) سورة النحل، الآية ٢٦.
- (٤) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٥٦، ج٣، ص ٣٦١.
- (٥) الزمخشري، محمود جاد الله ابو القاسم، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ج١، ص ٣١١.
- (٦) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص ٧١.
- (٧) الفيومي، احمد بن محمد المغربي (ت ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، طبع بولاق، مصر، ط٣، ١٣١٦هـ، ج٢، ص ٧٤.
- (٨) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ)، الأشباه والنظائر، تحقيق عادل عبد الموجود، علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج١، ص ١٠١.
- (٩) التفتنازي، سعد الدين، التلويح على التوضيح، مطبعة محمد علي وأولاده بالأزهر،
- (١٠) الحموي، أحمد بن محمد مكّي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي (ت ١٠٩٨هـ) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، الكتب العلمية، بيروت ج١، ص ٥١.
- (١١) المرجع السابق، ص ١٤.
- (١٢) المرجع السابق، ص ١٥.
- (١٣) الفراهيدي، ابو عبد الله الخليل، العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١، ج٣، ص ٣٧٠.
- (١٤) الفراهيدي، العين، ج٣، ص ٣٧٠.
- (١٥) الفراهيدي، العين، ج٣، ص ٣٧٠.

- (١٦) الاسنوي، جمال الدين إبراهيم، نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول (للإمام البيهقي)، (ت٦٨٥هـ)، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٨، الجرجاني، التعريفات، ص ١٧٠.
- (١٧) الحموي، غمر العيون البصائر شرح الأشباه والنظائر، ج١، ص ٥١.
- (١٨) الزرقاء، مصطفى احمد، المدخل الفقهي العام، ج٢، ص ٩٦٥.
- (١٩) القراني، الفرق (أنوار البرق في أنوار الفرق) عالم الكتب، ج١، ص ٣.
- (٢٠) الزرقاء، مصطفى احمد، المدخل الفقهي العام، مطبعة حراتين، دمشق، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، ط١٠، دار الفكر، ج٢، ص ٩٤٩.
- (٢١) الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، مادة عدد، ص ٣٥١.
- (٢٢) سورة الأنعام الآية ٢٨.
- (٢٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٩٥٩.
- (٢٤) عبد السلام، عز الدين، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ص ١٢.
- (٢٥) القرطبي، محمد بن احمد الأندلسي (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص ٣٤٦.
- (٢٦) ابن رجب، المحافظ ابي الفرج عبد الرحمن، القواعد، ص ٢٣٠.
- (٢٧) الزرقاء، احمد محمد، شرح القواعد الفقهية، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ، ص ١٦٥.
- (٢٨) ابن سعدي، الأصول والقواعد الجامعة، ص ٤٧.
- (٢٩) ابو سنه، احمد فهمي، العرف والعادة في رأي الفقهاء، ط٢، ص ١٦١ - ١٧٠.
- (٣٠) الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص ٢٠٥.
- (٣١) سدلان، صالح عبد الله غانم، القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ، ص ٣٢٧.
- (٣٢) سورة المائدة الآية ٨٩.
- (٣٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٦، ص ١١٣ - ١١٤.
- (٣٤) سورة البقرة الآية ٢٢٨.
- (٣٥) السعدي، تفسير القرآن الكريم، ص ١٠٢.
- (٣٦) البخاري، كتاب النفقات، باب اذا لم ينفق الرجل، حديث رقم ٥٣٦٤.
- (٣٧) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٩، ص ٤٥.
- (٣٨) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٦، ص ٣٠٥.
- (٣٩) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج١، ص ٤١٥.
- (٤٠) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٦، ص ٣٠٥.
- (٤١) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج٤، ص ٧.
- (٤٢) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج١، ص ٤٦٥.
- (٤٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨، ص ٦٨.
- (٤٤) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج٢، ص ٤٨.
- (٤٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٣١، ص ٢٨٥ - ٢٨٩.
- (٤٦) البورنو، الوجيز، ص ١٦٧.

- (٤٧) تاج، عبد الرحمن، السياسة الشرعية في الفقه الإسلامي، ص ٨٢
- (٤٨) الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص ٢٢٠ - ٢٢٢.
- (٤٩) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج٤، ص ٢٦١.
- (٥٠) سورة البقرة الآية ٢٣٣.
- (٥١) البخاري، كتاب، حديث رقم ٥٣٦٤.
- (٥٢) البخاري، كتاب الأذان، باب خروج النساء إلى المساجد، حديث رقم ٨٦٩.
- (٥٣) البخاري، كتاب الجمعة، حديث رقم ٩٠٠.
- (٥٤) الزرقا، شرح القواعد الفقهية، ص ٢٢٧.
- (٥٥) الدلان، القواعد الفقهية الكبرى، ص ٤٣٩.
- (٥٦) الزرقا، شرح القواعد الفقهية، ص ٢٢٧.
- (٥٧) الدلان، القواعد الفقهية الكبرى، ص ٤٣٩.
- (٥٨) البخاري، سبق تخريجه، حديث رقم ٨٦٩.
- (٥٩) الزرقا، شرح القواعد الفقهية، ص ٢٢٩.
- (٦٠) الزرقا، شرح القواعد الفقهية، ص ٢٢٩.
- (٦١) الزرقا، شرح القواعد الفقهية، ص ٢٢٩.
- (٦٢) الزرقا، شرح القواعد الفقهية، ص ٢٢٩.
- (٦٣) الزرقا، شرح القواعد الفقهية، ص ٢٢٩.

المصادر والمراجع

- (١) ابن فارس، أبو الحسن احمد زكريا (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٨م.
- (٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٥٦.
- (٣) الزمخشري، محمود جاد الله ابو القاسم، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.
- (٤) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص ٧١.
- (٥) الفيومي، احمد بن محمد المغربي (ت ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، طبع بولاق، مصر، ط٣، ١٣١٦هـ.
- (٦) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ)، الاشباه والنظائر، تحقيق عادل عبد الموجود، علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- (٧) التفتازي، سعد الدين، التلويح على التوضيح، مطبعة مُجَّد علي وأولاده بالأزهر،
- (٨) الحموي، أحمد بن مُجَّد مكِّي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي (ت ١٠٩٨هـ) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، الكتب العلمية، بيروت.
- (٩) الفراهيدي، أبو عبد الله الخليل، العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١.
- (١٠) الاسنوي، جمال الدين إبراهيم، نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول (للإمام البيهقي) (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق شعبان مُجَّد إسماعيل، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٨، الجرجاني، التعريفات.
- (١١) الحموي، غمر العيون البصائر شرح الأشباه والنظائر.
- (١٢) الزرقاء، مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام.
- (١٣) القراني، الفرق (أنوار البرق في أنوار الفرق) عالم الكتب.
- (١٤) الزرقاء، مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، مطبعة حراتين، دمشق، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م، ط١٠، دار الفكر.
- (١٥) الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، مادة عدد.
- (١٦) ابن منظور، لسان العرب، ج ١.
- (١٧) عبد السلام، عز الدين، قواعد الأحكام في مصالح الأنام.
- (١٨) القرطبي، مُجَّد بن أحمد الأندلسي (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن.
- (١٩) ابن رجب، الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن، القواعد.
- (٢٠) الزرقاء، أحمد مُجَّد، شرح القواعد الفقهية، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ.
- (٢١) ابن سعدي، الأصول والقواعد الجامعة.
- (٢٢) أبو سنه، أحمد فهمي، العرف والعادة في رأي الفقهاء، ط٢.
- (٢٣) الشاطبي، الموافقات.
- (٢٤) سدلان، صالح عبد الله غانم، القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.
- (٢٥) السعدي، تفسير القرآن الكريم.
- (٢٦) البخاري، كتاب النفقات، باب إذا لم ينفق الرجل، حديث رقم ٥٣٦٤.
- (٢٧) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري.
- (٢٨) ابن تيمية، مجموع الفتاوى.
- (٢٩) ابن القيم، إعلام الموقعين.

- ٣٠) البورنو ، الوجيز .
- ٣١) تاج، عبد الرحمن، السياسة الشرعية في الفقه الإسلامي .
- ٣٢) الشاطبي، الموافقات .
- ٣٣) البخاري، كتاب الأذان، باب خروج النساء إلى المساجد، حديث رقم ٨٦٩ .
- ٣٤) الزرقا، شرح القواعد الفقهية .
- ٣٥) الدلان، القواعد الفقهية الكبرى .

موقع ماليزيا واثره في تطور الاقتصاد الماليزي (١٧٨٦-١٩٦٥)

الباحثة: أحلام ناجي مجيد

الدكتور رؤوف كاظم هيلان محسن

جامعة ذي قار / كلية الآداب

الملخص

سعت الخطة الثانية الماليزية إلى تنويع المحاصيل الزراعية؛ إذ ظهر اتجاه واضح لتحقيق اكتفاء غذائي ذاتي بماليزيا، عن طريق تشجيع المزارعين على زراعة الخضروات كالفاصوليا والفلفل الحار إلخ... بالإضافة إلى الاهتمام بالثروة الحيوانية، إذ كانت إدارات الطب البيطري تدعم المزارعين بتوزيع منتجات كالأبقار، والأسمدة، والشتلات والمبيدات الحشرية، وكذلك مبيدات الأعشاب، وشجعت الحكومة على الزراعة المزدوجة للأرز حيث يستطيع المزارع زراعة الأرز مرتين سنوياً، وبالتالي يستطيع المزارع مضاعفة محصوله، بالإضافة إلى زراعة جميع أنواع الأشجار المثمرة كالموز، وجوز الهند والأفوكادو والأناناس، والكاكاو إلخ... الكلمات المفتاحية: القطاع الزراعي، ماليزيا، الزراعة.

Abstract:

The Malaysian second plan sought to diversify agricultural crops; A clear trend has emerged to achieve food self-sufficiency in Malaysia, by encouraging farmers to grow vegetables such as beans, chili, etc. And livestock raising, as the veterinary departments were supporting farmers by distributing products such as cows, fertilizers, seedlings, and pesticides, as well as herbicides, and the government encouraged double cultivation of rice, where the farmer could plant rice twice a year, and thus the farmer could double his crop. addition to planting all kinds of fruit trees such as bananas, coconuts, avocados and pineapples.

Keywords: agricultural sector, Malaysia, agriculture

المقدمة:

أن القطاع الزراعي في ماليزيا يعتبر من أهم القطاعات المساهمة في نمو الاقتصاد الوطني. وأن مناخ ماليزيا المعتدل ساعد على زراعة أنواع مختلفة من المحاصيل الزراعية على مدار العام، بالإضافة إلى دعم الحكومة الماليزية لقطاع الزراعة بشكل كبير لما له من أثر على نمو عائدات الدولة، إذ يعتمد السكان في ماليزيا بشكل كبير على الزراعة منذ القدم، وذلك بسبب كثافة الأمطار فيها، ويعمل حوالي ٢٠% من سكانها في مجال زراعة المحاصيل المختلفة من أشجار مثمرة، وخضار وأنواع الحبوب، وساهمت الزراعة في تحسين الاقتصاد الوطني لماليزيا، إذ يرتبط الأمن الوطني الماليزي بالأمن الغذائي، وكذلك يساهم نموض قطاع الزراعة في تنويع

حركة الاقتصاد والتخفيف من الفقر من خلال تحسين الميزانية التجارية. ويعتبر القطاع الزراعي من أكثر القطاعات المؤثرة في حركة الاقتصاد في ماليزيا. وذلك بتأثيره على قيمة العملة المحلية، بسبب حركة التصدير إلى خارج البلاد، والبيع بالعملة الأجنبية. بالإضافة إلى مساهمة القطاع الزراعي في عملية الاكتفاء الذاتي للدولة لتخفيف الاستيراد من خارج البلاد. وتأثيره على الثروة الحيوانية بشكل مباشر بسبب زراعة القمح، والشعير الذي يعتبر الغذاء الرئيسي لإطعام المواشي والدواجن. إشكالية البحث: تتمحور مشكلة الدراسة بالسؤال الرئيسي التالي:

- ما مدى أهمية القطاع الزراعي في علاج الفقر والبطالة، ويتفحص منها عدة أسئلة فرعية منها:
- ماهي أهم المقومات الزراعية والطبيعية والبشرية التي تتمتع بها ماليزيا.
- ماهي أهم السياسات والاستراتيجيات الاقتصادية والاجتماعية التي مكنت ماليزيا من القضاء على البطالة.

أولاً: جغرافية ماليزيا

ماليزيا من الدول الإسلامية تقع في الجزء الجنوب الشرقي من قارة آسيا، وتطل على بحر الصين الجنوبي من جهة الشمال، تبلغ مساحتها ٣٢٩٧٥٨ كم مربع، ويحدها من الجنوب "إندونيسيا" و"تايلاند" و"بحر الصين الجنوبي" من الشمال(١)، ويتألف اتحاد ماليزيا من (٢):

- ١- ماليزيا الغربية : تتألف من دولة "الملايو" التي تشغل أراضيها معظم شبه جزيرة الملاوية التي تسمى باسم شبه جزيرة "كسرا"، وتتضمن "الملايو" (١١) ولاية اتحادية من بينها ولاية العاصمة كوالالمبور.
- ٢- ماليزيا الشرقية: وتضم ولايتي "صباح" و "سرواك"، بالإضافة إلى الأراضي الماليزية التي تجاور جمهورية "إندونيسيا"، ويفصل بينهما خط حدود بري يصل طوله إلى نحو (١٣٠٠) كيلو متر مربع.
- ٣ - مجموعة الجزر الصغيرة التي تقع بالقرب من شبه جزيرة "الملايو" ومن جزيرة "بورنيو" التي تبلغ مساحتها حوالي (٣٣٠٠) كيلومتر مربعاً.

دخل الإسلام إلى ماليزيا عن طريق مينائي (ملقا) و(سنغافورة) الواقعتين على مضيق (ملقا)، ويرجع الفضل للتجار المسلمين العرب في نشره من أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، وأصبحت (ملقا) مركزاً إسلامياً مهماً في أنحاء شبه جزيرة الملايو، والجزر المحيطة بها، وتبلغ نسبة المسلمين اليوم في ماليزيا حوالي ٥٦% من سكان الاتحاد، أما نسبة أهل الكتاب حوالي ١٣% من سكان الاتحاد، و ٣١% من العقائد الأخرى، وفي إحصاء عام ٢٠٠٧، قدرت نسبة السكان في ماليزيا أكثر من ٢٧ مليون نسمة، ويعد اختلاف الأديان عاملاً مهماً في تحفيز ودفع عملية التنمية (٣).

ينتمي سكان ماليزيا إلى عناصر متعددة أتت إليها خلال العصور الوسطى التاريخية المختلفة، واستقرت فيها، ومن هذه العناصر (الملايوي)، الذي ينتمي لفصيلة المغول، وهم من أهم العناصر شأنًا وأكثرها عددًا ويتركز وجودهم في شبه جزيرة الملايو، ويكثرون حوالي ٤٨% من مجموع سكان، أما العنصر الصيني فيأتي في المركز الثاني من حيث العدد والأهمية، و فهو يشكل نحو ٣١% من سكان الاتحاد، ويكون الهنود والباكستانيون حوالي ٨% من مجموع السكان، أما باقي السكان فيمثلون حوالي ١٢% من إجمالي السكان، إذ يتألقون من عناصر مغولية مختلفة الأصول، وأخرى عربية سكنت في البلاد للتجارة، واغلبهم من جنوب شبه جزيرة العرب، وبالإضافة إلى هؤلاء تعيش جماعة من الزواج في الغابات، وتظهر عليها البدائية حيث لا تزال على الوثنية والمعتقدات الروحية، وفي ماليزيا جاليات أوروبية أكبرها الانكليزية، وتعتمد ماليزيا على العنصر الصيني في قيادة عملية التنمية في ماليزيا(٤).

أما اللغات فهي متنوعة، وتعتبر اللغة الملايوية هي اللغة القومية والرسمية في ماليزيا الغربية، بالإضافة إلى اللغة الانجليزية في ماليزيا الشرقية، فيكونان معاً اللغتين الرسميتين للبلاد، ويوجد أيضاً اللغة الصينية والعربية والتاميل وفي ماليزيا مدارس تعنى بتدريس اللغة العربية والإسلام، ويدعو الحزب الإسلامي في ماليزيا باستمرار على أهمية نشر اللغة العربية في البلاد وتعليمها في المدارس(٥).

سيطرت على الملايو دولة " مسرفجايا"، في المدة الممتدة من القرن السابع وحتى الرابع عشر الميلادي التي يعود حكمها إلى أصول هندية، وفي عام ١٤٠٠م، انشأ الأمير " باراميسوارا"(٦) ميناء " ملقا"، واتخذ منه مركزاً للدولة وتوسع نفوذها كثيراً، واسلم " باراميسوارا"، واتخذ لنفسه اسم السلطان"، وكان لإسلامه خطوة كبيرة في انتشار الإسلام في سلطنته "ملقا"، وباقي شبه جزيرة الملايو، وفي آب ١٥١١م، تمكن البرتغاليون بقيادة " البوكريك" من السيطرة على " ملقا"، وفي عام ١٦٤١م، تمكن الهولنديون من طرد الاستعمار البرتغالي وحل محله، إذ احتل ماليزيا في " ملقا"، وخلال المدة ١٧٨٦-١٩٠٩م، تمكن البريطانيون من مد سيطرتهم على شبه جزيرة الملايو، وعلى شمال "بورتو"، بما في ذلك "سراواك" و"صباح"(٧).

سلك البريطانيون كل الطرق في سبيل تحقيق أعلى قدر من المكاسب الاقتصادية، والهيمنة السياسية على البلاد، حيث عملوا على تشجيع هجرة الصينيين والهنود، وشهدت الموانئ والمناجم والمصانع قدوم أعداد كبيرة من الصينيين، كما تم استقدام الهنود للزراعة (المطاط وزيت النخيل والشاي والقهوة والبهارات)، وصارت (كوالالمبور) مدينة ذات أغلبية صينية بعد تأسيسها كمركز لمناجم القصدير عام ١٨٥٧م، وأسهمت قوة العلاقات الداخلية الاجتماعية بين الصينيين ودعم بعضهم بعضاً والجمعيات السرية الناشطة في تحسين أوضاعهم المادية، وفي سيطرتهم على الاقتصاد الماليزي(٨).

بعد نشوب الحرب العالمية الثانية تمكن اليابانيون من السيطرة على شبه جزيرة الملايو، بالإضافة إلى سيطرتهم على باقي الهند الشرقية لمدة ثلاث سنوات ١٩٤٢ - ١٩٤٥، وعاد البريطانيون للسيطرة على المنطقة في عام ١٩٤٥(٩).

أعلن البريطانيون عام ١٩٤٦، عن رغبتهم في إنشاء اتحاد ملايوي يجمع شبه جزيرة الملايو، في دولة واحدة، وتحقيق الاستقلال بعد سنوات قليلة، ولكن مع تجنيس كافة العناصر غير الملايوية من الصينيين والهنود، كان هناك معارضة شديدة من قبل الملايو تجاه هذه الخطوة، وأسسوا في ١١ آيار ١٩٤٦ المنظمة الوطنية المتحدة للملايو (أمنو) برئاسة "عون جعفر"، ونجح هذا الحزب في توحيد (الملايو) تحت قيادته، وفي إجبار البريطانيين على التخلي عن مشروعهم، بالإضافة إلى تأسيس أحزاب أخرى بعدها ففي عام ١٩٤٩ تشكل حزب جمعية الصينيين الملايويين "أم سي ايه"، ويعد هذا الحزب ممثل لرجال الأعمال الصينيين وقادته يمثلون الرأي السياسي المعتدل ويميلون إلى الفهم المشترك مع (الملايو) في سبيل حماية مصالح الصينيين، وانتقلت قيادة حزب أمنو عام ١٩٥١، إلى (تنكو عبد الرحمن) (١٠) رئيس وزراء سلطنة قدح والذي تعاون مع رئيس حزب جمعية الصينيين الملايويين، وقد فاز تحالف الحزبين في انتخابات بلدية (كوالالمبور) عام ١٩٥٢، وحصلت اتفاقية "إتحاد الملايو" نتيجة تسوية للعديد من القضايا الخاصة بإتحاد الملايو، والتي تم وضعها كأساس للنظام الفيدرالي في ماليزيا وتكونت الحكومة الفيدرالية من المندوب السامي البريطاني والمجلس التنفيذي، والمجلس التشريعي، وتأسس على بنائها مجلس الحكام مع رئيس منتخب، ولكل ولاية مجلس تنفيذي خاص بها، فضلاً على مجلس الولاية للتعامل مع الشؤون التي لا ترتبط مباشرة بالاتحاد واستمر العمل بدستور عام ١٩٤٨، حتى عام ١٩٥٧، عندما حصلت ماليزيا على استقلالها، ثم شكلت لجنة عرفت باسم "لجنة ريد" عام ١٩٥٦ تمهيدا للاستقلال، وتألقت من خبراء دستوريين من (استراليا والهند والباكستان)، وبرئاسة اللورد "ريد" من المملكة المتحدة من أجل صياغة الدستور الماليزي، واحتوى التقرير على المبادئ الأساسية التي من ضمنها (١١) :

١. تأمين حماية وضع الحكام وكرامتهم.
 ٢. تأسيس حكومة مركزية قوية مع وجود ولايات تتمتع باستقلال ذاتي .
 ٣. وجوب اختيار ملك دستوري للاتحاد بين حكام الولايات.
 ٤. قومية عامة لكل الاتحاد.
 ٥. يجب حماية وضع الملاويين والمصالح للمجتمعات الأخرى.
- قاد "تنكو عبد الرحمن" عام ١٩٥٦ وفداً مثل التحالف وسلطين الملايو إلى التفاوض مع لندن، وهناك تمكن من الاتفاق على إعلان الاستقلال الذي حدث في ١٣ آب/١٩٥٧ (١٢).
- وفي عام ١٩٦١ دعا "تنكو عبد الرحمن" إلى ضم سنغافورة ' وسراواك وصباح وبيروناي التي كانت تقع تحت الاستعمار البريطاني إلى اتحاد الملايو، وإنشاء ماليزيا، وأدت المفاوضات مع ممثلي هذه البلدان ومع البريطانيين إلى انضمام (سنغافورة) و(سراواك) و(صباح) إلى الاتحاد، وتم إعلان استقلال (ماليزيا) في ١٦ أيلول ١٩٦٣، ولم يستمر التوافق طويلاً بين القيادة الماليزية، وبين (سنغافورة) التي خرجت من الاتحاد الماليزي عام ١٩٦٥ (١٣).
- ثانياً: أوضاع القطاع الزراعي في ماليزيا (١٩٦٦-١٩٦٩)

أن موقع ماليزيا المميز (١٤)، في جنوب شرق آسيا بين دائرتي عرض (٢٣٠-٨٠٠) ضمن المنطقة الحارة الشمالية، له أهمية مكانية على طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب، ومعظم التجارة العالمية تسلك طريق البحار والمحيطات منذ القدم، ولوجود مضيق ملقا الذي يعتبر الممر الأساسي لطريق الحرير البحري نحو الغرب إلى الدول المطلة على المحيط الهادي مروراً بالخليج العربي والبحر المتوسط وصولاً إلى أوروبا وشمال أفريقيا (١٥)، وتأقي أهمية الزراعة للاقتصاد الماليزي من خلال حقيقة أنها ساهمت بحوالي (٣٠%) من إجمالي الناتج المحلي لها، ووظفت حوالي (٥٠%) من القوى العاملة عام ١٩٦٦، وكانت القوانين التي صدرت أثر تطور الزراعة فيما يخص الأراضي، ونظام الحياة في البلاد، نتيجة قرون من الممارسات الشائعة، والإحصاءات المتوفرة بشأن الحياة، والملكية والعديد من جوانب الإنتاج الزراعي تقتصر إلى حد كبير على غرب الملايو (١٦)، ويعتبر الأرز هو السلعة الغذائية الرئيسية في البلاد، ففي عام ١٩٦٢ انتج غرب ماليزيا (٨٠%) تقريباً من المحصول في البلاد، ورفع الإنتاج الإضافي في شرق ماليزيا بنسبة (٧٠%) من الاحتياجات المحلية، لذا كان الاكتفاء الذاتي في إنتاج الأرز هدفاً وطنياً، وتم تنفيذ التنمية الريفية من قبل المجاميع الحكومية، ونسقتها تحت إشراف وزارة التنمية الوطنية الريفية (Ministry of National and Rural Development)، فيما تقع مسؤولية تطوير الأراضي على عاتق الهيئة الاتحادية لتطوير الأراضي (Federal Land Development Authority)، ووفرت الحكومة خدمات الإرشاد، وشاركت بنشاط في شبكات الصرف والري، وتم التركيز بشكل كبير على المراكز المجتمعية والمشاركة المحلية في تخطيط البرامج وتنفيذها، وتعرضت التنمية الريفية والزراعية في إطار الخطة الماليزية الأولى (١٩٦٦-١٩٧٠) لضغوط شديدة، إذ تم تخصيص (٢٣,٩%) من مخصصات ميزانية الخطة للتنمية العامة، وهي تنمية شاملة تغطي غرب ماليزيا وصباح وساراواك بعد أن كان لكل ولاية خطة خاصة بها أن القطاع الزراعي ذو طابع مزدوج، فالإنتاج يتألف من محاصيل تجارية، ومحاصيل غذائية للاستهلاك المحلي، والهدف هو تطوير سلع للتصدير تدر النقد الأجنبي، بالإضافة إلى استيراد العناصر الفرعية التي توفر النقد الأجنبي (١٧).

أن التنوع في التكوين العرقي أنتج تخصصاً في النشاط الاقتصادي، إذ كانت الزراعة مهنة الملايوين الذين انخرطوا في زراعة الكفاف، فيما كان الهنود عمال مزارع، وانجذب الصينيون للتجارة والتمويل والصناعات الصغيرة، وإن الهدف هو خلط العمالة العرقية في الصناعات الجديدة وفقاً لحصتهم من السكان، وكان نظام النقل والاتصالات ونظام الطاقة الكهربائية والمؤسسات المالية المنظمة وقنوات التسويق كانت أنظمة موروثية من الحقبة الاستعمارية، وبالرغم من أن هذه الخدمات لم تكن كافية من حيث النطاق، وتحتاج إلى التحديث لتلبية احتياجات السكان، ووفرت دعامة لا تقدر بثمن للنمو الاقتصادي، وهو ما تفتقر إليه العديد من البلدان النامية، وتمتعت ماليزيا بتاريخ من العملة المستقرة، وحد أدنى من التضخم، وتقع مسؤولية التخطيط الاقتصادي على عاتق مجلس الوزراء، وتودع إليه أعداد الخطط وادارتها في إدارة مجلس الوزراء، وفي عام ١٩٦١ نظمت الحكومة المركزية اللجنة الوطنية للتخطيط والتنمية اللجنة الوطنية للتخطيط والتنمية العامة (Economic Secretariat)، لتصبح وحدة التخطيط الاقتصادية (The National Development Planning Committee Economic Planning)، وإعادة تنظيم الأمانة الاقتصادية

(Unit) ، وتمثلت مهمة اللجنة الوطنية لتخطيط التنمية في صياغة وتنفيذ وتقييم التقدم ومراجعة خطط التنمية ، ومسؤولة عن العمل الوظيفي المتعلق بعمل اللجنة الوطنية لتخطيط التنمية ، وكان رئيس اللجنة يعين من قبل مجلس الوزراء ، أما عضوية اللجنة فتتألف من محافظ بنك نيجارا الماليزي (Negara) ، وممثلين عن الخزانة ووزارة التجارة والصناعة (١٨) ، ووزارة التنمية الوطنية والريفية ، ووحدة التخطيط الاقتصادي ، وإدارة الولايات ، وتعيين ممثلين (مندوبين) عن صباح وساراواك ، واحتفظت الوزارات الرئيسية بأقسام البحوث والتخطيط لدعم عمل التخطيط الوطني ، وكان هناك اتصال وثيق بين جميع الوكالات المعنية ، لضمان التنسيق في الخطط والأداء ، بالإضافة إلى ذلك تم تشكيل لجنة استشارية عام ١٩٦٧ تضم ممثلين عن المؤسسات الخاصة ، وجمعيات أرباب العمل والنقابات العمالية لنقل المعلومات بين الحكومة والشركات الخاصة (١٩) .

تقوم الوزارات والوكالات المعنية بتقديم تقارير عن التقدم المحرز في البرامج إلى غرفة العمليات الوطنية ، كما تحتفظ الولايات بلجان لإدارة وتقييم خطط التنمية ، وتم إجراء استعراض نصف المدة للخطة المايزية الأولى عام ١٩٦٨ ، لتقييم التقدم المحرز وإعادة تقييم الأهداف والاستراتيجية للسنتين الأخيرتين ، وأظهرت سلسلة الأداء أن الإنفاق التنموي للحكومة المركزية كان أقل من الهدف في عام ١٩٦٨ ، بسبب نقص التمويل الأجنبي المتوقع للمشاريع المخطط لها من خلال المراجعات لأهداف برامج القطاعية ، وتم التوصل إلى نتيجة مفادها أن هناك حاجة لتخصيص نفقات التنمية العامة نحو مشاريع أكثر إنتاجية خلال العامين القادمين ، وتم تخفيض الإنفاق على تطوير الزراعة والصناعة والبنى التحتية الوطنية والمهارات (٢٠) .

شهد عام ١٩٦٧ هيمنة الزراعة على اقتصاد البلاد على الرغم من الانخفاض الملحوظ في أسعار المطاط في العام نفسه ، إلا أن الزراعة وفرت (٥٦%) من عائدات صادرات البلاد ، وولدت حوالي (٣٠%) من الناتج المحلي الإجمالي ، ووفر القطاع الزراعي ، بما في ذلك الحراثة وصيد الأسماك وفرص العمل لنحو (٥٠%) من السكان النشطين اقتصادياً في غرب ماليزيا ، وحوالي (٧٥%) في شرق ماليزيا ، وان قانون الأراضي ونظام الحياة في البلاد كانا نتيجة قرون من الممارسات الشائعة ، وقد تعقدا بسبب محاولات التقنين القائمة على التقاليد المتنوعة والإحصاءات المتوفرة بشأن الحياة والملكية والعديد من جوانب الإنتاج الزراعي تقتصر إلى حد كبير على غرب ماليزيا ، ويعتبر محصول الأرز السلعة الغذائية الرئيسية في البلاد (٢١) ، وفي عام ١٩٦٧ أنتجت مناطق غرب ماليزيا حوالي (٨٠%) منه ، لغنى تربتها بالجرانيت والصخور الترياسية (Triassic) ، وهي شديدة الحموضة ومنخفضة المحتوى المعدني ، وان النباتات المتحللة منذ قرون أكملت تربة الغابات ووفرت تراكما دوريا للدبال ، وعلى الرغم من ذلك تجرف الأمطار الغزيرة الدبال ليتجمع سريعاً ، الأمر الذي يجعل الأرض الخصبية تصبح عقيمة بعد عدة سنوات ، مالم يتم تزويدها باستمرار بالأسمدة التي تختفي بسرعة بسبب الأمطار (٢٢) .

تعتبر تربة وديان الأنهار من أخصب الترب الغنية التي ترسبت في مناطق غرب ماليزيا ، وغدتها عوامل التعرية في نطاق بينانج (Penang) البركاني ، واستغلال الأرض يعتمد عليه الاقتصاد الماليزي من خلال ارتباطه بإنتاج السلع الأولية

التي تمثل المنتجات الزراعية جزءاً كبيراً منها ، إلا ان (٧٨٣٦٠٠٠) فدان فقط أو ما نسبته أقل من (١٠%) من إجمالي مساحة الأرض، تم عرضها عام ١٩٦٧ على أنها مخصصة للزراعة، وتشكل المستنقعات والغابات الاستوائية أكثر من (٧٥%) من إجمالي ارضي غرب ماليزيا، وحوالي (٧٥%) من ساراواك ، و (٨٠%) من صباح ، وان الأجزاء الوحيدة التي تم تطهيرها بالكامل في ماليزيا تقع في ولاية كيلانتان (Kalantan) ، وأجزاء من السهول الساحلية في شرق ساراواك وسباح ، وحوالي (٨٠%) من إجمالي المساحة المزروعة عام ١٩٦٧ خصصت لزراعة المطاط أو الأرز، أما (١٤%) الأخرى من الأراضي المزروعة تم استخدامها، لإنتاج جوز الهند وزيت النخيل، وقدرت المساحة الإجمالية المخصصة للفاكهة أكثر من ثلاثة أضعاف تلك المخصصة للخضراوات والقهوة والشاي مجتمعة، في حين استفادت المحاصيل الغذائية المتنوعة مثل الساغو والبطاطا الحلوة والمكسرات والفاصوليا والبطيخ، وقصب السكر من حوالي (٢%) من الأراضي المزروعة، ومثلت غرب ماليزيا ما يقارب من (٨٤%) من إجمالي الأراضي المخصصة للإنتاج الزراعي في البلاد، وشكلت ما نسبته (٩٠%) من الأراضي المزروعة بالمطاط (٢٣)، و (٨٥،٤%) من الأراضي المزروعة بنخيل الزيت وما نسبته (٧٠،٨%) من أراضي المخصصة لزراعة الأرز ، ووفقاً للأرقام المتاحة احتوت ساراواك على (٧٧%) من إجمالي الأراضي المنتجة للفلفل، أما مساحات الأراضي المزروعة بشكل دائم في صباح وساراواك صغيرة ، إذ ذكر بأنها عام ١٩٦٧ (٥٤٩،٠٠٠) فدان ، و(٧٢١،٠٠٠) فدان على التوالي ، وتمثل فقط ما نسبته حوالي (١،٩%) ، و (١،٥%) من مساحة أراضي كل منها على التوالي، أما نوعية الأرض في كلا المنطقتين رديئة، وبالرغم من اللوائح الحكومية، إلا أن محميات الغابات في كلا الولايتين كانت تواجه تحديات مستمرة ، بسبب تقنيات الزراعة المتغيرة والاستخدام غير المرخص للأراضي تطور نظام حيازة الأراضي من خلال القانون العرفي الملاوي الأصلي اعترف فقط بحق المزارع في استخدام الأرض، بسبب حيازته لها بموجب نظام الزراعة المتغيرة ، وكان هذا القانون العرفي (٢٤)، مقارنة بقانون بورما ، أندونيسيا، وتايواند ، وبورنيو وسومطرة مناسباً للظروف البيئية الطبيعية في الغابة الموسمية الكثيفة، فمع قلة عدد السكان والأراضي الوفيرة والنباتات الحرجية الطويلة التي تتطلب قطعاً شاقاً قبل الزراعة، وتم إنشاء الحقوق الأصلية عن طريق تطهير الأرض قبل زراعتها ، وتبقى تحت سيطرة المزارع المطلقة طالما بقيت مزروعة أو تحمل بعض العلامات الأخرى التي تدل على استمرار الاهتمام بها من جانب المزارع (٢٥).

كان الأرز الرطب يزرع في الأراضي المنخفضة على قطع أراضي دائمة تتطلب استثماراً مستمراً للعمالة عاما بعد عام، وسمحت العادات الملاوية للمزارع بترك قطع الأرض بدون زراعة لمدة أفضاها ثلاثة أعوام دون التنازل عن حقوقه مع إنشاء الملكيات الإقليمية، وأصبح المزارعون الذين عاشوا سابقاً في وحدات قبلية يحكمها زعيم ، رعايا ملكهم الحلي راجا، وكان المطلوب منهم دفع عشر (١٠/١) محاصيلهم له، وتبقى حقوق الانتفاع الخاصة بهم سارية المفعول طالما كانوا منشغلين ويزرعون أراضيهم ويدفعون رسوم محاصيلهم العادية، ونظراً لأن الأراضي المهجورة تم مصادرتها لصالح الراجا (Raja) ، ولأنه يستطيع الاستلاء على المحاصيل أو الأراضي بدون دفع الرسوم المفروضة على الأراضي المزروعة، لذلك فقد طور المبدأ القائل بان الحقوق المطلقة في الأرض ، بما في الأراضي المزروعة والمهجورة والمطهرة ، تعود للدولة المثلة بشخص

الراجا , وفي العديد من مناطق غرب آسيا لانزال أراضي الغابات الخاضعة لسيطرة الدولة تعرف بارض الراجا بعدها تطورت حقوق المزارعين الشاغلين للأرض إلى منح دائمة من الدولة تخضع فقط للضرائب ولوائح معينة للزراعة , وان الأراضي التي تم حيازتها على هذا النحو شكلت ففة الأراضي المنفردة (للأراضي المنقول ملكيتها) أي المنقول ملكيتها من الدولة إلى السيطرة الخاصة (يقصد الفلاح)(٢٦), من خلال منحهم سندات ملكية , ويتم تناقل هذه الملكيات الخاصة عن طريق البيع أو الميراث , وهذه الأراضي كانت أما تزرع من قبل المالك أو المؤجر بموجب الأنواع المختلفة من حق الانتفاع إلى الفلاحين الاخرين , وان الأحكام الدستورية والاختلافات الدينية والتقليدية والاقتصادية المميزة بين المالويين والصينيين والهنود وقانون الميراث الإسلامي تضافرت في جعل مشاكل الأراضي معقدة بشكل غريب, وفسرت الصعوبة الكبيرة التي واجهها المسؤولين في تطوير مصطلح الأرض الوحودية , بالإضافة إلى ذلك ترك الاحتلال الياباني خلال الحرب العالمية الثانية اراثاً من معاملات الأراضي غير المسجلة, وفي بعض المناطق فقدت السجلات تماماً وادت الاضطرابات التي حدثت أثناء مدة الطوارئ (١٩٤٨-١٩٦٠) التي تفاقمت فيها هذه المشاكل وخلقت مشاكل عرقية جديدة.

ثانياً: حيازة الأراضي وتسجيل ملكيتها

أن سياسة استخدام الأراضي كانت في المقام الأول مسؤولية الولايات, إلا أن سلطات الولايات سعت للتوجه الفدرالي في عدة مناطق, إذ اتفقت كل من حكومات الولايات والحكومة الفدرالية على أن الأراضي المناسبة للزراعة الأرز يجب أن لا يتم استغلالها لأغراض أخرى, وان الأراضي التي تحتوي على رواسب معدنية أو غير معدنية يجب أن لا تستغل للزراعة مالم يتم استغلال الرواسب, أما على صعيد الصناعة المرتبطة بالزراعة فيمكن القول أن الاقتصاد الماليزي في الحقبة الاستعمارية كان متخلفاً, ويعتمد على القصدية والمطاط , ولكن بعد استقلال ماليزيا عام ١٩٥٧, تم إعادة بناء الاقتصاد بنحو يجمع بين الاعتماد على الذات, وعلى رأس المال الخارجي, فقد استحدثت ماليزيا تطبيق استراتيجية تنمية تقوم بدعم وتطوير الصناعات المحلية التي تتنافس مع الصناعات الأخرى محلياً ودولياً, ومن جهة أخرى ساعدت هذه الاستراتيجية على تحول ماليزيا من مصدر رئيسي للسلعة الأولية غير المصنعة, ولا سيما القصدية والمطاط إلى دولة مصدرة للسلع ذات قيمة عالية ومحتوى ابتكاري وتقني عاليين, واستطاعت تحقيق اقتصاد قوي, وأصبح الإنتاج الصناعي أحد معايير تطور اقتصاد الدولة, إذ يعد القطاع الصناعي في ماليزيا من القطاعات الرائدة في اقتصادها لما له من إسهام في الصادرات, وتعتمد عليه الدولة بصورة أكبر من القطاعات الأخرى, وبموجب دستور عام ١٩٦٣ حول البرلمان الاتحادي إصدار تشريع يعزز سياسة توحيد حيازة الأراضي والتسجيل الاجباري للملكية والسندات , وتم انشاء المجلس الوطني للأراضي (The National Land Council) للأشرف على برنامج استخدام الأراضي وتنسيق وتطوير قانون موحد للأراضي , إذ تم تعيين مفوض للأراضي (Office of the Commissioner)(٢٧), ليكون بمثابة الوكالة الاستشارية الاتحادية , وأثمرت جهود المجلسين (المجلس الوطني للأراضي ومكتب مفوض الأراضي) عن قانوني نظم الأراضي الوطنية (National Land Code Acts) عام ١٩٦٣ و ١٩٦٥ , وكلاهما دخل حيز التنفيذ عام

١٩٦٦ ، ووضع غرب ماليزيا تحت قانون موحد ، ولا يزال تنفيذ أحكام هذين القانونين جارياً تبننت غرب ماليزيا بالكامل نظام تورينز (Torrens) الأسترالي، والذي بموجبية يحدد التسجيل العام الحق في ما يرقى للملكية ، ويتم الاحتفاظ بسجلات منفصلة لإصحاب الحيازات الصغيرة في غالبية المقاطعات، ويتم تسجيل سندات ملكية أراضي المدن والعقارات التي تزيد مساحتها (١٠-١٥) فدان في سجلات الولاية المركزية ، ومع ذلك فإن الاجمال الثقيلة التي القيت على عاتق الموظفين أدت في كثير من الأحيان إلى تراكم عملية التسجيل، وان نقل الملكية الزراعية كان يخضع لأحكام معينة (٢٨)، منها الحفاظ على مناطق الغابات، ومناطق الطرائد البرية ، ويعتبر الاستيلاء على الأرض من غير الحصول على ترخيص من حكومة الولاية أمراً غير قانوني كقاعدة عامة جسدت قوانين الأراضي مبدأ الملايو القديم القائل بان الملكية تعتمد على الاستخدام، كان لدى بيراك (Perak) ، سيلانجور (Selangor) ، ونيجري (Negri) ، وسيمبيلان (Sembilan) ، وباهانج (Pahang) الولايات التي كانت تشكل سابقاً الولايات الملاوية الفدرالية قانون أرض موحد ينص على مصادرة الأرض، اذا لم تتم زراعة نصف المساحة التي يغطيها سند الملكية لمدة ثلاث سنوات متتالية، وفرض غرامات على عدم الزراعة بالوقت المناسب ، واتبعت كيلانتان (Kelantan) ، وپيرليس (Perlis) ، وجوهو (Johore) ، وترنجانو (Trenngganu) ، وكيداه (Kedah)، والولايات الملاوية الغير فدرالية سابقاً النمط العام الذي حددته الولايات الملاوية الفدرالية، ولكن كانت هناك اختلافات، وقدمت بينانج (Penang) ، ومالاکا (Malacca)، وهما من مستوطنات المضيق سابقاً اختلافات أخرى فعادتا ما يحتفظ مالك الأرض الزراعية بمنحة من الولاية إلى الابد بموجب القانون، ويخضع فقط لشروط زراعية معينة، والايجارات السنوية الأسمية أو أسعار المياه أو كلاهما (٢٩).

أن الكثير من الفلاحين كانوا ملاكاً في الواقع ولكن ليس بالاسم، لأن سندات ملكية أراضيهم لم تكن محدثة بالرغم من ان لديهم الحق القانوني الكامل للمطالبة بالأرض عن طريق الميراث أو الشراء وتخلي بعض الملاك الصغار عن حصصهم غير المقسمة من الأرض المسجلة في سند الملكية للسماح لقريب آخر بزراعتها مجاناً، وكان يسمح لأبناء العديد من مالكي الأراضي الزراعية عند التقاعد من الزراعة النشطة بزراعة الأرض مجاناً مقابل رعاية المسنين، لكنهم كانوا يترددون بدهاء في نقل صكوك الملكية، وعند استخدام الأرض يلتزم أصحاب الأراضي الزراعية بطرق معينة في الزراعة، وبموجب شروط العقد يكونوا ملزمين ، إذ أن غالباً ما يتم حظر زراعة المطاط في الأراضي التي تناسب المحاصيل الأخرى بشكل أفضل من خلال الزامهم بقوانين التي تفرض الزراعة المناسبة للأراضي الريفية أو الحفاظ على التربة في التلال ، وكانت حكومة الولايات قادرة أيضاً على تشجيع تنمية بعض المحاصيل عن طريق تخصيص الأراضي لها، ومنح أجور أفساط خاصة أو خصومات على الإيجار ، وأهم تلك الأنواع التي تم تشجيع زراعتها هي الكاكاو بهذه الطريقة ، وأدى الطلب على الأراضي الذي حفزته ظروف الازدهار بالنسبة للمطاط والمحاصيل الأخرى في السنوات الأخيرة ، إلى تقديم عدد من الطلبات أكثر مما تستطيع مكاتب الأرض التعامل معه، والعديد من هذه الطلبات كانت قائمة منذ سنوات، وكان موظفو المكاتب العقارية في عدد من المناطق غير قادرين على منع انتشار الاستخدام غير القانوني للأرض توجد

خمسة أنواع أساسية من الاتفاقات بين الفلاحين ومالك الأرض في غرب ماليزيا , إضافة إلى ذلك الاتفاق الذي بوجبة يمنح الفلاح حقوق الحياة مباشرة من الدولة , وعلى الرغم من وجود اختلافات طفيفة في المناطق الجغرافية المختلفة وتفاوت المصطلحات المحلية بين المناطق , إلا أن هذه الأنواع الأساسية مفهومة، وراسخة من العقود في جميع أنحاء المناطق الزراعية الرئيسية (٣٠).

كان نظام الإيجار الثابت (التأجير Sewa) فيه يوافق المستأجر على دفع مبلغ محدد من الإيجار لكل وحدة محلية، أو على كامل الأرض التي يزرعها، ويغطي الاتفاق مدة محدودة عادة ما يكون عاماً، أو موسم زراعي واحد، ورغم ذلك من الممكن تجديد الاتفاق سنوياً لمدة (١٠) أو (٢٠) عام بموجب الاتفاق , فان الإيجار يستحق الدفع بغض النظر عن العائد الفعلي الذي تم الحصول عليه، إلا في حالة الفشل الشديد للمحاصيل بسبب الجفاف أو الفيضانات أو المرض أو بالتلف، بسبب الحشرات عند ذلك يتفاوض المستأجر مع المالك للحصول على إيجار أقل أو اتخاذ قرار بدفع جزء من الإيجار , وترحيل الجزء الآخر كدين إلى العام التالي، ويمتد هذا الاتفاق (اتفاق بيجاك (Pajak)) لمدة أطول من نظام الإيجار الثابت السنوي (Sewa) , إذ يوافق المستأجر على دفع مبلغ مقطوع من النقد مقدماً لتغطية المدة بأكملها , والتي تكون عادة ما بين (ثلاث وخمس) أعوام , ولكن في بعض الأحيان تتراوح المدة من (١٢-١٥) عاماً، وان عقد الإيجار هذا يوفر شروطاً أكثر ملاءمة للمستأجر، بسبب توفير المزيد من الأمان , بسبب المدة وأحياناً إيجار سنوي أقل لوحدة المساحة تعويضاً عن الدفع النقدي مقدماً، وفي نظام بيجاك يقوم المستأجر بدفع إيجاره مقدماً لمدة أعوام , لكن المالك يحتفظ بالحق في إنهاء الاتفاقية مؤقتاً عن طريق رد جزء من المبلغ الأصلي نظام (بوا Pawah) (٣١), أو نظام المشاركة في المحصول , وفيه يوافق الفلاح قبل البدء في العمل في الأرض على دفع حصة ثابتة من المحصول الناتج للمالك عند الحصاد، وعادة ما يكون المبلغ النهائي المدفوع مفتوحاً لبعض المفاوضات، ويسود نظام (بوا) في الولايات الساحلية الشرقية , إذ تكون الغلات بشكل عام أقل من الولايات الساحلية الغربية , ولقد تم تطوير نظام المشاركة في المحصول (بوا) بمجموعة واسعة من الحصص وخيارات واسعة لوسائل الدفع وتتراوح حصة المالك من (٤٥-٧٠%) على الساحل الشرقي، إذ تم العثور على نظام المشاركة في المحصول مطبقاً في بيرليس (Perlis) , ولكن فقط في حالات منعزلة من الأراضي الفقيرة , ونظام جاداي (البندق Gadai) يقوم المالك بموجب هذا النظام بنقل حق الانتفاع بالأرض مؤقتاً، ونقل حقوق الملكية إلى شخص آخر مقابل قرض مالي، وعادة لا يتم تحديد مدة النقل , واتفاقية وعد البيع (Jual Janji)، وفيه يوافق مالك الأرض على التعهد بحقوق ملكية أرضه كضمان لسداد قرض يحصل عليه في نهاية مدة زمنية محددة , وان هذه الترتيب يشبه نظام الرهن العقاري البريطاني، بالإضافة إلى محميات الغابات الخاضعة لحماية خاصة من حكومات الولايات المعنية، وكانت هناك مساحات كبيرة (٣٢)، خاصة في ولاية كيلانتان مصممة كمحميات ملاوية، وان الأرض في مثل هذه المحميات يمكن أن تنقل إلى الملايوين فقط، ويشمل (الملايوين) المهاجرين الإندونيسيين والتايلانديين، وان هذه التحفظات كانت في الأصل نتيجة لجهود الحكومة لحماية الأملاك الملايوين الصغار من التجار والمستثمرين في الأراضي والمرابين الذين اعتبروا الأرض ضماناً لأموالهم , وجاءوا بها لغرض حماية المصالح العرقية الملاوية

ضد تهديد الهيمنة غير الماليزية على شبه الجزيرة ، وفي اجراء من ولايتي ملقا ونيجيري سمبيلان كانت توجد إجراءات خاصة لها نفس تأثير التحفظات تقريباً ، وهذه الإجراءات كانت تحكم تسجيل الأراضي التي يحتفظ بها قبائل السكان الأصليين بالنسبة لمدينة ساراواك، إذ حاول نظام حياة الأراضي فيها تحقيق هدفين :- حماية السكان الأصليين من السكان غير الأصليين وخاصة الصينين ، وتوفير أراضي كافية لتحقيق تنمية اقتصادية فعالة ، وفي عام ١٩٦٥ أصبحت محاولات إصلاح الأراضي والتغير في القيود المفروضة على الأراضي في ساراواك قضايا سياسية باستثناء العديد المحدود من عقود الايجار الموجودة والتي مدتها (٩٩٩) عام، فان معظم مدة الايجار امتدت من (٦٠-٩٩) عام ، أما الإيجارات المؤقتة فكانت تمنح شروطاً أقصر قبل عامي ١٩٣٢ و ١٩٣٣ ، وتم تقديم قانون الأراضي (Land Ordinance) ، وقانون تسوية الأراضي (Land Settlement Ordinance) على التوالي كانت توزيع الأراضي والسيطرة عليها بيد الراجا الذي كان بإمكانية نقل ملكية الأرض عبر منح دائمة ، ولإكمال قانون الأراضي صدر مرسوم تصنيف الأراضي (Land Classification Ordinance) عام ١٩٤٩ ، وصنف هذا التشريع الجديد الأراضي إلى خمس فئات وحدد حقوق ملكية الأرض من قبل السكان الأصليين وغير الأصليين ، وان الفئة الأولى من الفئات الخمس هي أراضي المنطقة الأصلية والتي تشمل ما يقارب (٢,٦٠٠) ميل مربع ، ويقتصر شاغليها على السكان الأصليين ولا تزال معظمها تحت الحياة العرفية (٣٣)، أما الفئة الثانية فهي الأراضي العرقية وتشمل جميع الأراضي المملوكة بموجب الحياة العرقية الأصلية وهذه الفئة لا يتم إصدار سندات ملكية لها، وتمنح الحقوق على شكل تراخيص استخدام للأرض، وان هذه الحقوق التي اكتسبها السكان الأصليين من تطهير واحتلال للأرض قابلة للتحويل إلى الأبناء ، والفئة الثالثة هي الأرض المختلطة والتي لا يمكن منحها الا بعد التنازل عن الحقوق، وكان هناك من (٤٦٠٠) ميل مربع من الأراضي المصنفة على أنها مناطق مختلطة منها حوالي (١٠٠٠) ميل مربع تحت سيطرة الصينين، والسكان غير الأصليين، وما تبقى احتفظ به السكان الاصليون، أما الفئة الرابعة فهي الأراضي المحجوزة ، وتشمل جميع الأراضي التي احتفظت بها الولاية لأغراض مختلفة مثل محميات الغابات والمتنزهات الوطنية والفئة الخامسة في الأراضي الداخلية ، وتشمل جميع الأراضي التي تقع ضمن أي من الفئات الأربع الأخرى ، وهي في الغالب تتألف من الغابات غير المطهرة ومساحة صغيرة جداً من الأراضي التي تم تطهيرها ولم يصدر لها سندات ، وبعد عام ١٩٥٨ تم تشريع قانون جديد للأراضي بهدف الجمع بين كل قوانين الأراضي السارية ، وان مسؤولية مراعاة أحكام قانون الأراضي تقع على عاتق دائرة الأراضي والمساحة (Land and Survey Department) ، وكانت المهام الأخرى لهذه الدائرة تشمل نقل الملكية الأراضي (٣٤)، وتحصيل ايجارات الأراضي الأقساط ، ورسوم التراخيص وغيرها من الإيرادات الناتجة عن حقوق الأراضي والمعادن، وفي ولاية صباح كان هناك نوعين من حياة الأراضي هما :- حق الايجار العادي وكان متاحاً لأي شخص بناءً على موافقة الولاية على طلبه والملكية عن طريق القيد في سجل سندات الملكية الأصلية، وهذا يقتصر على السكان الأصليين، أما جميع الأراضي الأخرى فهي ملك للولاية، ولم يتم فيها منح سندات ملكية للمواطنين الذين يمارسون الزراعة المتنقلة في التلال، وقد ورد قانون الملكية ضمن قانون الأرض الذي تم توسعته ليشمل جزيرة لابوان (Labuan) في شباط عام ١٩٦٦، وان

سندات الملكية الممنوحة عن طريق القيد في سجل الملكية الأصلية تمنح المواطن حق استخدام وشغل الأرض بشكل دائم وقابل للتوريث والتحويل ، وهذه الحقوق كانت تخضع فقط لأحكام قانون الأرض، أما المستأجر فكانت مشاركته محصورة في أداء الأعمال ذات المنفعة المشتركة وواجب زراعة الحقول(٣٥).

يحضر القانون التعامل بالأرضي التي تدخل في سجل سندات الملكية بين السكان الأصليين وغير الأصليين، ومع ذلك يمكن بيع الأرض بموافقة السكان الذين يقومون بتحصيل عائدات الأراضي داخل أماكن إقامتهم ويقوم موظفي المقاطعات والمساعدين بمساعدة الحاصلين على عوائد الأراضي ونائب مسجل سندات الملكية في منطقتهم ، ويتم تسجيل ملكية المواطنين الأصليين والسجلات الميدانية محلياً من قبل مساعدي الذين يستحصلون عائدات الأراضي ، أما المعاملات الخاصة بجميع أشكال الملكية الأخرى فيتم تسجيلها من قبل مسجل الملكية في عاصمة الولاية ، أما بالنسبة لسماوات الإنتاج الزراعي في ماليزيا تم تنظيم الإنتاج في المقاطعات على أساس صناعي، كانت الحيازات الصغيرة تعمل عند مستوى الكفاف أو بالقرب من الكفاف وتتبع طرق الزراعة ما قبل الصناعة، فالإنتاج هو شأن عائلي للأسرة الكبيرة ، وعلى قطعة أرض صغيرة ، وهي حقيقة تمثل نسبة عالية نسبياً من السكان لكل فدان من الأرض المزروعة، كما أن حدائق السوق التي تديرها العائلات أيضاً تستخدم ممارسات إنتاج مكثفة ، وكانت أكثر الحيازات الصغيرة كفاءة، وان نقص الموارد ورأس المال تعد من العوامل التي ساهمت في انخفاض الإنتاجية وعدم كفاءة الحيازات الصغيرة ، ومع ذلك فان العوامل القانونية والمؤسسية، مثل تجزئة النماذج إلى وحدات غير اقتصادية صغيرة وملكية الغائبين وحالات عدم اليقين بشأن الإيجار والمشاركة في المحاصيل كانت في العادة خارجه عن سيطرة الفلاحين وهي مسؤولة عن عدم الكفاءة ان تقييم الأراضي الزراعية وتجزئتها يعد امرأ شائعاً في الدول التي يتأثر فيها توزيع الممتلكات بقانون الميراث الإسلامي ، فموجب القانون الإسلامي يجب تقييم تركة المتوفي بالتساوي بين افراد الأسرة الزوجات والأطفال الإناث ، وهذا الأمر يؤدي إلى تجزئة الأرض إلى حيازات صغيرة غير اقتصادية وزيادة المديونية وانخفاض إنتاجية الأرض، ولقلة الدخل من هذه الحيازات غالباً ما يبحث مالك الأرض عن وظائف أخرى تاركاً الأرض لتصبح أرضاً خصبة للآفات(٣٦).

ثالثاً: أهم المحاصيل الزراعية في ماليزيا

أن ملكية الأرض تعتبر مهمة جداً لدى الماليزيين سواء كانت مريحة أو لا، وبالتالي يتشبهت الورثة عادة بمحصولهم لأسباب تتعلق بالهيبية ، أما المحاصيل انقسمت إلى محاصيل تجارية (المطاط)، إذ يعد المطاط الطبيعي ، ومن أهم الصادرات المنفردة في ماليزيا حتى العام ١٩٦٧ ، وساهمت بنسبة (١٢%) من إجمالي الناتج المحلي أو حوالي (٤٣%) من إجمالي مساهمة الزراعة في الناتج المحلي الإجمالي، وفي عام ١٩٦٧ كان هناك حوالي (٤,٩) مليون فدان تنتج المطاط ، وكان (٩٠%) من هذه الأراضي موجودة في غرب ماليزيا ، وبلغ إجمالي الإنتاج حوالي (١) مليون طن، وزاد الإنتاج في غرب ماليزيا بنسبة (٢٨,٨%) مما كان عليه عام ١٩٦٦، لكنه انخفض في شرق ماليزيا ، وأرتفع متوسط العائدات في غرب ماليزيا من (٨٩٨) رنكت عام ١٩٦٥ إلى (٩٢٠) رنكت عام ١٩٦٧ ، وأرتفع عائد أصحاب الحيازات الصغيرة من (٧٧٢) رنكت إلى (٧٩٠) رنكت للفدان ، ويستغرق نموها من (٥-٧) سنوات قبل ان يتم جمع المحصول، وخلال

مدة النمو المبكر للشجرة ، إذ يجب بذل الكثير من العمل مثل أزاله الحشائش ، والصرف عند الضرورة واتخاذ تدابير للحد من التعرية، وان العمر الإنتاجي للشجرة الواحدة يتراوح (٣٥-٤٠) سنة ، وتبلغ ذروة انتاجها في عمر (٧-٨) سنوات بعد أول استغلال لها ، وإنتاج المطاط والمساحة المخصصة لها في تزايد ، إلا ان الحكومة تحاول زيادة تنوع المحاصيل، وتقليل اعتماد الاقتصاد على سعر المطاط ، فيما واجه المطاط أزمة خلال سنوات الكساد في الثلاثينات ، وأثناء الاحتلال الياباني في الحرب العالمية الثانية ، وأثناء حالة الطوارئ وأثناء الاضطرابات المدنية عام ١٩٦٩ ، ولكنه انخفض سعر المطاط في الربع الثالث من عام ١٩٦٧ ليصل (٤٧٤،٠) دولار للرطل وهاودني سعر وصل إليه (١٩) عاماً ، وفي عام ١٩٦٩ تضاعف سعر المطاط مرتين ضعف السعر السائد عام ١٩٦٧ ، أن أحد المشاكل الرئيسية التي تواجهه زراعة المطاط كانت منافسة المطاط الصناعي ، ومن أجل تعزيز مكانة المطاط الطبيعي في السوق العالمية أدخلت الحكومة عام ١٩٦٥ مقياس المطاط الماليزي (SMR)(٣٧).

أن مفتاح هذا التصنيف كان محاولة القضاء على الممارسات الخاطئة، وزيادة الجودة، وتحقيق درجة أكبر من الاتساق في الدرجات، وبحلول عام ١٩٦٧ تم إدخال المطاط الثقيل المطور حديثاً ، وتم إعادة زراعة (٧٨%) من جميع عقارات المطاط (٥٠%) من الحيازات(٣٨)، الصغيرة في غرب ماليزيا بهذه النوعية من الأشجار عالية الإنتاجية ، وفي ساراواك كان يوجد عدد قليل من المقاطعات المزروعة بالمطاط ، ولم يكن أي من هذه المقاطعات كبيراً جداً ، ونتيجة لذلك لم يتمتع أصحاب الحيازات الصغيرة المزروعة بالمطاط بفوائد الاستثمار الخاص كما هو الحال في البر الرئيسي يتلقوا حوافر من المقاطعات لتحسين المسارات الإدارية والتكنولوجيا ، فجزء من الأراضي المزروعة كانت تزرع بأشجار قديمة غير منتجة ، والكثير من المخزون الجديد عالي الإنتاجية لم يصل بعد أو بدأ للتو في مرحلة الإنتاج ، وبالنسبة لولاية صباح كان المطاط مفتاح الاقتصاد ، لأن معظم المطاط المنتج كان على طول الساحل الغربي والداخل الشمال، وبالنسبة لمنتج جوز الهند وزيت النخيل ، ففي برنامج التنوع الوطني يعتبر زيت النخيل أفضل محصول يزرع في الأراضي الجافة ، وتجاوز صادرات خام الحديد ليصبح رابع أكبر صادرات بعد المطاط والقصدير والاششاب ، ففي عام ١٩٦٧ بلغ إجمالي صادرات زيت النخيل والبذور (١٣٤) مليون دولار، مما جعل البلاد أكبر مصدر لزيت النخيل في العالم ، وبلغ إجمالي المساحة المزروعة بنخيل الزيت عام ١٩٦٧ (٣٩٢) ألف فدان بزيادة قدرها (١٧،٢) عن المساحة المزروعة عام ١٩٦٦ ، وكان حوالي (٨٥،٤) من الأراضي المزروعة بنخيل الزيت موجودة في غرب ماليزيا ، أما المساحة المتبقية فكانت في ولاية صباح ، وأجريت الأبحاث لتربية مخزون أفضل من نخيل الزيت ، والسيطرة على الأمراض وتحسين الأداء ، وشددت الإدارة على زراعة نخيل الزيت من خلال مخططات (مشاريع) الهيئة الاتحادية لتطوير الأراضي والمزارع الخاصة وزيادة المساحة المخصصة لنخيل الزيت ، وان المساحة المزروعة بجوز الهند عام ١٩٦٧ كانت أكثر من (٥٢٠) فدان ، ومعظم الإنتاج جاء من أصحاب الحيازات الصغيرة ، وفي عام ١٩٦٧ بلغ إجمالي إنتاج لب جوز الهند أكثر من (١٧٠) ألف طن ، وإنتاج الزيت بلغ (٨٠،٥٠٠) طن ، وكان متوسط إنتاج الفدان (١٦٠٠-٢٠٠٠) رطل من لب الجوز الهند، أما المحاصيل الأخرى مثل الأناناس تزرع في جميع أنحاء البلاد في ولايات جوهور (Johore) ، وسيلانجور (Selangor)

بيراك (Perak) ، إذ تمت زراعته لصناعة التعليب، وتمثل جوهر حوالي (٩٠%) من إجمالي إنتاج الولايات الثلاث، وان زراعة الفاكهة تنقسم بين المقاطعات، والممتلكات الحيازات الصغيرة، وأدى الاحتلال الياباني في الأربعينات من القرن الماضي إلى القضاء مؤقتاً على صناعة تعليب الأناناس في ماليزيا، وعادت معظم الأراضي المخصصة للأناناس إلى الغابة، ولكن بعد الحرب العالمية الثانية أعيد تأهيل هذه الأراضي عن طريق زرع الفلفل في حيازات صغيرة يبلغ متوسط مساحتها (٤/٣) فدان فقط، ولكنها تخضع لأساليب الزراعة المكثفة، إذ يفضل تناول جوز الأريكا والزنجبيل في شبه الجزيرة، ولا توجد أهمية تذكر للفلفل، ولا يتم إنتاج أي من هذه التوابل بكميات تجارية، أما في ساراواك خاصة يعتبر الفلفل محصول تصدير مهم، وبالرغم من انخفاض الأسعار في السوق (٣٩)، إلا أن قيمة صادرات الفلفل الأبيض والأسود من ساراواك ارتفعت، ويمكن جني محصول الفلفل في غضون (٣٠) شهر، إذ يمكن أن يحدث فرط الإنتاج في جميع أنحاء العالم بسرعة، مما تسبب في تقلبات أسعار واسعة، كما أن نقص رأس المال يثني السكان الأصليين عن زراعة هذا المحصول، وميل المحصول للتأثير الكبير بتقلبات الأسعار يعيق الإنتاج المتساوي لأصحاب الحيازات الصغيرة الصينيين، أما قنب مانيل (إباكا) فتزرع على نطاق واسع في منطقة تاواو (Tawau) في ولاية صباح، وهذا المحصول شديد التأثير بالأمراض الفيروسية التي هددت عام ١٩٦٦، وألحقت ضرر كبير بالإنتاج (٤٠).

أما إنتاج الساجو، وهو نشاء موجود في جذع شجرة نخيل الكبيرة، والتي تزرع على نطاق واسع في جميع أنحاء ولاية ساراواك، وهو ثالث محاصيل التصدير في هذه الولاية بعد المطاط والأرز، وان إنتاج القهوة كان قليل الجاذبية، بسبب عدم استقرار أسعار البن في السوق العالمية في السنوات الأخيرة، ومع ذلك كان الكاكاو ومحصول تصدير مريح، وكانت جودة المنتج في صباح جيدة ومقبولة في الأسواق الداخلية والخارجية، أما الشاي فكان يزرع في الأراضي المنخفضة والمرتفعات، وان الأراضي المنخفضة كانت تنتج غلات الشاي أعلى من المرتفعات لكنه أقل شعبية في السوق، بسبب رداءة جودته، أما التبغ فكان يزرع في الغالب للسوق المحلية، لكن بعد إنشاء ومصنع السجائر في سيبو (Sibu) قامت ولاية ساراواك عام ١٩٦٠ بتقديم حافز جديد لرفع الجودة وزيادة كمية المحصول المنتج، أما المحاصيل الغذائية تتكون من (الأرز)، وهو الغذاء الأساسي للبلاد، إذ يعد ثاني أكبر محصول بعد المطاط، ففي عام ١٩٦٧ احتل ما مجموعه (١,٢٧) مليون فدان، وبلغ الإنتاج المحلي حوالي مليون طن أي (٧٠%) من الاحتياجات المحلية، وتأمل البلاد في تحقيق الاكتفاء الذاتي في إنتاج الأرز، وإذا تم تحقيق أهداف زيادة الأراضي المزروعة بالأرز من خلال الصرف والري وتنمية الأراضي، فمن المقرر تحقيق هدف الاكتفاء بحلول عام ١٩٧٠ كان للجهود المبذولة لزيادة الإنتاج المحلي إلى جلب أنواع هجينة جديدة من الأرز غير القشور، وزيادة استخدام الأسمدة، وتحسين ممارسات الإدارة وبرامج الصرف والري على نطاق واسع، وفي عام ١٩٦٧ تضاعف المحصول في (١٣%) من حقول الأرز في غرب ماليزيا، وتضاعفت أرقام المحصول في البلاد (٢٢) مرة أكثر من إنتاج عام ١٩٥٧، وبلغ متوسط العوائد عام ١٩٦٧ (٢٥٣٩) رنكت للفدان مقارنة بالعائد البالغ (٢٤٣١) رنكت للفدان خلال موسم عام ١٩٦٦، وتتركز زراعة الرز الماليزي في شمال غرب

ماليزيا (بيرليس وكيدا وبينانغ وبيرك) , وتمثل هذه المناطق أكثر من (٥٥%) من إجمالي الإنتاج , أما المنطقة الشمالية الشرقية (كيلانتان وتريجانو) , فتمثل مانسبته أكثر من (٢٥%) (٤١).

أما المنطقة المهمة الأخرى تقع في ولاية سيلانجور , وان كل الأرز في شبة الجزيرة هو أرز رطب , ومعظم الأرز المزروع في ساراواك هو أرز جاف يزرع على سفوح الجبال الداخلية , وهناك القليل من تقاليد زراعة الأرز الرطب في ساراواك , ويحصد الفلاحون محصولاً واحداً سنوياً على الرغم من انه من المعروف تتم زراعة المحصولين في الماضي , وفي ولاية صباح تقع مناطق إنتاج الأرز الرطب الرئيسية على طول الساحل الغربي والداخلي , ويزرع الارز الجاف من قبل السكان الأصليين في التلال والمناطق الجبلية , وفي الغالب يستخدمون الزراعة المتنقلة , أما المحاصيل الأخرى بالإضافة إلى الأرز تم زراعة مجموعة من محاصيل الاستهلاك المحلي , ومن بين هذه المحاصيل تعتبر الذرة أحد الحبوب المهمة , وتزرع من قبل أصحاب الحيازات الصغيرة , وكذلك تعد البطاطا الحلوة من أهم المحاصيل الجذرية , والخضروات التي تزرع في الملايو , وفي حدائق السوق الصينية , وفي المناطق المرتفعة مثل مرتفعات كامبيرون (Cameron High – Lands) , وفي ولاية صباح يتم زراعة الخضروات المرتبطة بالمناخ الأكثر اعتدالاً والفواكه ومنها الفراولة , وكانت الفواكه الاستوائية مثل المانجو ستين , والبرتقال شائعة الزراعة في الحيازات الصغيرة , وان معظم الأراضي المزروعة بالفاكهة والبالغة مساحتها (٢٣٠) فدان كانت معدة للتصدير , أما ثمر شجرة الدوربان فكان يعتبر من الثمار الرئيسية للاستهلاك المحلي , وبالنسبة لتربية الحيوانات فان البيئة الاستوائية في البلاد لم تكن مناسبة , فتربية الماشية توفر انعطافاً استثمارياً أقل من زراعة المطاط ونخيل الزيت (٤٢).

توفر الغابات الاستوائية دائمة الخضرة في البلاد التي تحيط بها أراضي الغابات الساحلية الزيوت والصمغ واللاتكس والأدوية والفواكه والحاء والاششاب والفحم والحطب , وقبل دخول رأس المال الأجنبي كان السكان الأصليين يحافظون عليها من دون حدوث اضطراب خطير في التوازن البيئي , وبلغ عدم التوازن الأولي الذي أحدثه الحصاد التجاري للأراضي الحرجية ذروته عند إدارة الحكومة لموارد الاخشاب في البلاد , وفي عام ١٩٦٨ بلغت مساحة الأراضي الحرجية (٨٩,٠٠٠) ميل مربع تمثل حوالي (٧٠%) من إجمالي مساحة الأرض , وتحتجز الحكومة احتياطات تبلغ مساحتها (٣٨٦٠٠) فدان , وان المحاصيل السنوية (الاششاب) تختلف على نطاق واسع في جميع أنحاء البلاد , وكانت (٢٥-١٠) طن للفدان , وأعلى غله في صباح , وبلغ إجمالي الإنتاج عام ١٩٦٧ ما يعادل (٨,٩) مليون طن , فبين عامي (١٩٦٦-١٩٦٩) نمت عائدات الصادرات من الأخشاب المقطوعة والأخشاب المنشورة بمتوسط معدلات سنوية , وبلغت (٢٣%) و (١٣%) على التوالي , وبلغت قيمة صادرات الاخشاب ومنتجات الغابات عام ١٩٦٧ (٦٠٢,٥) مليون رنكت , وهو ما يمثل (١٦%) من إجمالي عائدات الصادرات في البلاد , فيما احتلت الاخشاب المرتبة الثالثة لأهميتها بعد القصدير والمطاط , وعلى نطاق التمويل وتسويق المنتجات الزراعية يختلف في الحجم والتعقيد التقني , فالأليات التي يعتمد عليها أصحاب الحيازات الصغيرة تمتاز بالحدودية في المناطق الريفية , وتمثل بذلك عقبة كبيرة أمام التنمية الوطنية وتكامل الاقتصاد الوطني , وان جمع ومعالجة المنتجات الزراعية يتم على أيدي القطاع الخاص , وفيما

كانت العمليات الحكومية تزيد بشكل هامشي ، إذ كانت هناك محاولات من جانب المؤسسات الحكومية مثل معهد أبحاث المطاط أو الهيئة الفدرالية لتطوير الأراضي ، بهدف مساعدة الإنتاج الإقليمي لأصحاب الحيازات الصغيرة الذين كانوا يبيعون انتاجهم للمستهلكين في الأسواق المحلية خاصة في غرب ماليزيا ، إذ يتم التعامل معهم من خلال سلسلة من الوسطاء ومكاتب البيع بالجملة ، وكان المنتجين قادرين على الاختيار بين وكلاء المطاحن أو التجار المستقلين أو الجمعيات التعاونية لبيع محاصيلهم ، وان غرب ماليزيا على طول الساحل الغربي ، يعتبر أكثر تطوراً من ولايتي صباح وساراواك ، ويمتلك مرافق نقل وتسويق أكثر انتظاماً ، ويعد نظام النقل أكثر الأنظمة تقدماً في جنوب شرق اسيا بمستوياته المختلفة البرية والجوية والبحري وسكك الحديد ، فالشحن البحري وفر سفن متخصصة وجداول زمنية منتظمة من جهة أخرى توجد بعض المناطق معزولة عن السوق الوطنية ، وتعتمد على الأطعمة المخففة أو المنتجة محلياً ، وتعتمد على وسائل النقل التقليدية للحكومة دور واسع النطاق في الزراعة ، إدراكاً منها للدور الأساسي لهذا النشاط في التنمية الشاملة للبلاد ، إذ خصصت الحكومة (١٠٨٧) مليون رنكت للزراعة والتنمية الريفية في خطة (١٩٦٦-١٩٧٠) ، وهو ما يشكل (٢٩%) من نفقات التنمية العامة المنصوص عليها في الخطة ، واتبعت الحكومة تشجيع مشاركة المجتمع والمؤسسات المحلية بدلاً من دخول القطاع الزراعي بنفسها ، وشجعت الاستثمار الخاص من خلال المنح ، وطورت مفهوم الاكتفاء الذاتي ، وكذلك أنشأت الحكومة الخدمة الارشادية مع مراكز ميدانية ومحطات بحثية في عام ١٩٦٦ ، إذ قدم قسم المصائد التابع لوزارة الزراعة والتعاونيات اسماً كماً مجانية للفلاحين ، لتشجيع البرك الزراعية ، وكان يجري عمل متقدم في معهد البحوث البيطرية (Veterinary Research Institute) في ايبوه (Ipoh) على مكافحه الأمراض الحيوانية وتحسين مخزون التربية ، وتم إنشاء مركز للتلقيح الاصطناعي في بأروي (Paroi) ، للتوسع في خدمات التلقيح الاصطناعي في البلاد ، وتم احراز تقدم في أبحاث الدواجن والغابات(٤٣).

الخاتمة :

نرى من خلال دراستنا السابقة أن تطور الزراعة في ماليزيا هي احدى التجارب الفريدة التي يجب على الدول العربية والإسلامية الاستفادة منها، فماليزيا اليوم تعد في طليعة الدول التي تسمى بنمور آسيا، والتي خرجت من طوق التخلف والرجعية، ودخلت ضمن الدول المتقدمة، وهي الدولة الإسلامية الوحيدة التي يقوم إقتصادها على التنوع، ويعود الفضل في ذلك إلى اهتمام الحكومات الماليزية منذ الاستقلال في العام ١٩٥٧ بالمواطن وتنمية طاقاته، وامكاناته الفكرية، مما حفز المواطن على رد الجميل لدولته وحكومته التي قدمت له كل مستلزمات الرقي البشري المادي والمعنوي، وتقدمت ماليزيا بفعل القيادات السياسية والنخبة التي حكمتها، فضلاً عن وجود شعب متسامح، ويمتلك فيما انسانية نبيلة قوامها حب البناء والتقدم وعدم الميل للعنف، وتفكيك الوحدة الوطنية للبلاد، بالإضافة إلى أن السبب الرئيسي لتقدم ماليزيا يعود بنجاح النظام السياسي الذي حقق معادلة للتوازن بين ما هو سياسي واقتصادي، وعليه مهما يقال عن خطة ماليزيا الزراعية، لا يمكن ايفاؤها حقها فهي تجربة يجب دراستها.

الهوامش

- (١) ماجد حمود وكمال حمود، الأطلس الجغرافي للعالم الإسلامي، حلب، دار الرضوان، ٢٠٠٦، ص ٨١؛ شفيقة العريس، الموسوعة الجغرافية للبلدان العالم، دار يوسف، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٧٢.
- (٢) جودة حسين جودة ، جغرافية أوراسيا الإقليمية، منشأة المعارف بالاسكندرية - ٢٠٠٠ ، ص ٥٣١-٥٣٢.
- (٣) المصدر نفسه، ص ٥٤٥-٥٤٨.
- (٤) نفسه، ص ٥٤٨.
- (٥) علي احمد هارون وجودة حسين جودة، جغرافية الدول الإسلامية، منشأة المعارف بالاسكندرية، ١٩٩٩، ص ٥٢٠؛ جودة حسين جودة، جغرافية اوراسية الإقليمية، المصدر السابق، ص ٥٤٣-٥٤٤.
- (٦) باراميسوارا: (١٣٤٤-١٤١٤): ولد في مملكة سينجابورا في أندونيسيا، وهو آخر ملوك سنغافورة ، ومؤسس ملقا. وحكم سنغافورة من عام ١٣٨٩ إلى عام ١٣٩٨. فر الملك من مملكة الجزيرة بعد جاء الغزو البحري عام ١٣٩٨ ، وأسس معقله الجديد على مصب نهر بيرتام في عام ١٤٠٢. وبعد مضي عدة عقود ، نمت المدينة الجديدة بسرعة لتصبح عاصمة سلطنة ملقا. للمزيد ينظر:
Mexico, John N. (November 15, 2013), Singapore and the Silk Road to the Sea, 1300 – 1800, NUS Press, P. 155-163.
- (٧) علي احمد هارون، المصدر السابق، ص ٥٢٠-٥٢١.
- (٨) مُجدد السيد غلاب واخرون، البلدان الاسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر، جامعة الإمام مُجدد بن سعود الاسلامية ، الرياض، ١٩٧٩، ص ٢٩٠-٢٩١.
- (٩) محسن مُجدد صالح، النهوض الماليزي : قراءة في الخلفيات ومعالم التطور الاقتصادي ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، أبو ظبي ، ٢٠٠٨، ص ١٣.
- (١٠) تنكو عبد الرحمن: هو أول رئيس وزراء في ماليزيا بعد الاستقلال، شغل المنصب للفترة ١٩٥٧ - ١٩٧٠، ولد في عام ١٩٠٣ في بلدة الورستار بولاية قده دار الامان ، التحق بالمدرسة الوطنية في بلدة الورستار ثم بالمدرسة الانكليزية ، ثم درس في جامعة كامبريدج في بريطانيا عام ١٩٢٣، وحصل على شهادة البكالوريوس في القانون، والتاريخ ، وفي عام ١٩٤٨ حصل على درجة الامتياز في القانون من كلية أبو شامبل كما حصل على العديد من درجات الدكتوراه الفخرية وعين في العام ١٩٦٠ رئيساً لجامعة الملايو واستمر في المنصب لعام ١٩٧٠، وانتخب في العام ١٩٥١ رئيس الحزب لمنظمة الملايو الوطنية المتحدة، وقاد الحزب كفاحاً مريراً للحصول على الاستقلال عن بريطانيا في العام ١٩٥٧ ، وهو أول أمين عام لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، ومبادرة من تنكو عبد الرحمن تم انشاء في كولالمبور المجلس الاقليمي للدعوة الإسلامية لمنطقة جنوب شرقي آسيا والمحيط الهندي بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في العام ١٩٨٠، وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام في العام ١٩٨٣ ، توفي في العام ١٩٩٠. للمزيد ينظر: يعرب عبد الرزاق الدراجي، تنكو عبد الرحمن ودوره السياسي في ماليزيا حتى عام ١٦٧٠م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية/ جامعة القادسية، ٢٠١٤.
- (١١) محسن مُجدد صالح، المصدر السابق ، ص ١٤-١٥.
- (١٢) المصدر نفسه، ص ١٦.
- (١٣) علي فهد الزميع، تجربة الانتقال الى الديمقراطية في دولة الكويت، في مجموعة مؤلفين لماذا العقل الآخرون إلى الديمقراطية وتأخر العرب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٩، ص ١٣٠-١٣١.

(١٤) ماليزيا : بلاد الملايو سابقاً , اعتمد اسم ماليزيا في عام ١٩٦٣ بعد اتحاد سنغافورة وبورنيو الشمالية وسراواك واتحاد الملايو , إذ اتحدت

(٤) ولاية ليطلق عليها اتحاد ماليزيا ينظر :

Suarez Thomas , Early Mapping Of Southeast Asia , PP.46-47.

(١٥) زكريا اونج سو , ماليزيا في : سليمان عبد العزيز الراجحي , الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي اقليم جنوب شرق اسيا , المجلد السابع ,

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية , المملكة العربية السعودية , ١٩٩٨ , ص ١٦٢ .

(16) Sze – Chieng , Silence revolutionaries , Challenging the reserved View of Malays Revolutionary Past , Master Theses , Arizona State University , 1997 , P.56.

(17) Golt Benglan , Globalization and Post – Colonial Nation in Malaysia , Philippine Journal of third world studies , No.23 , Vol.2 , 2008 , P.11.

(١٨) المصدر نفسه.

(19) Chandra Muzaffar , An Analysis of the Concept and Practice of Loyalty in Leader – Led Relationships within Malay Society : Protector ? Penang : Malaysia , Aliran , 1979 , PP.56-59.

(20) Shukri Shuib and Others, The Implications of Cold War on Malaysia State Building Process, Universities Malaysia , 2009 , P.94.

(21) First of Tow Oral History Interviews with Charles F. Baldwin , Charlottesville Virginia by Dennis J. O Brien , For The John F. Kennedy Library , March 13 1969 , P.34.

(22) ROSNANI HASHIM, A Hyphenated Identity: Fostering National Unity Through Education in Malaysia and Singapore, International Islamic University, Malaysia , June 2009 , P.47.

(23) Leon Comber , 13 may 1969 – The Darkest Day in Malaysian History , Marshall Cavendish Editions , Singapore , 2009 , P.5.

(24) Daine K. Mauzy and Robert Stephen Milne , Politics and Government in Malaysia , University of Michgen , Times Books International , 1980 , PP.127-138.

(٢٥) بلال محمد سعيد المصري , تجربة ماليزيا في التنمية الاقتصادية , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية , جامعة الازهر , غزة , ٢٠١٦ , ص ٥٩ .

(٢٦) بلال محمد سعيد المصري , المصدر السابق , ص ٥٩ .

(27) Abdul Rahman Putra , Tunku AbdulRahman 1956-1970 Kualaumpur , Malaysia , 1988 , P.280.

(٢٨) جابر سعيد عوض , السياسات العامة في ماليزيا , برنامج الدراسات الماليزية , كلية الاقتصاد والعلوم السياسية , جامعة القاهرة , ٢٠٠٥ , ص ٢٥٧ .

(29) Abdul Rahman Putra , Oo.Cit. , P.280.

(٣٠) محمود عبد الفضيل ، العرب والتجربة الاسبوية الدروس المستفادة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٩.

(18) Ahmed Fawzi Abdul Hammered , The Islamic opposition in malaysia , New trajections and directions , rajaratnam school of interactional studies , February , Singapore , 2008 , PP.5-7.

(٣٢) عادل بن عمر ، الاقتصاد الماليزي ، بين الوطنية الاقتصادية والتحديات الخارجية ، ص ٣٤٨.

(33) Ahmed Fawzi Abdul Hameed , Op.Cit. , P.19 ;

حازم السيد حلمي عطوه مجاهد ، اقتصاديات المشروعات الصغيرة وسبل النهوض بما في ضوء التجريبتين الماليزية والهندية ، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية ، العدد ٧٣ ، جامعة المنصورة ، مصر ، ٢٠٢٢ ، ص ٥٤٨.

(٣٤) عبد الحافظ الصاوي ، قراءة في تجربة ماليزيا التنموية ، مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٤٥١ ، الكويت ، ص ٢٠.

(٣٥) علي أحمد درج ، التجربة التنموية الماليزية والدروس المستفادة منها عربياً ، مجلة جامعة بابل ، العلوم الصرفة والتطبيقية ، العدد ٣ ، مجلد ٢٣ ، ٢٠١٥ ، ص ٣٧٤.

(36) Syed Mohammad Naguib Al-Attas (a) – Preliminiray Statement on a General Theory of Islamization of The Malay – Indonasian Archipelago- DBP , 1965 , P.27.

(٣٧) تم ادخال شجرة مطاط البارا (Para) إلى ماليزيا عام ١٨٧٧ من البذور المأخوذة من وادي الامازون في البرازيل وترعرعت في لندن ، وتتميز شجرة البارا صلاحاتها التي تمكنها من النجاة من المنافسة الشرسة الأنواع الأخرى مع ذلك فان التربة ذات الصرف الجيد كانت ضرورية ، وان الكثافة المثلى للأشجار عالية الغلة تبلغ حوالي (١٢٩) شجرة لكل فدان ، لكن أصحاب الحيازات الصغيرة كانوا في كثير من الأحيان يزرعون (٢٠٠-٤٠٠) شجرة لكل فدان.

(٣٨) عبد الرزاق جلبي ، التجربة الماليزية في التنمية الإنسانية ، ورقة عمل قدمت في مؤتمر التحديث والتغيير في مجتمعاتنا ، جامعة عين شمس ، مركز الدراسات المعرفية ، ٧-٨ ابريل ٢٠٠٨.

(39) R. Chander , Population Census of Malaysia 1970, Jabatan Perangkaan , Kuala Lumpur , Vol.1 , 1977 , P.272.

(40) Asmah Hj Omar , Kajian Dan Perkembangan Bahasa Melayu , DBP , P.153.

(٤١) سعد علي حسين التميمي ، تجربة التنمية الماليزية ، دراسة في الابعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، ٢٠٠٤ ، ص ٨٢-٨٤.

(٤٢) عبد الحافظ الصاوي ، المصدر السابق ، ص ٥٣.

(43) Jong - Wha Lee , Domestic investment and external imbalances in East Asia , Korea University and the Australian Notional University , March 2007 , P.6.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، الجزء ٢ العدد ٢٦ بتاريخ ٢٠٢٣/٦/١٥

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الوصف في رواية مولد غراب لوارد بدر السالم

المدرس الدكتور مشتاق سالم عبد الرزاق

كلية الآداب - جامعة البصرة

الملخص

يعتبر الوصف من العناصر الفنية المهمة في الرواية ، فمن خلاله يستطيع الراوي تجسيد خطابه الروائي المنسجم مع تلك العناصر سواء أكان وصفاً للأحداث ام للشخصيات ام للزمكان وهذا الانسجام انما يعطي انطباعاً بقوة السبك والانسجام التام بينها ، ولا يشترط ان يكون الوصف بمثابة استراحة للسرد مثلما كان سائداً ، بل على العكس تماماً ، اذ وجدناه مكتملاً ومجسداً للأحداث بشكل دقيق ، وقد يتباطى السرد من خلال الوصف الا ان الاخير لا يوقف تنامي الاحداث بقدر ما يعتبر رصانة مهمة للرواية التي جاءت نتيجة الانسجام المطلق بين الوصف والاحداث .
الكلمات المفتاحية: الوصف، وظائف الوصف، وصف الشخصيات، وصف الاحداث، وصف الزمن الروائي، وصف المكان.

Description in the Novel "The Birth of a Crow" by Ward Badr Al-Salem

The description is considered one of the important artistic elements in the novel, through which the narrator can embody his narrative discourse that is consistent with these elements, whether it is a description of events, characters, or time. This harmony gives an impression of the strength of casting and the affinity between them, and it does not require that the description be a break for the narration, on the contrary, as we found it complementary and embodied the events accurately, and the narration may slow down through the description, but the latter does not stop the development of the events as much as it is considered sobriety for the narration which came as a result of absolute harmony between description and events.

Keywords: description, description functions, description of characters, description of events, description of narrative time, description of place

المقدمة

الحمد لله حمدا يليق بجلاله ، وصلى الله على نبيه الامين، واله الطاهرين، وصحبه المنتجبين وبعد ...
افادت الدراسات العربية من المناهج والنظريات النقدية الأوربية الحديثة افادة كبيرة ، ومع الفائدة اصبحوا يستنتقون النصوص الابداعية وفقاً لتلك النظريات والمناهج وغيرها ، ولقد طورت الرؤى الحديثة مجال البحث العلمي ابداعاً وتحليلاً ، ومن جملة تلك النظريات عالم الرواية او عالم السرد الذي حظي بالكثير من الاهتمام في مجال التحليل ، وكان الوصف

أحد تلك التقنيات الفنية التي تضمنت تحت هذا العالم إذ لقي اهتماماً واسعاً من الدارسين والباحثين للبحث والتقص عنه .

ولقد تناول البحث الوصف في رواية مولد غراب لوارد بدر السالم من جهات عدة هي :
أهمية الوصف، ووظائفه (ولقد أسفرت الدراسة الى وجود وظيفة جديدة هي الوظيفة الانسجامية او الوظيفة التطابقية)،
ووصف الشخصيات واثار المكبوت على الموصوفات الخارجية، ووصف الاحداث ، ووصف الزمن والمكان .
مشكلة البحث :

رصد اشتغال الوصف ووظائفه في الرواية ، فضلاً عن علاقته داخل البنية السردية في تأكيد سرد الاحداث .
اسئلة البحث :

هل يعتبر الوصف حلقة او تقنية غير مهمة يمكن الاستغناء عنها ؟
وهل ان وظيفة الوصف تزيينية ؟
وهل يشكل الوصف محطة استراحة للسرد ؟
الوصف

يعتبر الوصف من العناصر المهمة المرتبطة بالمكونات الفنية للمشكلة للخطاب السردى لما له من قيم عليا داخل ذلك الخطاب وخارجه ، ومن خلاله (اي الوصف) يتكامل ويتجانس العمل الروائي فنياً وموضوعياً كونه يشكل الرؤية المنسجمة بين الموصوف والصفة من جهة وبين الوصف والحدث من جهة اخرى .

عَرَّف الوصف لغة انه ((وصفك الشيء بجليته ونعته))^(١) اما في الاصطلاح فقد عرفه النقاد انه ((توقفات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه الى الوصف))^(٢) او هو ((تقنية سردية تقوم على الابطاء المفرط في عرض الاحداث لدرجة يبدو معها كأن السرد قد توقف عن التنامي مفسحاً المجال امام السارد لتقديم الكثير من التفاصيل الجزئية))^(٣) فالوصف اذن اعطاء ذلك الانطباع او تلك الصورة الدقيقة المنسجمة العابرة لوجود الاشياء فيزيائياً حتى وان تماهت مع الواقع ، وبهذا يمكن تعريف الوصف انه قراءة تأملية عابرة للنص الذي يمكن من خلاله خلق عوالم متجددة مقننة في ذهن القارئ عبر شمولية النص المتخيل . وهذه القراءة تجعلنا نميز ((بين الوصف من حيث هو مكمل لمتبوعه ، ومن حيث ما يرد عبر الكلام في جملة من اجل النهوض بوظيفة دلالية معينة ، ومن حيث هو مظهر اسلوبي يتسلط على حالة ما او موضوع ما للنهوض بوظيفة الوصف ضمن جمالية الخطاب واسلوبية اللغة))^(٤) اي ان للوصف وظيفتين أشار إليهما الناقد حميد لحمداني هما: وظيفة جمالية ويقوم فيها الوصف بعمل تزييني حيث يشكل استراحة في وسط الأحداث السردية أي ان الوصف يكون خالصاً. أما الوظيفة الأخرى فهي الوظيفة التوضيحية أو التفسيرية، ويكون الوصف فيها رمزاً دالاً على معنى معين في إطار سياق الحكيم^(٥) ، ومن خلال الوصف في رواية مولد غراب يمكن اضافة وظيفة اخرى وهي الوظيفة الانسجامية او الوظيفة التطابقية وهي التي يكون فيها الوصف منسجماً او متطابقاً مع الاحداث العامة وبكل جزئياتها في الرواية .

يرتبط الوصف ارتباطاً وثيقاً بعناصر الرواية كالأحداث والشخصيات والزمان كونه محوراً فعالاً يتطابق مع الأحداث بل ويفسرها حتى في حالة سكون الوصف (أي الوظيفة الجمالية) لأن السرد والوصف مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالعمل الروائي ، فالرواية ((لا بد لها اثناء عملية تشكيلها من استثمار محوري السرد والوصف لان كلا منهما يقدم وظيفة تتضارب مع الاخرى لتشكيلان في النهاية العالم الممكن للرواية ، وان الرواية باعتبارها تقدم احداثاً وافعالاً فانها بالضرورة تقدم سرداً روئياً غير ان تلك الافعال تتطلب وجود سببية متمثلة في وجود طاقة انسانية ووجود محيط زمني ومكاني يؤطرها من ثمة ضرورة الشخصيات الامنة والاشياء وهي العناصر التي تشكل الفاعلية المحركة لديمومة السرد الروائي))^(٦) ف ((الوصف يناقض السرد ، والسرد يتعارض حتماً مع الوصف ، والوصف يطيء المسار السردى على الرغم من لزوم الوصف للسرد أكثر من لزوم السرد للوصف))^(٧) اي ان ((الوصف أكثر لزوماً من السرد وفي هذه الحالة قد يصبح الوصف أكثر ضرورة في النصوص السردية من السرد نفسه ذلك لانه اسهل علينا ان نصف دون ان نحكي من ان نحكي دون ان نصف))^(٨) ولو تأملنا الوصف في رواية مولد غراب لوجدناه عابراً لمفهوم الوصف الساكن بل نجد وصفاً حركياً لا سكون فيه .

وبهذا فان السمة الغالبة في الحراك الوصفي (في الرواية موضوعة البحث) هي سمة الانسجام او التطابق فضلا عن الوظيفتين الاخرتين ، كون الوصف الذي لازم الاحداث من جهة ولازم باقي عناصر السرد من جهة اخرى امتاز بالماساوية التي لم تقل شانا عن مساوية الاحداث نفسها التي تطرقت اليها الرواية ، وان اغلب الصور الوصفية كانت محاكاة لواقع حال الاحداث والشخصيات ابتداءً من الرجلين الذين ارسلهما الشيخ حسن وانتهاءً بمجيء السيد عنبر .

ونجد الوظيفة الجمالية حاضرة في رواية مولد غراب حينما تطرق الراوي الى وصف الصرائف والاكواخ والفجر الطباشيري بقوله " ببطء اخذت اشباح الصرائف والاكواخ تفترق وتبتعد تحت غلالة فجر طباشيري ، منسحبة داخل قبضة تفتح آخر منبعث من ركام ليال باردة ثقيلة ، ومثلها الحقول الغاطسة في زرقة الماء المسودة والتي تناوبت في الابتعاد تحت كثافة الفجر الذي علته غيمة من الضباب الكثيف ، تحلل اعتدة النخل واحكم انتشاره على اشجار الغرب والنبق والصفصاف وقطعان النخيل " ^(٩) تطرق الراوي من خلال هذا المجتزأ الى وصف طبيعة الاهوار حيث زين أطرافها المكاني بمحتويات البيئة الريفية وطبيعتها التي شكّل فيها الوصف استراحة واضحة للاحداث ، وان الموصوف اي قرية آل خيون بدت غير مرئية لضبابية الجو البارد فكان الوصف فيها وصفاً حسياً جالياً من شأنه ايقاف سرد الاحداث .

وقوله " وكانت عيون الرجلين تنتقل بين الاسراب الشفافة المضاءة غير مصدقين ان هذا الذي يجري امامهما ، فيما بدأ السيد عنبر كثر سعادة وحضوراً وقدسية كما لو انه غير موجود في هذه اللحظة المكتظة بالامان العارم واخذ الرجلان يستريحان تماما في جو اشاع فيهما دفناً وحقيقة ما وعيونهما تتخاطف على كل شيء : السجادات المبرقشة التي تقع في زواياها طواويس براقه متناظرة وكتابات قرآنية وازاهير واقواس متتابعة تتصاغر دائماً حتى تتلاشى في الحافات او تصعد على خصائص المزار في بعض المواقع " ^(١٠) .

فالوصف هنا جسد الوظيفة الجمالية التي اطرت مكان السيد عنبر (مضيفه) الذي احتوى المعالم الدينية والزخارف الاسلامية كالكتابات القرآنية ومن طبيعة هذا الوصف ايقاف سير الاحداث ليكون محطة استراحة لها ، والوقوف على ملامح الصفات الحسية والمعنوية التي اطرت مكان الموصوفات لاسيما ان عملية الوصف هذه تعتبر من المرتكزات المهمة لتكاملية العمل الابداعي فنياً .

ولم يقف الوصف في رواية مولد غراب عند الوظيفة الجمالية بل تطرق الراوي ايضا الى الوظيفة التوضيحية أو التفسيرية التي يمكن التماسها من خلال قوله "خيّل للرجلين المثلثين انهما يسمعان انيناً - ربما حدث ذلك فعلا في اللحظة ذاتها - ربما هو انين مظلوم لقدر غامض - وربما هو اعتناق سنوات بعيدة تسلفت عليها طحالب الشط واشناته وغلطت قتامتها بتناسلها الشرس . وربما هو اي شيء غامض لليلال كثيرة سالفة لما يزل موصولاً عبر هذا الفجر الطباشيري في كوخ القرية الجنوبي المنفصل بالمصادفة المقرونة بما يفوح الان من صراخ مقصود ، ولم يشأ الرجلان ان يقولوا شيئاً لبعضهما ، لكنهما اشاحا بوجهيهما كمن يتجنبان النظر الى فطيسة وهما يجران الماء بمجذافيهما بقوة" (١١) .

فسر الراوي من خلال وصفه حالة الرجلين لحالة شخصية غراب عبر تخيلهما لانينه وقد اكدا ان ذلك الانين يخصه من خلال الدلالة الوصفية لموقع سكنه الا وهو الكوخ الجنوبي المنفصل الذي لا تسكنه غير تلك الشخصية التي من اجلها تجشما عناء سفرهما الى السيد عنبر .

وكذلك قوله "مولانا وسيدنا انما بلوى قصدناك بأمل ان تستر فضيحتنا ، ويدرك الرجلان ان وصولهما الى القرية المترامية في البعد سيجعل فيهما ثقة اكيدة لتخطي نصف المشكلة ، فهذا الولي هو اكبر من ((فريضة)) واقل من ملاك . هل انت ملاك ياسيدنا ؟ / استغفر الله انا انسان مثلكم . / لكن العيون العمياء تبصرك يامولانا ؟ / استغفر الله واوب اليه ان الله هو العليم البصير وهو القادر على كل شيء / مولانا سيموت رجل البيت ولديه من الاطفال سبعة ، لقد دنت ساعته / .. شافاه الله وعافاه . واذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون / .. ولكم رحمة الله واسعة / الله عزوجل هو الذي يغير الأجل ويزيد من الارزاق ، قم يا رجل بإذن الله الى اطفالك وبيتك ... " (١٢) .

وصف الراوي شخصية السيد عنبر بالشخصية المثالية او مرجع الاهوار وسيدها ووليها الصالح وذلك لكثرة توافد اهل القرى المتنوعة اليه ، ومن شدة ورعه ومقاماته اعتقدوا انه من الشخصيات الخارقة للعادة وانه احد الملائكة وذلك من خلال العبر والورع في حديثه ، فضلا عن معالجته لوالد الاطفال السبعة ومعالجته للفقير الذي ساد احدى القرى ، وبهذه الدلالات اصبح الوصف وصفاً تحليلياً لشخصية السيد عنبر .

اما الوظيفة الانسجامية او التتابعية فتظهر واضحة المعالم من خلال اختياره للشخصية الخارقة شخصية اشبه ما تكون بشخصية ماوراء الطبيعة كونها تنسجم مع الحدث الماورائي يقول الراوي " ... وهو يقول بصوته الذي يبعث فيهما الطمأنينة :

- الحمد لله رب الله العالمين على كل حال ، انه (لا يئأس من روح الله الا القوم الكافرون) ثم اضاف :

- ((ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة))
- اطرق الرجلان مصغيين ، وكأن النور الساطع قد اخذ يخفت حقيقة وقال السيد عنبر وعيناه تنفتحان على وسعيهما :
- ((تاخر الوقت عليكما ، والفجر غريب ، ولا شك انتما متعبان .. في اول الصباح سننهض معاً .. انا سأتي معكما الى القرية لاقابل الشيخ حسن ورجال القرية ، وارى ((غراب)) (وعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) . فلا تيأسوا من رحمة الله تعالى فهي بوسع السماوات والارض ، لا اله الا هو الحي القيوم ، ذو الجلال والاكرام ، ملك الملك الرحمن الرحيم))^(١٣)
- انسجمت عملية الوصف في هذا المشهد وغيره من المشاهد الكثيرة في الرواية وذلك من خلال اختيار شخصية الحل (السيد عنبر) المنسجمة مع الشخصية الاشكالية (شخصية غراب) كون المشكلة التي عانى منها قرية آل خيون هي مشكلة غير مألوفة وخارقة للعادة الا وهي ظهور علامات الحمل عند شخصية (غراب) وقرب ولادته ، ومن غير الممكن معرفة ماهية هذه المشكلة وحلها الا من خلال شخصية تختلف عن باقي الشخصيات الطبيعية ، شخصية تمتلك القدرات الروحانية التي تؤهلها لتكون سبباً لحل هذه العقدة الغريبة التي تسببت بهلع قرية آل خيون وتنافر رجالها .
- كما تجسدت هذه الوظيفة حينما تطرق الراوي الى وصف طريق ذهاب الرجلين الى السيد عنبر حيث وصفه انه مستعمرات للقصب والبردي وان وصولهما الى قرية السيد عنبر ضرب من الخيال وكلما سار بهما القارب كلما ضاقت عليهما الممرات النهريّة الموحشة وزحف الضغط القائم الذي انتابهما .^(١٤)
- ونجد الامر مختلفاً تماماً في طريق عودتهما اذ وصف الرواي المشحوف يتطاير فوق الماء وفوق القصب ايضاً وكان يخلق كما تخلق الطيور في السماء كأنهم يسيرون في حلم اخضر عابرين الاهورا والمسافات البعيدة كأنهم محمولون على جناحي طائر كبير غير مرئي .^(١٥)
- نلاحظ الانسجام الوصفي المطلق في المشاهد السابقة ، حيث انسجمت الحالة النفسية المأساوية التي كانت حاضرة في ذهن الرجلين طيلة سفرهما الى قرية السيد عنبر ، التي اتسمت بعدم الاستقرار والشروذ الذهني والقلق كما اصبح الزمن متوقفاً لدرجة اعتقادهما باستحالة وصولهما الى القرية ، اما المكان فكان عبارة عن مجموعة من الصراعات بين المشحوف والادغال والقصب وبين النهر الذي اخذت تضيق ممراته كلما هماً بالتجديف ، وهذه الصور الوصفية وغيرها انما كانت نتيجة لانشغال افكارها بحدث حمل شخصية (غراب) وان هذا الحدث لم يفارقهما طيلة مدة السفر ولغاية وصولهما الى مضيف السيد عنبر ، الا ان الوصف اختلف تماماً في طريق عودتهما (رغم ان الطريق ذاته الذي سلكاه) مستصحبين معهما السيد عنبر لاسيما بعد ان عرفا مكانته وحلمه وورعه وكراماته في ايجاد الحلول المناسبة لكل مشكلة مهما كان نوعها اي ان الاطمئنان كان صفة ملازمة لنفسيتهما ولم يعودا يفكران بغراب او بمشاكل قريتهما، فاصبح وصف الرواي طريق العودة سلسلاً بتطاير

المشحوف فوق الماء والقصب وانه يخلق كما تحلق الطيور وغيرها من الاوصاف التي تدل على الانسجام المطلق بين الحالتين في الوصف ، ومدى انسجامه التام مع سيرورة الاحداث

وصف الاحداث

الحدث هو " كل ما يؤدي الى تغيير امر او خلق حركة او انتاج شيء ، يمكن تحديد الحدث في الرواية بانه لعبة قوى متواجبة او متخالفة تنطوي على اجزاء تشكل بدورها حالات مخالفة او مواجهة بين الشخصيات "(١٦) " وان كل ما في نسيج القصة (او الرواية) يجب ان يكون في خدمة الحدث، فيسهم في تصوير الحدث وتطوير ، بحيث يصبح كالكائن الحي له شخصية مستقلة ، يمكن التعرف عليها ، فالاوصاف في القصة (او الرواية) لا تصاغ لمجرد الوصف ، بل لانها تساعد الحدث على التطور ، لانها في الواقع جزء من الحدث نفسه "(١٧) ولو تتبعنا مجمل احداث رواية مولد غراب لوجدناها اعتمدت في توزيع حدثها على محورين الاول منهما متعلقة بالشيخ حسن واهل قرية آل خيون ، اما الثانية فتعلقت بالرجلين المبعوثين من الشيخ حسن ورغم التباعد الزمني بينهما الا ان هذه " المحاور تابعة ومتطورة بشخصياتها على أن تلقت في الخاتمة "(١٨) أي في خاتمة الرواية .

ومن جملة تلك الاحداث ما نجدها متمثلة بقول الراوي " غير ان حقيقة الصمت الذي غرق فيه السيد امام الجمر اللاصف ، في هدأة الربع من الليل ، جعلهما يعتكفان على صمت مضاف ارتسمت فيه احداث بعينها امام رجال القرية في لحظات حاسمة وقاسية جعلت الشيخ حسن في دوامة من الدهول والحرج وربما العار ايضاً وكانت الاسئلة العسيرة تنتقل بين الرجال الذين وجدوا ان الحالة مستعصية . وان الفضيحة ستنتقل بين قرى المعدان في كل لحظة تترق على وجيب القلوب الهلعة وفي جو يخنق بالانفاس المحبوسة والاحتمالات المعكوسة لحالة غريبة وشاذة عصفت برؤوس الرجال الذين زادوا بكل ما يستطيعون لكبح الوهم او الحقيقة "(١٩) .

شكل المجتزأ اعلاه الصورة الوصفية للحدث الرئيس الذي تطرقت اليه الرواية وما تسبب به من هلع وحيرة عند الرجلين المبعوثين وهما في طريقهما الى السيد عنبر من جهة وعند الشيخ حسن ورجال قرية آل خيون من جهة اخرى ، كما شكل الوصف تطوراً للاحداث بوصفه جزءاً منها ، وعلى الرغم من ابطاء سير الاحداث وتناميها من خلال الوصف الا ان الوصف لم يبلغ سيرورة وتقدم الاحداث حتى وان كانت تقنية الوصف استراحة للحدث بشكلها العام .

كما تطرق الراوي ايضاً الى الوصف المتعلق بالحدث من خلال حديثه عن الرجلين وهما في مضيض السيد عنبر بقوله " ((عفوك يا مولانا ، اعذرنا ، فاننا لا نعرف كيف بدأت اللعنة ، الا اننا منذ ايام قليلة فقط عرفنا ، انت تعرف يا سيد ان بين الصدق والكذب مسافة ، من هنا ، الى هناك ،.. من يقدر ان يصدق ان رجلا في الثلاثين من عمره يجبل كما تحبل النساء (!!!!!)))

ارتعش شاربه وتكاثف وهو ينظر الى عيني السيد وهما تتفتحان على سعتهما ، فيزداد فيهما الوميض وتتخاطف في عمقهما الصافي شذرات الاضواء المتعاقبة ، ولاحظ الرجلان ما يشبه العبوس خيم على وجه السيد ، وكما لو ان

الابتسام التي كانت تملأ وجهه قد انسحبت وحلت محلها تغضنات مفاجئة فترك هذا فيهما احساساً بالاضطراب وهما ينظران الى التبدلات المعلنة والسرية في الوجه الصافن الى الموقد الذي حفر في الوجوه جميعاً بقعاً مبرقشة ببصمات نار غير مستقرة" (٢٠).

ان وصف الراوي للحدث الرئيس وهو حمل شخصية "غراب" وهو في سن الثلاثين من عمره باللجنة وما ترتب على وصف الحدث من حالة عدم الاستقرار لدى شخصية السيد "عنبر" فلقد ازداد الوميض في عينيه وهو ينظر الى موقد النار بنظرات متبدلة وغير مستقرة معلنة تارة وسرية تارة اخرى ، فالوصف هنا لم يُشكّل فارقاً ملحوظاً في استمرارية الحدث كما لم يُشكّل تلك الاستراحة التي من شأنها ايقاف الحدث لتادية وظيفة تزيينية ، بل جاء مكماً او مساعداً للحدث من خلال اوصول تفاصيله الى شخصية الحل "السيد عنبر"، والوصف بهذا المعنى انما جاء لاتمام الرؤية المنشودة في الرواية وبمختلف تقنياتها وذلك لتوحيد مسار الحدث المشحون بالتوترات ، فضلا عن رفض فكرة الوصف الذي من شأنه انحراف ذلك المسار ، أي ان الوصف اصبح ايقاعاً زمنياً دقيقاً لعملية الانسجام .

وصف الزمن

يعتبر الزمن الروائي من التقنيات المهمة في العمل الروائي ، ومن خلاله يمكن توظيف الوصف وغيره من التقنيات الاخرى توظيفاً صحيحاً ينسجم وجدوره في البناء الفني داخل العمل الروائي ، فالوصف "تقنية زمانية يصعب ان تخلو منها رواية ما" (٢١) وهو اشبه بعملية استطراد واسعة يضطلع بها الخطاب الروائي ويتوسع على حساب الزمن الحقيقي للحكاية فيتنفق زمن القص على زمن الحكاية وعندها يكون التعطيل يخص الزمن الحكائي لخدمة النص المكتوب لغايات البناء الفني ويمكن للمبدع ان يهيء الوصف مسؤولاً مباشراً يشرف على بناء الفضاء الروائي (٢٢). اي يمكن "اعتباره ملفوظاً روائياً مهمته تقليص زمن القص مقابل تمديد زمن الخطاب عبر المكان اي عبر النص" (٢٣) ومن الحركات الزمنية التي اشتغلت في الرواية (مادة الدراسة) هي : الاسترجاع والاستباق.

الوصف الاسترجاعي

الاسترجاع هو ((عملية سردية تتمثل في إيراد السارد لحدث سابق على النقطة الزمنية التي بلغت السارد)) (٢٤) أي أن السارد يعطل سير الأحداث ليستذكر احداثاً ماضية لها أهميتها في مجرى السرد، وبذلك يكون المقطع الاسترجاعي مقطوعاً صغيراً وثانويّاً مقارنة بالمقطع الكبير الذي تتكون منه القصة إجمالاً (٢٥) ولقد قسم جيرار جينيت الاسترجاع الى انواع عدة منها : الاسترجاع الخارجي الذي يقع قبل بداية الرواية ، والداخلي وهو الذي يقع في ماضٍ لاحق لبداية الرواية ، والاسترجاع الجزئي والكلبي، الجزئي هو ان يسترجع جزءاً معيناً او لحظة مرت مع الشخصية ، على ان يتم بذلك اهمال او حذف جزء طويل بالجملة من حياة الشخصية دون ان تنظم ابداء الرواية وظيفته هو نقل خبر معزول للقاريء لفهم عنصر معين من عناصر العمل اما الاسترجاع الكلبي فيتم فيه استعادة جميع المراحل منذ بدايتها وحتى النهاية دون ان يغفل جانباً من الجوانب (٢٦). وان الغاية من الاسترجاع استكمال حدث او صفة ما او حلقة مفقودة لها اهمية كبيرة في توضيح ما بهم على المتلقي .ويمكن رصد هذه الحركة الزمنية من خلال وصف الرجلين لشخصية غراب بقولهما :

"-((اسمه غراب .. اوهكذا يسمونه في القرية .. لا اصل ولا فصل له .. كنا نناديه غراب فقط ، لا ادري من سمّاه بهذا الاسم، لكن القرية تناديه هكذا.. غراب.. فقط))
قال الرجل ذو الشارب :

- ((ترى بينما دون سبب نذكره !! كان طفلاً وظل هكذا .. لا نتذكر كيف كبر ..))
فيما اكمل الرجل الاخر :

-((ليس له احد ، ليس له والد او ام .. وجدته الشيخ حسن على جرف الشط ات فجر قديم ، قبل سنوات طويلة/ فأواه ، ورباه ، وبنى له كوخاً على الجرف ، وعاش كل هذه السنوات الثلاثين .. ثم صار ما صار ...))^(٢٧)
ان هذه الاسترجاعات التي ذكرها الرجلان في وصفهما لشخصية غراب جاءت لاستكمال وصف الشخصية من خلال ذكر احداث تاريخها الماضي ذلك الماضي الذي ساعد السيد عنبر على كيفية التعامل معها اذ كان ماضياً حافلاً بالموصوفات الدقيقة ومنها : عدم معرفة الاب او الام او الاصل ، عاش في كوخ على الجرف ، كبر وعاش طيلة ثلاثين سنة دون وجود اي تفاصيل تذكر، وهذا الوصف الدقيق ساعد في معرفة اختلاف شخصية غراب عن باقي اهالي آل خيون.

كما نجد ظاهرة الوصف الاسترجاعي من خلال قول الراوي : "تسارعت في راس رجل آخر صور اخرى لسنوات قديمة وجد انها حدثت قبل وقت قريب ، كما لو حدثت يوم امس . على ضفة النهر الجاري فقال باستخفاف :

-((سأمحك الله ياشيخ حسن .. كلك عقل وحكمة !!))

وقبل ان ينطق الشيخ ، قال الرجل نفسه :

((اليد تحصد ما تزرع))

وكانت عيناه تقولان للشيخ حسن شيئاً حاسماً ، فيما بدأ الاخر وكأنما بوغت حقاً بهذه الوقاحة من رجل يعرفه تماماً ، وقد بدا التوتو مخيماً على المضيف والرجال^(٢٨)

وكذلك الحال في هذا الوصف الاسترجاعي الذي وصف فيه الراوي تقبل الشيخ حسن ضم غراب الى القرية بدلالة قوله : صور اخرى لسنوات قديمة اي منذ احتواء غراب ووضعه في كوخه على ضفة النهر الجاري ، وهذه الموصوفات بينت حقائق الاحداث فيما بعد ، والتي لم تكف تعرف لولا هذا الاسترجاع وغيره .

الوصف الاستباقي :

الاستباق هو "عملية سردية تتمثل في أيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقاً"^(٢٩) وهو بهذا سيحقق "قفزة متقدمة على حساب الأحداث التي تتنامى ببطيء في صعودها من الحاضر إلى المستقبل"^(٣٠)

ومنه قول الراوي " وربما ستهون اشياء كثيرة في بركات السيد القصي الذي تقصده القرى المفجوعة والعشائر المتقاتلة والرجال المطاردون فسيجدون عنده اماناً حقيقياً وسلاماً متمنى ، وثمة من يجد لديه املاً بشفاء مستحيل من امراض قاتلة او ممن ركب الجن رؤوسهم واحلمهم الى كائنات أخرى"^(٣١)

استشرف الرجل المبتعث الى انقضاء الشدة والكرب الذي اصاب قريته بعد معضلة (غراب) وتوقع انجلاء هذه المأساة بيد السيد عنبر الموصوف بالبركة والامن والسلام الحقيقي والطبيب المشافي لامراض الجسد والروح ولقد استطاع حل معضلة قرية آل خيون كما توقعته الشخصيات مسبقاً .

وكذلك قوله " وفي رأس الرجلين تمر صور الكرامات للسيد عنبر وتتوقف كشيء باهر وتنمو مثل امل بهيج وتفتح كسلام حقيقي قادم على اجنحة القصب وتتفاقم امام طريقيهما مآثر الرجل وملكته العجيبة في حلوله الساحرة لمشاكل مستعصية شخبت بسببها الدماء وسقطت بها الرؤوس الكثيرة ، فيشعران بالتآلف مع مشوارهما الذي يقترب على ظهر نهار بارد ، وينغمران بامل مزهر وهما يثقان برؤيا السيد وبصيرته التي وهبها الله له فصار مزاراً مقصوداً من الاقاصي المعزولة حتى الصحراء المنفسخة بحدود الاهوار" (٣٢)

وصف الرواي السيد عنبر من خلال توقف الزمن الحاضر واستشراق الاحداث مروراً بزمن المستقبل بصاحب الملكة العجيبة والحلول الساحرة للمشاكل المستعصية بوصفه صاحب بصيرة وهبة من الله بيد انه اصبح مزاراً من الاقاصي المعزولة حتى الصحراء المنفسخة .

الوصف والشخصيات :

عرفت الشخصية لغة انها مأخوذة من كلمة (شخص) وتعني "إثبات الذات" (٣٣) أي "التعبير عن قيمة حية عاقلة ناطقة" (٣٤) ومع تقدم الدراسات اصبح مفهومها مغايراً عن الذاتية بوصفها عنصراً من العناصر المهمة داخل العمل الابداعي وليس خارجه ، مما جعل مفهومها "تخليلاً لسانياً فهو تخيلي لان الشخصية تخلق بوساطة الخيال الابداعي، وهو لساني لان اللغة هي التي تجسد الشخصية المبدعة" (٣٥) وبذلك فالشخصية تدرس على أساس تخيلي موهم بواقعيته والأخير يكون موافقاً للعمل الروائي الذي يعد عملاً خيالياً منبثقاً من خيال المبدع . فهي "التي تدور حولها الأفعال، أو هي التي تفعل الأحداث وتؤديها" (٣٦) وتعتبر الشخصية الروائية عنصراً أساسياً في العمل السردى ، لما لها من اثر واضح في تنمة الاحداث واستيعاب العمل الابداعي بصورة عامة وبدونها سيتعذر انتساب الاحداث لفاعليها ، ومن خلالها تنامي الاحداث بغية الوصول الى المغزى المنشود ، وعند قراءة الشخصيات في الرواية (مادة البحث) نجدتها وصفت على ثلاثة اقسام :

اولاً : وصف الشخصيات من الخارج : أي وصف ملامحها او ما يتعلق بها بصورة خارجية .

ثانياً : وصف الشخصيات من الداخل أي وصف بواعثها الداخلية، والانفعالات المترتبة عليها

ثالثاً " وصف الشخصيات من الداخل والخارج : أي انسجام الوصفان وتطابقهما .

وصف الشخصيات من الخارج

عند لجوء الرواي الى وصف شخصياته (في رواية مولد غراب) فانه يستعرضها بصورة تنسجم والنسيج العام لروايته موضوعياً وفتحاً وتتضح هذه الصورة بشكل واضح حينما وصف الشخصية الاشكالية (غراب) في اوصاف ثابتة مع مالها من تاريخ مبهم يبعث الكثير من التساؤلات والاشكاليات وبصرف النظر عن تلك التساؤلات الا انه اجاد في

الوصف حينما وصفها بقوله " لا يريد احد منا ان يصدقها والتعامل معها كحقيقة وقعت بارادة الله جلت قدرته ، فحُبل رجل نصف عاقل ونصف مخبول ، وهو رجل القت به ظروف لا نعرفها ، وليداً نغلاً ذات فجر على كتف النهر ، وعاش سنواته الثلاثين معزولاً ووحيداً في كوخ من القصب بناه الشيخ حسن آل خيون في اول مشيخته الطويلة" (٣٧) وصف الرواي شخصية غراب بنصف عاقل ونصف مجنون وانه وليد نعل وجدوه فجرا على كتف النهر عاش لثلاثين سنة منعزلا في كوخ القصب ، وان هذه الاوصاف الخارجية رسمت الملامح الخارجية العامة لتلك الشخصية اذ جاءت وفق النسيج او المسار العام للاحداث ولم تخرج من ذلك المسار.

وصف الشخصيات من الداخل

وهو ذلك الوصف القائم على رسم الانفعالات الخارجية بسبب البواعث الداخلية ومنه وصف الرواي لشخصية الرجلين بقوله " كحقيقية يتوجب قبولها وزحف الضغط القائم الذي يعاني منه الرجلان على نحو جعلهما ينظران الى بعضهما بمعنى ، ربما ادركا الان ، انهما بلا فوضى ، مرق هذا الشعور المتكاثر في عيونهما الطالعة من الغترتين المرقطتين بالسواد ، ولم يبق الا صوت الفجر المتكاثر ، انحسر كثير من الكلام وكثير من اللغو وسينحسر ما هو اكثر من ذلك ، وقد يبقى صوت (الشيخ حسن آل خيون) وحده يرن في رواق المضيف ذي الخمس عشرة شبة وفي مفاصل القرية المدانة بفعل اخرق عزّ على الجميع ان يحدث مثله بينهم وما كان على الشيخ حسن سوى ان يصيح : ((قضاء وقدر!)) ويبدو كما يدافع النبال بيدين عاريتين او يصرخ باستسلام : ((ماذا افعل؟!)) وكان جمر الموقد يتلامع بين عينيه غير المستقرتين - عيني الذئب المحاصر بما هو اعنى من لمعان عينيه " (٣٨) فالشخصية كشفت عن انفعالاتها بشكل واضح وجلي بسبب ما كتته في نفسها من قساوة ما حصل في القرية وما آلت اليه والى شيخها حسن آل خيون واصفة حيرة الاخير بالارباك فهو تارة ينسب الحدث الى القضاء والقدر ، ويتسائل لمعرفة الحل تارة اخرى ولقد وصفه الرواي بعيني الذئب المحاصر كما وصف حالة الرجلين المبعوثين بالصمت وانحسار الكلام والاكتفاء بنظر احدهما للآخر .

وصف الشخصيات من الخارج والداخل

وهي مجموعة من الاوصاف الداخلية والخارجية التي يصفها الرواي لاحدى الشخصيات الفاعلة في روايته ومنها شخصية السيد عنبر التي وصفها الرواي من الخارج والداخل بقوله:

" ينظران الى اسارير السيد وهو يشير الى احد رجاله الواقفين وقد خلع غترته المسفوفة ، فبان شعره مصفواً كأنما لم يعتمر شيئاً ، انعكس على ذؤاباته نثار من هالة الضوء الساطع فتخيّل الرجلان ان رأس السيد يبرق مثل قارورة منار ، اخذ الرجل الواقف الغتره وناوله اخرى زرقاء مفصصة بفصوص بيض وسواها على راسه ، ثم وضع عقلاً اسود ربيعاً وتمهل في تسويته ولاحظ الرجلان ان السيد بدا اكثر طفولة واكتسب وجهة معنى ثانياً تنور بنور سرى جذاب انبثّ للحظته امامهما وهما يفاجآن بتحولاته الجميلة فابتسما ، دون ان يقصدا ذلك ، كما لو ان حلمهما البهيج قد انقلق عن حلم آخر اكثر نضارة وشباباً واملاً" (٣٩)

ان وصف الراوي للمظهر الخارجي والداخلي لشخصية السيد عنبر وهيبته الخارجية وانه كبير رجال قرينته بيد انهم ناولوه غترة زرقاء وان ملامحه بدت اكثر طفولة ، وتغير ملامح وجهه الى الطفولية وتحولاته الجميلة انما تدل على ان الوصف المتحرك لشخصية السيد عنبر خارجيا وداخليا من السمات المهمة التي تدل على اهمية الوقوف على وصف التي تتسجم والحدث الرئيس .

وصف المكان

يعد المكان من عناصر البناء السردى المهمة كونه الارضية المناسبة لسير الاحداث لحاجة الحدث " الى مكان يقدر حاجته الى فاعل والى زمن ، والمكان هو الذي يضفي على التخيل مظهر الحقيقة"^(٤٠) فالمكان في عالم السرد يختلف اخلافا واضحا عن العالم الواقعي وان كان واقعي المرجع لان "المكان الذي يأسر الخيال لا يمكن ان يبقى مكاناً لا مبالياً خاضعاً لابعاد هندسية وحسب ، بل هو مكان عاش فيه الناس ليس بطريقة موضوعية ، وانما ما للخيال من تحيزات"^(٤١) ونلاحظ ان الوصف في رواية مولد غراب جاء بصيغتين الاولى الوقع الايجابي على نفسية الشخصيات اذ يلعب المكان دورا مهما في نفسيته لما له من اهمية بالغة في التأثير الذي سترتب عليه الاثر في تنمة الاحداث وتصوير او تجسيد مشاهد الرواية اما الصيغة الاخرى فهي الصيغة السلبية اي وصف المكان السلبي الذي تنزعج منه الشخصيات ومهما يكن من اثر هذا المكان الا ان تجسيده سيحول دون اعطاء الصورة الكاملة للمكان ليقع الاثر بصورته التكاملية اثناء الحديث عن هذا العنصر البناء يقول الراوي واصفاً مزار السيد "فاجأهما ضوء شديد السطوع يعكس من مرايا متوهجة تزداد صفاء والقاء في كل لحظة قدسية منبهة بالصمت الخالص وروائح البخور الطاغية ، كما لو ولد نهار جديد اكثر نضارة من النهارات كلها ، انبثق من جناح المساء الهاطل بكثافة وتشظى زاهياً عبر العناقيد المدلاة بانتظام ، وقد بدا مزار السيد عنبر كل شيء مرتباً وبسيطاً وفاخراً بقناديل ولوكسات وفوانيس معلقة بتراتب يمنح الرائي لها ، بعد ان تعشو عيناه قليلاً ، ثم ينتظم السطوع الفاقع لوناً مناسباً كشجرة موزعة الاوراق والاغصان"^(٤٢) فالراوي حينما وصف مزار السيد عنبر بشدة سطوع الضوء والقداسة المنبهة التي احتواها ذلك المكان والحياة الجديدة انما يدل على الوصف الايجابي الباعث للامل وللولادة الجديدة للحياة بعد الانفراج من ذلك الحدث الاليم الذي حل بقرية آل خيون .

ويقول ايضاً : "كما كان من السهل عليهما ان يلححا خرقاً ملطخة بالحناء اليابسة محاطة بآيات من القرآن كتبت بماء الذهب ومداد الاولياء الصالحين على مر الزمان ، وعلى ورق متفطر بسبب القدم ، وباستدارة عيونهما . وهي لما تزل في لحظات الابهار المقدس ، تنكشف افرشة محلاة بخيوط الزنابق ، وتتكاثر اعشاب ممدودة من خارج المزار متطاولة تتسلق اضلاع القصب المتناسك ، وقد تمتد الى اكثر من ذلك . وتلتف حول الافرشة المحمولة على صناديق مسواة بعناية كأنها تتبرعم من وجوه المخدات المستطيلة والاسطوانية"^(٤٣) ان وصف مزار السيد وعلامات قدسيته عند الشخصيات كالحناء والايات القرانية ومداد الاولياء الصالحين وكثرة الاعشاب خارج ذلك المزار انما هي علامات واضحة على الارتياح النفسي للشخصيات وهي ترتاد او تنظر الى ذلك المكان وكأنه يحول رؤياها من الاماكن المادية الى الاماكن المعنوية وما يترتب عليه من وقع ايجابي على نفوس تلك الشخصيات .

اما النوع الاخر من الوصف فهو الوصف السلبي اي ذلك الوصف المتسم بالتشاؤم والاحباط بالنسبة الى الشخصيات ومنه قول الرواي واصفاً الاهوار والنهر "((منذ سنوات لم اطر هور العكر)) تكاثف القصب والعنكر وامتد امامهما بشكل غريب . وتلاقت ذوائبه ببعضها فشكّل في ممر المشحوف سقيفة القت عليهما ظلاً سميكاً بارداً من العتمة والضباب وارتسمت لهما ، برودة لاذعة. وبدا ان المشحوف يواجه دغلاً وانحساراً للممر الوحيد ، فاستعانا بسوق القصب وقتاً عسيراً كاد يفقدهما صبرهما لولا انهما يعرفان ان (الكواهين) ليست عيقة وان الجزرات ستواجههما دائماً وعليهما ، ربما ، في الممرات القادمت ان يخوضا في الماء البارد دافعين المشحوف الى مياه اكثر عمقاً في هذا الممر او مما ياتي غيره" (٤٤)

فالراوي من خلال هذا المجتزأ وصف الاهوار اياها بالعتمة والضبابية ومواجهة الادغال وكان مشحوفهم في صراع مع هذا المكان رغم انه متنفسهم وملاذهم بوصفه قيمة عليا عند تلك الشخصيات ولم تك هذه الموصوفات وغيرها الا دلالة على الاضطراب النفسي للرجلين ألذين ذهبا للمجيء بسيد الادغال السيد عنبر .

وقال ايضا وهو يصف كوخ غراب بموصوفات مختلفة منها قوله "كوخ ما كانه جثة فاسدة ، وبدا منفصلا من تلقاء نفسه عن بقية اكواخ القرية" (٤٥) وقوله " الكوخ الذي كان عبارة عن كدس قصب مائل ملبوخ بالطين المتفطر" (٤٦) وقوله: "كان الكوخ المائل يشي بحال من احوال العزلة والوحدة والعزلة" (٤٧) ورغم اختلاف الموصوفات في هذه النصوص الا انها تحتوي على دلالة واحدة وهي التقليل والاستحقار لهذا المكان رغم ان الكوخ بطبيعته يعد احد الاماكن المحبوبة والامنة عند الشخصيات الا ان الدلالة هنا جاءت مغايرة وذلك لكون الحدث الذي جاء به ساكنها (غراب) كان سببا رئيساً في الاحداث المساوية التي حلت بقريتهم.

الخاتمة

وقف البحث على اهم حالات الوصف في رواية مولد غراب وقد أسفرت الدراسة عن مجموعة من النتائج وكانت كالاتي :

- وجود وظيفة جديدة للوصف وهي الوظيفة الانسجامية او التطابقية .
- عدم تقاطع السرد والوصف وجاء الاخير تأكيداً لنمو سير الاحداث وان كانت بطيئة.
- لم يشكل الوصف عائقاً لوقوف سير الاحداث بل جاء مكملاً لها بصورة دقيقة ورغم تباطؤ ايقاع نموها الا انه كان احد اهم اركان نموها .
- يبدو ان الوصف الذي تناوله المؤلف كان دقيقاً جداً بيد ان الانسجامية فيه كانت حاضرة بشكل لافت للنظر.
- لم يقل الوصف الداخلي شائناً واهمية عن الوصف الخارجي كون الاخير كان نتيجة البواعث النفسية لشخصيات الرواية.

- (١) لسان العرب : ابن منظور، ج ٣، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣ : ٤٢٥ .
- (٢) بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي: د. حميد حمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٩٣ : ٧٦ .
- (٣) مستويات دراسة النص الروائي: د. عبد العال بو طيب، مطبعة الأمنية، دمشق-الرباط، ١٩٩٩ : ١٧٠ .
- (٤) في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد: عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨ : ٧٢ .
- (٥) ينظر : بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي : ٧٦ .
- (٦) وظيفة الوصف في الرواية : عبد اللطيف محفوظ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، ٢٠٠٩ : ٤٢ .
- (٧) في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد : ٢٤٩ .
- (٨) حدود السرد : جيرار جينيت ، ترجمة : ابن عيسى بو حمالة ، مجلة آفاق ، اتحاد كتاب المغرب ، عدد ٨٥٨٨ : ١٩٨٨ : ٥٩ .
- (٩) مولد غراب - رواية - : وارد بدر السالم ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ط ١، ٢٠٠١ : ٧ .
- (١٠) نفسه : ٢٧ .
- (١١) نفسه : ٨ - ٩ .
- (١٢) نفسه : ١٦ .
- (١٣) نفسه : ٤٤ - ٤٥ .
- (١٤) ينظر : نفسه : ٩ .
- (١٥) ينظر : نفسه : ٤٩ - ٥٠ .
- (١٦) معجم مصطلحات نقد الرواية : د. لطيف زيتوني ، مكتبة لبنان ناشرون ، دار النهار للنشر ، ط ١، ٢٠٠٢ : ٧٤ .
- (١٧) فن القصة القصيرة: د.رشاد رشدي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٦٤ : ١١٥ - ١١٦ .
- (١٨) الحدث في قصص فارس سعيد: د.نبهان حسون السعدون ، مجلة دراسات موصلية، العدد ١١، تموز ٢٠١٣ : ١٣ .
- (١٩) مولد غراب : ٤٢ .
- (٢٠) نفسه : ٣٥ - ٣٦ .
- (٢١) تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي: مثنى الصيد، دار الفارابي، بيروت - لبنان، ١٩٩٠ : ٩٣ .
- (٢٢) ينظر: بنية النص السردى : ٨٠ .
- (٢٣) بنية الشكل الروائي: حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠ : ١٧٩ .
- (٢٤) البناء الفني في الرواية العربية في العراق، ج ١، بناء السرد: د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٤ : ٦٢ .
- (٢٥) ينظر: الألسنية والنقد الأدبي (في النظرية والممارسة): د. مورييس ابو ناصر، دار النهار للنشر، بيروت - لبنان، ١٩٧٩ : ٩٣ .
- (٢٦) ينظر : خطاب الحكاية، بحث في المنهج: جيرار جينيت، ترجمة، مُجد معتمصم، عبد الجليل الازدي، عمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، ط ٢، ١٩٩٧ : ٧١ - ٩٢ .

- (٢٧) مولد غراب : ٤٠ - ٤١ .
(٢٨) نفسه : ١٩ .
(٢٩) البناء الفني في الرواية العربية في العراق : ٦٢ .
(٣٠) الألسنية والنقد الأدبي : ٩٦ .
(٣١) مولد غراب : ١٥ - ١٦ .
(٣٢) نفسه : ١٧ .
(٣٣) لسان العرب، مادة (شخص) .
(٣٤) في نظرية الرواية-بحث في تقنيات السرد : ٨٥ .
(٣٥) في مفهوم الشخصية الروائية، د.ابراهيم جنداري، مجلة الأفلام، عدد ٢، سنة ٣٦، بغداد، ٢٠٠١ : ١٢ .
(٣٦) دراسات في القصة الحديثة: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية: ١٤(د.ت) .
(٣٧) مولد غراب : ٧١ .
(٣٨) نفسه : ٩ - ١٠ .
(٣٩) نفسه ٣٠ - ٣١ .
(٤٠) الفضاء الروائي: جيرار جينيت وآخرون، ترجمة عبد الحليم حزل، المغرب، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٢ : ١٣٧ .
(٤١) بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ: سيزا قاسم، هيئة الكتاب، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤ : ٧٦ .
(٤٢) مولد غراب : ٢٥ .
(٤٣) نفسه : ٢٧ - ٢٨ .
(٤٤) نفسه : ١١-١٢ .
(٤٥) نفسه : ٨ .
(٤٦) نفسه : ٧٣ ،
(٤٧) نفسه : ٧٦ .

قائمة المصادر والمراجع

- ١- الألسنية والنقد الأدبي (في النظرية والممارسة): د. مورييس ابو ناصر، دار النهار للنشر، بيروت - لبنان، ١٩٧٩
- ٢- بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ: سيزا قاسم، هيئة الكتاب، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤
- ٣- البناء الفني في الرواية العربية في العراق، ج ١، بناء السرد: د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٤ .
- ٤- بنية الشكل الروائي: حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠ .

- ٥- بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي: د. حميد حمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء ، ط٢، ١٩٩٣.
- ٦- تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي: يحيى الصيد، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ١٩٩٠
- ٧- خطاب الحكاية، بحث في المنهج: جبرار جينيت، ترجمة، مُجد معتمصم، عبدالجليل الازدي، عمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ١٩٩٧.
- ٨- دراسات في القصة العربية الحديثة. اصولها - اتجاهاتها - أعلامها: مُجد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٣.
- ٩- الفضاء الروائي: جبرار جينيت وآخرون، ترجمة عبد الحليم حزل ، المغرب ، افريقيا الشرق، ٢٠٠٢
- ١٠- فن القصة: مُجد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥.
- ١١- في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد: عبدالملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، ١٩٩٨ .
- ١٢- لسان العرب المحيط: ابن منظور الأفرقي، ترتيب، يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، ٢٠٠٣ .
- ١٣- مستويات دراسة النص الروائي: د. عبد العال بو طيب، مطبعة الأمنية، دمشق-الرباط، ١٩٩٩.
- ١٤- معجم مصطلحات نقد الرواية: د. لطيف زيتوني ، مكتبة لبنان ناشرون ، دار النهار للنشر ، ط١ ٢٠٠٢
- ١٥- مولد غراب -رواية- : وارد بدر السلام ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) ، بغداد ، ط١، ٢٠٠١.
- ١٦- وظيفة الوصف في الرواية: عبد اللطيف محفوظ، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٩.
- الدوريات والمجلات**
- ١- الحدث في قصص فارس سعيد: د.نبهان حسون السعدون ، مجلة دراسات موصلية، العدد ١١، تموز ٢٠١٣.
- ٢- حدود السرد: جبرار جينيت، ترجمة: ابن عيسى بو حمالة، مجلة آفاق، اتحاد كتاب المغرب ، عدد٨ ، ١٩٨٨.
- ٣- في مفهوم الشخصية الراوائية، د.ابراهيم جنداري، مجلة الأقلام، عدد٢٤، سنة٣٦، بغداد، ٢٠٠١.

الإشارات التاريخية في أحداث المشرك الإسلامي في كتاب القند في ذكر علماء سمرقند

(نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي) ت ٥٣٧هـ

م.م ابتهاج محمد عبدالكريم

مركز دراسات البصرة والخليج العربي

الملخص

يمكن ان نعتبر الإشارات التاريخية التي أشير إليها في كتاب القند مصدراً موثقاً لأن هذه الإشارات التاريخية كانت قد وردت مع تراجم العلماء والرجال الذين ترجم لهم النسفي في كتابه وعلى الرغم ان كتاب القند يعتبر من الكتب العلمية الا انه شمل اعداداً كثيرة ومميزة من العلماء الذين تم الترجمة لهم، على الرغم من انه اختص فقط بترجمة العلماء والمحدثين والرواة الذين نزلوا سمرقند خصوصاً أن الفترات الزمنية كانت شاملة فقد شمل العهد الراشدي حتى العهد العباسي وبهذا يكون النسفي قد استوعب حقبة زمنية مهمة في تاريخ الدولة الإسلامية. الكلمات المفتاحية: النسفي، كتاب القند، الب ارسالان، السامنية.

Abstract

We can consider the historical references that were referred to in the book of Al-Qand as a reliable source because these historical references were included with the biographies of scholars and men for whom Al-Nafisi translated in his book. Although the book of Al-Qand is considered a scientific book, it included many distinguished numbers of scholars who were translated To them, although he specialized only in translating scholars, hadith scholars and narrators who descended from Samarkand, especially since the time periods were comprehensive, it included the Rashidun era until the Abbasid era, and thus Al-Nasafi has absorbed important periods of time in the history of the Islamic state.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على مُجَدِّدِ وَاوَالِهِ الطَّاهِرِ وَبَعْدُ.
ان كتاب القند في ذكر علماء سمر قند لمؤلفه نجم الدين عمر بن مُجَدِّدِ بن احمد النسفي (ت ٥٣٧هـ) يعتر ذا اهمية كبيرة من بين كتب التراجم وذلك لأنه ترجمه لطائفة كبيرة من المحدثين والرواة. ويعتبر كتاب القند في ذكر علماء سمر قند من الكتب ذات المنحى الاقليمي في الكتابة فهو ترجم لكل من حدث بسمرقند ولم يتناول محدثي الاقاليم الاخرى.

ولم يقتصر كتاب القند في ذكر علماء سمر قند على الجانب الرجالي وانما جاءت متداخلة مع تراجم الكثير من الاشارات التاريخية تعبر عن الاحداث التاريخية التي وقعت في المشرق الاسلامي المتباينة من حيث الزمان والمكان كما ان عصر المؤلف غني بالأحداث التي في المشرق الاسلامي وكل ما ذكر عن المؤلف وكتابه (يعد من اهم الدوافع التي جاءت سببا للاختيار بحثا وقد وسم بعنوان) الاشارات التاريخية لأحداث المشرق الاسلامي في كتاب القند في ذكر علماء سمرقند. وقد قسم هذا البحث الى ثلاث مباحث تناول الطالب احمد راضي في الاول منها المؤلف وعصره السياسي واهم مؤلفات صاحب كتاب القند كذلك تطرق الى ابرز شيوخه وتلامذته.

اما المبحث الثاني تحدث عن منهجية المؤلف في الكتابة وتناول فيه اهم الموارد التي اعتمدها المؤلف. وتطرق الطالب حسن علي عزيز في المبحث الثالث الى الاشارات التاريخية لأحداث المشرق الاسلامي في كتاب القند في ذكر علماء سمر قند عمل على فرز هذه الاشارات وارجاعها الى عصورها السياسية وكل اشارة حسب تسلسلها التاريخي

المبحث الاول: النسفي حياته ونسبة عصره الفكري و السياسي

حياته الشخصية :

اسمه وكنيته :

اتفقت اغلب كتب التراجم التي ترجمت للشيخ على ان اسمه عمر بن مُجَدِّدِ بن احمد بن اسماعيل بن مُجَدِّدِ بن لقمان ، نجم الدين ابو حفص^(١).

لقبه :

لقب الشيخ نجم الدين ابو حفص بالنسفي^(٢)، وذكره ايضا السمعاني وقال فيه : ثم السمرقندي الحافظ من اهل نسف ، سكن سمرقند^(٣)، امام فقيه فاضل ، عارف بالمذهب والادب وصنف التصانيف في الفقه والحديث^(٤). لم تسعفنا المصادر التي بين ايدينا اشارات عن اسرته وحياته سوى ما ذكرته بعض كتب التراجم من انه خلف ابنا اسمه احمد^(٥) وعرف بالمجد ولد سنة ٥٠٧هـ وتفقه على والده .

التقى به ابو اسعد السمعي وقال في حقه " كان فقيها فاضلا واعظا كاملا حسن الصمت وصولا للأصدقاء... " ^(٦).

مولده ووفاته:

مما تجدر اليه الإشارة ان العديد من المصادر التي ترجمت له قد اجمعت على تاريخ ولادته ووفاته ، ولنا ان نذكر منهم: ما قاله الداوودي فيه: (ولد بنسفي في شهر سنة إحدى - أو اثنتين - وستين وأربعمائة).^(٧) وقال ابن حجر : (مات سنة سبع وثلاثين وخمس مائة عن خمس وسبعين سنة).^(٨) وقال بن قُطُوبغا : (ولد سنة إحدى أو اثنتين وستين وأربعمائة وتوفي بسمرقند ليلة الخميس، ثاني عشر جمادى الأولى، سنة سبع وثلاثين وخمسائة).^(٩) وقال الادنه: ولد سنة إحدى وستين وأربعمائة ومات في ثاني عشر جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وخمسائة^(١٠). (واخيرا دفن في مقبرة جاكرد ديرة).^(١١)

عصره الفكري:

نجم الدين أبو حفص النسفي كان إماماً فاضلاً أصولياً متكلماً مفسراً محدثاً فقيهاً حافظاً نحويًا أحد الأئمة المشهورين بالحفظ الوافر والقبول التام عند الخواص والعوام في عصره، اذ تميز عصره بالنضوج الفكري وازدهار المعرفة وانتشارها ، على ان كثرت العلماء والمشايخ الذين اخذ وروى عنهم النسفي وايضا ما ذكر من تعدد مؤلفاته في مختلف العلوم خير برهان وهنا حريا بنا ان نعرج على ذكر بعض شيوخه وتلاميذه واثاره وموقف العلماء منه.

شيوخه:

اخذ نجم الدين عمر ابو حفص علمه عن الكثير من العلماء والفقهاء الذين عاصروهم ، حيث قال المارغيباني صاحب الهداية: (١٢) سمعت نجم الدين عمر يقول أنا أروي الحديث عن خمس مائة وخمسين شيخاً^(١٣) ، ذلك وقد ذكر اصحاب التراجم منهم :

- ١- أبو مُجَدِّ إِسْمَاعِيلَ بن مُجَدِّ النوحى النسفي
- ٢- أبو علي الحسن بن عبد الملك القاضي الماتريدي
- ٣- أبو مُجَدِّ عبد الله بن أحمد القنطري^(١٤)
- ٤- أبا اليسر مُجَدِّ بن مُجَدِّ بن الحسين البزدوي^(١٥)
- ٥- مهدي بن مُجَدِّ العلوي
- ٦- عبد الله بن علي بن عيسى النسفي
- ٧- حسين الكاشعدي
- ٨- ابي مُجَدِّ الحسن بن احمد السمرقندي
- ٩- علي بن الحسن الماتريدي^(١٦)
- ١٠- احمد بن مُجَدِّ بن نصر بن احمد بن مُجَدِّ بن جبرئيل الامام ابونصر النسفي^(١٧)

تلاميذه :

تتلمذ على يديه طائفة كبيرة من طلبة العلم ، الا ان كتب التراجم التي ترجمت له لم ترفدنا سوى ببعض ، ونذكر

منهم:

١- عمر بن مُجَدِّد بن عمر .الامام أبو مُجَدِّد الانصاري، العاقل، الحنفي، البخاري.(١٨)

٢- ابو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني الملقب ببرهان الدين.(١٩)

٣- مُجَدِّد بن ابراهيم التوريشتي

٤- ولده أبو الليث احمد بن عمر بن مُجَدِّد المجد

٥- عبد الكريم السمعاني صاحب كتاب التجميع في المعجم الكبير (٢٠)

أثاره:

شهدت مصنفات الشيخ نجم الدين النسفي تعددا وتنوعا كبيرا في مختلف العلوم صنف كتبها في التفسير والفقهاء والحديث وعلوم القرآن والنحو والفلك ونظم الشعر ، وفي هذا الشأن يذكره ابن النجار قائلا: " كان فقيها فاضلا مفسرا محدثا ادبيا متفننا وقد صنف كتبها في التفسير والحديث والشروط ... ولعله صنف مائة مصنف (٢١) " وقد بلغ بعضها من الشهرة حدا ان كتبت عليه الشروح الكثيرة (٢٢) ، ومن خلال اطلاعنا على بعض المصادر ليس لنا ان نتناول مؤلفاته الا بشكل عابر اذ نكتفي بذكرها سواء اكانت مطبوعة ام مخطوطة و نستطيع عرضها من خلال الجدول الاتي:

اسم الكتاب	صنف الكتاب	حالة الكتاب	
		مخطوط	مطبوع
الاكمل والاطول في تفسير القرآن	تفسير	مخطوط (٢٣)	مفقود
التيسير في علم التفسير	تفسير	مخطوط (٢٤)	
زلة القارئ	قراءات	مخطوط (٢٥)	
طلبة الطلبة	اللغة	مخطوط (٢٦)	
رساله في النحو	النحو	مخطوط (٢٧)	
تعداد الشيوخ لعمر، مستطرف على الحروف مستطر	ترجمه		مفقود (٢٨)
عقائد النسفي	عقيدة		مطبوع (٢٩)
قيد الاوابد	فقه حنفي	مخطوط (٣٠)	
تطوير الأسفار لتحصيل الأخبار	تاريخ		مفقود (٣١)

	مطبوع ^(٣٢)		تراجم	القند في ذكر علماء سمرقند
		----- --	ديني ^(٣٣)	الاجازات المترجمة بالحروف المعجمة
		-----	اصول الدين ^(٣٤)	المعتقد
		----- -	ديني ^(٣٥)	بواقيت المواقيت
		----- -	فقه ^(٣٦)	النجاح في شرح اخبار كتاب الصّحاح

مفقود ^(٣٧)			ديني	بعث الرغائب لبحث الغرائب
مفقود ^(٣٨)			فقه	منظومة الجامع الصغير
مفقود ^(٣٩)			ديني	عجالة النخشبي
مفقود ^(٤٠)			حديث	الباقوتة
مفقود ^(٤١)			شعر	الاشعار بالمختار من الاشعار
مفقود ^(٤٢)			فقه	فتاوى نجم الدين ابي الحسن عطاء بن حمزة السغددي
مفقود ^(٤٣)			تراجم	معجم شيوخ النسفي
مفقود ^(٤٤)			فقه	منظومة النسفي في الخلاف

مفقود ^(٤٥)			تاريخ	تاريخ بخارى
مفقود ^(٤٦)		----- --		الجمل المأثورة
مفقود ^(٤٧)			فقه	الحصائل في الفروع
مفقود ^(٤٨)			ديني	دعوات المستغفرين
مفقود ^(٤٩)			فقه	شرح الاصول
		-----	فقه ^(٥٠)	في بيان مذهب التصوف واهله)

				فارسي)
مفقود ^(٥١)			ديني	الاشعار بالمختار من الاشعار
		----- -	فقه ^(٥٢)	مشارع الشارع
		مخطوط ^(٥٣)	فلك	مطلع النجوم ومجمع العلوم
مفقود ^(٥٤)			ديني	منهاج الدراية

مكانته بين العلماء وآرائهم فيه:

حظي الشيخ نجم الدين النسفي بمكانه مرموقة بين العلماء وما يدل على ذلك تعدد اقوالهم فيه ، ومما لا شك فيه ان هذه الاقوال صدرت عن افواه علماء المسلمين وهنا يتحتم ان تكون تلك الاقوال مطابقة للواقع وممن ذكر ابو حفص من العلماء:

حيث قال فيه تلميذه السمعاني) المتوفى :٥٦٢هـ " (إمام فقيه فاضل، عارف بالمذهب، والأدب، صنف التصانيف في الفقه والحديث... وكان ممن أحب الحديث وطلبه، ولم يرزق فهمه...^(٥٥) "

وقال فيه الأذروي) المتوفى :١١١هـ " (كَانَ إِمَامًا فَاضِلًا أَصُولِيًا مُتَكَلِّمًا مُفَسِّرًا مُجَدِّدًا فَقِيهًا حَافِظًا نَحْوِيًا لِعُيُوبِ دَكْيَا فَطِنًا أَحَدَ الْأَيْمَةِ الْأَرْبَعَةِ الْمَشْهُورِينَ بِالْحِظِّ الْوَافِرِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْقَبُولِ التَّامِ عِنْدَ الْحَاصِّ وَالْعَامِ وَكَانَ أَسْتَاذًا نَشَرَ الْعُلُومَ إِمْلَاءً وَتَذْكِيرًا"^(٥٦)

وذكره صاحب الجواهر المضيئة المتوفى :٧٧٥هـ " الإمام الزاهد نجم الدين أبو حفص"^(٥٧)

وذكره صاحب كتاب الروض النضر) المتوفى ١١٨٤ هـ " (ويلقب بمفتي الثقلين . كان اماما فاضلا اصوليا متكلمًا مفسرا محدثًا فقيها توفى بسمرقند سنة ٥٣٧ هـ "^(٥٨)

وايضا من ذكره الزركلي) المتوفى :١٣٩٦هـ (وقال فيه " عالما بالتفسير والأدب والتاريخ، من فقهاء الحنفية "^(٥٩)

عصره السياسي:

عاش الشيخ النسفي خلال الفترة الممتدة بين عامي (٤٦١-٥٣٧هـ / ١١٤٢-١٠٦٨م) في نسف من بلاد ما وراء النهر^(٦٠) ويكون بذلك قد عاصر الدولة القرخانية وشهد عصره الكثير من الاحداث والاضطرابات السياسية اذ عاصره عدة امراء قرخانيين نذكر منهم: شمس الملك نصر بن ابراهيم طفغاج خان (٤٦٠-٤٧٢)^(٦١) حيث يذكر ابن الاثير ان طفغاج خان ابراهيم بن نصر ايلك قد زهد في الملك اواخر عهده وكان قد جعل الملك في ولده شمس الملك، اذ ساءت الاحوال في بداية عهده فقصدته أخوه طغان خان بن طفغاج، وحصره بسمرقند على الملك لكنه تمكن من الظفر به وتخلص منه ، ثم قصدته هارون بغرا خان بن يوسف قدر خان، وطغرل قرا خان، وكان طفغاج قد استولى على ممالكهم،

وَقَارِيَا سَمَرْقَنْدَ، فَلَمَّ يَظْفَرُ بِشَمْسِ الْمَلِكِ، فَصَالِحَاهُ وَعَادَا فَصَارَتِ الْأَعْمَالُ الْمُتَاجِمَةُ لِجَيْحُونَ لِشَمْسِ الْمَلِكِ وَ ثَبِتَ اقْدَامَهُ فِي الْمَمْلَكَةِ (٦٢). وَرَغِمَ أَوَاصِرُ الْمَصَاهِرَةِ مَعَ السُّلْطَانِ الْبِ ارْسِلَانَ (٦٣) إِذْ تَزَوَّجَ شَمْسُ الْمَلِكِ مِنْ اخْتِ السُّلْطَانِ الْإِنِ السُّلْطَانِ الْبِ ارْسِلَانَ عَزَمَ بَعْدَ انْتِصَارِهِ عَلَى الرُّومِ بِالتَّوْجِهِ إِلَى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَنَحَبَ جَيْشَهُ بِخَارِ (٦٤) وَفِي طَرِيقِهِ إِلَى سَمَرْقَنْدِ اسْتَعَصَتْ عَلَيْهِ قَلْعُهُ وَبِهَا خَوَارِزْمِي اسْمُهُ يَوْسُفُ فَحَاصِرُوهُ ثُمَّ اسْتَزَلُّوهُ وَحَدَّثَ أَنْ انْقَضَ عَلَيْهِ يَوْسُفُ وَ طَعَنَهُ وَ كَانَتْ نَهَايَةَ الْبِ ارْسِلَانَ سَنَةَ ٤٦٥ هـ. (٦٥)

وَ قَدْ طَمَعَ شَمْسُ الْمَلِكِ بِالسِّيْطْرَةِ عَلَى بَلْخِ (٦٦) وَ تَرْمِذِ (٦٧) بَعْدَمَا أَمَرَ مَلِكُ شَاهِ الْجَيْشِ بِالانْسِحَابِ إِلَى خِرَاسَانَ (٦٨) وَعَبَّرَ جَيْحُونَ (٦٩) سَيْطَرَ عَلَى الْبِلَادِ وَ نَحَبَ عَسْكَرَهُ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ وَالتَّجَارِ مِمَّا آثَرَهُمْ ضَدَّهُ وَسَأَلَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْعَفْوَ، بَعْدَ مَا أَمَرَ بِحَرْقِ الْمَدِينَةِ وَعِنْدَمَا وَصَلَ خَبَرَ ذَلِكَ إِلَى السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهِ ارْسَلَ إِخَاهُ إِيَازَ لِتَأْدِيهِمْ إِلَّا أَنَّهُ هَزِمَ وَسَقَطَ مِنْ عَسْكَرِهِ فِي جَيْحُونَ وَ لَمْ يَبْجِ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلَ (٧٠)، فَلَمَّا اسْتَقَامَتِ الْأُمُورُ لِلْسُّلْطَانِ مَلِكْشَاهِ سَارَ إِلَى تَرْمِذَ سَنَةَ ٤٦٦ هـ وَحَصَرَهَا، فَطَلَّبُوا الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ، وَسَارَ بَعْدَ ذَلِكَ يُرِيدُ سَمَرْقَنْدَ، فَفَارَقَهَا صَاحِبُهَا، وَأَنْقَدَ يَطْلُبُ الْمَصَالِحَةَ، وَيَعْتَذِرُ مِنْ تَعْرُضِهِ إِلَى تَرْمِذَ، فَأَجِيبَ إِلَى ذَلِكَ، وَاصْطَلَحُوا، وَعَادَ مَلِكْشَاهُ إِلَى خِرَاسَانَ. (٧١)

ثُمَّ خَلَفَهُ إِخْوَهُ خَضِرُ خَانَ بْنِ طَفْغَاجِ خَانَ (٤٧٢-٤٧٣ هـ) مَلِكًا بَعْدَ إِخِيهِ شَمْسِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَدِمَ فَسْرَعَانَ مَا تُوْفِيَ وَخَلَفَهُ ابْنُهُ أَحْمَدُ بْنُ خَضِرِ خَانَ (٤٧٣-٤٨٨ هـ) إِذْ تَوَلَّى بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ وَعَمَّتْهُ تَرْكَانُ خَاتُونُ زَوْجَةُ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهِ وَصَفَ أَنَّهُ كَانَ سَيِّئَ الْخَلْقِ إِسَاءَ مَعَامَلَةِ الرَّعِيَّةِ فَقَدِمَ مَفْتِي سَمَرْقَنْدِ أَبُو طَاهِرِ الشَّافِعِيِّ إِلَى السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهِ يَشْكُوهُ فَسَارَ إِلَيْهِ سُلْطَانٌ وَعَبَّرَ نَهْرَ جَيْحُونَ سَنَةَ ٤٨٢ هـ فَسَيْطَرَ عَلَى بَخَارِي دُونَ مَقَاوِمَةٍ وَبَعْدَهَا حَاصِرَ سَمَرْقَنْدِ وَمَلِكْهَا بَعْدَ إِذْ هَرَبَ أَحْمَدُ ثُمَّ جِيءَ بِهِ إِسِيرًا وَبَعِثَ بِهِ إِلَى إِصْفَهَانَ ثُمَّ جَعَلَ عَلَى الْبِلَادِ أَبَا طَاهِرَ عَمِيدَ خَوَارِزْمِ (٧٢)، لَكِنْ سَرَعَانَ مَا آثَرَ الْعَسْكَرَ مِنْ قَبِيلِهِ الْجُكَلِيَّةِ (٧٣)، الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ نَوَاةَ الْجَيْشِ الْقَرْخَانِيِّ بِسَبَبِ تَقْتِيرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَ عَدَمِ إِقَامَتِهِ مَادِبَةً لَهُمْ مِمَّا اضْطَرَّ نَائِبُهُ إِلَى تَرْكِ سَمَرْقَنْدِ إِلَى خَوَارِزْمِ (٧٤) مِمَّا دَفَعَ مَلِكْشَاهُ إِلَى إِخْضَاعِ سَمَرْقَنْدِ مَرَّةً ثَانِيَةً، غَيْرَ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهِ إِعَادَ أَحْمَدَ إِلَى عَرْشِهِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ سَنَةَ ٤٨٥ هـ وَبَقِيَ حَتَّى قَتَلَ فِي سَنَةِ ٤٨٨ هـ نَتِيجَةَ نِزَاعِهِ مَعَ رِجَالِ الدِّينِ بَعْدَ اتِّمَامِهِ بِالْأَلْحَادِ وَأَقَامُوا عَلَيْهِ الْحُدُ. (٧٥)

ثُمَّ مَلِكًا بَعْدَهُ إِخْوَهُ مَسْعُودُ خَانَ (٤٨٨-٤٩١ هـ) إِذْ بَعْدَ مَقْتَلِ أَحْمَدِ خَانَ بْنِ خَضِرِ خَانَ اجْلَسَ عَلَى الْعَرْشِ إِخِيهِ مَسْعُودُ خَانَ وَفِي عَامِ ٤٩٠ هـ خَضَعَتِ الْبِلَادُ لِسَيْطْرَةِ بَرْكِيَا رُوقِ (٤٨٧-٤٩٨ هـ) الْإِبْنِ الْكَبِيرِ لِلْسُّلْطَانِ مَلِكْشَاهِ الَّذِي عَزَلَهُ (٧٦)، ثُمَّ مَلِكًا جِبْرَائِيلُ بْنُ عَمْرِ قَدْرَخَانَ (٤٩٢-٤٩٥ هـ) إِذْ سَعَى أَمِيرُ سَمَرْقَنْدِ هَذَا فِي تَحْقِيقِ طَمُوحَاتِهِ فِي السِّيْطْرَةِ عَلَى خِرَاسَانَ مُسْتَعْلًا ابْتِعَادَ السُّلْطَانِ سَنْجَرِ عِنْدَمَا كَانَ فِي بَغْدَادِ آنَذَاكَ وَمَا قَوَّى طَمَعَهُ الْإِخْتِلَافَ الْوَاقِعَ بَيْنَ السُّلْطَانَيْنِ بَرْكِيَارِقِ وَ مُحَمَّدٍ، فَبَادَرَ قَدْرَخَانَ وَقَصَدَ الْبِلَادَ فَسَارَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ سَنْجَرِ وَاصْطَفَا مَعَهُ وَهَزَمَهُ وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَقَتَلَ سَنَةَ ٤٩٥ هـ (٧٧).

بعد مقتل جبرائيل بن عمر احضر السلطان سنجر ارسلان خان مُجَّد بن سليمان داود بغراخان (٤٩٥-٥٢٣ هـ) من مرو^(٧٨) واجلسه على عرش سمرقند وكان مُجَّد هذا من ابناء خانيه ما وراء النهر وامه ابنة السلطان ملكشاه واخت السلطان سنجر.^(٧٩)

حيث واجهه في بداية حكمه تمرد من قبل احد الامراء القرخانين وهذا ما ذهب اليه ابن الاثير من قوله ... " الا انه انتصب له امير اسمه هاغويك،^(٨٠) في الملك فطمع فيه فجرى له معه حروب احتاج في بعضها الا الاستنجاد بعساكر سنجر"^(٨١)

ثم ما لبثت حتى تمتعت البلاد بفترة من الاستقرار والسلام استمرت عشرين عاما انصرف فيها ارسلان خان للاهتمام بأعاده اعمار قلعه بخارى وتشبيد القصور^(٨٢)، وقد ذكر ابن الاثير في احداث سنه ٥٠٧ هـ وقوع الخلاف بين السلطان سنجر وارسلان خان بن سليمان عندما بلغت مسامع السلطان سنجر سوء سيرة الامير ارسلان خان مع رعيته واهماله شؤونهم وخروجه عن طاعة السلطان سنجر فسار اليه سنجر الا ان ارسلان خشي ذلك وطلب من قماج احد امراء سنجر ان يصلح بينه وبين سنجر فكان له ذلك على ان يحضر و يطأ بساط السلطان سنجر فوافق على ذلك وعقد الصلح وسكنت الفتنة بينهما^(٨٣)، وفي اواخر ايامه اصابه الفالج (الشلل) استناب ابنه نصرخان فتامر عليه بعض رجال سمرقند واغتيل فاستغاث ابوه بسنجر واستدعى في نفس الوقت ابنه الاخر من تركستان^(٨٤) وعندما استتب الامور وانتهى التمرد، ارسل مُجَّد ارسلان خان الى السلطان سنجر يعلمه بالأمر و يطلب منه الرجوع فاغضب ذلك سنجر ودخل سمرقند عنوة وسلم سنجر البلد الى حسن تكين سنة ٥٢٤ هـ ولكن فسرعان ما مات فولي بعده محمود بن مُجَّد ارسلان خان اخ زوجته^(٨٥) سنة ٥٢٦ هـ^(٨٦)، وقد برهن هذا الاخير انه من الرعايا المخلصين لخاله سنجر.^(٨٧) ثم حدث ان واجهه خطر قادم من الصين هم القرخطاي وملكوا بلاد تركستان وفي حدود عام ٥٣١ هـ ساروا الى بلاد ما وراء النهر و في حدود خجندة خجندة^(٨٨) اقتتلوا مع الخاقان محمود بن مُجَّد ارسلان خان الذين انسحب الى سمرقند بعد هزيمته فعظم الخطب على اهل بلاد ما وراء النهر.^(٨٩)

وفي عام ٥٣٦ هـ ارسل محمود خان الى سنجر يستنجد به ضد تدخلات القارلوق فدخل الجيش السلجوقي في بلاد ما وراء النهر وفي نفس الوقت استنجد القارلوق بكورخان القرخطاي الذي كان انذاك في بلاساغون^(٩٠) فارسل كورخان الى سنجر يطلب العفو عن القارلوق غير ان الرد المسيء دفعه الى غزوه بلاد ما وراء النهر ودارت هناك معركة فاصلة في تاريخ السلاجقة قرب قطوان^(٩١) سنة ٥٣٦ هـ تعرض فيها جيش سنجر الى هزيمته منكره وانسحب على اثرها الى ترمذ وتبعه محمود تاركا البلاد للقرخطايين الذين استولوا على البلاد سنة ٥٣٦ هـ.^(٩٢)

وبذلك يتضح لنا من خلال العرض الموجز للفترة التي عاصرها صاحب تاريخ القند حجم الصراعات السياسية الداخلية كانت والخارجية التي عاشتها تلك البلاد والتي عاصرها مؤلف القند الشيخ النسفي وهذا ان دل على شيء انما يدل على عظيم الهمية التي تمتعت بها بلاد ما وراء النهر باعتبارها ثغر البلاد الاسلامية من ناحية الشرق يضاف الى ذلك اهميتها

الاقتصادية بالنسبة للقبائل التركية البدوية التي انساحت في تلك البلاد كما لا يخفى علينا بيان حجم الضعف الذي كانت عليه دولة الخلافة العباسية اذ كانت تعيش في احلك فترات الضعف والانهيار مما فسح المجال امام العديد من الاسر والقبائل من ان تطال ايديها اقتطاع بعض اجزاء المملكة لا بل ان تحكمها بصورة مباشرة مستقلة عن مؤسسة الخلافة مقابل الاكتفاء بذكر اسم الخليفة في الخطبة لا لشيء وانما فقط للحصول على الشرعية في ادارتها لمناطقها .

المبحث الثاني: موارده ومنهجه في الكتابة

لقد حظيت مدن الشرق عامة وبلاد ما وراء النهر خاصة باهتمام فائق من قبل علمائها الذين صنفوا في التعريف برجالها كتباً كثيرة , ومن هذه المدن التي حظيت بها مدينة سمر قند والتي ينقل ياقوت الحموي في وصفها عن العلماء بقولهم.

ليس في الارض مدية انزه ولا اطيب ولا احسن مستشرفاً من سمر قند^(٩٣) , ان ميزة تواريخ الرجال المحلية هي ان معلوماتها عن علماء البلد الذي تخصص بدراسته ادق واكثر استقصاء وشمولاً نتيجة عيش المؤلف في البيئة التي يؤرخ لرجالها ولذلك فان تواريخ الرجال المحلية لقيت اهتماماً من طلاب الحديث حتى ان بعضها كان يدرس بحلقات العلم .

لقد ظهرت هذه المصنفات منذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ومن الطبيعي ان يكون المصنف في رجال مدينة ما من سكانها ويمتاز بمعرفته الدقيقة بعلمائها لاختلاطه بالمعاصرين له ونقله عن تلاميذه الذين سبقوه منهم وهذا يجعله قادراً على التعريف بالعلماء بلده اكثر من سواه .

١- وصف الكتاب

يعد كتاب القند للنسفي من كتب التراجم للرجال وهو كتاب محلي مختص في علماء سمر قند ورغم وجود لترجمات لبعض الخلفاء والامراء الا انه يعد من الكتب المحلي , وانجد في كتابه ذكر للرسول صلى الله عليه وسلم وآل البيت لان اصبح من الثوابت ذكر الرسول ﷺ صلى الله عليه وسلم وآل البيت , حيث اصبح هناك توجه من علماء المشرق لدراسة الحديث و الفقه به

حيث يذكر في ترجمة ابو نصر ابن ابي بكر الكاتب الاشتدي^(٩٤) هوة احمد بن محمد بن حامد بن نعيم بن الفضيل بن سهل بن فرحان بن ماهان بن بهران بن ماهوية بن مرزبان مرو وما يليها من خرسان ولي ابوه ابو بكر وزارة الامير الماضي اسماعيل بن احمد الى ان مات الامير وللأمر الشهيد احمد بن اسماعيل الى ان مات , وللأمر السعيد نصر بن احمد بن اسماعيل سنة ومات ابو بكر في المحرم عشة يوم عاشوراء سنة اثنتين وثلاث مائة.^(٩٥)

فكانت وزارته عشرون سنة وشهر وكان ملوك ال سامان يتبركون في وزارته وقوادهم يتيمينون به ورعاياهم يحبونه لحسن تدبيره وسيرته روى ابو نصر هذا واخوه ابو احمد عن ابيهما انه قال : "سمعت ابي حامداً وعمي سليمان يقولان : سمعنا ابانا نعيماً يقول : سمعت علياً بن موسى الرضا(عليه السلام) يقول لا صحابه من ابغض منكم شيخي قريش وسيد

عشيرتيهما وصاحبي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في سرائه وضرائه وعضدي جدي علي ابن ابي طالب , ابا بكر وعمر رضي الله عنهم فليفارقنا الى لعنة الله فاني بريء منهم في الدنيا بريء منه في الآخرة " .^(٩٦)

٢- تقسيم الكتاب

قسم الكتاب على التسلسل الابجدي حيث يبدأ بحرف الالف وينتهي بحرف الياء حيث ترجمه فيه الى (١٢٣٢) من الرواة والمحدثين والتابعين والاعلام والامراء الذي عاشوا وسكنوا او مروا بسمرقند وكذلك يحتوي الكتاب على ٩٤٧ حديث نبوي ومعلومات عن البلدان والمدن والقرى وبعض الوقائع والحوادث التاريخية .

موارده

١-القران الكريم

اعتمد النسفي على العديد من المصادر التاريخية المكتوبة وقد تفاوتت هذه المصادر في اهميتها واهم هذه المصادر هو القران الكريم حيث ذكر فيه الاحداث التاريخية ونقل الروايات وقد بلغ عدد الآيات التي اوردها في كتابه القند في ذكر علماء سمرقند احدى وخمسين آية من مختلف سور القران الكريم .

حيث ذكر اول اية عند ترجمة لشخصية ابو علي اسماعيل بن عبد الرحمن السنجيني حيث اورد حديث نبوي عن عدة رواد واستشهد للحديث في الآيات القرآنية الكريمة قال تعالى : { لئن شكرتم لأزيدنكم } .^(٩٧) وقوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ } .^(٩٨) استخدم اكثر الآيات القرآنية لتدعيم الاحاديث التي يوردها عن الشخص المذكورين في كتابه^(٩٩) وكذلك اراد ان يبين بعض الاحكام الشرعية الخاصة بالدين الاسلامي من خلال كتابه حيث يذكر عن شخصية الشيخ الامام ابو الحسن علي بن الحسين بن علي بن هاشم الهاشمي المودودي النسفي^(١٠٠) الحديث التالي عن سلسلة روايات عن الامام علي " عليه السلام " قال لما نزلت آية { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ م }^(١٠١) قال المؤمنون يا رسول الله ابي كل عام مرة قال " لا ولو قلت نعم لوجبت " فانزل الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ } .^(١٠٢)

٢-الحديث النبوي الشريف

رغم الاهمية الخاصة التي يتمتع بها كتاب القند في كونه مرجعاً ينقل عن مصادر لم يعد لها اثر اليوم ويذكر ومواقع وقرى لم يرد بعضها حتى في الكتب و المعاجم الجغرافية ويترجم لأشخاص وعلماء محليين لم يعثر على مجموعة كبيرة منهم في جميع كتب التاريخ والرجال المتوفرة الا ان الاحاديث الواردة فيه المروية عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بشكل خاص يوجد في بعضها ما يشير الى ضعف اسانيدھا او اختلاقتها او تحريفها وبعض رواھا كذابون معروفون لدى علماء الجرح والتعديل وان شطراً من الاحاديث الواردة في كتاب القند هي من الاحاديث الموضوعية, بلغ عدد الاحاديث الورد في كتاب القند ٩٤٧ .

٣- الشعر

يعد الشعر مصدراً مهماً من مصادر دراسة التاريخ إذ اعتمد عليه النسفي بصورة كبيرة في كتابه إذا ورد العديد من الابيات والقصائد الشعرية التي استشهد بها على الحوادث التاريخية واسناد بعض الروايات ، الشعر الذي اعتمد عليه في بعض الاحيان يكون من نظمه و احياناً اخرى ينقل عن بعض الشعراء ومن الابيات الشعرية التي ذكرها عن الرواية التي ترجمها لشخصية ابو اسحاق ابراهيم بن علي الذهلي النيسابوري عن سلسلة رواة عن ابي موسى الاشعري قال (انما اهلك من كان قبلكم هذا الدينار والدرهم وهما مهلكاكم. ^(١٠٣) قال وقد قلت:

النار في الدينار فليعلم والهـم في الدرهم فليفهم
وانما اهلك من قبلنا من قبل الدينار والدرهم

في اغلب الاحيان تكون الابيات الشعرية تحمل نفس معنا الحديث الذي يورده نهاية ترجمة اغلب الشخصيات وهذا نموذجاً منها و عندما ترجم لشخصية ، ابو صالح خلف بن رجاء بن اسماعيل بن قيس بن اسماعيل بن عبيد الله بن زيد عبد ربه صاحب الاذان الخزرجي الانصاري عن عدت رواة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم واله) قال : ان هذا المال حلو خضر فمن اخذه بحقه فنعم المعونة هو ^(١٠٤) قال نجم الدين : وقد قلت

بسط الله لقوم رزقهم فعصوه وعتوا عما نهوا
ان هذا المال حلو خضر واذا حل فنعم العون هو

وفي ترجمته للأمام الخضر النبي صلوات الله عليه هوه بلياء بن مكان بن فالخ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح صلوات الله عليه ذكره الله عليه في كتابه في قوله : { فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا } . ^(١٠٥) ظهر بسمر قند مرات في مساجد ومزارات ومن راه بها ،الشيخ الامام ابو منصور ، رآه في رباط دشت وسأله ان يدعوا له فدعا له.

وله روايات عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قال : اخبرنا الشيخ القاضي الامام الخطيب ابو الفضل محمد بن احمد بن محمد الصائفي بسرخص قال حدثنا الشيخ الامام ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد الفوراني قال حدثنا ابو بكر احمد بن محمد بن علي الدندانقاني قال حدثنا ابو مضر محمد بن عبد الله الخيام السمرقندي بايبورد قال: رايت الخضر والياس صلوات الله عليهما في مفازة كعب فحدثاني عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم باحاديث منها قوله: (رحم الله امرءاً لا يمشي في الارض مرحاً) قال نجم الدين وقد قلت:

رحم الله امرءاً لم يمش في الارض مرحاً بل مشى في الناس باللين مريحاً ومرحاً
راح سمحاً اريجياً اجود العالم راحاً بيته اصبح للراجين مرعى ومرحاً

ومن الأشعار التي أوردتها في ترجمة شخصية ، داوود بن العباس بن هاشم بن أبي جوف وقد قيل ابن ناييجور والي بلخ ، وعمه داوود بن ناييجور كان والي ماوراء النهر ولاء هرمثة ابن اعيون بعد ما فتح سمر قند وقتل رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، وولي عليها أولاً يحيى بن معاذ سنتين ، ثم عزله وولى داوود هذا وهو في سنة سبع وتسعين ومائة في شعبان . وداوود بن العباس نافلة أخيه ، كان والي بلخ وهرب منها لما دخل يعقوب بن الليث ، وقدم الى سمر قند في ولاية اسماعيل بن احمد الساماني على سمر قند من يد أخيه نصر بن احمد يوم الاثنين الاثني عشر ليلة مضت من ذو الحجة سنة ثمان وخمسين ومئتين ورد عليه كتاب نصر بن احمد بتقية وأكرامه وبره فأقام لسمر قند حتى ورد عليه سنة تسعة وخمسين في اول صفر حين قتل صالح بن عمر فخرج من سمر قند من يومه وذلك ينشد من قول: (١٠٦)

اصبحت بعد تجمع الاهل يا اخوتي متبدد الشمل
اذ غصة حيران مكتئباً اطوي حزون الارض والسهل
قد خانني من كنت امله من بين ذي قرني ومن خل

ولما رجع داوود الى وطنه وجد قصره قد خرب فانشق صدره من الغم ومات بعد سبعة عشر يوماً وانشدوا له في ذلك:

هيهات يا داود لن تر مثلها ساريك في وضح النهار نجوماً
فكأنما نوشار قاع صفصف يدعوا صدها بجانيه البوما
لا تفرحن بدولة خولتها و زوالها قد قارب الخلقوما

٤- المصادر التاريخية

اعتمد النسفي على شيوخ كثيرة في نقل الرواية فاق عددهم خمسمائة وخمسون رجل وقد وردت أسماء بعض شيوخه متناثرة في مصادر مختلفة ومن تكرر ذكره في هذا الكتاب:

١- الحسن بن عبد الملك بن علي بن موسى بن اسرافيل النسفي (٤٨٧-٤٠٤ هـ) ترجم له الذهبي في سير اعلام النبلاء وقال " سمع الكثير من المحافظ جعفر بن محمد المستغفري " ولازمه وير في القند بهذا الشكل اخبرنا الشيخ ابو علي الحسن بن عبد الملك النسفي قال: اخبرنا ابو العباس جعفر بن محمد المستغفري ،... وعندما يأتي الى ترجمته ثانياً فيها نفس الاسناد فانه يختصر القول فيقول " واخبرنا الحسن هذا قال : اخبرنا جعفر هذا ،... والمقصود هو الاسناد الاول. (١٠٧)

اما المستغفري (٤٣٢-٥٣٥ هـ) فهو مؤلف تاريخ نفس تاريخ كبير في مجلدين ضخمتين كتاب مشبع يشمل على ثمانين طاقة او اكثر وهو ما يؤكد ملازمة الحسن بن عبد الملك للمستغفري (١٠٨) ان الحسن يروي جميع كتب المستغفري اما الطريقة الاخر الى المستغفري فهو كان يرويه عن ابي محمد الحسن بن احمد بن محمد ابن قاسم بن جعفر القاسمي الكوجميثي (٤٠٩ - ٤٩١ هـ) الذي ترجم له عبد الغافر وقال السمرقندي الامام المحافظ عديم النظر... سمع اهل سمر قند وبخارى واكثر عن ابي العباس المستغفري (ويرد في القند بكثرة بوصفه شيخاً لابي حفص النسفي مؤلف الكتاب بقوله : ابو محمد الكوجميثي ، وهو نفسه المذكور لدى الذهبي باسم: الحسن بن احمد السمرقندي المحافظ وله الى

المستغفري طرق آخر لكنها قليلة جداً قياساً إلى الطريقتين الأخرتين كما قام بدور الناقل لروايات المستغفري من خلال الرسائل المتبادلة بينه وبين خطيب خوارزم الموفق بن محمد الملوكي المتوفي سنة ٥٦٨ هـ ويسند إليه في كتابه مناقب الامام الاعظم أبي حنيفة كما يلي) اخبرني الامام الحافظ ابو حفص عمر بن محمد البارع النسفي في كتابه الي من سمر قند قال : اخبرنا الحافظ ابو علي الحسن بن عبد الملك النسفي قال : اخبرنا الحافظ جعفر بن محمد المستغفري النسفي...

٢- عمر بن احمد بن محمد بن شبيب , ابو حفص الشيبني الديزكي المتوفي سنة ٥١١ هـ الذي يروي عن عمر بن احمد بن محمد بن الحسن حفص الفارسي الشاهيني, المتوفي سنة ٤٥٤ هـ الذي يروي ان عمر بن احمد بن محمد بن شبيب المنوي الادريسي المتوفي سنة ويرد الاسناد الاقي بكثرة في القند^(١٠٩) اخبرنا الشيخ الامام ابو حفص عمر بن احمد الشيبني قال اخبرنا الشيخ ابو احمد الشاهيني قال اخبرنا الشيخ ابو سعد عبد الرحمن بن محمد الاسترابدي الادريسي ...^(١١٠) وغالباً ما يأتي في الترجمة تلي قوله: وبهذا الاسناد عن ابي سعد او وبهي عن الادريسي والمقصود الاسناد المذكور انفاً.

والادريسي مؤلف كتابين مهمين قد اعتمد مؤلف القند عليهما والكتابان هما : تاريخ استراباد الذي يمكن ان نأخذ فكرة عن حجمه من خلال قول السمعاني عند حديثه عن اقامته باستراباد اقامت بها قريباً عن عشرة ايام فكتبت بها عن جماعة وكتبت تاريخ استراباد من تصنيف ابي سعد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الاسترابدي المعروف بالادريسي .^(١٠٩) والثاني الكمال في معرفة الرجال بسمر قند , وورد في القند ان اسمه هو الكمال في معرفة الرجال من علماء سمر قند و اشار الى مختصر له بعنوان مختصر الكمال وعبارة السمعاني دالة على اهمية الادريسي بالنسبة لتاريخ هاتين المدينتين حيث قال في ترجمة) من اهل استر باد سكن سمر قند الى حين وفاته وهو صاحب تاريخهما اعني سمر قند واستراباد (ويسمي السمعاني كتاب الكمال باسم تاريخ سمر قند اختصاراً على ما يبدو وذلك في المقتطفات التي نقاها منه.^(١١٠)

ولا يخفى على احد اهمية هذه التواريخ ذات العلاقة بالمدن الثلاث سمرقند واستراباد ونسف (ويقال لها نخشب ايضاً) , وذلك لكثرة رجال الحديث الذين ينتمون اليها ممن ترجم لهم النسفي في القند ولكون مؤلف القند نفسه نسفياً. ٣-عبدالله بن احمد بن محمد , ابو محمد النجار ٤٢٨-٥٠٣ هـ نافلة الشيخ الامام الخطيب ابي بكر محمد بن عبد الله بن واصل النجار السمرقندي وقد وردة ترجمته في كتاب القند وقد دعاه (شيخني) واكثر في النقل عنه في كثير من ارجاء الكتاب بالشكل التاي (اخبرنا الشيخ الامام ابو محمد عبدالله بن احمد النافلة قال اخبرنا جدي الشيخ الامام الخطيب ابو بكر محمد بن عبد الله النجار...).

منهجه

١- اسلوب عرض المادة التاريخية:

اتباع النسفي في كتاب القند اسلوب نقل الرواية عن عدة رواة في ترجمة أي شخصيه اوردها في كتابه حيث اعتمد على شخصيات سماهم شيوخه نورد منهم , أبو محمد إسماعيل بن محمد النوحى النسفي , , أبو علي الحسن بن عبد الملك

القاضي الماتريدي، أبو محمد عبد الله بن أحمد القنطري، ، أبا اليسر محمد بن محمد بن الحسين البزدوي^(١١١)، مهدي بن محمد العلوي، عبد الله بن علي بن عيسى النسفي، حسين الكاشغري، ، أبي محمد الحسين بن أحمد السمرقندي، ، علي بن الحسن الماتريدي، أحمد بن محمد بن نصر بن أحمد بن محمد بن جرير الإمام أبو نصر النسفي، في تدوين كتابه وكذلك يورد في نهاية ترجمة اغلب الاشخاص حديث نبوي شريف.

وعند ترجمه لبعض الشخصيات يورد الاسم الثنائي فقط (ابراهيم بن الهيثم)^(١١٢) (وفي بعض الاحيان يورد الاسم الثلاثي) (الشيخ الزكي، عمر بن نصر بن حمزة الشاشي)^(١١٣) (وفي بعض الاحيان يورد النسب كامل) ابو جعفر قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.^(١١٤)

٢- لغة الارقام ووحدات القياس

على الرغم من وجود ذكر للعديد من المدن في كتاب القند الا انه لم يستخدم وحدات القياس لا من قريب ولا من بعيد وكذلك لم يستخدم الارقام في كتابة .

٣- التقويم

اعتمد النسفي في كتابه القند على ذكر السنين والاشهر والايام واحياناً يذكر الشهر والسنة بدون الايام وقد يذكر السنة فقط ، واستعمل التقويم الهجري في كتابه، علماً انه لم يستعمل الارقام في كتابة التاريخ، حيث يذكر اليوم والشهر والسنة في ترجمة (ابو ابراهيم اسماعيل بن احمد بن اسد بن سامان بن حيمثيان بن نوشرد بن سامطغان ابن بهرام الملك، والي خراسان) كان من افضل الامراء ممن يعد في احكامه، مشفقاً على رعيتيه، به يضرب المثل في حسن الخلق والعشرة والرغبة في الجهاد وقتال الكفرة، وكان كثير الجند وهم اربعة اخوة - نصر واسحاق ويعقوب واسماعيل وكلهم يحدثون. يروي عن ابيه روى عنه محمد بن قريش المروزي، وعبد الرحمن بن محمد القاضي الابهري، وعيسى بن محمد بن عيسى كاتبه وعبد الرحمن بن محمد بن يعقوب البخاري مات ببخارى" في صفر للنصف منه سنة خمس وتسعين ومائتين"^(١١٥) وكذلك في ترجمة (الشيخ الامام ابراهيم اسماعيل بن عثمان بن احمد الكشي).

الخطيب بما توفي مفاجأة ليلة الثلاثاء الثالث والعشرون من صفر سنة ست عشرة واربعمئة حين جاء السلطان محمود بن سبكتكين^(١١٦) ما وراء النهر والسلطان بما ايلك^(١١٧)

وكذلك في ترجمة (الشيخ القاضي الامام ابو المحاسن سلمان بن علي بن احمد البلخي)

اقام بسمرقند، وتوفي بها يوم الجمعة الثامن عشر من شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسمائة وهو ابن ست وتسعين سنة ولد عام توفي السلطان محمود بن سبكتكين^(١١٨)

وحيثاً يذكر الشهر والسنة مثل ترجمته لشاه بن عبد الملك كتب عن الشيخ الامام علي بن احمد السن كباقي ماء املاه
بسمرقند في المحرم سنة خمس واربعين واربعمائة
وكذلك ترجمة ابو محمد عبد الواحد بن احمد بن محمد بن سيماء الحمادي الجندي السمرقندي املا بسمرقند يجامعها في شهر
ربيع الاول سنة ثمان واربعون واربعمائة. (١١٩)
وقد يذكر السنة فقط مثل ترجمته لشخصية ابو عبد صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب بن حسان بن النذر بن عمار
وعمار يكنى با ابي الاشرس البغدادي الاسدي مولى اسد الخزيمة نسيح وحده في زمانه في الحفظ والمعرفة والاتقان دخل
سنة سبعة وستين ومئتين واملى على اهلها كثيراً ودخل سمرقند وحدث بها ومات ببخارى سنة اربع وتسعين
وماتان. (١٢٠)

المبحث الثالث: الاشارات التاريخية في كتاب القند في ذكر علماء سمرقند :

اورد النسفي نجم الدين عمر بن محمد بن احمد المتوفي في عام ٥٣٧هـ في كتابه القند في ذكر علماء سمرقند مجموعة
من الاشارات التاريخية الاحداث المشرق الاسلامي وان هذه الاشارات متباينة من حيث الزمان والمكان.
وان ذكر النسفي لهذه الاحداث جاء متداخلا مع ما يذكره من تراجم لرجاله وان هذه الاشارات يوردها على
شكل قرائن تاريخية يوضح من خلالها الفترة الزمنية التي ظهر فيها رجاله وان الاهتمام بتوضيح تلك الاشارات او ما
رافقها يكون بحسب الشخص المترجم له فإنه يذكر الاشارة التاريخية بشكل مقتضب جدا ودون الاهتمام بالتفصيل اذا
كان المترجم له يحمل جنبه علمية فقط ولكن النسفي يطيل الحديث عن الاشارة التاريخية اذا كان المترجم يحمل صفة
سياسية كأن يكون ملكا او قائد عسكريا.
كما ان النسفي يكرر ذكر الاشارة التاريخية في اكثر من موضع وان سبب ذلك يعود الى انه يترجم لمجموعة من
الرجال عاصروا او رافقوا وقوع حدث تاريخي مهم يقرن ذكرهم به ولهذا نجد ان الاشارات تتكرر.
وقد استخدم النسفي هذه الاشارات التاريخية في كتابه القند في ذكر علماء سمرقند دون الالتزام بتسلسلها التاريخي
وذلك لأنه ذكر تراجم رجاله حسب تسلسلهم الابجدي ولهذا نجد بعض اشارات القرن الهجري الاول قد وردت في
الصفحات الاخيرة من الكتاب كما ان بعض اشارات القرن الرابع الهجري قد تقدم ذكرها في هذا الكتاب ولهذا السبب
جمعنا هذه الاشارات التاريخية واعدنا ترتيبها حسب تسلسلها التاريخي وقسمت حسب العصور السياسية التي وقعت فيها.
الاشارات التاريخية التي تعود الى العصر الراشدي (١١-٤٠هـ).

ذكر النسفي في كتابه القند في ذكر علماء سمرقند اشارة تاريخية واحدة تعود الى عصر الراشدي وبالتحديد الى عام

وتتحدث هذه الإشارة عن قدوم الاحنف بن قيس الى المشرق في خلافة عثمان بن عفان وذلك في معرض ترجمة للأحنف بن قيس بصفة كراو للحديث فيذكر النسفي ما نصه... " ان الاحنف ذهب عينه يوم سمرقند وتوفي في ولاية مصعب بن الزبير.. " (١٢١)

ويذكر خليفة بن خياط ان اول من استعمل على خراسان عبد الله بن عامر بن كرز في سنة ثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان وكان على مقدمته الاحنف بن قيس ففتح ابر شهر وصالح اهل مرو وفتح طالقان والجوزجان وطخارستان (١٢٢) ولم يتطرق الى وصوله الى سمرقند و اشار ابن كثير في البداية والنهاية الى ذهاب عين الاحنف يوم سمرقند دون ذكر التفاصيل. (١٢٣)

الاشارات التاريخية التي تعود الى العصر الاموي ٤١-١٣٢هـ:

اشار النسفي في كتابه القند في ذكر علماء سمرقند بتسع اشارات الى الفتوحات العربية للمشرق وبلاد ما وراء النهر في العصر الاموي واول هذه الاشارات تتحدث عن عبور سعيد بن عثمان بن عفان الى تلك البلاد وقد كررت هذه الإشارة اربع مرات في كتاب القند. (١٢٤)

ويذكر النسفي في كتابه القند في ذكر علماء سمرقند عبور العرب نهر جيحون في عصر معاوية بن ابي سفيان وذلك من خلال ترجمته لرفيع بن مهران يقول ما نصه " وهو او من اذن وراء نهر جيحون وعبر مع سعيد بن عثمان بن عفان.. " (١٢٥) ولم يذكر النسفي في اي عام وقعت هذه الحادثة.

ويشير ابن الاثير الى هذه الحادثة بقوله " فلما قدم سعيد خراسان قطع النهر الى سمرقند فخرج اليه الصغد فتوافقوا يوما الى الليل ولم يقتتلوا فلما كان من الغد اقتتلوا فهزمهم سعيد وحصرهم في مدينتهم فصالحوه واعطوه رهنا منهم خمسينا غلاما من ابناء عظمائهم فسار الى ترمذ افتتحها صلحا ولم يف سعيد الاهل سمرقند وجاء بالغللمان معه الى المدينة... " (١٢٦) و اشار ابن الاثير الى سنة وقوع هذه الحادثة وهي سنة ست وخمسين من الهجرة. (١٢٧)

كما وقد اشار النسفي في كتابه القند في ذكر علماء سمرقند فتح مدينة سمرقند على يد قتيبة بن مسلم الباهلي وقد اشار الى هذه الحادثة ثلاث مرات في تراجم مختلفة (١٢٨) ويورد النسفي هذه الإشارة في ترجمته لعبد الرحمن بن مسلم بوصفه اول الامراء المسلمين على هذه المدينة يقول النسفي ما نصه... " وهو اخو قتيبة بن مسلم وكان على مقدمة اخيه وهو اول امير على سمرقند في الاسلام... " (١٢٩) ولم يشر النسفي الى الكيفية التي تم بها الفتح واكتفى بالنص اعلاه.

ويشير البلاذري الى غزو قتيبة لسمرقند عام ٩٣هـ في رواية نصها... " وغزى قتيبة سمرقند وكانت ملوك السغد تنزلها قدما ثم نزلت اشبخن فحصر قتيبة اهل سمرقند والتقوا مرارا فقتلوا وكتب ملك السغد الى ملك الشاش وهو مقيم بالطارند فأتاه بخلق كثير فلقبهم المسلمون فقتلوا اشد القتال وان قتيبة اوقع بهم وكسرهم فصالحه كوزك على الف درهم في كل عام وعلى ان يصلي في المدينة وقد اتخذ له كوزك طعاما فأكل وصلى واتخذ مسجدا وخلف بها جماعة من المسلمين... " (١٣٠) وبعد هذا الفتح ولي عبد الرحمن بن مسلم سمرقند حسب ما يذكر النسفي ولكن مسكويه يخالف

هذا القول فيذكر نصا يقول فيه "لما فتح قتيبة سمرقند استخلف عليها عبد الله بن مسلم وخلف عنده جندا كثيفا والة حرب..."^(١٣١) وهذا يظهر التضارب حول اول من ولي سمرقند في الاسلام.

ان اغلب الاشارات التاريخية تدور احداثها في مدينة سمرقند وذلك لان هذا الكتاب يتناول ترجمة علماء ومحدثي هذه المدينة وان هؤلاء قد جاء بعضهم مع الفتح او في عصر الولاة كما في هذه الاشارة التي تناول فيها النسفي امانة مخلص بن يزيد بن المهلب بن ابي صفرة وذلك في ترجمة عكرمة مولى العباس بن عبد المطلب يذكر ما نصه.. "يقال انه دخل سمرقند ايام مخلص بن المهلب بن ابي صفرة"^(١٣٢) وعند مراجعة المصادر التاريخية نجد انها تذكر ان مخلصا هو بن يزيد بن المهلب وهذا خلاف ما يذكره النسفي ويذكر مسكويه ان مخلص بن يزيد خلف والده يزيد بن المهلب على خراسان عندما خرج في ثلاثين الف قاصدا جرجان وذلك عام ٩٨هـ واستمر ينوب عن والده حتى عام ١٠٠هـ حيث عمر بن عبد مجيب يزيد بن المهلب فخرج المخلص الى بلاد الشام لسعي في اطلاق والده.^(١٣٣)

الاشارات التاريخية التي تعود الى الخلافة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ):

اشار النسفي في كتابه القند في ذكر علماء سمرقند الى الاحداث التاريخية التي وقعت في المشرق الاسلامي في العصر العباسي الاول بسبع اشارات تكرر بعضها اكثر من مرة.

واول الاشارات التاريخية التي يوردها النسفي في كتابه القند عن الدولة العباسية وبداية قيامها فيشير الى احداث عام ١٣٣هـ وذلك في معرض ترجمة لزيد بن صالح الخزاعي يذكر ما نصه... "استخلفه ابو مسلم على الصغد وسمرقند لما رجع من سمرقند الى مرو سنة ثلاث وثلاثين ومائة وكان من الولاة الاجلاء وله مغاز قتلته دهقان باركت..."^(١٣٤)

ويذكر النسفي في كتابه المعرفة والتاريخ ان ابي مسلم عاد من سمرقند عام ١٣٤هـ^(١٣٥) وهذا يخالف ما يذكره النسفي في مغادرة ابي مسلم عام ١٣٣هـ ويشير الطبري الى هذه الحادثة التي يعدها من سنة ١٣٤هـ في قوله وانصرف ابي مسلم الى مرو بعد ان قتل في اهل الصغد واهل بخارى وامر ببناء حائط سمرقند واستخلف زياد بن صالح على صغد واهل بخارى..."^(١٣٦) كما اشار النسفي الى مقتل زياد بن صالح على يد احد الدهاقين دون ان يبين كيفية قتله ما هو سبب ذلك وعند الرجوع الى المصادر التي تبين ان هذه الحادثة وقعت في عام ١٣٥هـ وان صالح بن زياد خالف ابي مسلم فيذكر ابن الاثير ما نصه بقوله... "خرج زياد بن صالح الى ما وراء النهر فصار ابو مسلم مستعدا للقائه وبعث ابو داود خالد بن ابراهيم الى ترمذ مخافة ان يرمذ زياد بن صالح الى الحصن فيأخذه ومضى ابو مسلم مسرعا الى امل ومعه سبع بن سليمان الازدي وهو الذي قد ارسله السفاح الى زياد بن صالح وامره ان يثب على ابي مسلم فيقتله... وعبر ابو مسلم فلما نزل اتاه عدة من قواد زياد وقد خلعه فأخبروا ابو مسلم ان سبع بن النعمان هو الذي افسد زياد فكتب الى عامله بأمل ان يقتله ولما اسلم زياد قواده ولحقو بأبي مسلم لجأ الى دهقان هناك فقتله وحمل رأسه الى ابي مسلم..."^(١٣٧) ويظهر من سياق الرواية ان سبب خروج زياد بن صالح هو رغبة الخليفة العباسي السفاح ابي التخلص من ابي مسلم.

كما اشار النسفي في كتابه القند في ذكر علماء سمرقند الى حرب المقنع بكش في ايام المهدي (١٥٨-١٦٩هـ) وذلك من خلال ترجمته لسعيد الحرشي كأحد رواة الحديث.^(١٣٨)

ولم يذكر النسفي من هو المقنع والى ما يدعوا ويشير الطبري الى المقنع في احداث سنة ١٦١هـ يقول الطبري "... خروج حكيم المقنع بخراسان من قرية من قرى مرو وكان فيما ذكر يقول بتناسخ الارواح ويعود ذلك الى نفسه فأستغوى برا كثير وقوي صار الى ما ورا النهر فوجه المهدي لقتاله عدة من قواده فيهم معاذ بن مسلم وهو يوم اذ على خراسان ومعه عقبة بن مسلم وجبرائيل بن يحيى وليث مولى المهدي ثم افرد المهدي لمحاربتة سعيدا الحرشي وضم اليه القواد وابتدأ المقنع بجمع الطعام عدة للحصار في قلعة كش ..."^(١٣٩)

وقد استمرت حركة المقنع الى عام ١٦٣هـ واستمر حصار قلعة كش التي تحصن بها سنتين حتى تم القضاء عليه ويورد الطبري نضا حول موت المقنع يذكر فيه.. " فاشتد عليه الحصار فلما احس بالهلكة شرب سما وسقاه نسائه واهله فمات وماتوا ودخل المسلمون القلعة و احتزوا رأسه و وجهوا به الى المهدي وهو في حلب..."^(١٤٠)

كما اشار النسفي في كتابه القند الى ولاية علي بن عيسى بن ماهان على خراسان وذلك في ترجمته لخالد بن سليمان البلخي بقوله.. "دخل سمرقند حين ضربه علي بن عيسى بن ماهان ونفاه الى فرغانة ثم قدم من فرغانة سنة تسع وتسعين ومائة..."^(١٤١) ولم يفصل النسفي في ولاية علي بن عيسى بن ماهان على خراسان وقد بدأت ولاية علي بن عيسى على خراسان عام ١٨٩ هـ وكان شديد الظلم وعسف بأهل خراسان وجمع مالا كثيرا من ولايته ووجه الى هارون هدايا لم يرى مثلها^(١٤٢) ومن سيرته استخفافه برجال خراسان وعاث فساد فيها مما اضطر اهل خراسان الى الشكوى الى الرشيد يطلبون استبداله لسوء سيرته فعزله الرشيد ١٩٠هـ^(١٤٣)

وقد اشار النسفي الى الواقعة التي حدثت بين هرثمة بن اعين ورافع بن الليث بن نصر بن سيار وذلك في معرض ترجمته لداود بن العباس بن هاشم بن ابي الجور يقول النسفي "داود بن نابجور وكان والي ما وراء النهر وواه هرثمة بن اعين بعدما فتح سمرقند وقتل رافع بن الليث بن نصر بن سيار..."^(١٤٤) وقد خرج رافع بن الليث مخالفا لهارون الرشيد عام ١٩٠هـ بحسب ما يذكر مسكويه الذي يذكر هذه الواقعة فيقول ما نصه... "وفي هذه السنة ظهر رافع بن الليث بن نصر بن سيار مخالفا لهارون الرشيد خالعا له ونزع يد الطاعة..."^(١٤٥) وان سبب خروجه هو ان رجل يدعى يحيى بن الاشعث قد تزوج ابنت عمه وكانت ذات مال وان زوجها سكن بغداد وتركها وارادت التخلص منه فسمع بذلك رافع فطمع بما وبأموالها ففسد لها انه لا يمكنها ذلك الا ان تشرك بالله وتشهد الشهود على ذلك ففعلت وتزوجها رافع بلغ الخبر الاشعث فرفع ذلك الى الرشيد فكتب الى عامله علي بن عيسى بن ماهان يأمره ان يفرق بينهما وان يعاقب رافعا بجلده الحد ويضعه في الحبس ولكن رافع استطاع الهرب من السجن واعلن العصيان في سمرقند وامتد عصيانه الى العام التالي حتى ولي خراسان هرثمة بن اعين فحاصر رافعا بسمرقند وضايقه فأسل رافع الى الترك فأتوه وصار هرثمة بين رافع والترك ثم ان

الترك انصرفوا فضعف رافع وبقيا متحصنا بسمرقند حتى ولي المأمون خراسان فلما بلغ رافع حسن سيرة المأمون طلب الامان فأجابته المأمون الى ذلك فحضر عند المأمون واقام هرثمة بسمرقند ومعه طاهر بن الحسين.^(١٤٦) كما ان النسفي قد اشار الى زيارة الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) الى مدينة نيسابور وذلك في معرض ترجمته للشيخ ابو القاسم عبد الله بن صالح فيقول ما نصه... "دخل علي بن موسى الرضا نيسابور فأجتمع اليه اهل العلم..."^(١٤٧)

ولم يشير النسفي الى سبب قدوم الامام الرضا الى نيسابور وبأي صفة قد قدم الى هذه المدينة ولكن بعد الرجوع الى المصادر تبين ان سبب نزول الامام الرضا (عليه السلام) في هذه المدينة هو استدعاء المأمون له من المدينة المنورة الى خراسان لينصبه وليا للعهد وكان استدعاء المأمون للامام الرضا عليه السلام عام ٢٠١ هـ وكان من جملة المدن التي مر بها بطريقه الى مرو هي مدينة نيسابور وقد قبل الامام الرضا ولاية العهد بشرط الا يمارس اي مهمة من مهام الحكم كالتنصيب والعزل وقتله المأمون في مدينة طوس بالسهم وهو في طريقه الى بغداد.^(١٤٨)

الاشارات التاريخية للدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩ هـ) في كتاب القند في ذكر علما سمرقند:

اشار النسفي في كتابه القند في ذكر علماء سمرقند الى الدولة الطاهرية بإشارة واحدة فقط فقد كانت هذه الاشارة عن فتح الشاش وفرغانة من قبل طلحة بن طاهر بن الحسين وورد هذه الاشارة في ترجمته لطلحة بن طاهر يقول ما نصه... "هو اخو عبد الله بن طاهر.. دخل سمرقند في شهر ربيع الاول سنة ٢١٢ هـ وخرج الى الشاش وفرغانة وفتحها واخرج ملوكها..."^(١٤٩) تولى طلحة خراسان عام ٢٠٧ هـ بعد وفاة والده وكانت له وقائع مع الخوارج مشهورة وكذلك مع الدولة العلوية في طبرستان فقد استطاع هزيمة الحسن بن زيد العلوي^(١٥٠) ولكن المصادر التاريخية تغفل ذكر فتحه للشاش وفرغانة في عام ٢١٢ هـ كما يذكر النسفي وتوفي طلحة عام ٢١٣ هـ.^(١٥١)

الاشارات التاريخية للدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩ هـ) في كتاب القند في ذكر علماء سمرقند:

اشار النسفي في كتابه القند في ذكر علماء سمرقند الى الدولة السامانية تسع اشارات تناول فيها ابرز الامراء السامانيين وبعض الاحداث التاريخية المهمة في المشرق.

واول الاشارات التي اوردها النسفي عن الدولة السامانية اشار فيها الى نصر بن احمد الساماني وذلك في معرض ترجمته لابي خالد الهيثم بن احمد الذهلي يقو النسفي في هذه الاشارة ما نصه... "وفي اربع وستين ومائتين قدم خالد بن احمد بن خالد الى سمرقند فأستقبله نصر بن احمد في درب غداد وذلك يوم الخميس لعشر مضين من شعبان سنة ٢٦٥ هـ..."^(١٥٢) لم يشير النسفي في هذه الترجمة الى من يكون نصرا ولا الى السنة التي تولوا فيها الحكم كما لم يشير الى اهم الاحداث التي وقعت في عصره وعند الرجوع الى المصادر وجدنا ابن الاثير يشير الى ابتداء امر نصر بن احمد فيقول بما معنى النص ان وفاة احمد ابن اسد ٢٥١ هـ وبعد وفاته اصبح ابنه نصر رئيس للأسرة السامانية واتخذ من مدينة سمرقند مركزا له وعمل على توسيع رقعة بلاده شرقا وشمالا فنجح في اخضاع القبائل الوثنية وقام بنشر الاسلام بينهما فحصل

بذلك على رضا واستحسان الخلافة وتأييدها وكان هذا قبل ٢٦١ هـ ولكن في هذا العام تولى نصرًا بلاد ما وراء النهر بشكل رسميًا من قبل الخلافة حيث أرسلت له الخلع السلطانية. (١٥٣)

ومن الاشارات التي تطرق بها النسفي الى الدولة السامانية هو ما اشار به الى الامير اسماعيل بن احمد بن اسد بن سامان والذي تناوله بترجمة له بصفته كأحد رواة الحديث في ما وراء النهر فيقول النسفي في اسماعيل ما نصه ".... يكون من افاضل الامراء ممن يعدل في احكامه مشفقًا على رعيته يضرب المثل في حسن خلقه والعشرة والرغبة في الجهاد وقتال الكفرة وكان كثير الجند..."(١٥٤) والنسفي هنا كعادته لم يشر الى السنة التي تولى فيها حكم الامارة السامانية وماهي اهم الاحداث التي رافقة سني حكمه.

تولى اسماعيل بن احمد سدة الحكم في الامارة السامانية في سنة ٢٧٩ هـ بعد وفاة اخيه نصر وهو يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة السامانية فقد عمل على تعميم نفوذ الامارة السامانية وتوسيعها وقام بعدة اعمال في سبيل ذلك من اهمها محاربته لجيرانه المسيحيين الذين كانوا يهاجمون المناطق الاسلامية كما قام اسماعيل بمحاربة محمد بن زيد العلوي وضم طبرستان الى ممتلكاته. (١٥٥)

كما اشار النسفي في كتابه القند في ذكر علماء سمرقند الى الامير نصر بن احمد بن اسد بن سامان وذلك في معرض ترجمة للعباس بن اخطاب السمرقندي فيقول ما نصه... "توفي يوم الثلاثاء الاثني عشر ليلة بقين من شهر رمضان وصلى عليه الامير نصر بن احمد الساماني..."(١٥٦) تولى الحكم نصر بن احمد بعد وفاة والده وكان في الثامنة من عمره فأستصرغ الناس عمره واستضعفوه واعتقدوا ان امره لا يستقيم مع وجود عم ابيه اسحاق بن احمد بن اسد صاحب سمرقند الذي استمال الاهالي اليه وتنافس الامراء السامانيين على السلطة فبعث بعض الامراء السامانيين الى الخليفة المقتدر ولكن الخليفة وافق ان يلي نصر بلاد ابيه ووافق على اللقب الذي تلقب به وهو السعيد وتوفي بمرض السل عام ٣٣١ هـ (١٥٧).

ومن الاشارات التي تطرق بها النسفي الى الدولة السامانية اشارة يشير بها الى الامير نوح بن نصر الساماني وذلك في ترجمته لابي الحسن فائق بن عبدالله الاندلسي يقول ما نصه... "مولي الامير ابي محمد نوح بن نصر..."(١٥٨) والنسفي هنا لم يشر الى ابتداء حكم هذا الامير وكذلك لم يتطرق الى ابرز الاحداث في عصره وعند الرجوع الى ابن الاثير نجبرنا ان نوح بن نصر تولى الحكم بلاد ما وراء النهر وخراسان في سنة ٣٣١ هـ وتلقب بالأمير الحميد وقد بدأ حكمه بالعفو عن بعض الامراء الذين كان يحقد عليهم في حياة ابيه ليأمن خروجهم عليه ويتألف قلوبهم و ولاهم بعض الولايات من الاحداث البارزة في فترة حكمه خروج بلاد خوارزم واستقلالها عنه في عام ٣٣٢ هـ وقد توفي عام ٣٤٣ هـ. (١٥٩)

كما اشار النسفي الى الامير يعقوب بن احمد بن اسد بن سامان في معرض ترجمته لابي سعيد بن داود الوراق السمرقندي وذلك بقوله... "مات يوم الاربعاء ودفن يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٢٨٢ هـ وصلى عليه يعقوب بن احمد بن اسد..."(١٦٠)

ويذكر الذهبي في كتابه تاريخ الاسلام ان يعقوب بن احمد بن اسد بن سامان كان متولي مدينة سمرقند وتوفي ٢٨٢ هـ. (١٦١)

الاشارات التاريخية للدولة الالكخانية في كتاب القند في ذكر علماء سمرقند :

اشار النسفي الى الدولة اليلكخانية بإشارة احده فقط وذلك من خلال ترجمته وذلك من خلال ترجمته الابي مروان عبد الملك بن سعيد بن ابراهيم بن معقل وذلك بقوله... "وسمع منه ابو عامر عدنان بن مُجَّد الظبي عندما دخل نسف مع الامير ايلك خان... " (١٦٢) ولم يشر النسفي الى من يكون ايلك خان ولا الى السنة التي دخل فيها الى سمرقند.

يذكر المؤرخون ان ايلك خان تولى امر الترك بعد وفاة بغراخان عام ٣٨٣ هـ وتمكن من الدخول الى سمرقند بعد وفاة نوح بن منصور وتولية ولده ابو الحرث وقد بلغ الضعف من السامانيين مبلغا اصبح ظاهرا للعامة وعندما بلغ ايلك خان موت نوح بن منصور دخل سمرقند وارسل جيشا الى بخارى ولكنه تراجع بعد ذلك وكان دخوله سمرقند عام ٣٨٧ هـ. (١٦٣)

الخاتمة:

كان نجم الدين ابو حفص النسفي من ابرز علماء القرن السادس الهجري حيث كان مفسراً ومحدثاً فقهياً يحظى بالقبول التام عند الخواص والعوام في عصره.

حيث تتلمذ على يده طائفة كبيرة من طلاب العلم وله جمعاً وفير من المؤلفات في مختلف العلوم بلغة عدد مصنفاته مائة مصنفة حيث كان يحظى بمنزلة مرموقة بين العلماء وما يدل على ذلك تعدد اقوالهم فيه . عاش النسفي خلال الفترة الممتدة بين عامين ٥٣٧-٤٦١ هـ في نسف من بلاد ما وراء النهر وشهد عصره الكثير من الاضطرابات السياسية تمثلت بصراع الدولة القرخانية والقرخطائية والسلجوقية للسيطرة على سمرقند التي كان فيها الكثير من الموارد والخيرات التي جعلت القوى تتصارع عليه ولقد حظيت مدن الشرق عامة وبلاد ما وراء النهر خاصة باهتمام فائق من قبل علماءها الذين صنّفوا في التعريف برجالها كتباً كثيرة ومن بينهم النسفي مصنف كتاب القند في ذكر علماء سمرقند او الذين مرو وسكنوا فيها ورغم وجود ترجمة لبعض الائمة والصالحين لأنه اصبح من الثوابت ذكرهم حيث كان هناك توجه من المشرق لدراسة الحديث والتفقه به وقسمه كتاب القند حسب التسلسل الابددي واعتمد في تأليف الكتاب على عدة موارد كان من ابرزها القران الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر وقد اعتمد النسفي على شيوخ كثرة في نقل الروايات فاق عددهم خمسمائة وخمسون رجلا كان ابرزهم الحسن بن عبد الملك بن علي بن موسى بن اسرافيل النسفي وكذلك المستغفري جعفر بن مُجَّد ت ٤٣٢ هـ وعمر بن احمد بن مُجَّد بن شبيب الديزكي ت ٥١١ هـ وعبدالله بن احمد بن مُجَّد ابو مُجَّد النجارت ٥٠٣ هـ.

وكان اسلوبه في الكتابة هو نقل الروايات عن عدة رواة ويترجم لعلماء سمرقند ويذكر نهاية ترجمة اغلب الشخصيات حديث نبوي شريف ولم يستخدم لغة الارقام ووحدات القياس بالرغم من وجود ذكر للعديد من المدن في

كتاب القند وكان يستخدم التاريخ الهجري في كتابه ويذكر تارة اليوم والشهر والسنة وتارة الشهر والسنة وتارة اخرى السنة فقط ومن الملاحظ وجود العديد من الاشارات التاريخية في كتاب القند على الرغم من انه كتاب لترجمة الرجال والحديث ومن الاشارات التي يذكرها اشاره تعود الى العصر الراشدي تتحدث عن قدوم الاحنف بن قيس الى المشرق في خلافة عثمان بن عفان وذلك في معرض للأصنف بن قيس بصفة كروائي للحديث ومن الاشارة التي تعود الى العصر الاموي اشارة الى الفتح العربي للمشرق وبلاد ما وراء النهر حيث عبور سعيد بن عثمان بن عفان الى تلك البلاد وتكررت هذه الاشارة اربع مرات في كتاب القند كما اشار الى فتح قتيبة بن مسلم الباهلي الى سمرقند وقد اشار ثلاث مرات الى هذه الحادثة ان اغلب الاشارات التاريخية الواردة في كتاب القند تعود الى سمرقند تعود الى سمرقند حيث لان الكتاب يتحدث عن علماء ومحدثي هذه المدينة ومن الاشارات التي تعود الى العصر العباسي حيث يذكر اشارة تعود الى بداية الدول العباسية في ترجمة الزبير بن صالح الخزاعي اذ استخلف ابو مسلم على الصغد وسمرقند كما اشار الى حركة المقنع في مدينة كاش ايام خلافة المهدي كما اشار الى ولاية علي بن عيسى بن ما هان على خراسان وقد اشار النسفي الى الواقعة التي حدثت بين هرثة ابن اعين بن اليث بن نصر بن سيار وكذلك ايضا اشار الى زيارة الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) الى مدينة نيسابور وارادوا تسع اشارات عن الدول الايلكخانية المحلية ترجمه العلماء والمحدثين في سمرقند.

الهوامش:

- ١- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي، أبو سعد (٥٦٢هـ/١١٦٦م): التجميع في المعجم الكبير، تحق منيرة ناجي سالم، ط ١، رئاسة ديوان الأوقاف - بغداد، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ج ١، ص ٥٢٧-٥٢٩؛ القرشي، عبد القادر بن محمد بن نصر الله، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانة - كراتشي، ج ٢، ص ٣٩٤؛ بن قطلوبغا، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم السوداني (ت ٨٧٩هـ/): تاج التراجم، تح: محمد خير رمضان يوسف، ط ١، دار القلم - دمشق، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ص ٢٢٠؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١هـ-١٥٠٥م): طبقات المفسرين العشرين المحقق: علي محمد عمر، ط ١، مكتبة وهبة - القاهرة، ١٣٩٦هـ، ص ٨٨؛ الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين المالكي (ت ٩٤٥هـ-١٥٣٨م): (طبقات المفسرين للداوودي)، دار الكتب العلمية - بيروت، ٢٠٠٨، ص ٨؛ الأذنه وي، أحمد بن محمد من علماء القرن الحادي عشر) المتوفى: ق ١١ هـ (طبقات المفسرين، المحقق: سليمان بن صالح الحزري، الطبعة: الأولى)، مكتبة العلوم والحكم - السعودية، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، (١٧١، ح)؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني) المتوفى ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م (سلم الوصول إلى طبقات الفحول، المحقق: محمود عبد القادر الأرنؤوط)، مكتبة إرسيك، إستانبول - تركيا، ٢٠١٠م، (٢، ٤٢١؛ العمري، عصام الدين عثمان بن علي بن مراد) المتوفى ١١٨٤هـ/١٧٧٠م (الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، المحقق: الدكتور سليم النعيمي، الطبعة: الأولى)، المجمع العلمي العراقي - بغداد، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، (١، ١١١؛ اللكنوي، أبو الحسنات محمد عبد الحي الهندي) المتوفى ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م (الفوائد البهية في تراجم الحنفية، علق عليه: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، الطبعة: الأولى)، بمطبعة دار السعادة - مصر، ١٣٢٤هـ، (١٥٠؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي) المتوفى ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م (الأعلام، الطبعة: الخامسة عشر)، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، (٦٠/ ٥؛

كحالة، عمر رضا (المتوفى 1408 هـ / 1987 م) (معجم المؤلفين)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، مكتبة المثنى - بيروت (، / 7

306

٢- النسفي نسبتا الى مدينة نفس: هي مدينة كبيرة كثيرة الأهل والرساق بين جيحون وسمرقند، خرج منها جماعة كثيرة من أهل العلم في كل فن، وهي نخشب نفسها. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان، الطبعة: الثانية، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٥، ص٢٨٥.

٣- سمرقند: ويقال لها بالعربية سمران: بلد معروف مشهور، قيل: إنّه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قصبه الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه، معجم البلدان، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٤٦-٢٤٧.

٤- التحبير في المعجم الكبير، المصدر السابق، ج١، ص٥٢٧-٥٢٩.

٥- أحمد بن عمر بن محمد بن لقمان، أبو الليث النسفي، ثم السمرقندي، الفقيه، مجد الدين الواعظ. توفي سنة ٥٥٢ هـ وقدم مجد الدين بغداد حاجاً، ثم رَدَّ إلى وطنه، فلَمَّا وصل إلى قُومس خرج طائفة كبيرة من أهل قلاع الإسماعيلية وقطعوا الطريق على القافلة، وقتلوا مقتلة عظيمة من الحاج والعلماء، أكثر من سبعين نفساً، منهم المجد النسفي.؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز (المتوفى ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة: الأولى، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م، ص١٢، ٤٢.

٦- النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد، (المتوفى: ٥٣٧هـ/١١٤٢م)، القند في ذكر علماء سمرقند، المحقق يوسف الهادي، الطبعة الأولى، امرأة التراث - طهران، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م، ص٢١.

٧- طبقات المفسرين للداودي، المصدر السابق، ص٢، ٨.

٨- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: ٨٥٢هـ/١٤٤٦م)، لسان الميزان، الطبعة: الثانية، المحقق: دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م، ج٤، ص٣٢٧.

٩- تاج التراجم، المصدر السابق، ص٢٢٠.

١٠- طبقات المفسرين، المصدر السابق، ص١٧١.

١١- جاكردية: بفتح الكاف، وسكون الراء، وكسر الدال المهملة، وياء ساكنة، وزاي: محلة كبيرة بسمرقند وقد نسب إليها أبو الفضل محمد بن إسحاق ابن إبراهيم بن عبد الله الجاكرديزي السمرقندي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج٢، ص٩٥.

١٢- صاحب الهداية: علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني شيخ الإسلام برهان الدين المارغيباني العلامة المُحَقَّق أقرَّ له أهل مصر بالفضل والتقدم تفقه على جماعة منهم الإمام نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي مات في سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المصدر السابق، ج١، ص٣٨٣.

١٣- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٥.

١٤- ابن النجار، محب الدين محمد بن محمود (المتوفى سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥م)، ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧ هـ، ص٢٠، ٩٩.

١٥- التحبير في المعجم الكبير، المصدر السابق، ج١، ص٥٢٨.

١٦- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز (المتوفى ٧٤٨هـ/١٣٤٦م)، سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط الطبعة: الثالثة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م، ج٢٠، ص١٢٧.

١٧- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المصدر السابق، ج١، ص١٢٢.

- ١٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، المصدر السابق ، ج١، ص١٠٨٣.
- ١٩- الإربلي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي (المتوفى: ٦٣٧/١٢٣٩هـ م)، تاريخ إربل، المحقق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م، ج٢، ص٥٩٢.
- ٢٠- سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج٢٠، ص١٢٧.
- ٢١- ذيل تاريخ بغداد، المصدر السابق، ج٢٠، ص٩٩.
- ٢٢- القند، المصدر السابق، ص٢١.
- ٢٣- توجد نسخة منه في المكتبة الخديوية في القاهرة (1/127) ن ع(37)، مركز الملك فيصل، خزانة التراث - فهرس مخطوطات، 34، 908، ذكره البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني) المتوفى: ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، عن تصحيحه وطبعه محمد شرف الدين بالتقاي والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ج٣، ص١١٧.
- ٢٤- توجد نسخة منه في مكتبة دامادزاده (مراد ملا) استانبول 147/57، مركز الملك فيصل، خزانة التراث - فهرس مخطوطات، 34، 906، ذكره البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، المصدر نفسه، ج١، ص٥١٩.
- ٢٥- توجد نسخة منه في مكتبة الحرم المكي/ المملكة العربية السعودية 2/339، مركز الملك فيصل، خزانة التراث - فهرس مخطوطات، 910، 34،
- ٢٦- توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية/ القاهرة (1501) 1/444، مركز الملك فيصل، خزانة التراث - فهرس مخطوطات، 34، 910؛ كما ذكره حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني) المتوفى ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (مكتبة المثنى - بغداد، ١٩٤١م، ج٢، ص١١٤٠.
- ٢٧- توجد نسخة منه في مكتبة الحرم المكي/ المملكة العربية السعودية 339 /، مركز الملك فيصل، خزانة التراث - فهرس مخطوطات، ج٥٦، ص٨٠٨.
- ٢٨- لحد هذه اللحظة لم تورد معلومة عن المؤلف سوى ما ذكره حاجي خليفة جمع فيه: شيوخه، وهم: خمسمائة وخمسون شيخاً؛ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المصدر السابق، ج١، ص٤١٨.
- ٢٩- مختصر في التوحيد سماه ركن الإيمان أو ركن الدين على مذهب اهل السنة ويعرف غالباً بالعقائد النسفية طبع سنة ١٨٤٣م في لندن باعتناء العلامة كيبورتون،، فاندليك، ادوارد كرنيليوس) المتوفى: ١٣١٣هـ/١٨٩٤م (اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، صححه وزاد عليه: السيد محمد علي الببلاوي، مطبعة التأليف- الهلال، مصر، ١٣١٣هـ/١٨٩٦م، ١٦٨، شرحه جمع غفير من علماء المسلمين على مر القرون، ذكره كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المصدر نفسه، ج٢، ص١١٤٥.
- ٣٠- لحد هذه اللحظة لم تورد معلومة عن المؤلف سوى ما ذكره الزركلي، الاعلام، المصدر السابق، ج٥، ص٦٠.
- ٣١- لحد هذه اللحظة لم تورد معلومة عن المؤلف سوى ما ذكره الروداني من انه روي فيه عن خمسمائة وخمسين شيخاً والمنظومة في الخلافات والفتاوي والتفسير وغيرها، الروداني، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي المكي المالكي) المتوفى: ١٠٩٤هـ/١٦٨٢م (صلة الخلف بموصول السلف، المحقق: محمد حجي، الطبعة الأولى)، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٩٠؛ بن قُطُوبغا، تاج التراجم، المصدر السابق، ص٢٢٠.
- ٣٢- طبع في طهران، جمهورية إيران الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٧٨ش/١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، القند، ص٤.
- ٣٣- لم نحصل على معلومة عن المؤلف سوى ما ذكر عنه ذكر في الجواهر المضبية في طبقات الحنفية، المصدر السابق، ج١، ص١٠٧.

- ٣٤- لم نحصل على معلومة عن المؤلف سوى ما ذكر عنه حاجي خليفة من انه شرحه: الشيخ، شرف الدين، أبو الفضل: إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد الشيباني، وسمّاه: المنتقد، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٣٢.
- ٣٥- البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني (المتوفى: ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية استانبول، ١٩٥١م، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، ج١، ص٧٨٣.
- ٣٦- قال حاجي خليفة: ان النسفي قال في أوله بعد ذكر أسانيده: هذه خمسون طريقاً، لإسناد كتاب) صحيح البخاري (، أخذتها عن: مشايخي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٢٩.
- ٣٧- لم نحصل على معلومة عن المؤلف سوى ما ذكر عنه: مجلد أوله): الحمد لله الذي أجزل علينا المنة ... الخ. (لخص فيه): كتاب الغريبن (للهروري، وكان: قبل خمسمائة هجرية. ذكره كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٧.
- ٣٨- ذكره حاجي خليفة للإمام، المجتهد: محمد بن الحسن الشيباني، الحنفي. ت سنة ١٨٧هـ أوله): الحمد لله، التقديم الباري ... الخ (، ذكر في أوله قصيدة رائية في العقائد إلى ٨١ بيتاً. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المصدر نفسه، ج١، ص٥٦٣.
- ٣٩- الفه لصديقه موسى بن عبد الله الأغماتي من بلاد المغرب عند قدومه الى سمرقند سنة ٥١٦ هـ، وهو شاب فاضل، وبقي عندي أياما وكتب عني الكثير، ولأجله جمعت كتابا سمّيته "عجالة النخشبيّ لضيفه المغربي".
- ٤٠- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) (معجم الأدباء، المحقق: إحسان عباس، الطبعة: الأولى)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م، 5، 2098 وقد ذكر البغدادي العنوان "عجالة الحسي، بصفة المغربي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المصدر السابق، ج١، ص٧٨٣.
- ٤١- قال البغدادي رأيت رسالة: في: الرغائب، والبراءة، والقدر. أسند أحاديثها الموضوعات، بالنقل منه. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٤٨.
- ٤٢- ذكره الزركلي في تعداد مصنّفاته وهو في عشرين مجلداً، الاعلام، المصدر السابق، ج٥، ص٦٠.
- ٤٣- لم نعر عليه سوى ما ذكر البغدادي بانها الفتاوى التي تولى جمعها الشيخ، الإمام، أبو حفص: عمر بن محمد بن أحمد النسفي. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٣٠.
- ٤٤- ترجمة لاهم شيوخه، ذكره القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المصدر السابق، ج١، ص٣٠٧.
- ٤٥- قال حاجي خليفة أولها: باسم الإله رب كل عبد: والحمد لله ولي الحمد ... الخ رتبها على: عشرة أبواب. الأول: في قول الإمام. الثاني: في قول أبي يوسف. الثالث: في قول محمد الرابع: في قول الإمام، مع أبي يوسف. الخامس: في قوله مع محمد السادس: في قول أبي يوسف مع محمد السابع: في قول كل واحد منهم. الثامن: في قول زفر. التاسع: في قول الشافعي. العاشر: في قول مالك. أتمها في: يوم السبت، في صفر، سنة ٥٠٤هـ، أربع وخمسمائة. وكتبت عليها الكثير من الشروح كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المصدر السابق، ج٢، ص١٨٦٧.
- ٤٦- لم نحصل على معلومة عن المؤلف سوى ما ذكره البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المصدر السابق، ج١، ص٧٨٣؛ الزركلي، الاعلام، المصدر السابق، ج٥، ص٦٠.
- ٤٧- لحد هذه اللحظة لم تورّد معلومة عن المؤلف سوى ما ذكره حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المصدر السابق، ج١، ص٦٠٢.
- ٤٨- لحد هذه اللحظة لم تورّد معلومة عن المؤلف سوى ما ذكره حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المصدر نفسه، ج١، ص٦٦٨؛ البغدادي هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المصدر السابق، ج١، ص٧٨٣.

- ٤٩- لحد هذه اللحظة لم تورد معلومة عن المؤلف سوى ما ذكره حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، المصدر نفسه ، ج١، ص٧٨٣
- ٥٠- لم نحصل على معلومة عن المؤلف سوى ما ذكر من انه شرح لكتاب الاصول لأبو الحسن عبيد الله بن الحسين بن دلال الكرخي، ولد بكرخ جدان سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣م، سكن بغداد ودرس بما فقه أبي حنيفة، ثم انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة ؛ سركين ، فؤاد ، تاريخ التراث العربي) علوم القرآن والحديث - التدوين التاريخي - الفقه - العقائد (تر: د محمود فهمي حجازي ، راجعه: د عرفة مصطفى - د سعيد عبد الرحيم ،) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م ، ج٣، ص١٠١ .
- ٥١- لم نثر على معلومة عن المؤلف سوى ما ورد في مقدمة القند من انه رسالة صغيرة باللغة الفارسية ، القند ، المصدر السابق ، ص٢٣ .
- ٥٢- لحد هذه اللحظة لم تورد معلومة عن المؤلف سوى ما ذكره ؛ الزركلي ، الاعلام ، المصدر السابق، ج٥ ، ص٦٠؛ اللكنوي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، المصدر السابق ، ص١٠٥ ؛ البغدادي هدية العارفين وأثار المصنفين ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٨٣
- ٥٣- شرحه: أبو علي العلي: ابن إبراهيم بن إسماعيل الغزنوي، الحنفي المتوفى سنة ٥٨١هـ، إحدى وثمانين وخمسمائة. وجعله: خمسين كتابا، وخمسة أقسام. وهي: العبادات، والمعاملات، والمباحات، والتبرعات، والجنائيات. ذكره هكذا حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٦٨٦ .
- ٥٤- توجد نسخة منه في مكتبته المعهد البيروني للدراسات الشرقية / اوزباكستان / طشقند رقم الحفظ: ١٤٦٢؛ ، مركز الملك فيصل ، خزانة التراث - فهرس مخطوطات ، المصدر السابق ، ص١٠٠ ، ص٢٢١ .
- ٥٥- لحد هذه اللحظة لم تورد معلومة عن المؤلف سوى ما ذكره حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٨٧١ ؛ البغدادي هدية العارفين وأثار المصنفين ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٧٨٣ .
- ٥٦- التعبير في المعجم الكبير، المصدر السابق، ج١، ص٥٢٧-٥٢٩ .
- ٥٧- طبقات المفسرين ، المصدر السابق، ص١٧١ .
- ٥٨- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المصدر السابق، ج٢، ص٣٩٤ .
- ٥٩- الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، المصدر السابق، ج١، ص١١١ .
- ٦٠- الاعلام، الزركلي ، المصدر السابق، ج٥، ص٦٠ .
- ٦١- ما وراء النهر: يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان، فما كان في شرقيه يقال له بلاد الهياطلة وفي الإسلام سموه ما وراء النهر، وما كان في غربيته فهو خراسان وولاية خوارزم، وخوارزم ليست من خراسان إنما هي إقليم برأسه، وما وراء النهر من أنزه الأقاليم وأخصبها وأكثرها خيرا ، معجم البلدان ، المصدر السابق ، ج٥، ص٤٥ .
- ٦٢- بول ، ستانلي لين ، تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والامراء والاشراف في الاسلام ، تر مكلي طاهر ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات - بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٦م ، ص١٥٧ .
- ٦٣- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المتوفى : ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م ، الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، الطبعة: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ج٧، ص٦٤٥ .
- ٦٤- ألب أرسلان محمد بن جفري بك، داود بن ميكائيل بن سلجوق بن تقاق بن سلجوق ، الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المصدر السابق ، ج٣١، ص١٦١ .

٦٥- بخارى : مدينة كبيرة عامرة من بلاد ما وراء النهر، ومقر ملك الشرق. وهي مكان رطب ذات فواكه كثيرة ومياه جارية. أهلها رماة وغزاة. ومساحة بخارى اثنا عشر فرسخا في اثني عشر فرسخا، يحيط بها بأسرها سور، وبها قلعة ورباطات، وفي داخل هذا السور قرى، مؤلف مجهول) توفي: بعد ٣٧٢هـ/٩٨٢م (حدود العالم من المشرق إلى المغرب تر يوسف الهادي)، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢٣ هـ، ص ١٢٦.

٦٦- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله، ٦٥٤ هـ/١٢٥٦م، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان تحقيق كامل مجد الخراط، مجد أنس الخن الطبعة: الأولى، دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، ١٤٣٤ هـ/٢٠١٣م، ج ١٩، ص ٢٧١.

٦٧- بلخ : مدينة بلخ مدينة خراسان العظمى ومن الجوزجان إلى بلخ لمن أخذ مشرقا أربع مراحل، وبلخ لها كور ومدائن فتحها عبد الرحمن بن سمره في أيام معاوية بن أبي سفيان، وفيها كان الملك طرخان ملك خراسان ينزل بها وهي عظمة القدر عليها سوران سور خلف سور، وقد كان عليها في متقدم الأيام ثلاثة ولها اثنا عشر بابا .، اليعقوبي، أحمد بن إسحاق أبي يعقوب (بن جعفر بن وهب بن واضح) المتوفى: بعد ٢٩٢هـ/٩٠٤م (البلدان الطبعة: الأولى)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ، ص ١١٦.

٦٨- ترمذ : مدينة مشهورة من أمهات المدن، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي، متصلة العمل بالصغانيان، ولها قهندز وربض، يحيط بها سور، وأسواقها مفروشة بالأجر، ولهم شرب يجري من الصغانيان لأن جيحون يستقل عن شرب قراهم ؛ معجم البلدان ، المصدر السابق ، ج ٢، ص ٢٦.

٦٩- خراسان : فتشتمل على كور عظام وأعمال جسام وخراسان اسم الإقليم والذي يحيط به من شرقه سجستان وبلد الهند وغربها مفازة الغزبية ونواحي جرجان وشمالها بلد ما وراء النهر وشيء من بلد الترك يسير على ظهر الختل وجنوبها مفازة فارس وقومس ، بن حوقل ، مجد البغدادي الموصل، المتوفى: بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م (صورة الأرض ، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، ١٩٣٨م ، ج ٢، ص ٤٢٦.

٧٠- جيحون : نهر يشق الإقليم ويفيض في بحيرة خوارزم وعليه كور جلييلة ومدن عدده وينشعب منه أنهار كثيرة ويقلب اليه الأنهار الستة فأما الكور فالختل ثم قواديان ثم خوارزم واما المدن فترمد ثم كالف ثم نويدة ثم زم ثم فرير ثم أمل . ؛ المقدسي، أبو عبد الله مجد بن أحمد البشاري ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ٢٨٤.

٧١- الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٣٥.

٧٢- الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٤٩؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله مجد بن أحمد بن عثمان بن قايماز المتوفى :

٤٠١هـ/١٣٤٧م، دول الاسلام، تحقيق حسن اسماعيل مروة، الطبعة الأولى، دار صادر - بيروت، ١٩٩٩م، ج ١، ص ٤٠١.

٧٣- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن مجد بن مجد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي) المتوفى : ٨٠٨هـ/١٤٠٥م، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المحقق: خليل شحادة، الطبعة: الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج ٥، ص ١٢.

٧٤- الجكل: اقوام دخلو بلاد ما وراء النهر في صحبة القرخانيين ، ويطلق اسم الجكل على كل الاتراك الشرقيين ؛ بارتولد، فاسيلي فلاديمير فتش ، المتوفى: ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، ترجمه صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، حاشية ، ص ٤٦٦.

٧٥- خوارزم: هو اسم للناحية بجملتها، فأما القصبه العظمى فقد يقال لها اليوم الجرجانية، وقد ذكرت في موضعها، وأهلها يسمونها كركانج، وقد ذكروا في سبب تسميتها بهذا الاسم أن أحد الملوك القدماء غضب على أربعمائة من أهل مملكته وخاصة حاشيته فأمر بنفيهم إلى موضع منقطع عن العمارات بحيث يكون بينهم وبين العمائر مائة فرسخ، فلم يجدوا على هذه الصفة إلا موضع مدينة كاث، وهي إحدى مدن خوارزم، فجاءوا بهم إلى هذا الموضع وتركوهم وذهبوا، فلما كان بعد مدة جرى ذكرهم على بال الملك فأمر قوما بكشف

- خبرهم، فجاءوا فوجدوهم قد بنوا أكواخا ووجدوهم يصيدون السمك وبه يتقوتون وإذا حولهم حطب كثير، فقالوا لهم: كيف حالكم؟ فقالوا: عندنا هذا اللحم، وأشاروا إلى السمك، وعندنا هذا الحطب فنحن نشوي هذا بهذا ونتقوت به، فرجعوا إلى الملك وأخبروه بذلك فسمى ذلك الموضوع خوارزم لأن اللحم بلغة الخوارزمية خوار والحطب رزم، فصار خوارزم فخفف وقيل خوارزم، معجم البلدان، المصدر السابق، ج٢، ص٣٩٥.
- ٧٦- بارتولد، تركستان من الفتح الاسلامي، المصدر السابق، ص٤٦٦.
- ٧٧- بارتولد، تركستان من الفتح الاسلامي، المصدر نفسه، ص٤٦٧.
- ٧٨- الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج٨، ص٤٧٧.
- ٧٩- مرو: مدينة كبيرة كانت قديما مقر أمير خراسان، ومقره الآن في بخارى، ذات خيرات ونزهة. وقد بناها طهمورث. وفيها أبراج كثيرة وكانت مقر الأكاسرة. وليس في خراسان كلها مدينة لها حسن سوقها. وخارجها يؤخذ على المياه؛ حدود العالم من المشرق إلى المغرب، المصدر السابق، ص١١٨.
- ٨٠- الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المصدر السابق، ص٣٤، ٥١.
- ٨١- وقد ذكره بارتولد باسم: ساغر بك، تركستان من الفتح الاسلامي، ص٤٦٨.
- ٨٢- الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج٨، ص٤٧٩.
- ٨٣- بارتولد، تركستان، المصدر السابق، ص٤٦٨.
- ٨٤- الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج٨، ص٥٩٧.
- ٨٥- تُركِستَانُ: هو اسم جامع لجميع بلاد الترك وحدهم الصين والتبت والخرخ والكيماك والغزّ والجفر والبجناك والبذكش واذكس وخفشاق وخرخيز، وأول حدهم من جهة المسلمين فاراب، معجم البلدان، المصدر السابق، ج٢، ص٢٤.
- ٨٦- الحسيني، صدر الدين ناصر بن علي، المتوفى: بعد ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م، زبدة التواريخ اخبار الامراء والملوك السلجوقية، تحقيق مُجد نور الدين الطبعة: الاولى، دار اقرا، بيروت، ١٩٨٥-١٤٠٥م، ص١٨٣؛ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج٤، ص٥٢٠.
- ٨٧- يوزورث، كليفورث، الاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي دراسة تاريخية، تح: حسين علي اللبودي، ط٢، مؤسسه الشراع العربي، ١٩٩٥م، ص١٦٢.
- ٨٨- بارتولد، تركستان، المصدر السابق، ص٤٧١.
- ٨٩- خجندة: وهي بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون، بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقا، وهي مدينة نزهة ليس بذلك الصقع أنزه منها ولا أحسن فواكه، وفي وسطها نهر جار، والجبل متصل بها، معجم البلدان، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٧.
- ٩٠- الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج٩، ص١١٨.
- ٩١- بلاساغون: السين مهملة، والغين معجمة: بلد عظيم في تغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر، ينسب إليه جماعة، منهم: أبو عبد الله مُجد بن موسى البلاساغوني يعرف بالترك، معجم البلدان، المصدر السابق، ج١، ص٤٧٦.
- ٩٢- قطوان: قرية من قرى سمرقند على خمسة فراسخ منها، معجم البلدان، المصدر نفسه، ج٤، ص٣٧٥.
- ٩٣- بارتولد، تركستان، المصدر السابق، ص٤٧٦.
- ٩٤- ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج٥، ص٢٨٥.
- ٩٥- قرية من قرى نفس

- ٩٦- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن مُجَدِّد بن أحمد بن حجر العسقلاني ت: ٨٥٢هـ، لسان الميزان، تحقيق، دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، ط٢، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م، ج٥، ص٤٧.
- ٩٧- النسفي، نجم الدين بن عمر بن مُجَدِّد بن أحمد النسفي) ت: ٥٣٧ هـ، (القند في ذكر علماء سمرقند المصدر السابق، ص٨، ص٨٢.
- ٩٨- سورة إبراهيم آية/٧.
- ٩٩- سورة الشورى آية/ ٢٥.
- ١٠٠- النسفي، القند، المصدر نفس، ص٦٣.
- ١٠١- النسفي، مصدر سابق، ص٥٧٦.
- ١٠٢- سورة آل عمران، آية/ ٩٧.
- ١٠٣- سورة المائدة، آية/ ١٠١.
- ١٠٤- النسفي، مصدر سابق، ص٤٧.
- ١٠٥- النسفي، مصدر سابق، ص٥٧٦.
- ١٠٦- سورة الكهف، آية/ ٦٥.
- ١٠٧- النسفي، مصدر سابق، ص٤٧.
- ١٠٨- النسفي، مصدر سابق، ص١٤٨.
- ١٠٩- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله مُجَدِّد بن أحمد بن عثمان بن قَإِمَاز الذهبي (ت١٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج١٤، ص١٦٩.
- ١١٠- الكنوي أبو الحسنات مُجَدِّد عبد الحي الهندي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، المصدر السابق، ص٢٧٩.
- ١١١- السمعاني، عبد الكريم بن مُجَدِّد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد(ت: ٢٥٦هـ)، الانساب، تح، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط٢، ١١٣٨هـ-١٩٦٢م، ص١٣٩.
- ١١٢- المصدر نفسه، ص١٤٠.
- ١١٣- التحبير في المعجم الكبير، المصدر السابق ص ٥٢٨.
- ١١٤- النسفي، القند، ص٤٦.
- ١١٥- النسفي، القند، ص٤٨٥.
- ١١٦- النسفي، القند، ص٦٧٧؛ ينظر: ابن سعد، أبو عبد الله مُجَدِّد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد) ت: 230 هـ، (الطبقات الكبرى، تحقيق: مُجَدِّد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ج٧، ص٢٦٠.
- ١١٧- النسفي، المصدر السابق، ص٦٥.
- ١١٨- النسفي، المصدر السابق، ص٦٧؛ السمعاني، المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، مصدر سابق، ص٧٣٤.
- ١١٩- محمود بن سبكتكين من أشهر رجال الامارة الغزنوية استطاع ان يسيطر سلطانه على ملك السامانيين في خراسان وبلاد ما وراء النهر، مسكويه، أبو علي أحمد بن مُجَدِّد بن يعقوب مسكويه) ت ٤٢١هـ: (تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح، أبو القاسم إمامي)، سروش، طهران، ط٢، ٢٠٠٠م، ج٧، ص٣٩١.
- ١٢٠- النسفي، المصدر السابق، ص٢٢٨.

- ١٢١- النسفي، المصدر السابق، ص ٣٦٧. السمعاني عبد الكريم بن مُجَدِّد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت ٥٦٢هـ): المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص ١٣٦٤.
- ١٢٢- النسفي، المصدر السابق، ص ٢٥٣ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ): تاريخ بغداد، الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي-بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ج ١٠، ص ٤٣٩.
- ١٢٣- النسفي، نجم الدين عمر بن مُجَدِّد بن احمد (ت ٥٣٧هـ): القند في ذكر علماء سمرقند، تح يوسف الهادي، ط ١، مأت التراث، طهران، ١٩٩٩م، ص ١٠٩.
- ١٢٤- خياط، ابو عمر خليفة (ت ٢٤٠هـ): تاريخ خليفة بن خياط، تح، اكرم ضياء العمري، ط ٢، دار القلم، بيروت، ج ١، ص ٤٠٤.
- ١٢٥- ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، تح، علي شير، ط ١، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨م، ج ٨، ص ٣٦٠.
- ١٢٦- النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، ص ١٦١. كما اشار النسفي لهذه الحادثة في الصفحات ١٨٥، ٦٧٧، ٢٧٥.
- ١٢٧- ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم بن مُجَدِّد (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٣، ص ٩٧.
- ١٢٨- المصدر نفسه، ج ٣، ص ٩٧.
- ١٢٩- النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، ص ٣٥٢. و اشار النسفي لهذه الحادثة في الصفحات ٦٠٣، ٦٣٩.
- ١٣٠- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٠هـ): فتوح البلدان، دار الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٤٠٧-٤٠٨.
- ١٣١- مسكويه، ابو علي احمد بن مُجَدِّد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ): تجارب الامم وتعاقب الهمم، تحقيق، ابو القاسم امامي، ط ٢، دار سروش، طهران، ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٤١٩.
- ١٣٢- النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، ص ٦٢٨.
- ١٣٣- مسكويه تجارب الامم، ج ٢، ص ٤٦١.
- ١٣٤- النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، ص ١٧٨.
- ١٣٥- الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان (ت ٢٧٧هـ): المعرفة والتاريخ، تحقيق اكرم ضياء العمري مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م، ج ١، ص ١١٥.
- ١٣٦- الطبري، تاريخ، ج ٧، ص ٤٦٤.
- ١٣٧- ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٥.
- ١٣٨- النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، ص ١٨٧.
- ١٣٩- الطبري، تاريخ، ج ٨، ص ١٣٥.
- ١٤٠- المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٣٥.
- ١٤١- النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، ص ١٢٩.
- ١٤٢- ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق مُجَدِّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج ٩، ص ١٩١.
- ١٤٣- المصدر نفسه، ج ٩، ص ١٦١.
- ١٤٤- النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، ص ١٦٢.

- ١٤٥-مسكويه، تجارب الامم، ج٣، ص.٥٥٥
- ١٤٦-ابن الاثير الكامل، ج٥، ص.٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨٠
- ١٤٧-النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، ص٣٤٣.
- ١٤٨-الطبري، تاريخ، ج٩، ص٢٨١.
- ١٤٩-النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، ص٢٧٦.
- ١٥٠-مسكويه، تجارب، ج٤، ص١٥٣-١٥٤.
- ١٥١-ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص٥٥٧.
- ١٥٢-النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، ص١٣١.
- ١٥٣-ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص٣٢٤، ٣٤٥.
- ١٥٤-النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، ص٦٥. كما اشار النسفي لاسماعيل بن احمد في الصفحات، ٨١، ٦٧١.
- ١٥٥-النرشخي، ابو بكر محمد بن جعفر(ت٣٤٨هـ): تاريخ بخارى، ترجمه امين بدوي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م، ص١١٥-١١٧.
- ١٥٦-النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، ص٦٧٤.
- ١٥٧-ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٢٨٠.
- ١٥٨-النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، ص٦٧٤.
- ١٥٩-ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٥٨، ١٦٤.
- ١٦٠-النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، ص٢٠٩.
- ١٦١-الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز(ت٧٣٨هـ) : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، المكتبة التوفيقية، ج٢١، ص٢٥٧.
- ١٦٢-النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، ص٣٧٩.
- ١٦٣-ابن الاثير الكامل، ج٧، ص٤٨٨.
- قائمة المصادر والمراجع:

- ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي) ت597هـ (، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية) بيروت. 1992هـ).
- ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري) المتوفى : 630هـ/1232م (، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان 1417هـ/1997م)
- ابن النجار، محب الدين محمد بن محمود) المتوفى سنة 643هـ/1245م (، ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، 1417هـ)
- مسكويه، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب)، ت421هـ، (تجارب الامم وتعاقب الهمم، تحقيق، ابو القاسم امامي، ط٢، دار سروش) طهران. (2000

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن مُجَدِّد بن مُجَدِّد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي) المتوفى 808 هـ: 1405م (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المحقق: خليل شحادة، الطبعة: الثانية، (دار الفكر، بيروت، 1408 هـ - 1988 م)
- ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر)ت774هـ،(البداية والنهاية،تحقيق علي شير، ط1،دار احياء التراث العربي،1988،
- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي) ت463 هـ، (تاريخ بغداد، تحقيق ، الدكتور بشار عواد معروف) ،دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط1422 هـ - 2002 م،)
- الأذنه وي ،أحمد بن مُجَدِّد من علماء القرن الحادي عشر) المتوفى :ق11 هـ (طبقات المفسرين، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، الطبعة: الأولى،) مكتبة العلوم والحكم - السعودية ، 1417 هـ - 1997 م)
- الإربلي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي) المتوفى637 هـ: 1239م/ (، تاريخ إربل ، المحقق : سامي بن سيد خماس الصقار،) وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر، العراق،1980م)
- البغدادي، إسماعيل بن مُجَدِّد أمين بن مير سليم الباباني) المتوفى1399 هـ: 1978م/ (إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، عنى بتصحيحه وطبعه مُجَدِّد شرف الدين بالتقاي والمعلم رفعت بيلكه الكليسي،) دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان)
- البغدادي، إسماعيل بن مُجَدِّد أمين بن مير سليم الباباني) المتوفى1399 هـ: 1978م/ (هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين،) طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ، 1951 م ، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان)
- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر،)ت270هـ(فتوح البلدان،دار الهلال)بيروت.(1988)
- الحسيني ، صدر الدين ناصر بن علي ، (المتوفى: بعد622 هـ1225م/ (، زبدة التواريخ اخبار الامراء والملوك السلجوقية ، تحقيق مُجَدِّد نور الدين الطبعة : الاولى ،) دار اقرا ، بيروت ، 1405-1985م)
- الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي) المتوفى626 هـ: 1228 م/ (معجم البلدان ، الطبعة :الثانية،)دار صادر، بيروت، 1995م)
- الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي) المتوفى626 هـ: 1228م/ (معجم الأدباء، المحقق :إحسان عباس، الطبعة :الأولى،)دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414 هـ - 1993 م)
- الداوودي ، مُجَدِّد بن علي بن أحمد، شمس الدين المالكي) المتوفى945 هـ: 1538 م/ (طبقات المفسرين للداوودي،)دار الكتب العلمية - بيروت)

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله مُجَدِّد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز المتوفى 748 هـ: 1347 م / (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المحقق: الدكتور بشار عوَّاد معروف ، الطبعة: الأولى،) دار الغرب الإسلامي، 2003م)
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله مُجَدِّد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز المتوفى 748 هـ: 1346 م / (سير أعلام النبلاء، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط الطبعة : الثالثة)، مؤسسة الرسالة، 1405 هـ / 1985 م)
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله مُجَدِّد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز المتوفى 748 هـ: 1347 م / (، دول الاسلام ، تحقيق حسن اسماعيل مروة ، الطبعة الاولى ،) دار صادر - بيروت ، 1999 م)
- الرُّوداني ، شمس الدين، أبو عبد الله مُجَدِّد بن مُجَدِّد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي المكِّي المالكي (المتوفى 1094 هـ: 1682م / (صلة الخلف بموصول السلف ، المحقق: مُجَدِّد حجي ، الطبعة: الأولى،) دار الغرب الإسلامي - بيروت ، 1408 هـ، 1988 م)
- الزركلي ، خير الدين بن محمود بن مُجَدِّد بن علي بن فارس، (الدمشقي) المتوفى 1396 هـ: 1976 م / (الأعلام، الطبعة: الخامسة عشر ،) دار العلم للملايين، 2002م)
- السمعاني، عبد الكريم بن مُجَدِّد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد) ت 562 هـ ، الانساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ، ط 1382 هـ - 1962
- السمعاني، عبد الكريم بن مُجَدِّد بن منصور التميمي المروزي، أبو سعد) المتوفى 562 هـ: 1166 م / (التحبير في المعجم الكبير ، تحق منيرة ناجي سالم ، الطبعة: الأولى،) رئاسة ديوان الأوقاف - بغداد، 1395 هـ 1975 م - م)
- السمعاني عبد الكريم بن مُجَدِّد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد) ت 562 هـ . (المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ، تحقيق :موفق بن عبد الله بن عبد القادر ،) دار عالم الكتب، الرياض 1417 هـ ، - 1996م)
- السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين) المتوفى 911 هـ: 1505 م / (طبقات المفسرين العشرين المحقق: علي مُجَدِّد عمر الطبعة: الأولى،) مكتبة وهبة - القاهرة، 1396 هـ)
- العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن مُجَدِّد بن أحمد بن حجر) المتوفى 852 هـ: 1446 م / (لسان الميزان ، الطبعة: الثانية، المحقق) : دائرة المعارف النظامية - الهند ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، 1390 هـ 1971 م / م)

- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن مُجَدِّد بن أحمد بن حجر العسقلاني) ت852 هـ، (لسان الميزان ، تحقيق ، دائرة المعارف النظامية - الهند)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، ط1390 ، 2 هـ 1971/م،)
- العمري، عصام الدين عثمان بن علي بن مراد (المتوفي 1184هـ/1770م) (الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، المحقق: الدكتور سليم النعيمي، الطبعة: الأولى،) (المجمع العلمي العراقي - بغداد، 1395هـ - 1975م)
- الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان، ت277هـ (المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري مؤسسة الرسالة بيروت، 1981
- القرشي، عبد القادر بن مُجَدِّد بن نصر الله ، أبو مُجَدِّد، محيي الدين الحنفي) المتوفي 775 هـ: 1373م / (الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير مُجَدِّد كتب خانة - كراتشي
- اللكنوي، أبو الحسنات مُجَدِّد عبد الحي الهندي) المتوفي 1304 هـ 1886م / م (الفوائد البهية في تراجم الحنفية، علق عليه: مُجَدِّد بدر الدين أبو فراس النعساني ، الطبعة: الأولى،) بمطبعة دار السعادة - مصر، 1324هـ)
- المزني، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي مُجَدِّد القضاءي الكلبي المزني (ت742 هـ،) (تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة - بيروت
- المقدسي، أبو عبد الله مُجَدِّد بن أحمد البشاري ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة،) مكتبة مدبولي القاهرة، 1411 هـ 1991/م)
- النرشخي، أبو بكر مُجَدِّد بن جعفر) ت348هـ، (تاريخ بخارى، ترجمه امين بدوي، دار المعارف، القاهرة) 1965
- النسفي ، نجم الدين عمر بن مُجَدِّد بن احمد،) المتوفي 537 هـ: 1142م / م (، القند في ذكر علماء سمرقند، المحقق يوسف الهادي، الطبعة الاولى،) (مرآة التراث - طهران ، 1420 هـ ، 1999م)
- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق) أبي يعقوب (بن جعفر بن وهب بن واضح) المتوفى : بعد 292 هـ 904م (البلدان الطبعة: الأولى،) دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ)
- بارتولد، فاسيلي فلاديمير فتش،) المتوفي 1349: هـ 1930م/، (تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، ترجمه صلاح الدين عثمان هاشم ،) الكويت ، 1401 هـ 1981م - م)
- بن حوقل ، مُجَدِّد البغدادي الموصلية،) المتوفى : بعد 367 هـ 977م (صورة الأرض ،) دار صادر، أفسست ليدن، بيروت ، 1938م)

- بن سعد، أبو عبد الله مُجّد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد) ت : 230هـ، (الطبقات الكبرى، تحقيق: مُجّد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1410هـ - 1990م،)
- بن قُطُوبغا، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم السودوني) المتوفى 879هـ (تاج التراجم، المحقق: مُجّد خير رمضان يوسف، الطبعة: الأولى،) دار القلم - دمشق، 1413هـ-1992م -)
- بول، ستانلي لين ،تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والامراء والاشراف في الاسلام ، تر مكّي طاهر ، ط 1، (الدار العربية للموسوعات- بيروت ، لبنان ، 2006م)
- حاجي خليفة ،مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني) المتوفى 1067هـ 1656م / (سلم الوصول إلى طبقات الفحول، المحقق :محمود عبد القادر الأرنؤوط،) مكتبة إرسیکا، إستانبول - تركيا، 2010م)
- حاجي خليفة ،مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني) المتوفى 1067هـ 1656م / (م، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،) مكتبة المثنى - بغداد، 1941م)
- خياط ،ابوعمر خليفة)ت 240هـ،(تاريخ خليفة بن خياط ،تحقيق، أكرم ضياء العمري، ط، 2، دار القلم، بيروت ج 1
- سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزّأوغلي بن عبد الله ، (654هـ 1256م/مرآة الزمان في تواريخ الأعيان تحقيق كامل مُجّد الخراط، مُجّد أنس الخن الطبعة: الأولى،) دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، 1434 هـ 2013 - م)
- سزكين ، فؤاد ،تاريخ التراث العربي) علوم القرآن والحديث - التدوين التاريخي - الفقه - العقائد (تر :د محمود فهمي حجازي ،راجعه :د عرفة مصطفى - د سعيد عبد الرحيم ،) جامعة الإمام مُجّد بن سعود الإسلامية ، 1411هـ 1991 - م)
- فانديك، ادوارد كرنيليوس) المتوفى 1313هـ: 1894م (اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، صححه وزاد عليه : السيد مُجّد علي الببلاوي ،) مطبعة التأليف- الهلال ، مصر، 1313هـ 1896 - م)
- كحالة ،عمر رضا) المتوفى 1408هـ 1987 / م (معجم المؤلفين،) دار إحياء التراث العربي - بيروت، مكتبة المثنى - بيروت)
- مؤلف مجهول) توفي :بعد 372هـ 982م (حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، تر يوسف الهادي ،)الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1423هـ)

جمالية الأداء التعبيري للحرف في القرآن الكريم

م.د. عبدالحفي عبد النبي زبيك العبادي

الكلية التربوية - مركز البصرة

الملخص

يعدُّ هذا البحث عبارة عن دراسة تعبيرية في خصائص الحرف وما تحمله دلالاته المركزية خارج السياق وما يؤديه من معنى داخل السياق القرآني، وتعبيراته التي شكلت جانباً من جوانب الإعجاز على مستوى الأداء التعبيري لكل حرف من حروف المعاني التي انتظمت في سياقها، وقد درسناها دراسة وصفية تحليلية في ضوء الآراء والتوجيهات الموضوعية التي أشار إليها العلماء في مظانها وموضوعها فضلاً عن المدونات التفسيرية والكتب ذات العلاقة، مبرزين الجانب الجمالي في التعبير القرآني عبر نظمه وتعدد أساليبه.

الكلمات المفتاحية: جماليات التعبير - الأداء التعبيري - الحروف - القرآن الكريم.

Abstract

This research is an expressive study in the characteristics of the letter and its central significance carries out of the context and the meaning in the Qur'anic context and its expressions, which constituted an aspect of the miracle at the level of the expressive performance of each letter of the meanings that were organized in its context. Opinions and objective directives referred to by scholars in their context and subject, as well as explanatory blogs and related books, highlighting the aesthetic aspect of the Qur'anic expression through its systems and multiplicity of methods.

The keywords: Expression aesthetics - expressive performance - letters- The Quran.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين مُجَّد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين، وبعد: تنوعت الدراسات القرآنية على اختلاف مستويات البحث اللغوي عبر جماليات التعبير ودقة اختيار الألفاظ وبنائها الصوتي والوظيفي، إذ تتعالق دلالة الألفاظ فتشكل نسيجاً متماسكاً يحمل معاني بلاغية ليس لها نظيراً في نص آخر، لذا عُدَّت مثل هكذا دراسات جزء من الإعجاز القرآني في نظمه ودلالة ألفاظه، المتأمل في التعبير القرآني يلحظ من أنه لا تكاد تخلو جملة من جملة، ولا تركيب من تركيب، من حرف معنى، إذ أنّ الحروف سواء أكانت حروف المعاني ذات الحرف الواحد أم أكثر نجدتها مكوّن أساس من مكوّنات الجملة، كالاسم والفعل تماماً. وسواءً أكان هذا الحرف عاملاً أم مُهملاً، ولا يؤدي وظيفة ربط الجملة فحسب وإنما يقوم بإيجاد خيوط الوصل في معاني أجزاء الجملة بعضها ببعض، ويسهم إسهاماً فاعلاً في تحديد دلالتها التي يفضي إليها السياق بشكل عام.

حظيت حروف المعاني في القرآن الكريم بِقَدْرٍ عالٍ من اهتمام رجالات العربية وعلمائها؛ إذ نلحظ هذا الاهتمام الذي تجلّى واضحاً في كثير من كتب اللُّغة والنَّحو، والمدونات التفسيرية التي حفلت بها المكتبة الإسلامية، لكون العلماء أدركوا بصيرتهم الثاقبة حجم الإعجاز الذي حواه كتاب الله تعالى في نظمه واختيار حروفه، وتكمن أهمية هذه الحروف في سياق النَّصِّ القرآني، بوصفها جزءاً أصيلاً من بنية هذا النص العظيم، وتُسهم إسهاماً كبيراً في تحديد دلالة التركيب القرآني، ومن ثمّ بيان الأحكام التشريعية، والمقاصد التعبيرية الفنية التي تعدُّ من أهم جوانب الإعجاز القرآني.

علماء العربية والذين اعتنوا بالدراسات التعبيرية المتعلقة بالنص القرآني تحدّثوا كثيراً عن الإعجاز القرآني وأساليبه التي شغلتهم بحثاً وتأملًا وقراءة، إذ لم يتركوا عن قريب أو بعيد كل ما يتعلق بهذا النص المعجز؛ فتحدّثوا عن الإعجاز اللفظي والتعبيري والعلمي والعددي ولم يغفلوا حتى الجانب الروحي عبر تجليات النفس ومظاهرها، وقدما قالوا عن الإعجاز في نظمه في حديث لعبد القاهر الجرجاني في كتابه إعجاز القرآن، فيتجلّى لكل باحث ومدقق ومتأمل أنّ الإعجاز القرآني لا تُفَقِّي عجائبه، ولا تنتهي أسراره، فبقي ما بقي الدهر إضاءة لكل مرتشف من معين القدس الإلهي.

إنّ من أسباب اختيار جماليّة الأداء التعبيري للحرف في القرآن الكريم تكمن في دقّة هذا النظم القرآني وطريقة تعالق ألفاظه وبناء حروفه فكان بحق نصاً معجزاً، ومما انماز به الحرف وجمالية نسجه، وفي اختيار حرف المعنى في سياقه وموضعه، والنظر في خروج حرف المعنى عن مقتضى الحال في دلالاته المركزية إلى الدلالة المشبعة في ضوء السياق وظلالها، إذ يتجلّى الإعجاز البياني الذي لا يُضاهيه إعجاز في نص آخر، لذلك ينبغي أن نتوقف ملياً أمامه طويلاً بالدُّرس والتحليل. حريٌّ بنا أن نحلل النص القرآني تحليلاً دقيقاً في ضوء المنهج الوصفي التحليلي في إطار السياق الذي ورد فيه الحرف؛ وسواء أكان السياق الذي ننظر فيه إلى الحرف اللغوي، أم غير اللغوي.

جاءت هذه الدراسة على وفق محاور يتصدرها الحرف عنواناً لموضوعه الذي خرج به دلاليًا عبر دلالاته المركزية وفضاءاتها في التهكم عبر الشك في الحرف (إنّ)، والتعريض في الحرف (من)، ودلالة الرجاء والتلطف في (لعل)، ودلالة

الاستعلاء في حرف الجر (على)، ودلالة الإلصاق عبر المصاحبة في حرف (الباء)، ودلالة المصاحبة الظرفية في حرف الجر (في)، ودلالة المجاوزة في حرف الجر (عن) وختم البحث بملخصه ومثلت جماليات دقة الحرف القرآني، وثبتت بالمصادر التي اعتمدها البحث.

دلالة الشك عبر التهكم في (إن)

اختيارات الحروف في النظم القرآني تمثل روعة التعبير ودقته، إذ إن استعمال الحروف يأتي متساوفاً مع طريقة صياغة الألفاظ وإحكامها، فعند تأمل النصوص القرآنية تتجلى فيها الروعة وقمة التأنيق الدلالي، ومن ذلك اختيار الحرف (إن) في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، ودلالة ((إن الشرطية يكون مدخولها للأمر المحتمل المشكوك فيه، أو المستحيل كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]، على عكس (إذا) الشرطية التي يكون مدخولها متيقنا وجوده، ومتحققا وقوعه، ويظهر الفرق جلياً... ومن هذا القبيل أن تقول: إذا أقام الله القيامة عذب الكفار، ولا يحسن استخدام (إن)؛ لأنه يجعل ما أخبر الله تعالى بوجوده مشكوكاً فيه^(١).

اختيار الحرف (إن) وهو للشك، ولم يأت بالحرف (إذا) التي تفيد وجوب التحقق والمقام مقام الوجوب لا الشك؛ لأنَّ التعبير القرآني حين اختار دلالة (إن) أجرى الكلام بحسب حسابهم، ليعزز دلالة التهكم تحدياً لهم مثلما يقول الواثق بالغبلة والنصر على من يعاديه: إن غلبتك، وهو واثق من الغلبة على خصمه ويعلم أنه غالبه تمكماً به^(٢)، وهذا النوع من المفارقات القرآنية يحمل في طياته معنى بلاغياً عبر الإيهام، ويوهم بأنه يرد المعنى الظاهري على أنه حقيقة مقررة في الوقت الذي تزدرى فيه من الخصم وتسخر منه^(٣)، ولا ريب في أنَّ التعبير القرآني في مقام التحدي لا يتنزل إلى مقام الخصم وإنما يثبت العجز فيهم، وإن أصروا التباري والتحدي تتولد دلالة السخرية منهم عبر دقة الاختيار الحرفي ودلالته ما بين الشك والوجوب في التحقق، واختيار قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾، ولم يقل: فإن لم تأتوا به؟ أي: القرآن الكريم؛ لأنَّ هذا أخصر في سياق التحدي والاستخفاف بهم من أن يقال: فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله^(٤).

إنَّ هذه الآية المباركة في دلالتها السياقية التي عززتها دلالة الشرط عبر (إن) وما تعلق بها أظهرت المعجز من كتاب الله عبر وجوه أربعة وهي:

1- تواتر عن العرب أنهم كانوا في غاية العداوة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي غاية الحرص على إبطال أمره؛ لأنَّ مفارقة الأوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج من أقوى ما يدل على ذلك، فإذا انضاف إليه مثل هذا التقرير وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، فلو كان في وسعهم وإمكانهم الإتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه لأتوا به وهم أسياد البيان وأرباب الفصاحة، فحيث ما أتوا به ظهر المعجز عند عجزهم.

- 2- الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن كان متهماً عندهم فيما يتصل بالنبوة فقد كان معلوم الحال في وفور العقل والفضل والمعرفة بالعواقب، فلو تطرقت التهمة إلى ما ادعاه من النبوة لما استجاز أن يتحداهم ويبلغ في التحدي إلى نهايته، بل كان يكون وجلاً خائفاً مما يتوقعه من فضيحة يعود وبالها على جميع أموره، حاشاه من ذلك (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلولا معرفته بالاضطرار من حالهم أنهم عاجزون عن المعارضة لما جوز من نفسه أن يحملهم على المعارضة بأبلغ الطرق.
- 3- لو لم يكن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قاطعاً بصحة نبوته لما قطع في الخبر بأنهم لا يأتون بمثله، لأنه إذا لم يكن قاطعاً بصحة نبوته كان يجوز خلافه، ويتقدير وقوع خلافه يظهر كذبه، فالمبطل المزور البتة لا يقطع في الكلام. ولا يجوز به، فلما جزم دلاً على أنه عليه الصلاة والسلام كان قاطعاً في أمره.
- 4- أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وجد مخبر هذا الخبر على ذلك الوجه؛ لأن من أيامه عليه الصلاة والسلام إلى عصرنا هذا لم يخل وقت من الأوقات ممن يعادي الدين والإسلام وتشتد دواعيه في الوقيعة فيه. ثم إنه مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة قط، فهذه الوجوه الأربعة في الدلالة على المعجز مما تشتمل عليها هذه الآية، وذلك يدل على فساد قول الجهال الذين يقولون إن كتاب الله لا يشتمل على الحجة والاستدلال^(٥).

دلالة التعريض عبر الحرف (من)

ومن الحروف التي ربما يتوهم أنها وضعت في غير موضعها، أو بتعبير آخر أنها استعملت في سياق يخالف الضابطة الدلالية في استعمال الحرف (من) مع غير العاقل في حين دلالة (ما) هي التي يراد منها غير العاقل^(٦)، في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، في هذه الآية المباركة رُدُّ على عباد الأصنام والأوثان بأن يقال لهم عند المحاجة في الخطاب: أفمن يخلق ما تقدم ذكره من السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من أنواع العجائب؟ كمن لا يخلق ذلك من الأصنام التي هي جمادات، فكيف توجه العبادة إليها، ويسوى بينها، وبين خالق السماوات والأرض وجميع ذلك، أفلا يتفكرون في ذلك ويعتبرون به، فإن ذلك من الخطأ الفاحش عندما يغيب العقل عند التفكير بتذكير الله تعالى في آياته، وجعل (من) فيما لا يعقل في سياق هذه الآية المباركة، لما اتصل بذكر الخالق^(٧)، ثم عطف سبحانه وتعالى على ذلك تذكراً بكثرة نعمه على الناس فقال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

والخلق هو التقدير والإتيان في الصنعة، وفعل الشيء لا على وجه السهو والمجازفة بدلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا...﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقوله: ﴿...وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَيْدِي...﴾ [المائدة: ١١٠] وقوله: ﴿...فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المائدة: ١٤]، فأعلمنا أن غيره يسمى خالقاً؛ لأنه لو لم يستحق اسم خالق غيره لما قال: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ووصفهم بالخلق، ولا يجوز أن يقال: إنه أعظم الآلهة، وذلك يعود

لسبب رئيس وهو لم يستحق الألوهية غيره تعالى، إلا أنا لا نطلق هذه الصفة إلا فيه تعالى؛ لأن ذلك يوهم والوجه في الآية الرد على عبادة الأصنام والجمادات التي لا تقدر على نفع ولا ضرر^(٨)، ويقوي ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (٢٠) أمواتٌ غيرٌ أحياءٍ وما يشعرون أيمانٌ يُبْعَثُونَ ﴿[النحل: ٢٠-٢١].

بالتأكيد السياق الذي وردت فيه (من) لتعلقها بالأصنام التي تُعبد من دون الله، واختار التعبير القرآني دلالة الحرف الذي يوظف لأولي العلم، وهنا أوجه منها: إنهم سموها آلهة وعبدها اعتقاداً منهم باستحقاق العبادة لها لكونها تنفع وتضر في حياتهم، فأجرها مجرى العاقل بحسب من أريد بهم هذا التعبير، ولذلك الآية التي بعد هذا السياق نفت الخلق بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠].

والوجه الثاني: المشاكلة التعبيرية بينه وبين من يخلق، والثالث: يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم، فكيف بمن لا علم عنده كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَرِجُلًا يَمْشُونَ بِمَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِمَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِمَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِمَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، إذ إن حال الآلهة منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب، فلو صحت للآلهة هذه الأعضاء والحياة مقارنة مع من هو حي لكان بالإمكان المحاجة، فكيف بها وهي جماد؟! لذا حين جعلوا غير الله تعالى مثل الله في العبادة وسوّوا بينه وبينها، فأنكر عليهم ذلك^(٩)، فضلاً عن أن اختيار دلالة الاستفهام التي التقت مع دلالة (من) في النظم القرآني برزت جانب التعريض بمؤلاء حين أنكر عليهم تشبيه الأصنام بالله تعالى، وما خطاب العاقل في هذا السياق عبر الإيهام تعريضاً بهم لدحض هذا المعتقد واقتلعه من مبتنيات أفكارهم واعتقاداتهم الباطلة^(١٠).

دلالة الرجاء والتلطف في لعل

ومن الاستعمالات الحرفية التي مثلت دقة الخطاب القرآني في نظمه استعمال (لعل) في قوله تعالى: ﴿ادْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٤٣) فقولاً له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴿[طه: ٤٣-٤٤]، الآية المباركة أشارت إلى ملحظ مهم في الدعوة إلى الله تعالى أي: باسرا الأمر بنفسكما حاملين في قلوبكم الرجاء والطمع الذي يفضي إلى أنه يثمر ولا يخيب سعيكما عند تقديم الحجج والبراهين بطريقة التلطف مع الرجاء، فإن الراجي مجتهد باذل الوسع من أجل تحقيق ما يصبو إليه والآيس متكلف؛ لذلك تكون الفائدة في إرسالهما حاصلة عبر المبالغة في الاجتهاد، مع علمه تعالى بأنه لا يؤمن، وفي ذلك إلزام الحجّة عليه وقطع المذرة بعد اليأس منه، كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُحْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤]، وإظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات المباركة، والتذكّر يكون للمتحمق وقوعه، والخشية للمتوهم؛ ولذلك قدم الأول وهو التذكير على الخشية، أي: إن لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر، فلا أقل من أن يخشى^(١١).

ودلالة لعلّ في الترجي أضاءت جانباً مهماً في هذه الآية المباركة وهي تحيل الرجاء إلى موسى وهارون أي: اذهبا إلى رجائكما وطمعكما في تحقق هدايته، لعلّه يتذكر عندكما، في حين أنّ الله هو العالم بما سيؤول إليه أمره، فدلالة الرجاء أحسن ممن ذهب إلى أنّ (لعلّ) أشربت دلالة تعليلية بمعنى: كي يتذكر أو يخشى، وهو ما يخرج دلالة (لعلّ) عن موضعها^(١٢)، إلا أنّ دلالة الرجاء أكثر دقّة وأعمق دلالة، وأكثر اتساقاً مع النظم القرآني؛ فالمقام هو مقام تطف في الدعوة، وحثّ على الإصرار في دعوة فرعون بما لا يكون معه ضعف ولا فتور^(١٣)، وهذا ما صرحت به الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢]، فدلالة الرجاء أكثر دقّة من مجرد التعليل بتضمين دلالة (كي) في هذه الآية المباركة.

هذا التلطف باستعمال دلالة الرجاء في (لعلّ) زُيماً يعود على فرعون لما له من حق تربية موسى (عليه السلام)، لذا كان حقاً يرجو هدايته مع خوفه من أن يبطش وهو الذي خبر حاله وأحواله، فهو يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب في دعوته وسعيه الخيثة لهداية فرعون وقومه، مع علم الله تعالى بأنّه لن يؤمن؛ لإلزامه الحجة وقطع المعذرة^(١٤)، وإيمانه لا يكون إلا عند رؤية البأس ومعاناة العذاب لذا أشار القرآن الكريم إلى تلك اللحظات التي مثلت استسلامه في قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، فلم يقبل الله تعالى إيمانه وقال: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]، فكان من المغرّقين^(١٥).

وقيل: إنّ (لعلّ) أشربت دلالة استفهامية أي: هل يتذكر أو يخشى، والصحيح: أنّها على باهما في الرجاء وذلك بالنسبة إلى البشر، فمحال أن يكون الرجاء عائد على الله تعالى، وإمّا الرجاء عائد على موسى ومن معه^(١٦)، فالتعبير القرآني مع دلالة الترجي المصحوب بالتلطف يبعث في الرسول قيمة إنسانية زيادة على ما يحمله من وظيفة دينية في الهداية إلى المعبود الحق؛ لئلا يغيب عن ذهنه معروف التربية يوم كان يدرج في بيت فرعون وإن كان كافراً، هذه القيم التعبيرية تبرزها دلالة الرجاء وقد لا نجدها في التعليل ودلالته التي تشير إلى التذكرة فحسب.

دلالة الرجاء ممزوجة بالتلطف التي أثارها السياق حملت بعداً تربوياً وأخلاقياً في التعامل مع من يُرتجى إيمانه وعدم حمله على القنوط من رحمة الله تعالى، ومهما يكن فإنّ هذه الآية المباركة تحدد أسلوب الدعوة إلى دين الله تعالى، وبالأصح والأخص تحدد أسلوب الإقناع بالحق الذي ينبغي أن يأتي عبر الترغيب واللطف في الخطاب، ونظيرها قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وتمثل الموعظة الحسنة حين يشعر معها المخطئ تلقائياً بخطئه ويبدأ بمحاسبة نفسه، والضال بضلاله ليعود إلى الإيمان، ويرى نفسه بعيداً عن الحق والواقع وهنا يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، وهنا يجب أن يتحقق الشرط الأول للموعظة الحسنة وهو أن لا يريد

الواعظ بموعظته إلا الإصلاح، بحيث يعتقد المقصود بالموعظة أو غيره من أهل الوعي أنّ الغاية الأولى والأخيرة تتمثل في مصلحته وهدايته، والشرط الثاني أن تكون الموعظة عبر آليات وطرائق محصورة في القول اللين^(١٧).
 بما أنّ هذا الحرف المشبه بالفعل (لعلّ) هو للدلالة على إيجاد الترجي في الجملة التي يرد في سياقها ومضمونها، ومنها قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾، فإنّ الحرف ما أوجد معنى في غيره، ولا يدلّ على معنى في نفسه، وهذا بخلاف الاسم، كالترجي بمعناه المصدرى المفهوم من حيث هو وفي نفسه. والمراد المطلق الترجي أي التوقع لشيء محبوباً أو مكروهاً، لذا نلاحظ الدلالة المركزية تدور حول الرجاء ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿... لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ [عبس: ٣]، والتعبير بلعلّ ودلالته على الترجي في كلمات الله تعالى، فهي جارية على مجرى المكاملة العرفية، فضلاً عن دلالته على تناسب موقعية مفهوم الترجي في المورد من حيث هو من دون النظر إلى القائل وخصوصية المتكلم^(١٨).

دلالة الاستعلاء في الحرف على

نلاحظ عبر التأمل دقة التعبير القرآني في مقاصده واختيار الحروف التي تُمثّل الأداء التعبيري الذي لا يمكن أن يحلّ حرف مكان حرف آخر ولا يؤدي الدلالة التي يمكن أن يؤديها غير الحرف الذي جاء به النظم القرآني ومن ذلك اختيار الحرف (على) في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: ١٥]، والملاحظ في تعبير الآية المباركة أنّ (حين) ظرفية زمانية اتصلت بحرف الجر (على) ولم يأتِ التعبير بحرف الجر (في) ليستوعب الدلالة الزمنية في الحدث وإنما جاء بالحرف (على) الاستعلائية^(١٩)؛ ليدلّ على أن هذا الدخول كان من فوق وهو يشبه شيئاً قد ارتقى مستعلياً منقضاً، ويُشعر منه المفاجأة والمباغنة وهذه الدلالة لا تتأني من حرف الظرفية (في)^(٢٠)، وهناك رأي يذهب إلى أنّ دلالة الغفلة في ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ﴾ لا يراد الدلالة الزمنية في وقت قبولة الناس وراحتهم عند الظهر أو بعد المغرب، وحصول الغفلة في تلك الساعة، وإنما الغفلة من ذكر موسى وأمره، لأنّه كان يخاف على نفسه من الطلب^(٢١)، فتكون دلالة على تناسب المباغنة في دخول المدينة عن اختيار بعد أن أمن الطلب ودلالة (على) تناسب الدلالة المعنوية بالتأكد من أنّه آمن وكأنّ المدينة تحت سيطرته بغفلة الناس عن طلبه مما يجعل دلالة (على) تؤكد وأكثر أمنا من دلالة (في) الظرفية لهذا كان التعبير دقيقاً في حرفه، ولفظه الدال على الأمن مقابل الخوف.

في موضع آخر ورد حرف الجر (على) بدلالته على الاستعلاء المجازي لا من جهة القهر والغلبة وإنما الرعاية في تكفل الأمر وتحمل المسؤولية في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّاحِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي

الْمَصَاحِبِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿النساء: ٣٤﴾، دلالة (على) في هذا المقام ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ تشير إلى القوامة من حُسن إداء شؤون المرأة في الزواج ويتولى الرجال أمر النساء، والرجال هنا خصوص الأزواج والنساء خصوص الزوجات، وليس المراد بالقيام على المرأة السلطة المطلقة، بحيث يكون الزوج رئيساً دكتاتورياً، والروضة مرؤوسة له، بل يكون مظهراً من مظاهر الولاية، ان الله سبحانه ذكر سببين لهذا النحو من ولاية الزوج على الزوجة، وأشار إلى السبب الأول بقوله: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ﴾، والى السبب الثاني بقوله: ﴿وَمَا أَنْتَفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(٢٢)، فالتعبير بحرف الجر (على) جاء ليدلّل ثقل هذه المسؤولية وعيهاها، ولا سيّما دلالة حرف الجر تتضمن الأفعال الشاقة المستتقلة، ولذا ناسب مدلول هذا الحرف مهمة الرجال الفضلى في القيمومة على النساء بالرعاية والإنفاق والحماية والولاية، وأنّ قوامة الرجال على النساء تُستحق بالفضل وليس بالغبلة والقهر والاستطالة^(٢٣)، لذا دلّ حرف الجر هنا على تولى الأمر وتحمل أعباء المسؤولية، في حين التعبير بقولنا: قام به، أي: فعله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْفَىٰ بِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]، فقوله: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ والقول: قام له، أي: لأجله، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، في: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ ونقول قام عنه، بمعنى انصرف عنه فالبعد والمجازة من معاني (عن)^(٢٤)، فناسبت دلالة حرف الجر (على) الموضوع الذي وردت فيه بدلالة دقيقة تجلت فيها الملاحظ التي فضل الله القيمومة الاعتبارية للرجال على النساء في إداء الوظيفة التي انبسطت به لحفظ كيان الأسرة وتحمل الأعباء الزوجية.

في موضع آخر برزت دلالة الحرف (على) في الاستعلاء عند قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الرِّبَّ أَنْ تُؤَلُّوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الرِّبَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، في قوله: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ فإن استعمال حرف الجر (على) في هذه الآية المباركة مع لفظة (حبه) بدلالة الاستعلاء والاستحواد على قلب المعطي المؤمن، إذ يُعطي وهو طيب النفس في أثناء العطاء، لاستيلاء محبة الله تعالى عليه واستحوادها على قلبه فتدفعه للعطاء والبذل والعون والمساعدة، وبذا أعطى هذا الحرف دلالاته وقيّمته التعبيرية في القول القرآني^(٢٥)، ومثله قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، في: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ ومن قال بأنّ في دلالة (على حبّ) أي حبّ الطعام، أو المال في الآية السابقة ذلك يعود على أنّ جبهما يكون مبرزاً في موضع الحاجة والفاقة، أو على حبه تعالى تقرباً لمرضاته، وفي موضع الفاقة يكون الأول أمدح^(٢٦)،

ودلالة الطاعة في التقرب إلى الله أمدح وأكثر تجلياً للمعاني الإنسانية عبر اتباع أوامر الله حباً وطاعة، ولذلك دلالة الحرف (على) تترى السِّيَاق بدلالة الاستعلاء مع الله الذي تتصاغر أمامه كل ملذات الدنيا ومحبوباتها.

دلالة الاستعلاء في حرف الجر (على) تتجلى فيها دلالة التسلط والتحكم بالغلبة على الضعفاء في قوله تعالى: ﴿وَيُلْ لِلْمُطْغَفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ١-٢]، التطفيف بخس الحق في أشياءهم وتقليل نصيب المكيل له^(٢٧)، التعبير القرآني يصور أولئك الناس الذين يستوفون حقوقهم من الآخرين بالكامل وزيادة، والذي يُنبئ عنه الحرف (على) بدلالة تسلطية على الناس والتحكم بمصائرهم وفوقهم، وهذا التسلط بالاكتيال أي: إذا اکتالوا عليهم، ولم يقل: اکتالوا منهم؛ لأنَّ الاکتيال (من) لا يفيد دلالة الظلم وهضم الحق والمال بخلاف دلالة (على) فإنَّ فيها معنى التسلط والاستعلاء والجور جليّ واضح وهو ملحوظ في المطففين^(٢٨)، فدلالة على كانت دقيقة جداً ولا يمكن أن تحل دلالة (من) محل دلالة الحرف على؛ لأنَّ اکتيالهم من الناس اکتيال يضرهم ويتحامل فيه عليهم بالقهر عبر التدليس والغش فجاءت دلالة (على) أدق من دلالة (من) في هذا السِّيَاق القرآني^(٢٩)، لذا دلالة التسلط والاستعلاء عبر بخس الناس وظلمهم في المكيال والميزان جاءت متوافقة مع دلالة الحرف (على) في حين دلالة الحرف (من) لا تؤدي الدلالة نفسها، بل لا يمكن أن تحل محل الحرف الذي ناسب في سياقه مضمون الجور في الاحتيال والغش.

دلالة المصاحبة الظرفية للحرف في

تجلت دقّة التعبير في النَّظْم القرآنيّ عبر دقّة حرف الجر (في) عند قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤]، نجد أنّ التعبير القرآنيّ يذكر المؤمنين بعمل ممدوح إسراعهم في الخير ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾^(٣٠)، التعبير القرآنيّ جاء بحرف الجر (في) ولم يقل: للخيرات، واللطف في التعبير أنّ النص أراد أن يشير إلى أنّهم واصلون إلى مرحلة الإيمان ومساعدتهم واقعة فيه، إذ إنّ الإيمان متمكن من أنفسهم حتى أصبحوا هم الخير، ومصدر له، ويسارعون في الخير لغيرهم وليس لهم، ويبدو أنّ حرف الجر (في) قريباً من دلالة المصاحبة الظرفية في هذه الآية المباركة، والمصاحبة من معاني (في)^(٣١)، فضلاً عن دلالة الظرفية المركزية في الحرف.

ولو جاء التعبير للخيرات؛ لفهم طلب الخير لأنفسهم، والفرق بين التعبيرين بيّن، ولما استحقوا المديح^(٣٢)، ولذلك حين نسب البارئ ﷺ استدراج غير المؤمنين بالإسراع في الخير قدّم الجار والمجرور (لهم) على طلب الخيرات؛ لأنّ المقام استدراج في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا مُمَدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيِّنَ (٥٥) نُسَارِعُ هُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦]، أي: يحسبون أنّ الذي نمدهم به نسارع به لهم في الدنيا فيه خيرهم وإكرامهم، والهمزة للإنكار عمّا يحسبون من ظنهم بالخيرات، وأنّ هذا الإمداد ليس إلّا استدراجاً لهم، واستجراراً إلى زيادة الإثم، وهم يظنونها

لهم من الخيرات، وفيما لهم فيه نفع وإكرام، ومعالجة بالثواب قبل وقته^(٣٣)، وهذا الاستدراج نظيره في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الحجر: ١٥].

ومن شواهد دقّة اختيار الحرف في النّظم القرآنيّ مجيء الحرف (في) من دون استعمال حرف آخر قد يحمل جانباً من جوانبه الدلاليّة في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]، فلو جاء التعبير بغير (في) كأن نقول: كظلمات بحرٍ، فإنّ الدلالة تكون مغايرة لما أراهه السياق في نظمه، ولأصبحت الظلمات وصفاً عاماً يضاف إلى صفات البحر، وهذا ما لا يقصده السياق القرآنيّ في الآية المباركة^(٣٤).

دلالة المجاوزة في الحرف عن

للنظم القرآنيّ دقته في اختيار حرف الجر (عن) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]، إذ لم يأت التعبير في غير القرآن الكريم بقوله: في صلاتهم ساهون، وهذا يعود لمعرفة السهو وموضعه، كي يكون فارقاً بين السهو الذي هو الغلط في عدد الركعات في أثناء الصلاة، وما بين الغفلة عن وقتها، ولو كان المراد هو ما يعرض للمصلي من سهو في صلاته لقال: في صلاتهم، لذا كان التعبير دقيقاً جداً في اختيار الحرف ومناسبته لمقام الصلاة^(٣٥)، إذ حمل دلالة المجاوزة إداء الفرض بتمامه وليس في إحدى جزئياته، ونظير هذه الآية المباركة ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَسِفْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، ودلالة العشو في هذا السّياق يراد منها الإعراض عن ذكر الله، يقال: عشوت إلى النار أعشو، إذا نظرت إليها، وهناك فرق في أن يقال: عشوت إلى الشيء، وعشوت عنه^(٣٦)، إذ إنّ دلالة (إلى) تناسب القصد في طلب ذكر الرحمن وهذا ليس مقصوداً وإمّا الإعراض عن ذكر الرحمن في دلالة على حصول المعرفة به تعالى وإعراضه عنه كفرا به تعالى وهذا ما تضمنته دلالة الحرف (عن) ومتعلقها في النّظم القرآنيّ.

الخاتمة

في نهاية المطاف نحمد الله على ما أنعم والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأكرم المرسلين مُجَّد وآله الطيبين الطاهرين، ولنا أن نقف على الموضوع الذي خلص البحث فيه إلى:

إنَّ استعمال الحرف في النَّظْم القرآنيّ ينطلق من دلالاته الأصلية وكل ما يطرأ على الحرف من إضاءات تُمثِّل اتساع الدلالة عبر السِّياق الذي قد يخرج من الحقيقة إلى المجاز، لذا لا يمكن أن ينوب حرف عن حرف آخر؛ لأنَّ لكل حرف دلالة خاصة وعبرها تتحقق قصدية التعبير في اختيار حرف من دون حرف آخر، لهذا كانت حروف المعاني حروفاً لها جمالية في قصدية الأداء التعبيري حين تبرز الدلالة المركزية في الحرف وما يطرأ عليه من اتساع يتمثل في طريقة نسج النص.

واختيار الحروف في القرآن الكريم تعدُّ من أسرار إعجازه، وتمثل دقائق النظم فيه ومن عجائبه التي لا تنفذ ولا يمكن سبر أغوارها إلا بعد التأمل والنظر في دلالة الحرف وسياقه؛ لأننا نجد كلَّ حرف في القرآن لا يصلح غيره في أن يقوم مقامه، أو يؤدي الدور نفسه على مستوى الدلالة ودقة المعنى، ولو حاولنا تقصي لسان العرب على كل حرف في أن يأخذ محله حرف آخر فينوب عنه لم نجد؛ لأنَّ معنى الحرف في هذا الموضوع الذي جاء فيه يشير إلى أمر يقتضيه السياق والحال كلٌّ بحسب مقامه، لذا شكل الحرف في النسيج القرآني جانباً من جوانب الإعجاز التعبيري عبر نظم القرآن الكريم.

القرآن الكريم في بنائه وتركيب ألفاظه يمثل نصاً إعجازياً لا طاقة لنا على إدراك خصائصه الفنية والأسلوبية على الوجه الأكمل، فإنه نصٌّ باهرٌ تتوافر فيه جميع السمات التي تجعل منه أرقى النصوص العربية التي وصلت إلينا من دون ريب، لذلك جاءت حروفه وألفاظه بتناسقها وهي تشكل ضرورة من ضروريات التعبير البياني في مقتضيات جمال القول، وهذا الأسلوب لم يكن متكلفاً ولا ذا نزعة مطبوعة بطابع القوالب النصية التي كانت شائعة في زمن نزوله كما هو الحال في مقدمات الشعر العربي والأسجاع التي وردت في نصوص العرب هنا وهناك في النثر القديم، بل تميز القرآن الكريم بطريقة متفردة ليس لها نظير على مستوى التعبير، سواء أكان باختيار خروفه أم طريقة إتلافها داخل النص، وهذا ما ميز التعبير القرآني عن غيره وأعطاه صبغة إعجازية لا نجدها في مكان آخر.

الهوامش

- (١) الأدوات النحويَّة وتعدد معانيها الوظيفيَّة دراسة تحليليَّة تطبيقية، د. أبو السعود حسنين الشاذلي: ٨٩، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحويّ الدلالي: ١٣٥.
- (٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٥٧/٤، والجديد في تفسير القرآن المجيد: ٥١/١.
- (٣) ينظر: المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، د. مُجَّد العبد: ٨٢.
- (٤) ينظر: تفسير الفخر الرازي: ١٢١/٢.
- (٥) ينظر: تفسير الفخر الرازي: ١٢٠/٢.

- (٦) ينظر: مغني اللبيب: ٣٩٣/١-٤٣١.
- (٧) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٦٧/٦-٣٦٨.
- (٨) ينظر: متشابه القرآن ومختلفه، ابن شهر آشوب: ١٧٣/١.
- (٩) ينظر: الكشاف: ٤٣٠/٣، والبرهان في علوم القرآن: ٥٧/٤.
- (١٠) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤٢٨/٣، والمفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة: ٨٨.
- (١١) ينظر: زيادة التفاسير: ٢٤١/٤.
- (١٢) ينظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري: ٥٤٧/٤، ومغني اللبيب: ٣٧٩/١، والبرهان في علوم القرآن: ٥٧/٤.
- (١٣) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ١٧٩/٢.
- (١٤) ينظر: الكشاف: ٨٤/٤.
- (١٥) ينظر: البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني: ٥١/٣.
- (١٦) ينظر: تفسير البحر المحيط: ٢٣٠/٦.
- (١٧) ينظر: التفسير الكاشف: ٢١٩/٥.
- (١٨) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفى: ٢٠٠/١٠ (لعل).
- (١٩) ينظر: مغني اللبيب: ١٩٠/١.
- (٢٠) ينظر: نفسه: ٢٢٣/١، وتحليلات التعبير اللغوي في النص القرآني: ٦.
- (٢١) ينظر: تفسير الفخر الرازي: ٢٣٣/٢٤.
- (٢٢) ينظر: التفسير الكاشف: ٣١٥/٢.
- (٢٣) ينظر: الكشاف: ٦٧/٢، وتحليلات التعبير اللغوي في النص القرآني: ٦.
- (٢٤) ينظر: العوامل النحوية للجرجاني بين النظرية والتطبيق، د. محسن محمد قطب معالي: ٢٧، وتحليلات التعبير اللغوي في النص القرآني: ٦.
- (٢٥) ينظر: تحليلات التعبير اللغوي في النص القرآني: ٧.
- (٢٦) ينظر: تفسير البحر المحيط: ٣٨٨/٨.
- (٢٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٣٠٨ (طفً)، والقاموس المحيط: ٧٦٨ (طفً).
- (٢٨) ينظر: تحليلات التعبير اللغوي في النص القرآني: ٨.
- (٢٩) ينظر: الكشاف: ٣٣٤/٦، وتفسير البحر المحيط: ٤٣١/٨.
- (٣٠) تنظر الآيتان: الأنبياء: ٩٠، والمؤمنون: ٦١.
- (٣١) ينظر: العوامل النحوية للجرجاني: ٢٢، ومغني اللبيب: ٢٢٣/١.
- (٣٢) ينظر: الفروق الدلالية في الأسلوب القرآني، د. حسين عودة هاشم: ١٠٣.
- (٣٣) ينظر: زيادة التفاسير: ٤٤٩/٤.
- (٣٤) ينظر: الترتيب والمتابعة بحث في الأصول البلاغية والأبعاد الدلالية في القرآن الكريم: ٢١٦.
- (٣٥) ينظر: بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٣٣.
- (٣٦) ينظر: نفسه والصفحة نفسها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ☞ الأدوات النحويّة وتعدد معانيها الوظيفيّة دراسة تحليليّة تطبيقيّة، د. أبو السعود حسنين الشاذلي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط: الأولى، ١٩٨٩م.
- ☞ إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدّين الدّرويش، البيّمة للطباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، ط: السابعة، 1420هـ- 1999م.
- ☞ البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، (د.ط.)، (د.ت).
- ☞ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمّد بن عبد الله الزركشي (ت794هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط: الثالثة، 1404هـ- 1984م.
- ☞ بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن مُحمّد بن إبراهيم الخطابي (ت388هـ)، ضمن كتاب (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمّد خلف الله أحمد، ود. محمّد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط: الخامسة، 2008م.
- ☞ التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر مُحمّد بن الحسن الطوسي (ت460هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم المقدسة-إيران، (د.ط.)، 1409هـ.
- ☞ تحليلات التعبير اللغوي في النص القرآني، د. فاخر هاشم الياسري، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط: الأولى، 2018م.
- ☞ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن مصطفوي، مؤسسة الطباعة والنشر-وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط: الأولى، 1417هـ.
- ☞ الترتيب والمتابعة بحث في الأصول البلاغيّة والأبعاد الدلاليّة في القرآن الكريم، د. أمير فاضل سعد، عالم الكتب الحديث، عمّان، ط: الأولى، 2011م.
- ☞ تفسير البحر المحيط، محمّد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت745هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمّد معوض، ود. زكريّا عبد المجيد، ود. أحمد النجولي الجمل، قرضه: د. عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: الأولى، 1413هـ- 1993م.
- ☞ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن مُحمّد بن الحسين النيسابوري (ت٧٢٨هـ)، ضبط وتخرّيج: زكريّا عميرات، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

- كـ تفسير الفخر الرازيّ المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازيّ فخر الدين بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الريّ (ت604هـ)، دار الفكر، بيروت، ط: الأولى، 1401هـ-1981م.
- كـ التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الثالثة، 1981م.
- كـ الجديد في تفسير القرآن المجيد، الشيخ محمد السبزواري، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط: الأولى، ١٩٨٥م.
- كـ تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضيّ (ت406هـ)، تحقيق: محمد عبدالغني حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: الأولى، 1433هـ-2012م.
- كـ زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشانيّ (ت988هـ)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، ط: الأولى، 1423هـ.
- كـ العوامل النحويّة للجرجانيّ بين النظرية والتطبيق، تحقيق وشرح: د. محسن محمد قطب معالي، مؤسسة حورس الدوليّة، ط: الثانية، ٢٠١٠م.
- كـ مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاريّ (ت٧٦١هـ)، تحقيق وشرح: د. عبداللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط: الأولى، ١٤٢١هـ.
- كـ الفروق الدلاليّة في الأسلوب القرآنيّ، د. حسين عودة هاشم، دار البصائر، بيروت، ط: الأولى، 1434هـ-2013م.
- كـ القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآباديّ (ت817هـ)، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشليّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط: الثانية، 1424هـ-2003م.
- كـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ الخوارزميّ (ت538)، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ عليّ محمد معوض، ود. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: الأولى، 1418هـ-1998م.
- كـ متشابه القرآن ومختلفه، ابن شهر آشوب (ت588هـ)، مطبعة شركة سهامية، قم المقدسة، (د.ط)، 1328ش.
- كـ المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، د. محمد العبد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: الثانية، 1426هـ-2006م.
- كـ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانيّ (ت502هـ)، تحقيق ومراجعة: محمد خليل عيتانيّ، دار المعرفة، بيروت، ط: الخامسة، 1428هـ-2007م.
- كـ النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحويّ الدلاليّ، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.

دور الأنشطة القائمة على التعلم النشط في تنمية المهارات الاستقلالية لدى أطفال الروضة

من وجهة نظر المعلمات في محافظة إربد.

هلا مشهور عيسى الشريفيين

د. رانية حكمت فريجات

جامعة الإسرء-الأردن/ كلية العلوم التربوية

الملخص

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على دور الأنشطة القائمة على التعلم النشط في تنمية المهارات الاستقلالية لدى أطفال الروضة، تكونت عينة الدراسة من (٢٠٦) معلمة من معلمات رياض الأطفال المتواجدين في الرياض الحكومية والخاصة في محافظة إربد، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وللإجابة على أسئلة الدراسة أعدت الباحثة استبانة، وتم التحقق من صدقها وثباتها، أظهرت نتائج الدراسة أن دور الأنشطة القائمة على التعلم النشط في تنمية المهارات الاستقلالية لدى أطفال الروضة جاءت بمستوى كبير، كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الأنشطة القائمة على التعلم النشط في المؤهل العملي لصالح الدراسات العليا، وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الأنشطة القائمة على التعلم النشط في سنوات الخبرة لصالح (٥-١٠) سنوات. وتوصي الدراسة بإعداد برامج تدريبية لمعلمات رياض الأطفال لذوي المؤهل العلمي (البكالوريوس والدبلوم) ولذوي سنوات الخبرة الأقل من خمس سنوات لزيادة تفعيل الأنشطة القائمة على التعلم النشط في تنمية المهارات الاستقلالية.

الكلمات المفتاحية: الأنشطة القائمة على التعلم النشط، المهارات الاستقلالية، معلمات الروضة

The Role of Activities based on Active Learning in Developing Independent Skills of Kindergarten Children from the Perspective of Female Teachers in Irbid Governorate

Abstract

The current study aimed to identify the role of activities based on active learning in developing independent skills of kindergarten children (5-6) years of age. The study sample comprised (206) female teachers in public and private kindergartens in the governorate of Irbid. The study adopted the analytical descriptive method. To answer the study questions, the researcher designed a questionnaire that was verified for validity and reliability. The results revealed that there were differences with statistical significance

for the activities based on active learning pertaining to academic qualification in favor of postgraduate studies. They also revealed that there were differences with statistical significance pertaining to years of experience in favor of 5-10 years of experience. The study recommends holding training programs for female kindergarten teachers with (B. A or Diploma) and those with less than five years of experience to reinforce the activities based on active learning to develop independent skills

Keywords: Activities based on active learning; Independent skills; Kindergarten female teachers

المقدمة

تسعى التربية الحديثة والمعاصرة بالاهتمام بمرحلة الطفولة كمرحلة حرجة ومهمة إذ يتفق علماء النفس والتربية وعلماء الدين على أهمية مرحلة الطفولة واعتبارها من أهم مراحل نمو الشخصية حيث تعتبر هذه المرحلة الركيزة الأساسية في بناء وصقل شخصية الطفل، ففي مرحلة الطفولة يتم غرس القيم والاتجاهات والسلوكيات لدى الفرد والتي تتبلور في المراحل اللاحقة، فإذا أردنا جيل إيجابياً فعال فإننا نبدأ الاهتمام بما نكسبه ونغرسه في مرحلة الطفولة. ونشير إلى مفهوم الغرس كرس النباتات فإذا كان الغرس صحيح وتم مراعاة الغرس من اهتمام وتصحيح وتعديل ومراعاة للغرس من البدء تنمو وتصيح شجرة مثمرة، ومن ضمن المهارات الأساسية التي تبني شخصية مستقلة وقادرة على التعامل مع البيئة ومتغيراتها هي المهارات الاستقلالية والتي وجب الاهتمام بها وإكسابها للأطفال في مرحلة الطفولة وتتم في الأسرة والبيئة المدرسية، ومن هنا لا نغفل أهمية المدرسة التي تستخدم وتفعيل استراتيجيات وبرامج حديثة لتطوير المهارات الاستقلالية في مرحلة الطفولة.

وأشار (السليتي، ٢٠١٧) بأن التعلم النشط أكثر أنماط التعليم حداثة فهي استراتيجية تتمثل في طرح الأسئلة، التعلم التعاوني، وحل المشكلات، ساعدت هذه الاستراتيجيات في زيادة الاعمال الإبداعية لدى الأطفال، وتتمثل هذه الاستراتيجية في تفعيل دور الطفل في اكتساب المعرفة من خلال الأنشطة وهدفت الى تطوير القدرات الإبداعية لدى الأطفال ولتدريب الأطفال وإكسابهم مهارات استقلالية وتدعمها في المدرسة تعتبر استراتيجيات التعلم النشط من الاستراتيجيات التي تلعب دوراً في تطوير المهارات الاستقلالية، ففي دراسة عبد اللطيف (٢٠٢١) أشار الى ان استراتيجية التعلم النشط طورت من خلال استحداث معلمات راض الأطفال والأساليب والأنشطة التي ساهمت بقدرة الطفل على تنفيذ المهام بنفسه من خلال الأنشطة واللعب، ودور المعلم يتحدد بإعطاء صورة للطفل على كيفية القيام بالنشاط دون تدخل الا للضرورة.

وأكد شريدة (٢٠٢٠) بان المدارس الحديثة اهتمت بإكساب أطفال مرحلة ما قبل المدرسة بالمهارات الحياتية التي تعتبر من اهم المهارات الأساسية التي تزودها للطفل، ومؤكدة معظم الدراسات والأبحاث الى مدى أهمية السنوات الأولى من حياة الطفل، وأشارت إلى ضرورة تزويد الأطفال أفضل الوسائل لإنماء القيم والمبادئ واستغلال طاقاتهم وقدراتهم الإبداعية ليتمكن الطفل من مواجهة تحديات مجتمعة.

لذا تعد عملية اكساب المهارات الحياتية امر مهم وأساسي ووجب تنميتها لدى أطفال ما قبل المدرسة وتتضمن المهارات الحياتية المهارات الاستقلالية والتي تشتمل على مجموعة من المهارات الفرعية منها: تناول الطعام، والشراب، ارتداء الملابس، وخلعها، النظافة الشخصية، العناية بالمظهر، استخدام المراض، وقدرة الطفل على اكتساب هذه المهارات تزيد من ثقته بنفسه والقدرة على تحمل المسؤولية. (عبد اللطيف، ٢٠٢١).

واعترت ماريا منتسوري من أوائل المهتمين بدراسة المهارات الاستقلالية وأشارت ان الاستقلالية ان يتعلم الطفل بنفسه من خلال المحاولة والخطأ مع إعطاء الطفل فرصة ليكتشف الخطأ بنفسه، دون التدخل المستمر من قبل المعلمة الا في حالة الضرورة ويرجع السبب الى ذلك حتى لا يصبح الطفل اشبه بالآلة لا يعمل الا بالإرشاد والأوامر، واعتبرت الاهتمام باستقلالية الطفل يأتي من خلال استخدام المستمر للأنشطة حتى تعزز بالشكل المطلوب. (الحواس، ٢٠١٧)

وأشار مقدمي (٢٠١٩) إلى أهمية المهارات الاستقلالية التي تخدم الأطفال من خلال قدرتهم على قضاء حاجياتهم اليومية وقدرة على العيش حياتهم بشكل طبيعي، واعتبر الأطفال الغير قادرين على امتلاك المهارات الاستقلالية هم اقل قدرة على انجاز احتياجاتهم الأساسية .

واعترت (Waniek & Nae وبنك وني (٢٠١٨) ان المهارات الحياتية يمكن تنميتها من خلال التعلم النشط وهي استراتيجية حديثة مؤكدة ان المتعلم هو محور العملية التعليمية، من خلال مساهمة الطفل الفعالة في اكتشاف كل ما حوله من خلال أنشطة حسية تتناسب مع قدراته.

مشكلة الدراسة وأسألتها:

نظرا لأهمية مرحلة الطفولة المبكرة في بناء شخصية الطفل وكون المرحلة مرحلة حرجة في تعليم واكساب الطفل مهارات استقلالية والتي تساعد الطفل في مواجهة تحديات العصر الحالي والتي تتضمن مهارات حل المشكلات.

ومن خلال اطلاع الباحثة على الدراسات والأبحاث السابقة وجدت ندرة الدراسات التي تناولت موضوع المهارات الاستقلالية لدى أطفال ما قبل المدرسة، ومن خلال التفاعل مع المحيطين والأطفال لاحظت الباحثة وجود ضعف في بعض المهارات الاستقلالية لدى الأطفال من عمر (٤-٦) سنوات واعتمادهم بشكل ملحوظ على المحيطين في القيام بالمهام الخاصة بهم.

ومن احدى توصيات دراسة عبد اللطيف (٢٠٢١) أشار إلى ضرورة ادراج برامج وانشطة تنمي المهارات الضرورية لدى أطفال ما قبل المدرسة والتي من ضمنها المهارات الاستقلالية عن طريق استراتيجيات التعلم النشط وعقد دورات تدريبية لتدريب معلمات رياض الأطفال على استراتيجيات التعلم النشط. وكما أوصى الخفاف والطعان (٢٠٠٧) إلى مدى أهمية تشجيع الأطفال للمشاركة في الأنشطة والفعاليات التي تدعم السلوك الاستقلالي. وأشار فؤاد (٢٠١٨) الى أهمية تعزيز السلوك الاستقلالي عند المتعلم، موضح ان التعلم القائم على الاستقلالية يتيح فرصة لتنمية مهارات وقدرات المتعلم بطريقة إيجابية، فهو ليس مستقبلا للمعلومات انما مشارك وجامع لها، مما يجعل بنيتة المعرفية أكثر ثباتا ورسوخا، وتنتقل مسؤولية عملية التعلم الى المتعلم، وكما وضح مقدمي (٢٠١٩) ان المهارات الاستقلالية ضرورة يومية ملحة يصبح من خلالها الطفل قادر على العناية بالذات والتي تتضمن الاهتمام بالمظهر الشخصي بالشكل المطلوب.

تتناول الدراسة الأسئلة التالية:

1. ما دور الأنشطة القائمة على التعلم النشط في تنمية المهارات الاستقلالية لدى أطفال الروضة من وجهة نظر المعلمات؟
2. هل يوجد فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) في دور الأنشطة القائمة على التعلم النشط والمهارات الاستقلالية لدى طفل الروضة من وجهة نظر المعلمات تعزى لمتغير (المؤهل العلمي-سنوات الخبرة)؟
أهمية الدراسة:
تظهر أهمية الدراسة من الناحيتين (النظرية والتطبيقية)
الأهمية النظرية:
1. تسهم الدراسة في تسليط الضوء على الأنشطة القائمة على التعلم النشط في تنمية المهارات الاستقلالية لدى أطفال ما قبل المدرسة.
2. تسهم الدراسة في إثراء المكتبة الأردنية بأدب نظري حول المهارات الاستقلالية.
3. ندرة الدراسات التي تناولت المهارات الاستقلالية في مرحلة ما قبل المدرسة.
4. طرح أفكار جديدة للجهات المسؤولة عن العملية التعليمية في تفعيل الأنشطة القائمة على التعلم.
5. حداثة هذه الدراسة على المستوى المحلي على حد علم الباحثة وكما أشار الكتاب الصادر من قاعدة البيانات بالجامعة الأردنية .

الأهمية التطبيقية:

تظهر الأهمية التطبيقية للدراسة من خلال ما ستتوصل إليه نتائج الدراسة وإمكانية الاستفادة من التوجيهات والتوصيات في عمل المزيد من الأبحاث المتعلقة في تنمية المهارات الاستقلالية لطفل الروضة وأنشطة القائمة على التعلم النشط.

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الحالية في القاء وتبسيط الضوء على الأنشطة وبالأخص التعلم النشط ودوره وأهميته في تنمية المهارات الاستقلالية، وتبسيط الضوء على أهمية المهارات الاستقلالية في مرحلة الطفولة باعتبارها مرحلة حرجة في بناء شخصية الطفل وفي تأثيرها على المراحل اللاحقة كالمراهقة والرشد .

حدود ومحددات الدراسة:

الحدود الموضوعية: التعرف على دور الأنشطة القائمة على التعلم النشط في تنمية المهارات الاستقلالية من وجهة نظر المعلمات.

الحدود البشرية: سيتم الدراسة على عينة من المعلمات رياض الأطفال الذين يستخدمون الأنشطة اثناء عملية التدريس .

الحدود المكانية: سيتم اجراء الدراسة في رياض الأطفال الحكومية والخاصة في محافظة اربد.

الحدود الزمانية: سيتم اجراء الدراسة في الفصل الاول (٢٠٢٢/٢٠٢٣).

يتم تعميم نتائج الدراسة في ضوء المحددات التالية:

1. اقتصرها على عينة من المعلمات الرياض الحكومية والخاصة في محافظة اربد.

2. أداة الدراسة المستخدمة في تحديد دور الأنشطة القائمة على التعلم النشط في تنمية المهارات الحياتية لدى أطفال ما

قبل المدرسة ومدى صدقها وثباتها وطريقة تطبيقها.

مصطلحات الدراسة:

التعلم النشط

عرفه كل من سعدية واسمهان (٢٠١٩، ص ١٨٥) بأنها مبادرات ذاتية من قبل الطفل، تهدف على تفعل دوره في الموقف التعليمي، ويعتمد الطفل على نفسه في الحصول على المعلومات واكتساب المهارات، وتكوين القيم والاتجاهات، مُبتعداً عن أسلوب الحفظ والتلقين وإنما على اشراك الطفل في الموقف التعليمي وقدرة الطفل على حل المشكلات.

عرف كل من (Pekodogan,kanak 2016، ص ٢٣٣) التعلم النشط هو اسلوب تعليمي يمنح الطفل فرصة اتخاذ القرار وتحمل المسؤولية ويجد الاطفال الاشياء التي تمكنهم القيام بها وفقاً لاهتماماتهم وأهدافهم والتحدث عنها.

وعرفه عاصي (٢٠١٨، ص١٣٦) بأنه نمط قائم على النشاط؛ محور الطالب بحيث يكون خلال التعلم متفاعلا وإيجابيا ونشطا ومشاركا، تحقيقا لمبدأ اكتشاف المعرفة لا تلقيا، وتفيد دور المعلم من مرسل الى موجه مرشد. وتُعرفه الباحثة إجرائيا: التعلم النشط هو التعلم القائم على اهتمامات الطفل ما قبل المدرسة والتي تستخدمه المعلمة لتمكين الطفل من تقديم الملاحظات وإقرار كيفية تنفيذ النشاط مبتعدا عن الأسلوب التقليدي. المهارات الاستقلالية:

عرّفه فؤاد (٢٠١٨، ص ١٨٢) بأنها ممارسات تمكن الطفل بالقيام باحتياجاته بكفاءة وتحمل المسؤولية والتفاعل مع الآخرين ككائن اجتماعي مسؤول، وتتيح فرصة للتفاعل والعمل وتنمي القدرات العقلية لدى الطفل في البحث والاستقصاء والعمل بروح فريق .

وعرفه كل من (Latifah, Wahyu, Metroyadi 2019، ص٩) بأنها مهارات تُنمي الوعي بالذات عند الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة وتشجعه على ان يكون مسؤول عن نفسه بعيدا عن الاتكالية مما تنمي الثقة بالنفس عند الطفل وتجعله قادرا على ضبط انفعالاته.

وعرفه الخفاف (٢٠١٦، ص٢٩٥) هي سلوكيات مكتسبة تتمثل بقدرة الطفل على انجاز الاعمال الخاصة به دون اللجوء لطلب المساعدة من الآخرين .

وتعرفه الباحثة إجرائيا: بأنها المهارات التي يتم إرفاقها بالاستبانة ويتم الإجابة عنها والتي تساعد طفل ما قبل المدرسة على الاعتماد على النفس في أداء المهام المطلوبة منه.

طفل الروضة: يعرفه حميدة ومعروف (٢٠٢٠) هو الطفل الذي يلتحق بالروضة ويخضع لإشراف تربوي بما يتناسب مع متطلبات عمره واحتياجاته.

معلمة رياض الأطفال: هي المعلمة التي تخدم الطفل من خلال تلبية احتياجاته وتطوير شخصيته بما يتناسب مع قدراته وميوله ويتم تعيينها بعد التلقي التدريبي المناسب وقدرتها على التعامل مع الأطفال. (عبد الرؤوف، ٢٠٠٨).

الإطار النظري

الأنشطة

الأنشطة واحدة من الضرورات الأساسية لدى الطفل ما قبل المدرسة لأنها تساعده في عملية النمو من جميع جوانبه، إذ يقوم الطفل بأي نشاط من فطرته، ومن تلقاء نفسه، لإشباع حاجاته من خلال هذا النشاط، وهذا يشير إلى أهمية التخطيط للأنشطة بطريقة تتيح فرصة لكل طفل الاشتراك فيها وفق قدراته الخاصة، وسرعة نموه وتعتبر وسيلة الطفل لتعلم المهارات المختلفة، وتنمية المواهب العقلية، والابتكار، والابداع، وتوفر فرصة للأطفال على اختيار والتعبير عن

اختياراتهم، وتكسب الطفل فرصة في تحمل المسؤوليات والاعباء مما يدعم من ثقتهم بأنفسهم. (عبدالغني، الأحمد، ٢٠١٧)

ويشير القهوجي (٢٠٢١) إلى أهمية الأنشطة أنها تساعد في اكتشاف مواهب الأطفال وتنميتها، لذا واجب على المعلم توجيهها توجيه تعليمي صحيح، وكذلك للأنشطة أهمية في زيادة دافعية الطفل للتعلم واكتساب مهارات أكاديمية وحياتية من خلال تفعيل الأنشطة وتطبيقها على مواقف الحياة، وهي كذلك توثق الصلة بين المعلم والطالب من جهة، والطالب وزملائه من جهة أخرى .

وهذا ما أكدته المكي (٢٠١٧) إذ أشار إلى ان الأنشطة تساعد في : إعطاء فرصة للاستفادة من أوقات فراغ الطفل بنافع والمفيد و تساعد في اكتشاف المواهب وتعمل على تنميتها وتوجيهها في الاتجاهات السليمة كما تعلم التخطيط والعمل كفريق وتنمي روح العمل التعاوني والروح الرياضية. التعلم النشط:

التعلم النشط هو التعلم القائم على الأنشطة المختلفة التي يمارسها المتعلم وينتج عنها سلوكيات تعتمد على مشاركة المتعلم في الموقف التعليمي، تنادي بنقل بؤرة الاهتمام من المعلم الى المتعلم وجعل المتعلم محور العملية التعليمية، من خلال اشراك الطالب بالأنشطة والتمارين بفاعلية كبيرة من خلال بيئة تعليمية غنية ومتنوعة تسمح لهم بالحوار البناء، المناقشة، والتفكير الإيجابي، ووجود المعلم يشجعهم على تحمل مسؤولية تعلم أنفسهم تحت إشرافه (جاب الله، أحمد، رزق، محمد، ٢٠١٤).

ويعد طيباوي ودومي (٢٠١٩) أن التعلم النشط مرتبط بمفاهيم النظرية المعرفية والنظرية البنائية، فالطلبة يتعلمون من خلال مشاركتهم المستمرة في العملية التعليمية، حيث يفكرون ويحللون ويتحدثون ويكتبون ما تعلموه، ويربطونه بحياتهم اليومية.

كما أشار بيكجودان وكاناك ((Pekodogan & kanak, 2016) الى دور التعلم النشط في دعم عملية التعليم للأطفال من خلال اتاحة المجال لهم للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم مم يدعم التفكير الإبداعي الذي يساهم في نموهم وتطورهم.

وذكرت (الحسني، ٢٠١٩) بان التعلم النشط يركز في الطفولة المبكرة على:

1. أهمية الأركان التعليمية التي تتيح فرصة للأطفال بواسطة اللعب فرصة الاكتشاف وتعميق مفاهيم الاستقلالية.

2. المناقشة والحوار حيث يناقش الطفل مشاعره واحاسيسه حيال موقف من حياته اليومية.

3. لعب الأدوار لتسهيل عملية التواصل والشعور بالآخرين

4. التعلم بالاكشاف وهنا يستفيد الطفل من حواسه وجسده لبناء المفاهيم وملاحظة الحياة من حوله.

مميزات التعلم النشط

يجعل للتعلم بهجة ومتعة، ويكسب الطفل جوانب مهنية وجوانب انفعالية، ومهارات وخبرات اجتماعية يصعب اكتسابها داخل الفصول العادية مثل التعاون وتحمل المسؤولية وضبط النفس والابداع، ويعد مجالاً للكشف عن ميول الأطفال واشباع حاجاتهم، ويساعد على إكساب التواصل، ويعزز التنافس الإيجابي بين المتعلمين، ويعزز روح المسؤولية والمبادئ بين الأطفال وينمي قدرة الأطفال على التفكير والبحث. (زرزواني، ٢٠٢٠)

فلسفة التعلم النشط:

تنبثق أهمية التعلم النشط من فلسفتها التربوية التي تؤمن بدور المتعلم الإيجابي في العملية التعليمية من خلال مشاركته الفعالة في البحث والمحاولة للحصول على المعلومة واكتساب المهارات ومن خلال تنمية التفكير وحل المشكلات، والتعلم التعاوني والمجموعات وطرح الأسئلة والمناقشة (طيباوي ودومي، ٢٠١٩).

فقد أشار عبد الجليل (٢٠١١) إلى أن فلسفة التعلم النشط من أكثر الفلسفات وضوحاً، والتي نادى بدور الطالب في العملية التعليمية، فهو ليس الملقى للمعلومة، بل من يختار ما يريد تعلمه ويتحمل مسؤولية قراره، ويعزز المعلم الطالب باستمرار أثناء التعبير عن نفسه بالطريقة التي يريد، ويقع على عاتق المعلم مراقبة سير النشاط وتوجيه ومراقبة الطلاب بين الحين والآخر .

وهذا ما أكدته دراسة حسني وبريك (٢٠١٩) أن فلسفة التعلم النشط تهدف إلى تفعيل دور الطالب وكل ما يلبي احتياجاته واهتماماته ضمن الواقع الذي يعيشه؛ حيث أهملت أسلوب الحفظ والتلقين واهتمت بوضع الطالب في العملية التعليمية .

وكما أشار رمضان (٢٠١٦) الى ما تتضمنه فلسفة التعلم النشط ارتباط التعلم النشط باحتياجات الطفل واهتماماته منها شعور الطفل بالأمان والتقدير وحدث التعلم خلال التفاعل المستمر بين الطفل والبيئة المحيطة به؛ أي في جميع الأماكن "البيت، الروضة، دور العبادة، النوادي". كما يضع الطفل في مركز العملية التعليمية، والتي أشار إليها بن مالك والشليبي (٢٠٢١) بأنها نظام معرفي يتكون من المعلم والطالب والمادة الدراسية تهدف إلى رفع مستوى الطالب وتحسينه. إذ لم تعد تكفي باستخدام استراتيجية واحدة في التعليم الأطفال بل تنوعت وسائل التعليم بما يتناسب مع قدرات الطفل وسرعة نموه، وإتاحة الفرصة للأطفال لاكتشاف المعارف بأنفسهم من خلال مبادراتهم الذاتية .

و تعد الروضة البيت الثاني للطفل، والتي تساعد في تنشئته وإكسابه العادات والقيم والتقاليد، لذا فإن معلمة الروضة تلعب دوراً حاسماً ومهماً في إكساب الطفل المهارات الأساسية، لذا أوصى عطوي وعبداله (٢٠١٨) إلى ضرورة تطوير

الأداء المهني لدى معلمات رياض الأطفال، فالمعلمة لا يقتصر دورها على إلقاء المعلومة، بل استخدام أسلوب تربوي تعليمي يخدم الطفل ويهتم بميوله واتجاهاته، كما أشار إلى بعض من الدراسات الحديثة التي اهتمت بأسلوب التعلم النشط وعده أسلوباً حديثاً وجب مواكبته .

2016)

وقد ذكر طيباوي ودومي (٢٠١٩) استراتيجيات التعلم النشط التي تتضمن عدداً من الأنشطة القائمة على التعلم النشط، وهي الحوار والمناقشة، لعب الدور، التعلم التعاوني، مسرحية المنهج، التعلم الذاتي، العصف الذهني، حل المشكلات، الاكتشاف، تعلم الأقران، الخرائط الذهنية.

الحوار والمناقشة

يعد أسلوب التدريس بالحوار والمناقشة (Dialogue and discussion) من الأساليب التي أهتم بها الفيلسوف سقراط، فهو أسلوب قائم على تبادل الحوارات والآراء، وما زال هذا الأسلوب يستخدم حتى يومنا هذا؛ لتركيزه على إشراك الطفل بالعملية التعليمية بدلاً من كونه مستمعا سلبياً، وتمتع المعلمة بالمهارة العالية في أداء الحوار يعزز نجاح الأسلوب؛ إذ يتطلب من المعلمة وضوح السؤال والصيغة بطريقة واضحة، والموازنة بين الأطفال وتنظيمها عند الإجابة على السؤال لتفادي حدوث الضوضاء والإجابات الجماعية بين الأطفال (فوزان، ٢٠١٨).

ويستند التدريس بالحوار والمناقشة إلى مبادئ النظرية الاجتماعية والثقافية ونظرية فيجوتسكي، فهو لا يقتصر على كونه نشاطاً، إنما أسلوب تدريس يدعم التفكير، فيأتي دور المعلم بإعطاء سؤال مفتوح يثير تفكير الطلاب وينقلهم من حالة الكسل والملل إلى حالة التفاعل، ويساعد في تعديل الأفكار وإعادة صياغتها بعد التفاعل المستمر بين الطلاب من خلال تبادل وجهات النظر السعي إلى تطويرها. (Hmeidan, 2018)

لعب الدور

يعد أسلوب لعب الدور (Role-play) أسلوباً تعليمياً فعالاً يخلق تجارب فضولية تحفز الطفل على الممارسة؛ إذ يبنى هذا الأسلوب على فرض أن للطفل دوراً عليه أن يقوم به، معبراً عن ذاته أو عن طفلاً آخر في موقف محدد، ويؤدي في مكان وزمان محددتين، ولعب الدور أنماط تتمثل في لعب الدور التلقائي، ولعب الدور المخطط له (أبو الحاج والمصالح، ٢٠١٦).

وكما أشار (Elmore, 2014) أن لعب الدور من أفضل الممارسات التعليمية من سبعينات القرن الماضي، ويرجع السبب في ذلك إلى ما يعطى للأطفال من ناحية نظرية يطبق على أرض الواقع من خلال ممارسة الدور، ويقود ذلك إلى المزيد من التفكير والاحتفاظ بالمعرفة، ويسهل نقلها من الذاكرة قصيرة المدى إلى الذاكرة طويلة المدى .

التعلم التعاوني

يعد التعلم التعاوني (Cooperative learning) أسلوب تدرّيس فعّل دور الطالب في العملية التعليمية بشكل مختلف، عن طريق العمل الجماعي وإعطاء الأنشطة الجماعية، وهو قائم على تقسيم الطلاب في الغرفة الصفية إلى مجموعات، وتباين المجموعات في أعضائها من القدرات والسمات الشخصية ويجمعهم هدف مشترك واحد وهو إنجاز المطلوب منهم بشكل جماعي بعيدا عن الفردية، واتجه العالم في الآونة الأخيرة إلى التعلم التعاوني كأسلوب تدرّيس بدلا من التعلم الفردي، وأشار مسبقا إلى بعض من الفلاسفة الذين نادوا بأهمية التعلم التعاوني منهم: الفيلسوف سقراط، والفيلسوف ابن جماعة وغيرهم (عوض، ٢٠٢٢).

مسرحة المنهاج

يعد مسرحة المنهاج (Curriculum Drama) أسلوب تدرّيس خرج عن نطاق التلقين معتمدا على الدراما كأسلوب تعليمي مما سهل على الطلاب فهم ما يقدم إليهم من معلومات من مختلف الموضوعات المدرسية، والذي عبر عن الخبرات الحياتية بشكل مختلف، وتفعيل هذا الأسلوب خاصة لأطفال مرحلة ما قبل المدرسة ومرحلة الابتدائي يطلق المواهب وينشئ بيئة صفية تفاعلية، وعدّت دوروثي هيث كوت الرائدة في مجال الدراما عبر المنهاج من أبرز الداعمين لاستخدام المسرح، التي لم تصف المسرح كخشبة، إنما بيئة تعليمية، والتي تحدد دور المعلم بأنه الموجه والميسر للعملية التعليمية (حايلك، ٢٠١٦).

وتظهر أهمية المسرح التعليمي لأطفال مرحلة ما قبل المدرسة، فقد أشارت بعض الدراسات إلى أن الأطفال يميلون إلى تذكر ١٠% مم قرئ، و ٢٠% مم يتم استماعه، و ٣٠% مم يرونه، و ٥٠% مم يرونه ويسمعوه، و ٩٠% مم يرونه ويسمعونه ويفعلونه، وتؤكد هذه النسب الدور الفعال للمسرح في ترسيخ ما تعلموه الأطفال بنسبه ٩٠ (Little Sunshine's Playhouse and Preschool, 2023).

التعلم الذاتي

اشتهر مفهوم التعلم الذاتي (Self-Learning) بفضل ماريا منتسوري ونماذج سكرن، اللذان شجعا الطفل على التعلم بنفسه، ويعد أسلوبا تعليميا هادفا متنوع الأنشطة والفعاليات، ويبدأ الطفل باختيار الأنشطة والأساليب التي تناسب مع رغباته وميوله مشكلا فيما بعد معرفه تراكمية مستمرة تكبر معه طيلة الحياة، وواحدة من مسوغات استخدام التعلم الذاتي مع الطفل؛ يدرّب الطفل على حل المشكلات في بيئة تعليمية غنية بالابتكار والإبداع (صفوت، ٢٠١٩).

المحور الثاني: المهارات الاستقلالية

يعتبر العالم اريكسون من العلماء الذين أشاروا الى أهمية الاستقلالية في حياة الطفل اذ انها تعتبر المرحلة الثانية من مراحل النمو النفسي والاجتماعي لإريكسون، وتبدأ مرحلة الاستقلالية في عمر السنتين، حيث يبدأ الطفل بالقدرة على التحكم والاعتماد على نفسه، وحدوث أي خلل في في تنمية الاستقلالية للطفل تؤدي الى حدوث خلل في المراحل اللاحقة، إذ ان الاستقلالية تشعر الطفل بالحرية وتحقق له التوازن النفسي في عملية النمو. (الخفش، عوض الله، الشحات، عاشور، ٢٠١١)

وتعرف الاستقلالية بـ "تحرر الفرد من الالتصاق بالآخرين حتى يصبح قادرا على الاعتماد على نفسه في تلبية حاجاته والقدرة على إقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين وإبداء رأيه في بعض الأمور الخاصة به بشكل مقبول" (الغلبان، ٢٠٠٨، ص ٣١).

تعد المهارات الاستقلالية مهارات يومية لازمة تمكن الطفل من التخلص من الشعور بالإحباط والقلق والعجز، بعد أن يتمكن من أداء المهارات المطلوبة منه بالشكل الصحيح دون الحاجة إلى المساعدة، وتظهر حاجة الطفل لتعلم هذه المهارات عندما يصبح قادرا وظيفيا، ويظهر اهتمامه وحاجته إليها قبل سن البلوغ، وهي مهارات يومية بسيطة وتشتمل على: النظافة الشخصية غسل الوجه، الاستحمام، غسل اليدين، استخدام المراض، ورائحة الجسم، تنظيف الأسنان، تغيير الملابس المتسخة، قص الشعر، غسل الشعر، وتعد مهارات ضرورية تجعله طفلا مقبولا اجتماعيا، ويشعر أنه مرغوب به، وكما تعزز عند الطفل شعوره بالاستقلال الذاتي دون الاعتماد على الآخرين (Eleni, 2022).

واعتبر فؤاد (٢٠١٨) الاستقلالية عبارة عن مهارات تتطور عند الأطفال باستخدام تقنيات وأساليب متنوعة تجعله فردا قادرا على أداء المهام المطلوبة منه وتحمل المسؤولية، والتفاعل مع الآخرين ككائن اجتماعي .

تصنيف المهارات الاستقلالية حسب الجمعية الأمريكية

تتضمن المهارات الاستقلالية حسب الجمعية الأمريكية التي اشارت إليها دراسة المقدمي والمقاوسي (٢٠١٩) كما يلي:

- مهارة تناول الطعام وتتضمن استعمال أدوات المائدة، والجلوس على مائدة الطعام بنفسه، وشرب الطفل السوائل من الكوب بنفسه، وتناول الطفل الطعام دون الحاجة الى المساعدة، والمحافظة على ملابسه أثناء تناوله للطعام.

-مهارة استعمال المراض والتي تتضمن استخدام المقعد بشكل صحيح، والمحافظة على نظافة المقعد بعد الاستخدام.

-مهارة المظهر العام و تتضمن مهارة ارتداء الملابس وخلعها، و العناية بالملابس، و مهارة فك الازار وربطها، و ارتداء

ما يناسب جسمه، و مهارة لبس الحذاء و خلعة.

-مهارة النظافة تتضمن مهارة غسل اليدين والوجه، والاستحمام بنفسه، و مهارة النظافة الشخصية، و تنظيف الأسنان

بالفرشاة، وقص الاظافر.

- مهارة التنقل وتتضمن مهارة استعمال وسائل النقل العامة، ومعرفة الاتجاهات والإحساس بها، والمؤسسات العامة، وحسن التصرف في اثناء تأدية المهارة.

معلمات رياض الأطفال

أشار موسى (٢٠٢٠) بان نجاح تدريس الطفل بالوسائل الحديثة والأنشطة مرهون بأسلوب المعلمة ودورها أساسي فهي الموجة والمرشد للعملية التربوية بالابتعاد عن أسلوب التلقين، فتدريب المعلمات قبل الخدمة، يساعد في تحسين أدائهن في المهارات المقدمة للأطفال في هذه المرحلة، وتزويدهن بالمهارات والمعارف والاستراتيجيات المناسب استخدامها للأطفال هذا العمر، فهي جوهر العملية التربوية.

تمثل المعلمة أهم جزء في الروضة وفي العملية التربوية والتعليمية فهي تلعب دورا كبيرا ومؤثرا في تكوين شخصية الطفل إذ تقضي وقتا طويلا نسبيا مع الأطفال، لذا فإن نحت تحقيق رسالة رياض الأطفال يعتمد على وجود معلمة ذات تأهيل عملي وتربوي للعمل مع هذه المرحلة الحساسة. (الظاهر وعبد الرحيم، ٢٠١٠).

وعلى معلمة رياض الأطفال المتمتع بالكفايات الشخصية المعرفية وهي أن تكون المعلمة قادرة على مواكبة التغيرات والتطورات في العملية التربوية والتعليمية وأن يكون لديها القدرة على الابتكار والتجديد المستمر في مجال عملها وفي طبيعة الأنشطة والوسائل التعليمية المناسبة لمرحلة رياض الأطفال وأدراك المفاهيم والمهارات والاتجاهات المنتظمة في الأنشطة. (موسى، ٢٠١٩)

أشار أبو الهيجاء (٢٠٢١) إلى عدد من أدوار معلمة رياض الأطفال وهي:

1. تحفيز الأطفال على البرامج المخطط لها بشكل يومي يساهم في زيادة التشويق والتفكير والتخيل لدى الأطفال
2. مرونة البرامج اليومية يعتمد على تخطيط المعلمة، بطريقة تسهل على المعلمة استخدام قدر أكبر من الأنشطة والتنوع والانضباط
3. تحفيز الأطفال على التعبير والتحدث بأسلوبهم الخاص بشكل مستمر عند الكلام
4. تنوع الأنشطة والألعاب يحفز الطفل على التفكير وحب الاكتشاف دون الشعور بالملل
5. المعلمة موجه ومراقبة للنشاط، وتبدي حلول للمشاكل التي يتعثر بها الأطفال بالحوار والمناقشة
6. مراعاة الاهتمام بجميع الأطفال، وإيجاد البدائل في حال عدم مشاركة أحد الأطفال في لعبة ما، او نشاط او سلوك معين.

الدراسات السابقة

سيتم ذكر الدراسات التي تناولت الأنشطة القائمة على التعلم النشط والمهارات الاستقلالية، من الاحداث إلى الأقدم .

هدفت دراسة عبد اللطيف (٢٠٢١) التعرف على فاعلية برنامج قائم على التعلم النشط والمشاركة الوالدية لتنمية بعض المهارات الحياتية لدى أطفال الروضة، وتكونت العينة من ٦٠ طفل وطفلة من الأطفال الملتحقين برياض الأطفال في مصر وتتراوح أعمارهم ما بين ٥-٦ سنوات، واتبعت المنهج الشبة تجريبي، حيث وزعت عينة الدراسة على مجموعتين أحدهما تجريبية والأخرى ضابطة يهدف قياس فاعلية البرنامج، واستخدمت الباحثة إداة الدراسة الآتية : قائمة المهارات الحياتية المناسبة لأطفال الروضة، اختبار المهارات الحياتية المناسبة لأطفال الروضة، بطاقة ملاحظة المعلمة/ ولي الأمر للمهارات الحياتية لأطفال الروضة، وظهرت نتائج الدراسة ان استخدام أدوات التعلم النشط والمشاركة الوالدية لها تأثير واضح في تنمية معارف واداءات الأطفال وممارساتهم المرتبطة بالمهارات الحياتية .

وكما هدفت دراسة شريدة (٢٠٢٠) التعرف على فاعلية برنامج قائم على تفعيل ساعة النشاط لتنمية بعض المهارات الحياتية لدى أطفال مرحلة الطفولة المبكرة، في المملكة العربية السعودية، وتكونت العينة من ٣٢ طفلة بعمر الطفولة المبكرة . واتبعت المنهج الشبة تجريبي، واستخدمت الدراسة مجموعة من الأدوات من مقياسين الاستطلاع رأي كل من الأمهات والمعلمات المرحلة العمرية المستهدفة ويصمم برنامج في ضوء تلك الاستبيانات، وظهرت نتائج الدراسة أن ممارسة الأنشطة اللاصفية بساعة النشاط تتصف بالفاعلية في تنمية بعض المهارات الحياتية لأطفال مرحلة الطفولة المهارات الحياتية.

وهدفت دراسة زروالي (٢٠٢٠) التعرف على درجة ممارسة أساتذة المرحلة الابتدائية لاستراتيجيات التعلم النشط وفق مقارنة التدريس بالكفاءات، وتكونت عينة الدراسة من (١١٧) أستاذًا من أساتذة المرحلة الابتدائية بمدينة إم البواقي في الجزائر، واتبعت المنهج الوصفي، واستخدمت الاستبيان كاداه لجمع المعلومات، وأظهرت نتائج الدراسة أن درجة ممارسة أساتذة المرحلة الابتدائية لاستراتيجيات التعلم النشط وقف مقارنة التدريس بالكفاءات جاءت بدرجة عالية، كما بينت النتائج وجود فروق في درجة ممارسة أساتذة المرحلة الابتدائية لاستراتيجيات التعلم النشط وفق مقارنة التدريس بالكفاءات تبعًا لمتغير الخبرة .

وهدفت دراسة مقدمي (٢٠١٩) الى التعرف على فاعلية برنامج تأهيلي في تنمية بعض المهارات الاستقلالية لدى أطفال متلازمة داون (غسل اليدين تناول الطعام ارتداء الملابس)، وتكونت عينة الدراسة من ٦ أفراد في الجزائر تم اختيارهم بشكل قصدي، واتبعت الدراسة المنهج الشبة تجريبي، وظهرت نتائج الدراسة توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والقياس البعدي في مهارة غسل اليدين، ومهارة ارتداء الملابس بعد تطبيق البرنامج التأهيلي على عينة الدراسة لصالح القياس البعدي.

وكما هدفت دراسة (latifah, Wahyu, Metroyadi (2019) الى التعرف على تأثير التعليم والتوظيف والرعاية على استقلالية الطفل، وتكونت عينة الدراسة من ٢١٢ من الآباء والأطفال بطريقة عشوائية بسيطة في اندونيسيا، واتبعت المنهج الوصفي، واستخدام الاستبيان كأداة لجمع المعلومات، وظهرت نتائج الدراسة التأشيريات المباشرة إلى عمل الإباء على استقلالية الأطفال وأداء الوالدين على استقلالية الأطفال ومستوى تعليم الوالدين حول رعاية الطفل وكما أظهرت النتائج مستوى الوالدين في التربية على استقلال الأطفال من خلال الأبوة والامومة، وعمل الوالدين على استقلال الأطفال من خلال الامومة والابوة.

هدفت دراسة كوون وليم (Kwon & Lim, 2019) إلى التعرف على تطوير برنامج غسل اليدين وآثاره باستخدام لعب الدور في سن أطفال ما قبل المدرسة، وتكونت العينة من ستة وأربعين طفلاً من أطفال الروضة ووزعت على مجموعتين إحداهما ضابطة وعددها ثلاثة وعشرون طالباً وطالبة والأخرى تجريبية وعددها ثلاثة وعشرون طالباً وطالبة في كوريا الشمالية، واتبعت المنهج التجريبي، واستخدمت اختبار فيشر الدقيق، واختبار شاب-يرو-ويلك، واختبار مان ويتي، واختبار فريدمان كأداة لجمع المعلومات، وأظهرت نتائج الدراسة وجود أثر للعب الدور في غسل اليدين لصالح المجموعة التجريبية .

وهدفت دراسة العاصي (٢٠١٨) التعرف على فاعلية التدريس باستراتيجيات التعلم النشط في إكساب طلبة الصف الثاني الأساسي المعرفة الوطنية والحياتية، وتكونت عينة الدراسة (٨٢) طالباً وطالبة من طلبة الصف الثاني الابتدائيين فلسطين وتم اختيار العينة بطريقة عشوائية وتم توزيعها على مجموعتين إحداهما ضابطة وعددها (٤١) طالباً وطالبة والأخرى تجريبية وعددها (٤١) طالباً وطالبة، واتبعت الباحث المنهج الشبة تجربي، واستخدام اختبار المعرفة الوطنية والحياتية أداة لجمع المعلومات، وظهرت نتائج الدراسة توجد فروق ذات دلالات إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) (بين متوسطي درجات طلبة المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في اختبار المعرفة الوطنية ولصالح المجموعة التجريبية، وكذلك توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) بين متوسطي درجات طلبة المجموعة التجريبية في اختبار المعرفة الوطنية والحياتية قبل التطبيق وبعده لصالح التطبيق البعدي، وكما تتصف استراتيجية التعلم النشط بفاعلية في إكساب طلبة الصف الثاني الأساس بغزة للمعرفة الوطنية والحياتية وفقاً لمعدل الكسب بلاك.

وهدفت دراسة حواس (٢٠١٧) التعرف على فاعلية برنامج لتنمية بعض المهارات الاستقلالية لدى طفل الروضة، وتكونت العينة الدراسة من ٥٠ طفل وطفلة في السعودية تتراوح أعمارهم ما بين (٥-٦) سنوات بواقع (٢٥) طفل وطفلة للمجموعة التجريبية و(٢٥) طفل وطفلة للمجموعة الضابطة وتم اختيارهم بشكل عشوائي، واتبعت الباحثة المنهج الشبة تجربي، واستخدمت مقياس المهارات الاستقلالية لأطفال الروضة، وبرنامج لتنمية بعض المهارات الاستقلالية

لأطفال الروضة، وظهرت نتائج الدراسة ان هنالك فروق ذات دلالة إحصائية في الدرجة الكلية للسلوك الاستقلالي وابعاده الفرعية متمثلة في (الاعتماد على النفس-القدرة على التحمل-التفاعل وتكوين علاقات اجتماعية مع الاخرين- إبداء الرأي) لدى أطفال المجموعتين التجريبية والضابطة بالاختبار البعدي وذلك لصالح المجموعة التجريبية، وان هنالك فروق ذات دلالة إحصائية في الدرجة الكلية للسلوك الاستقلالي وابعاده الفرعية لدى الأطفال المجموعة التجريبية بالاختبارين القبلي والبعدي وذلك لصالح الأطفال بالاختبار البعدي، وان هنالك فروق ذات دلالة إحصائية في الدرجة الكلية للسلوك الاستقلالي وابعاده الفرعية لدى الأطفال بالمجموعة التجريبية باختلاف متغير النوع، وذلك لصالح الأطفال الذكور، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى السلوك الاستقلالي لدى الأطفال في المجموعة التجريبية فيما يتعلق (بالتقنة بالنفس) باختلاف متغير النوع .

وهدفت دراسة الخفاف (٢٠١٦) التعرف على أثر القصة المصورة في تنمية السلوك الاستقلالي لدى أطفال الروضة، وتكونت عينة الدراسة (٥٠) طفل وطفلة في العراق وانقسمت إلى مجموعتين ضابطة وتجريبية، واتبعت المنهج الشبه تجريبي، واستخدام مقياس السلوك الاستقلالي وبرنامج لتنمية السلوك الاستقلالي، وظهرت نتائج الدراسة فاعلية أسلوب القصة المصورة في تنمية السلوك الاستقلالي لدى أطفال الروضة.

هدفت دراسة بيكجودان وكاناك (Pekodogan & kanak, 2016) إلى التعرف ممارسات التعلم النشط في مرحلة تعليم ما قبل المدرسة، وتكونت العينة من ثلاثين طفلاً وطفلة في تركيا، واتبعت المنهج الوصفي، واستخدمت المقابلات كأداة لجمع المعلومات، وظهرت نتائج الدراسة ضرورة وجود غرف صفية كبيرة ليتمكن الطلبة من أخذ راحتهم أثناء التعليم مع ضرورة إعادة التصميم داخل الغرف الصفية حسب احتياجات الأطفال واهتماماتهم وعددهم، وضرورة توفير إضاءة آمنة، وتكون ألوان الجدران باهية لضمان راحة الأطفال داخل الغرفة الصفية .

الطريقة والإجراءات

اتباع المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة كونها الأنسب لتحقيق أهداف الدراسة من نوع الدراسات المسحية والتي تهدف إلى جمع البيانات المتعلقة بالظاهرة المدروسة. والمنهج الوصفي، كما أشار إليه عباس وآخرون (٢٠٢٢)، أنه المنهج الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً من خلال التعبير النوعي الذي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير الكمي فهو الذي يعطي وصفاً رقمياً يوضح مقدار الظاهرة وحجمها.

متغيرات الدراسة

الأنشطة القائمة على التعلم النشط، والمهارات الاستقلالية، والمؤهل العملي، وسنوات الخبرة.

مجتمع الدراسة

تكون مجتمع الدراسة من جميع معلمات رياض الأطفال المسجلين في الرياض الحكومية والخاصة في قسبة اربد بمحافظة اربد والبالغ عددها (٤٩٩) معلمة روضة، للعام الدراسي (٢٠٢٢-٢٠٢١) حسب إحصائيات مديرية التربية والتعليم للواء قسبة إربد.

عينة الدراسة

تكونت عينة الدراسة من (٢٠٦) من معلمات رياض الأطفال وقد تم ارسال الاستبانة بصيغتها الالكترونية الى جميع معلمات أطفال الرياض المختارة عن طريق إدارات الرياض وتشكل نسبة ٤١% من مجمع الدراسة وهي عينة ممثلة للمجتمع.

وفيما يأتي جدول يوضح خصائص عينة الدراسة بحسب بعض المتغيرات الديموغرافية.

جدول (١) توزيع أفراد عينة الدراسة بحسب بعض المتغيرات الديموغرافية

المتغيرات الديموغرافية	العدد	النسبة %
المؤهل العلمي	دبلوم	41
	بكالوريوس	131
	دراسات عليا	34
	المجموع	206
سنوات الخبرة	١ - ٥ سنوات	74
	٥ - ١٠ سنوات	80
	أكثر من ١٠ سنوات	52
	المجموع	206

أداة الدراسة

لغرض إعداد أداة الدراسة قامت الباحثة بالخطوات الآتية :

أجريت دراسة استطلاعية على عينة من معلمات الأطفال، أُخترت من الرياض الحكومية والخاصة في محافظة إربد؛ إذ

طلب منهن ذكر ما يلي :

- نوع الروضة؟

- ماهي الأنشطة القائمة على التعلم النشط التي يتم استخدامها مع الطلبة في الروضة؟
- وضّحي ماهي المهارات الاستقلالية التي ينميها ويطورها النشاط القائم على التعلم النشط لطفل الروضة. علما بأن المهارات الاستقلالية هي سلوكيات يكتسبها الطفل للقيام بتلبية احتياجاته وتساوده في تحمل المسؤوليات مثل مهارات الطعام، النظافة، ارتداء الملابس
-والخ من المهارات الاستقلالية الأخرى؟ المخلق (١)
- من خلال الاطلاع على بعض الأدبيات والدراسات ذات العلاقة كدراسة الحواس (٢٠١٧)، ودراسة المقدمي والمقاوسي (٢٠١٩)، ودراسة عبد اللطيف (٢٠٢١)، ودراسة خفاف (٢٠١٦)، قامت الباحثة بإعداد صيغة أولية لاستبيان يقيس دور الأنشطة القائمة على التعلم النشط في تنمية المهارات الاستقلالية لدى أطفال الروضة من وجهة نظر المعلمات في محافظة إربد. وقد تضمنت الصيغة الأولية للاستبيان (٤١) فقرة بخمسة محاور. وقد أعدت الفقرات بثلاث بدائل للإجابة هي: موافق بشكل كبير، موافق بشكل متوسط، موافق بشكل قليل.
- صدق أداة الدراسة
- يعد الصدق من أهم الخصائص التي ينبغي توافرها في أدوات القياس التربوي والاجتماعي (العجيلي، ٢٠١٧). ويشير الصدق إلى مدى انتساب مضمون الفقرات للسمة المناسبة؛ أي مدى تمثيل عينة الفقرات للمحتوى، ويعتمد الباحث على المحكمين في الحصول على مؤشر صدق المحتوى (نصر الله، ٢٠١٦). وللتحقق من صدق الصيغة الأولى لفقرات الاستبانة، فقد اتبعت الباحثة طريقتين: طريقة التحكيم (الصدق الظاهري) وطريقة الاتساق الداخلي، وفيما يأتي توضيح لذلك.
- طريقة التحكيم: فقد عرضت الصيغة الأولى لفقرات الاستبانة على (١٠) محكمين من المتخصصين في مجال الطفولة ومجال المنهاج من جامعة الإسراء وجامعة البلقاء التطبيقية وجامعة اليرموك الخ (ملحق ١). وقد طلب من المحكمين إبداء الآراء وملاحظاتهم حول الفقرات من حيث دقة الفقرة ووضوحها في قياس دور الأنشطة القائمة على التعلم النشط في تنمية المهارات الاستقلالية لدى أطفال الروضة من وجهة نظر المعلمات في محافظة إربد. وفي ضوء آراء المحكمين حُذفت عشر فقرات، وعُدلت بعض الفقرات الأخرى، والفقرات التي حُذفت: فقرة رقم (٨) في المجال الأول وهي تسفيط الملابس وتعليقها، وحُذفت فقرة رقم (٣) في المجال الثاني وهي إنزال الملابس عند الذهاب إلى الحمام، وحُذفت الفقرات (٣،٤،٨) في المجال الثالث وهي آداب الطعام: أن يأكل وفمه مغلق، والتعرف على أدوات مائدة الطعام، التمييز بين الطعام الصحي وغير الصحي، وحُذفت الفقرة رقم (٣) في المجال الرابع: تعرف الطفل على أهمية النظر يمينا ويسارا، وحُذفت أربع فقرات في المجال الخامس (١٠،٢،٤،١)، وهم: إكسابهم الطريقة الصحيحة في فصل الملابس، يتعلم أهمية

ترتيب حاجاته الشخصية، ربط العلاقة بين معجون الاسنان و فرشاة الاسنان، وأن يتعلم دوره في المحافظة على نظافة غرفته.

وذلك استنادا الى مبدأ اتفاق الأثرية (٨٠%). وفي هذا الصدد أشار (الكيسي، ٢٠١٠) إلى أن الباحث الذي يعد أداة قياس ويحكمه يأخذ بالأحكام التي يتفق عليها (٨٠%) فأكثر من المحكمين. وبذلك تألفت الصيغة النهائية للاستبيان من (٣١) فقرة موزعة الى خمسة مجالات. وقد توزعت فقرات مجالات الاستبانة بصيغتها النهائية كما في الجدول (٢) أدناه (ينظر الملحق ٢).

جدول (٢) مجالات الاستبانة والفقرات المتضمنة فيها

تسلسل المجال	عنوان المجال	فقرات المجال	عدد الفقرات
١	مهارة العناية بالمظهر العام	١ - ٧	٧
٢	مهارة استخدام الحمام	٨ - ١٣	٦
٣	مهارة آداب الطعام	١٤ - ١٩	٦
٤	مهارة معرفة الوقت المناسب لعبور الشارع	٢٠ - ٢٤	٥
٥	مهارة النظافة	٢٥ - ٣١	٧
	مجموع الفقرات	٣١	٣١

طريقة الاتساق الداخلي:

بعد إجراء التعديلات التي اقترحها المحكمون على بعض الفقرات، فقد تم تطبيق الاستبانة على عينة استطلاعية مكونة من (٦٠) معلمة من معلمات الرياض الحكومية والخاصة في محافظة اربد من خارج عينة الدراسة، تم استلام ردود من (٥٠) معلمة كاملة الاجابة تم اعتمادها لهذا الغرض. ومن خلال بياناتها تم حساب معامل الاتساق الداخلي لفقرات الاستبانة من خلال إيجاد العلاقة الارتباطية بين درجة كل فقرة بالدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي اليه، والجدول (٣) يوضح ذلك

جدول (٣) معاملات ارتباط درجة كل فقرة من فقرات الاستبانة مع الدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي إليه (ن = ٥٠).

رقم الفقرة	العناية بالمظهر العام		استخدام الحمام		آداب الطعام		عبور الشارع		النظافة	
	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة
١	.420**	٨	.319*	١٥	.550**	٢١	.302*	٢٦	.589**	
٢	.648**	٩	.428**	١٦	.570**	٢٢	.702**	٢٧	.512**	
٣	.732**	١٠	.607**	١٧	.279*	٢٣	.811**	٢٨	.485**	
٤	.691**	١١	.317*	١٨	.312*	٢٤	.691**	٢٩	.614**	
٥	.511**	١٢	.625**	١٩	.485**	٢٥	.308*	٣٠	.711**	
٦	.311*	١٣	.712**	٢٠	.302*			٣١	.288*	
٧	.412**	١٤	.587**					٣٢	.532**	

أظهرت النتائج المعروضة في الجدول (٣) أعلاه أن معاملات الارتباط بين الفقرات والدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي إليه تراوحت بين (٠.٢٧٩) و (٠.٨١١)، وكانت (٢٣) منها دالة إحصائياً عند مستوى (٠.٠٠١) و (٩) دالة إحصائياً عند مستوى (٠.٠٠٥). وهذا يشير إلى صدق بناء جميع فقرات الاستبانة. ثبات أداة الدراسة

وللتحقق من ثبات أداة الدراسة الحالية، فقد تم اعتماد بيانات العينة الاستطلاعية التي استخدمت في حساب الاتساق الداخلي المشار إليها أعلاه والمؤلفة من (٥٠) معلمة من معلمات الرياض الحكومية والخاصة في محافظة أربد من خارج عينة الدراسة. وأعيد تطبيق الاستبانة على أفراد هذه العينة بعد مرور اسبوعين، تم الحصول على ردود (٣٣) معلمة كاملة الاجابة. وقد تم حساب معامل ثبات الاستبانة بطريقة كرو نباخ الفا من خلال بيانات التطبيق الأول للعينة الاستطلاعية (٥٠)، كما تم حساب معامل ثبات الاستبانة بطريقة الاعادة من خلال حساب معامل ارتباط بيرسون بين درجات التطبيقين لإجابات (٣٣) معلمة، والجدول (٤) يوضح ذلك.

جدول (٤) معاملات ثبات الاستبانة بطريقتي كرونباخ- ألفا وإعادة التطبيق

معامل الثبات بطريقة:		عدد الفقرات	عنوان المجال	تسلسل المجال
اعادة التطبيق	كرونباخ- ألفا			
0.81	0.84	7	مهارة العناية بالمظهر العام	١
0.76	0.77	7	مهارة استخدام الحمام	٢
0.81	0.85	6	مهارة آداب الطعام	٣
0.77	0.81	5	مهارة معرفة الوقت المناسب لعبور الشارع	٤
0.76	0.79	7	مهارة النظافة	٥
0.88	0.91		الدرجة الكلية للاستبانة	

يتضح من الجدول (٤) أعلاه أن معاملات ثبات الاستبانة تراوحت بين (٠.٧٦) و (٠.٩١) وهي معاملات ثبات جيدة إذ يشير أبو النصر (٢٠٠٤) إلى أن معامل الثبات إذا تجاوز (٠.٧٥) فإنه يعد ثباتاً مرتفعاً. التطبيق النهائي على عينة الدراسة

قامت الباحثة بتحويل النسخة النهائية للاستبانة إلى نسخة إلكترونية باستخدام (Google Form) ملحق (٥) وبعد إعدادها أرسلت النسخة الإلكترونية إلى جميع معلمات رياض الاطفال المختارة من خلال إدارات الرياض الحكومية والخاصة من قسبة اربد الأولى بمحافظة اربد.

تصحيح الاستبانة ومعايير الحكم على نتائج الاستجابة على فقرات الاستبانة

جدول (٥) معايير الحكم على نتائج الاستجابة على فقرات الاستبانة

درجة الموافقة	المتوسط الحسابي للدرجات
قليلة	١.٠٠٠ - ١.٦٦٧
متوسطة	١.٦٦٨ - ٢.٣٣٥
كبيرة	٢.٣٣٦ - ٣.٠٠٠

وقد تم استخدام درجة قليلة ومتوسطة وكبيرة وذلك لان؛ مرحلة رياض الأطفال تتطلب استخدام الأنشطة في عملية التعليم، فالأنشطة هي الاستراتيجية الواجب استخدامها في رياض الأطفال ولكن درجة استخدامها تتفاوت .
نتائج الدراسة

النتائج المتعلقة بالسؤال الأول الذي نصه: ما دور الأنشطة القائمة على التعلم النشط في تنمية المهارات الاستقلالية لدى أطفال الروضة من وجهة نظر المعلمات؟

وللإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومستوى الأثر لفقرات الاستبانة بحسب مجالاتها الخمسة، كما موضح في الجداول (٦) أدناه .

جدول (٦) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومستوى الأثر لفقرات المجال الأول المتعلق بمهارة العناية بالمظهر العام

رقم الفقرة	عبارة الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الأثر
٥	غسل اليدين من الأوساخ بالطريقة الصحيحة من خلال تنفيذ النشاط بتطبيقه في مغاسل الروضة	2.626	.602	كبير
٦	السلوك الصحيح لارتداء الحذاء من خلال تتبع حركات المعلمة و تطبيق ذلك عمليا في الغرفة الصفية	2.587	.609	كبير
٢	الطريقة الصحيحة في تزيير القميص من خلال نشاط عملي (احضار قميص) وعمل مجموعات لتنفيذ النشاط	2.583	.585	كبير
٤	مهارة العناية بالمظهر الخارجي من خلال عرض فيديوهات للأطفال تتعلق بذلك	2.578	.585	كبير
١	القدرة على ربط الحذاء بنفسه من خلال قيام المعلمة بنمذجة خطوات ربط الحذاء و قيام الاطفال بتقليد الحركات	2.568	.611	كبير
٣	الخطوات الصحيحة في كيفية ارتداء الملابس لوحده من خلال	2.568	.578	كبير

رقم الفقرة	عبارة الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الأثر
٧	القدرة على تمشيط الشعر بالشكل الصحيح من خلال قيام الطفل بتنفيذ الحركات بالطريقة الصحيحة	2.369	.739	كبير
	الدرجة الكلية للمجال	2.554	.469	كبير

يلاحظ من الجدول (٦) أن المتوسطات الحسابية لإجابات افراد العينة على فقرات المجال الأول تراوحت بين (٢.٣٦٩) و (٢.٦٢٦)، وجميعها بمستوى أهمية "كبير".

جدول (٧) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومستوى الأثر لفقرات المجال الثاني المتعلق بمهارة استخدام الحمام

رقم الفقرة	عبارة الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الأثر
١٢	غسل اليدين بالماء بعد قضاء الحاجة من خلال قراءة المعلمة لقصة تتناول الفكرة	2.515	.582	كبير
١٣	الاستخدام الصحيح للمناديل لتنشيف الماء بعد قضاء الحاجة من خلال عرض صور توضيحية	2.490	.630	كبير
١١	أهمية سكب الماء في المراض بعد قضاء الحاجة من خلال تبادل الآراء في أهمية ذلك	2.456	.621	كبير
٩	الطريقة الصحيحة في طريقة استخدام الماء بعد قضاء الحاجة من خلال عرض صور توضيحية	2.364	.661	كبير
١٠	كيفية الجلوس الصحيح على مقعد الحمام من خلال النمذجة	2.311	.791	متوسط
٨	تعليم الطفل طرق الاستحمام من خلال عرض فيديوهات يوضح طريقة الاستحمام بالشكل الصحيح	2.277	.743	متوسط
	الدرجة الكلية للمجال	2.402	0.517	كبير

يلاحظ من النتائج المعروضة في الجدول (٧) أن المتوسطات الحسابية لإجابات افراد العينة على فقرات المجال الثاني تراوحت بين (٢.٢٧٧) و (٢.٥١٥)، خمسة منها بمستوى كبير، واثنين بمستوى متوسط .

جدول (٨) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومستوى الأثر لفقرات المجال الثالث المتعلق بمهارة آداب الطعام

رقم الفقرة	عبارة الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الأثر
١٤	الالتزام بآداب تناول الطعام من خلال سرد المعلمة لأحاديث نبوية وقصص تتناول آداب تناول الطعام	2.704	.554	كبير
١٥	مضغ الطعام بطريقة صحية من خلال قيام المعلمة بنمذجة ذلك وقيام الطفل بإعادة الحركة	2.602	.606	كبير
١٦	تناول الطعام باستخدام أدوات المائدة من خلال نشاط المجموعات	2.316	.816	متوسط
١٧	غسل اليدين قبل وبعد تناول الطعام من خلال عمل مجموعات وتنفيذ النشاط بعد تناولهم للطعام	2.296	.864	متوسط
١٨	تناول الطعام باليد اليمنى من خلال نشاط تقوم به المعلمة وتدريب فيه الأطفال على ذلك	2.272	.863	متوسط
١٩	طريقة تنظيف الأسنان بعد تناول الطعام بالشكل الصحيح من خلال إحضار معجون الأسنان و فرشاة الأسنان و تنفيذه في الغرفة الصفية	2.243	.866	متوسط
	الدرجة الكلية للمجال	2.405	.621	

تبين النتائج المعروضة في الجدول (٨) أن المتوسطات الحسابية لإجابات افراد العينة على فقرات المجال الثالث، المتعلق بمهارة آداب الطعام، تراوحت بين (٢٠٢٤٣) و (٢٠٧٠٤)، اثنين منها بمستوى كبير وثلاثة بمستوى متوسط .

جدول (٩) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومستوى الأثر لفقرات المجال الرابع المتعلق بمهارة عبور الشارع

رقم الفقرة	عبارة الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الأثر
٢٤	التمييز بين السلوكيات الصحيحة والخاطئة عند عبور الشارع من خلال عرض صور لأطفال يلعبون وهم يقطعون الشارع من مكان غير مخصص و سؤالهم عن النتائج السلبية	2.597	.574	كبير
٢٢	معرفة مخاطر اللعب بالقرب من الشارع بعرض فيديو للأطفال و إثارة سؤال عن السلوك الخاطئ للطفل	2.587	.601	كبير
٢١	تمييز ألوان الإشارة الضوئية من خلال أنشودة أو قصة	2.578	.602	كبير

كبير	.588	2.558	النتقل بشكل صحيح في الطرقات وأهمية قطع الشارع من المكان المخصص مثلا (جسر المشاة) من خلال عرض فيديو لطفل قام بقطع الشارع من مكان غير مخصص و نتائجه سلبية	٢٣
متوسط	.830	2.277	الطريقة الصحيحة لعبور الشارع من خلال أخذ الأطفال على حذية المرور وتنفيذ النشاط في الحديقة من خلال التمثيل	٢٠
	.486	2.519	الدرجة الكلية للمجال	

توضح النتائج المعروضة في الجدول (٩) أن المتوسطات الحسابية لإجابات افراد العينة على فقرات المجال الرابع، المتعلق بمهارة عبور الشارع، تراوحت ما بين (٢.٢٧٧) و (٢.٥٩٧)، أربعة منها بمستوى كبير وواحدة بمستوى متوسط .

جدول (١٠) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومستوى الأثر لفقرات المجال الخامس المتعلق بمهارة النظافة

رقم الفقرة	عبارة الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الأثر
٢٦	طرق المحافظة على نظافة الشعر من خلال استئارة تفكير الأطفال بطرح سؤال عن أهمية ذلك	2.612	.554	كبير
٢٩	استخدام المناديل في تنظيف الأنف من خلال قيام المعلمة مع الأطفال بتنفيذه عمليا	2.553	.596	كبير
٢٨	كيفية تغيير الملابس الداخلية كل يوم من خلال طرح المعلمة لسؤال يستثير تفكيرهم عن أهمية ذلك	2.500	.623	كبير
٣٠	الخطوات الصحيحة للاستحمام من خلال أغنية من المعلمة مع الأطفال بإرفاقها بالحركات الصحيحة	2.476	.606	كبير
٢٥	طريقة رمي النفايات بالمكان الصحيح من خلال تمثيل ذلك في الغرفة الصفية والساحة المدرسية	2.316	.851	متوسط
٢٧	تقليم الأظافر من خلال تدريبهم على ذلك بالغرفة الصفية وان تكون بإشراف أحد أكبر منهم	2.282	.770	متوسط
٣١	ترتيب مكان نومه والحفاظ على نظافة مكان النوم من خلال تمثيل ذلك باللعب	2.141	.829	متوسط
	الدرجة الكلية للمجال	2.411	.510	

تبين النتائج المعروضة في الجدول (١٠) أن المتوسطات الحسابية لإجابات افراد العينة على فقرات المجال الخامس، المتعلق بمهارة النظافة، تراوحت بين (٢.١٤١) و (٢.٦١٢)، أربعة منها بمستوى كبير وثلاثة بمستوى متوسط .

وتعزى نتيجة الدرجة الكبيرة على المتوسطات الحسابية لدور الأنشطة في تنمية المهارات الاستقلالية الى ان التعليم الحديث يشترط استخدام أنشطة متنوعة مع الأطفال في تنمية المهارات الحياتية وتعتبر المهارات الاستقلالية من ضمن المهارات الحياتية، وهذا ما يتفق مع اهداف رياض الأطفال بالاهتمام بالمهارات بشكل عام. النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني الذي نصه: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) في دور الأنشطة القائمة على التعلم النشط والمهارات الاستقلالية لدى طفل الروضة من وجهة نظر المعلمات تعزى لمتغير المؤهل العلمي؟

وللإجابة على هذا السؤال فقد تم حساب المتوسط والانحراف المعياري للدرجة الكلية لاستجابات المعلمات على مجالات الاستبانة الخمسة والدرجة الكلية للاستبانة بحسب متغير المؤهل العلمي، كما موضح في الجدول الآتي.

جدول (١١) المتوسط والانحراف المعياري للدرجة الكلية لاستجابات المعلمات على مجالات الاستبانة الخمسة والدرجة الكلية للاستبانة بحسب متغير المؤهل العلمي

المجال	المؤهل العلمي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
العناية بالمظهر العام	دبلوم	41	2.352	.652
	بكالوريوس	131	2.573	.403
	دراسات عليا	34	2.727	.358
استخدام الحمام	دبلوم	41	2.224	.668
	بكالوريوس	131	2.407	.481
	دراسات عليا	34	2.598	.356
آداب الطعام	دبلوم	41	2.301	.806
	بكالوريوس	131	2.388	.569
	دراسات عليا	34	2.598	.526
عبور الشارع	دبلوم	41	2.327	.691
	بكالوريوس	131	2.525	.408
	دراسات عليا	34	2.729	.378
النظافة	دبلوم	41	2.341	.671
	بكالوريوس	131	2.365	.465
	دراسات عليا	34	2.672	.366

الدرجة الكلية للاستبانة	دبلوم	41	2.311	.545
	بكالوريوس	131	2.450	.321
	دراسات عليا	34	2.665	.323

يتضح من النتائج المعروضة في الجدول (١١) أعلاه وجود فروق ظاهرية في متوسطات درجات الاجابات تعزى لمتغير المؤهل العلمي في كل مجال من المجالات الخمسة والدرجة الكلية للاستبانة .

تعزى هذه النتيجة الى انه كلما ارتفع المؤهل العلمي تطلب وجود مساقات وبرامج تتضمن أنشطة متنوعة تتعلق في مرحلة الطفولة مم يزيد من المام المعلمات بالمهارات والأنشطة.

النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث الذي نصه: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \leq 0.05)$ في دور الأنشطة القائمة على التعلم النشط والمهارات الاستقلالية لدى طفل الروضة من وجهة نظر المعلمات تعزى لمتغير سنوات الخبرة؟

وللاجابة على هذا السؤال فقد تم حساب المتوسط والانحراف المعياري للدرجة الكلية لاستجابات المعلمات على مجالات الاستبانة الخمسة والدرجة الكلية للاستبانة بحسب متغير سنوات الخبرة، كما موضح في الجدول الآتي:

جدول (١٤) المتوسط والانحراف المعياري للدرجة الكلية لاستجابات المعلمات على مجالات الاستبانة الخمسة والدرجة الكلية للاستبانة بحسب متغير سنوات الخبرة

المجال	سنوات الخبرة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
العناية بالمظهر العام	١ - ٥ سنوات	74	2.629	.381
	٥ - ١٠ سنوات	80	2.598	.378
	١٠ سنوات فأكثر	52	2.379	.642
استخدام الحمام	١ - ٥ سنوات	74	2.444	.463
	٥ - ١٠ سنوات	80	2.461	.457
	١٠ سنوات فأكثر	52	2.253	.643
آداب الطعام	١ - ٥ سنوات	74	2.363	.595
	٥ - ١٠ سنوات	80	2.515	.568
	١٠ سنوات فأكثر	52	2.298	.714
عبور الشارع	١ - ٥ سنوات	74	2.543	.378
	٥ - ١٠ سنوات	80	2.510	.511

583	2.500	52	١٠ سنوات فأكثر	
447	346	74	١ - ٥ سنوات	النظافة
485	2.525	80	٥ - ١٠ سنوات	
602	2.330	52	١٠ سنوات فأكثر	
335	2.464	74	١ - ٥ سنوات	الدرجة الكلية للاستبانة
302	2.525	80	٥ - ١٠ سنوات	
533	2.347	52	١٠ سنوات فأكثر	

يتضح من النتائج المعروضة في الجدول (١٤) أعلاه وجود فروق ظاهرية في متوسطات درجات الاجابات تعزى لمتغير سنوات الخبرة في كل مجال من المجالات الخمسة والدرجة الكلية للاستبانة .

ويعزى ذلك الى انه كلما زادت الخبرة اكتسبت المعلمة مهارات جديدة ناتجة عن الدورات التدريبية والممارسة العملية، فبالنظرة تقوم بتنفيذ ما تم تطويره وممارسته مع الأطفال في كل مرحلة تطوريه، ويعزى انخفاض نسبة ١٠ سنوات فأكثر الى ان تقدم المعلمة في العمر يضعف من دافعيها في الالتحاق بدورات تدريبية واكتفائها بما تم اكتسابه وتعلمه في السنوات السابقة.

التوصيات

- إعداد برامج تدريبية لمعلمات رياض الأطفال لذوي المؤهل (العلمي البكالوريوس والدبلوم) ولذوي سنوات الخبرة الأقل من خمس سنوات لزيادة تفعيل الأنشطة القائمة على التعلم النشط في تنمية المهارات الاستقلالية.

- عمل دورات لمعلمات رياض الأطفال ذوات الخبرة (١٠ سنوات وأكثر) في زيادة دافعيتهن لاستخدام أنشطة التعلم النشط لتعزيز دورها في تنمية المهارات.

- عمل ندوات لأولياء الأمور لنشر ثقافة الأنشطة القائمة على التعلم النشط ودورها في تطوير المهارات الاستقلالية .

المراجع العربية

- أبو الهيجاء، نسرین ناصر (٢٠٢١). مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمات رياض الأطفال في المدارس الخاصة في عمان في ظل جائحة كورونا (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الإسراء، كلية العلوم التربوية، عمان.

- جاب الله، أسماء الحسيني؛ أحمد، إبراهيم إبراهيم ورزق، حنان عبد الحليم ومحمد، فاطمة عبدة (٢٠١٤). فاعلية استخدام استراتيجيات التعلم النشط في تنمية مهارات الاتصال والاتجاه نحو مادة الاقتصاد المنزلي لدى طالبات المرحلة الثانية. مجلة البحوث التربوية النوعية. ٢٠١٤ (٣٣)، ٨٥٣-٨٣٢، جامعة المنصورة.

- حسني، حنان مرعي أحمد (٢٠١٩). التعلم النشط في اكتساب المفاهيم الاجتماعية والدينية لطفل الروضة. المجلة العلمية، ٣(٤)، ١٩٧-١٧١، جامعة أسيوط.
- الحواس، ريم مُجَّد (٢٠١٧). فاعلية برنامج لتنمية بعض المهارات الاستقلالية لدى طفل الروضة. مجلة الطفولة والتربية، عدد ٣٠٥، ٣١٩-٢٨٥، جامعة الإسكندرية.
- الخفاف، إيمان عباس علي (٢٠١٦). أثر القصة المصورة في تنمية السلوك الاستقلالي لدى طفل الروضة. مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ٩(١)، ٧٥٣-٧٧٧، الجامعة المستنصرية.
- حميدة، رولة ومعرف، إخلاص (٢٠٢١). دور الأنشطة التربوية للروضة في تنمية قدرات الطفل من وجهة نظر عينة من المربيات العاملات بعدد من رياض الأطفال "ببلدية جيجل"، جامعة مُجَّد الصديق بن يحيى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر.
- الخفاف، إيمان عباس علي حسن والطعان، سؤدد محسن علي (٢٠٠٧). السلوك الاستقلالي لدى طفل الروضة. ٢٠٤-١٧٣، كلية التربية الأساسية.
- رزوالي، وسيلة (٢٠٢٠). درجة ممارسة أساتذة المرحلة الابتدائية لاستراتيجيات التعلم النشط وفق مقارنة التدريس بالكفاءات. مجله روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ٤(٢)، ٢٣٦-٢١٠، جامعة أم البواقي.
- رمضان، منال حسن (٢٠١٦). استراتيجيات التعلم النشط (التعلم النشط-ضبط الذات-التفكير الإيجابي-الإبداع والشعور الإبداعي). عمان: شركة دار الأكاديميين للنشر والتوزيع .
- سعدية، طيباوي واسمهان، دومي (٢٠١٩). استراتيجية التعلم النشط. مجلة البيداغوجيا. ١(١)، جامعة بالبليدة.
- سليتي، فراس محمود مصطفى (٢٠١٧). أثر استراتيجية التعلم النشط في تنمية مهارات الفهم القرائي والاتجاه نحو القراءة لدى طلبة الصف الرابع الأساسي في الأردن. مجلة العلوم التربوية، ٢٩(٢)، ١٩٧-٢٢١، جامعة آل البيت.
- شريفة، سارة ماجد (٢٠٢٠). فاعلية برنامج قائم على تفعيل ساعة النشاط لتنمية بعض المهارات الحياتية لدى أطفال مرحلة الطفولة المبكرة. المجلة العربية لإعلام وثقافة الطفل، ٣(١٢)، ١٥٣-١٧٢، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب.
- الطاهر، آمنة وعبد الرحيم، نجده (٢٠١٠) دور معلمات رياض الأطفال في تقديم الإرشاد للطفل. (دراسة تطبيقية على رياض الأطفال بحلقة جبل أولياء). مجلة جامعة الخرطوم. ١٤(١). ص ١٨٩-٢١١.

- عبد الغني، سلوى عبد السلام والأحمدي، سحر السيد (٢٠١٧). فاعلية برنامج مقترح باستخدام الأنشطة المتكاملة في تنمية بعض مهارات التفكير الإيجابي لدى أطفال ما قبل المدرسة. المجلة العلمية لكلية التربية للطفولة المبكرة، ٥١١(١١)، ١٢٧-٧٢، جامعة الأزهر.
- عبد اللطيف، هيام مصطفى عبد الله (٢٠٢١). فاعلية برنامج قائم على التعلم النشط والمشاركة الوالدية لتنم بعض المهارات الحياتية لدى أطفال الروضة، مجلة دراسات في الطفولة والتربية، م١٨، ٢٤١-٣١٩، جامعة أسيوط.
- عاصي، وائل عبد الهادي (٢٠١٨). فاعلية التدريس باستراتيجية التعلم النشط في إكساب طلبة الصف الثاني الأساسي المعرفة الوطنية والحياتية. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، ٢٧(١)، ١٥١-١٣٥، جامعة الأقصي.
- عبد الرؤوف، طارق (٢٠٠٨)، معلمة رياض الأطفال، ط١، مجلد (١)، القاهرة، مصر: مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.
- فؤاد، هبه سيد فؤاد (٢٠١٨). برنامج تدريبي قائم على استقلالية التعلم النشط لتنمية بعض مهارات التفكير الناقد والدافعية والإنجاز لدى الطلاب المعلمين بشعبة علوم بكلية التربية وأثره على أدائهم التدريسي، ١١(٢)، ١٨١-٢٣٣، جامعة عين الشمس.
- فوزان، ريم خالد إبراهيم (٢٠١٩). دور رياض الأطفال في التدخل المبكر للأطفال ذوي مؤشرات صعوبات التعليمية من وجهة نظر معلماتهن بالإحساء. المجلة العلمية، ٣٥(١١)، ١٢١-٩٧، جامعة أسيوط.
- قهوجي، حسام السعيد حسن (٢٠٢١). دور الأنشطة المدرسية في تعزيز الهوية الوطنية لدى طلاب الابتدائي بمصر. مجلة تطوير الأداء الجامعي، ١٤(١)، ١١-٣، جامعة أسيوط.
- مزوز، عبد الحليم (٢٠١٧). مرحلة التربية التحضيرية في المدرسة الجزائرية، لمحة تاريخية، تعريفها، وظائفها، مهامها، وظائفها، مهامها، طفل مرحلة تحضيرية وخصائصه النمائية. مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، ١(١)، جامعة الوادي .
- مقدمي، أحلام (٢٠١٩). فاعلية برنامج تأهيلي في تنمية بعض المهارات الاستقلالية لدى أطفال متلازمة داون (غسيل اليدين-تناول الطعام -ارتداء الملابس)، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر.
- مكّي، انتصار مصطفى مُجّد (٢٠١٧). مدى تلبية برامج الأنشطة المدرسية لحاجات التلميذ الأساس من وجهة نظر مشرفي النشاط ومديري المدارس. جامعة الجزائر، كلية التربية، السودان.

- موسى، منال محمود عبد الحميد (٢٠٢٠). فاعلية برنامج لتدريب معلمات رياض الأطفال على بعض المهارات المكتسبة في عرض الأنشطة القصصية لأطفال الروضة في ضوء احتياجاتهم التدريبية، مجلة العلوم التربوية، ٢(٢٣)، جامعة المجمعة.
- موسى، سعيد (٢٠١٩) برنامج تدريبي لتنمية المهارات الناعمة لمعلمات رياض الأطفال لتحسين التواصل مع الأطفال ومراعاة متطلباتهم، مجلة دراسات في الطفولة والتربية، أسيوط، ١(٨).
المراجع الأجنبية
- Latifah, Wahyu, Metroyadi (2019). The Influence of Education, Employment and Care for the Independence of Children, Journal of K6, Education and Management, 2(1), University Lambung and Management.
- Meletiadou, Eleni. (2022). Self-Care Skills of Children with Pervasive Developmental Disorders: Use of Assistive Tools. In E.E Tuna, Ayşe (Ed.), Handbook of Research on Policies and Practices for Assessing Inclusive Teaching and Learning. (pp. 471- 488). UK: London Metropolitan university.
- Pekdogan, kanak (2016). A Qualitative Research on Active Learning Practices in Per-School Education. Journal of Education and Training Studies, 4(9), Amasya University.
- Robinson, Carolyn and Zajicek, Jayne (2005). Growing Mind :The Effects of a one-year School Garden Program on Six Constructs of life skills of Elementary school Child. hortechology 15(3) (pp453-457).
- Waniek, L, &Nae (2017). Active Learning in Japan and Europe. Euro mentor Journal, 8(4), 82-97

أبرز المظاهر الحضارية في المشرق الإسلامي في العصور العباسية
(الوضع الاقتصادي والحياة الاجتماعية)

م. د. سهى عدنان إبراهيم

جامعة المستنصرية - كلية التربية

المقدمة :

اتسعت الدولة الإسلامية اتساعاً كبيراً وخصوصاً في العصر العباسي وانقسمت الى قسمين ، مشرق ومغرب يتكون المشرق من البلاد التي تقع شرق بغداد وتشمل : فارس وخراسان وبلاد ما وراء النهر وسجستان وأذربيجان وزابلستان وبلاد السند، وتتكلم هذه البلاد اللغة الفارسية ولهجات تركية متعددة. حيث امتدت فيها الدولة العباسية واعتنق أهلها الإسلام بعد الفتح. وأصبح للمشرق الإسلامي أهمية كبيرة في تطور الأحداث السياسية في الدولة العباسية. واتخذ العباسيون وزرائهم وقادتهم من المشرق^(١). واحتفظ أهل المشرق بلغتهم الفارسية التي اختلطت مع الزمن باللغة العربية وتعلموها لأنها لغة القرآن والدولة ووضع أهل المشرق الكتب القيمة في علوم الدين واللغة والتاريخ والجغرافية والفلسفة والطب والرياضيات والنجوم وغيرها. وكانت مراسيم الخلفاء العباسيين للأمرء السامانيين تتضمن تفويضهم حكم ما وراء النهر الى أقصى بلاد المشرق^(٢). وظهرت في المشرق الإسلامي مدن ساهمت مساهمة كبيرة في ازدهار الفكر الإسلامي وكانت مراكز إشعاع حضاري في الدولة الإسلامية مثل بخارى وسمرقند والري وأصفهان ونيسابور وغزنة وكانت مساجدها جامعات يفد إليها طلاب العلم من كل فج عميق من ديار الإسلام وجلس فيها شيوخ العلم للتدريس في مختلف فروع العلم، وقامت في المشرق الإسلامي دول ساهمت بنصيب كبير في ازدهار الحضارة الإسلامية والمحافظة عليها، منها دول فارسية مثل الدول الطاهرية والصفارية والسامانية والبويهية، ودول تركية مثل الغزنوية والسلجوقية والخوارزمية. وامتلكت هذه الدول مساحات واسعة ولها ميزانية كبيرة وجيوش قوية وأنظمة تشريعية وسياسية وتضم أقطار متعددة وهي دول مستقلة في الدولة الأم، الدولة العباسية.

يحتوي البحث الحالي على مبحثين:

المبحث الأول : الوضع الاقتصادي لدول المشرق في العصور العباسية.

المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية لدول المشرق في العصور العباسية.

المبحث الأول: الوضع الاقتصادي لدول المشرق

من الطبيعي أن تنتعش الحياة الاقتصادية في المشرق الإسلامي لزيادة إنتاجية ومهارة سكانه في استثمار ثرواتهم الطبيعية. وأهم جوانب الحياة الاقتصادية :

أولاً : الزراعة

ازدهرت الزراعة في المشرق الإسلامي لوجود مساحات واسعة من الأراضي الزراعية وتوافر الماء اللازم للزراعة وخبرة أهله الطويلة في الزراعة وفي بلاد ما وراء النهر يوجد نهر سيجون وجيحون وفروعهما وفي مدينة مرو أقيم ديوان لتنظيم ماء الري يسمى ديوان الماء وسجل يحدد الخراج على الأرض تبعاً لوصول الماء للأرض^(٢).

وفي شرق فارس نهيرات تستمد مياهها من المرتفعات بعد سقوط الأمطار فاقامت جداول تحت الأرض وعليها قناطر واشتهرت نيسابور بقنواتها تحت الأرض داخل وخارج المدينة تروي البساتين^(٤).

تنوعت المحاصيل الزراعية في المشرق الإسلامي منها الحبوب وكانت أسواق خوارزم عامرة بالقمح والشعير^(٥) وكثير إنتاج الأرز في مارندران، وزاد إنتاج القمح في استراباد. ونيسابور التي فيها الفاكهة مثل البطيخ والسفرجل والمشمش وتنمو الأعناب في جرجان وترمز ومراغة الى جانب أنواع الفاكهة والخضروات والجوز واللوز وفي مدينة بدليس تنتشر بكثرة زراعة التفاح الجيد وانتشرت زراعة التمر في كرمان بكثرة ويرسل الفائض منه الى خراسان، وزرعت مدينة كابل قصب السكر بكثرة.

شاع نظام الأقطاع في المشرق الإسلامي وعلى صاحب الأرض تقديم الخراج عنها وإذا أهملها تنزعها الدولة منه وتمنحها لغيره^(٦). وأسوأ أنواع الأقطاع هو الأقطاع العسكري الذي ظهر مع ازدياد نفوذ الترك حيث أدى إقطاع الأراضي الى الترك الى خراب الأرض الزراعية ولم يك لهم خبرة بالزراعة فوكلوا أمر الأرض الى فلاحين فأهملوا زراعتها وتدهورت الزراعة وعم الخراب في الأراضي^(٧).

ظلت دول المشرق الإسلامي تنتج ما تحتاجه من المحاصيل الزراعية وتواجه بعض الكوارث وتتخطى الأزمات الاقتصادية كما حدث في نيسابور وتبريز^(٨).

وتعددت الثروة الحيوانية في المشرق الإسلامي منها أنواع الجمال والغنم والبقر والطيور من كل صنف واشتهرت أغلب مدن المشرق بتربية الخيول لانتشار المراعي في حشائش الاستبس، والجمال البلخية ذات السنمين سريعة العدو التي تستخدم في البريد وحركة النقل السريع بين المدن^(٩).

ثانياً : الصناعة

تقدمت الصناعة في المشرق الإسلامي بسبب وفرة المواد الخام المختلف الصناعات ووفرة الأيدي الماهرة والخبرة واتصال المشرق الإسلامي ببلاد لها خبرة صناعية كبيرة مثل الهند والصين ومن أهم الصناعات صناعة الخزف والفخار الصيني الذي نقل صناعته أهل المشرق من الصين ونقشوا على الأباريق التي صنعوها كما تعلموا من الصين سر صناعة الورق التي انتقلت الى سمرقند ثم الى سائر مدن المشرق الإسلامي ثم الى الدول الإسلامية الكبرى^(١٠).

كما ازدهرت صناعة المنسوجات على اختلاف أنواعها حيث انتشرت في بلاد فارس المنسوجات القطنية وخاصة الطيالس الى جانب انتشار المنسوجات الصوفية. وفي بلاد ما وراء النهر حيث تنمو شجرة التوت وعليها دودة القز بكثرة انتشرت صناعة الحرير. كما انتشرت وازدهرت في أرمينيا وأصبهان صناعة البسط وهي من أجود أنواع البسط، وصنع الكتان في كارون^(١١).

واشتهرت طبرستان بجودة صناعة السجاد الطبري والبسط الجيدة ونسج الحرير والأبريسم وصنعوا المناديل منها، وصنع أهل صغانيان الأنسجة وبرز أهل شيراز بصناعة الخز والديباج والسجاد وفي نيسابور صنعت ملابس الحرير ومن أبرز مراكز صناعة السجاد في المشرق الإسلامي كرمان وشيراز واصفهان وتبريز وكاشان وأغلبها تحتوي على رسوم الحيوانات والرسوم الآدمية في زخرفتها الى جانب الزهور والنباتات وسجاد الأرابيسك عبارة عن فروع نباتية وزهور وكتابات فارسية، وامتازت تبريز بصناعة سجادة الصلاة المنقوشة بالآيات القرآنية المكتوبة بخط النسخ والخط الكوفي وتحتوي على خيوط معدنية منسوجة والزخارف النباتية^(١٢).

ونسجت القبائل التركية أبسطتها بالإسلوب من حيث العقدة والرسوم والألوان والتي اقتبستها من بلاد فارس^(١٣).

واشتهرت بذخشان بالأحجار الكريمة والمعادن مثل الذهب والفضة والياقوت واللازورد والبلور وحجر البازهر، وفي أذربيجان تم تصنيع القماش والثياب المصبوغة بالقرمز الناتج من دودة القز ويسمى الحرير القرمزي ويصنع منه الوسائد والبسط والستائر^(١٤).

وكان المشرق الإسلامي مصدراً هاماً للمعادن لذلك اشتهرت فيه الصناعات المعدنية وكانت فارس تنتج الحديد بكثرة حيث توجد مناجمة في كابل وفرغانة وكرمان، وفي مدينة بخارى مناجم النحاس الأصفر ويستخرج الفيروزج الأزرق في نيسابور^(١٥).

ثالثاً : التجارة:

ازدهرت التجارة في المشرق الإسلامي بسبب زيادة وتنوع انتاجه الزراعي والصناعية وتوسطه بين عالمين كبيرين. الهند والصين شرقاً والغرب الأوربي وباقي الدول الإسلامية غرباً، وتمر بالمشرق الإسلامي طرق التجارة العالمية، والتجارة فيها نوعان :

1- التجارة الداخلية : مركزها الأسواق في المدن المشرقية ولها أوقات محددة وسلع معينة وتضم عدد من الدكاكين المغطاة يستمر فيها العمل منذ الصباح الباكر حتى المساء ولكل سوق محتسب يتابع حركة البيع والشراء ويمنع عرض السلع المغشوشة أو التالفة ويمنع التلاعب بالأسعار وصحة الموازين والمكاييل، وكان لأسواق أصبهان باب محكم وسور وفي أسواق بخارى وسمرقند وجند وخجند وتروج بضائع الصين والورق والحريز والمعادن والرقيق الأبيض وفي أسواق فارس يباع البسط والسجاد وفي خراسان الحبوب والمعادن والأقمشة والجواري^(١٦).

2- التجارة الخارجية : يمر طريق التجارة الخارجية البري بين الصين والعراق بتركستان وبلاد ما وراء النهر ماراً بمدن كاشغر وبخارى وسمرقند وانتشرت التجارة في خراسان وما وراء النهر في عصري السامانيين والغزنويين، وكان تجار فارس يفتدون بكثرة على مدن الهند للتجارة مثل فاليقوط ومليبار حاملين معهم بضائع المشرق ويعودون من الهند محملين بمنتجاتها مثل التوابل والمنسوجات والمعادن، أما تجار سيراف فقد يقضون حياتهم في البحر يتاجرون مع بلاد المشرق الأقصى فزادت ثروتهم^(١٧). وكانت القوافل الإسلامية تواصل رحلاتها بين خراسان والسند والهند مروراً بزابلستان^(١٨). التي تزدهر فيها بضائع الهند وكابل وغزته. ويجلب تجار المشرق من الهند الدر والعنبر والأحجار الكريمة والذهب والعاج والخيزران والعود والكافور والقرنفل والصندل والياقوت والبلور والفلفل الأسود. وكانت السفن الإسلامية تتعرض لغارات الهنود المتمركزين في جزيرة سومطرة^(١٩).

وكانت أحجار الزمرد تصدر الى الغرب عن طريق المشرق والإسلامي وكانت الهند تصدر أنياب الفيل وتنقل القوافل البضائع الهندية من منطقة السند الى داخل بلاد فارس عن طريق سجستان والى الشمال تنقل قوافل البنجاب بضائع الهند عبر هضاب أفغانستان الشاهقة وتأتي بما الى كابل وغزته التي أصبحت من أهم مراكز التجارة بين الهند وبلاد ما وراء النهر وخراسان وفارس وروسيا وكانت توابل الهند تنتشر في هذه البقاع وصدرت سيلان اللؤلؤ^(٢٠).

طرق تجارية عالمية :

ومن طرق التجارة العالمية التي تمر بالمشرق :

- 1- الطريق التجاري بين بلاد الروس والمشرق عن طريق بحر قزوين ومنه تنتقل التجارة الى بخارى وسمرقند وبلاد ما وراء النهر الى الصين^(٢١).
 - 2- الطريق التجاري الذي يبدأ من مصب نهر السند نحو فارس ماراً بولاية سجستان والى الشمال كانت القوافل تنقل من البنجاب البضائع الى كابل وغزنة ثم الى خراسان غرباً وبخارى شمالاً.
 - 3- الطريق البري من غرب أوروبا عبر الأندلس وبلاد المغرب ومصر الى بلاد الشام والعراق وفارس والهند والصين^(٢٢).
- طريق الحرير :

ويسمى طريق الحرير العظيم الذي يمر بمدن المشرق الإسلامي فقد كان طريق الاتصال بين أوروبا والصين لعدة قرون وأهم ما ينقل عبر هذا الطريق الحرير الذي انفردت الصين بإنتاجه وكانوا يصدرونه الى أوروبا مقابل الحصول على بضائع الأوربيين وكان أحد أعظم الطرق التجارية في العالم لأنه لم يكن فقط طريقاً لتبادل التجارة بل كان طريق التبادل الثقافي كالكتابة وأساليب الزراعة والصناعة وركوب الخيل، وكان معبراً لانتقال الديانات في العالم مثل الإسلام والمسيحية والبوذية وكان معبراً لانتقال النباتات الفاخرة كالزهور والورد والنباتات العطرية والفواكه الصينية. وانتقل استعمال الخيول والجمال ذات السنمين من المشرق عبر طريق الحرير. كما انتقل التقدم العلمي في مجال الأسلحة وعلوم الطب والفلك من الصين الى المشرق ثم الى أوروبا عبر طريق الحرير العظيم.

وهو طريق وعر شائك امتداد للصحراء الكبرى في آسيا يمتد من الصين الى البحر المتوسط ويمر في بعض أجزائه بمضاب عالية وجبال مرتفعة وبالرغم من صعوبته فقد أغرت التجار البضائع الثمينة مثل الحرير الصيني وعبور الجزيرة العربية والتوابل الهندية وجواهر آسيا الوسطى ولأهميته بقي مفتوحاً آلاف من السنين^(٢٣). وقد حرص أهل آسيا الوسطى على استعمال الحرير في زيهم وكسوتهم وتزيين بيوتهم^(٢٤). ويمتد هذا الطريق مسافة خمسة آلاف ميل ولو عورته لم يمر به الإعداد قليل من الناس مثل التجار والوسطاء الذين يجنون أرباح طائلة وغالباً ما كان يتعرض لقطاع الطرق أو الحملات الحربية التي توقف الحركة التجارية فيه. واستقر هذا الطريق في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بعد سيطرة المغول عليه^(٢٥). وأهم المدن التي تقع على هذا الطريق الري وبخارى وسمرقند وطشقند وبلخ ونيسابور وقد انتعشت هذه المدن انتظام الحركة فيه وأفل نجم هذه المدن بأفول نجم الطريق^(٢٦).

رابعاً : بيت المال والمعاملات المالية

لكل دولة من دول المشرق بيت مال وله دخل وأبواب صرف خاصة به ويأتي الدخل لبيت المال في الجزيرة التي يدفعها أهل الذمة من المسيحيين واليهود والمجوس ومن ضريبة الخراج على الأراضي الزراعية ومن الضرائب على الدور والحوانيت وضرائب التجارة في الداخل والخارج، ونفقات الدولة كانت على الجيش ورواتب الموظفين والقضاة والعمال

وهناك فائض في خزائن مملوءة بالذهب وكان دخل الدولة الغزنوية كبير جداً بسبب الغنائم التي حصل عليها الجيش من حملاته المتكررة على الهند^(٢٧).

والنقود المستعملة في المشرق الإسلامي هي الدراهم وأدى الانتعاش الاقتصادي الى ظهور أساليب جديدة في المعاملات المالية فاستعملت السفائح وهي حوالة خطاب يشمل قدر معين من المال يصرفها المسافر من صراف محدد في البلد الذي يصل إليه وتصرف الصكوك لأصحاب الأموال المودعة نظير مبلغ معين من المال ويشهد على الصك رجل ويختم وكان هناك سوق للصرافيين في أصفهان ونيسابور وشيراز وغيرها^(٢٨). وكان للسلطان أو الأمير في المشرق الإسلامي خزانة الأولى للإنفاق والثانية تسمى الخزانة الأصلية. وهي بمثابة خزانة احتياطية في حالة نفاذ الأموال من الخزانة الأولى ومن واجب السلطان إعادة الأموال الى الخزانة الثانية في حالة الاقتراض منها بأسرع وقت وعليه إحصاء الوارد والصرف ويغطي نفقات الموظفين والعمال والولاية والجند وإصلاح ما تحتاجه البلاد من إصلاحات وكان للسلطان ألب أرسلان خزانة في قلعة قراهان يأخذ منها في حالة وجود عجز في خزائنه وعلى السلطان أن لا يتهاون في حالة حدوث خلل في مال الولايات ويحرص على وجود فائض احتياطي في ميزانية الدولة ليمنع حدوث عجز يؤدي اضطرابات في الدولة وتدهور أحوال الجند والعمال والولاية وأن يكون معتدلاً في أنفاقه أميناً على مال الرعية ضماناً لاستقرار دولته وحكمه^(٢٩).

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية في المشرق الإسلامي

أولاً : عناصر السكان

أصبح بلاد المشرق الإسلامي ولايات إسلامية بعد أن فتح المسلمون العرب بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر. وهاجرت لها بعض القبائل العربية وأصبحت تجمعها وحدة الإسلام ووحدة الانتماء الى الدولة الإسلامية الكبرى - الدولة العباسية - وكان نهر جيحون هو الحد الفاصل بين الفرس والترك وكثرت الهجرات من بلاد الفرس الى بلاد التر على اعتبار أن ولايات المشرق جزء من دولة واحدة واختلطت هذه الشعوب مع بعضها البعض.

ويمكن تقسيم عناصر السكان في هذه البلاد الى :

- 1- العرب : هم الذين تحملوا مشاق الفتح وضحوا بأموالهم ودمائهم في سبيل رفع راية الإسلام في المشرق وأسسوا المساجد وأقام فيها العلماء والفقهاء والوعاظ يعلمون أهل المشرق قواعد الإسلام ويصلون بالناس ويفقهونهم في الدين ويعلموهم اللغة العربية. وبجهودهم انتشر الإسلام في المشرق بسرعة ولكن تأثيرهم ظل محدوداً فقد تمسك أهل المشرق بلغتهم وتقاليدهم^(٣٠).

- 2- الفرس : هم الشعب الرئيسي في المشرق فاعتزوا بقوميتهم وحضارتهم وتمسكوا بلغتهم وساهم رجال العلم من الفرس بدور رئيسي في ازدهار الفكر الإسلامي مثل ابن سينا والفارابي وجابر بن حيان وأصبحت المدن الفارسية في المشرق مراكز حضارية كبيرة مثل بخارى وسمرقند وأصفهان والري وألف علماء الفرس الكثير من الكتب عن ملوك الفرس وسيرهم وأمجدهم وتراثهم مثل الشاهنامه وغيرها^(٣١).
- 3- الترك : قدم الأتراك من شرق آسيا وأقاموا في وسطها في بلاد ما وراء النهر وانتشر الإسلام بينهم بعد أن حكم السامانيون هذه البلاد وأقام الأتراك دولة الخطائين المسلمة، ويرجع ظهورهم الى ما قبل القرن العاشر الميلادي وأشد فروعهم هم الغز الذين أغاروا على بلاد المشرق مثل بلاد ما وراء النهر وخراسان، وعلى الرغم من غزواتهم إلا أنهم كجند من جيوش المشرق أدوا دوراً كبيراً في نشر الإسلام وفي تحرير البلاد غير الإسلامية من الكفر فقد قام الجيش الغزنوي بحملات على بلاد الهند أدت الى تكوين إقليم إسلامي في شمالها، كما أن السلاجقة أقاموا دولة كبرى واستولوا على آسيا الصغرى ونشروا الإسلام في هذه البلاد^(٣٢).
- 4- الرقيق : كثر عدد الرقيق في المشرق الإسلامي وكانت أذربيجان وبلاد ما وراء النهر تضم أسواقاً عديدة للرقيق الأبيض ومنهم الجوّاري والغلمان الذين كثر شرائهم للجندية لما يتمتعون به من شجاعة وقوة جسمانية والحشونة والغلظة ويعرض تاجر الرقيق الجوّاري والغلمان في السوق في غرف خاصة ومن حق المشتري فحص دفاتر تاجر الرقيق ليتأكد أن كان المملوك مسروقاً أو حراً. وللجوّاري أهمية كبرى فتتعلّم الغناء والألحان وتزداد مكانتها وتباع بسعر مرتفع وقد يستخدمها صاحبها في إحياء حفلات الزواج والطرب، ويتدرب الغلمان في القصور على الطاعة وتنفيذ الأوامر ومنهم صاحب الماء والساقي وصاحب السلاح^(٣٣).
- ومن العبيد الذين وصلوا الى مكانة كبيرة في المشرق البكتين الذي كان عبداً للسامانيين وتدرج الى منصب حاجب وقائد للجيش وعندما غضب عليه الأمير الساماني منصور بن نوح لجأ الى غزنة واستولى عليها وكون بها نواة الدولة الغزنوية واشترى ثلاثين غلاماً منهم سبكتكين ولمس فيه الذكاء فاستثناه من تدرج الغلمان وعينه قائداً للجيش ، ومنهم الغلمان التونتاش الذي كان عبداً للسلطان محمود الغزنوي حاجب الحجاب ثم أمير خوارزم. أما الرقيق الذي يجلب من روسيا وبلاد البلغار فقد تميزوا في المقدرة والذكاء والجمال، فالمملوك أما يعمل في الجندية أو في خدمة البيوت أو يساعد سيده في التجارة والأعمال ويستطيع أن يتكسب بمفرده ويجمع المال لتحرير نفسه والجوّاري كن أما أما للخدمة أو لإحياء الحفلات ومن أشهر الجوّاري المطربات في غزنة ستي زرين وفي غزنة كثير من الملاهي التي يقصدها النساء للاستماع للغناء مقابل أجر ومن الإحياء التي تقام فيها الحفلات حي شادي آباد في مدينة غزنة ورئيس الحي يتعاقد مع طالبي الحفلات^(٣٤).

الأديان في المشرق :

تقسم أهل المشرق حسب الدين الى مسلمين وغير مسلمين والمسلمون هم الأكثرية في المجتمع ثم المسيحيون واليهود والمجوس وقد عامل المسلمون غير المسلمين معاملة فيها العدل والتسامح والكرم فمارس غير المسلمين أعمالهم بحرية شرط أن يدفعوا الجزية وكثر اليهود في خراسان وكان يقيم في المشرق الكثير من المجوس كانوا يؤدون الجزية مقابل التمتع بحقوق المواطنة وأنزل عضد الدولة البويهى العقاب بكل من يتعرض لهم بسوء في شيراز سنة (٣٦٩هـ)^(٣٥).

طبقات المجتمع :

أنقسم أهل المشرق الإسلامي الى طبقات :

أ - الطبقة العليا الاستقرائية وهم السلاطين والأمراء والحكام والولاة وأبناؤهم وأفراد أسرهم ومن يلوذ بهم من الوزراء والكتاب ورجال الدولة، ويمتلكون ثروات كبيرة تتمثل في الضياع الواسعة والقصور الفخمة والأموال الكثيرة.

ب- الطبقة الوسطى وهم التجار والمهندسون والأطباء والشعراء والشيوخ والقضاة وهؤلاء لا يجدون المال إلا في ظل الطبقة العليا.

ج - الطبقة الدنيا وهم الفلاحين وكتاب الدواوين والعمال والجند والشرطة وصغار التجار وهؤلاء يؤدون الضرائب ويقومون بالأعمال الشاقة وإذا فشلوا في أعمالهم ينصمون الى العيارين وعصابات اللصوص وقطاع الطرق^(٣٦).

د - الصوفية الذين هربوا من مشاكل المجتمع وانعزلوا في الأريطة يناجون وربهم وينصرفون عن الدنيا الى العشق الألهي، وتكلم أهل المشرق لغات متعددة وهي العربية والفارسية والتركية وأهل الثقافة الرفيعة يعرفون اللغتين العربية والفارسية.

ثانياً : المرأة في المشرق الإسلامي

تدخلت المرأة في المشرق في شؤون السياسة والحكم، فقد تولت سيدة الوصاية على أبنها مجد الدولة البويهى ثم أصبحت حاکمة للدولة البويهية. وتسلطت ترکان خاتون زوجة ملكشاه على زوجها - وهي من بنات خلنات ما وراء النهر - واجبرته على تعيين أبنها محمود الطفل ولاية العهد بدلاً من أبنه بركياروق الشاب. وكان هذا سبباً في تدهور الدولة السلجوقية كما أن المرأة المغولية كان لها دور كبير في شؤون الدولة. وكان لهؤلاء نساء كثيرات وكان يرعاهن ويهتم بهم، وقد ازداد نفوذ زوجات المغول وبعضهم حكمن الإمبراطورية المغولية لعدة سنوات وعند المغول يتزوج الرجل من زوجات أبيه إلا أمه والزنى عندهم فاحشة مروعة لذلك قل انتشاره وتعدد الزوجات شائع عندهم وقد يكون عددهم عشرة أو أكثر ويسود بينهم الانسجام والاحترام وتهتم المرأة المغولية ببيتها وأولادها بشكل كبير وحفلات الزواج عندهم رائعة وفخمة^(٣٧).

والمرأة تعيش في بيتها وتحتجب عن الناس وغالباً ما كان الزوج يهتم بالجواري وتنصرف عن زوجته التي تقضي وقتها في التطريز والنسيج^(٣٨).

وقد شجع الإسلام على الزواج لإنجاب الولد الصالح الذي يدعو لأبيه ويحمل ذكراه ويطلب له الشفاعة ويشترط في عقد الزواج حضور الولي وإذا لم يجد فوليها السلطان أو من ينوب عنه وحضور شاهدين ثم رضا وقبول الزوجة ولا يجوز عقد زواج المشتركة أو الكافرة أو عقد زواج الأرملة أو المطلقة إلا بعد انقضاء عدتها ولا تكون الزوجة من القرابة التي حددها الشرع مثل العممة والخالة أو الأخت أو الأخت في الرضاعة وجميع النساء التي حددها الشرع^(٣٩).

ثالثاً: المناسبات الدينية والاجتماعية

اهتم أهل المشرق بالاحتفال بالأعياد الدينية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى والأعياد الفارسية مثل النيروز والمهرجان والنيروز هو عيد الربيع وفي هذا اليوم يتساوى الليل والنهار ويعتدل فيه المناخ ويرشون الناس المياه ويتبادلون الهدايا والزيارات ويخرج الناس إلى الحدائق والمنتزهات.

أما عيد المرجان فهو أول أيام الشتاء يأتي بعد النيروز بمائة وأربعة وتسعين يوماً يحتفل به الناس ويتبادلون الهدايا وتخلع ملابس الشتاء على موظفي الدولة ويغير الناس الملابس والفرش وفي هذا العيد يقدم الناس الهدايا إلى السلطان وفي هذا اليوم يخلع السلطان ملابس الشتاء على كبار رجال الدولة^(٤٠).

وفي هذا اليوم يجلس السلطان في قصره ويقدم له رؤساء المدن الهدايا ويقدم لهم السلطان الهدايا في المقابل وينشد الشعراء القصائد ويقدم المطربون ألوان الغناء وأحياناً يقام عرض للجيش^(٤١). ومن احتفالات أهل المشرق الاحتفال بيوم عاشوراء وهو يوم حزن وحداد لأنه يوافق اليوم العاشر من محرم. وعند الفرس عيد خاص بالنساء حيث يكتبون في هذا اليوم على الرقاع تعاويذ تزيل الحشرات والآفات الضارة^(٤٢). أما حفلات الزواج فكانت تتم بشكل يظهر فيه الترف والثراء فحين زفت أبنة أبي كاليبجار والي طبرستان إلى السلطان مسعود الغزنوي حملت على سرير كأنه بستان فيه ثلاث أشجار من الذهب أوراقها من الزمرد والفيروز وثمارها من الياقوت حولها أصناف من الورد والرياحين كلها من الذهب والفضة مملوءة بالعنبر والكافور^(٤٣). ولما تزوجت ابنة السلطان ملكشاه ترکان خاتون من الخليفة العباسي المقتدي في بغداد أنفق في عرسها قناطر مقلطة من الذهب والفضة نقلت على مائة وثلاثين جملًا مزينة بالديباج الرومي ويتضمن الجهاز مراكب من الذهب مرصعة بأنواع الجواهر. وقدم نظام الملك ورجال الدولة السلجوقية ونساء القصر هدايا لا تقدر بثمن. ولكن الخليفة أعرض ترکان خاتون لأن القصر مليء بالجواري وعادت إلى أبيها وتوفيت عنده^(٤٤).

رابعاً : المجالس الاجتماعية

- 1- مجالس التسلية : حرص أهل المشرق على استغلال أوقات فراغهم في جوانب اجتماعية هامة مثل الخروج للصيد والمبارزة وكان بعض أمراء المشرق يبارزون الأسود وكان مسعود الغزنوي يخرج للصيد على ظهر الفيل ومن وسائل التسلية ركوب السفن في الأنهار يصطحبون فيها العلماء والندماء والمطربين وكان للسلطان مسعود الغزنوي عاملاً يشرف على الصولجان والسلاح والحراب ورمي السهام وكان في مدن المشرق مطربات يذهب الناس إليهن لاستماع الغناء وأشهرهن في غزنة ستي رزين^(٤٥). ومن أهم وسائل التسلية الصيد والرمية ولعب الشطرنج والصيد خلال للملوك من أجل الرياضة والنزهة وعلى الصياد أن لا يتوقف عن السعي خلف الصيد وذبحه أن أمكن ويشترط أن لا يسقط الصيد من الأعلى أو يسقط في الماء^(٤٦).
- 2- مجالس الوعظ والقصص : وتدور حول قصص الأنبياء والصالحين وقصص خيالية وقصص عن يوم القيام وعذاب القبر والحديث عن أهل الزهد والتقوى وكراماتهم وأحاديث عن الرسول (ص) وأهل بيته الأطهار، ولكن بعض من هؤلاء الوعاظ كان ضعيف في مستوى الدين واللغة لذلك تصدت لهم الدولة من خلال المحتسب لمنحهم من ممارسة نشاطهم. وكان بعض الوعاظ شديد التأثير في حديثه فكان الرجال والنساء يبكون المهول ما يسمعون ووجدت هذه المجالس رواجاً كبيراً وإقبالاً شديداً من الناس. وشهد المشرق الإسلامي وعاظاً أثروا بعلمهم الغزير في الفقه والأصول والحديث وأشعار الصوفية والمقدرة الخطابية ومنهم أحمد بن مُجَدِّد بن أحمد الطوسي أخو الغزالي وكان حسن المظهر ورعا درس في النظامية بعد أخيه واختصر كتاب أخيه (إحياء علوم الدين) ومن كتبه (الذخيرة في علم البصيرة) توفي في (520هـ)^(٤٧).
- 3- السباق والرمية : أجاز العلماء للناس أن يلهووا بالشيء الذي فيه المصلحة، مثل الرماية وسباق الخيل فهما حلال لأنهما وسائل غزو الكفار والجهاد واعتبر اللهو برمي القوس أو ترويض الفرس وتعليمه من الأعمال المحببة^(٤٨). ويجب على الشخص إذا تعلم الرمي أو ركوب الخيل أن ينوي أن يتعلم ذلك ليحارب الكفار وأعداء الله عزوجل فإنه ينال ثواب هذه النية^(٤٩). أما الشطرنج فهو لعبة الحكماء وأرباب الفهم وذوي الخواطر السريعة وتتطلب الجهد ليتقنها اللاعب لأن من يلعب رديئاً ليس له عذر إلا العجز والإقرار بأنه لعب رديئاً وكان الخليفة المأمون يقول ((إذا لعبت النرد وخسرت فإني أقول أن الحظ لم يكن موافقاً، أما إذا لعبت الشطرنج وخسرت فإني أقول عجزت أن ألعب جيداً فلعب رديئاً))^(٥٠).

خامساً : المؤسسات الاجتماعية

انتشرت المؤسسات الاجتماعية في المشرق الإسلامي خاصة في المدن وهي:

- 1- المساجد : للصلاة والعبادة وطلب العلم حيث يجتمع فيها الطلاب بشيوخهم في أوقات معينة لدراسة مختلف فروع العلم ويجتمع الطلاب لحفظ القرآن الكريم فيها.
- 2- البيمارستانات : وهي تشبه المستشفيات لعلاج المرضى وتدرّس الطب عملياً ونظرياً للطلاب.
- 3- دور الأيتام : تضم الأيتام ومن لا مأوى لهم لرعايتهم وتربيتهم وتعليمهم.
- 4- الحمامات : انتشرت في المدن ومنها ما هو خاص للنساء وما هو خاص للرجال ونجد النساء تسلية في الذهاب الى الحمامات فيجمعن للحديث ورواية الأخبار أمام باب الحمام وتتعرف كل واحدة على الأخرى وتختار النساء عرائس لأبنائهن، والحمام فرصة للمرأة لتنظيف جسمها وتضع العطور وتنسق شعرها وتعود الى بيتها في أجمل صورة وقد ذكر الغزالي جملة محظورات في استعمال الحمامات مثل عدم الكشف عن الجسم أمام الدلاكة أو الخاديات التي تساعد النساء في الحمام وعدم غسل الثياب في الحمام لأن نجس ويجب غسل الحمام جيد وباستمرار لأزالة الصابون لأنه يسبب التزحلق وكسر أجزاء الجسم^(٥١). أما عادات المغول التي بقيت بعد إسلامهم فهي عدم الاستحمام في الصيف والربيع تحاراً وعدم غسل الثياب في الغدير وعدم حمل الماء في أواني الذهب والفضة وعدم نشر الملابس في الصحراء لأن ذلك حسب زعمهم يسبب العواصف والرعود^(٥٢).
- 5- الخانات : وهي مباني يقيم فيها الغرباء والتجار بدل أجور يدفعونها وتتضمن مخازن لبضاعتهم ودكاكين لإعداد الخبز والطعام ودكاكين لعرض بضاعتهم وللخان أبواب حديد وحراسة مشددة.
- 6- السبل : وهو جمع سبيل الذي يتضمن أواني لشرب الماء للمارين من الناس حيث توافرت مياه الشرب في المدن الشرقية وانتشرت الأسبلة حتى أن ابن حوقل يذكر أن في سمرقند أكثر من ألفي سبيل وأقيم أغلبها على الطرق العامة ليتيسر شرب الماء للواردين والمارين، وكان هناك السقاء الذي يحمل الماء في قرية من الجلد ويدور في الأسواق وحول المساجد وفي الأماكن العامة والطرقات، وهناك مجاري ماء وآبار معدة لشرب الحيوانات على حافة المدن وداخل الشوارع^(٥٣).
- 7- الخنقاوات والرباطات : وهي أماكن يقيم فيها المتصوفة وقضى الإمام الغزالي أيامه الأخيرة في رباط ببلدته.
- 8- الوقف : انتشر الوقف في المشرق الإسلامي وهو وقف مبلغ من المال على أعمال البر والخير لذلك قام أهل الخير من الأفراد بوقف قدر من المال على الأعمال الخيرية مثل رعاية طلاب العلم والإنفاق على إدارة البيمارستان وتقديم الطعام والدواء للمرضى وأجور العمال والأطباء والأنفاق على إدارة المساجد مثل تأثيثها ورواتب عمالها من وعاظ وشيوخ وعمال وحراس كذلك الأنفاق على السبل ودور الأيتام ورعاية الفقراء والرباطات والخنقاوات والأنفاق على من فيها من الصوفية^(٥٤).

ويبدأ اليوم في المدينة الإسلامية في المشرق مع بداية صلاة الفجر وبعد الصلاة يذهب كل رجل الى عمله، الصانع والتاجر وموظف الديوان والشرطي والحارس وتنشط الحياة في المدينة حتى المساء وتزدحم الأسواق بالناس وفي المسجد وفي السوق يلتقي الناس مع بعضهم البعض للحديث عن كل أحوال المدينة وما قد يطرأ فيها من أحداث سياسية وعلمية واجتماعية واقتصادية وتظل المدينة في نشاط مستمر حتى نهاية صلاة العشاء ويذهب الناس الى بيوتهم ويخيم على المدينة ظلام دامس وتغلق أبواب المدينة ويقف الحراس أمام الأبواب أو على الأبراج فوق الباب أو السور لمراقبة من قد يحاول دخول المدينة من الأعداء والجواسيس واللصوص^(٥٥).

الخاتمة :

إن الحضارة أخذ وعطاء والحضارات تكمل بعضها لذلك كانت حضارة المشرق الإسلامي خلاصة حضارات الهند والصين والعرب والفرس والترك. حيث أقبل أهل المشرق الإسلامي على دراسة العلوم واقتناء الكتب وقام العلماء بالتدريس في المساجد والمدارس وصنفوا المصنفات القيمة في مختلف فروع العلم ولا يمكن حصر مؤلفات علماء المشرق لكثرتها وأقام الأوروبيون نهضتهم الحديثة متأثرين بكتب المشرق وكتب الإسلام الأخرى حيث ظلت كتب الرازي وابن سينا وابن الهيثم وجابر بن حيان تدرس في الجامعات الأوروبية طوال العصور الوسطى وترجمها الأوروبيون ودرسوها وقدروها واتخذوها أساساً لنهضتهم وكان للمشرق الإسلامي دور كبير ورئيسي في تبادل الحضارات مثل الهند والصين ودولة الإسلام الكبرى وانتقل الإسلام عن طريق دول المشرق الإسلامي الى الهند والصين وتم تبادل الحضارات فالصناعة الصينية والفن الصيني انتقل عن طريق المشرق الى بلاد الإسلام وبضائع الهند الرئيسية انتقلت الى دولة الإسلام عبر المشرق الإسلامي والسلع الصينية مثل الورق والحبر والمعادن انتقلت الى بلاد الإسلام عبر طريق المشرق الإسلامي وهذا يدل على أهمية دول المشرق الإسلامي من انتشار الإسلام والحفاظ عليه وازدهاره وهذا التبادل في الحضارات كان له أثر في تقوية الثقافات الإسلامية المشرقية والثقافية الإسلامية بصورة عامة.

الهوامش

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت. ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٥٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.

(٢) أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي، تاريخ بخارى عربية عن الفارسية، وقدم له وحققه: د. أمين عبد المجيد بدوي نصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف للنشر القاهرة، ١/١/١٩٩٣.

- (٣) المقدسي، محمد بن أحمد شمس الدين المقدسي (ت ٣٨٨هـ/٩٩٧م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر للنشر، ط ٣١، بيروت، ١٩٩١م.
- (٤) محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٣١.
- (٥) ك. لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: فرنسيس مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، ١٩٨٥، ص ٤٢٥-٤٨٠.
- (٦) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي (ت ١٨٢هـ)، الخراج، دار المعرفة للنشر، بيروت ٢٠٠٩م، ص ٣٣.
- (٧) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٢٢.
- (٨) ليسترنج، المصدر السابق، ص ١٤٤.
- (٩) إيرين فرانك، طريق الحرير، ترجمة: أحمد محمود، الناشر: المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م، ص ١٤.
- (١٠) ناصر خسرو أبو معين الدين الحكيم القبادياني المروزي (ت ٤٨١هـ)، ترجمة: د. يحيى الخشاب، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، القاهرة، ١٩٤٣م، ص ٤١٣.
- (١١) ناصر خسرو، المصدر السابق، ص ٤١٥.
- (١٢) سعاد ماهر محمد، الفنون الإسلامية طباعة ونشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٨١.
- (١٣) أحمد عيسى وآخرون، تراث فارس، ترجمة: محمد كفايني وآخرون، نشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٣٠٦.
- (١٤) لسترنج، المصدر السابق، ص ٢١٨.
- (١٥) محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٣٩.
- (١٦) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ١٠٢-١٠٣.
- (١٧) عصام الفقي، تاريخ الفكر الإسلامي، ص ١٢٩.
- (١٨) زابلستان : هي أفغانستان حالياً.
- (١٩) بزك بن شهریار، عجائب الهند، طبع ونشر: مطبعة السعادة مصر، ١٩٠٨م، ص ١٣٠.
- (٢٠) بزك، المصدر السابق، ص ٧٤.
- (٢١) محمد جمال الدين سرور، المصدر السابق، ص ١٤٨.
- (٢٢) محمد جمال الدين سرور، المصدر السابق، ص ١٤٩ - ١٥٠.
- (٢٣) إيرين فرانك وديفيد براونستون، طريق الحرير، ترجمة: أحمد محمود، مطابع الأهرام، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ١، ١٩٨٦م، ص ١٤-١٥.
- (٢٤) رحلة ماركبولو، ج ١، ص ١٢.

- (٢٥) فرانك، المصدر السابق، ص ١٨.
- (٢٦) ماركوبو، رحلات ماركوبو ج ١، ترجمة عن الفرنسية: عبد العزيز جاويد، ط ٢، الناشر: الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩١٤م، ج ١، ص ٢٧-٢٨-٢٩.
- (٢٧) الكرديزي، أبي سعيد عبد الحي ابن الضحاك بن محمود الكرديزي (ت ٤٤٣هـ)، زين الأخبار، ترجمة: عفاف السيد زيدان، المركز القومي للترجمة، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢٢٨.
- (٢٨) عصام الفقي، تاريخ الفكر، ص ٢٣٨.
- (٢٩) نظام الملك الطوسي (ت ٤٨٥هـ)، سياسة نامه (سير الملوك)، ترجمة: د. يوسف بكار، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٧م، ص ٢٩٧-٢٩٨.
- (٣٠) عصام الفقي، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٢٧٣.
- (٣١) عصام الفقي، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، ص ٢٧٣.
- (٣٢) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، تركستان حتى الغزو المغولي، ترجمة: حمزة طاهر، دار المعارف، مصر، ١٩٥٢م، ص ٨٦-٩١.
- (٣٣) نظام الملك، سياسة نامه، ص ١٢٨-١٢٩.
- (٣٤) البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي الشهير بابن فندمة (ت ٥٦٥هـ)، تاريخ البيهقي، ترجمة المؤلف، الناشر: دار أقرأ، ط ١، ج ١، دمشق، ٢٠٠٤م، ص ٦٤٥-٦٤٩.
- (٣٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٢٣.
- (٣٦) محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة، ص ١٨.
- (٣٧) ماركوبولو، الرحلة، ج ١، ص ١٤٠.
- (٣٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٤٧٨.
- (٣٩) أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، مطبعة دار الفكر، ج ٢، دمشق، ط ٤، ٢٠١٦م، ص ٣٦.
- (٤٠) عصام الفقي، الدول المستقلة...، ص ٢٨٣.
- (٤١) تاريخ البيهقي، ص ٣٠٣.
- (٤٢) الكرديزي، زين الأخبار، ص ٤٠٨.
- (٤٣) تاريخ البيهقي، ص ٤٢٠.

- (٤٤) ابن الأثير، علي بن أحمد بن أبي الكرم الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٣٣٨م)، الكامل في التاريخ، دار الطباعة المنيرة، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ٤٨٠.
- (٤٥) العتيبي، أبو نصر محمد بن عبد الجبار (ت ٤٢٧هـ)، تاريخ اليميني، تحقيق: إحسان ذنون، دار الطليعة للنشر، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٢٩١-٢٩٩.
- (٤٦) الراوندي، محمد بن علي الراوندي (ت ٢٨٢هـ)، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، تحقيق: عبد المنعم حسنين، ترجمة: إبراهيم أمين، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٥٩٦.
- (٤٧) ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر الشافعي (ت ٦٨١هـ/١٢٧١م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ج ٦، بيروت، ١٩٠٠م، ص ٩٤.
- (٤٨) الراوندي، راحة الصدور، ص ٥٩٢.
- (٤٩) الراوندي، المصدر نفسه، ص ٥٩٣.
- (٥٠) الراوندي، راحة الصدور، ص ٥٧٦.
- (٥١) الغزالي، أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الشافعي (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، نشر: دار المناهج جدة، ج ٢، ط ١، ٢٠١١م، ص ٤٨٢.
- (٥٢) عصام الفقي، الدول الإسلامية، ص ٢٨٨.
- (٥٣) عصام الفقي، الدول الإسلامية ...، ص ٢٨٨-٢٨٩.
- (٥٤) عصام الفقي، الدول الإسلامية ...، ص ٢٨٨.
- (٥٥) عصام الفقي، الدولة الإسلامية ...، ص ٢٨٩.

المصادر :

- 1- ابن الأثير، علي بن أحمد بن أبي الكرم الجزري (ت 630هـ/1338م)، الكامل في التاريخ، دار الطباعة المنيرة، القاهرة، 1938م.
- 2- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي (ت 681هـ/1271م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ج 6، بيروت، 1900م.
- 3- أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي (ت 505هـ)، إحياء علوم الدين، مطبعة دار الفكر دمشق، ط 4، 2016م.
- 4- أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي (ت 182هـ)، الخراج، دار المعرفة للنشر، بيروت، 2009م.

- 5- أحمد عيسى وآخرون، تراث فارس، ترجمة: مُجّد كفاني وآخرون، نشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1959م.
- 6- أيرين فراك، طريق الحرير، ترجمة: أحمد محمود الناشر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011م.
- 7- بارتولد، فاسيلي، (تاريخ الحضارة الإسلامية) الترك في آسيا الوسطى، تركستان حتى الغزو المغولي، ترجمة: حمزة طاهر، دار المعارف للنشر، ط2، مصر، 1952م.
- 8- برزك بن شهریار، عجائب الهند، طبع ونشر: مطبعة السعادة، مصر، 1908م.
- 9- البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن مُجّد بن الحسين البيهقي الشهير بابن فندمة (ت565هـ)، تاريخي البيهقي، ترجمة: المؤلف، الناشر: دار أقرأ، ط1، ج1، دمشق، 2004م.
- 10- الراوندي، مُجّد بن علي بن سليمان الراوندي (ت282هـ)، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، تحقيق: د. عبد المنعم حسنين، ترجمة: إبراهيم أمين الشواري وآخرون، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م.
- 11- سعاد ماهر مُجّد، الفنون الإسلامية طباعة ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م.
- 12- الطبري، أبو جعفر مُجّد بن جرير (ت310هـ/922م)، تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة (158هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.
- 13- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، 2005م.
- 14- العتي، أبو نصر مُجّد بن عبد الجبار العتي (ت427هـ)، تاريخ اليميني، تحقيق: د. إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري، دار الطليعة للنشر، بيروت، ط1، 1424هـ/2004م.
- 15- الغزالي أبو حامد مُجّد الغزالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري (ت505هـ)، إحياء علوم الدين، طبع ونشر: دار المنهاج، جدة، ج2، ط1، 1423هـ/2011م.
- 16- ك. لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، 1985م.
- 17- الكرديزي، أبي سعيد عبد الحي ابن الضحاك بن محمود الكرديزي (ت443هـ)، زين الأخبار، ترجمة: عفاف السيد زيدان، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2006م.
- 18- ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ترجمة عن الفرنسية: عبد العزيز جاويد، ط2، القاهرة، ج1، 1914م.
- 19- مُجّد جمال الدين سرور تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، 1965م.

-
- 20- المقدسي، مُحمَّد بن أحمد شمس الدين المقدسي (ت388هـ/997م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر للنشر، ط31، بيروت، 1991م.
- 21- ناصر خسرو، أبو معين الدين الحكيم القبادياني المروزي (ت481هـ)، سفرنامه، ترجمة: د. يحيى الخشاب، الناشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1943م.
- 22- نظام الملك الطوسي (ت485هـ)، سياسة نامه (سير الملوك)، ترجمة: د. يوسف بكار، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2007م.
- 23- النرشخي، أبو بكر مُحمَّد بن جعفر النرشخي، تاريخ بخارى، عربه عن الفارسية وقدم له وحققه: د. أمين عبد المجيد بدوي نصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف للنشر، القاهرة، 1993م.

التحليل الجغرافي لإمكانات التنمية الصناعية في محافظة ميسان للعام ٢٠٢١

الباحثة: م. ختام ثجيل شمخي

جامعة ميسان / كلية التربية / قسم الجغرافيا

الملخص

تعد التنمية الصناعية العامل الأكثر تأثيراً وسرعة في مجال التنمية مقارنة بالأنشطة الاقتصادية الأخرى في تطوير الواقع التنموي للدول ، إذ تعد من المرتكزات الرئيسية التي تحضى بتأثيرات بارزة في جوانب التنمية والتخطيط الاقليمي كما وتسهم في تحقيق اهداف استراتيجية هامة في الدولة ولوضع تخطيط ناجح يحقق مستوى عال من التنمية الصناعية لا بد من دراسة كل العوامل والمرتكزات الجغرافية التي تؤثر بشكل مباشر او غير مباشر في توطن الصناعة وتنميتها، إذ بينت الدراسة في المبحث الاول منها اهم المقومات الجغرافية الطبيعية منها والاقتصادية والسكانية اللازمة للتنمية الصناعية في محافظة ميسان.

اما المبحث الثاني من الدراسة بينت فيه التوزيع المكاني للصناعات في المحافظة ، الصناعات الاستخراجية (ماعدا النفط) والتحويلية الكبيرة منها والمتوسطة والصغيرة واعداد منشآتها وتوزعها على مستوى الوحدات الادارية في المحافظة إذ بلغت (٢٨٣) منشأة للصناعات الانشائية، اما الصناعات الخشبية والصناعات المعدنية فقد بلغت (٣١١, ٣١٢) منشأة لكل منهما على التوالي ، بينما بلغت صناعة المنسوجات (٢٧٨) منشأة والغذائية (٢٩٦) منشأة واخيرا صناعة الورق والطباعة والنشر والاعلان (٣٩) منشأة .

الكلمات المفتاحية: التنمية الصناعية، التحليل الجغرافي، التوزيع المكاني، القطاعات الاقتصادية

Geographical analysis of the potential of industrial development in Misan

Governorate for the year 2021

Lect. Khitam Thajeel Shamkhi

Abstract:

Industrial development is the most influential and rapid factor in the field of development compared to other economic activities in the development of the development reality of countries, as it is one of the main pillars that have prominent effects in the aspects of development and regional planning and contribute to achieving important strategic goals in the country and to develop successful planning that achieves a high level of industrial development must study all factors and geographical foundations that directly or indirectly affect the settlement and development of industry, As the study

showed in the first section, including the most important natural geographical components, including economic and population necessary for industrial development in Misan Governorate, either the second section of the study showed the spatial distribution of industries in the province, extractive industries (except oil) and manufacturing large, medium and small and the number of facilities and distribution at the level of administrative units in the province as it amounted to (283) established construction industries, As for the wood industries and metal industries, they amounted to (311, 312) establishments for each of them respectively, while the textile industry amounted to (278) establishments, food (296) establishments, and finally the paper industry, printing, publishing and advertising (39) establishments.

Keywords: industrial, development, geographical analysis, spatial distribution, economic sectors

المقدمة:

يعد النشاط الصناعي أحد أهم الأنشطة الاقتصادية والنشاط الحيوي الذي تعتمد عليه الاقاليم والدول في بناء اقتصادها وتطور قطاعاتها الخدمية لما يمتلكه هذا النشاط من الامكانية العالية والقدرة الكفيلة لتطوير الواقع الاقتصادي والاجتماعي والعمري، فالقطاع الصناعي يلعب دورا بارزا في عملية تحقيق التنمية ويعتبر التصنيع أحد أهم اهداف التنمية القومية، اذ انه يحقق لأفرادها الهيبة القومية من خلال انتاج السلع الصناعية وخاصة المعدنية منها. تعد الفعالية الصناعية من أبرز الفعاليات الاقتصادية التي تسهم في تشكيل الاساس الاقتصادي للمدينة. ان تنمية الصناعة تسهم في عملية الاستثمار الامثل لموارد البيئة الطبيعية من خلال تصنيع الخامات والموارد الاولية بدلا من تصديرها ومن الحصول على القيمة المضافة التي تولدها رحلة التصنيع هذه فضلا عن كون التصنيع يحفز مجالات انتاجية اخرى على التوسع بالشكل الذي يرفع مساهمتها في تحقيق التنمية الشاملة , ومن خلال ما تقدم يمكن القول ان القطاع الصناعي يسهم في نقل الاقتصاد من حالة التخلف الى حالة التقدم لأنه يساهم في توفير العملات الصعبة ويساعد القطاعات الاقتصادية الاخرى على النهوض والتطور ومن هذا المنطلق تحظى الصناعة بأهمية كبيرة جدا في التنمية الاقتصادية كونها تعمل على تطوير الاقتصاد في القطاعات الاخرى كالزراعة والصناعة والنقل والمواصلات والطاقة والخدمات الاخرى .

مشكلة البحث: تمثلت مشكلة البحث بمجموعة من التساؤلات تحاول الدراسة الاجابة عليها وهي:

أ. ما هم المرتكزات الجغرافية لمنطقة الدراسة التي تسهم في توفير امكانيات التنمية الصناعية .

ب. ما الصناعات السائدة في منطقة الدراسة؟ وماهم انواعها استجابة لمقومات التوطن الصناعي ؟

ت. من خلال التعرف على المقومات الجغرافية لمنطقة الدراسة ودراسة العلاقة مع الصناعات الحالية هل بالإمكان تحقيق التنمية الصناعية وتطويرها مستقبلاً؟

فرضية البحث:

أ. تتوفر في منطقة الدراسة مؤهلات جغرافية متنوعة كالأيدي العاملة والموارد المائية والمواد الأولية التي تزيد من فرص تحقيق التنمية الصناعية.

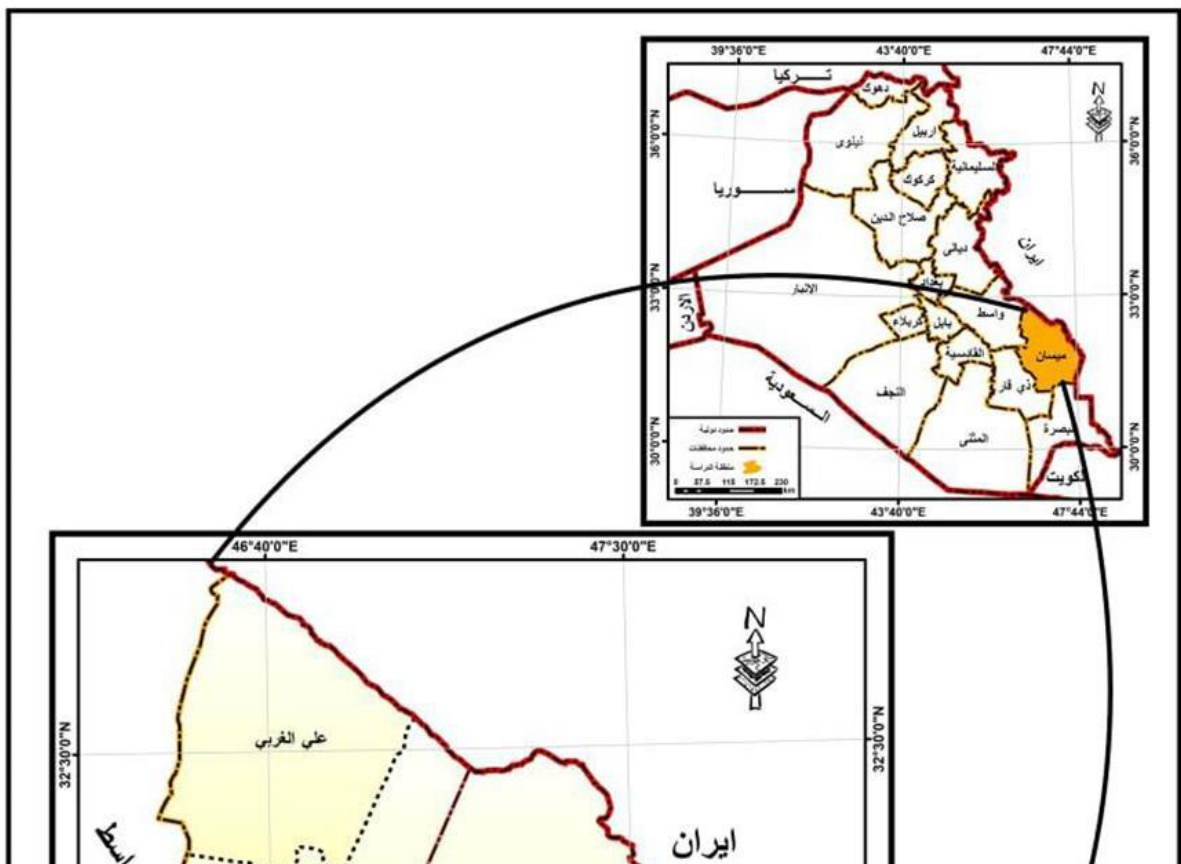
ب. توجد مجموعة من الصناعات الصغيرة في محافظة ميسان كالصناعات الغذائية والصناعات المعدنية والخشبية والانشائية والمنسوجات والطباعة والنشر والاعلان.

ت. بالإمكان تحقيق التنمية الصناعية في محافظة ميسان في ظل وجود المقومات الجغرافية بعد استخدام الطرق التنموية الحديثة.

اهمية وهدف البحث: جاءت فكرة البحث كنتيجة للأهمية التي تمتلكها الصناعة في تلبية احتياجات سكان محافظة ميسان كما تهدف الدراسة الى التعرف على العوامل الجغرافية التي تسهم في تحديد النشاط الصناعي الحالي في المدينة ومن ثم وضع المقترحات للعمل على تطويرها بما يخدم سكان المحافظة.

حدود الدراسة: تتمثل حدود الدراسة المكانية بمحافظة ميسان التي تقع بين دائرتي عرض (٣١,١٥ - ٣٢,٥٦) شمالاً وقوسية طول (٤٦,١٥ - ٤٧,٥٠) شرقاً اذ تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من العراق خريطة (١) وتحدها من جهة الشمال والشمال الغربي محافظة واسط ومحافظة ذي قار من جهة الغرب ومن الجنوب محافظة البصرة، كما لها حدود دولية مع جمهورية إيران التي تمتد من الشرق والشمال الشرقي.

خريطة (١) موقع محافظة ميسان من العراق



١- جمهورية العراق ، وزارة الموارد المائية ، مديرية المساحة العامة، خارطة العراق الإدارية، بمقياس ١ : ١٠٠٠٠٠٠ ، عام ٢٠١٠

المصدر: جمهورية العراق، وزارة الموارد المائية الهيئة العامة للمساحة، خريطة محافظة ميسان الادارية، ١:٥٠٠٠٠٠٠، عام ٢٠١٠

المبحث الاول: المرتكزات الجغرافية للتنمية الصناعية في محافظة ميسان:

١. مقومات الموقع: ان للموقع الجغرافي اهمية كبيرة في عملية تحقيق التنمية الصناعية اذ تشكل دراسته وتحليله حجر الزاوية في التحليل الجغرافي للاقليم , وذلك لما يعكسه موقع المحافظة من مرتكزات (مؤهلات) جغرافية تنموية (طبيعية , اقتصادية , بشرية) يكون لها دور كبير في استقطاب الانشطة الاقتصادية بشكل عام والانشطة الصناعية على وجه الخصوص في المحافظة , اذ ان للموقع الجغرافي تأثير مهم في تعزيز دور النشاط الصناعي وتحفيز عملية التنمية الصناعية , اذ يتحكم بالمناخ الذي يعكس بدوره على الانتاج الزراعي وبالأخص الانتاج الزراعي الصناعي , فضلا عن تنوع التكوينات الجيولوجية يسهم في تنوع الموارد المعدنية في المحافظة , كما ان للموقع الجغرافي تأثير مباشر في سهولة الاتصال بين المحافظة والمناطق المجاورة لغرض تبادل السلع مع بعضها , لذا يسهم الموقع الجغرافي مع مرتكزات التنمية الاخرى في اي تحضة تنمية صناعية في الاقليم الجغرافي^(١). كان للموقع الجغرافي الانف الذكر في حدود منطقة الدراسة دور مهم في تحديد الاهمية الاقتصادية والعمراية والوظيفية للمحافظة لأنه يعكس العلاقة المكانية بين الموارد الطبيعية والاقتصادية خاصة من ناحية امتداد خطوط النقل وكونها حلقة وصل بين محافظة البصرة التي تعد المنفذ البحري الوحيد للعراق وبين محافظات المنطقة الوسطى , فضلا عن منفذ الشيب الذي يعد نافذة اقتصادية مهمة في تطور حركة نقل البضائع بين العراق وايران وبذلك يشكل الموقع الجغرافي المتميز للمحافظة نواة ومركز تجاري مهم^(٢) يسهم هذا الموقع للمحافظة في توفير عامل مهم من عوامل التوطن الصناعي من تسهيلات النقل وامكانيات التبادل التجاري وذلك باستغلال المنفذ البحري لمحافظة البصرة الى حد كبير في استفادام مستلزمات الانتاج الغير متوفرة في البلاد لقيام الصناعة والاسهام في توفير الطلب المحلي لمحافظة ميسان وامكانية تطويرها مستقبلا . فضلا عن التاثيرات الغير مباشرة الاخرى للموقع والتي يتم ايضاحها من خلال المرتكزات الاخرى .

٢. البنية الجيولوجي: ان التاريخ الجيولوجي لمنطقة ما يحدد طبيعة وبنية الصخور فيها وبالتالي انواع المعادن المتاحة للاستثمار الصناعي مما له علاقة بالصناعات التي يمكن ان تقام او تتوطن فيها , وللبنية الجيولوجية تأثير في استقرار الموضع وفي قدرة التربة على تحمل الاثقال والانشاءات وخاصة للصناعات التي تستخدم مكائن ومعدات ثقيلة بالخاص

الصناعات التي ينجم عنها موجات اهتزازية مثل محطات توليد الطاقة الكهربائية وايضا تحديد مستوى المياه الجوفية و ثم نوع وكلف الانشاءات الصناعية مما يتوجب مراعاتها^(٣) وتتميز محافظة ميسان بأنها تقع ضمن تكوينات السهل الرسوبي الذي يرجع تكوينه الى اوائل العصر الرباعي اذ كان منخفضا هائل الحجم يشمل المناطق الوسطى والجنوبية من العراق وتكون نتيجة لزيادة جرف المواد والترسبات التي جلبتها مياه الامطار والفيضانات والانهار الى هذا المنخفض في اوقات مطيرة من العصر الرباعي .وبهذا تمتاز المنطقة بتواجد العديد من التكوينات الجيولوجية الاقتصادية الغنية بالموارد النفطية والمياه الجوفية ومواد اولية للأغراض الانشائية المشجعة على الاستثمار^(٤) وتنتشر في الجانب الشرقي من منطقة الدراسة ترسبات الحصى والرمل التي هي ترسبات تعود الى عصر البلايوسين والتي تعد من المواد المهمة والرئيسية للصناعات الانشائية بمختلف مراحلها^(٥) وبشكل عام فالمحافظة غنية برواسب المعادن اللافلزية والصخور التي تدخل في صناعة الاسمنت والحصى وهي تمتلك (٤٢,٦) مليون طن من احتياطي الرمل والحصى وتستحوذ على المرتبة الرابعة في العراق من حيث حجم الاحتياطي لهذه المادة كما توجد فيها (١٠.٨) ميون طن من احتياطي اطيان الطابوق اي انها تشكل نسبة (٣.٧٧%) من مجموع احتياطي العراق ويمكن ان تسهم هذه الكميات في حالة استثمارها بالشكل الامثل في تطوير الصناعات الانشائية كصناعة الطابوق والبلوك والكاشي والموزايك وغيرها , وبالامكان استغلال كميات الاطيان في قيام صناعة الفخار والخزف والادوات الصحية المنزلية. (العبادي، ٢٠١٩) , ومن جدول (٧) اتضح ان منطقة الدراسة تمتلك (٢٨٣) معمل للصناعات الانشائية .

٣. مظاهر السطح : ان التنوع في مظاهر السطح يسهم في تنوع المؤهلات الجغرافية لتحقيق التنمية الصناعية اذ ان لمظاهر السطح تأثير على نوع المناخ السائد وكذلك استواء السطح ودرجة انحداره وصلابته اضافة الى نوعية التربة تأثير في تحديد المساحات اللازمة والموقع المناسب لإقامة الأنشطة الصناعية^(٦) وفي صدد الحديث عن محافظة ميسان واثار مظاهر السطح , فأن المحافظة تتميز بانبساط سطحها في الجزء الاكبر منها فالمنطقة السهلية تعطي حرية ومرونة كبيرة في تحديد الموقع الامثل للأنشطة الصناعية كما ان المناطق السهلية مناسبة في تحقيق استقرار السكان والتوسع العمراني لما تقدمه من تسهيلات كبيرة في مجال توفير خدمات النقل او في ما يتعلق بتوفير الامكانيات الزراعية وهذا كله له اهمية في تحقيق التنمية المكانية . اذ ان عامل الانبساط جعل من سطح المحافظة عاملا مشجعا امام انشاء مختلف الصناعات وتستطيع مختلف الصناعات ان تتوطن في اغلب جهاته ماعدا منطقة الاهوار كونها مناطق ذات تربة غدقة او متملحة ومن جانب اخر سهولة شق قنوات ري المزروعات الامر الذي يساعد بدوره في تطوير الواقع الزراعي والذي يدعم الواقع الصناعي^(٧) كما تمتاز محافظة ميسان بغناها بالعديد من الثروات المعدنية والتي تتوافر في مناطق مختلفة وبكميات اقتصادية اذ يمكن استثمارها بهدف تحقيق التنمية الصناعية في المحافظة ولا سيما ضمن المناطق المتخلفة اقتصاديا من المحافظة.

٤. **خصائص المناخ:** لصفات المناخ وخصائص عناصره المختلفة انعكاسات هامة على النشاط الصناعي ومواقع منشآته^(٨)، اذ تقع محافظة ميسان ضمن اقليم المناخ الصحراوي الحار الجاف الذي يسود في منطقة السهل الرسوبي والهضبة الغربية، وبذلك تحققت القارية العالية والفرق الكبير في المدى الحراري اليومي والسنوي بسبب بعد المنطقة عن المسطحات المائية فضلا عن قلة الغطاء النباتي وانخفاض الرطوبة وشفاء السماء وقلة الغيوم وللمناخ دور كبير في توزيع المراكز الحضرية^(٩) مما له تأثير في كل الانشطة الاقتصادية والفعاليات السكانية المختلفة، وتتاثر الصناعات في المحافظة بمختلف عناصر المناخ ابتداء بدرجات الحرارة اذ تؤثر درجات الحرارة على الترب نوعيتها والانتاج الزراعي وكذلك كمية الامطار اذ تعاني منطقة الدراسة من قلة وتذبذب كمية الامطار الامر الذي ينعكس على انخفاض الانتاج الزراعي وتقلص مساحة المراعي، الامر الذي يدعو الى حل المشكلة باستخدام التقنيات الحديثة في تنمية الانتاج الزراعي وبالأخص مدخلات عمليات الانتاج الصناعي الناتجة عنه من محاصيل صناعية ومنتجات ثروة حيوانية الضرورية لأحداث تنمية صناعية، اذ ان منتجات النشاط الزراعي تعد اهم مدخلات الصناعات الغذائية ذات العلاقة الكبيرة بحياة السكان حيث ان التركيز على تطوير المنتجات الزراعية ينعكس بشكل كبير على تنمية وتطوير الصناعات الزراعية في منطقة الدراسة فضلا عن تأثير الامطار بشكل مباشر على الصناعات الانشائية

اما عن دور عامل الرطوبة فتتاثر عدد من الصناعات بارتفاعها اذ تتاثر بما بعض الصناعات النسيجية مثل حلج القطن، والصناعات الخشبية وبعض الصناعات الغذائية، اما الرياح واتجاهها لها دورا كبيرا في مشكلات التلوث البيئي اذ لا بد من اخذ اتجاهها في عين الاعتبار عند اقامة المنشآة الصناعية^(١٠).

٥. **الموارد المائية:** تعد الموارد المائية أحد المتطلبات الرئيسية لتحقيق التنمية الصناعية مكانيا، ولا سيما إذا توافرت بنوعيات جيدة وبكميات اقتصادية تتناسب مع متطلبات توطن الانشطة الاقتصادية الزراعية والصناعية والتي تشكل أنشطة رئيسية لتحقيق التنمية المكانية، اضافة الى اهمية الموارد المائية في تحقيق الاستيطان البشري، والذي يعتبر متطلب موقعي مهم لتوطن الانشطة الصناعية. ان اهمية المياه في تحقيق التنمية الصناعية تأتي من انها تشكل عنصرا رئيسيا في جميع العمليات الانتاجية للمشاريع الصناعية. اذ تشكل المياه عنصرا مهما في مراحل عملية الانتاج للتبريد وتوليد البخار والغسيل وترطيب الجو... الخ كذلك توافر المياه بنوعية جيدة وبكميات اقتصادية ملائمة للإنتاج الزراعي ولا سيما في المناطق الصالحة للزراعة، يساهم في زيادة الانتاج كما ونوعا، اذ أن اهمية المياه تختلف حسب نوعيتها وطبيعة متطلبات الانشطة الصناعية^(١١) وتتمثل المياه السطحية في محافظة ميسان بنهر دجلة وتفرعاته ونجري الطيب والدويريج والمياه الجوفية والابار فضلا عن مياه الاهوار، كما ان المستوطنات البشرية في العراق تمتد على شكل محاور رئيسية تسيير في الغالب مع امتداد الأنهار مما يشير الى اهمية الأنهار في ايجاد المستوطنات وتوزيعها وتطورها وهذا ما نجده في محافظة ميسان اذ تمتد

المستوطنات الحضرية بشكل خطي مع امتداد نهر دجلة وفروعه ، الامر الذي ينعكس على الانشطة الزراعية والاقتصادية سلبا او ايجابا استجابة لنوعية المياه وطبيعتها .اما المياه الجوفية في منطقة الدراسة ، فتختلف كميتها ونوعيتها تبعا لاختلاف مواقعها والتكوينات الجيولوجية لأراضيها التي اسهمت في توفر المياه لا سيما في شرق وشمال شرق محافظة ميسان^(١٢) و التي تسهم بدور فعال في توطن الصناعات الانشائية ، ومما تجدر الاشارة اليه ان المنشآت الصناعية الصغيرة هي الاوفر حظا في استغلال المياه كأحد المدخلات المهمة في الصناعة ويعود ذلك الى تنوع العمليات الصناعية التي تقوم بها تلك المنشآت كما ان اغلب المنشآت الكبيرة متوقفة عن العمل مثل (معمل السكر ومعمل الورق ومعمل البلاستيك وبعد غيابها اصبحت الصناعات المعدنية اللافلزية الانشائية كصناعة الطابوق تمثل الصناعات الكبيرة في استيفاء الحصة المائية وعلى العموم فان نسبة الاستخدام الصناعي للمياه قد بلغت (١١%) من اجمالي المياه المستغلة من نهر دجلة اذ يمثل المرتبة الثانية بعد الاستخدام المنزلي^(١٣) مما سبق فان منطقة الدراسة تمتلك كميات كبيرة من الموارد المائية السطحية والجوفية التي تمكنها النهوض بالواقع الصناعي .

ثانيا: دور السكان والقوى العاملة في تحقيق التنمية الصناعية في محافظة ميسان:

يعد توافر السكان احد ابرز المرتكزات الرئيسية لتحقيق التنمية الاقتصادية بشكل عام والتنمية الصناعية على وجه التحديد ضمن الاقاليم الجغرافية المتخلفة اذ ان لتوافر السكان وبأعداد كبيره اهمية كبيرة مزدوجة في مجال تحقيق التنمية المكانية وذلك من خلال توفير القوى العاملة اللازمة التي تحتاج اليها الانشطة الاقتصادية ومنها الانشطة الصناعية اضافة الى الانشطة الخدمية الاخرى التي تتطلبها عملية تحقيق التنمية المكانية فضلا عن مساهمة السكان في ادارة الانتاج والتسويق ومن ناحية اخرى فان الاعداد الكبيرة من السكان يمكن ان تشكل سوقا مهما لتصريف المنتجات الصناعية وهذا له دور كبير في تعزيز عملية تحقيق التنمية الصناعية ضمن الحيز المكاني للإقليم .اذ ان هناك تباين واضح في التنمية المكانية بين الاقاليم المزدهمة بالسكان والاقاليم المتخلخلة سكانيا ، كما تعد القوى العاملة الماهرة في ظل التقدم التكنولوجي الصناعي الحديث ، من المتطلبات الرئيسية لتحقيق التنمية الصناعية بل تشكل عقبة رئيسية امام التنمية المكانية ضمن الاقاليم المتخلفة بسبب ندرتها وارتفاع نسبة القوى العاملة غير الماهرة التي تفتقر الى المهارات والخبرات الفنية والادارية والقدرة على ادارة عمليات الانتاج الصناعي وبالتالي فهي لا تلي متطلبات الانشطة الصناعية الحديثة والتي تشكل عقبة رئيسية باتجاه تحقيق التنمية الصناعية . كما ان توافر الاعداد الكافية من القوى العاملة يتطلب الاخذ في الاعتبار تحقيق الموازنة في توزيعها بين الانشطة الاقتصادية المختلفة^(١٤) وليبيان تأثير السكان والقوى العاملة في تحقيق التنمية الصناعية في محافظة ميسان لابد من عرض وتحليل الواقع القائم للتوزيع الجغرافي للسكان في محافظة ميسان:

١. خصائص السكان في محافظة ميسان (نمو سكان الحضر) : ان دراسة الخصائص السكانية للمدن تعد من اهم السمات المعاصرة للدراسات الحضرية لما لها من اهمية بالغة في تحديد النشاط الاقتصادي والاجتماعي^(١٥) فمن خلال البيانات الخاصة بالاعداد السكاني في المحافظة نلاحظ تزايد سكان المحافظة الحضر في عام ١٩٧٧ الى (٤٢١١٥٣) وفي عام ٢٠٢١ بلغ (٨٩٣٤١٦). ولا زالت نسبة سكان الحضر في تزايد نتيجة ميل السكان الى السكن في المناطق الحضرية^(١٦) وتبين من جدول (١) ان قضاء العمارة يشكل الثقل السكاني الكبير في المحافظة لكونه مركز المحافظة ويضم المؤسسات الحكومية والادارية ومراكز التجارة الرئيسية والمنشأة الصناعية تمثلت بمصانع المعتمص للزيوت النباتية والصابون ومعمل البلاستيك التي تعود ملكيتها للقطاع العام , وكثير من المشاريع الصغيرة والكبيرة التي تجذب الايدي العاملة وتطور الخدمات التعليمية والصحية وغيرها من الخدمات الاخرى ويأتي بعدها قضاء المجر الكبير وقلعة صالح التي شهدت زيادة تفوق بقية الاقضية كما ان بعض المراكز لم تشهد زيادة كبيرة في سكانها بسبب اعتماد سكانها بشكل كبير على الانتاج الزراعي مثل ناحية علي الشرقي , وسيد احمد الرفاعي وبنو هاشم . وان التراجع في الخدمات الاساسية يدل على وجود فوارق في القطاعات الخدمية والاقتصادية والاجتماعية كافة وسوء توزيعها ضمن المحافظة ما له الاثر الكبير في تغيير طبيعة النظام الحضري في محافظة ميسان بسبب تفاقم كثير من المشكلات الحضرية، وهذا يتطلب ايجاد سياسات داعمة لاتباع استراتيجية جديدة لإيجاد نظام حضري يتشكل وفق اسس ومعايير تتناسب مع التنمية المكانية المتوازنة.

جدول (١) توزيع السكان حسب الاقضية في محافظة ميسان عام ٢٠٢١

القضاء	عدد السكان
العمارة	٦٥٦٥٤٩
علي الغربي	٥٩٧٧٧
الكحلاء	١٠١١٥٣
الميمونة	١١٨٢٨٤
المجر الكبير	١٧٦٥٠٢
قلعة صالح	١٢١٨٣٤

المجموع	١٢٣٤٠٩٩
---------	---------

المصدر: وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، تقديرات السكان لمحافظة ميسان عامي ٢٠٢١.

٢. **تركيب السكان في محافظة ميسان:** يعد دراسة التركيب النوعي والعمري اهم خاصيتين من خواص تكوين اي مجموعة سكانية ولهما دلالاتهما الخاصة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي وأثرهما في الخواص الديموغرافية المختلفة^(١٧)، اذ يساعد الجانب الديموغرافي في التعرف على الموارد البشرية في المجتمع ويبين مدى امتلاك المنطقة السمات الحضرية، وعلى معرفة حجم العناصر الشابة لأنها تمثل القوى العاملة والمؤثرة في المجتمع، اذ تؤدي زيادة هذه القوى الى زيادة حجم الانشطة الاقتصادية ويعد التركيب العمري من الامور المهمة للتعرف على حجم القوى العاملة ومعدلات الاعالة والمشاركة الاقتصادية للذكور والاناث^(١٨)

أ . التركيب النوعي: وتأتي اهمية هذه الدراسة تركيب السكان لان الفرد ذكرا كان او انثى يعد المحدد الاساسي لكل نشاطاته ومواقفه ومجالات عمله مستقبلا، ويساعد في معرفة الاحتياجات المستقبلية لسوق العمل اذ ان سيادة نوع محدد يؤثر في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية^(١٩) وجدول (٢) يوضح نسبة النوع في المحافظة في عامي ١٩٩٧ و ٢٠٢١.

جدول (٢) نسبة النوع في محافظة ميسان حسب تعداد ١٩٩٧ وتقديرات ٢٠٢١

السنة	المحافظة
١٩٩٧	٩٥
٢٠٢١	٩٩

المصدر: ١- جمهورية العراق، مجلس الوزراء، هيئة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، نتائج التعداد العام لسنة (١٩٩٧) الجزء الخاص بمحافظة ميسان، ص.٧٦

٢- جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، تقديرات سكان محافظة ميسان حسب فئات العمر ٢٠٢١ (بيانات غير منشورة).

ب. التركيب العمري: تعد فئات السكان دالة على قوة الدولة الانتاجية والفكرية والاقتصادية وقدرتهم الحيوية^(٢٠) ومن خلال دراسة التركيب العمري يمكن تحديد الطاقات البشرية العاملة منه والقادرة على العمل فضلا عن انها تفيد مخططي المدن بتوفير مؤشرات مهمة للسكان^(٢١) ويبين جدول (٣) ان الفئة العمرية (اقل من ١٥) سنة بلغت (٤١%) من مجموع سكان المحافظة في عام ٢٠٠٧ ارتفعت الى (٤٣%) (٢٠١٩) وازدادت بشكل واضح عام ٢٠٢١ الى (٤٤.٤%) كما تبين ارتفاع نسبة فئة متوسط السن الى (٥٦%) عام ٢٠٠٧ وانخفاضها ٥٤% عام ٢٠١٩ و(٥٢.٧%) عام ٢٠٢١ رغم الانخفاض التدريجي لهذه الفئة على مدى تلك الاعوام نتيجة الظروف السياسية والامنية التي يمر بها البلد الا انها الفئة الاكبر بين بقية فئات السكان العمرية ويعود ارتفاع هذه الفئة الى الهجرة من الريف الى مناطق الحضر بحثا عن فرص عمل لكثرة المؤسسات الخدمية والادارية في هذه المراكز التي يقابلها تدني مستوى الخدمات في الريف وخاصة التعليم والصحة , وان ارتفاع هذه الفئة له دلالة مهمة تبين قدرة السكان العالية على الانتاج , وان سكان منطقة الدراسة يقع ضمن الفئة الشابة التي يعول عليها كثيرا في النشاط الاقتصادي التي تزداد بزيادة الهجرة من الريف الى المدينة لا سيما الذكور من اجل العمل او للسكن قرب اماكن عملهم , كما يلحظ انكماش فئة كبار السن الى (٣%) وهذا يبين انخفاض مستوى الرعاية الصحية والمعاشية , وارتفاع نسبة الوفيات ضمن هذه الفئة من السكان .

جدول (٣) الفئات العمرية للسكان في محافظة ميسان للأعوام (٢٠٠٧.٢٠٢١)

فئات السن	٢٠٠٧	٢٠١٩	٢٠٢١
من ١٤ - ٠ سنة	٤١%	٤٣%	٤٤.٤%
من ١٥ - ٦٤ سنة	٥٦%	٥٤%	٥٢.٧%
من ٦٥ فأكثر	٣%	٣%	٣%

المصدر: ١. وزارة التخطيط والتعاون الانمائي، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، تقديرات السكان لعامي ٢٠٠٧ - ٢٠١٩ محافظة ميسان.

٢. جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، تقديرات سكان محافظة ميسان حسب فئات العمر الخمسية والجنس والبيئة لسنة ٢٠٢١،

٣ دور القوى العاملة

تشكل القوى العاملة محدد رئيسي لتحقيق التنمية الصناعية في الاقاليم الجغرافية المتخلفة ولا سيما بالنسبة للصناعات الحديثة ذات التكنولوجيا الصناعية المتطورة , اذ يعتمد دور قوة العمل في تحديد الاتجاهات المكانية للتنمية الصناعية على طبيعة الانشطة الصناعية من حيث متطلبات قوة العمل الماهرة وغير الماهرة وايضا التوزيع المكاني لقوة العمل ولا سيما الماهرة اذ ان تركزها ضمن اماكن او أنشطة اقتصادية محددة , يؤدي الى وجود تباين مكاني في اتجاهات التنمية المكانية بين الاقاليم الجغرافية المختلفة ولا سيما اذا تركزت قوة العمل في الانشطة الاقتصادية الالاساسية , لان تطور الاقاليم الجغرافية المختلفة يعتمد اساسا على نقل قوة العمل من الانشطة الاقتصادية الالاساسية الى الانشطة الالاساسية (الزراعة والصناعة) التي تشكل الاساس في تحقيق التنمية المكانية^(٢٢) اذ تؤثر النشاطات الاقتصادية على نشأة وتطور المدينة ويختلف تأثير عناصرها تبعاً لأهمية كل منهما التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً لتحقيق دورها التكاملية في نمو المدينة^(٢٣)

ثالثاً: المركبات الجغرافية الاقتصادية للتنمية الصناعية في محافظة ميسان:

١. المواد الخام الالوية : على الرغم من ان تحقيق التنمية الصناعية في الاقاليم الجغرافية المتخلفة لا يعتمد بشكل اساسي على توافر المواد الخام محلياً ضمن الاقاليم اذ ان المواد الخام الالوية محلياً لا يمكن اعتباره العامل الوحيد المحدد لنمط انتشار الانشطة الصناعية مكانياً ولا سيما اذا كان لعوامل التنمية الصناعية الاخرى مثل السوق , القوى العاملة , طرق ووسائل النقل وخدمات البنى الارتكازية الاخرى وزن وتأثير اكبر يفوق عامل المواد الخام الالوية في تحديد الموقع الامثل للنشاط الصناعي ويعتمد اساساً على حجم ونوع الصناعة وطبيعة متطلباتها من المواد الخام والمدخلات الرئيسية الاخرى في العملية الإنتاجية^(٢٤) وتتمتع محافظة ميسان بوجود امكانات نمووية جيدة من المواد الخام الالوية من مواد خام معدنية (الفلزية واللافلزية والتي تتباين في توزيعها الجغرافي من حيث الكم والنوع بين مناطق المحافظة المختلفة اذ ان لهذه الخامات المتوفرة اهمية كبيرة في دعم الصناعات الانشائية وتحقيق التنمية الصناعية في المحافظة فيما لو تم استثمارها اقتصادياً, اما المواد الخام الزراعية (النباتية والحيوانية) تشكل مرتكزاً مهماً في مجال تحقيق التنمية الصناعية ولا سيما في مجال توطن الصناعات الزراعية التي تضم مجموعة من الانشطة الصناعية التحويلية كالصناعات الغذائية والنسيجية اضافة الى صناعة دبغ الجلود كما يعد القطاع الزراعي من القطاعات الرئيسية واداة مهمة في مجال تحقيق التنمية الاقتصادية ولا سيما في المناطق الريفية . اذ يساهم القطاع الزراعي في توفير الايدي العاملة والمواد الخام الالوية التي تحتاج اليها العديد من الانشطة الصناعية

في عملياتها الانتاجية بينما يساهم القطاع الصناعي في توفير الآلات والمكائن والبذور والاسمدة ، تتوفر في محافظة ميسان مساحات واسعة من الاراضي الصالحة للزراعة بلغت (٢٥٤٧٢٧٣) دونم اما المساحة التي بحوزة الفلاحين والمزارعين حسب القوانين والقرارات الزراعية النافذة هي (١٥٢٥٧٢٣) دونم وتشكل هذه المساحة نسبة (٦٠%) من اجمالي المساحة الصالحة للزراعة عام ٢٠٢١^(٢٥) كما يتضح من المؤشرات الرئيسية لمجموعة من المحاصيل الزراعية في محافظة ميسان وفقا لبيانات الاحصاء الزراعي عام ٢٠٢١ اذ بلغ انتاج الحنطة (٦٤٥١٩) طن اما الشعير بلغ (١١٢٦٦٠) طن والشلب (٤٤٣٥) طن والنخيل (٨٦٨) للعشرة طن.

اما فيما يخص المواد الخام الحيوانية فتتوفر في محافظة ميسان امكانيات جيدة من حيث حجم الثروة الحيوانية المتمثلة بالأغنام، الماعز، الابقار، الجاموس والإبل وكما موضح في الجدول (٥). والتي يمكن ان تشكل منتجاتها من الاصواف، الشعر، الجلود اضافة الى الحليب ومشتقاته، مدخلات مهمة للصناعات النسيجية والجلود التي تفتقر اليها المحافظة فضلا عن الصناعات الغذائية .

جدول (٥) مجموع حيوانات الماشية في محافظة ميسان عام ٢٠٢١

الحيوانات	الاعنام	الابقار	الماعز	الجاموس	الإبل	المجموع
العدد	٥٧٢٨٦٣	١٩٦٦٧٠	٣٦٧٩٣	٥٦٣٨٨	٩٨٢١	872535

المصدر: مديرية زراعة ميسان / قسم التخطيط والمتابعة ببيانات غير منشورة ، ٢٠٢١.

٢. **طرق النقل:** يعد مستوى تطور شبكة طرق ووسائل النقل وتوزيعها الجغرافي ، احد العناصر الاساسية في نجاح تحقيق التنمية الصناعية في محافظة ميسان ، اذ تمتلك المحافظة شبكة من طرق النقل البري (السيارات) ذات التباين الواضح في توزيعها المكاني سواء ما تربط بين اقصية المحافظة ، فضلا عن تلك التي تربط المحافظة مع المحافظات المجاورة ثم الدول المجاورة مثل محافظة البصرة التي تربط مباشرة مع طرق للنقل البري مع ايران و منفذ وطرق برية وبحرية مع الخليج العربي ، كذلك تربط محافظة ميسان مع محافظة واسط التي بدورها تربط بطرق نقل برية مع ايران (منفذ الشلامجة) . كما تمتلك المحافظة شبكة من الطرق البرية المباشرة مع إيران(منفذ الشيب)ولهذه الشبكة من الطرق اهمية في توفير مرونة كبيرة في مجال تأمين عمليات النقل الخارجي للمحافظة لأغراض الاستيراد والتصدير، اذ بلغ عدد الطرق (٥) طرق رئيسية

- بمجموع اطوال (٣٥٩) كم اما الطرق الثانوية التي تربط مركز الاقليم الواحد مع بعضها بلغت (١٧) طريقا بطول (٣٥٧) كم، بينما الطرق الحدودية فقد بلغت (٦) طرق بطول (٢٤٦,٥) كم^(٢٦).
٣. **راس المال:** ان من أبرز متطلبات تحقيق التنمية الصناعية الحديثة ضمن الحيز المكاني للإقليم الجغرافي هو توفير رؤوس الاموال اللازمة لإنشاء مشاريع صناعية كبيرة ذات مستوى تكنولوجي صناعي متطور تلي متطلبات التنمية المكانية. ان توافر راس المال ذا اثر فاعل في دعم المشاريع الصناعية سواء بالدعم الحكومي او توفير التسهيلات قبل الاستثمار يطلق عليها الحوافر التشجيعية. ويتم توفير وتراكم رؤوس الاموال واستثمارها في القطاع الصناعي من خلال ترشيد الاستهلاك وتحسين الانتاجية في الانشطة الاقتصادية المختلفة وتنظيم عمليات الادخار والاستثمار وتوجيهها نحو القطاع الصناعي^(٢٧).
٤. **السوق :** يلعب السوق دورا رئيسيا في تحقيق التنمية الصناعية , وتبرز هذه الاهمية من خلال علاقة الارتباط الوثيقة بين حجم الانتاج الصناعي ونطاق السوق اذ ان اتساع نطاق الاسواق سيسهم في زيادة تصريف المنتجات الصناعية ومن ثم زيادة العوائد الاقتصادية (الارباح) التي تساهم في تسريع عملية التنمية الاقتصادية لذا تعد عمليات التسويق وما يرتبط بها من عمليات توزيع المنتجات الصناعية من بين اهم متطلبات الصناعة الحديثة التي تعتمد بشكل رئيسي على الانتاج الكبير الذي يتطلب اسواقا واسعة سواء كانت اسواق محلية تعتمد على حجم السكان ومتوسط الدخل او اسواقا خارجية تعتمد اساسا على نوعية السلعة من حيث الجودة وقيمتها وقدرتها على المنافسة في الاسواق الخارجية^(٢٨). وبصدد دور السوق في تحقيق التنمية الصناعية في محافظة ميسان ووفقا لما جاء سابقا في جدول (١) يظهر وجود تركيز كبير للسكان ضمن مناطق محددة من المحافظة , وهذا خلق حالة من اللاموازنة في حجوم الاسواق بين الاقضية وفق مؤشر حجم السكان اذ يظهر ان قضاء العمارة حاز على المركز الاول في عدد السكان يليه قضاء علي الغربي والمجر الكبير وهذا يفسر تركيز العدد الاكبر من الصناعات في مركز المحافظة وفقا لمعيار حجم السكان , وهي اساسا انشطة ذات طابع استهلاكي ترتبط ارتباطا وثيقا بمناطق الاسواق كما يعتمد السوق على طبيعة المستوى المعاشي للفرد ودخله . اذ بلغ دخل الفرد بأسعار السوق في محافظة ميسان وفق دراسة عام ٢٠٢١ (٢٨٥,٧) ألف دينار شهريا واجمالي دخل الاسرة (٦, ١٩٣٠) ألف دينار شهريا، اما مجموع أنفاق الفرد بأسعار السوق بلغت (٢٤٦,٤) ألف دينار شهريا^(٢٩).
٥. **مصادر الوقود والطاقة:** ان المصدر الاساسي للطاقة في الصناعة هي بالدرجة الاولى الوقود والكهرباء ثم الغاز الطبيعي والطاقة اما تستخدم لتوليد الحرارة (افران الصهر) وهنا تكون الطاقة على شكل وقود، واما

تستخدم قوة دافعة لدفع المكائن ولتحريك المكائن والمنتجات وهنا تكون الطاقة على شكل قوة كهربائية^(٣٠) وباعتبار محافظة ميسان غنية بمحصول النفط والغاز اذ بلغت الطاقة التصميمية للنفط الخام وفق خطة التنمية الصناعية من (٢٠١٨ . ٢٠٢٢) (٢٤ الف برميل) في اليوم للمحافظة^(٣١) وفي محافظة ميسان تتمثل مصادر الوقود والطاقة بمصفاى ميسان ومحطة شمال العمارة التي تعمل بالديزل ومحطة الكحلاء الغازية ومحطة البزركان الغازية الامر الذي يعد محفزا لإنشاء صناعات تعتمد عليها في توفير مصادر الطاقة

٦. السياسة الحكومية :

ان الاتجاه العام للنشاط الاقتصادي للمحافظة يتجه نحو العمل في المؤسسات الحكومية وقطاع التجارة والخدمات بنسب عالية مقارنة مع العاملين في قطاع الزراعة بالرغم من توفر الترب الخصبة والملائمة للزراعة، لكن منذ سنوات يشهد هذا القطاع تراجعاً كبيراً. اذ ان ضعف سياسات التخطيط والتنمية في معالجة الاختلال المكاني في توزيع الاستثمارات الاقتصادية والصناعية وتراجع مستوى الكفاءات لكثير من الأنشطة الاقتصادية الكبيرة في ظل عدم وجود سياسة حكومية واضحة لحماية الانتاج الصناعي المحلي واتجاه السكان نحو العمل في القطاع الحكومي والخدمات ,

اذ ان نمو المدن وزيادة اعداد السكان لا بد ان يصاحبه نمواً اقتصادياً استجابة لتلك الزيادة من خلال تنامي دور الموارد البشرية لكونها منتجة ومستهلكة في نفس الوقت مما يعمل على تحسين الواقع الحضري في محافظة ميسان ليحقق توزيع عادل لمشاريع التنمية والاستثمار والاستفادة من الموارد الطبيعية المتاحة والتي تساهم في ارتفاع ورفاهية السكان فيما لو تم تنميتها بصورة صحيحة^(٣٢).

المبحث الثاني: التحليل الجغرافي لواقع النشاط الصناعي في محافظة ميسان:

١. **الصناعات الغذائية:** تبين من خلال جدول (٦) وخريطة (٣) ان عدد منشآت الصناعات الغذائية بلغت (٢٩٦) وتركز العدد الاكبر منها في مدينة العمارة بشكل كبير يفوق بقية الاقضية والنواحي التابعة لها اذ بلغت (١٦٩) منشأة كان النصيب الاكبر منها للمخابز والافران كما وتفرد مركز المحافظة بصناعة (تعبئة المياه , المرطبات , منتجات الالبان , مجازر اللحوم) . وتميزت قضاء المجر بارتفاع اعداد مطاحن الحبوب والمجازر بشكل يفوق بقية المحافظة بلغت (٣٠) منشأة^(٣٣) بين مطحنة ومجرشه فضلا عن توطن الافران والمخابز في قضاء المجر الكبير بشكل واضح عن غيره من الوحدات الادارية .

جدول (٦) التوزيع الجغرافي للصناعات الغذائية في محافظة ميسان لسنة ٢٠٢١

الوحدة الادارية	والخباز والمخبزات	افران الصمون	ثلج	المطاحن والمجارش	مجازر اللحوم	منتجات الالبان	المرطبات	تعبئة المياه	المجموع
العمارة	١٣٠		١٢	١٩	٢	١	٢	٣	169
الكحلاء	٩		١	٤	٠	٠	٠	٠	14
المجر الكبير	٣٠		٣	٢١	٠	٠	٠	٠	54
الميمونة	١١		٢	٤	٠	٠	٠	٠	17
علي الغربي	١٥		٥	٤	٠	٠	٠	٠	24
قلعة صالح	١٢		١	٥	٠	٠	٠	٠	18
المجموع	207		24	57	2	1	2	3	296

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على الدراسة الميدانية ودائرة احصاء ميسان (أطار حصر المنشآت الصناعية) في محافظة ميسان ٢٠٢١.

٢. الصناعات الانشائية:

يلحظ من بيانات الجدول (٧) وخريطة (٣) تواجد اصناف متعددة من الصناعات الانشائية في المحافظة اذ بلغ عددها (٢٨٣) منشئة وتركز النسبة الاكبر منها في مركز المحافظة مدينة العمارة ب(١٣٨) منشئة وتوزع الباقي على الاقضية الاخرى , وحصلت صناعات الطابوق وتكسير الحصى وغريلة الرمل على النسبة الاكبر على مستوى المحافظة ب(٩٤) و(٩١) لكل منها على التوالي , كما يلحظ خلو بعض الوحدات الادارية من هذه الصناعات بينما تميز بعضها بالتغلب على مركز المحافظة في بعض الصناعات مثل صناعة تكسير الحصى وغريلة الرمل في قضاء علي الغربي ب(٨٠) منشئة .

جدول (٧) التوزيع الجغرافي للصناعات الانشائية في محافظة ميسان عام ٢٠٢١

الوحدة الادارية	الطابوق	الاسفلت	البلوك	الكاشي	الانشايكبر	تكسير الحصى	صناعة الكونكريت	صناعة الاسمنت	المجموع
العمارة	٥٥	١٢	٢٩	١٧	١٠	١١	٣	١	١٣٨
الكحلاء	٠	١	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٤

٢١	٠	٠	٠	٢	٠	٦	٠	١٣	المجر الكبير
٢٧	٠	٠	٠	١	٠	٢	٠	٢٤	الميمونة
٨٢	٠	٠	٨٠	٠	٠	٢	٠	٠	علي الغربي
١١	٠	٠	٠	٢	٠	٥	٢	٢	قلعة صالح
٢٨٣	١	٣	٩١	١٥	١٧	٤٧	١٥	٩٤	المجموع

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على الدراسة الميدانية ودائرة احصاء ميسان (أطار حصر المنشآت الصناعية) في محافظة ميسان ٢٠٢١.

٣. **الصناعات الخشبية:** يلحظ من الجدول (٨) وخريطة (٣) ان عدد ورش الصناعات الخشبية بأصنافها المختلفة (اثاث منزلي، ابواب وشبابيك، غرف النوم) بلغت في المحافظة (٣١١) منشئة وكان النصيب الاكبر منها في مدينة العمارة بواقع (٢١١) اي بفارق كبير عن بقية الوحدات الادارية التي تتراوح بين (٦- ١٥) ورشة نجارة مما يعني تركزها العالي في مركز المحافظة، ماعدا قضاء المجر الذي حاز على (٦٤) ورشة.

جدول (٨) التوزيع الجغرافي للصناعات الخشبية في محافظة ميسان عام ٢٠٢١

الوحدة الادارية	ورش الصناعات الخشبية
العمارة	٢١١
الكحلاء	٦
المجر الكبير	٦٤
الميمونة	٦
علي الغربي	١٠
قلعة صالح	١٥
المجموع	٣١١

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على الدراسة الميدانية ودائرة احصاء ميسان (أطار حصر المنشآت الصناعية) في محافظة ميسان ٢٠٢١.

٤. **الصناعات المعدنية:** يتبين من خلال ما جاء في جدول (٩) وخريطة (٣) عن الصناعات المعدنية في محافظة ميسان استيلاء ورش صناعة الحديد على النسبة الأكبر بالمقارنة مع ورش صناعة الألمنيوم إذ حازت على (٢٢٥) ورشة في عموم المحافظة من أصل (٣١٢) منشئة للصناعات المعدنية وكان النصيب الأكبر منها لمركز قضاء المحافظة مدينة العمارة بـ(١٣٤) منشئة لصناعة الحديد و(٧٠) لصناعة الألمنيوم. أيضا يلحظ من الجدول تواجد ورش صناعة الحديد والألمنيوم في عموم الوحدات الادارية للمحافظة ولكن بأعداد متدنية بالمقارنة مع قضاء العمارة .

جدول (٩) التوزيع الجغرافي للصناعات المعدنية في محافظة ميسان ٢٠٢١

الوحدة الادارية	الألمنيوم	الحديد	المجموع
العمارة	٧٠	١٣٤	٢٠٤
الكحلاء	٢	٢٠	٢٢
المجر الكبير	٥	٣٥	٤٠
الميمونة	٣	٩	١٢
علي الغربي	٥	١٩	٢٤
قلعة صالح	٢	٨	١٠
المجموع	87	225	٣١٢

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على الدراسة الميدانية ودائرة احصاء ميسان (أطار حصر المنشآت الصناعية) في محافظة ميسان ٢٠٢١.

٥. **صناعة المنسوجات والالبسة:** يلحظ من جدول (١٠) وخريطة (٣) ان عدد ورش صناعة الملابس والمنسوجات (٢٧٨) ورشة في عموم المحافظة وكانت الحصيصة الأكبر لورش الخياطة البالغة (٢٤٣) والنصيب الأكبر منها لمركز المحافظة مدينة العمارة (٨٣) ورشة تليها المجر الكبير بـ (٧٨) ورشة وقلعة صالح (٣٩) ورشة اما بقية الوحدات الادارية فتتراوح بين (٧.٢٤) ورشة، بينما ورش الندافة فقد بلغت (٣٥) ورشة في محافظة ميسان وكان النصيب الأكبر فيها لمدينة العمارة بـ(١٦) ورش للندافة اما بقية الاقضية والنواحي فتراوحت بين (٤.٢) ورشة .

جدول (١٠) التوزيع الجغرافي لصناعة الملابس والمنسوجات في محافظة ميسان ٢٠٢١

الوحدة الادارية	الخياطة	الندافة	المجموع
-----------------	---------	---------	---------

العمارة	٨٣	١٦	٩٩
الكحلاء	٢٤	٢	٢٦
المجر الكبير	٧٨	٤	٨٢
الميمونة	١٥	٢	١٧
علي الغربي	٧	٣	١٠
قلعة صالح	٣٩	٤	٤٣
المجموع	٢٤٣	٣٥	٢٧٨

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على الدراسة الميدانية ودائرة احصاء ميسان (أطار حصر المنشآت الصناعية) في محافظة ميسان ٢٠٢١.

٦. صناعة الورق والطباعة والنشر والاعلان: يعد معمل صناعة الورق من المعامل القديمة الانشاء في محافظة

ميسان ولكن متوقف عن العمل في الوقت الحاضر منذ عام ٢٠٠٣ والذي يعد من منشآت القطاع الحكومي والكبيرة , بينما منشآت الطباعة والاعلان التي تعود للقطاع الخاص مستمرة في العمل وفي تزايد نتيجة تزايد الطلب ومن جدول (١١) وخريطة (٣) اتضح تواجد (٣٤) منشأة للطباعة متوزعه على ثلاث وحدات ادارية هي (قضاء العمارة، قضاء المجر، قضاء علي الغربي)، حاز قضاء العمارة على المركز الاول.

جدول (١١) صناعة الطباعة والورق في محافظة ميسان

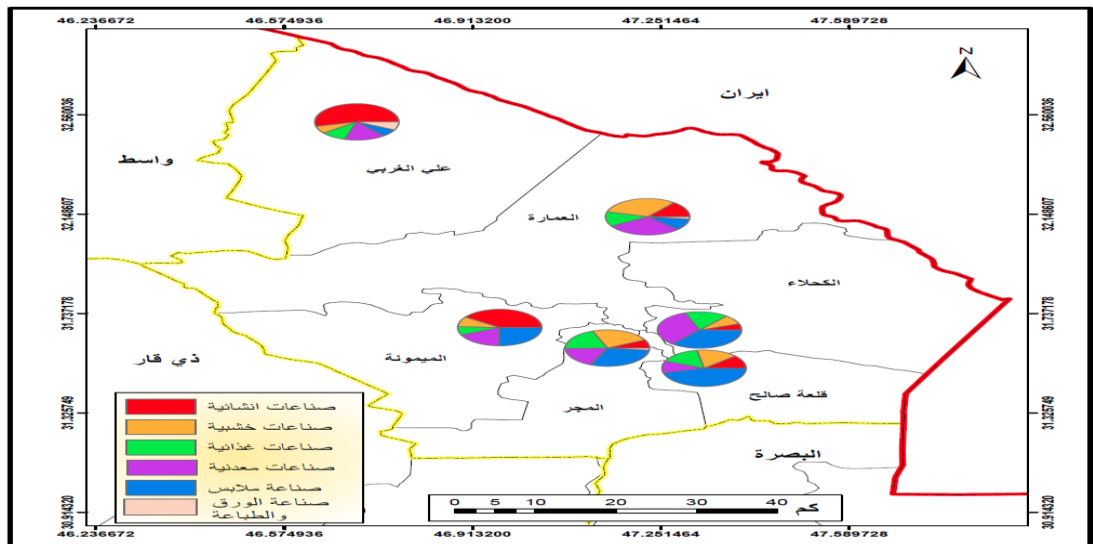
الوحدة الادارية	صناعة الورق	صناعة الطباعة والنشر	المجموع
قضاء العمارة	٠	١٩	١٩
قضاء علي الغربي	٠	١١	١١
قضاء المجر الكبير	١	٤	٥
قضاء قلعة صالح	٠	١	١
قضاء الميمونة	٠	٢	٢
قضاء الكحلاء	٠	١	١
المجموع	١	٣٨	٣٩

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على الدراسة الميدانية ودائرة احصاء ميسان (أطار حصر المنشآت الصناعية) في محافظة ميسان ٢٠٢١.

جدول (١٢) بنية الصناعات التحويلية في محافظة ميسان لسنة ٢٠٢١ على اساس عدد المعامل

الوحدة الادارية	الصناعات الانشائية	الصناعات الخشبية	الصناعات المعدنية	الصناعات الغذائية	صناعة الملابس والمنسوجات	صناعة الورق والطباعة والنشر	المجموع
العمارة	١٣٨	٢١١	٢٠٤	١٦٩	٩٩	١٩	٨٤٠
الكحلاء	٤	٦	٢٢	١٤	٢٦	١	٧٣
المجر الكبير	٢١	٦٤	٤٠	٥٤	٨٢	٥	٢٦٦
الميمونة	٢٧	٦	١٢	١٧	١٧	٢	٨١
علي الغربي	٨٢	١٠	٢٤	٢٤	١٠	١١	١٦١
قلعة صالح	١١	١٥	١٠	١٨	٤٣	١	٩٨
المجموع	283	312	312	296	277	39	1519

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على الدراسة الميدانية ودائرة احصاء ميسان (أطار حصر المنشآت الصناعية) في محافظة ميسان ٢٠٢١ والجداول (٦) و(٧) و(٨) و(٩) و(١٠).
خريطة (٢): بنية الصناعات التحويلية في محافظة ميسان لسنة ٢٠٢١



الاستنتاجات:

١. بينت الدراسة امتلاك محافظة ميسان مراكز جغرافية متميزة تؤهلها للتطور في مختلف المجالات الاقتصادية بشكل عام والصناعية بشكل خاص.
٢. ان توافر موارد طبيعية وبشرية في المحافظة يعد حافزا يدعو الى وضع خطط تنموية صناعية فيها من شأنها ان تلقى اثارها على جميع مفاصل الحياة في المحافظة وفي مقدمتها ارتفاع دخل الفرد وانعكاساتها الايجابية.
٣. تمتلك المحافظة موارد طبيعية هائلة من بينها الاطيان والرمال والحصى التي تعد حجر اساس لقيام الصناعات الانشائية لذا لا بد من توجيه اهتمام لهذه الصناعة ووضع خطط كفيلة بتطويرها وجعلها قيد التنفيذ لسد حاجة المحافظة منها وامكانية تصدير الفائض عن الحاجة منه.
٤. تمتلك محافظة ميسان طاقات بشرية كبيرة بإمكان استثمارها في التنمية الصناعية لتوجيه العمل من الدوائر الحكومية فقط الى العمل في مختلف اشكال الانشطة الاقتصادية التي تدعم النشاط الصناعي والقضاء على نسبة من البطالة في نفس الوقت.
٥. تتصف محافظة ميسان بتوافر انواع مختلفة من الصناعات الا انها في غالبيتها صناعات استهلاكية لا تسد حاجة السكان المحليين.
٦. كما اظهرت الدراسة ان الصناعات الخشبية والمعدنية جاءت بالمرتبة الاولى في المنطقة بمحدود (٣٩٩ و٣١١) منشأة صناعية.

التوصيات:

١. لا بد من استغلال المراكز الجغرافية الطبيعية والبشرية للنهوض بالواقع الاقتصادي للمحافظة. الذي ينجم عنه انعكاسات عديدة في مقدمتها ارتفاع المستوى المعاشي لسكان المحافظة وامتصاص جزء كبير من البطالة.
٢. ضرورة الالتزام بالعمل الجاد من قبل الحكومة المحلية من اجل دعم الصناعة المحلية وتوفير كافة التسهيلات المادية والقانونية للنهوض بها.
٣. تشجيع الباحثين والدارسين من اصحاب الاختصاص ووضع دراساتهم موضع التنفيذ والاستفادة منها.
٤. تفعيل القوانين الحكومية الخاصة بحماية المنتجات المحلية من المنافسة الاجنبية وفرض القيود والضرائب على المنتجات الاجنبية.
٥. تطوير البنى التحتية في المحافظة وتوفير الخدمات اللازمة التي تكون مراكز اساسية لإقامة المنشآت الصناعية.

الهوامش :

١. ياسين حميد بدع المحمدي، التنمية الصناعية واتجاهاتها المكانية في محافظة اربيل دراسة في جغرافية التنمية الصناعية، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم الجغرافيا ، ٢٠٠٦ ، ٤٥ .
٢. زينب علي جاسم الطويل، النظام الحضري في محافظة ميسان، رسالة ماجستير كلية التربية ، جامعة ميسان، ٢٠٢١، ص١٦ .
٣. عبد الزهرة علي الجنابي. (٢٠١٣). الجغرافيا الصناعية . عمان / الاردن: دار صفاء.ص٨٥.
٤. خولة كاظم جري البهادلي، تقييم مياه نهر دجلة للاستثمار الزراعي في محافظة ميسان، جامعة ميسان - كلية التربية - قسم الجغرافية، رسالة ماجستير، ٢٠٢١ ، ص٢٣ .
٥. كاظم شنتنة سعد. (٢٠١٤). جغرافية محافظة ميسان الطبيعية والبشرية والاقتصادية (المجلد الاولي). ميسان: دار الضياء، ص٢٨٧ .
٦. صادق علي العبادي. (٢٠١٩). تحليل جغرافي للصناعة في محافظة ميسان وافاقها المستقبلية. اطروحة دكتوراه، صفحة ٥٥ .
٧. ياسين حميد بدع المحمدي، مصدر سابق، ص٤٥ .
٨. صادق علي العبادي ، مصدر سابق، ص٥٥ .
٩. عبد الزهرة علي الجنابي ، مصدر سابق، ص٨٧ .
١٠. زينب علي جاسم الطويل ، مصدر سابق، ص١٥٤ .
١١. حامد سفيح الركابي. (٢٠٠٦). التوزيع الجغرافي للصناعات الكبيرة في محافظة البصرة وذوي قار وميسان ، دراسة كارتوكرافية ، صناعية . اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب / جامعة البصرة ، صفحة ٤٧ .
١٢. ياسين حميد بدع المحمدي، مصدر سابق، ص٤٥ .
١٣. حسن بداي فنجان، التباين المكاني للموارد الطبيعية غير النفطية واهميتها في محافظة ميسان، رسالة ماجستير، كلية التربية / جامعة ميسان ، ٢٠٢٢ ، ص١٥٧ .
١٤. صادق علي العبادي ، مصدر سابق، ص٥٥ .
١٥. ياسين حميد بدع المحمدي، مصدر سابق، ص٥٧-٥٨ .

١٦. نجيب الشمري، رؤية جغرافية لتنمية النظام الحضري في محافظة تعز في اليمن، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة تعز، ٢٠١٨، ص ١٤٠.
١٧. جمهورية العراق، وزارة التخطيط، دائرة التنمية الاقليمية، مديرية تخطيط ميسان، التقديرات السكانية لعام ٢٠٢١.
١٨. رياض ابراهيم السعدي، الهجرة الداخلية للسكان في العراق (١٩٤٧ - ١٩٦٥)، مطبعة دار السلام، بغداد ١٩٧٦، ص ٢٦٧.
١٩. موسى سمحة.. اثر التحضر في التركيب السكاني للمدن الاردنية توقعات المستقبل والحاجات الاساسية . مجلة دمشق، العدد ٣ و٤، (٢٠١١) صفحة ص ٢٥٠.
٢٠. رياض ابراهيم السعدي. مصدر سابق. ص ١٠٥.
٢١. صلاح عبد الجبار عيسى، اسس الجغرافيا السياسية، ط٣، مطبعة المنوفية، مصر، ٢٠٠٢، ص ١٠٢.
٢٢. سلمى عبد الرزاق عبد الشبلاوي، مدينة غماس النشأة والتطور، (دراسة في جغرافية المدن) رسالة ماجستير كلية التربية، جامعة كربلاء، ٢٠١٣، ص ٩.
٢٣. ياسين حميد بدع المحمدي، مصدر سابق، ص ٥٧-٥٨.
٢٤. ماجد عبد الكريم الخطيب، العوامل المؤثرة في تغير النسيج الحضري للمدينة، اطروحة دكتوراه، مركز التخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد، ١٩٨٨، ص ٤٧.
٢٥. ياسين حميد بدع المحمدي، مصدر سابق، ص ٤٥.
٢٦. جبار، لقاء مع مدير زراعة ميسان الدكتور مُجَّد ٦-٦-٢٠٢١ لقناة الأولى نيوز
٢٧. هديل هشام عبد الامير، التباين المكاني للطرق الريفية في محافظتي واسط وميسان وتأثيره في مراكز الاستيطان الريفي دراسة مقارنة في جغرافية النقل)، اطروحة دكتوراه، جامعة واسط / كلية التربية، ٢٠٢١، ص ٨٠-٨٨).
٢٨. مُجَّد جواد شبع، الصناعة وأثرها في التنمية الاقليمية في محافظة النجف، رسالة ماجستير، كلية الآداب / جامعة الكوفة، ٢٠٠٧، ص ٥٦.
٢٩. سالم عبد الله سعيد باصريح، التوطن الصناعي في اليمن، اطروحة دكتوراه . جامعة بغداد . قسم الجغرافية، ٢٠٠١، ص ٤٩.
٣٠. جمهورية العراق وزارة التخطيط خطة التنمية الوطنية (٢٠١٨ - ٢٠٢٢)، ص ١٨٧.

٣١. وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، مديرية إحصاء ميسان، الإحصاء الصناعي، بيانات غير منشورة ، ٢٠٢١.

٣٢. زينب علي جاسم. مصدر سابق. ص ١٥٤.

٣٣. وزارة الزراعة، قسم الثروة الحيوانية، شعبة الإحصاء الزراعي ، ٢٠٢١

مصادر

١. المجددي، ياسين حميد بدع . (٢٠٠٦). التنمية الصناعية واتجاهاتها المكانية في محافظة اربيل دراسة في جغرافية التنمية الصناعية. جامعة بغداد.

٢. انتصار حسون السلامي. (٢٠٠٣). الصناعات الحرفية في قضاء الكاظمية . رسالة ماجستير /كلية التربية ابن رشد / جامعة بغداد.

٣. جمهورية العراق، وزارة التخطيط. (٢٠١٨ - ٢٠٢٢). خطة التنمية الوطنية .

٤. حامد سفيح الركابي. (٢٠٠٦). التوزيع الجغرافي للصناعات الكبيرة في محافظة البصرة وذي قار وميسان ، دراسة كارتوكرافية ، صناعية . اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب / جامعة البصرة.

٥. خولة كاظم جري البهادلي. (٢٠٢١). تقييم مياه نهر دجلة للاستثمار الزراعي في محافظة ميسان. رسالة ماجستير، جامعة ميسان ، كلية التربية.

٦. رياض ابراهيم السعدي. (١٩٧٦). الحجرة الداخلية للسكان في العراق (١٩٤٧ . ١٩٦٥) (المجلد ط١). بغداد: مطبعة دار السلام.

٧. زينب علي جاسم الطويل. (٢٠٢١). النظام الحضري في محافظة ميسان. رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة ميسان.

٨. سالم عبد الله سعيد باصريح. (٢٠٠١). التوطن الصناعي في اليمن. اطروحة دكتوراه. كلية الآداب ، جامعة بغداد، قسم الجغرافية .

٩. سلمى عبد الرزاق عبد الشبلاوي. (٢٠١٣). مدينة غماس النشأة والتطور. رسالة ماجستير كلية التربية، جامعة كربلاء. ص ٩.

١٠. صادق علي العبادي. (٢٠١٩). تحليل جغرافي للصناعة في محافظة ميسان وافاقها المستقبلية. اطروحة دكتوراه، صفحة ٥٥.

١١. صلاح عبد الجبار عيسى. (٢٠٠٢). اسس الجغرافيا السياسية (المجلد ط٣). مصر: مطبعة المنوفية.

١٢. عباس فاضل السعدي. (٢٠٠٧). التركيب الاثنوغرافي لسكان العراق . مجلة كلية الاداب , جامعة بغداد, العدد ٦٢ .
١٣. عبد الزهرة علي الجنابي. (٢٠١٣). الجغرافيا الصناعية . عمان / الاردن: دار صفاء.
١٤. فنجان, حسن بداي. (٢٠٢٢). التباين المكاني للموارد الطبيعية غير النفطية واهميتها في محافظة ميسان. رسالة ماجستير، كلية التربية / جامعة ميسان.
١٥. كاظم شنتة سعد. (٢٠١٤). جغرافية محافظة ميسان الطبيعية والبشرية والاقتصادية (المجلد الاولي). ميسان: دار الضياء.
١٦. ماجد عبد الكريم الخطيب. (١٩٨٨). العوامل المؤثرة في تغير النسيج الحضري للمدينة. اطروحة دكتوراه، مركز التخطيط الحضري والاقليمي. جامعة بغداد.
١٧. محمد جواد شيع. (٢٠٠٧). الصناعة وأثرها في التنمية الاقليمية في محافظة النجف. رسالة ماجستير. كلية الآداب / جامعة الكوفة .
١٨. مديرية تخطيط ميسان. (٢٠٢١). التقديرات السكانية. جمهورية العراق، وزارة التخطيط، دائرة التنمية الاقليمية.
١٩. موسى سمحة. (٢٠١١). اثر التحضر في التركيب السكاني للمدن الاردنية توقعات المستقبل والحاجات الاساسية . مجلة دمشق , العدد ٣ .
٢٠. نجيب الشمري. (٢٠١٨). رؤية جغرافية لتنمية النظام الحضري في محافظة تعز في اليمن. رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة تعز.
٢١. هديل هشام عبد الامير. (٢٠٢١). التباين المكاني للطرق الريفية في محافظتي واسط وميسان وتأثيره في مراكز الاستيطان الريفي دراسة مقارنة في جغرافية النقل. اطروحة دكتوراه. جامعة واسط / كلية التربية.
٢٢. وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء. (٢٠٢١). الاحصاء الصناعي، بيانات غير منشورة . مديرية احصاء ميسان.
- ٢٣، وزارة الزراعة. (٢٠٢١). قسم الثروة الحيوانية، شعبة الاحصاء الزراعي .

الجناس وأثره في إيقاع شعر نازك الملائكة

م.م ميلاد علاء عبد الكريم

جامعة البصرة - كلية التربية للبنات

الملخص

تُعدُّ نازك الملائكة واحدة من أهم شواعر العراق في العصر الحديث، اشتهرت بأنها رائدة الشعر الحر أو ما يُعرف (بشعر التفعيلة)، حيثُ حققت انتقالاً كبيراً في شكل القصيدة العربية وتركيبها، وهذه الانتقالة فرضت تغييراً في بنية القصيدة تمثل في فقدان أهم عناصر القصيدة الموسيقية و هما الوزن المنضبط و القافية و اعتماد الشعراء على المحسنات البلاغية التي تُعد الركن الثاني من أركان البنية الإيقاعية الداخلية للقصيدة، و من هذه المحسنات الجناس الذي لجأ إليه الشعراء بكثرة في قصائدهم كون هذا المحسن يقوم على التشابه اللفظي في المبنى، الذي يصب في صالح إيقاع القصيدة، لذلك آثرنا الوقوف عليه لدى الشاعرة نازك الملائكة.

الكلمات المفتاحية: توطئة، الجناس، الإيقاع.

Abstract:

nazk Al-Malakah is considered one of the most important Iraqi in the modern era. She is known as the pioneer of free poetry or what is known as taflih poetry. As she achieved a great transition the form and composition of the Arabic poem and the transition imposed a change in the structure of the poem represented in the loss of the most important elements of the musical poem and they are the disciplined meter and rhyme and the poets reliance on rhetorical is based on enhancer which is the second pillar of the internal rhythmic structure of the poem. Al-Muhsin the verbal similarity in the building which is in favor of the rhythm of the poem so we influenced the poet nazk Al-Malakah to stand on it.

توطئة:

وُلدت الشاعرة نازك الملائكة في بغداد لأسرة يجمعها الأدب و الشعر، فقد كان جميع أفراد عائلتها شعراء و هذا الانتماء كان له دورٌ فاعل في شاعريتها فضلاً عن رغبتها في تعلّم الموسيقى (العزف على العود)، و قد كان لها الكثير من الدراسات في مجال الشعر العربي و الاجتماع^(١) و هي من أوائل الشعراء الذين أحدثوا ثورة على القالب القديم للقصيدة العربية حيثُ كتبت قصيدة الكوليرا التي عدّها بعضهم أول قصيدة كُتبت على نظام السطر الشعري، حيثُ خلت من

الوزن المتمثل بتكرار التفعيلة بشكل متساوٍ وكذلك القافية فقد اختلفت تماماً من الشعر الحر ومزية هذه الطريقة عندها أنها ((تحرر الشاعر من طغيان الشطرين، فالبيت ذو التفاعيل الست الثابتة، يضطر الشاعر فيه إلى أن يختتم الكلام عند التفعيلة السادسة، وإن كان المعنى الذي يريد قد انتهى عند التفعيلة الرابعة، بينما يمكنه الأسلوب الجديد من الوقوف حيث يشاء))^(١).

الجناس:

و هو من الفنون التي حازت على اهتمام القدماء و المحدثين، فمثلاً الأصمعي ألف كتاباً بعنوان الجناس، و لكن لم يتم العثور عليه غير أن هناك إشارات له في مصادر القدماء كما في كتاب البديع لأبن المعتز الذي عدّه من ألوان البديع الخمسة، و أول المحسنات اللفظية في تقسيم السكاكي، و صنف فيه ابن سلام كتاب (الأجناس من كلام العرب و ما أشبهه في اللفظ و اختلف في المعنى)^(٢).

و هذا المصطلح له مشتقاتٌ كلها تصبُّ في المعنى نفسه (التجنيس، التجانس، المجانسة، جنس، الجناس) وكلها تدلُّ على اتفاق كلمتين في اللفظ و اختلافهما في المعنى و هذا الاشتراك اللفظي يجعلهما ضرباً من ضروب التكرار^(٤).

و هو في اللغة : ((من جنس أي: الضرب من كل شيء، و هو من الناس و من الطير و من حدود النحو و العروض... و الجنس أعم من النوع ومنه المجانسة و التجنيس. و يُقال: هذا يُجنسُ هذا أي يشاكله))^(٥).

أما اصطلاحاً فقد ذهب القدماء على أنه اتفاق لفظتين و اختلافهما في المعنى و عدّوه من المحسنات اللفظية التي تأتي في الكلام شعراً أو نثراً لغرضٍ زخرفي لا غير، على أن يأتي طبعاً لا تكلفاً^(٦) فمثلاً عند قدامة ((هو اشتراك المعاني اللفظية في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق))^(٧).

و عند ابن رشيق ((هو أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى))^(٨)، و العسكري ((أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتهما في تأليف حروفها (...)) فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظاً و اشتقاق معنى))^(٩) أي يتجانسان في الحروف و يختلفان في المعنى، من ذلك نستطيع أن نقول بأنّ الجناس هو اتفاق كلمتين في اللفظ أو الاشتقاق و اختلافهما في المعنى.

أما أصنافه عندهم فقد قسموه على قسمين رئيسين هما: جناس تام و هو ما اتفقت اللفظتان في نوع الحروف و عددها و هيئتها الحاصلة من الحركات و السكتات و ترتيبها و يأتي في اسمين أو فعلين أو فعل و اسم أو فعل و حرف. و جناس ناقص هو ما اختلفت فيه اللفظتان من حيث النوع أو العدد أو الهيئة أو الترتيب مثل قولنا (دوام الحال من المحال) فقد وقع الجناس من خلال زيادة حرف الميم في كلمة المحال.

وكذلك الجنس الاشتقائي و المطلق و المذيل ... و الخ^(١١)، و على الرغم من اهتمامهم البالغ بالجناس فإن هذا الاهتمام جاء من جهة كونه زخرفاً لفظياً إلا أن حصر وظيفته في هذا الغرض و لا سيما إذا جاء في الشعر فإنه يُعدّ جوراً؛ ذلك لأنه لون من ألوان الإيقاع الشعري إذ يؤدي دوراً كبيراً في إحداث النغم فيه، وهذا ما أكدته بعد ذلك المحذون؛ لان (أصوات الحروف تؤدي في تناوبها و تعاقبها في مواقعها من شطر البيت أو القصيدة دوراً ملحوظاً في إشاعة النغم، لاختلاف صفتها بين مجهورٍ و مهموس. و صحيحٍ و ممدود. فضلاً عما تؤديه صيغ الألفاظ الصرفية و حركات أبنيتها وإعرابها في إعطاء تشكيل نغمي للشعر بما يلائم الجو العاطفي لتجربة الشاعر لكي تصل إلى المتلقي فتؤثر فيه)^(١١).

الإيقاع:

لغةً من وقع وقوعا فهو واقع : أي سقط الشيء^(١٢)، و هو ((من إيقاع اللحن و الغناء وهو أن يوقع الألحان و يبينها، و سمى الخليل كتاباً من كتبه في المعنى (الإيقاع))^(١٣) إذ أن له ((قيمة لغوية قوامها مهارة فائقة تنشط حدس المتلقي و هو أمر يؤول في جزء عظيم منه إلى درجة الصنعة لا إلى نوع الصنعة))^(١٤). وفي الشعر ((تردد ظاهرة صوتية ما على مسافات محددة النسب))^(١٥) و ينقسم إلى نوعين إيقاع خارجي و يتمثل في الوزن و القافية و إيقاع داخلي يتمثل بالمحسنات البلاغية و التوازي و التساوي فضلاً عن أصوات الحروف. و نازك الملائكة من الشواعر اللواتي نظمت الشعر بشكليه القديم العمودي ذي الوزن و القافية و لكن بقافية متنوعة لكل بيتان قافية تختلف عن بقية أبيات القصيدة، و هنا نستطيع أن نقول إنها كانت بدايات لمحاولات التحرر من الشكل القديم للشعر والاتيان بشكلي جديد وهو ما عُرف بالشعر الحر (شعر التفعيلة) الذي استعملت فيه الكثير من الزخارف اللفظية البلاغية لا سيما التكرار و الجنس إعطاءً لشعرها جمالية أكثر، فضلاً عما لهما من أثر في إيقاع الشعر. فالجناس يمنح الشعر خفةً و تأثيراً جميلاً بسبب ((التجاوب الموسيقي الصادر عن تماثل الكلمات تماثلاً كاملاً أو ناقصاً تطرب له الأذن و تتهز له أوتار القلوب فتتجاوب في تعاطف مع أصداً أبنيتها و هذا يؤكد بجلاء أهمية الجنس في خلق الموسيقى الداخلية))^(١٦)، و قد أدرك الشعراء أهميته في شعرهم، إذ باتت تستهويه النفوس و الاسماع، فعمدوا إلى الاكثار منه في هندسة أبياتهم حيث ((يزيد أداء المعنى حسناً لما فيه من حسن الافادة علماً أنّ صورة الإعادة التي يقوم عليها خلاصة للأذهان و مفاجئة لما تثير العقل))^(١٧) و له أثران في الشعر: أثر ظاهر في إحداث التناغم الموسيقي، و آخر خفي في إيقاع معناه^(١٨) و قد وظفته نازك الملائكة في ديوانها بعدة أشكال؛ من أجل إيجاد موجات إيقاعية تضفي على شعرها الرونق و الجمال و لأنه في ((الواقع صوت و إيقاع تتكرر فيه الكلمتان المتجانستان تجانساً تاماً أو ناقصاً في مساحة البيت الشعري))^(١٩)؛ فنجدّه يشكل بمستوياته المختلفة بُعداً إيقاعياً في النص الملائكي^(٢٠).

١- الجناس التام:

لم يأخذ هذا النوع مساحةً كبيرةً في شعرها فقد وردَّ بشكلٍ قليلٍ جداً و نعتقُ أنَّ السبب في ذلك هو كثرة مجيء التكرار فيه، و لا سيما إذا عرفنا بأن الدكتور عبد الله الطيب قد عدّه نوع من أنواع التكرار فإنه يقول ((و في هذه الامثلة (أمثلة الجناس التام... نلاحظ عناية موجهة إلى تردد الأصوات في الكلام و ما يتبع هذا من إيقاع موسيقى تطرب له الأذان))^(٢١) و يتفقُ معه الدكتور ماهر مهدي هلال في ذلك^(٢٢).
و مثاله قولها:

كيف مات الجنون؟ هل سعدت لي لي؟ سلوا هذه الصحاري الخزينة

أسألوها ما حدثَ الريحَ قيسُ المـ أمس ليلاً و كيفَ عاشَ سنيتهُ^(٢٣)

ورد التماثل التام في كلمتي (ليلي، ليلاً) و متفقتان في الإيقاع الصوتي من حيث عدد الحروف و الحركات ومختلفتان في المعنى إذ الكلمة الأولى (ليلي) اسم و هو اسم محبوبه ابن الملوح (ليلي) و الكلمة الثانية في البيت الثاني (ليلاً) ظرف بمعنى وقت الليل، و هذا التماثل الحاصل بينهما مع المساحة الشعرية الفاصلة بين الكلمتين أضاف جرساً موسيقياً نابغاً من ترديد النغمة تماماً مثل التي نجدها في الألحان الموسيقية و هذا ما يؤكد لنا دور الإيقاع الداخلي في موسيقى الشعر.

٢- الجناس الناقص:

وردَ عندها بجميع أنواعه - زيادة حرف ، اختلاف حرف-، لما له من أثر في معنى الشعر و زيادة جرسه الموسيقي و نظن أن الاخير هو السبب الأهم في وروده بكثرة؛ لأنَّ الشَّعرَ في نهايته عبارة عن موسيقى كلامية و هذا ما يؤكدُه مُجدِّ مندور بكلامه عن الشعر الغنائي يقول: ((إنَّ العنصرَ الموسيقي المتمثِّل في الوزن و الإيقاع و الانسجامات الصوتية لا يزال بالغ الأهمية في هذا الشعر))^(٢٤) و لهذا نجد خلو معظم الشَّعر الحديث و كذلك المعاصر من الغنائية بسبب خلوها من معظم العناصر المولدة للموسيقى.
ومثاله قولها:

ليسَ من سحرها سوى سودٍ أحجا رِ تُثيرَ الدموعَ و الأشجانا^(٢٥)

إذ نجدُ وقوع الاتفاق الصوتي الناقص المتجاور في كلمتي (سوى، سود)، وهذا التجاور أعطى البيت جرساً موسيقياً لا سيما وإنَّ حرف السين من أصوات الصفيير التي سميت بذلك (لصوتٍ يخرج عند النطق بما يشبه صوت الطائر)^(٢٦) فضلاً عن تكراره أكثر من مرة في ذات الشطر، وكذلك نجد مثل هذا النوع من التجانس في لفظي (آن، أن) في قولها:

آن أن تستعيد ماضي حُبٍ هو مفتاح حُلْمنا المفقود^(٢٧)

إلا أن طبيعة الموسيقى في هذا البيت تختلف عنها عن البيت السابق؛ وذلك لطبيعة الحرف المكرر إلا وهو النون المجهور التي تظهر بشكل واضح مع أصوات الحلق التي منها (آ) (٢٨).

أما في قولها:

أبدأ أسأل الليلي عن المو ت و ماذا ترى يكون المصير؟
طالما قد سألت ليلي لكن عز في هذه الحياة الجواب (٢٩)

وقع الاتفاق الصوتي الناقص في جملة فعلية هي (أسأل الليلي، سألت ليلي) وقد وقع بينهما فاصل مكاني حيث الجملة اول جاءت في البيت اول والثانية جاءت في البيت الثاني وهذا بسبب طبيعة المعنى لا سيما وإنما في الاول استعملت الفعل بصيغة الامر وفي الثانية جاء الفعل بصيغة الماضي وكذلك لترك الاثر في نفوس المتلقين النابع من تكرار أغلب الحروف الذي بدوره إحداث انغم الموسيقى.

و في قولها:

هل نجوا من براثن الموت والاس ر لكي يسقطوا أسارى الشقاء (٣٠)

حيث جاءت كلمة (الاسر) بعدها بمساحة فاصلة عادت الشاعرة و استعانت بلفظة (أسارى) التي تتفق مع الاولى اتفاقاً صوتياً ناقصاً أعطى جرساً موسيقياً رائعاً فموقعها أدى المعنى الذي أرادتته الشاعرة وكذلك أعطاها جمالاً موسيقياً؛ لان الشعر لا يعبر عن معاني فقط بل يعبر عن أصوات و موسيقى (٣١).

و:

كل ما في الأكوان يحكمنا ما ذا إذن ســـــرُّ ذلك الطغيان
فيم نطغي؟ وكيف ننسى قوى الكو ن و ما في الوجود أضعف منا (٣٢)

و في هذه الأبيات وقع الاتفاق الصوتي الناقص بين كلمة (الاكوان) في الشطر اول من البيت اول و (الكون) في شطري البيت الثاني و هما اسمين و اتفاق اخر بين اسم (الطغيان) في البيت اول و فعل (نطغي) في البيت الثاني وكما نلاحظ بمساحة فاصلة كبيرة إلا أنها تقل بين اسم والفعل و صغر المساحة بينهما أدى إلى إعطاء البيت موسيقية أكثر تستهوي اسماع إليه. و ممكن أن نقول أن هذا النوع يشبه إلى حد ما رد العجز على الصدر.

و كذلك قولها:

يا لأسطورة الخلود فما الخا لد غير القبور و الآلام (٣٣)

و هذه الأنواع من المتجانسات قد وردت في شعرها العمودي، أما في شعرها الحر فنلاحظ طغيان نوع الجناس الناقص مثل:

أصغ لم يبق سوى همس الذنوب

في سكون الكون، في الليل الزهيب^(٣٤)

ففي قولها (سكون، الكون) تكررت جميع حروف الكلمتين ما عدا حرف واحد فكان الاتفاق الصوتي بينهما ناقصاً متصلاً ليس بينهما فاصل و هذا التجاور مع التكرار أعطى للشعر نغماً هادئاً يتناسب مع الهدوء الذي وصفته الشاعرة. و في قولها:

و ما كنت أعلم أنك إن غبت خلف السنين^(٣٥)

تخلف ظلك في كل لفظ و في كل معنى

جاء الاتفاق الصوتي الناقص من حيث عدد الحروف بين كلمتين منفصلتين الأولى(خلف) في السطر الاول و الثانية(تخلف) في السطر الثاني و هذا التجانس الناقص و الفاصل القصير بينهما اعطى للأبيات جرساً موسيقياً و لا سيما إنَّ الشاعرة وظفت تكرار حرفي الخاء و الفاء في الكلمتين المتجانستين مع حرف الكاف القريب لهما في النطق الذي تكرر خمس مرات في السطرين. و في قولها:

ما زالت الذكرى تضع، و لم أزل في أسرها^(٣٦)

ما زالت، تنطفئ ابتساماتي لمعبر ذكرها

نجد الاتفاق الجناسي الناقص وقع بين اسمين الاول (الذكرى) و الثاني(ذكرها) وفعلين الاول ماضي(زالت) و الثاني مضارع (أزل) و قد فصلت بينهما مساحة شعرية تقدّر بكلمتين من حيث وجودهما في النص و لكن هناك مساحة زمنية كبيرة فاصلة بين الفعلين(زالت، أزل) مما له من أثرٍ في ذات الشاعرة المتألّمة من الذكريات الحزينة التي عاينتها وقتئذٍ فضلاً عما أحدثته هذه المساحة الفاصلة من نغمٍ موسيقي نابعاً من تماثل الكلمات تماثلاً ناقصاً و بذات الاسلوب تقول:

على الميتين الذين عيونهم لا تموت^(٣٧)

تظنّ تحدّق، ينطقُ فيها السكوتُ

و لكن هذه المرة وقع الاتفاق الصوتي الاشتقائي بين أسم(الميتين) و فعل(تموت) المنفصلان بعدة كلمات و بفعل المفارقة نجد الشاعرة قد ناغمت نهاية السطر مع بدايته لتؤلف نغمً موسيقي يستهوي اسماع المتلقي المتلقين؛ ذلك لأنّ هذه القطعة الشعرية تشعر بإتّك تسمعها لا أن تقرأها. أما قولها:

عُدنا إلى الأرضِ و كان الطريق^(٣٨)

طريقنا الأولا

و الجهدُ لم يُبقِ لنا من بريقٍ

خلفه الأمس النظير الوريقُ

و هنا تضعنا الشاعرة أمام لوحةٍ موسيقيةٍ رائعة ناتجةً من اتفاقاتٍ صوتيةٍ ناقصةٍ إذ ختمت السطر الأول بكلمة (الطريق) ثم عادت وبدأت السطر الثاني بكلمة (طريقنا) وهذا أحدث جرساً موسيقياً ناجماً من تكرار بعض الحروف بعدها عرجت على السطر الثالث لتختمه بكلمة (بريق) والتي تتجانس مع كلمة (الطريق) بجميع الحروف ما عدا حرفاً واحداً ثم أتبعتها في نهاية السطر الرابع بكلمة (الوريق) التي مثل سابقتها اختلفت عنها بحرف واحد مما زاد من نغم المقطوعة الشعرية بحيث أصبح وكأنه قافية.

و ذات الاسلوب نجد في مقطوعة اخرى إذ تقول:

فوق انبساط السّفح بين التلال^(٣٩)

في المنحنى حيثُ تموجُ الظلالُ

حيث نجدها أيضاً قد كررت جميع الحروف باستثناء حرفٍ واحد و هذا التكرار في نهاية الاسطر الشعرية يعطي نغمة موسيقية بالضبط مثل النوتة الاخيرة في السلم الموسيقي.

و في قولها:

و ترسو الفراشاتُ عند ذراها لتقضي المساء^(٤٠)

و عند ينايبعها تستحِمُ نجومُ السّماءِ

و في القريةِ الجبليّةِ، في حلقاتِ السّمَرِ

و في كلّ حقلٍ تنادي المنادون: «أين القمر»؟

اعتمدت الشاعرة في هذه القصيدة التي أخذنا منها أربعة أبيات على الجناس الناقص بشكلٍ كبير فقد جعلته كالقافية في نهاية كلّ سطرين؛ و ذلك ليعطي قصيدتها نغماً موسيقياً تحوي له الاسماع فمثلاً في نهاية أول السطرين ختمتهما بكلمتي (المساء، السماء) و هذا جناس ناقص تختلف فيه الحروف من حيث ترتيبها و هذا الاختلاف بالطبع جاء لما له من أثرٍ في المعنى و الموسيقى معاً، ثم عادت الشاعرة لإحداث زيادة في النغم من خلال اتفاق كلمتي (السمر، القمر) و لكن هذه المرة جناس ناقص من حيث اختلاف الحروف.

أما في قولها:

لمّ الرياح^(٤١)
لمّ تدرِ حتى الآن أن لنا جراح؟
لمّ تدرِ كم حملته من ملح البحار؟
لجراحنا هي و النواخ

في هذه الأسطر نلاحظ الشاعرة قد بنت قصيدتها على تكرار حرف الحاء فضلاً عن جعله الحرف الأخير في نهاية كل سطر شعري و هذا التكرار عندما يسمعه المتلقي يُحدث لديه بما يشبه الطنين؛ للفت انتباهه للقضية التي تعبر عنها الشاعرة مما زاد ذلك عندما نجد الشاعرة أنّها جعلت نهاية السطر الثاني ينتهي بكلمة (جراح) لتعود بعدها و تكررها بأسلوب الجناس الناقص مع كلمة (لجراحنا) في السطر الرابع، التي جاءت لتكون خاتمة النغمة الموسيقية. من هنا نستطيع أن نقول إن للجناس حضوراً كبير في شعر الشاعرة نازك الملائكة لدوره الفاعل في إداء المعاني المطلوبة و كذلك إضفاء لون إيقاعي جميل يؤدي إلى إغناء القصائد الشعرية بالإيقاع الداخلي الناجم عن تكرار حروف بعينها.

الهوامش

- ١- البيبليوغرافيا (موسوعة الكاتبة العراقية)، الفصل الخامس: ١٢٣.
- ٢- ديوان نازك الملائكة، م: ٢٠ : ١٥.
- ٣- يُنظر: جرس الألفاظ و دلالتها في البحث البلاغي و النقدي عند العرب ، د. ماهر مهدي هلال : ٢٧٠.
- ٤- يُنظر: جرس الألفاظ، د. ماهر مهدي هلال: ٢٧٠، البلاغة و التطبيق، د. أحمد مطلوب و د. كامل حسن البصير: ٤٤٩.
- ٥- لسان العرب، ابن منظور، مادة (جنس): ٤٣ / ٦، الصحاح، الجوهري: ٢٠٥.
- ٦- يُنظر: رسالة في أنواع الجناس زكريا الأنصاري المصري (٩٢٩هـ) (دراسة و تحقيق وتعليق)، د. مثنى عبد الرسول مغير الشكري: ٦-٨.
- ٧- نقد الشعر، قدامة بن جعفر: ١٦٣.
- ٨- العمدة، ابن رشيق: ٢٧٢.
- ٩- الصناعتين، العسكري: ٣٣٠.
- ١٠- معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة: ١٣٧.
- ١١- التكرار في شعر نازك الملائكة، ندى سالم عيدان: ١٠٦.

-
- ١٢- يُنظر: لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين مُجّد بن مكرم بن منظور الأفريقي مادة(وقع): ٤٠٢/٨، مقياس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: ٦/١٣٣.
- ١٣ - لسان العرب، ابن منظور: ٤٠٨/٨.
- ١٤- البنية الإيقاعية في شعر البحتري، عمر خليفة بن ادريس: ٩٥.
- ١٥- الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية محمود درويش إنموذجاً، داحو أسية: ٦٨.
- ١٦- بلاغة التكرار و الجناس في شعر أبي القام الشابي، د. انتصار محمود حسن سالم، م٩: ٢.
- ١٧- أثر الجناس في الإيقاع، نوال صمداني: ١٧.
- ١٨- يُنظر: الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية محمود درويش إنموذجاً، داحو أسية: ٨٢.
- ١٩- المصدر السابق: ٢٦.
- ٢٠- يُنظر: التكرار في شعر نازك الملائكة، ندى سالم عيدان: ١٠٦.
- ٢١- المرشد إل فهم أشعار العرب و صناعتها، د. عبد الله الطيب: ١٣٩.
- ٢٢- جرس الألفاظ ودلالاتها، ماهر مهدي هلال: ٢٧٠.
- ٢٣- ديوانها، م ١: ١٤٠.
- ٢٤- البنية الإيقاعية في شعر البحتري، عمر خليفة: ٦٠.
- ٢٥- ديوانها، م١: ٤٣.
- ٢٦- الادغام الكبير، عثمان بن سعيد الدّاني، تح عبد الرحمن حسن عارف، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٣: ٩٦-٩٧.
- ٢٧- ديوانها، ما: ٦٣.
- ٢٨- الأصوات اللغوي، إبراهيم أنيس: ٦٠.
- ٢٩- ديوانها، م١: ٢٦.
- ٣٠- ديوانها، م١: ٦٢.
- ٣١- يُنظر: التكرار في شعر نازك الملائكة، ندى سالم عيدان: ١٠٦.
- ٣٢- ديوانها، م١: ٦٤.
- ٣٣- ديوانها، م١: ٧١.

٣٤- ديوانها، م٢: ٣٨٠.

٣٥- ديوانها، م٢: ٣٢٨.

٣٦- ديوانها، م٢: ٣٨٦.

٣٧- ديوانها، م٢: ٣٩٠.

٣٨- ديوانها، م٢: ٣٥٩.

٣٩- ديوانها، م٢: ١٥٥.

٤٠- ديوانها، م٢: ٤٢٦.

٤١- ديوانها، م٢: ٣٤١-٣٤٢.

* المصادر و المراجع:

* أثر الجناس في الإيقاع، نوال صمداني، جامعة أبو بكر بلقايد، ٢٠١٣/٢٠١٤.

* الادغام الكبير، عثمان بن سعيد الدّاني، تح عبد الرحمن حسن عارف، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٣.

* الأصوات اللغوي، إبراهيم أنيس مكتبة نهضة مصر، د.ط.

* الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية محمود درويش إنموذجاً، داحو أسية، كلية الآداب و اللغات، جامعة حسبية بن بو علي، ٢٠٠٩/٢٠٠٨.

* بلاغة التكرار و الجناس في شعر أبي القام الشابي، د. انتصار محمود حسن سالم، م٢، العدد الثاني، حولية كلية الدراسات الاسلامية و العربية ، الاسكندرية.

* البلاغة و التطبيق، د. أحمد مطلوب و د. كامل حسن البصير مطابع بيروت الحديثة ط٢، ١٩٩٩.

* البنية الإيقاعية في شعر البحتري، عمر خليفة بن ادريس، ط١، منشورات جامعة قاريونس بنغازي، ٢٠٠٣.

* البيبلوغرافيا (موسوعة الكاتبة العراقية)، الفصل الخامس.

* تاج اللغة و صحاح العربية، أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، مراجعة د. مُجّد مُجّد تامر و آخرون، دار الحديث - القاهرة، ٢٠٠٩م.

* التكرار في شعر نازك الملائكة، ندى سالم عيدان، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد ٧٢، ٢٠١١.

* جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد- العراق، ١٩٨٠.

* ديوان نازك الملائكة، دار العودة، بيروت، ١٩٩٧، م٢.

-
- * رسالة في أنواع الجناس زكريا الأنصاري المصري (٩٢٩هـ) (دراسة و تحقيق وتعليق)، د. مثنى عبد الرسول مغير الشكري.
- * الصناعتين الكتابة و الشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق علي مُجَّد البجاوي - مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط ٢.
- * لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين مُجَّد بن مكرم بن منظور الأفيقي، دار صادر، بيروت.
- * المرشد إلى فهم أشعار العرب و صناعتها، د. عبد الله الطيب، مطبعة حكومة الكويت، ط ٣، ج ٢، ١٩٨٩.
- * معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة دار المنارة - جدة و دار الرفاعي - الرياض، ط ٣، ١٩٨٨م.
- * معجم مقاييس اللغة، أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام مُجَّد هارون، دار الفكر ١٩٧٩.
- * نقد الشعر، أبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق مُجَّد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- * العمدة في صناعة الشعر و نقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تصحيح سيد مُجَّد بن الدين الحلبي، ط ١، ١٩٠٧م.

التدخل الدولي الإنساني وأثره على مبدأ السيادة: العراق أنموذجا

ياسين شريف انصيف الحجيبي

ماجستير قانون دولي، معهد المعلمين للدراسات العليا/النجف الأشرف، العراق.

الملخص:

تعتبر الدراسة الحالية من الدراسات الهامة وذلك لأنها تعالج أحد أهم القضايا الراهنة على الساحة الدولية ، وذلك لأنها تناولت التطور الذي لحق بمفهوم التدخل العسكري الانساني من جهة الطرف الذي يقوم به فضلاً عن التعرف على الاعتبارات السياسية التي رافقت تطبيقه واثرت بشكل كبير في مسيرته وتوصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج كان من أهمها إن التغييرات التي رافقت النظام العالمي الجديد قد أثرت في مفهوم السيادة الوطنية ونطاق تطبيقه في المجالين الداخلي والخارجي على حد سواء فهناك علاقة ضرورية بين المتغيرات التي رافقت النظام الدولي وتقلص السيادة الوطنية، كما يوجد علاقة طردية بين تأثير سيادة الدولة بمتغيرات النظام الدولي والتغير الحاصل في مضمون الوظائف التي تقوم بها الدولة، فقد إتخذت عملية تدويل السيادة منحى وسع أبعادها الخارجية، فالقاعدة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الدولي هي الاعتراف المتبادل بين دول ذات سيادة، إلا أنها اتسعت بصورة معينة أدت إلى وضع شروط لممارسة الدولة حقوق السيادة، وأهمها ألا يتسبب من جراء تلك الحقوق أي اضطراب في النظام العالمي وإن مجلس الأمن شرع تدخلات عدة متخبطاً بذلك مبدأ السيادة، إلا أن التمعن الدقيق في النتائج يشير إلى أن المجلس لم يجرؤ على القيام بذلك إلا عندما كانت الدولة العراقية ضعيفة وانتهاكات حقوق الانسان فيها عالية جداً، وأنه على العكس فقد امتنع عن القيام بذلك حينما كانت الدولة قوية ،أما بالنسبة لتوصيات الدراسة فكان من أهمها بأنه لا بد من بذل الجهد في التوعية والثقيف، ولاسيما أن تأكيد الأهمية العالمية لحقوق الإنسانية في مناسبات كثيرة يمهد إلى ممارسة التدخل الإنساني على وفق آليات وقواعد وأسس الحماية الدولية لحقوق الانسان، وضرورة إجراء تعديل علة نصوص ميثاق الأمم المتحدة لتتلاءم مع المستجدات والتطورات الدولية، ولا بد من وجود نصوص جديدة تعالج هذه المسألة وبصورة دقيقة لا بعبارات فضفاضة ذات قراءات عدة توجه الفكر القانوني نحو تفسيرات ونتائج مختلفة متعارضة.

الكلمات المفتاحية: التدخل الإنساني ، حقوق الإنسان ، الهيمنة ،السيادة، سيادة العراق.

**International humanitarian intervention and its impact on the principle of
sovereignty in Iraq**

Yassin Sharif Ansif Al-Hujaimi

**Master of International Law, Teachers Institute for Postgraduate Studies
Al-Najaf Al-Ashraf, Iraq.**

Abstract:

The current study is considered one of the important studies because it deals with one of the most important current issues on the international scene, because it dealt with the development of the concept of humanitarian military intervention on the part of the party that performs it, as well as identifying the political considerations that accompanied its application and greatly influenced its path. set of results, the most important of which was that the changes that accompanied the new world order had affected the concept of national sovereignty and the scope of its application in the internal and external fields alike. There is a necessary relationship between the changes that accompanied the international system and the shrinkage of national sovereignty. There is also a direct relationship between the influence of state sovereignty on the variables of the international system and the change in the content of the functions that the state performs. The process of internationalizing sovereignty has taken a turn that expands its external dimensions. International recognition is the mutual recognition between sovereign states, but it expanded in a certain way that led to the setting of conditions for the exercise of the rights of sovereignty, the most important of which is that these rights not cause any disturbance in the global system. And that the Security Council initiated several interventions bypassing the principle of sovereignty, but a careful examination of the results indicates that the Council did not dare to do so except when the Iraqi state was weak and human rights violations were very high, and that, on the contrary, it refrained from doing so when the state was Strong, as for the recommendations of the study, the most important of them was that effort must be made in raising awareness and education, especially since affirming the global importance of human rights on many occasions paves the way for the practice of humanitarian intervention in accordance with the

mechanisms, rules and foundations of international protection. Human rights, and the need to amend the text of the United Nations Charter to suit international developments and developments, and there must be new texts that deal with this issue accurately and not in broad terms with several readings that direct legal thought towards different interpretations and conflicting results.

Keywords: humanitarian intervention, human rights, hegemony, sovereignty, sovereignty of Iraq.

المقدمة:

يعد التدخل الإنساني الدولي هو إحدى الوسائل الهامة التي يعتمد عليها المجتمع الدولي في تحقيق السلم والأمن الدوليين من خلال حماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية من الانتهاكات التي تتعرض لها، وقد ظهرت مواثيق عديدة بشأن التدخل الإنساني كان من أهمها ميثاق الأمم المتحدة الذي نصّ على المساواة السيادية بين الدول من الناحية القانونية، وقد رسخ هذا المبدأ من خلال حظره التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء، ويتمحور مبدأ عدم التدخل حول حظر كل الأعمال التي تصدرها وتقوم بها جهات أجنبية بشأن قضايا ومشاكل تدرج ضمن الاختصاص الوطني أو الداخلي لدولة أخرى ذات سيادة، ويبلغ هذا الخطر ذروته عندما يتعلق الأمر بتدخل عسكري، مع الإشارة إلى أن هذا المبدأ لا يستبعد استعمال القوة فقط وإنما يمتد إلى كل شكل من أشكال الضغط والتدخل أو التوجه الذي يمس شخصية الدولة إلا أن التحولات الدولية الراهنة تثير تساؤلات حول مصير السيادة الوطنية للدولة وقد أثبتت الوقائع التاريخية والحالية أن التدخل هو نمط هجين لا سند له في القانون أو الواقع، وغالباً ما يتم التدخل بذرائع وحجج ظاهرها شرعي وباطنها هيمنة، وللتدخل أشكال عديدة تبدأ بالنصيحة في حدها الأدنى وتصل إلى التدخل سياسياً واقتصادياً وثقافياً، وقد ينتهي بالتدخل العسكري المباشر ليصل إلى إقامة سلطة مكان سلطة أخرى ونظام محل نظام آخر كما حصل في العراق .

منهجية الدراسة

أهمية البحث: تكمن أهمية الدراسة الحالية في أنها تعالج موضوع من أهم القضايا التي يعاني منها المجتمع الدولي بشكل ملحوظ حديثاً وذلك بسبب التطور الذي نتج عن مفهوم التدخل الدولي الإنساني والمشروعية القانونية لاستخدامه، وكذلك فإنّ السيادة والتدخل الإنساني من القضايا التي تختلط فيها الأمور السياسية بالقانونية، لذلك أتت هذه الدراسة للتركيز على الجوانب القانونية دون الاستبعاد الكلي للأبعاد السياسية والعمل على تحليل الوثائق المرتبطة بها.

أهداف البحث: تهدف الدراسة الحالية الى مايلي:

- تسليط الضوء على مفهوم التدخل الانساني والسيادة بشكل عام.
- التعرف على ماهية التدخل الدولي الانساني استنادا الي الممارسات الحديثة.
- التعرف على كيفية استغلال السند القانوني لمبدأ التدخل الدولي الإنساني لتحقيق أهداف سياسية
- تقديم صورة متكاملة حول التأثيرات الدولية علي قرارات الأمم المتحدة في عمليات التدخل الإنساني.
- التعرف على الآليات السياسية وفق التحولات الدولية
- -عرض وتقييم مبررات التدخل الإنساني في العراق
- تحليل قرار مجلس الأمن رقم 688 وسيادة العراق

مشكلة البحث:

تنبع مشكلة الدراسة من التناقض ما بين التدخل العسكري لأهداف وأغراض إنسانية وما يترتب على ذلك من انتهاك للسلطة الداخلية للدولة وخرق لسيادتها ومن هنا يمكن طرح التساؤلات التالية:

1- ما مدى شرعية التدخل لأغراض إنسانية بوسائل عسكرية، وبخاصة إذا كان من شأن ذلك إحداث كوارث إنسانية أخرى لا تقل خطورة عن تلك القائمة.

٢- ما العلاقة بين مبدأ التدخل الإنساني والسيادة الوطنية في ظل واقع النظام الدولي؟

٣- ما هي أبعاد التدخل الإنساني؟ وهل يعتبر قبولها تعديلاً ضمناً لنص ميثاق الأمم المتحدة وتغييراً للقواعد القانونية المستقرة والمتمثلة بمبدأي عدم التدخل والسيادة الوطنية؟

٤- ما مدى تطابق أسس التدخل الإنساني حالة العراق منذ عام ١٩٩١؟

منهج الدراسة وأدواتها:

لتحقيق أهداف الدراسة سيتم الاعتماد على المنهج (التاريخي التحليلي) كونه يعدّ من أكثر المناهج البحثية الملائمة للبحث، وسيتم الاعتماد على المصادر التاريخية في هذا الموضوع والتحليل المباشر لنصوص المواثيق الدولية والقرارات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان بشكل عام ، و القرارات الصادرة من مجلس الأمن الدولي بشأن التدخل الإنساني في العراق بشكل خاص.

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: التدخل الإنساني بشكل عام، القرارات المتعلقة بحقوق الإنسان، التدخل الإنساني في العراق، السيادة الوطنية في العراق، قرارات مجلس الأمن، حقوق الإنسان.

الحدود الزمانية: بداية (٢٠٢٢/١٠/٢٨) حتى انتهاء الدراسة (٢٠٢٣/١/٢٥)

عينة الدراسة:

باعتبار الدراسة الحالية عن التدخل الإنساني في العراق فستكون العينة عينة قصدية هادفة وهي جمهورية العراق فقط وكل ما يتعلق بهذا الموضوع من موثيق وقرارات فيما يخص العراق وسيادتها .

الدراسات السابقة:

1- نوران سيد عبد الفتاح عبد الجيد . عام 2022. (التدخل الدولي الإنساني في القانون الدولي :دراسة حالة التدخل في العراق). (مقالة علمية).

تناولت الدراسة موضوع التدخل الإنساني الذي أصبح عبء علي الدول التي طالما طالبت بالتدخل لحمايتها والحفاظ علي حقوقها لأنه كمفهوم يتم استغلاله من أجل تحقيق مصالح شخصية وليس بغرض الحماية الإنسانية، ولقد عزز من تلك الإشكالية أن مجلس الأمن غير قادر علي التحكم في السلطات الخاصة به التي أقرها الميثاق في الفصل السابع الخاص بتدابير القمع ومن المفترض أن مجلس الأمن هو المختص بتحديد إذا ما كانت تلك الحالة تحتاج إلي تدخل أم لا ولكن في ظل وجود هيمنة من الدول الكبرى وحق الفيتو الذي يعطي حق للدول دائمة العضوية التحكم في قرارات المجلس ، أصبح دور مجلس الأمن بل والأمم المتحدة ككل هو دور مهمش وغير فعال تتحكم فيه قوي عظمي بالشكل الذي يتناسب مع أهدافها، فتظل الأمم المتحدة في إعداد التقارير عن المعاناة الإنسانية لكثير من الدول إلا أن هذا لم يكن إلا للرصد وليس للردع فلم تحتوي تلك التقارير علي نصوص وعقوبات مؤكدة لكل من يخالف القانون الدولي ويستخدم القوة في غير محلها المصرح به دوليا . وستظل هذه الإشكالية قائمة حتي تقوم المنظمة بعمل تغيرات جذرية بداخلها تمكنها من استعادة قيادتها مرة أخرى . وتمكننا من الاستدلال علي ذلك في حالة التدخل في العراق حيث أنه من البداية كان قرار التدخل مخالفا لميثاق الأمم المتحدة وعلي الرغم من ذلك نجحت الولايات المتحدة في اصدار قرار التدخل ، منذ احداث الحادي عشر من سبتمبر توسع مجلس الأمن في مفهوم تهديد الأمن والسلم الدوليين وتم اعتبار هذا الحادث حادثا إرهابيا يستلزم القضاء عليه وعلي الظروف التي أدت لحدوثة.

2- أحمد عبد الجليل خليل. عام 2014. (التدخل العسكري الإنساني بين الشرعية القانونية والمشروعية السياسية كوسوفو نموذجاً). الأردن: جامعة الشرق الأوسط. (اطروحة ماجستير).

تناولت الدراسة موضوع التدخل العسكري الإنساني و توصلت إلى عدة استنتاجات عدم وجود أي سند قانوني لفكرة التدخل الإنساني وان مبدأ عدم التدخل هو من المبادئ الراسخة في القانون الدولي عبر فترات تطورها أصبحت حقوق الإنسان سلاحاً سياسياً بيد بعض الدول واجراءً انتقائياً يخضع لمعايير مزدوجة تحقق مصالح تلك الدول وأهدافها ، كما أصبحت وسيلة للابتزاز واداة من ادوات الضغط السياسي الذي يمارس على بعض الدول دون غيرها. على الرغم من ان منظومة حقوق الانسان او مبادئ القانون الدولي الانساني فيها من الالتزامات القانونية على الدول لمواجهة اي وضع من الاوضاع التي يستدل بها لتبرير فكرة التدخل الانساني، وكان من اهم توصياتها الفصل بين نظرية التدخل الانساني والاعتبارات السياسية من خلال منع التدخل الانساني الانباءً على قرار مسبق وصريح من مجلس الأمن يميز التدخل الانساني، وتحليل حق الفيتو من الاعتبارات السياسية وذلك من خلال زيادة عدد الاعضاء الدائمين في مجلس الأمن وفتح المجال أمام اشتراك الدول النامية في القرارات وتعديل نظام التصويت بحيث يصدر القرار بالأغلبية.

3-Kochier,H.(2001).The concept of humanitarian intervention in the context of modern power politics : is the revival of the doctrine doctrine of justwar compatible with the international rule of law.

ركزت الدراسة على مفهوم التدخل الإنساني في اطار سياسات القوة الحديثة هل ان احياء نظرية (الحرب العادلة) ينسجم مع أحكام القانون الدولي " على ان ادعاء الدول الأوروبية لنفسها الحق في التدخل ابقى نظرية التدخل الانساني جزاً لايتجزأ من السياسة الخارجية للقوى الاوربية، كما ان المعاهدة التي ابرمت عام ١٨١٥ والتي أصبحت فيما بعد تعرف بالتحالف المقدس تدخل في صلب ايدولوجية التفوق الاوربي في مجال الدين ، والقيم ، والثقافة . كما وركزت الدراسة على ان مفهوم التدخل العسكري الانساني أصبح ذريعة للتدخل حين تعرض مصالح الدول المتدخلة للخطر،وان من الصعوبة بمكان اجراء فصل بين الدوافع السياسية والانسانية للتدخل وضمن النزاهة المطلقة للدول المتدخلة،ومما يوضح ذلك ان الدول الدائمة العضوية في مجلس الامن وبسبب تمتعها بحق الفيتو ، ادى ذلك الى استخدام التدخل الانساني بشكل مكثف لتبرير شن الحرب على العراق وخلصت الدراسة الى ان قاعدة عدم التدخل في الشؤون الداخلية احدى الشروط الاساسية لقيام نظام دولي يسوده السلم >

أولاً - مفهوم التدخل الإنساني وتأثيره في السيادة:

بعد مراجعة الأدبيات المرتبطة بموضوع التدخل الإنساني تبين أنّ مفهوم التدخل الإنساني ما زال محل خلاف في القانون الدولي، كونه مبدأً ليس مقبولاً من كافة دول العالم، لذلك لا يوجد تعريف متفق عليه عالمياً للتدخل الإنساني، كما تظهر صعوبة وضع تعريف دقيق لمبدأ التدخل الإنساني من خلال تعدد الآراء وتباينها فضلاً عن صعوبة تحديد مفهومه، إذ يشترط بعضهم لإباحة أعمال التدخل أن توجد رابطة الجنسية أو الانتماء بين الدولة المتدخله والرعايا المراد حمايتهم، كما يحرص بعضهم حق التدخل على الأمم المتحدة وحدها، فيما تذهب آراء أخرى إلى إعطاء هذا الحق للدول أيضاً فرادى وجماعات، في حين يذهب آخرون إلى القول بأن الشعب وحده من يملك هذا الحق. (١)

لذلك وجدت ثلاث اتجاهات في ما يتعلق بالتدخل الإنساني:

- اتجاه ينطلق من ضرورة التدخل في حالات معينة، فيرى أصحابه أن التدخل الإنساني هو المساعدة باستخدام القوة، بهدف توفير الحماية لمواطني دولة ما إزاء المعاملة التعسفية والمتجاوزة للحد، والتي لم تراعى تلك الدولة أن سياستها يفترض أن تقوم على أسس من العدالة والحكمة.
- اتجاه يرفض فكرة التدخل الإنساني، ويشدد على وجوب الالتزام بعدم جواز استخدام القوة لأي سبب كان، عدا حالة الدفاع الشرعي عن النفس.
- أما الاتجاه الثالث فيرى أن التدخل الإنساني هو رد فعل ملازم للانتهاك الصارخ لحقوق الإنسان، ويرى أنصاره جواز شن الحرب دفاعاً عن حقوق الإنسان والحريات العامة التي تتعرض للانتهاكات جسيمة، كما في حالات التطهير العرقي وإبادة الجنس البشري أو القتل الجماعي، إضافة إلى ذلك فإن مفهوم التدخل الإنساني لا يخرج عن معنيين، وسيتم تناول هذا الأمر من خلال فقرتين كالآتي:

أ- المفهوم الضيق:

ينطلق أنصار هذا الاتجاه في تعريفهم للتدخل الإنساني من الاقتناع بلزومية هذا التدخل في حالات معينة، ووفقاً لرأيهم يعرف التدخل الإنساني بأنه: " المساعدة المصحوبة باستخدام القوة والهادفة إلى توفير الحماية لمواطني دولة ما، إزاء المعاملة التعسفية وغير الإنسانية التي يتعرضون لها والمتجاوزة للحد، والتي لم تراعى أن سيادتها تفترض أن تبنى على أسس من العدالة والحكمة. (٢)

كما عرفه بعضهم الآخر ومنذ بداية القرن العشرين بأنه: بحق دولة ما في أن تمارس سيطرة أو ضبطاً دولياً على تصرفات دول أخرى في نطاق سيادتها الداخلية، وذلك متى تعارضت - أي هذه التصرفات - مع قوانين الإنسانية. (٣)

ويعرف أنصار هذا الاتجاه ومنهم توماس فرانك التدخل الإنساني بأنه " كل استخدام للقوة المسلحة أو التهديد باستخدامها بواسطة دولة ما أو بمعرفة هيئة دولية ضد دولة أخرى بهدف حماية حقوق الإنسان، " وأيضاً ستويل الذي

يعرفه بأنه اللجوء إلى القوة بغرض حماية السكان من المعاملة التحكيمية والمسيئة دوماً، والتي تتجاوز حدود السلطة المفترض ممارستها من صاحب السيادة. (٤)

ومنهم "ساندوز الذي يحدد مفهوم التدخل الإنساني بأنه: التدخل المسلح لدولة في إقليم دولة أخرى لوضع حد لخروقات خطيرة وجماعية لحقوق الإنسان". وأيضاً "دايفد سكافير الذي رأى أن التدخل هو: الحالة التي تستخدم فيها الدولة بطريقة منفردة القوة العسكرية للتدخل في دولة أخرى بغرض حماية جماعات من السكان الأصليين مما يهدد حياتهم أو يهدد حقوقهم الإنسانية والتي ترتكبها الحكومة المحلية أو تشترك بها. (٥)

ب- المفهوم الواسع: يرى أنصار وفقهاء المفهوم الواسع للتدخل الإنساني على أنه إضافة إلى استخدام القوة المسلحة فإن من وسائل التدخل الإنساني اللجوء إلى وسائل الضغط السياسية والدبلوماسية والاقتصادية، فكلما كان الهدف من استخدام أي من هذه الوسائل حمل إحدى الدول على الكف عن انتهاك حقوق الإنسان أمكن اعتبارها تدخلاً دولياً إنسانياً، إذ إن هناك أساليب متعددة ومتدرجة للتدخل كالمقاطعة الاقتصادية وتوقيع العقوبات التجارية ووقف الإمدادات الإنسانية وتنظيم الحملات الصحفية وفرض القيود على بيع الأسلحة وإبداء المواقف والآراء العلنية حول واقع حقوق الإنسان في دولة ما. ويعد "ماريو بيتاتي من المدافعين عن المفهوم الواسع للتدخل الإنساني، فهو يرى أن التدخل الإنساني يتحقق من خلال تدخل دولة أو منظمة دولية حكومية في الشؤون التي تعد من صميم الاختصاص الداخلي لدولة معينة، فالتدخل الإنساني عنده لا يقتصر على استخدام القوة المسلحة، بل يشمل كل عمل من شأنه التعدي على الاختصاص الداخلي المحض للدولة المعنية، شرط أن يمارس هذا التعدي من قبل أشخاص القانون الدولي. (٦)

ومن التعاريف التي تنسجم مع المفهوم الواسع للتدخل الإنساني، هناك تعريف آخر يعرف التدخل الإنساني على أنه لجوء شخص أو أكثر من أشخاص القانون الدولي إلى وسائل الإكراه السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية ضد الدولة أو الدول التي ينسب إليها الانتهاك الجسيم والتنكر لحقوق الإنسان بهدف حملها على وضع نهاية لمثل هذه الممارسات. على أن هناك جانباً من الفقه دعا في حال حصول انتهاكات فاضحة لحقوق المواطنين أو الأجانب أو الأقليات في دولة ما إلى رفع الأمر إلى المنظمات الدولية والإقليمية للقيام بمهمة الإنقاذ وإيجاد الحلول العادلة والسليمة لمثل هذه الاعتداءات على حقوق الإنسان. وبالتالي فهم يرون في التدخل الإنساني مبادرة دولة واحدة أو مجموعة دول متحالفة لمهمة تنفذ تحت رعاية الأمم المتحدة. (٧)

وعليه، يتضح مما سبق أن مفهوم التدخل الإنساني قد أثبت أن حق دولة ما في أن تمارس سيطرة أو ضبطاً دولياً على تصرفات دولة أخرى في نطاق سيادتها الداخلية متى تعارضت هذه التصرفات مع قوانين الإنسانية، ما هو إلا رد فعل يتعين أن تتوافر فيه الشروط الآتية:

- وجود حالة تهديد فعلية مؤكدة ومكثفة لحقوق الإنسان وحرياته.
- أن يكمن الهدف الأساسي من التدخل الإنساني في حماية الحقوق والحريات الأساسية للإنسان، مما يعني أن التدخل الإنساني محدد بإطار سببي واضح، فإذا أصبح التدخل جسراً لمطامع أخرى لصالح الدولة المتدخلة سياسية أو اقتصادية فإنه سيسبب فوضى على الصعيد الدولي.
- أن يتم التدخل في حال ثبوت عجز الحكومة الشرعية في الدولة المعنية فعلاً عن وقف الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان، وأن لا يلجأ التدخل إلى العمل القسري إلا بعد نفاذ جميع الوسائل فيمثل البديل الأخير.
- وعلى هذا الأساس فإن أمر التدخل الإنساني صار كما يرى بعض الفقهاء وارداً وله ما يسوغه قانوناً وواقعاً، لذلك يكون الأخذ بالمفهوم الواسع للتدخل الإنساني أصح وأصوب للاعتبارات الآتية:
- إن الأخذ بالمفهوم الضيق للتدخل الإنساني كان يمكن القبول به وفق فقه ومعاملات القانون الدولي التقليدي، أي كان اللجوء إلى القوة من الأمور المباحة، غير أن الأمر صار وفي ظل التحولات الدولية التي واكبت نهاية الحرب العالمية الثانية وظهور الأمم المتحدة، غير مقبول لا عرفاً ولا اتفاقاً، لا سيما وأن ما أورده ميثاق الأمم المتحدة من حظر لاستخدام القوة في مجال العلاقات الدولية ويعتبر ذا أهمية كبيرة في هذا الشأن. (8)
- في ظل التطورات الهائلة في وسائل الاتصال والانتقال وزيادة الترابط بين الدول وتشابك مصالحها أصبح الأخذ بالمفهوم الواسع هو وحده الذي يستجيب، وهذا الواقع يقوي من شأن الآثار التي يمكن أن تنتج عن تنفيذ وسائل الضغط السياسي أو الاقتصادي أو الدبلوماسي وغيرها من الوسائل الأخرى، الأمر الذي يؤدي إلى وضع نهاية للانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، دون الاضطرار إلى استخدام القوة العسكرية. ودون إثارة مسألة السيادة بالحدّة نفسها لو كان التدخل بالقوة العسكرية.
- ان نص الميثاق في المادة 2/7 على مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، من شأنه أن يساهم في تعزيز المفهوم الواسع للتدخل الإنساني باعتباره الأقل خطراً والأكثر قبولاً نوعاً ما من الدول مقارنة باستخدام القوة العسكرية في التدخل الإنساني.
- إن تبني المفهوم الواسع من شأنه أن يحقق نتائج في الأقل هي أكثر مما يحققه التدخل العسكري، أي حماية حقوق الإنسان بشكل لا يكون فيه خطر على هذه الحقوق نفسها، إن استخدمت القوة في فعل التدخل، خاصة وان استخدام القوة وبكل الأحوال هو عمل غير مقبول ومدمر للحياة.

إذاً إن الحديث عن تدخل إنساني يعني وقوع انتهاكات جسيمة وبشكل منتظم لحقوق الإنسان الأساسية وعلية يمكن أن نتوصل إلى مفهوم التدخل الإنساني : بأنه ممارسة سلطة عامة من جانب دولة على أراضي دولة أخرى من دون موافقة

هذه الأخيرة وكذلك هو الأعمال التي تقوم بها دولة ما أو مجموعة في إطار دولة ما أو مجموعة من الدول أو منظمة دولية تقوم بالتدخل بشكل قسري في الشؤون الداخلية لدولة أخرى. (٩)

أما مفهوم السيادة : فهي صفة للسلطة والسلطة ذات السيادة تشكل إلى جانب الإقليم والسكان أركان الدولة ولا يمكن أن تكتمل الشخصية القانونية للدولة الا بتوافر هذه الأركان الثلاثة وإذا كانت السيادة إحدى أهم خصائص وسمات الدولة الحديثة، إن من يملك السيادة هم الأفراد وفقا لنظرية سيادة الشعب. (١٠)

ثانيا: شرعية التدخل الدولي الإنساني وشروطه وأنواعه:

تعتبر مسألة شرعية التدخل الإنساني من أدق المسائل في القانون الدولي وأصعبها، لأنها لم تأخذ حقها الكافي من العناية والبحث، فعلى الرغم من أن مبدأ عدم التدخل الإنساني يشكل حجر الزاوية في القانون الدولي، إلا أن تاريخ الدول يشير إلى أن حالات التدخل كثيرة، فالتدخل في أكثر الأحيان، ممارسة سياسية لا تخلو من الاعتداء على العدالة، لكنه قد يكون في بعض الأحوال حقاً قانونياً، ولو أن العمل به يؤدي إلى مخالفة الواجبات الأدبية. (١١)

١- مدى شرعية التدخل الإنساني: انقسم فقهاء القانون الدولي حول مسألة مدى مشروعية التدخل الإنساني، ولعل جوهر الخلاف إنما ينحصر أكثر في مدى تعارض التدخل الإنساني ونصي المادتين (٧/٢ و ٤/٢) من ميثاق الأمم المتحدة خاصة وأن المادتين تكرسان مبدأ السيادة، وعدم استخدام أو التهديد بالقوة ضد السلامة الإقليمية للدول. لذا ينحصر رأي الفقه في مسألة شرعية التدخل الإنساني في اتجاهين رئيسيين وهما كالآتي:

(الاتجاه المؤيد للتدخل الإنساني، الاتجاه الراض للتدخل الإنساني).

١/١- الاتجاه المؤيد للتدخل الإنساني: يبدو انحياز الفقهاء لفكرة التدخل الإنساني واضحاً منذ القرن التاسع عشر، فقد أجاز بعض الفقهاء مثل هذا النوع من التدخل في حالات معينة كالتدخل لتحرير الأمة المضطهدة من قبل دولة أخرى، أو التدخل لوضع حد للجرائم والمذابح التي ترتكب ضد شعب معين، أو عندما يعاني شعب معين من حكم مستبد أو بسبب الاضطهاد الديني.

٢/١- الاتجاه الراض للتدخل الإنساني: ينطلق أنصار الفقه الراض للتدخل الإنساني، من مقولة أساسية مؤداها أن التدخل أيّاً كان شكله وأياً كانت دوافعه، لا يعدو في التحليل الأخير إلا أن يكون عملاً خارجاً على قواعد الشرعية ومساساً باستقلال وسيادة الدول، لذلك هو يهتم بتحديد الحالات الاستثنائية التي يكون فيها التدخل مشروعاً قانونياً. (١٢)

فضلاً عن أنهم لا يرون في التدخل الإنساني إلا سبباً في اندلاع النزاعات أو الحروب. لذلك هم يشددون على وجوب التمسك بمبدأ عدم جواز استخدام القوة ضد أية دولة، أيّاً كانت المبررات باستثناء بعض الحالات المشروعة، ومنها حالة الدفاع الشرعي. (١٣)

ومن هنا نجد أن نظام التدخل الدولي الإنساني يتأسس في جزء كبير منه على ما يشابه هذا النظام، ولكن ليس بالاستناد إلى اتفاقية معينة بحد ذاتها، وإنما بالاستناد إلى نصوص عامة كميثاق الأمم المتحدة وبعض النصوص المستقاة من الاتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق الإنسان، فضلاً عن الاستناد إلى مبادئ القانون الدولي والقرارات الدولية المختلفة، والتي ترفض قيام أي طرف كان بارتكاب جرائم خطيرة تنتهك حقوق وحرية الإنسان، حتى وإن كان عبر التضحية بمبادئ راسخة كالسيادة ومبدأ عدم التدخل. (١٤)

على أن الإشكالية الأهم الناتجة عن التدخل الإنساني، تبرز عندما يكون هذا التدخل غير متناسب ومن جانب واحد ولم يستند إلى تحويل من مجلس الأمن الدولي، وهذه الإشكالية لوحدها أكثر شمولية وتحدياً من تطبيق المفاهيم والأفكار الإنسانية، فمجلس الأمن وحده من يملك الحق في أن يقوم بالتدخل الإنساني. أي أن قيام دولة واحدة أو مجموعة دول أو أنظمة إقليمية بصورة انفرادية بالتدخل في شؤون الدول الأخرى ودون تحويل من مجلس الأمن، حتى وإن كان على أساس إنساني، سيدخل في إطار ما نصت عليه المادة (٤/٢) من ميثاق الأمم المتحدة والتي تحرم استخدام القوة في العلاقات الدولية بين الدول وتحرم التدخل في الشؤون الداخلية لها، ولا يمكن أن يستند إلى ما جاء في المادة (٧/٢) من ميثاق الأمم المتحدة والتي تستلزم الإحالة إلى مجلس الأمن، وهو وحده المختص بالقيام بالعمل أو إعطاء التحويل للقيام به.

٢- شروط التدخل الإنساني:

إن من أبرز متطلبات وجود نظام قانوني حسن، الممارسة هو تنفيذه على نحو يبعده عن الأخطاء كما يجب إرساء نظام قانوني بكفل للتدخل الإنساني مجاله الشرعي في ظل التضارب الواضح مع تمسك الدول بمبدأ السيادة الوطنية وكذلك ينبغي التقليل من تداعيات الدول بالتدخل في شؤون الدول الأخرى بدون مبرر، وبلا هدف إنساني، والفقهاء قد حدد جملة من الشروط لإضفاء الشرعية الدولية للتدخل ويمكن تقسيم هذه الشروط الى أربعة أقسام رئيسية وهي:

- ضرورة الحصول على موافقة الدول التي تتم فيها العمليات الإنسانية.
- عدم تجاوز العمليات العسكرية الهدف الإنساني.
- وجوب وجود ضرورة ملحة تستدعي التدخل.
- وجوب أن يكون الاعتداء على حقوق الإنسان.

ثالثاً: التدخل الإنساني وتأثيره على السيادة الوطنية:

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ونشأة منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ والتي حددت جملة من المبادئ والأهداف تسعى إليها وعلى رأسها تعزيز مسألة حقوق الانسان وتجنيد العالم ويلات الحروب، صار مبدأ السيادة أقل اطلاقاً وأكثر تحديداً بالنظر إلى جملة المواثيق والاتفاقيات ذات الصلة بحقوق الانسان، والتي شهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تطوراً سريعاً ومتلاحقاً للقانون الدولي وتجسيد فكرة الأهداف المشتركة للمجتمع الدولي ككل، وخصوصاً احترام مبدأ سيادة الدول، فالنظام العالمي الجديد ظاهرة تجاوزت المبدأ المعترف به في نطاق القانون الدولي وهو تحريم التهديد بالقوة أو استخدامها ضد سلامة أراضي أي دولة واستقلالها السياسي ومن الأمثلة على هذا منح الكونغرس الأمريكي رئيس الولايات المتحدة الأمريكية قرار صلاحية استخدام القوة العسكرية ضد العراق في العام ٢٠٠٣ وشنّت الولايات المتحدة الأمريكية عدوانها المباشر على العراق بضرب أهدافه العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية.

ومن الملاحظ أنه في الآونة الأخيرة، اعتمد مبدأ استخدام القوة في العلاقات الدولية، إذ أن ذلك يتعارض مع التقدم القانوني للقانون الدولي ويعد تحدياً كبيراً للشرعية الدولية لمجلس الأمن بالخصوص، فأصبح يتحرك للقيام بمهامه المخولة له في الميثاق كما أرادت الأطراف المتحكمة في الأمم المتحدة، والحقيقة أن تشابك العلاقات الدولية جعل من هذه الصورة إحدى الطرق الناجحة لدى الجهة المتدخلة لتحقيق أهدافها سواء أكانت مشروعة أم غير مشروعة، وأصبحت الجهة التي تحرك مجلس الأمن تتذرع بحجة الشرعية الدولية، وغدا التدخل أو عدم التدخل لحل المنازعات الدولية رهناً بمشئته المجلس الخاصة متجاوزاً مبدأ السيادة الوطنية الذي أصبح في طريقه للزوال تحت تأثيرات المتغيرات الدولية:

- 1- مفهوم التحولات الدولية وأهدافها.
- 2- الآليات السياسية وفق التحولات الدولية.
- 3- الآليات الاقتصادية العسكرية في ضوء التحولات الدولية.

١- مفهوم التحولات الدولية وأهدافها:

إن النظام العالمي الجديد مصطلح بدأ استعماله بشكل واسع في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينات من القرن العشرين المنصرم وهو غطاء نظري لممارسة الولايات المتحدة الأمريكية الهيمنة العالمية كقطب أحادي يقود العالم حسب توجهاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية وقد مثلت القوة العسكرية الأمريكية وما يتصل بها من تضامن الدول الرأسمالية مع بعضها بعضاً، إلى جانب مراكمة رأس المال لتحقيق الأهداف الاقتصادية التي هي من الدعائم الأساسية التي ارتكز عليها هذا النظام. (١٥)

وبعد مرور أكثر من ٢٠ عام كان التناقض صارخاً بين الشعارات المرفوعة والممارسات الفعلية للولايات المتحدة الأمريكية، فقد أثبت مسار الأحداث أن الولايات المتحدة الأمريكية لجأت إلى إعادة ترتيب أوضاعها الداخلية سياسياً واقتصادياً بما يتلاءم والمصالح الكبرى وأهداف واستراتيجيات البيت الأبيض، فجرى استعمال شعار النظام الدولي الجديد الذي كان من أهم أهدافه تحقيق العدل والسلام كغطاء للتدخل في شؤون دول العالم.

إن الأهداف الحقيقية لهذا النظام هي غير الأهداف المعلنة، أهما تناقضها تماماً، فالأهداف المعلنة هي المحافظة على الاستقرار العالمي من خلال تطبيق قواعد الشرعية الدولية وإيجاد عالم تسوده الديمقراطية وتحترم فيه حقوق الانسان، خالٍ من النزاعات الايديولوجية وتحقيق التقدم والازدهار لجميع الشعوب والدول عن طريق عوامة الاقتصاد، بينما الأهداف الخفية هي فرض الولايات المتحدة الأمريكية الهيمنة على الأمم المتحدة لتكون أداة طيعة تمرر من خلالها القرارات التي تناسبها، تحويل الصراع الذي كان بين الشرق والغرب إلى صراع بين عالم الجنوب وعالم الشمال واحتواء المعسكر الشيوعي ودعم الدول الحليفة، تقرير المصير الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للدول الضعيفة بإلغاء مفهوم سيادة الدولة وهويتها القومية والتدخل في شؤون الدول الداخلية بحجة احلال السلم والأمن والديمقراطية.

2- الآليات السياسية وفق التحولات الدولية:

تتميز أدوات وآليات التدخل السياسي للنظام العالمي بالأدوات الناعمة وغير العنيفة، وأهميتها مكتسبة من قدرتها على إغواء الدول بالتخلي الطوعي عن سيادتها، ومن حجم التحولات الكبرى في العالم، وخاصة بعد ارتفاع تكلفة التدخل العسكري وتعثره في تحقيق الأهداف، وقد قال هنري كسينجر، وزير الخارجية الأمريكية الأسبق، في حديث أجرته معه

مجلة دير شبيغل: " لقد تغيرت طبيعة الصراعات، إن صراعاً كبيراً الآن بين الولايات المتحدة والصين كفيل بتخريب البلد من دون وضعها خارج السياسة الدولية. لذلك فإني لا أرى أية إمكانية لنشوب حروب بين القوى الكبرى : الولايات المتحدة وروسيا والصين لأن الأزمة المالية العالمية الحالية لا تدع أي مجال لتخصيص موارد مهمة للجيش العسكرية، ولهذا فأنا متفائل اليوم أكثر من أي يوم مضى بانتهاء عصر الحروب.(١٦)

من هنا فإن الآليات والأدوات السياسية تكتسب أهمية خاصة، فهي إما أن تكون مواكبة للحرب والعنف، وإما بديلاً عنها، وخاصة عندما تعجز الجيوش عن تحقيق الأهداف، كما هو حاصل في العراق وأفغانستان.

ويتمثل التدخل السياسي في حق التدخل لتغيير طبيعة النظم السياسية الاستبدادية التي تمارس سياسة مضادة للمصالح الاستراتيجية للنظام العالمي الجديد، إضافة إلى فرض الديمقراطية بالقوة. وقد تجسد ذلك في محاولة يائسة من بعض خبراء السياسة الأمريكية لوضع نظرية متكاملة عن تغيير النظم السياسية من خلال إضفاء الشرعية على هذه العملية باعتمادهم منهجاً انتقائياً لقواعد القانون الدولي، وكأنها دفاع عن النفس كما ينص على ذلك القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة.

٣- الآليات الاقتصادية العسكرية في ضوء التحولات الدولية:

يهدف النظام العالمي إلى عبور الحدود الجغرافية دون اعتبار للسيادة، ويعمل على تحويل أسواق العالم المتعددة إلى سوق عالمية واحدة، تسيطر عليها الشركات والمؤسسات الكبرى متعددة الجنسيات، كما سعى إلى تقنين جميع الأوضاع الاقتصادية من خلال تقييد الدولة عن التدخل في الاقتصاد وإطلاق العنان لحرية السوق. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، تم إنشاء ثلاث منظمات دولية كبرى تقوم بإرساء قواعد هيكل النظام الاقتصادي العالمي، وتشرف على تكوين البنية التحتية الأساسية لها، وهي:

١/٣ - منظمة التجارة العالمية: تم إنشاء منظمة التجارة العالمية (wto) عام ١٩٩٥ بعد تبني اتفاقية الجات (gatt) وتطويرها من خلال إضافة أحكام وبروتوكولات جديدة. وهي تعد من أخطر المؤسسات المتعلقة بالنظام الاقتصادي العالمي نظراً للدور الذي تلعبه في إضفاء قيود على السيادة الوطنية، وقد أنيطت بما صلاحيات واسعة في مجال مراقبة النظم التجارية، وفرض الانضباط على النشاطات التجارية، وإجراء تخفيضات على السلع المستوردة، وتوسيع امتيازات الاستثمار الأجنبي، وتجري التجارة وحركة رؤوس الأموال عن طريق رفع الحواجز الجمركية، وذلك بهدف تدفق السلع والخدمات عبر العالم بدون قيود. وهي تقوم بذلك عن طريق:

- إدارة الاتفاقيات الخاصة بالتجارة.
- الوجود كمنتدى للمفاوضات المتعلقة بالتجارة.

- الفصل في المنازعات التجارية بين الأعضاء.
- معاونة الدول النامية في المواضيع المتعلقة بالسياسات التجارية من خلال المساعدات التكنولوجية وبرامج التدريب.

٢/٣- صندوق النقد الدولي والبنك الدولي:

إن صندوق النقد الدولي يغطي على سيادة باقي الدول فيعمل على فرض سياسات اقتصادية تحد من سيادتها، وذلك من خلال تدخله في عمليات الخصخصة وإعادة هيكلة الاقتصاديات والحد من تدخل الدولة في العديد من الشؤون الاقتصادية، وإلا تعرضت للانهيار والخراب الاقتصادي من خلال منع القروض عنها أو سحب الاستثمارات الأجنبية المباشرة منها، إضافة إلى تخفيض سعر العملة الوطنية وتخفيض المصاريف المتعلقة بالإفناق العمومي، الأمر الذي قد ينتج منه زيادة البطالة وتوقف النمو الاقتصادي، وبالتالي زيادة معاناة الأفراد، وبالإضافة إلى ذلك كله أرهقت المديونية المدارة من قبل صندوق النقد الدولي الدول الدائنة، ونتج عنها تهميش الإدارة الوطنية، الأمر الذي حال دون اتخاذ القرارات السديدة، وتصعد مصداقية الإيرادات الوطنية، وفتح المجال لتقدم الشرعية الخارجية المستمدة من المؤسسات المالية الدولية على حساب الشرعية الداخلية. (١٧)

رابعاً: دراسة حالة التدخل الإنساني في العراق عام ١٩٩١:

في بداية التسعينيات طرأ تحول كبير على مسألة التدخل الإنساني، مما دفع منظمة الأمم المتحدة إلى الدفاع عن مبادئها الأساسية المتمثلة بحماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، حرصاً منها على حفظ السلم والأمن الدوليين أو إعادتهما إلى نصابهما، فكان العراق من بين أهم القضايا التي تدخلت بها الأمم المتحدة عن طريق مجلس الأمن لوقف الاضطهاد والقمع الموجهين ضد المدنيين العراقيين. فعقب انتهاء حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ انتفض الشيعة والأكراد العراقيون على السلطات العراقية المركزية، وجاء رد السلطات العراقية بالقمع والفتك بالمواطنين، مما أدى إلى نزوح مئات الآلاف من المدنيين في جنوب العراق وشماله إلى داخل الأراضي الإيرانية والتركية في ظروف مأساوية، نتيجة لنقص في الأغذية والأدوية والمياه الصحية، فضلاً عن المعاملة القاسية اتجاههم.

وبناء على ما تقدم، قدمت فرنسا في مطلع نيسان عام ١٩٩١ مشروع قرار إلى مجلس الأمن الدولي تطلب فيه إدانة القمع العراقي للسكان المدنيين، فصدر القرار رقم ٦٨٨ من مجلس الأمن يوم ٥ نيسان ١٩٩١ يطالب العراق بالكف عن ملاحقة المدنيين الأكراد واحترام حقوق الإنسان العراقي وحث هيئات الإغاثة الدولية على التجاوب مع احتياجات اللاجئين الأكراد المتواجدين في إيران وتركيا، كما حث العراق على السماح للهيئات الإنسانية بالحرية الكاملة

في توصيل المساعدة إلى أي عراقي في حاجة إليها. وقد اعتمد القرار ٦٨٨ من مجلس الأمن بأكثرية عشرة أصوات ضد ثلاثة وامتناع إثنتين عن التصويت. وعليه تقتضي دراسة حالة التدخل الإنساني في العراق من خلال محورين أساسيين وهما: عرض وتقييم مبررات التدخل الإنساني في العراق، وقرار مجلس الأمن رقم ٦٨٨ وسيادة العراق).

١- عرض وتقييم مبررات التدخل الإنساني في العراق :

إثر انتهاء حرب الخليج الثانية وانهيار القدرة العسكرية للجيش العراقي، هزيمته في حرب تحرير الكويت، سنحت الفرصة أمام الشعب العراقي كي ينتفض ضد نظام الحكم الديكتاتور، وذلك بسبب القسوة والانتهاكات المستمرة لحقوق الإنسان والحريات العامة وتغييب الديمقراطية في الحياة السياسية، مع وجود التسلط القمعي والحكم الشمولية من قبل الحكومة العراقية على جميع مجالات الحياة في المجتمع، نتيجة هذا الوضع، جاء رد السلطات العراقية بالقمع والفتك بالمدنيين، فعبّر ستمائة ألف نازح الحدود الدولية إلى تركيا، ونزح أكثر من مليون إنسان إلى إيران في ظروف صحية مأساوية. على هذا الأساس حدث التدخل الدولي الإنساني في العراق، مما دفع بمجلس الأمن للتدخل استناداً إلى مطالب واقتراح فرنسا وتركيا وإيران. (١٨)

وبناء على ما تقدم سوف نتحدث هنا بالتفصيل الظروف المحيطة بالتدخل الإنساني في العراق، و الدافع الإنساني أساساً للتدخل الإنساني في العراق وتقييم مبررات التدخل الإنساني في العراق.

١/١- الظروف المحيطة بالتدخل الإنساني في العراق:

لقد وجد الأكراد في الحرب العراقية الإيرانية فرصة لمواصلة ثورتهم ضد النظام العراقي، وبعد وقف إطلاق النار بين العراق وإيران الذي دخل حيز التنفيذ بتاريخ ٢٠ آب ١٩٨٨ توجهت القوات العراقية نحو المناطق الجبلية من كردستان العراق، وبهدف السيطرة على المناطق التي استولى عليها المقاتلون الأكراد المسماة بقوات البيشمركة، استخدمت بعض القوات العراقية في البداية الغازات السامة ضد بعض القرى الكردية قبل تدميرها، وبتاريخ ٢٥ آب ١٩٨٨ تعرضت بعض القرى الكردية لهجوم بالأسلحة الكيماوية منها على سبيل المثال قرية شيخ وسانان في محافظة أربيل، وقرية كويتبة في محافظة السليمانية، وكانت سياسة الحكومة العراقية آنذاك تجاه الأكراد والمركزة على أساس إخلاء إقليم كردستان من سكانه، وذلك لن يتم إلا بتدمير المدن والقرى الكردية. وبعد ذلك اسكان سكان القرى المدمرة في مجتمعات قسرية، كي يتسنى للقوات الحكومية ضبط الأوضاع، وقد سبق أن أكدت إيران استعمال العراق لهذا النوع من الأسلحة، كما أكدت أنه في السنوات الأربع اللاحقة تم استعمال الأسلحة الكيماوية من قبل القوات العراقية، والتي قامت بأكبر عملية لها من هذا النوع ضد بلدة حلبجة في آذار عام ١٩٨٨ إذ تعرضت مدينة حلبجة للقصف الكيماوي في ١٦ آذار من سنة

١٩٨٨، إبان الحرب العراقية - الإيرانية، وراح ضحية هذا القصف بحسب الإحصاءات الرسمية لحكومة إقليم كردستان العراق نحو خمسة آلاف من سكان المدينة وأطرافها.(١٩)

ويأتي تعرض مدينة حليجة لعمليات الإبادة الجماعية من خلال استخدام المواد الكيميائية المحظورة دولياً ضمن سلسلة من الحملات العسكرية التي شنها النظام العراقي السابق في النصف الثاني من ثمانينات القرن المنصرم تحت ما كان يسمى بحملات الأنفال التي قادها على حسن المجيد المعروف لدى الاكراد بـ "علي الكيماوي" والذي تم إصدار حكم الإعدام بحقه من قبل محكمة الجنايات العراقية العليا، في كانون الثاني ٢٠١٠ بعد إدانته بتبدير مجزة حليجة.

ومن جهة أخرى قتل النظام أكثر من ١٨٢ ألف مواطن كردي معظمهم من الأطفال والنساء خلال عمليات الأنفال عام ١٩٨٨، إذ تم العثور على بعضهم في المقابر الجماعية في مناطق مختلفة من العراق بعد الاحتلال الأمريكي للعراق وسقوط النظام العراقي عام ٢٠٠٣.(٢٠)

أما فيما يتعلق بحرب الخليج الثانية والتي تسمى أيضاً بحرب تحرير الكويت وعمليات عاصفة الصحراء وسميت من قبل الحكومة العراقية باسم أم المعارك وهي الحرب التي وقعت بين العراق وائتلاف دولي يضم أكثر من ٣٠ دولة بقيادة الولايات المتحدة وبتفويض من الأمم المتحدة. بدأت الحرب بعد اجتياح الجيش العراقي لدولة الكويت في ٢ آب ١٩٩٠ وانتهت في شباط ١٩٩١، تألفت الحرب من جزئين رئيسيين وهما حملة القصف الجوية على أهداف داخل العراق وتوغل قوات التحالف داخل الأراضي العراقية وامتدت الحرب على مساحة جغرافية شملت أراضي العراق والكويت والسعودية وتم فيها إطلاق صواريخ سكود عراقية بعيدة المدى على أهداف داخل إسرائيل والسعودية.

وزعم الرئيس العراقي صدام حسين أن الغزو تأييداً لانتفاضة مزعومة ضد أمير الكويت. وجاء الغزو وسط أزمة اقتصادية حادة يعيشها العراق بسبب الديون التي تراكمت عليه أثناء حربه مع إيران.

واتهم العراق الكويت بتعمد تخفيض أسعار النفط وضح كميات أكبر من حصتها من النفط من الحقول النفطية المشتركة بينهما. وعندما رفضت الكويت إلغاء ديونها على العراق قرر الرئيس العراقي صدام حسين غزوها. وفرضت الأمم المتحدة عقوبات اقتصادية على العراق وأصدر مجلس الأمن عدداً من القرارات التي تدين بغداد.

وفي ما يأتي سنعرض الأسباب التي دفعت بصدام حسين لاجتياح الكويت، ثم الموقف الدولي من ذلك الاجتياح، وأخيراً التدخل العسكري لتحرير الكويت، وللإحاطة بما تقدم، ولبیان ما تم ذكره أعلاه، سيتم الحديث عن :

(الأسباب الاقتصادية، الأسباب السياسية والعسكرية، الأسباب الشخصية، انتفاضة الأكراد والشيعية عام ١٩٩١).

أ- الأسباب الاقتصادية:

جاء الغزو وسط أزمة اقتصادية حادة عانى منها العراق بسبب تراكم الديون عليه عقب انتهاء حربه مع إيران، ولم يكن بوسعها تسديدها إلا إذا عادل سعر البرميل ٢٥ دولاراً، وقبل الحرب مباشرة إرتفع إنتاج النفط في العراق إلى ٣.١٤ مليون يومياً ليحتل المرتبة الثانية بعد السعودية. (٢١)

بينما كان السعر آنذاك يقارب ١٤ دولاراً فقط، وقد زاد انخفاضاً لعدم التزام دولتي الكويت والإمارات العربية المتحدة بالحصة النفطية المقررة وبينما كان نصيب الكويت المحدد من قبل منظمة الدول المصدرة للنفط هو ١.٥ مليون برميل يومياً، قامت بزيادة حصصها إلى ٢.١ مليون برميل بما يعادل ٠.٦ من حصصها المقررة، مخالفة بذلك الاتفاقات المعقودة لتوزيع الحصص في إطار منظمة الأوبك، فاعتبر العراق مثل هذا السلوك استفزازاً لهم، ثم وصفه بأنه حرب اقتصادية. (٢٢)

بالإضافة إلى ذلك إستولت الكويت على بعض مكامن نفط حقول الرميثة العراقية في فترة الحرب العراقية الإيرانية، واستخرجت النفط من هذه الحقول. فأدى ذلك إلى انخفاض الأسعار بحدة مما أفقد العراق ملايين الدولارات يشكل النفط ٩٠% منها. وقد قدر العراق ثمن النفط الذي أخذ من تلك الحقول بـ ٢٠٥ مليار دولار، وقال إن على الكويت دفعها للعراق. (٢٣)

ب- الأسباب السياسية والعسكرية:

في تلك الفترة شاهد العالم تفكك الاتحاد السوفياتي وتوجهت أنظار العالم إلى ثورة الديمقراطيات في الجمهوريات السوفياتية السابقة، فسر صدام حسين ذلك على أنها مؤشرات على تردد الولايات المتحدة في التدخل إزاء أي تصرف قد يصدر منه، خاصة مع خروج إيران من المعادلة الإقليمية. فبفضل ترحيب الديمقراطيات الغربية بصدام وتواطؤها معه انفق العراق في سنة ١٩٨٤، ١٤ مليار دولار على شراء الأسلحة. وكان على امتداد السنوات القليلة الماضية أكبر مستورد للمعدات العسكرية في العالم واحتكر لنفسه ما يقرب من ١٠% من السلاح الذي يبيع على وجه الأرض. تفرغ تلك القوة العسكرية كان أحد أسباب اجتياح العراق للكويت، بالإضافة لذلك تدهور الاقتصاد العراقي وتحمل ديوناً لا يمكن ايفائها.

ت- الأسباب الشخصية:

لا يمكن فهم الأسباب السابقة الذكر، ومدى تأثيرها في اتخاذ القرار ما لم تفهم شخصية متخذ القرار نفسه أي صدام حسين، وقد قالت جوديت ميللر من جريدة نيويورك تايمز وأوري ميلوري إن العراق قد امتلك خبرات علمية وعسكرية صناعية، ترشحه إلى امتلاك برنامج تسليح مهم يهدد المصالح الأمريكية ونفط المنطقة وأمن إسرائيل. وقد برزت أهداف إستراتيجية للتحرك الأمريكي إزاء العراق من خلال خطاب الرئيس الأسبق جورج بوش بتاريخ ١٢/٨/١٩٩٠ وحددها كما يأتي:

- تدمير القوة العسكرية العراقية.
- القضاء على الرئيس العراقي صدام حسين.
- تغيير النظام السياسي العراقي باعتباره نظاماً دكتاتورياً. (24)

وكانت تلك الفترة مناسبة لطرح مفهوم النظام الدولي الجديد من الولايات المتحدة الأمريكية على لسان الرئيس الأمريكي الأسبق (جورج بوش الأب) في خطابه بتاريخ ١١/٩/١٩٩٠ وأهم ما جاء فيه: "رغم خطورة الأزمة في الخليج الفارسي إلا أنها تتيح فرصة أكبر للتحرك نحو فترة تاريخية من التعاون... إن الأحداث التي وقعت في منطقة الخليج قد أظهرت أنه لا بد من القيادة الأمريكية. (٢٥)

بعد فشل المحاولات الدبلوماسية لحل الأزمة وضعت الأمم المتحدة مهلة للعراق للانسحاب من الكويت، وفوضت جميع السبل الضرورية على ذلك، لتتزعزع الولايات المتحدة الأمريكية تحالفاً دولياً ضم أكثر من ٣٠ دولة، أخذ يضغط على العراق ويحاصره بالشرعية الدولية. (٢٦)

وأصبح مجلس الأمن الدولي ولأول مرة وكأنه في حالة انعقاد شبه دائم، إذ أصدر خلال الفترة الممتدة من ٢ آب إلى ٢٩ تشرين الأول ١٩٩٠، ١٢ قراراً. (٢٧)

يشير إلى أحكام الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة والتي تحول مجلس الأمن سلطة تقديرية واسعة في اتخاذ التدابير العسكرية وغير العسكرية للحفاظ على السلم والأمن الدوليين وإعادةتهما إلى نصابهما. (٢٨)

وقد شملت هذه القرارات، إدانة العراق ودعوته إلى الانسحاب من الكويت فوراً دون أي شرط، ثم فرض الحصار الاقتصادي والمقاطعة الدولية في كافة المجالات، التجارية والمالية والمواصلات وعدم الاعتراف بالآثار التي تنتج عن هذا الحصار، وكان آخر هذه القرارات، القرار ٦٧٨ بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٩٠ والذي أجاز لمجلس الأمن استخدام القوة في حال عدم امتثال العراق إلى تاريخ ١٥ شباط ١٩٩١.

وفي تشرين الثاني نوفمبر عام ١٩٩٠ ومع فشل المحاولات الدبلوماسية لحل الأزمة وضعت الأمم المتحدة مهلة للعراق للانسحاب من الكويت، وفوضت باستخدام جميع السبل الضرورية لإجبار العراق على تنفيذ القرارات الدولية. وشكل تحالف دولي شاركت فيه عدة دول واحتشد مئات الآلاف من الجنود في منطقة الخليج. ووضعت الولايات المتحدة خطة عسكرية للحرب بقيادة الجنرال نورمان شوارتسكوف قائد أركان القيادة المركزية الأمريكية. وبدأت الحرب بتاريخ ١٧ كانون الثاني ١٩٩١ وانتهت بتاريخ ٢٨ شباط ١٩٩١، مخلفة عشرات الآلاف بين قتييل وجريح وتدمير البنية الأساسية للقوة العسكرية العراقية.

ث- انتفاضة الأكراد والشيعية عام ١٩٩١:

إثر انتهاء حرب الخليج الثانية، في بداية شهر آذار ١٩٩١ عمت انتفاضة شعبية جميع مدن وقصبات كردستان العراق وغالبية مدن وقصبات محافظات جنوب العراق، كرد فعل على سياسات القمع والاضطهاد التي مارستها الحكومة بحق الشعب العراقي. واشتعلت الانتفاضة بعد أن أصبحت سلطة النظام ضعيفة في ذلك الوقت، إضافة إلى الغضب العارم بسبب قمع الحكومة والدمار الذي خلفته حربان في غضون عشر سنوات، الحرب العراقية الإيرانية وحرب الخليج. ولعبت الولايات المتحدة أيضاً دوراً في تشجيع الانتفاضة، والتي لم تلق مساعدة القوات الأميركية الموجودة على الأراضي العراقية. ففي ٢٩ شباط ١٩٩١، وجه الرئيس الأميركي جورج بوش في خطابه إلى الشعب العراقي، قائلاً: "هناك طريقة أخرى ل إيقاف نزيف الدم، وهي أن الجيش العراقي والشعب العراقي عليهما تولى الأمور بأنفسهما وإجبار صدام حسين الدكتاتور، على التنحي ومن ثم الالتزام بقرارات الأمم المتحدة والعودة للانضمام إلى أسرة الدول المحبة للسلام". وقد بدأ الاضطراب في البصرة يوم ١ آذار ١٩٩١، بعد يوم واحد من وقف اطلاق النار في حرب الخليج، وفي النجف، تحولت مظاهرة قرب مرقد الإمام علي (عليه السلام) إلى مواجهة مسلحة بين جنود هاربين وقوات الأمن، وسيطر الثوار على المرقد بينما هرب أنصار النظام من المدينة أو قتلوا. وانتشرت الانتفاضة خلال أيام إلى كل المدن الكبيرة في الجنوب: كربلاء والحلة والناصرية والعمارة والساوة والكويت والديوانية. وحصل اضطراب أيضاً في مدينة الصدر (الثورة سابقاً) في العاصمة بغداد. وفي اليوم الذي ثارت فيه المدن، تلاقت في الشوارع جماهير من المدنيين غير المسلحين ومجاميع من الثوار، وانقضوا على المباني الحكومية مرددين هتافات مضادة للنظام، قبل أن يبدأوا بالهجوم، وقامت القوات الحكومية بهجوم مضاد، لكنها تعرضت للقتل أو الأسر أو سمح لها بالهرب. وتمكن الثوار من اقتحام سجون النظام ومقرات أجهزة النظام الأمنية واستولوا على مخابئ صغيرة للأسلحة. (٢٩)

أما في شمال العراق، فاندلعت الانتفاضة في يوم ٥ آذار ١٩٩١، في بلدة رانية في شمال غرب السليمانية. وخلال عشرة أيام سيطر المنتفضون على كل المدن في الشمال، ما عدا كركوك والموصل. وفي ٢٠ آذار استولت قوات

البشمركة الكردية على كركوك. وفي السليمانية، سيطر المنتفضون على مقر المخابرات العراقية، ووجدوا فيه أدوات التعذيب المملوطة بالدماء. ومنح الجنود النظاميون عفواً واجازات تمكنهم من العبور الآمن للأراضي الكردية للعودة إلى مناطقهم. وفي أربيل، استولى الثوار على وثائق حكومية متعلقة بمذبحة الأنفال سلموها إلى منظمات حقوق الإنسان الغربية، وحصلت الإنتفاضة على الزخم بسبب تحول الكثير من الجنود النظاميين ومسلحي الحكومة إلى جانب الثوار. وكان رد النظام على الإنتفاضة مدمراً، وتقول منظمة هيومن رايتس ووتش: "في محاولاتهم لإسترداد المدن، وبعد تثبيت سيطرتهم، قتلت قوات النظام العراقي الآلاف وقتل أي شخص يعارضهم سواء أكان مسلحاً أم مدنياً عبر إطلاق النار بدون تمييز على مناطق المعارضة؛ وإعدامهم في الشوارع والمنازل والمستشفيات، وجمع المشتبه بهم، خصوصاً الشبان، خلال التفتيش من بيت لآخر، واعتقالهم بتهمة أو بدونها أو إطلاق النار عليهم جماعياً واستعمال المروحيات لمهاجمة هؤلاء الذين يحاولون الهرب من المدن.(٣٠)

٢/١-الدافع الإنساني أساساً للتدخل الإنساني في العراق:

شهدت مختلف تطبيقات التدخل الإنساني منذ عام ١٩٩١ تدرجاً من جانب المجتمع الدولي أو البلدان المتدخلة في التهديد باستخدام القوة أو الاستخدام القسري لها ضد البلدان المستهدفة، وإن كانت مستويات هذا التدرج في استخدام القوة قد اختلفت من حالة إلى أخرى وفقاً لظروف وخصوصية كل منها، ففي حالة العراق عام ١٩٩١، كان العراق خارجاً للتو من هزيمة عسكرية ساحقة من التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة بسبب احتلاله الكويت. فضلاً عن خضوعه لنظام صارم من العقوبات الدولية الاقتصادية والعسكرية بموجب قرارات عديدة لمجلس الأمن صدرت إبان أزمة الخليج الثانية هذه - خلال الفترة من آب أغسطس ١٩٩٠ حتى ٣ نيسان أبريل ١٩٩١.(٣١)

والتي استمر سريانها حتى خضوع العراق بالكامل للاحتلال الأمريكي في نيسان أبريل ٢٠٠٣. وعندما قام النظام العراقي بقمع الانتفاضة الكردية والشيعية في شمال وجنوب العراق، لم يكن هناك مجال لفرض مزيد من العقوبات الدولية عليه أو اللجوء إلى استخدام قسري جديد للقوة ضده، لا سيما أن القرار ٦٨٧ الذي أنهى رسمياً الحرب في ٣ نيسان أبريل ١٩٩١ لم يكن قد مر عليه سوى يومين فقط، عندما تصدى مجلس الأمن لمعالجة أزمة المدنيين الأكراد والشيعية في ٥ نيسان أبريل ١٩٩١، بإصدار القرار ٦٨٨ الخاص بالتدخل الإنساني في العراق، ومن ثم، فإن ما أعقب صدور هذا القرار من قيام الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين بإنشاء مناطق آمنة بشمال وجنوب العراق خلال عامي ١٩٩١ و ١٩٩٢ لم يكن سوى إجراء عسكري أحادي الجانب ذي أهداف سياسية بحتة تمحورت - وكما ذهب بعضهم وبحق - حول دعم آليات الضغط على نظام صدام حسين، إلى أن تأتي الفرصة المناسبة لها للإطاحة به، وهذا ما تم فعلاً في نيسان أبريل ٢٠٠٣.(٣٢)

أما في ما يتعلق بمشروعية التدخل الإنساني ففقهاء القرن التاسع عشر قد اعتبروا أن التدخل الإنساني عمل غير مشروع مثله مثل باقي صور التدخل الأخرى، وهو يأتي كرد فعل على سياسة الحلف المقدس متمسكين بمبدأ عدم التدخل. وكذلك الحال بالنسبة إلى فقهاء القرن العشرين إذ اعتبروه عملاً غير مشروع ولا يوجد سند قانوني يضيء عليه المشروعية، فهو يطال سيادة الدولة وحرمتها في التعامل مع رعاياها. (٣٣)

وهناك رأي يذهب إلى إضفاء المشروعية على التدخل الإنساني وهذه المشروعية تستند إلى مبرر أخلاقي وليس مبرراً قانونياً، باعتبار أن قاعدة الأخلاق أوسع في نطاقها من قاعدة القانون، وبهذا فإن التدخل الإنساني يعد مشروعاً بالاستناد إلى قواعد أخلاقية إذ يذهب لوثر باخت إلى القول "بأن التدخل الإنساني يكون جائزاً ومقبولاً قانوناً عندما ترتكب الدولة افعالاً قاسية ووحشية تضطهد بها مواطنها الذي يمثل انكاراً لحقوق الإنسان الأساسية". وكذلك يذهب آخرون من أمثال ألفارو (Alfaro) إلى أن التدخل الإنساني لا يمكن اعتباره جائزاً قانوناً ما لم يكن مستنداً إلى قرار صادر عن الأمم المتحدة طبقاً للفصل السابع، كذلك يذهب ستانلي هوفمان إلى أن التدخل بمعناه العام لا يعد مشروعاً ما لم تتوافر ضرورات تبيح مثل هذا التصرف، فقد تم اعتماد معيارين إذا ما توافر أحدهما يعتبر التدخل مشروعاً، الأول: وجود تهديد للسلم والأمن الدوليين، والثاني: إنتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، وبذلك يتأرجح هذا النوع من التدخل بين الحق والواجب، وقد جرى تصوره بوصفه أساساً قانونياً يبرر التدخل الدولي ضد دولة ظالمة. (٣٤)

ففي بداية التسعينيات طرأ تحول كبير على التدخل الإنساني، فبعد إنتهاء التدخل العسكري في العراق عام ١٩٩١، وقيام الحكومة بالقضاء على الإنتفاضة التي حدثت في ارجاء عديدة من العراق في ٣ نيسان ١٩٩١، تقدمت كل من فرنسا وتركيا وايران بمذكرات إلى رئيس مجلس الأمن وإلى الأمين العام للأمم المتحدة ، تشير إلى القمع الذي يتعرض له السكان العراقيون في المناطق الكردية والذي أدى إلى تدفق اللاجئين عبر الحدود الدولية، فضلاً عن حدوث غارات عبر الحدود مما يهدد السلم والأمن الدوليين وقد أوفد الأمين العام السيد اهتساري لدراسة الوضع وقد قدم تقريره إلى الأمين العام، وعقد مجلس الأمن جلسته في يوم ٥ نيسان ١٩٩١ لنقاش الموضوع، وتقدمت فرنسا بمشروع قرار بأكثرية عشرة أصوات ضد ثلاثة هي كوبا واليمن وزمبابوي وامتناع الصين والهند عن التصويت، وبذلك بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الأمم المتحدة فيما يتصل بالتدخل الإنساني. (٣٥)

فبعدها انهارت الانتفاضة الكردية وبعد طرد قوات البيشمركة الكردية من كركوك في ٢٩ آذار، اقتحم الجيش العراقي دهوك واربييل في ٣١ آذار، وزاخو في ١ نيسان، والسليمانية في اليومين التاليين، وتراجع الكرد إلى قرية "كوري الصغيرة". وبعد دفاع ناجح، أمر النظام العراقي قواته بالتوقف جنوب القرية، هذه المعركة مشهورة في الثقافة الكردية وما تزال تلهم الناس هناك حتى الآن، وفي الجنوب، تمكن النظام من قمع المقاومة بنهاية آذار، وفي ٥ نيسان، أعلن مجلس قيادة الحرس

الجمهوري، السحق الكامل لكل أعمال التخريب والتخريب على الفتنة والشغب على حد تعبيره في كل مدن العراق، وقد ذكرت بعض المصادر بأن العدد الأكبر من النازحين عبروا الحدود الإيرانية وقدره بأكثر من مليون نازح، أما عدد الذين وصلوا إلى داخل الحدود التركية فقدر بـ ٦٠٠٠٠٠ ستماية ألف نازح. (٣٦)

كانت هجرتهم مفاجئة وفوضوية، إذ هرب آلاف اللاجئين البائسين سيراً على الأقدام أو على الحمير أو حشروا في شاحنات وجرارات مكشوفة. وقتل بعضهم بمروحيات الجيش، والتي تعمدت قصف طوابير المدنيين الهاربين في عدد من الحوادث في الشمال والجنوب. وأصيب آخرون عندما دخلوا حقول الغام زرعها القوات العراقية قرب الحدود الشرقية خلال الحرب مع إيران، وفي ٢٢ من آذار ١٩٩١، دافعت القوات الأميركية عن اللاجئين الكرد من الهجمات الجوية وأسقطت إحدى الطائرات العراقية من طراز SU ٢٢ وقدمت مساعدة إنسانية لهم، مما أوقف الهجوم العراقي لفترة، ولكن سرعان ما عادت الولايات المتحدة الأمريكية وأهمت الحكومة العراقية بأنها لن تعارض استخدام طائرات هليكوبتر **Helicopters** للقضاء على الانتفاضة، هذا النزوح الجماعي الكبير لمليون مدني كردي إلى الجبال نحو الحدود الدولية الإيرانية والتركية كان هروباً من بطش القوات العراقية وخوفهاً من استخدام النظام العراقي للأسلحة الكيميائية، وتكرار مأساة حلبجة عام ١٩٨٨، التي كانت شاحصة في أذهانهم. إن البرد القارص للمنطقة خلال الأيام الأخيرة لفصل الشتاء، جعل الوضع أكثر سوءاً وعاش الأكراد كما يقول شالياند: "في تلك الظروف الساعات الأكثر مأساوية في تاريخهم، إذ فتك البرد والجوع والمرض بالآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ، ناهيك عن آلاف القتلى نتيجة قصف القوات العراقية لقوافل النازحين، وأوصلت هذه القوافل مسيرتها التاريخية التي أطلق عليها البعض تسمية الهجرة المليونية للكورد"، وقد وصل هؤلاء النازحون إلى الأراضي الإيرانية والتركية في حالة يرثى لها، لذلك أصدر مسعود البارزاني (رئيس إقليم كردستان العراق حالياً) رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني نداء في الأول من نيسان عام ١٩٩١ دعا فيه الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وإيران وتركيا والمملكة العربية السعودية ودول المنطقة لم يد العون والاعانة وإيجاد الوسائل لحماية الشعب الكردي. (٣٧)

وفي الوقت ذاته كانت وسائل الإعلام العالمية تنقل الأخبار والصور عن مأساة الشعب الكردي إلى جميع أرجاء العالم، مما لعب دوراً بارزاً في إثارة الرأي العام العالمي لنجدة اللاجئين، وكانت النتيجة الأساسية والهامة لقمع انتفاضة ٣٠ أيار ١٩٩١ هي إشهار مبدأ التدخل الإنساني من خلال القرار رقم ٦٨٨ من مجلس الأمن الدولي.

إن مبدأ الإنسانية يضع على عاتق المجموعة الدولية واجب التدخل في أي مكان يحدث فيه انتهاك خطير لحقوق الإنسان، وذلك ما عبر عنه الرئيس الفرنسي الأسبق فرانسوا ميتران في أحد خطاباته اللاحقة للندوة الدولية للحق

والأخلاق الإنسانية ، وأعاد تأكيد ذلك في خطاب أخر له بتاريخ ٣٠ أيار ١٩٨٩ حين اعتبر (أن واجب عدم التدخل يتوقف حيث يولد خطر عدم المساعدة). (٣٨)

ذلك فإن ممارسات النظام العراقي أدت إلى حرمان الشعب من أبسط حق من حقوقه وهو الحق في الحياة، ذلك شكل مبرراً للتدخل في العراق لإنقاذ المدنيين وعلى رأسهم الأكراد من خطر الموت.

وعليه فإن مشروعية التدخل الإنساني في العراق، نابعة من منطلق الشعور بالتضامن الدولي وأسبقية القيم الإنسانية على السياسة، خاصة مع الظروف المأساوية التي عاشها الأكراد والشيعية في العراق، فكان التدخل الحل لمعاناتهم، فأصدر مجلس الأمن القرار ٦٨٨، بالإضافة إلى اتخاذ إجراءات انفرادية في إطار تحقيق الضرورة الإنسانية استناداً إلى مبررات عالمية في حقوق الإنسان وفي مقدمتها الحق في الحياة. لا سيما وأن تلك الحقوق مكرسة في المواثيق الدولية، وتعتبر مصادقة الدول عليها بمثابة اعتراف بطابعها العالمي وخروجها من الاختصاص الداخلي للدول، وقد لعبت منظمة الأمم المتحدة دوراً هاماً في ذلك، من خلال ما نصت عليه في ديباجتها وفي العديد من موادها. وصولاً إلى جملة من المواثيق الدولية أهمها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان المؤرخ في ١٠ كانون الأول ١٩٤٨، واتفاقية ٢١ كانون الأول ١٩٦٥ المتعلقة بالقضاء على كل أشكال التمييز العنصري في العهد الدولي الأول للحقوق المدنية والسياسية، والعهد الدولي الثاني الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعلى أساس خروج حقوق الإنسان من المجال المحفوظ للدولة برر المجتمع الدولي تدخله الإنساني في العراق، وقد اعتبر مجلس الأمن النزاع بين كل من النظام العراقي وشرائع من شعبه وما صاحب ذلك من انتهاك لحقوق الإنسان، تهديداً للأمن والسلم الدوليين مستنداً إلى الآثار الدولية التي ترتبت على ذلك، وهي تدفق اللاجئين، وبالتالي سمحت عالمية حقوق الإنسان بالربط بصفة غير مباشرة، بين انتهاكها وفكرة تهديد السلم والأمن الدوليين، وذلك ما اعتبرته دول التحالف عنصراً كفيلاً بإلحاق صفة المشروعية على تدخلها في إطار أممي جماعي بموجب قرار مجلس الأمن ٦٨٨، إضافة إلى خروج حقوق الإنسان التي تتصف بالعالمية من المجال المحفوظ للدولة.

٣/١-تقييم مبررات التدخل الإنساني في العراق:

إنّ الركيزة القانونية لحق التدخل في ميثاق الأمم المتحدة تسمح في المادة (٥٥) منه على أن كل دولة وافقت أو انضمت أو صادقت على الميثاق يتعين عليها احترام مقتضياته، وترجيحها على القانون الداخلي عند التعارض، لأن الانضمام إليها ضمن الإجراءات الدستورية يعتبر تنازلاً إرادياً عن السيادة ويتبلور حق المنظمة الدولية بالتدخل الإنساني من خلال سمو القانون الدولي لحقوق الإنسان على سائر الاتفاقيات الدولية والتشريعات الداخلية، ولذلك فإن تدخل الأمم المتحدة يعتبر مطابقاً للقانون الدولي من وجهة نظر الأمم المتحدة وميثاقها على اعتبار أن الدول الأعضاء قد قبلت هذا التدخل بانضمامها إلى الميثاق. (٣٩)

ولقد وضع القانون الدولي شروطاً لمشروعية المساعدة الإنسانية منها:

- أ- احترام السيادة والاستقلال السياسي للدولة المعنية إذ أعطت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها 43/131 لسنة 1988 الأولوية للسيادة الوطنية على المبادئ والقيم الإنسانية من خلال تأكيد ديباجة القرار على سيادة الدولة وسلامتها الإقليمية، وهذا ما لا نراه في حالة التدخل الإنساني في العراق، إذ أدى التدخل الإنساني إلى نتائج منها خروج الإقليم الكردي عن سلطة الحكومة المركزية. (40)
- ب- النزاهة والحياد وعدم التمييز: يؤكد قرار الجمعية العامة رقم 131/43 لسنة 1988 و 45/100 لسنة 1990، على أنه في حالات الكوارث والطوارئ المماثلة يجب أن تكون مبادئ الإنسانية والحياد وعدم التمييز فوق كل اعتبار، كما أكدت اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي على مبادئ الإنسانية والنزاهة والاستقلال وعدم التمييز في عملها. (41)

وقد اشترط من الناحية القانونية أن يكون التدخل وفق الشروط الآتية:

- ت- يجب أن تكون عملية التدخل الإنساني التي تقوم بها الأمم المتحدة غير موجهة وفقاً للمادة ٤٢ ضد سلامة أو الاستقلال السياسي للدولة المعنية أو لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة.
- ث- يجب أن يكون التدخل مجرداً من أي غرض ذاتي للدول المتدخلة بحيث يكون الهدف واضحاً لوقف هذه الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان أو لإغاثة ضحايا الكوارث، وقد يكون الهدف توفير بنية آمنة ويجب أن تتناسب الوسائل المستخدمة مع الهدف.
- ج- يتعين قبل ممارسة التدخل الإنساني استنفاد كافة الوسائل السلمية الأخرى. فلا يتم اللجوء إلى القوة إلا بعد استنفاد الوسائل الأخرى التي تحترم سيادة الدولة المعنية ويكون هذا التدخل في حالة الضرورة استثناء من الأصل العام، (لمبدأ عدم التدخل)، وسيؤدي هذا التدخل إلى منافع وتحسن في أحوال مواطني الدولة المعنية. (٤٢)
- لكن تبقى المشكلة الكبيرة هي أن بعض الدول التي تتمسّدق بحقوق الإنسان من الدول الغربية أو من تلك التي لها سجل حافل في انتهاكات حقوق الإنسان لا تكف أبداً عن تدخلها في شؤون المنظمات الدولية، ولا تذكر بعضاً من الممارسات المشابهة لحلفائها لا سيما وأن من الصعب جعل موضوع حقوق الإنسان محددًا أساسياً للسياسة الخارجية، لأن عملية صنع القرار تتحكم فيها اعتبارات عديدة اقتصادية واجتماعية وسياسية مهمة، هو ما يجعل الحفاظ على حقوق الإنسان كهدف مطلوب ضعيفاً. (٤٣)

وعلى ذلك اعتبر مجلس الأمن أن ما يجري في العراق هو شأن داخلي لا يمكن للمجلس أن يتدخل فيه، إلا أن فرنسا وتركيا طالبتا مجلس الأمن بالتدخل على خلفية أن معاملة الحكومة العراقية لمواطنيها ليست قضية داخلية بل قضية تشكل تهديداً خطيراً للأمن والسلم الدوليين، وبناء على ذلك أصدر مجلس الأمن القرار ٦٨٨، ويعتبر هذا القرار سابقة قانونية مهمة في تاريخ الأمم المتحدة حول التدخل الإنساني ولم يصدر بموجب الفصل السابع من الميثاق، وسمى بالقرار اليتيم لكونه أصر على العراق بالسماح بمرور المساعدات الإنسانية مباشرة دون انتظار موافقة الحكومة العراقية الذي يعد شرطاً أساسياً لمشروعية المساعدات الإنسانية .

وعملاً بقرار مجلس الأمن ٦٨٨، قدمت ٣٠ دولة مساعدات إنسانية قيمتها ٧٤٠ مليون دولار أمريكي لصالح اللاجئين العراقيين، وبلغت قيمة المساعدات من دول الاتحاد الأوروبي ٧٠% خصصت لتخفيف معاناة اللاجئين العراقيين في إيران، وخصصت المساعدات الأمريكية كاملة للاجئين العراقيين في تركيا. وأسقطت الولايات المتحدة وفرنسا من خلال الجو مواد إغاثية فوق الأراضي العراقية وذلك قبل معرفة الرد العراقي وقبل تبني القرار ٦٨٨، إلا أن العراق احتج على عمليات إلقاء المساعدات باعتبارها تصرفاً يمس سيادته ويتجاهلها.

وقامت كل من أمريكا وفرنسا وبريطانيا بإرسال قوات عسكرية أسمتها الولايات المتحدة **Provide comfort** أي عملية توفير الراحة لكردستان العراق مستندة بذلك على القرار ٦٨٨، وذلك لضمان تنفيذ وجود ملاذ وممرات آمنة في كردستان العراق وإمداد الأكراد بالمعونة الإنسانية، إن هذه الخطوة أثارت جدلاً قانونياً لكونها لم تأخذ بعين الاعتبار شروط التدخل الإنساني والمتمثلة بالنزاهة وعدم التمييز والحياد، لكونها خصت الأكراد دون باقي فئات الشعب العراقي.

إلا أن هناك سؤالاً يطرح نفسه من خلال تداخل الاعتبارات السياسية مع الاعتبارات الإنسانية، وهو لماذا لم يحدث التدخل الإنساني إثر الانتهاكات المتكررة التي عانى منها الشعب العراقي منذ سنوات؟ لماذا لم يتم التدخل في العراق إلا في عام ١٩٩١؟ مع أن التلفزيونات العالمية جعلت مأساة حلبجة في مقدمة نشراتها الإخبارية؟ أو لماذا لم يتم التدخل الإنساني لوقف جرائم الإبادة الجماعية المسماة بعمليات الانفال ضد سكان القرى الكردية في عام ١٩٨٨؟ وللإجابة على هذه الأسئلة نصل إلى الحقيقة بأن الدول الغربية في ذلك الوقت كانت تدعم النظام العراقي في حربه ضد إيران، ولم تشغلها قضايا حقوق الإنسان بقدر انشغالها بالمحافظة على مصالحها الاستراتيجية في المنطقة من خطر المد الإيراني.

من جانب آخر، إذا نظرنا إلى الظروف التي سبقت التدخل في العراق، سندرك أن قمع النظام العراقي الأسبق للالتفاضة الداخلية كان مناسبة للتدخل في إطار توسيع سلسلة العقوبات المفروضة على العراق منذ اجتياحه للكويت،

ومن ثم لا يعتبر مبرراً لحماية حقوق الإنسان مقنعاً نظراً لتطبيقه فقط عندما يكون ذلك مناسباً لمصالح وسياسات الدول العظمى، و عندما لا يلائمهم الوضع يتجاهلونه، خاصة وأنهم لم يهتموا قبل ذلك بمصير الشعب العراقي. ويؤخذ أيضاً على مبرر حماية حقوق الإنسان عدم تمكنه من تبرير موقف المجموعة الدولية التي تدخلت لحماية أكراد العراق، بينما لم تدخل لحماية الأكراد وما تعرضوا له من اضطهاد في تركيا، بل أكثر من ذلك فإن انتهاك النظام التركي لحقوق أكراده يحظى بموافقة المجتمع الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، لأن تركيا حليفة الولايات المتحدة الأمريكية وعضو في حلف الشمال الأطلسي.

إن ما يجعلنا نطلق وصف الانتقائية على التدخل الإنساني، كما لا يجب إغفال دور الإعلام في إيصال تلك المآسي إلى الرأي العام العالمي، خاصة مع التطور الذي عرفه مجال الإعلام والذي من شأنه القضاء على أي عذر للانتقائية، وكان من الممكن الأخذ به حين كانت وسائل الإعلام محتكرة من قبل حكومات الدول، إذ ما كان يظهر للرأي العام هو ما تريده الحكومات فقط، لكن مع بداية التسعينات حصلت محاولات لتحرير الأعلام من قبضة الحكومات وأصبح العالم على دراية بالانتهاكات التي تلحق بحقوق الإنسان في أي مكان، مما يؤدي بنا إلى تفسير عدم تحرك المجتمع الدولي لوقفها بالانتقائية وفقاً لمصالح الدول الكبرى. وعليه فإن مبررات حماية حقوق الإنسان في العراق وإن كانت تستند إلى الموضوعية والرغبة بتخفيف معاناة الإنسان إلا أنها لم تخلُ من تأثير الاعتبارات السياسية ومصالح الدول الغربية في العراق.

٢- قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٨ لسنة ١٩٩١ وسيادة العراق:

إن العوامل والأحداث التي أشرنا إليها في المبحث السابق أدت إلى صدور القرار ٦٨٨ إذ وجد مجلس الأمن أنّ ثمة ما يبرر تدخله لحماية الشعب العراقي، وخاصة سكان المنطقة الكردية من الممارسات القمعية للحكومة العراقية. وذلك عندما جمع مجلس الأمن بين القمع الذي يتعرض له السكان المدنيون وما تهدد السلم والأمن الدوليين.

وعليه فقد أثار القرار ٦٨٨ على سيادة العراق من خلال جملة من الآثار القانونية والمادية، وهنا سنتحدث بالتفصيل عن (مضمون قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٨ وملابسات صدوره، الآثار القانونية لقرار مجلس الأمن رقم ٦٨٨ على سيادة العراق، الآثار المادية لقرار مجلس الأمن رقم ٦٨٨ على سيادة العراق).

١/٢- مضمون قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٨ لسنة ١٩٩١ وملابسات صدوره:

في يوم ٢ نيسان ١٩٩١ طالبت فرنسا الأمم المتحدة بالتدخل الإنساني، لإنقاذ النازحين المدنيين من مأساتهم، وبعثت من بريطانيا، وفي ٥ نيسان ١٩٩١ قدمت فرنسا مشروع قرار يقضي بالتدخل في العراق على أساس إنساني، وفي اليوم نفسه

صادق مجلس الأمن على القرار، بعد إجراء تعديل على المشروع المذكور بأكثرية عشرة أصوات ضد ثلاثة هي كل من كوبا واليمن وزيمبابوي وامتناع كل من الهند والصين عن التصويت. ويتألف القرار من ديباجة وثمان فقرات.(٤٤)

وبهذا طلب القرار رقم ٦٨٨ من العراق بوقف ما وصفه بالقمع الذي تمارسه السلطة بحق المدنيين في العراق، خاصة في المناطق الكردية، وناشد جميع الدول الأعضاء المساهمة في جهود الاغاثة في تلك المناطق، وفي ما يلي نص القرار:

القرار ٦٨٨ الصادر في ٥ أبريل / نيسان ١٩٩١، إن مجلس الأمن، إذ يضع في اعتباره واجباته ومسؤولياته بموجب ميثاق الأمم المتحدة بالنسبة لصون السلم والأمن الدوليين. وإذ يشير إلى الفقرة ٧ من المادة (٢) من ميثاق الأمم المتحدة، وإذ يساوره شديد القلق إزاء القمع الذي يتعرض له السكان العراقيون في أجزاء كثيرة من العراق، والذي شمل مؤخراً المناطق السكانية الكردية وأدى إلى تدفق اللاجئين على نطاق واسع عبر الحدود الدولية وإلى حدوث غارات عبر الحدود بما يهدد السلم والأمن الدوليين في المنطقة، وإذ يشعر بانزعاج بالغ لما ينطوي عليه ذلك من آلام مبرحة يعاني منها البشر هناك.

وإذ يحيط علماً بالرسالتين الموجهتين إلى رئيس مجلس الأمن من الممثلين القائمين لتركيا وفرنسا لدى الأمم المتحدة والمؤرخين في ٢ و ٤ أبريل / نيسان ١٩٩١ على التوالي 2244/S.S/٢٢٤٥ وإذ يحيط علماً أيضاً بالرسالتين الموجهتين إلى الأمين العام من الممثل الدائم لجمهورية إيران الإسلامية إلى الأمم المتحدة والمؤرخين في ٣ و ٤ أبريل / نيسان ١٩٩١ على التوالي S/22436, S/٢٢٤٤٧.

وإذ بعيد تأكيد التزام جميع الدول الأعضاء تجاه سيادة العراق وجميع دول المنطقة وسلامتها الإقليمية واستقلالها السياسي، وإذ يضع في اعتباره التقرير الذي أحاله الأمين العام والمؤرخ في ٢٠ مارس / أبريل ١٩٩١ S/٢٢٣٦٦.

ت- يدين القمع الذي يتعرض له السكان المدنيون العراقيون في أجزاء كثيرة من العراق، الذي شمل مؤخراً المناطق السكانية الكردية وتحدد نتائجه السلم والأمن الدوليين في المنطقة.

ث- يطالب بأن يقوم العراق على الفور كإسهام منه في إزالة الخطر الذي يتهدد السلم والأمن الدوليين في المنطقة بوقف هذا القمع، ويعرب عن الأمل في السياق نفسه في إقامة حوار مفتوح لكفالة احترام حقوق الإنسان والحقوق السياسية لجميع المواطنين العراقيين.

ج- يصر على أن يسمح العراق بوصول المنظمات الإنسانية الدولية على الفور إلى جميع من يحتاجون إلى المساعدة في جميع أنحاء العراق ويوفر جميع التسهيلات اللازمة لعملياتها.

ح- يطلب إلى الأمين العام أن يواصل بذل جهوده الإنسانية في العراق وأن يقدم على الفور وإذا اقتضى الأمر على أساس إيضاح بعثة أخرى إلى المنطقة تقريراً عن محلة السكان المدنيين العراقيين، خاصة السكان الأكراد الذين يعانون من جميع أشكال القمع الذي تمارسه السلطات العراقية.

- خ- يطلب أيضاً إلى الأمين العام أن يستخدم جميع الموارد الموجودة تحت تصرفه بما فيها موارد وكالات الأمم المتحدة ذات الصلة للقيام على نحو عاجل بتلبية الاحتياجات الملحة للاجئين وللسكان العراقيين المشردين.
- د- يناشد جميع الدول الأعضاء وجميع السلطات الإنسانية أن تسهم في جهود الإغاثة الإنسانية هذه.
- ذ- يطالب العراق بأن يتعاون مع الأمين العام من أجل تحقيق هذه الغايات.
- ر- يقرر إبقاء هذه المسألة قيد النظر.

إن القرار رقم ٦٨٨ الذي صدر من مجلس الأمن ربما كان الترجمة العملية الأولى للتدخل الإنساني وإن جاء ناقصاً قياساً للسياسات والمواقف الدولية حيال مخنة الاكراد في كل من تركيا وإيران وسوريا، حيث يتم التعاطي والتعامل معهم على أساس حرمانهم من جميع الحقوق السياسية والثقافة والاجتماعية، مما يدل على أن مبدأ التدخل الإنساني لا زال خاضعاً للانتقائية في الزمان والمكان، وتشكل المصالح الدولية حجر الرجي في ممارسته وتطبيقه في الوقت الذي تكلفت مساعي المجتمع الدولي على قدر كبير من النجاحات في مناطق أخرى كالבوسنة والمهرسك وإقليم كوسوفو وتيمور الشرقية.

وتنفيذاً للقرار ٦٨٨ انمالت المساعدات الإنسانية من الغذاء والدواء والأغطية والحاجات الإنسانية الأخرى على الأكراد من كل جانب، سواء من قبل الحكومات أو المنظمات الدولية الإنسانية وبشكل غير معهود للأكراد في تاريخهم.(٤٥)

وقد وجدت الدول الغربية من القرار ٦٨٨ إذناً لها للقيام بتدخلها العسكري في شمال العراق لإنشاء منطقة آمنة شمال خط العرض ٣٦ من خلال عملية اطلقت عليها تسمية عملية توفير الراحة **Providing comfort**، بهدف انقاذ اللاجئين والمشردين من مأساتهم وتوفير الاجواء لضمان عودتهم إلى ديارهم.(٤٦)

ورغم أن القرار رقم ٦٨٨ يدخل في اطار القرارات المرتبطة في حرب الخليج الثانية إلا أن مضمونه شكل سابقة في تطور مبدأ التدخل الإنساني. وبالاطلاع على مضمون القرار ٦٨٨ يمكن لنا عرض أهم النقاط التي تضمنها وهي كما يلي:

- أدان القمع الذي تعرض له السكان المدنيون العراقيون في أجزاء كبيرة من العراق، "المادة 1" من القرار.
- طلب من العراق وعلى الفور إزالة الخطر الذي يهدد السلم والأمن في المنطقة، وذلك بوقف القمع وإقامة حوار مفتوح لكفالة احترام حقوق الإنسان "المادة 2" والحقوق السياسية لجميع المواطنين.
- طلب من العراق السماح بوصول المنظمات الإنسانية الدولية على الفور إلى جميع من يحتاجون المساعدة "المادة 3".
- ألزم العراق بالتعاون مع أمين العام للأمم المتحدة، لتقديم الاحتياجات الأساسية للاجئين العراقيين، وهذا ما استجابت له السلطات العراقية بتوقيع إتفاق يعرف بمذكرة التفاهم **Memorandum of**

understanding وذلك بتاريخ 18 نيسان 1991، تضمنت وضع مخطط عملي لطريقة توزيع المساعدات

الإنسانية التي تقوم بها الأمم المتحدة ووكالاتها المختصة والمنظمات الدولية غير الحكومية. (47)

ومع ذلك تميز هذا القرار بخصوصية هامة، فقد أرسى ولأول مرة قاعدة جديدة في القانون الدولي ترتبط بين انتهاك حقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني في دولة ما وتهديد السلم والأمن الدوليين، كما سمح لمجلس الأمن بموجب هذا القرار للدول الأعضاء بالقيام بعمليات إنسانية وإنشاء مناطق آمنة داخل الأراضي العراقية من أجل تسهيل استقبال اللاجئين الأكراد فيها، وتقديم المساعدات الضرورية لهم، وفعالاً قامت دول التحالف في شمال العراق بإنشاء كثير من مناطق الحماية الإنسانية حتى تكون ملاذاً لأبناء هذه المنطقة في مواجهة بطش السلطات العراقية. (٤٨)

ويعد هذا القرار ترجمة أولية مادية للمساعدة الإنسانية إذ سمح للوكالات الدولية الإنسانية بالقيام بأعمال الإغاثة لمساعدة المدنيين ضحايا القمع الحكومي دون موافقة الدولة المعنية (العراق) على ذلك، كما ألزم الحكومة العراقية على التعاون معها لأداء مهامها الإنسانية وأرفقها بقوة أمنية لمساعدتها على القيام بذلك، شرط أن يقتصر تسليحها على الأسلحة الخفيفة، وقد تمثلت وظيفتهم الأساسية في المراقبة والاشراف وضمان حماية موظفي وكالات الأمم المتحدة في العراق. (٤٩)

إن باستقراء الفقرة السادسة من القرار ٦٨٨ يوضح أن مجلس الأمن قد ناشد جميع الدول الأعضاء وجميع المنظمات الإنسانية بأن تساهم في جهود الإغاثة الإنسانية، ولم يبح صراحة إستعمال القوة العسكرية للقيام بأعمال الإغاثة من طرف القوات الأممية، إلا أن قوات التحالف بدأت التقدم إلى داخل العراق معلنين عن دوافعهم الإنسانية لهذا العمل، ومن أجل إنشاء المخيمات للاجئين الأكراد وتسهيل أعمال الإغاثة لهم، وبالتالي فإن الدول الغربية اعتمدت في تدخلها على التفسير الواسع للفقرة السادسة من القرار، فيعد القرار 688 الأول الذي تم بموجبه السماح باستعمال القوة من أجل وضع حد لتهديد السلم والأمن الدوليين، والتي لم يكن سببها عدواناً وإنما خرقاً لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني في المنطقة وتعتبر سابقة فقط ولا تكتسب صفة القاعدة القانونية. (٥٠)

على الرغم من أن القرار ٦٨٨ لم يصدر استناداً إلى الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة إلا أن ذلك لا يفقده عنصر الإلزام، فهو ليس توصية من مجلس الأمن، وإنما هو قرار، والفارق كبير بين التوصية غير الملزمة والقرار الملزم الذي يجب تنفيذه طوعاً مع ذلك أن القرار لم يتضمن فقرة توقيع الجزاء على العراق عند الإخلال بأحد بنوده وتوضح آليات ذلك العقاب، ولقطع الجدل الدائر وإزالة الشكوك عن مشروعية التدخل العسكري الإنساني المستند إلى قرار مجلس الأمن ٦٨٨ في العراق، تبنت الدول المشاركة في عمليات التدخل خاصة الحظر الجوي، نظرية الدفاع عن النفس لإضفاء المشروعية على قصفها للعراق، إذ أكدت وزارة الخارجية البريطانية على أنها وجهت عدة تحذيرات للعراق بعدم

التعرض للطائرات الغربية في مناطق الحظر الجوي، وأن هذه الطائرات تملك حق الدفاع عن النفس ضد التهديدات العراقية وأكدت وزارة الدفاع الأمريكية أن الطائرات الأمريكية قد تتعرض للعدوان إذا رصدتها الرادارات العراقية. (٥١) وبالتالي يجب أن تباشر في قصفها باللحظة التي تتم فيها عملية الرصد بغية حماية الطيارين الأمريكيين، وهذا بذريعة الدفاع الاحتياطي عن النفس بما يعني أن الهدف من الهجمات الجوية على العراق ليس حماية الأكراد العراقيين بل حماية الطائرات الأمريكية التي تجوب مناطق الحظر الجوي من أجل استعراض القوة واستفزاز أجهزة الدفاع الجوية العراقية لتجد الذريعة لقصفها. (٥٢)

وأخيراً نستنتج مما سبق بأن مضمون القرار لم يتضمن حق استخدام القوة ضد العراق، ولكن رغم ذلك فقد استطاعت الدول الغربية فرض مناطق للحظر الجوي في جنوب العراق وشماله، انفرادياً دون الرجوع إلى مجلس الأمن واستصدار قرار صريح يجبر بهذا العمل من قبل مجلس الأمن.

٢/٢- الآثار القانونية لقرار مجلس الأمن رقم ٦٨٨ على سيادة العراق:

إن للتدخل الإنساني أنواع مختلفة وأساليب مختلفة كما أشرنا سابقاً، ويعد التدخل باستعمال القوة هو ذلك التدخل العسكري عن طريق تشكيل فرق عسكرية تمارس التدخل عن طريق إقحام مواقع الانتهاك الإنساني، ومثال هذا، التدخل الأمريكي في العراق، وليبيان أهم الآثار القانونية لقرار رقم ٦٨٨ على سيادة العراق، فسنستحدث بالتفصيل عن عملية توفير الراحة **Providing Comfort**، اتفاقية مذكرة التفاهم ١٨ نيسان ١٩٩١).

أ- عملية توفير الراحة **Provide Comfort**:

بعد التصويت على القرار رقم ٦٨٨، صرح ممثل الولايات المتحدة بأن القوات الجوية الأمريكية ستشرع في إمداد شمال العراق بالغذاء وكافة الاحتياجات، آملاً أن لا تلقى تلك العمليات أي عوائق من قبل الحكومة العراقية، وما أن صدر القرار ٦٨٨ حتى بادرت مجموعة كبيرة من الدول وخاصة الكبرى منها والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية إلى إرسال الاحتياجات الإنسانية إلى مناطق تواجد اللاجئين، سواء داخل العراق أم خارجه وفي المناطق الحدودية مع إيران وتركيا، أولى تلك المساعدات تم انزالها بالمظلات بعد يومين من صدور القرار ٦٨٨ من قبل الولايات المتحدة الأمريكية. (٥٣)

وبعد وصول المساعدات الإنسانية من كل جانب ولأجل تنظيم وتسهيل وصول هذه المعونات، قامت الأمم المتحدة بتعيينها مندوباً تنفيذياً للأمانة العامة للأمم المتحدة من أجل البرنامج الإنساني في العراق، بعد يومين من اتخاذ مجلس الأمن القرار رقم ٦٨٨، شرعت مختلف الدول في إرسال مساعداتها الإنسانية عن طريق الطائرات إلى شمال العراق في إطار

عملية أطلق عليها تسمية توفير الراحة، ظهرت فكرة المشروع في أوروبا عندما اقترحتها بريطانيا وتقدمت بها إلى المجلس الأوروبي الذي وافق على الاقتراح في ٨ نيسان ١٩٩١، وبدأ تنفيذ المشروع في ١٦ نيسان ١٩٩١ فور موافقة الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب على القيام بالعملية من خلال التدخل العسكري البري في الأراضي العراقية، وقد صاحب العملية ما يأتي:

● نشر القوات العسكرية لدول التحالف:

إذ تم إرسال مجموعات من القوات العسكرية التابعة للولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وإسبانيا وهولندا، وقد وصل عددهم في البداية إلى ما يقارب من ٢٥٠٠٠ جندي. من بينهم ٥٦٠٠ جندي أمريكي بحسب تصريح المتحدث باسم البنتاغون في ١٩ نيسان ١٩٩١ وقد زودت هذه الدول بعناصيرها العسكرية بكافة الوسائل التي تمكنها من أداء المهام التي أرسلت لأجلها، وعلى رأسها ترسانة من الطائرات الحربية متنوعة الطراز، منها طائرات من نوع بوينغ أو أكس وطائرات من نوع أف ١٥ وأف ١٦ وطائرات هجوم بري ووحدة طائرات من نوع هيليكوبترس.

إن التنوع في الوسائل العسكرية وحدائنها ليس إلا دليلاً على إصرار الدول المتدخلة على تغطية عملية المساعدة الإنسانية من أعالي الجو لضمان توصيل الإعانات إلى مستحقيها. وما يجدر الإشارة إليه أن استقدام الدول الأنف ذكرها لقواتها ووسائلها العسكرية لم يكن بالأمر الصعب نظراً لتواجدها أصلاً في ضواحي العراق إثر حرب الخليج الثانية، ولم يحدث سوى تحويل تلك القوات إلى العراق. وفي إطار عملية المساعدة الإنسانية قامت قوات التحالف بإنزال المواد الغذائية والأدوية، فعلى سبيل المثال تم بتاريخ ٩ نيسان ١٩٩١ إنزال حوالي ١٠ أطنان من المواد الضرورية للحياة وفي غضون ١٥ يوماً وصل حجم تلك المواد إلى ما يقارب ٧٠٠ طن. (٥٤)

● إنشاء مراكز وأروقة إنسانية في العراق:

أسفرت دعوة فرنسا لمساعدة اللاجئين العراقيين على العودة لديارهم عن إنشاء مراكز وأروقة إنسانية تنظم من قبل القوات العسكرية الفرنسية والعديد من المتطوعين المدنيين، وقد اقترحت الحكومة الفرنسية فكرتها على الأمين العام للأمم المتحدة وعلى باقي الدول التي شاركتها في التدخل الانفرادي في العراق. وتمت العملية بتعاون دول التحالف، إذ تكفلت بتنظيم تلك الأروقة كل من القوات العسكرية الأمريكية والفرنسية والبريطانية والإيطالية واللوكسمبورغية والإسبانية.. الخ، وقد زحفت هذه القوات نحو عمق المنطقة في شمال العراق، وفي البداية دخلت إلى عمق ٣٠ ميلاً باتجاه مدن زاخو وأميدي وسرسنك من محافظة دهوك المتاخمة للحدود التركية، ومن ثم وسعت مناطق تواجدها في أراضي

كردستان العراق واستطاعت أخيراً أن تنشئ منطقة آمنة بطول ١١٥ كم على الحدود العراقية التركية وبعمق ٥٠ كم. والملاحظ هو تفضيل أغلب اللاجئين للأروقة الفرنسية المتمركزة في أعالي الجبال، لأنهم رأوا في ذلك الطريق الأسلم للهروب من بطش النظام العراقي، وبذلك ساهم تحقيق فكرة المراكز والأروقة الإنسانية بقيادة دول التحالف في عودة العديد من اللاجئين العراقيين إلى ديارهم وإغلاق المخيمات. وبعد رجوع اللاجئين إلى ديارهم في حزيران ١٩٩١، بدأت قوات التحالف بالانسحاب من المنطقة، وأعلنت عن إنشاء منطقة آمنة.

ب- اتفاقية مذكرة التفاهم ١٨ نيسان ١٩٩١:

إن تواجد الحلفاء في العراق، ما كان ليستمر مدة أطول، خاصة وأن تركيا فسرت ذلك على أنه إشهار أو دعاية للمسألة الكردية على الصعيد العالمي، من هنا بدأ تفعيل دور منظمة الأمم المتحدة في ما يتعلق بتوزيع المساعدة الإنسانية ليتم توقيع وثيقة اتفاق بين المنظمة الأممية والحكومة العراقية في ١٨ نيسان ١٩٩١ بموجبها أوكلت المهام الإنسانية للهيئات التابعة للأمم المتحدة، ووفقاً للاتفاق أقامت المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة مكاتب فرعية ومراكز إنسانية في المدن الرئيسية لكردستان العراق، إلا أن تطبيق الوثيقة مر بصعوبات، لا سيما أنه تم تأجيل التطبيق إلى غاية حزيران ١٩٩٢ أي أكثر من سنة كاملة، ويهدف توفير الحماية لهذه الوكالات والمنظمات الدولية وموظفي الإغاثة الدوليين التابعين للأمم المتحدة والعاملين في المنطقة وقعت الأمم المتحدة والحكومة العراقية في ٢١ أيار ١٩٩١ اتفاقاً يسمح للأمم المتحدة بأرسال ٥٠٠ حارس من القبعات الزرق التابعة للأمم المتحدة إلى شمال العراق. (٥٥)

من جهة أخرى وخلال تبني القرار ٦٨٨ أدلى المندوب الأمريكي في مجلس الأمن بتصريح جاء فيه: "أن مجلس الأمن لا يملك النية للتدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة في العالم بما فيها العراق"، وبناء على ذلك أكد الفقهاء الدوليون أمثال **Zacklin, Tomuschat, Riorujo** على أن القرار ٦٨٨ لم يندرج ضمن الفصل السابع من الميثاق ومن ثم، لا يعد سنداً قانونياً لمنطقة الحظر الجوي في شمال وجنوب العراق، كما أكدوا على أن مجلس الأمن غير مخول لفرض وصول المنظمات الإنسانية إلى العراق دون موافقة السلطات العراقية. (٥٦)

فقد استبعد القرار اللجوء إلى القوة ونشر قوات عسكرية، وعلى خلاف ذلك قامت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بنشر قواتهما على الشمال والجنوب، بزعم توفير ظروف آمنة للاجئين. (٥٧)

و بالرجوع إلى مضمون قرار مجلس الأمن ٦٨٨ الذي أشار فقط إلى إنشاء ممرات إنسانية في الأراضي العراقية تسمح بتدفق المساعدات الإنسانية من المنظمات الحكومية وغير الحكومية، وقد التزم العراق بمطالب مجلس الأمن بإبرامه اتفاقاً مع الأمم المتحدة في ١٨ نيسان ١٩٩١ يسمح بإنشاء مكاتب للأمم المتحدة ومراكز للبعوث الإنساني، إذاً يمكننا القول بأن دول التحالف ادعت بأنها استندت إلى القرار ٦٨٨ لإنشاء هذه المناطق الحمية، ولكن في الواقع لم ينص القرار

صراحة على إنشاء مثل هذه المناطق ولم يخول دول التحالف استخدام القوة لتنفيذ القرار المذكور، لذلك وبموجب قواعد القانون الدولي ومبادئ العلاقات الدولية، فإن ما قامت به شكل خرقاً لسيادة العراق وسلامته ووحدته أراضيه.

٣/٢- الآثار المادية لقرار مجلس الأمن ٦٨٨ على سيادة العراق:

لقد حد التدخل الإنساني في العراق من السيادة العراقية في عدة جوانب يمكن إجمالها في ما يأتي:
(فرض مناطق حظر جوي، خروج المنطقة الكردية من السلطة المركزية العراقية، فرض الحظر التجاري)، وقد كان لهذه الجوانب تأثير سلبي كبير على سيادة العراق .

أ- فرض مناطق حظر جوي:

فضلاً عن قرارات الأمم المتحدة وما نجم عنها من حصار، فإن كلاً من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فرضتا مناطق حظر جوي دون الاستناد في ذلك إلى منظمة الأمم المتحدة.

وأعلنت واشنطن في ١٠ نيسان ١٩٩١ أن الطائرات العراقية ممنوعة من التحليق فوق أجواء الأراضي الكردية في الشمال، وبعد تمديد المنطقة المحمية في الجنوب من قبل الولايات المتحدة مع إقرار حظر الطيران العراقي فوق أجواء تلك المنطقة، تواصل قصف تلك المناطق لا سيما خلال الفترة الممتدة من آب ١٩٩٢ إلى كانون الثاني ١٩٩٣، وبصورة متقطعة، فيما بعد من ذلك الهجوم العسكري عام ١٩٩٦، فقد تعرض العراق لغارات جوية كثيرة قادتها طائرات التحالف التي تنفذ حظر الطيران في الشمال والجنوب، ولحق به الكثير من الخسائر العسكرية والمدنية، الأمر الذي دفع بالعراق إلى مطالبة الأمين العام للأمم المتحدة بإيقاف العدوان المستمر على منطقتي الحظر الجوي اللتين فرضتهما واشنطن ولندن بقرار منفرد دون الرجوع إلى مجلس الأمن والذي انعكس سلباً على الاقتصاد العراقي. (٥٨)

وبينما لم ينص القرار ٦٨٨ على ضرورة إنشاء مناطق الحظر الجوي في العراق، إلا أن القوات الرئيسية في التحالف الدولي أي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا أعلنت بمبادرة خاصة العمل على إنشاء مناطق يحظر على الطيران العراقي التحليق فيها، الأمر الذي أدى إلى انتهاك سيادة دولة عضو في منظمة الأمم المتحدة وفتح المجال أمام إمكانية تقسيم العراق إلى ثلاثة أقسام، ويعتبر ذلك تجاوزاً على الأهداف المعلن عنها. ويرى بعضهم أن ما حدث في العراق ما هو إلا تسييس لفكرة التدخل الإنساني، وخاصة عندما اقدمت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا ودون الرجوع إلى الأمم المتحدة، على منع الطائرات العراقية من التحليق جنوب خط العرض ٣٢ بحجة حماية الشيعة، بالإضافة إلى منطقة حظر الطيران شمال خط العرض ٣٦ بحجة حماية الاكراد، ويرى في ذلك تفتيتاً لدولة ذات سيادة وهي عضو في الأمم المتحدة، إلى ثلاث مناطق، أكراد شمال خط العرض ٣٦ وشيعة جنوب خط العرض ٣٢ وسنة في بغداد وضواحيها، كما يرى أن هذا

التدخل في الشؤون الداخلية للعراق تجاوز حدود القرار ٦٦٨ الذي ينص على احترام سيادة العراق واستقلاله السياسي، بالإضافة إلى أنه يشكل خرقاً للعديد من قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بتحريم استخدام القوة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، كما تشكل مناطق حظر الطيران خرقاً لمعاهدة شيكاغو لسنة ١٩٩٤ المنقحة في سنة ١٩٨٤ والمصادق عليها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والعراق، إذ تنص المادة الأولى منها التي تحمل عنوان السيادة على "أن تقر الدول المتعاقدة بأن لكل منها وحدها السيادة الكاملة على الفضاء الذي يعلو اقليمها، وأصبح هذا الحق الذي تتمتع به الدول حقاً عاماً يقره القانون الدولي العراقي.(٥٩)

وبالنسبة لاستخدام هذه المناطق في أي وقت تريده الدول الغربية ضد العراق، فقد رأينا ذلك العام ١٩٩٦ عندما قامت القوات الجوية الأمريكية والبريطانية بما أطلقت عليه عملية (ثعلب الصحراء) في ديسمبر ١٩٩٦ والتي استغرقت ٧٠ ساعة، وتم خلالها تدمير البنية الأساسية للعراق، وأدى ذلك إلى تراجع أهم حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية، بسبب ضغط الرأي العام الذي ندد بالسيطرة الأمريكية، فتراجعت بعض الدول عن مواقفها السابقة، فرفضت كل من المملكة العربية السعودية وتركيا السماح للولايات المتحدة الأمريكية بقصف العراق خلال الأزمة الكردية في العام ١٩٩٦، ولم يشمل الانسحاب من منطقتي الحظر الجوي تركيا والسعودية فحسب، بل وفرنسا كذلك، لتعلن في أيلول عام ١٩٩٦ عن عدم رغبتها في تجديد مشاركتها في مراقبة التزام العراق بالحظر المفروض على المنطقة الكردية.(٦٠)

وتعتبر فرنسا دولة رائدة في ما يتعلق بتكريس التدخل الإنساني، ويشهد لها بدورها البارز في رفع المسألة العراقية إلى مجلس الأمن لاستصدار القرار ٦٨٨، ولا يخلو مجهودها من الاعتبارات السياسية، شأنها في ذلك شأن الولايات المتحدة الأمريكية، لكن ذلك لم يمنع ارتباطه بالعامل الإنساني والأخلاقي والذي سعت فرنسا لإضافته على سياستها الخارجية، من خلال تحريكها للجمعية العامة من أجل إصدار جملة من التوصيات المتعلقة بالمساعدة الإنسانية .

وعليه فإن حجج دول التحالف باستخدام القوة العسكرية وفرض مناطق الحظر الجوي في العراق يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار سواء من الناحية الإنسانية أم على الأقل من الناحية العملية إمكانية تنفيذ القرار ٦٨٨، غير أنه من الناحية القانونية وطبقاً لميثاق الأمم المتحدة، فإن حق استخدام القوة في العلاقات الدولية يتطلب إصدار قرار صريح من مجلس الأمن يخول استخدام هذا الحق، وبما أن القرار ٦٨٨ لم يتضمن هذا التحويل، لذلك لم ترق هذه الحجج للسكرتير العام للأمم المتحدة خافيير بيريز دي كويلار **Perez de Cullar**، الذي أصر على أن أية عملية عسكرية تتطلب قراراً جديداً أو موافقة العراق.(٦١)

إذاً فقد حدت منطقة حظر الطيران في شمال العراق وجنوبه من سيادة العراق من خلال:

- حرمان القوات الجوية العراقية من ٤٠% من سيادتها الجوية على أراضيها.

• استمرار حصول أمريكا ومن معها بشكل دائم على معلومات مصورة عن دفاعات العراق ومدى تطوير قواته المسلحة.

• توفير العلم لتلك الدول عن أي تحركات عسكرية عراقية كبيرة.

بناء على ما تقدم لم تعترف الحكومة العراقية بشرعية هذه المنطقة كونها لا تستند على قانون صريح وواضح من مجلس الأمن، واعتبرتها محاولة لتقسيم العراق، وكانت الدفاعات الجوية العراقية تستهدف الطائرات الأمريكية والبريطانية المحلقة في المنطقة حتى أن الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين أصدر أمراً بمنح مكافأة لمن يسقط طائرة في منطقة حظر الطيران. (٦٢)

وكان لمنطقة حظر الطيران دور بارز في قيام الاكراد في الشمال بإجراء انتخابات محلية وتشكيل برلمان وإقامة حكومة إقليم كردستان العراق والذي كان أشبه بالكيان المستقل عن العراق. وقد امتدت منطقة الحظر شمالاً من خط العرض ٣٦ وجنوباً حتى خط العرض ٣٢. وفي أواخر عام ١٩٩٦ تم توسيع منطقة الحظر الجنوبية إلى خط ٣٣ لتغطي مساحة إجمالية تزيد على ١٥٠ ألف كم٢، أي ثلث مساحة العراق تقريبا، وتصدت الدول الغربية الثلاث لمحاولات العراق المتكررة رفضه إنشاء هذه المنطقة. إذ صارت أقرب إلى حدود العاصمة بغداد، وجاء هذا التوسيع بعد دخول وحدات من الجيش العراقي شمال خط العرض ٣٦ في محافظة اربيل التي كانت واقعة ضمن منطقة الحظر، أثناء النزاع الداخلي، ما بين القوى الكردية فقد انتهى العمل بمنطقة حظر الطيران في العراق مع بداية الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣.

ب- خروج المنطقة الكردية "إقليم كردستان" عن السلطة المركزية العراقية:

جاء خروج المنطقة الكردية عن السلطة المركزية العراقية وإقامة تجربة إقليم كردستان العراق حصلت بعد هزيمة العراق في حرب الخليج الثانية، وقيام انتفاضة آذار مارس ١٩٩١ واضطرار الحكومة العراقية لسحب موظفيها وجهازها الإداري من كردستان في تشرين الأول أكتوبر من العام نفسه، بسبب التدخل العسكري وإنشاء مناطق أمنة **Safe havens** ومنطقة حظر للطيران **no fly zone** من قبل التحالف الغربي.

واستناداً إلى الفقرة الثانية من القرار ٦٨٨ طالب مجلس الأمن العراق بأن يقوم بوقف هذا القمع، مع اعرابه عن الأمل، في السياق نفسه في إقامة حوار مفتوح لكفالة الحقوق السياسية والإنسانية لجميع المواطنين العراقيين، فقد هيأت أرضية مناسبة للتقارب ومن ثم اعتماد الحكومة العراقية لسياسة الحوار بإجراء مفاوضات مع أحزاب الجبهة الكردستانية في نيسان وتشرين الأول ١٩٩١، لكن تلك المفاوضات باءت بالفشل نتيجة عدم التفاهم حول المناطق الجغرافية والتعددية السياسية. (٦٣)

وكانت نهاية المطاف بعد ذلك خروج الإدارات الحكومية العراقية في تشرين الأول أكتوبر ١٩٩١ من مدن أربيل والسليمانية ودهوك لتشهد هذه المدن فراغاً حكومياً تم ملؤه بسلطة الأمر الواقع سلطة الجبهة الكردستانية لغاية أيار مايو ١٩٩٢ حيث جرت أول انتخابات تشريعية لبرلمان كردي في ١٩ أيار ١٩٩٢. تشكلت بعد ذلك أول حكومة كردية بين الحزبين الكردستانيين الرئيسيين الديمقراطي والاتحاد الوطني، وفي ٤ تشرين الأول ١٩٩٢ حدد البرلمان الكردي علاقة حكومة الاقليم بالحكومة المركزية على أساس النظام الفدرالي، وبعد ذلك بدأت مرحلة جديدة على الصعيد الداخلي في بناء مؤسسات قانونية تجلّت في جملة قوانين صدرت عن البرلمان خاصة بالوزارات وكيفية التعامل مع الوضع الجديد في إقليم كردستان بإطار قانوني، وكل ذلك جرى في أجواء من حماية دولية للکرد في منطقتهم التي عرفت بالملاد الأمن. ومهما يكن من أمر فإن المنطقة الكردية واجهت مشكلات عديدة تجلّت في ما يأتي:

- حصار دولي وعراقي كانت له آثاره الاقتصادية الصعبة بالرغم من المساعدات الإنسانية ولم يطرأ تغيير ملحوظ على الوضع الاقتصادي إلا بعد صدور قرار مجلس الأمن الدولي لسنة ١٩٨٦.
- عدم ارتياح إقليمي تركي - سوري - إيراني، من الأوضاع الجديدة في الإقليم تجلّى في اجتماعات طهران ودمشق وأنقره، بدءاً من عام ١٩٩٣ ثم وصل الأمر إلى حد التدخل بأشكال مباشرة وغير مباشرة في شؤون المناطق الخاضعة لسيطرة الأكراد من قبل تلك الدول. لأن الفراغ الذي خلفها انسحاب السلطة العراقية المركزية في منطقة الشمال الكردي، سهل تدخل القوى الإقليمية عسكرياً وسياسياً وأمنياً، مما أدى إلى تنحية سيادة العراق من قبل الدول الإقليمية (تركيا وإيران) على سبيل المثال، وما يدل على ذلك ومنذ أكتوبر ١٩٩١ هو تدخل تركيا في شمال العراق ولعدة مرات وتسببها في إحداث خسائر بشرية ومادية كثيرة، كما تدخلت إيران عسكرياً في المنطقة خاصة منذ بداية عام ١٩٩٣. (٦٤)
- عدم وضوح السياسة الأميركية تجاه الاقليم، وبالتالي ظل القلق من المستقبل سمة مرادفة للأوضاع الجديدة في الإقليم المتسمة بالضبابية السياسية ولم تتضح الصورة إلا بعد اتفاقية واشنطن عام ١٩٩٨ بين الفصيلين الكرديين المتنازعين الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود البارزاني والاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة خلال طالباني بوساطة أميركية، وبعد ذلك قام الأكراد برفع علمهم القومي الخاص بهم، مما سمح لهم بالحصول على كل مقومات السيادة الداخلية ولم ينقصهم سوى اعتراف الجماعة الدولية، كل ذلك كان على حساب السيادة العراقية، قانونياً، لذلك يمكننا القول، بأن أهمية القرار ٦٨٨ بالنسبة للشعب الكردي برزت أكثر خلال تنفيذ القرار وما آل إليه، بعد انشاء المنطقة الآمنة، من ظهور برلمان وحكومة إقليم كردستان العراق، وتعاملها مع المجتمع الدولي ومختلف المؤسسات الدولية، باعتبارها حكومة الأمر الواقع **Defacto**، بهذا خرجت

القضية الكردية في العراق عن نطاق الشؤون الداخلية للعراق وأصبحت شأنًا دوليًا. وقد حدد بعضهم العوامل التي أدت إلى انشاء حكومة الأمر الواقع أو كما يطلق عليها الدولة الكردية (**Defacto Kurdish State**) بما يأتي:

- قرار مجلس الأمن المرقم 688.
- وجود قوات التحالف الغربي في تركيا لحماية الملاذ الآمن.
- قبول تركيا ومساعدتها في إجراء الحماية الدولية.
- اجراء انتخابات تشريعية كردية في آذار مارس 1992 وتشكيل الحكومة.
- اعلان الفدرالية من قبل البرلمان الكردي.(65)

ت-الحظر التجاري:

استصدر مجلس الأمن في إطار حرب الخليج الثانية مجموعة من القرارات لم تشر إلى أية عقوبات اقتصادية ضد العراق إلى غاية ٦ آب ١٩٩٠ حين صدر القرار رقم ٦٦١ بموجبه تم فرض عقوبات اقتصادية على العراق، وكان الهدف محددًا وهو الانسحاب من الكويت، تلي ذلك القرار رقم ٦٦٥ والقرار ٦٧٠ ليتحول نظام العقوبات إلى حصار شامل. ورغم نهاية حرب الخليج الثانية استمر تطبيق القرارات الآنفة وكان الشعب العراقي هو الضحية، فالحرب لم تصب البنية التحتية العراقية فحسب بل مست الشعب العراقي في احتياجاته الضرورية من غذاء ودواء، وكان الحصار في إطار ما يعرف بالضربات الجراحية وما ينجم عنها من أضرار جانبية محدودة إلا أن الواقع العراقي أثبت غير ذلك.(٦٦) وتحت ضغط الوضع الإنساني الصعب في العراق تقدم الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة خافيير بيريز ديكويلار بمشروع قرار لمجلس الأمن يسمح للعراق ببيع ما قيمته ١٦٠٠ مليون دولار من النفط كل ستة أشهر على أن يقتطع منها ٣٠ بالمائة لصالح الأمم المتحدة في إطار صندوق التعويضات عن الحرب، ليصدر القرار رقم ٧٠٥ والذي أقر نسبة الأمم المتحدة، ويعدده القرار الذي يحمل رقم ٧٠٦ والذي حدد نسب التوزيع، إذ لم يتبق للعراق سوى ٣٩ بالمائة فقط، أي نحو ٦٢٤ مليون دولار، وقد رفض العراق ذلك القرار واعتبره تدخلاً سافراً في الشؤون العراقية، يضع العراق تحت وصاية الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، مع ذلك رحب العراق بكل البعثات الدولية التي جاءت لتتقصى أحوال البلد ومواطنيه، و كان أغلب الظن أن من شأن ذلك رفع العقوبات، إلا أن ما حدث هو تعزيزها من خلال ما عرف لاحقاً ببرنامج النفط مقابل الغذاء، والذي وقعت بموجبه مذكرة التفاهم حول بين العراق ومنظمة الأمم المتحدة في ١٤ نيسان ١٩٩٥ قضت بناء على القرار رقم ٩٨٦ لسنة ١٩٩٥ الصادر من مجلس الأمن ببيع العراق

لكمية من النفط مقابل الحصول على الغذاء والدواء والحاجات الأساسية للشعب العراقي. وفي هذا القرار خصص مبلغ ١٣٠ - ١٥٠ مليون دولار أمريكي للمحافظات الكردية الثلاث أربيل ودهوك السليمانية، لتوفير المواد الغذائية والاحتياجات الإنسانية لسكانها، وقد باشرت الوكالات الدولية المتخصصة بالإشراف على عملية توزيع المواد وإجراء الدراسات لتلبية الاحتياجات الإنسانية بالتشاور مع حكومة إقليم كردستان العراق، إن قيام الوكالات المتخصصة للأمم المتحدة بالنيابة عن الحكومة العراقية وبالتشاور مع حكومة الإقليم بواجب توزيع الغذاء والدواء في المناطق الكردية المحمية، يعتبر مؤشراً آخر على تدخل الأمم المتحدة في العراق، وتدخلها في الحلقات الإدارية الداخلية لدولة العراق، وهذا يمثل حلقة أخرى في عملية التدخل المستمرة في شؤون العراق والمنبثقة أصلاً عن حالة التدخل الإنساني لعام ١٩٩١، وهذا ما يعدُّ مساساً بالسيادة الوطنية لدولة العراق.

النتائج والتوصيات:

في ظل تطور القانون الدولي مع ظهور مؤسسة دولية كالأمم المتحدة تهتم بشكل رئيسي برعاية وحفظ أسسه، وتهدف إلى ضبط التفاعلات والصراعات بين الدول كي تمثل تحديداً للسلم والأمن الدوليين، لاقى مبدأ السيادة صدى إيجابياً تبلور في طيات ميثاق هذه المنظمة، فنصت الفقرة الأولى من المادة الثانية منه على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع الأعضاء.

إلا أن هذه المبادئ والقواعد لم تبق بمنأى عن التطورات التي تلاحق الدول، والتي تؤدي بطبيعة الحال إلى التأثير في القانون الدولي ذاته. ويكون ذلك إما من خلال تعديل قواعده، أو التوسع في مضمونها، أو بتضمينها مفاهيم و طرقاً جديدة في التفسير. ونتيجة للمتغيرات الدولية التي تمثلت بنهاية الحرب الباردة، وفقدان العالم لتوازنه الاستراتيجي، وسيطرة النزعة الأحادية في مجال القرار الدولي، وبروز مفهومي النظام العالمي الجديد والعولمة مع ما رافق ذلك من موجة تهديدات بدأت تواجه الاستقرار الدولي، فإن السيادة المعترف بها لجميع الدول دخلت دائرة التأثير بالمعطيات الدولية الجديدة. وقد اتخذ هذا التأثير شكل التقييد أو التقليل لهذا المبدأ، بعد أن تزامن مع التطورات الدولية بروز مفاهيم وقضايا وأولويات تساهم بتطبيق ما سمي بالنظام العالمي الجديد الذي تقوده الدول الكبرى. وقد سمي بالتدخل الإنساني الذي أصبح من ثوابت السياسة الدولية بعد أن كنا نتحدث عن مبدأ عدم التدخل كأحد ثوابت هذه السياسة.

نتائج الدراسة:

وقد توصلنا في هذه الدراسة إلى جملة من النتائج نعرضها كالآتي:

- إن التغيرات التي رافقت النظام العالمي الجديد قد أثرت في مفهوم السيادة الوطنية ونطاق تطبيقه في المجالين الداخلي والخارجي على حد سواء، فهناك علاقة ضرورية بين المتغيرات التي رافقت النظام الدولي وتقلص السيادة الوطنية، كما

يوجد علاقة طردية بين تأثر سيادة الدولة بمتغيرات النظام الدولي والتغير الحاصل في مضمون الوظائف التي تقوم بها الدولة، فقد إتخذت عملية تدويل السيادة منحى وسع أبعادها الخارجية، فالقاعدة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الدولي هي الاعتراف المتبادل بين دول ذات سيادة، إلا أنها اتسعت بصورة معينة أدت إلى وضع شروط لممارسة الدولة حقوق السيادة، وأهمها ألا يتسبب من جراء تلك الحقوق أي اضطراب في النظام العالمي.

- بالرغم من التغيرات التي طرأت على مفهوم السيادة والمتمثلة أساساً في ظهور مفهوم العولمة والنظام العالمي الجديد اللذين أديا إلى اختلال الوظائف التي يقوم عليها مبدأ السيادة فإن الدولة وإن تغيرت وظائفها، إلا أنها لا تزال وستظل تحتفظ بدورها الرئيسي والأساسي في تأديته من قبل أي مؤسسة أخرى، لا سيما وأنه ليس لأي جهة أن تقوم بتمثيل شعبها بالطريقة التي تقوم بها الدولة.
- إن مجلس الأمن شرع تدخلات عدة متخبطاً بذلك مبدأ السيادة، إلا أن التمعن الدقيق في النتائج يشير إلى أن المجلس لم يجرؤ على القيام بذلك إلا عندما كانت الدولة العراقية ضعيفة وانتهاكات حقوق الانسان فيها عالية جداً، وأنه على العكس فقد امتنع عن القيام بذلك حينما كانت الدولة قوية.
- أظهر المجتمع الدولي التوجه الدائم للتدخل من أجل مصالحه، فهو كان يتدخل حين تستفيد القوى العظمى، ويحجم عن التدخل في حالات أخرى، أو عندما كانت الحكومة المعتدية مدعومة من القوى المهيمنة على المنظمات الدولية. وفي بعض الحالات فإن تدخله زاد من المآسي التي تعاني منها الشعوب المقهورة. ولقد غدى هذا الشعور بالتشاؤم ما حصل خلال عقد التسعينات من القرن الماضي من توسع لمفاهيم التدخل وتخط للسيادة، وتشريع من قبل مجلس الأمن لحالات تدخل عسكري بذرائع إنسانية، إضافة إلى التعسف في استعمال مفاهيم الاستباقي والوقائي.
- شهدت مرحلة ما بعد الحرب الباردة أكثر من خمسين حرباً داخلية رافقتها انتهاكات فظيعة لحقوق الانسان بلغت درجة الإبادة الجماعية والتطهير العرقي. وبالرغم من ذلك لم تتدخل الأمم المتحدة إلا في حالات معدودة منها. والسبب يعود في ذلك لمهيمنة الدول الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

التوصيات:

- من أجل حماية السيادة الوطنية للدولة، لا بد من القيام بعملية إصلاح حقيقي لهذه الدولة تشمل مظاهر أزمتهما كلها، وتنتقل بها من دولة تسلطية إلى دولة ديمقراطية، بحيث تكون قادرة على الدفاع عن حقوقها ومصالحها، ويتم ذلك من خلال تنظيم السلطات وفق أسس قانونية، ووضع قيود دستورية على ممارسة السلطة بما يكفل احترام حقوق الأفراد وحرياتهم، ويجعل منها دولة تقوم على مبدأ الشرعية والتعددية السياسية، دولة تحترم مبدأ الفصل بين السلطات، وهو ما يعني إرساء أسس دولة المؤسسات وسيادة القانون، عندها تصبح السيادة الوطنية أكثر منعة في

مواجهة التحديات الخارجية، وتصبح مسألة احترام حقوق الانسان دعماً للسيادة بدلاً من أن تكون منفذاً للتدخل وانتهاك هذه السيادة.

- ولتتمتع الأمم المتحدة بالوضع والصلاحيات اللازمة لتطوير معايير ثابتة متماسكة لمبادئ حقوق الانسان وحياته وتخفيف المعاناة الإنسانية، فلا بد من توفر أفضل الأطر القانونية للحل السلمي للخلافات والنزاعات المتصلة بالحقوق والحريات، و بأسس مبنية على المشاركة السياسية والديمقراطية للشعوب المنقوصة التمثيل بدلاً من تشجيع المطالبات بالانفصال الإقليمي أو الإصرار على الوضع الاستثنائي القومي.
- لا بد من بذل الجهد في التوعية والتثقيف، ولاسيما أن تأكيد الأهمية العالمية لحقوق الإنسان في مناسبات كثيرة يمهّد إلى ممارسة التدخل الإنساني على وفق آليات وقواعد وأسس الحماية الدولية لحقوق الانسان.
- ومن أجل جعل أهداف التدخل الإنساني نبيلة وسامية، لا بد من إعطاء الجمعية العامة للأمم المتحدة دوراً أكبر في ممارسة التدخل الإنساني لأجل تفادي الاعتبارات السياسية، ولتحديد مشروعية عملية التدخل الإنساني وفق شروطه، ومنها الموافقة على التدخل واستنفاد الوسائل السلمية، أما التدخل الفردي للدول فهو تدخل غير مشروع لكونه يعزز انحراف مسار التدخل الإنساني القانوني، وإحلال التدخل الجماعي محله.
- ضرورة إجراء تعديل علة نصوص ميثاق الأمم المتحدة لتتلاءم مع المستجدات والتطورات الدولية، ولا بد من وجود نصوص جديدة تعالج هذه المسألة وبصورة دقيقة لا بعبارات فضفاضة ذات قراءات عدة توجه الفكر القانوني نحو تفسيرات ونتائج مختلفة متعارضة .

الهوامش

- (١)- ابراهيم الدراجي، جريمة العدوان ومدى المسؤولية القانونية الدولية عنها، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٢٩٨.
- (٢)- محمد المجذوب، القانون الدولي العام، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٢٤٠.
- (٣)- أحمد الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٥٠.
- (٤)- صلاح عبد البديع شلي، التدخل الدولي الإنساني ومأساة البوسنة والمهرسك، القاهرة، ط ١، ١٩٩٦، ص ١٢.
- (٥)- أحمد عبدالله ابو العلا، تطور دور مجلس الأمن في حفظ الأمن والسلم الدوليين، دار الكتب القانونية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٣١.
- (٦)- شاهين علي شاهين، التدخل الدولي من أجل الإنسانية وإشكاليته، مجلة الحقوق الكويتية، العدد ٤، ٢٠٠٤، ص ٢٦١-٢٦٢.

- (٧)- مُجَّد المجذوب، مصدر سابق، ص ٢٤٦.
- (٨)- المادة (٤/٢) من ميثاق الأمم المتحدة.
- (٩)- نوران سيد عبد الفتاح عبد الجيد. عام ٢٠٢٢. (التدخل الدولي الإنساني في القانون الدولي: دراسة حالة التدخل في العراق). (مقالة علمية).
- (١٠)- أحمد عبد الجليل خليل. عام ٢٠١٤. (التدخل العسكري الإنساني بين الشرعية القانونية والمشروعية السياسية كوسوفو نموذجاً). الأردن: جامعة الشرق الأوسط. (اطروحة ماجستير).
- (١١)- مُجَّد المجذوب، القانون الدولي العام، مصدر سابق، ص ٣٠٣.
- (١٢)- أحمد الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٤٩.
- (١٣)- مُجَّد المجذوب، مصدر سابق، ص ٢٤٥.
- (١٤)- شاهين علي شاهين، مصدر سابق، ص ٢٩٨-٢٩٩.
- (١٥)- كتاب العرب وتحديات النظام العالمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٤٠.
- (١٦)- سمير التنير، كسينجر، لا حروب بعد اليوم، في صحيفة السفير، ٢٠٠٩/٨/٢.
- (١٧)- مُجَّد مقداي، العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.
- (١٨)- عبد الفتاح عبد الرزاق محمود، مبدأ عدم التدخل والتدخل في القانون الدولي العام، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، أربيل-العراق، ٢٠٠٢، ص ٣٧٨.
- (١٩)- أمانج علي عثمان، مبدأ التدخل الإنساني، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٤، ص ٨٧.
- (20)- Gerard Chaliand, The Kurdish Tragedy, London, Newjersey: Zed Book LTD, 1994, Amiddle East watch Report. Genocid in Iraq. The Anfel Campaign Against The kurds. USA: Human Righis Watch. 1993.
- (٢١)- خميس هاشم عبد الله الجنابي، الدولة العراقية.. شؤونها ومراحل تطورها، رسالة ماجستير، الأكاديمية العربية المفتوحة، الدائمارك، ٢٠١١، ص ٦٤.
- (٢٢)- رجب بودبوس، حرب الخليج... الدوافع الحقيقية، في قضايا سياسية، ط ٤، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ٢٠٠٠، ص ٣٢٧.
- (٢٣)- خميس هاشم عبد الله الجنابي، مصدر سابق، ص ٦٤.
- (٢٤)- بوب وودرو، القادة: أسرار ما قبل وبعد أزمة الخليج، ترجمة عمار حولاق، ومحمود العابد، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١، ص ٢٥٦.

- (٢٥)- سعدي كريم سلمان ومُجدّ السوداني، إحتلال العراق وتوجهات السياسة الأمريكية في ظل النظام العالمي الجديد، في دراسات، العدد ١٤، ليبيا، المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ٢٠٠٤، ص ٣٥
- (٢٦)- حافظ نرجاس، الصراع الدولي على النفط العربي، بيان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٣١١.
- (٢٧)- ومن هذه القرارات: ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧٤، ٦٧٧، ٦٧٨، راجع: عبد الحسين شعبان، بانوراما حرب الخليج: وثيقة وخبر، دراسة ونصوص قرارات مجلس الأمن الدولي ١٩٩٠ - ١٩٩١، دار البراق، لندن، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.
- (٢٨)- حسن نافعة، ردود الفعل الدولية إزاء الغزو في العراق للكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٥، ص ٤٤٨.
- (٢٩)- منظمة مراقبة الشرق الأوسط، عذاب بلا نهاية: انتفاضة آذار ١٩٩١ في العراق وما أعقبها من كوارث، من مطبوعات المركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق، مؤسسة المنار، لندن، ١٩٩٢، ص ١٨٠ - ١٨٢.
- (٣٠)- المصدر السابق، ص ٢٠٥.
- (٣١)- من أبرز هذه القرارات: ٦٦١ الصادر في ٨ آب أغسطس ١٩٩٠ وينص على فرض مقاطعة شاملة على العراق، ٦٦٥ الصادر في ٢٥ آب أغسطس ١٩٩٠ ويصرح لقوات التحالف الدولي باستخدام القوة لتنفيذ هذا الحظر. ٦٧٠ الصادر في ٢٥ أيلول سبتمبر ١٩٩٠ الخاص بفرض حصار جوي على العراق، ٦٧٨ الذي يتضمن شروط وقف إطلاق النار ويربط بين تنفيذ العراق للشروط الواردة به وقيام مجلس الأمن برفع العقوبات المفروضة عليه. راجع في ذلك: - حسن نافعة، الأمم المتحدة في نصف قرن، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٢٠٢، تشرين الأول أكتوبر ١٩٩٥، ص ٣٠٧ - ٣١١.
- (٣٢)- جلال معوض، الأكراد والتركمان في العراق، سلسلة بحوث سياسية، مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد، جامعة القاهرة، العدد ٩٠، كانون الثاني لسنة ١٩٩٤، ص ٣٠.
- (٣٣)- لويس لوفور، موجز الحقوق الدولية العامة، ترجمة سامي العتالين، مطبعة بابيل اخوان، دمشق، ١٩٨٢، ص ٢٠١.
- (٣٤)- ناهد طلاس العجة، الأمم المتحدة بين الأزمة والتجديد، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٦، ص ٢٣٩.

(٣٥) - مصطفى إبراهيم الزلمي ود. ضاري خليل محمود وباسيل يوسف، حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، ندوة قسم الدراسات القانونية، بيت الحكمة، العدد ٢٣، شركة مطبعة الأديب البغدادية المحدودة، بغداد، ١٩٩٨، ص ١٠٥

(36)-Gerard Chaliand Op.cit. P. 20

(٣٧) - محمد احسان، كردستان ودوامه الحرب، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، لندن، ٢٠٠٠، ص ١٢٤.
(٣٨) - ساندوز ايف، الحق في التدخل أو واجب التدخل والحق في المساعدة كما نتكلم، في المجلة الدولية للصليب الأحمر، العدد ٢٥ جنيف، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ١٩٩٢، ص ١٩١.

(٣٩) - محمد ميكو، حق التدخل الإنتقالي وحق التدخل القسري، أعمال ندوة: هل يعطى حق التدخل شرعية جديدة للاستعمار، تقديم عبد الهادي بو طالب، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٢، ص ٥١.

(٤٠) - القرار ٤٣/١٣١ الصادر في ٨ كانون الأول ١٩٨٨ من الجمعية العامة، وبعد تأكيدها على مبدأ سيادة الدول دعت جميع الدول التي يحتاج سكانها إلى المساعدة أن تسهل تنفيذها بواسطة المنظمات الإنسانية، خاصة ما تعلق بتقديم الغذاء والأدوية والرعاية الطبية اللازم وصولها إلى الضحايا، كما أقر نص القرار بتسهيل مهام المنظمات غير الحكومية استناداً إلى اتفاقيات جنيف والبروتوكول الملحقين بها في حالة النزاعات المسلحة. ورغم تصميم القرار على مبدأ السيادة إلا أنه التزم بالمقابل بمبدأ حرية الضحايا، ويجب أن يتم إيصال المساعدات الإنسانية بموافقة الدولة المعنية وبناء على طلبها.

(٤١) - القرار ٤٥/١٠٠ الصادر في ١٢ كانون الأول ١٩٩٠ وقد تم إقرارها من قبل فرنسا، وجاءت مكملة لللائحة السابقة، وتعلقت بفكرة الممرات الإنسانية في الحالات الإستعجالية، فكانت بمثابة توسيع لمبدأ حرية الوصول للضحايا واحترام لسيادة الدولة كون هذه الممرات محدودة، ولا تتم إقامتها إلا بموافقة الدولة المعنية. فالأمر تعلق بتوسيع مجال =المساعدة إلى أوضاع جديدة هي الكوارث الطبيعية والحالات الاستعجالية ذات الدرجة نفسها بينما كان الأمر يتعلق في السابق بالنزاعات المسلحة فقط، ومن الأمثلة الميدانية على القوات الإنسانية الاتفاق الذي تم التوصل إليه في تموز ١٩٩١ بين مدير البرنامج الغذائي العالمي والحكومة السودانية لتنظيم ممرات جوية تسمح بارسال مساعدات إنسانية إلى جنوب السودان، راجع في ذلك: غسان الجندي، حق التدخل الإنساني، الجامعة الأردنية، ط ١، عمان، ٢٠٠٢، ص ٢٣ - ٢٩.

(٤٢) - أحمد الرشيد، بعض الاشكاليات النظرية لمفهوم التدخل الإنساني، في كتاب: التدخل الإنساني في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، القاهرة، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ١٩٩٧، ص ١٩.

- (٤٣)-مصطفى كامل السيد، حقوق الإنسان في المجتمع الدولي، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، العدد ٩٦، ايلول ١٩٩٨، ص ٧٦.
- (٤٤)-عبد الحسين شعبان، السيادة ومبدأ التدخل الإنساني، مصدر سابق، ص ٢١.
- (٤٥)-مُحَمَّد احسان، مصدر سابق، ص ١١٣.
- (٤٦)-عاطف علي الصالحى، مشروعية التدخل الدولي وفقاً لقواعد القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ١٥٠.
- (٤٧)-أنظر النص الكامل لاتفاقية مذكرة التفاهم ما بين العراق والأمم المتحدة في الملحق رقم ٣.
- (٤٨)-شاهين علي شاهين، التدخل الدولي من أجل الإنسانية وإشكالاته، مجلة الحقوق، العدد ٤، جامعة الكويت، ديسمبر / أيلول ٢٠٠٤، ص ٢٨٠.
- (٤٩)-أثناء إرسال دول التحالف قواتها إلى شمال العراق، كان العراق يتفاوض مع المفوضية العليا لشؤون اللاجئين لتفعيل القرار ٦٨٨ وأدت هذه المفاوضات إلى التوقيع على مذكرة تفاهم بين العراق والمفوضية العليا لشؤون اللاجئين والمؤرخة في تاريخ ١٨ نيسان ١٩٩١ إذ نصت المادة ٤ من هذه المذكرة على إنشاء مكاتب للأمم المتحدة ومراكز إنسانية في العراق وبموافقة السلطات العراقية، وتم تعزيز هذه المذكرة بمذكرة أخرى أبرمت في ٢٥ أيار ١٩٩١ بين العراق ومنظمة الأمم المتحدة التي تم بمقتضاها إرسال ٥٠٠ فرد من قوات الأمن التابعين لمنظمة الأمم المتحدة في شمال العراق، والذين يسمون "بالحرس الأزرق" لتقديم المساعدة الإنسانية للأكراد، وكتابة التقارير إلى الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة عن الحالة الإنسانية في شمال العراق، وحماية موظفي الأمم المتحدة ومنشأتها في شمال العراق، راجع: غسان الجندي، مصدر سابق، ص ٧١.
- (٥٠)-خلفان كريم، دور مجلس الأمن في مجال القانون الدولي الإنساني، أطروحة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة مولود مصري، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٢٤.
- (٥١)-غسان الجندي، حق التدخل الإنساني، مصدر سابق، ص ٧٩.
- (٥٢)-عبد المنعم كاظم، الضربات العسكرية الأمريكية البريطانية ضد العراق، السياسة الدولية، العدد ١٣٨، تشرين الأول ١٩٩٩، ص ٢٦٧.
- (53)-G. Galiand, op.cit. p. 120

(٥٤)-فاضل زهاوي، برياري زمارة ٦٨٨ في ثة نخدمة ني ناسايش وسة رة جامعة دولية كانى، بحث منشور باللغة الكردية، مجلة سياسة في دخولى، مجلة فصلية تصدر باللغة الكردية، مركز البحوث الاستراتيجية في كردستان العراق، تشرين الأول ١٩٩٣، ص ٥٠.

(55)-Jeans Marie Henckaerts, Mass Expulsion in Modren International Law and Practice, The Hague, Boston, London, Martinus Nijhoff publishers, 1995, p. 116.

(٥٦)-غسان الجندي، مصدر سابق، ص ٧٩.

(٥٧)-كريستوفر جرين وود، هل هناك حق التدخل لأهداف إنسانية، السياسة الدولية، العدد ١١٥، القاهرة، مركز الأهرام، ١٩٩٤، ص ٢٣٦.

(٥٨)-المعرفة، تغطيات خاصة: الحظر الجوي على شمال العراق وجنوبه، موقع الكتروني:

www.aljazeera.net/coverage/pages

(٥٩)-عبد المجيد العبدلي، قانون العلاقات الدولية، مطبعة فن وألوان، تونس، ط ١، ١٩٩٤، ص ٤٧٥ - ٤٨٧.

(٦٠)-عبد المنعم سعيد كاظم، مصدر سابق، ص ٢٦٦.

(61)-Tony Brems Knudsen, op.cit, p. 154.

(٦٢)-ويكيبيديا الموسوعة الحرة، موقع الكتروني: <http://ar.wikipedia.org/wiki>

(٦٣)-وافقت جميع الأحزاب الكردستانية على ميثاق عمل مشترك ومشروع لجهة موحدة، وتقرر أن يتم التوقيع عليها رسمياً من قبل قيادات الأحزاب، وفي يوم ١٢/٦/١٩٨٨، أي عشية ايقاف الحرب بين العراق وايران، ثم التوقيع في مقر الحزب الشيوعي العراقي في منطقة خواكورك الحلية من محافظة دهوك على الميثاق من قبل "الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني ومنظمة اقليم كردستان للحزب الشيوعي العراقي وحزب الشعب الديمقراطي الكردستاني والحزب الاشتراكي الكردستاني والحزب الاشتراكي الكردي - باموك وتم بعد ذلك دراسة طلب تقدمت به كل من الحركة الديمقراطية الآشورية وحزب كانخي كردستان وحصلت الموافقة على عضويتيهما، وبذلك أصبحت الجبهة الكردستانية.

(٦٤)-صلاح سالم زرنوقة، المشكلة الكردية وانعكاساتها على دول المنطقة، المصدر: السياسة الدولية، موقع الأهرام

الرقمي الإلكتروني: [www..digital.ahramn.org.eg](http://www.digital.ahramn.org.eg)

(65)-Michac. M. Gunter. A defector Kordish state in North Iraq. Third World Quarterly 14, No 2, 1993, P. 295.

(٦٦)-مُجَّد حسين هيكل، مصدر سابق، ص ٥٨٠.

معيقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر المعلمين وسبل تطويرها في محافظة الداخلية بسلطنة عمان

د/ أفلاح بن أحمد بن سليمان الكندي

أ/ روية بنت علي بن خليفة الكلبانية

وزارة التربية والتعليم/ جامعة انزوى / سلطنة عمان

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على معيقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر المعلمين، وسبل تطويرها في محافظة الداخلية، وعلاقته بمتغيرات الجنس والخبرة، وتكونت عينة الدراسة من (١٥٠) معلماً ومعلمة، وطبق عليهم استبانة مكونة من (٣٠) فقرة، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي، كما تم التحقق من صدق الأداة وثباتها. وأظهرت النتائج تصدر المعوقات الفنية والمتعلقة بالبنية التحتية لخدمة الانترنت، تليها المعوقات المرتبطة بالمعلمين الأوائل، ثم المعوقات المرتبطة بالجوانب الإدارية، كما وأظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) حول معيقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر معلمي المدارس الحكومية بمحافظة الداخلية بسلطنة عمان تعزى لمتغير الوظيفة - في كل المحاور - وللنوع الاجتماعي في محوري الصعوبات الفنية والصعوبات المتعلقة بالمعلمين الأوائل، بينما أظهرت فروق ذات دلالة إحصائية في محور المعوقات الإدارية وفق متغير النوع الاجتماعي لصالح الذكور، وكذلك أظهرت عدم وجود فروق دالة وفق متغير المسمى الوظيفي، وفي ما يخص متغير الخبرة كانت هناك فروق دالة لصالح ذوي الخبرة الأعلى، وقد أوصت الدراسة بجملة من التوصيات أهمها تطوير البنية التحتية الخاصة بالشبكات، وزيادة التوعية بأهمية النظم التقنية في تسهيل الأعمال الفنية، وتطوير اللوائح والتشريعات بما يتناسب مع طبيعة الإشراف الإلكتروني .

الكلمات المفتاحية : (الإشراف- الإشراف الإلكتروني - المعلمين).

Challenges of Electronic Supervision from the Teachers' Point of View and Ways to Develop them in Al Dakhiliyah Governorate- Sultanat of Oman

Dr.Aflah Ahmed AlKindi

Rawiyah Ali AlKalbani

Nizwa University – Ministry of Education in Oman

Abstract

The study aimed to identify the challenges of electronic supervision from the teachers' point of view, and ways to develop them in Al Dakhiliyah Governorate, and its relationship to gender and experience variables. The study sample consisted of (150) male

and female teachers, and a questionnaire consisting of (30) items was applied to them. The researchers used the descriptive approach, and the validity and reliability of the study tool was verified. The main results showed that the technical challenges related to the infrastructure of the internet service were the main challenges, followed by the challenges related to the senior teachers, then the challenges related to the administrative aspects. Moreover, the study showed that there were statistically significant differences at the significance level (0.05) about the challenges of electronic supervision due to the job variable - in all domains - and to gender in the domain of technical difficulties and difficulties related to the senior teachers. On the other hand, it showed statistically significant differences in the domain of administrative challenges according to the gender variable in favor of males. In regard to the experience variable, there were significant differences in favor of those with higher experience. The study stated a number of recommendations, the most important of which are the development of network infrastructure, raising awareness of the importance of technical systems in facilitating technical work, and developing regulations and legislation in line with the nature of electronic supervision.

Keywords: supervision - electronic supervision - teachers

المقدمة:

يشهد العالم اليوم متغيرات شتى في مجالات مختلفة، بسبب الانفجار المعرفي، حيث يتضاعف حجم المعارف والعلوم المختلفة، ومما يساعد على انتشارها بصورة أكبر تطور وسائل التواصل الإلكتروني، حيث ظهرت الشبكات والتقنيات الحديثة، التي جعلت العالم متقارب، وكأننا نعيش في قرية صغيرة، فميدان التربية والتعليم، أصبح يواكب هذه التغيرات، ويسعى إلى الأخذ بالمستجدات في التقانة ليواكب العصر الحديث، وذلك من أجل الاستفادة منها في العملية التعليمية، حيث تسهم في توفير الوقت والجهد، كما أشارت دراسة Baltimore, Michael (٢٠٠٣) إلى أهمية توظيف التكنولوجيا في العملية التعليمية، ولأن الإشراف التربوي يعتبر جزءاً من العملية التربوية، فيحتاج إلى الاستفادة من التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل؛ ليتمكن من القيام بمهامه والاستفادة من وقته (وزارة التربية والتعليم، ٢٠٠٨).

وفي ظل تمكين المعلمين الأوائل للممارسة للإشراف داخل المدرسة، حيث أصبح المعلم الأول مشرف مقيم، يتطلب منه القيام بمهام فنية، وأخرى إدارية، وتوفير الوقت والجهد للمعلم، يتطلب منه استخدام التقانة والتواصل الإلكتروني في العملية التعليمية، وبما أننا في الإشراف التربوي نحتاج إلى استخدام التقانة، فقد ظهرت مسميات عديدة للإشراف المعتد

على التقانة ومنها (الإشراف الإلكتروني - الإشراف عن بعد- المتابعة الإشرافية الإلكترونية) بحيث يستطيع المشرف استخدام التقانة ، وحتى يستطيع مواكبة العصر الحديث ، والتغيير من الإشراف التقليدي إلى الإشراف الإلكتروني، لتحقيق مهامه الإشرافية، وتمكين المعلم الأول من ممارسة الإشراف الإلكتروني (عبد المعطي، ٢٠١٣). وترجع مسؤولية المتابعة الفنية لأداء المعلم في المدرسة على عاتق المعلم الأول، فالمعلم الأول له أدوار كبيرة في العملية التعليمية، إضافة على دوره كمعلم فهو يشرف على المعلمين الآخرين من ذات التخصص، ويهتم بإنمائهم المهني، وهذا يتطلب منه الاطلاع على المستجدات، حتى يستطيع القيام بمهامه، كما يتطلب منه توظيف الإشراف الإلكتروني، باستخدام التكنولوجيا، لتوفير الوقت والجهد ، ليواكب متطلبات العصر، وتشير إلهام نواوي (٢٠٠١) لأهمية استخدام الإنترنت في تفعيل الإشراف الإلكتروني، وتزويد المعلمة بالأساليب الحديثة في الاتصال والتواصل، وذلك لتقليل الحاجة إلى عقد اجتماعات مباشرة قد تؤدي أحيانا إلى تعطيل العمل، وإعطاء المعلمات فرصة لتطوير أنفسهن من خلال البحث والاطلاع في الشبكة العنكبوتية، ويذكر دواني (٢٠٠٣) على المشرفين أن يتجاوزوا الأدوار التقليدية في الإشراف، بحيث يمارسوا الإشراف الحديث ليواكبوا تحديات القرن الحادي والعشرين، ويتخطوا حواجز الزمان والمكان في ممارسة الإشراف والتوجيه، لتسهيل عليهم عملية المتابعة، وتقديم الخدمات من أجل تطوير العملية التعليمية (Olive and Pawlas, ٢٠٠٤)

ومما سبق تتضح أهمية توظيف الإشراف الإلكتروني كما ذكرتها الدراسات السابقة، فقد اطلع الباحثان على العديد من الدراسات السابقة، التي ركزت على أهمية الإشراف الإلكتروني، وعلى أهم النتائج والتوصيات، وفيما يلي عرض لبعض الدراسات.

فقد هدفت دراسة الكندي (٢٠١٧) إلى التعرف على نتائج الزيارات الإلكترونية، على تقييم أداء المعلم الأول، والتعرف على التحديات وكيفية التغلب عليها من قبل المشرفين التربويين، وتكونت عينة الدراسة من (١٤٧) مشرفا تربويا ومعلما أول، بواقع (٧٩) مشرف تربوي، و(٤٣) مشرفة تربوية، و (١٢) معلم أول و(١٣) معلمة أولى، واستخدم الباحث المنهج الوصفي في المتابعة للإشراف الإلكتروني، وتم أداء مقياس الصعوبات على عينه المشرفين التربويين، وتم تحكيم الأداء من قبل (١٣) محكما، وقد أوصت الدراسة إلى إدخال نوافذ في البوابة التعليمية لتسهيل على المشرفين المتابعة الإلكترونية لإداء المعلم الأول.

كما هدفت دراسة المعدي (٢٠١١) إلى التعرف على درجة معرفة المشرفين التربويين بمكة المكرمة بأهمية ومعوقات استخدام الإشراف الإلكتروني في أداء العمل الاشرافي، وكانت عينة الدراسة مكونة من (١٨٣) مشرفا تربويا، وأظهرت

النتائج أن معرفة المشرفين للإشراف الإلكتروني كانت بدرجة كبيرة، بينما ظهرت نتائج المعوقات الإدارية والتقنية والفنية والبشرية مرتفعة، كما أظهر النتائج وجود فروق دالة احصائياً وفقاً لمتغير المؤهل العلمي لصالح ذوي المؤهل الأعلى. كما تعرفت دراسة الغامدي (٢٠١٠) على أهم معوقات الإشراف الإلكتروني في المملكة العربية السعودية، من خلال استخدام نظم التعليم الإلكتروني في تحقيق بعض المهام الإشرافية، وكانت عينة الدراسة مكونة من (٨٨) مشرفاً و (٥٨) معلماً، وأظهرت نتائج الدراسة أهمية الإشراف الإلكتروني - باستخدام نظم التعليم الإلكتروني - في إنجاز بعض المهام كانت بدرجة موافق بشدة (٤.٣٠)، وأن معوقات الإشراف الإلكتروني بدرجة موافق بشدة (٣.٥٧)، كما أوضحت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى للمؤهل العلمي، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية اتجاه الإشراف الإلكتروني تعزى لسنوات الخبرة والعمل الإشرافي.

أما دراسة القرني (٢٠١٠) فقد تعرفت على واقع استخدام المشرفين التربويين لمصادر الإنترنت في التنمية المهنية للمعلمين بمدينة الطائف، وتكون مجتمع الدراسة من (٥٥) مشرفاً تربوياً، وأظهرت نتائج الدراسة أن المشرفين التربويين يستخدمون الإنترنت بدرجة متوسطة، كما يوجد لديهم معوقات بدرجة متوسطة.

وأجرى المغدوي (٢٠٠٨) دراسة هدفت إلى فاعلية الإشراف الإلكتروني في تطوير أداء معلمي الرياضيات، وتكونت عينة الدراسة من (٦٤) معلماً، وتم تقسيمهم عشوائياً إلى مجموعتين، إحداها تجريبية تستخدم الإشراف الإلكتروني والأخرى تستخدم الإشراف التقليدي، وأظهرت الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha=0.05)$ بين أداء متوسط المجموعتين في الاختبار المعرفي البعدي عند كل مهارة التخطيط والتنفيذ لصالح المجموعة التجريبية.

وقام Carboni and Riggsbee (٢٠٠٧) بدراسة هدفت إلى إنشاء جمعية تعلم عبر الإنترنت بالتعاون مع المعلمين، وقد اشترك في هذه الدراسة (٩) معلمات المرحلة الابتدائية خلال مدة تدريبية استمرت أربعة أشهر، وأوجدت الدراسة الخصائص الناجحة لجمعية التعلم عبر الإنترنت التي كان لها دور في تفاعل بين المعلم وأولياء الأمور والمشاركة بالرأي والمقترحات خلال فترة الدراسة.

وأجرى (Horn, et al, ٢٠٠١) دراسة هدفت إلى معرفة تأثير تكنولوجيا الحاسوب على العمل الإشرافي في المناطق النائية في بريطانيا، وأظهرت نتائج الدراسة دور التكنولوجيا في تسهيل مهمة الإشراف التربوي، من خلال توصيل المعلومات والمستجدات للمعلمين في المناطق النائية، وكذلك سهولة تدريبهم من خلال الإنترنت.

وأجرى (Kessell, ٢٠٠٠) دراسة هدفت إلى إتاحة الفرصة أمام المعلمين للاشتراك في برامج تدريبية تلبي احتياجاتهم بالتدريب على التقنيات التعلم في أوقات مختلفة عبر الإنترنت، وأظهرت النتائج أن استخدام الإنترنت في التدريب وفر الوقت المناسب للمتدربين، دون التقيد بمنهج محدد وأوقات محددة.

التعليق على الدراسات السابقة:

يلاحظ من خلال استعراض الدراسات السابقة أن بعض هذه الدراسات قد أشارت نتائجها إلى أهمية استخدام الإشراف الإلكتروني في العملية التعليمية، لتوفير الوقت والجهد، ومواكبة العصر الحديث، وتميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في كونها الأولى- في حدود علم الباحثان- تهتم برأي المعلم حول الإشراف الإلكتروني وقد استفاد الباحثان من الدراسات السابقة في الإطار النظري، وبناء الأداة، ومناقشة النتائج. مشكلة الدراسة وأسئلتها:

من خلال عمل الباحثين في مجال الإشراف بوزارة التربية والتعليم -سابقا- لاحظا كثرة الأعباء على عاتق المعلم الأول، التي تتطلب منه ممارسة مهنته كمعلم و وظيفته كمشرف مقيم، كالإشراف على المعلمين، والاهتمام بتدريبهم، ومتابعة أداء المعلم داخل الصف، فيتطلب ذلك جهد ووقت من المعلم، وخاصة أننا مازلنا نمارس الإشراف التقليدي، واستخدام السجلات، والملفات الورقية، التي تعيق من مهامه الإشرافية، وتؤثر على جودة الأداء داخل المدرسة، فيتطلب من ذلك على المعلم استخدام التقانة، ليواكب تطورات العصر.

ومن منطلق معرفة الباحثين بالتحديات التي تواجه المشرف التربوي بواقع خبرتهما في هذا المجال، خلال السنوات الأخيرة، ومن خلال دراسة الكندي(٢٠١٧) التي كشفت عن صعوبات المتابعة الإشرافية الإلكترونية التي تواجه المشرف التربوي، وعن الأعباء التي تواجه المعلم الأول، جاءت هذه الدراسة لتتعرف على معوقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر المعلمين والإشراف الإلكتروني الذي يلتمسه المعلم عادة من خلال متابعة المعلم الأول له حين يوظف التقانة لأغراض العمل الإشرافي، كما جاءت هذه الدراسة لتتعرف على مقترحات المعلمين لتطوير الإشراف الإلكتروني من خلال الإجابة عن الأسئلة البحثية الآتية:

١- ما معوقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر المعلمين بمحافظة الداخلية؟

٢- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات أفراد عينة الدراسة حول معوقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر المعلمين بمحافظة الداخلية بسلطنة عمان تعزى للمتغيرات النوع والوظيفة والخبرة؟

٣- ماهي مقترحات التغلب على المعوقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر المعلمين؟

أهداف الدراسة

سعت الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- التعرف على معوقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر المعلمين.

٢- معرفة مدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات أفراد عينة الدراسة حول معيقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر المعلمين بمحافظة الداخلية بسلطنة عمان تعزي للمتغيرات النوع والوظيفة والخبرة.

٣- التوصل إلى مقترحات التغلب على المعوقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر المعلمين.

أهمية الدراسة :

يمثل الإشراف التربوي عاملا مهما، في نجاح العملية التعليمية، ولتحقيق هذه الأهداف المنشودة يتطلب منا توظيف التقانة الحديثة في الحقل التربوي، وتمكين المعلم الأول من ممارسة أدواره الإشرافية، وتستمد هذه الدراسة أهميتها في كونها:

١- تسعى للتعرف على المعوقات التي تواجه المعلمين في تطبيق الإشراف الإلكتروني.

٢- تساهم في تقديم مقترحات لتطوير الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر المعلمين.

٣- تقدم تصورا واضحا حول طبيعة الاشراف الإلكتروني القائم والمعمول به في سلطنة عمان.

حدود الدراسة :

تتمثل حدود الدراسة فيمايلي :

- حدود البشرية : معلمين ومعلمات المواد الأساسية في محافظة الداخلية.
- الحدود الزمانية : طبقت الدراسة في العام الدراسي (٢٠٢٢-٢٠٢٣).
- الحدود المكانية : محافظة الداخلية

مصطلحات الدراسة :

الإشراف التربوي: هو عملية فنية تشاركية، تهتم بتطوير العملية التعليمية، وتحسين أداء المعلم، من خلال زيارات المستمرة للمعلمين، وتقديم التغذية الراجعة لهم باستمرار(حسن وعوض الله، ٢٠٠٦).

الإشراف الإلكتروني: هو توظيف التكنولوجيا الحديثة، ليسهل عملية التواصل والاتصال مع المعلمين، لتوجيههم وتدريبهم ، لتطوير أدائهم المهني (Oliva&Pawlas, ٢٠٠٤)

ويعرفه الباحثان - إجرائيا - بأنه إشراف يعتمد على استخدام البوابة التعليمية ونظام المؤشرات التربوية وتوظيف كل الإمكانيات المادية ، لتوظيف الاتصال والتواصل في كل وقت ، وتخطي معظم الحواجز الزمانية والمكانية بهدف تحسين أداء المعلمين.

المعام الأول : يعرفه Allamki (٢٠٠٢:٢٣) بأنه " يعتبر بمثابة رئيس قسم المادة في المدرسة، والذي يقوم بعمل الدور الإشرافي كاملا على زملائه المعلمين من نفس التخصص، ويمثل حلقة الوصل بين المعلمين و المسؤولين الأعلى "

ويعرفه الباحثان - إجرائيا - بأنه المتابع لأداء المعلمين فيما يخص المادة العلمية وطرائق التدريس ويقدم لهم تغذية راجعة حول أدائهم ويعتبر مشرف مقيم في المدرسة. المعلم :هم من يمتلكون العلم والمعرفة والمشاركة في وضع المناهج، ويقوموا بدورهم بإيصالها إلى الطلبة ، باستخدامهم وسائل واستراتيجيات متنوعة ، لإكسابهم المعرفة(حارث ،، 2009) ويعرفه الباحثان - إجرائيا- بأنه الشخص الذي يقوم بدور إكساب الطلبة المهارات والمعارف اللازمة في مواد التربية الاسلامية واللغة العربية والعلوم والرياضيات واللغة الانجليزية. المنهجية والإجراءات
منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة الحالية المنهج الوصفي وذلك من أجل التعرف على معيقات الإشراف الإلكتروني وسبل تطويره من وجهة نظر معلمي التعليم الاساسي بمحافظة الداخلية بسلطنة عمان.
مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من جميع معلمي ومعلمات مدارس التعليم الأساسي بمحافظة الداخلية للعام الدراسي (٢٠٢٢- ٢٠٢١م الذين يدرسون المواد الأساسية(التربية الاسلامية - اللغة العربية - العلوم - الرياضيات - اللغة الإنجليزية) والبالغ عددهم حسب نشرة الاحصاءات(٣٨٩٠) من المعلمين والمعلمات من الذكور والإناث بواقع (١٦٣٧) من الذكور ، و(٢٢٥٣) الإناث.
عينة الدراسة:

تم اختيار عينة عشوائية من مجتمع الدراسة حيث تكونت العينة من (١٥٠) من المعلمين والمعلمات ، وتم اختيارهم بالطريقة العشوائية .
أداة الدراسة:

لإعداد الأداة قام الباحثان بالرجوع الى الأدب النظري والدراسات السابقة وإلى خبرتهما الميدانية، وبعد الاطلاع على الأدب التربوي، وبعض الدراسات السابقة مثل دراسة سفر (٢٠٠٨)، ودراسة الشافعي (٢٠٠٧)، قام الباحثان بالاستفادة من الأداة البحثية التي قام بها الكندي (٢٠١٧) مع تطويرها لتناسب مع فئة المعلمين، وذلك من أجل تحقيق هدف الدراسة والتي هدفت للتعرف على معيقات الإشراف الإلكتروني، وسبل تطويرها من وجهة نظر معلمي التعليم بمحافظة الداخلية بسلطنة عمان.

ولقد تكونت أداة الدراسة من جزئين الجزء الأول تضمن البيانات العامة عن عينة الدراسة والجزء الثاني شمل عبارات الأداة المتعلقة بمعيقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر معلمي التعليم بمحافظة الداخلية بسلطنة عمان، وتكونت الأداة في صورتها الأولية على ثلاثة محاور هي: محور الصعوبات الفنية والمتعلق بالبنية التحتية وله (٨) عبارات، ومحور الصعوبات الإدارية وله (٨) عبارات، ومحور الصعوبات المتعلقة بالمعلمين الأوائل وله (٥) عبارات، كما تم تبني تدرج ليكرت الخماسي (مرتفع جدا = ٥، مرتفع = ٤، متوسط = ٣، قليل = ٢، قليل جدا = ١).
صدق الأداة:

تم استخدام الصدق الظاهري أو ما يعرف بصدق المحكمين حيث تم توزيع أداة الدراسة على مجموعة من المختصين في التربية بشكل عام والإشراف التربوي بشكل خاص وفي مديرية الداخلية وبلغ عددهم (١٢) محكما ، وقد أخذ الباحثان بالملاحظات والمقترحات وقام بتعديل الاستبانة في ضوء ما أجمع عليه (٨٠%) من المحكمين وبذلك أصبحت الإداة مكونة من (30) فقرة في صورتها النهائية.
ثبات الاداة:

للتأكد من ثبات الأداة قام الباحثان بتطبيقها على عينة من خارج عينة الدراسة الأصلية مكونة من (٢٩) فرداً حيث تم استخدام معامل كرونباخ ألفا (Cronbac Alpha) ، ويوضح الجدول رقم (١) معامل الثبات بطريقة ألفا كرونباخ.

الجدول (١)

معامل الثبات لمحاور الاداة وللمجموع الكلي بمعادلة كرونباخ الفا

م	المحاور	معامل الثبات
1	الصعوبات الفنية (البنية التحتية)	.881
2	الصعوبات الإدارية	.900
3	صعوبات تتعلق بالمعلمين الأوائل	.896
	الثبات الكلي	.920

يتضح من خلال الجدول السابق أن أداة الدراسة تتصف بثبات مرتفع في المجموع الكلي للفقرات وعلى مستوى كل محور مما يجعلها صالحة للتطبيق في العينة الاصلية للدراسة.
إجراءات تطبيق الدراسة:

وبعد إعداد الأداة والتأكد من صدقها وثباتها واختيار العينة الممثلة، ولأجل الوصول لنتائج الدراسة استخدم الباحثان برنامج الرزمة الإحصائية في العلوم الاجتماعية (SPSS) حيث تم استخدام الأساليب الإحصائية الآتية عرض النتائج المتعلقة بالسؤال الأول:

أولاً: عرض ومناقشة النتائج المتعلقة بالإجابة عن السؤال الأول الذي نص على:

ما معوقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر المعلمين بمحافظة الداخلية؟

من أجل الإجابة على هذا السؤال تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الموافقة كما تم استخدام المعيار الاتي لتفسير نتائج هذا السؤال: من ١,٠٠-١,٧٩ قليل جداً، ومن ١,٨٠-٢,٥٩ قليل، و من ٢,٦٠-٣,٣٩ متوسط، ومن ٣,٤٠-٤,١٩ كبيرة، ومن ٤,٢٠-٥,٠٠ كبيرة جداً.

* استمد هذا المعيار من قاعدة التقريب الحسابي للأعداد الصحيحة (٥، ٤، ٣، ٢، ١) التي تمثل تدرجات المقياس المستخدم

١- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الموافقة مرتبة تنازلياً حسب المتوسط الحسابي بالنسبة لمحاور أداة الدراسة

حيث يظهر الجدول رقم (٢) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الموافقة بالنسبة لمحاور الاداة مرتبة تنازلياً حسب المتوسط الحسابي الجدول (٢)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الموافقة بالنسبة لمحاور أداة الدراسة مرتبة تنازلياً حسب المتوسط الحسابي

م	محاور الاداة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة وجود المعوق
1	الصعوبات الفنية (البنية التحتية)	3.8883	.70802	كبير
2	صعوبات تتعلق بالمعلمين الأوائل	3.56400	.729096	كبير
3	الصعوبات الادارية	3.5200	.82714	كبير
	المجموع الكلي	3.6708	.68706	كبير

يتضح من خلال الجدول السابق أن درجة موافقة عينة الدراسة حول معوقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر معلمي محافظة الداخلية بالنسبة لمحاور أداة الدراسة كانت ضمن درجة الموافقة الكبيرة، حيث بلغ المتوسط الإجمالي (٣.٦٧٠) والانحراف المعياري (٠.٦٨٧)، حيث تراوحت متوسطات المحاور بين (٣.٨٨) و (٣.٥٢) فجاء محور

الصعوبات الفنية في المرتبة الأولى وبدرجة وجود معوق كبير وبمتوسط حسابي (٣.٨٨)، بعد ذلك جاء محور صعوبات تتعلق بالمعلمين الأوائل في المرتبة الثانية وبدرجة وجود معوق بدرجة كبيرة أيضا حيث بلغ المتوسط الحسابي (٣.٥٦)، وجاء في المرتبة الأخيرة محور الصعوبات الإدارية حيث حصل على درجة موافقة متوسطة وبمتوسط حسابي بلغ (٣.٦٧)، وقد يعزى حصول المجموع الكلي ومحاور الدراسة على وجود معيقات بدرجة كبيرة إلى أن هناك إشكالية في النظام التقني سواء من مزود الخدمة أو في طبيعة المنصات التي يعتمد عليها المشرف، والتي تصل للمعلم بصورة ناقصة أو متفرقة، مثل التغذية الراجعة المتعلقة بالزيارات الإشرافية، وملاحظات المشرف حول التحضير وغيره، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الشافعي (٢٠٠٧).

٢- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الموافقة بالنسبة لمحور الصعوبات الفنية:

حيث يظهر الجدول رقم (٣) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الموافقة لمحور الصعوبات الفنية الجدول (٣):

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الموافقة لمحور الصعوبات الفنية.

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة وجود المعوق
1	بطء موقع البوابة التعليمية	4.3067	.83503	كبير جدا
2	نقص اجهزة الحاسب الآلي الموفرة للمعلمين و المعلمين الأوائل	4.1400	1.02995	كبير جدا
3	ضعف خدمة الإنترنت من قبل مزود الخدمة	4.1400	.98328	كبير جدا
4	ضعف خدمات الصيانة الدورية لأجهزة الحاسب الآلي بالمدرسة	4.0467	.99890	كبير جدا
5	قلة توفر الدعم الفني اللازم	3.8333	1.02595	كبير
6	نقص التجهيزات اللازمة لتطبيق الإشراف الإلكتروني مثل (سجلات المعلم الأول وغيره)	3.8067	1.05993	كبير
7	قلة وضوح دليل توظيف الإشراف الإلكتروني	3.6533	.97614	كبير
8	صعوبة الحصول على المعلومات و البيانات اللازمة لعمل المعلم الأول	3.1800	1.03021	متوسط
	الصعوبات الفنية	3.8883	.70802	كبير

يتضح من خلال الجدول السابق أن درجة موافقة عينة الدراسة حول معيقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر المعلمين بمحافظة الداخلية بسلطنة عمان بالنسبة لمحور الصعوبات الفنية كانت ضمن درجة الموافقة الكبيرة حيث بلغ المتوسط الإجمالي (٣.٨٨) والانحراف المعياري (٧.٠٨٠)، وتراوح مستوى عبارات هذا المحور بين الكبيرة جدا، والكبيرة، والمتوسطة حيث تراوح المتوسط الحسابي بين (٣.١٨) و(٤.٣٠)، فجاءت عبارة "بطء موقع البوابة التعليمية" في المرتبة

الأولى حيث حصلت على درجة موافقة كبيرة جدا وبمتوسط حسابي (٤.٣٠)، وقد يعزى ذلك إلى ارتباط سرعة الشبكة بكافة خدمات البوابة التعليمية، والتي يلمسها المعلم بصفة مستمرة، وعاشها بصورة واضحة، وجليه في أوج تداعيات أزمة كورونا، والتي تطلبت من الجميع الاعتماد على البوابة التعليمية المثقلة بالمنصات والمستخدمين .

وجاءت عبارة "نقص أجهزة الحاسب الآلي الموفرة للمعلمين و المعلمين الأوائل " في المرتبة الثانية حيث حصلت على درجة موافقة كبيرة جدا وبمتوسط حسابي (٤.١٤) وقد يعلل ذلك بسبب عدم تحديد إحلال الأجهزة القديمة، الأمر الذي شكل تحدي كبير للمعلمين لمواكبة مستجدات توجيهات الإشراف التربوي.

بينما حصلت عبارة "صعوبة الحصول على المعلومات و البيانات اللازمة لعمل المعلم الأول "على المرتبة الأخيرة وبدرجة موافقة متوسطة وبمتوسط حسابي (٣.١٨) وقد يفسر ذلك بسبب أن المعلم الأول قادر -في الغالب- على جلب البيانات التي تتطلبها وظيفته، بأكثر من طريقة سواء من خلال إدارة المدرسة والإشراف التربوي.

وحصلت عبارة "قلة وضوح دليل توظيف الإشراف الإلكتروني " على المرتبة قبل الأخيرة وبدرجة موافقة كبيرة حيث بلغ المتوسط الحسابي (٣.٦٥)، وقد يعزى ذلك إلى أن دليل المتابعة الإشراف الإلكتروني الحالي بقدر ما يعتبر تحدي كبير يقدر أنه لا يشكل أولوية في التحديات لدى المعلمين لإمامهم بالجوانب التقنية.

٣- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الموافقة لمحور الصعوبات الإدارية

حيث يظهر الجدول رقم (٤) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الموافقة بالنسبة لمحور الصعوبات الادارية جدول (٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الموافقة بالنسبة لمحور الصعوبات الادارية

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة وجود المعوق
1	قلة إقتناع بعض المسؤولين بجدوى الإشراف الإلكتروني	3.7533	.99621	كبير
2	ضعف التنسيق بين الجهات الإشرافية التي تشرف على الإشراف الإلكتروني	3.6267	1.01364	كبير
3	ميل المسؤولين إلى الأساليب التقليدية في العمل مما يعيق إستخدام الإشراف الإلكتروني	3.6200	1.10927	كبير
4	ضعف التشريعات واللوائح المنظمة للإشراف الإلكتروني	3.5933	1.04333	كبير
5	قلة كفاية التدريب للمعلمين الأوائل في الجانب التقني المرتبط بالإشراف الإلكتروني	3.5867	1.01126	كبير
6	قلة الصلاحيات الممنوحة للمشرفين للإطلاع على البيانات المرتبطة بالمدارس والتحصيل وتقارير الكفاية للمعلمين وغيره	3.5667	1.04539	كبير
7	ضعف توثيق البيانات في البوابة التعليمية من قبل الهيئات الإدارية و	3.2867	1.13123	متوسط

			التدريسية بالمدارس	
متوسط	1.05739	3.1267	قلة المتابعة الفنية اللازمة لتطبيق الإشراف الإلكتروني من قبل الإدارة	8
كبير	.82714	3.5200		المجموع الكلي

يتضح من الجدول السابق أن المتوسط العام لمحور الصعوبات الإدارية بلغ (٣.٥٢٠) بدرجة كبيرة وبانحراف معياري (٠.٨٢٧)، وتراوح المتوسطات في هذا المحور بين (٣.٧٥٣) و (٣.١٢٦) أي بين الكبيرة والمتوسطة، حيث تصدرت العبارة " قلة اقتناع بعض المسؤولين بجدوى الإشراف الإلكتروني " بمتوسط (٣.٧٥٣) تلتها العبارة " ضعف التنسيق بين الجهات الإشرافية التي تشرف على الإشراف الإلكتروني " بمتوسط (٣.٦٢٦)، ثم جاءت العبارة " ميل المسؤولين إلى الأساليب التقليدية في العمل مما يعيق استخدام الإشراف الإلكتروني " بمتوسط (٣.٦٢٠)، ويمكن تفسير ذلك بتركيز الوزارة بتطوير المنصات التي تخدم الطالب مباشرة، والتباطؤ في الخدمات الرقمية المصاحبة، ربما هذا ينتج انطبعا لدى المعلمين بتقصير المسؤولين ويؤولون هذا التقصير بميلهم للأساليب التقليدية.

وقد جاءت في المرتبة الأخيرة العبارة " قلة المتابعة الفنية اللازمة لتطبيق الإشراف الإلكتروني من قبل الإدارة " بمتوسط (٣.١٢٦) وبدرجة متوسطة، وفي المرتبة التي قبلها جاءت العبارة " ضعف توثيق البيانات في البوابة التعليمية من قبل الهيئات الإدارية و التدريسية بالمدارس " بمتوسط (٣.٢٨٦) وبدرجة متوسطة، ويمكن تفسير ذلك أن من متطلبات تقييم إدارة المدرسة هو توظيف المتابعة الإشرافية الالكترونية، وتغذية الأنظمة المحوسبة بالبيانات اللازمة، الأمر الذي يشعر المعلم باهتمام الإدارة بهذا الجانب.

٤- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الموافقة بالنسبة لمحور الصعوبات المتعلقة بالمعلمين الأوائل
حيث يظهر الجدول رقم (٥) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الموافقة بالنسبة لمحور الصعوبات المتعلقة بالمعلمين الأوائل
جدول رقم (٥)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الموافقة بالنسبة لمحور الصعوبات المتعلقة بالمعلمين الأوائل

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة وجود المعوق
1	كثرة أعباء المعلمين الأوائل التي تعيق تفاعلهم مع الإشراف الإلكتروني.	4.0800	1.02007	كبير جدا
2	تعدد طرق المتابعة و التقييم تشعر المعلم الأول بالازدواجية	4.0200	.87062	كبير جدا
3	تدني دافعية المعلمين الأوائل لاستخدام التقنيات الحديثة	3.2600	1.05188	متوسط
4	ضعف الثقافة التقنية لدى المعلمين الأوائل	3.2267	1.11215	متوسط

متوسط	1.08940	3.2333	قلة إهتمام المعلمين الاوائل بالتوصيات المبنية على الإشراف الإلكتروني.	5
كبير	.729096	3.56400	المجموع الكلي	

يتضح من الجدول السابق أن المتوسط العام لمخبر المعلم الأول بلغ (٣.٥٦٤) بدرجة كبيرة، وبانحراف معياري (٠.٧٢٩)، وتراوح المتوسطات في هذا المخبر بين (٤.٠٨٠) و (٣.٢٣٣) أي بين الكبيرة جدا والمتوسطة، حيث تصدرت العبارة "كثرة أعباء المعلمين الأوائل التي تعيق تفاعلهم مع الاشراف الإلكتروني" بمتوسط (٤.٠٨٠) تلتها العبارة "تعدد طرق المتابعة و التقييم تشعر المعلم الأول بالازدواجية" بمتوسط (٤.٠٢٠)، ويمكن تفسير ذلك بارتفاع أنصبة المعلمين وتداعيات الأمر إلى ارتفاع انصبة المعلمين الأوائل، وكثرة المسؤوليات والعبء الإداري الملحق على كاهل المعلم الأول.

وقد جاءت في المرتبة الأخيرة العبارة " قلة اهتمام المعلمين الاوائل بالتوصيات المبنية على الإشراف الإلكتروني." بمتوسط (٣.٢٣٣) وبدرجة متوسطة، وفي المرتبة التي قبلها جاءت العبارة " ضعف الثقافة التقنية لدى المعلمين الأوائل " بمتوسط (٣.٢٢٦) وبدرجة متوسطة، ويمكن تفسير ذلك أن المعلم الأول تدرّب بما فيه الكفاية على توظيف المتابعة الاشرافية الالكترونية في متابعة المعلمين، كما أصبح ملما بتفاصيل الخدمات التقنية الخاصة بالاشراف الإلكتروني

ثانياً: عرض نتائج السؤال الثاني والذي نص على: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة حول معيقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر المعلمين بمحافظه الداخلية بسلطنة عمان تعزى للمتغيرات: النوع والوظيفة والخبرة؟

من أجل الاجابة على هذا السؤال تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار T-Test لمتغيري النوع والوظيفة.

١- بالنسبة لمتغير النوع

يوضح الجدول رقم (٦) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار T-TEST لمحاور الأداة بالنسبة لمتغير النوع

جدول (٦)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار T-TEST لمحاور الادارة بالنسبة لمتغير النوع

المحاور	النوع	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت	مستوى الدلالة	اتجاه الدلالة
الصعوبات الفنية	ذكر	53	3.9976	.74658	148	1.402	163	غير دالة
	انثى	97	3.8286	.68259				
الصعوبات الإدارية	ذكر	53	3.7406	.82146	148	2.454	.015	دالة لصالح

الذكور				.80922	3.3995	97	انثى	
غير دالة	.338	.962	148	.781870	3.64151	53	ذكر	الصعوبات المتعلقة بالمعلمين الأوائل
				.699140	3.52165	97	انثى	
غير دالة	.057	1.916	148	.68770	3.8149	53	ذكر	المجموع الكلي
				.67731	3.5920	97	انثى	

*داله عند مستوى $\alpha \leq 0.05$

يلاحظ من خلال الجدول السابق عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (0,05) حول معيقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر المعلمين بمحافظة الداخلية بسلطنة عمان بين الذكور والإناث في محوري الصعوبات الفنية والصعوبات المتعلقة بالمعلمين الأوائل وكذلك المجموع الكلي وهذا يعني أن هنالك تقارب في الآراء بين المعلمين والمعلمات بينما يلاحظ ان هنالك فروقاً داله احصائيا بين الذكور والإناث في محور الصعوبات الادارية ومن خلال المتوسط الحسابي نجد أن الفروق لصالح الذكور وهذا يعني أن مستوى وجود المعوقات الإدارية في مدارس الذكور كان أكبر من مدارس الإناث، وقد يعزى ذلك إلى طبيعة الذكور التي تميل للجانب العملي الذي توفره التقانة، والرغبة في الاستفادة منها إلى أكبر حد ممكن، الأمر الذي يكشف لهم واقع التحديات بشكل أكبر.

٢- بالنسبة لمتغير الوظيفة

يوضح الجدول رقم (٧) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار T-TEST لمحاو الاداة بالنسبة لمتغير الوظيفة

جدول (٧)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار T-TEST لمحاو الادارة بالنسبة لمتغير الوظيفة

المحاور	النوع	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت	مستوى الدلالة	اتجاه الدلالة
الصعوبات الفنية	معلم	116	3.8481	.70089	148	1.290	.199	غير دالة
	معلم اول	34	4.0257	.72547				
الصعوبات الادارية	معلم	116	3.4828	.80856	148	1.019	.310	غير دالة
	معلم اول	34	3.6471	.88841				
الصعوبات المتعلقة بالمعلمين الاوائل	معلم	116	3.58966	.719828	148	.795	.428	غير دالة
	معلم اول	34	3.47647	.764381				
المجموع الكلي	معلم	116	3.6474	.67694	148	.770	.442	غير دالة

				.72522	3.7507	34	معلم اول	
--	--	--	--	--------	--------	----	----------	--

يلاحظ من خلال الجدول السابق عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (0,05) حول معيقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر المعلمين بمحافظة الداخلية بسلطنة عمان بين وظيفة معلم ووظيفة معلم أول في جميع محاور أداة الدراسة وكذلك المجموع الكلي وهذا يعني أن هنالك تقارب في الآراء بين الموظفين حول درجة وجود معيقات الإشراف الإلكتروني، ويمكن أن نعزي هذا لكون المعلم الأول والمعلم في بيئة تعليمية واحدة يواجهون ذات التحديات، وبفعل النقاشات والتفاعلات بينهم والأعمال المشتركة تتكون لديهم

٣- متغير سنوات الخبرة:

تم إجراء اختبار تحليل التباين الاحادي (One Way Anova) لثلاث مجموعات مستقلة وفقاً لمتغير سنوات الخبرة (من ١- الى اقل من ٦ سنوات) - (من ٦ سنوات الى ١٠ سنوات) - (أكثر من ١٠ سنوات)، حسب ما يشير إليه جدول (٨).

جدول (٨)

التباين الاحادي (One Way Anova) للكشف عن الفروق بين تقديرات افراد عينة الدراسة لمعيقات الاللكتروني وفقاً لمتغير سنوات الخبرة

المحاور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
الصعوبات الفنية	بين المجموعات	5.166	2	2.583	5.461	.005*
	داخل المجموعات	69.526	147	.473		
	المجموع الكلي	74.692	149			
الصعوبات الادارية	بين المجموعات	9.536	2	4.768	7.585	.001*
	داخل المجموعات	92.404	147	.629		
	المجموع الكلي	101.940	149			
الصعوبات المتعلقة بالمعلمين	بين المجموعات	4.039	2	2.019	3.949	.021
	داخل المجموعات	75.167	147	.511		
	المجموع الكلي	79.206	149			
المجموع الكلي	بين المجموعات	6.321	2	3.161	7.258	.001
	داخل المجموعات	64.014	147	.435		
	المجموع الكلي	70.335	149			

*داله عند مستوى ($\alpha < 0,05$)

يتضح من جدول (٨) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة من المعلمين والمعلمات، حول معيقات الإشراف الإلكتروني من وجهة نظر معلمي التعليم بمحافظة الداخلية بسلطنة عمان تُعزى لمتغير سنوات الخبرة (من ١- الى اقل من ٦ سنوات) - (من ٦ سنوات الى ١٠ سنوات) - (أكثر من ١٠ سنوات)، في جميع المحاور وكذلك المجموع الكلي، ومن أجل معرفة مصدر الفروق تم استخدام اختبار شيفيه للمقارنات البعدية ويتضح ذلك من خلال جدول رقم (٩)

جدول رقم (٩)

اختبار شيفيه للمقارنات البعدية لمتغير عدد سنوات الخبرة

المحاور	عدد سنوات الخبرة	المتوسط الحسابي	١-اقل من ٥	5-10	أكثر من ١٠
الصعوبات الفنية	١-اقل من ٥	3.5134	-	0,05*	0,05*
	6-10	4.1029	0,05*	-	-
	أكثر من ١٠	3.9536	0,05*	-	-
الصعوبات الادارية	١-اقل من ٥	3.0223	-	0,05*	0,05*
	6-10	3.8603	0,05*	-	-
	أكثر من ١٠	3.5976	0,05*	-	-
الصعوبات المتعلقة بالمعلمين	١-اقل من ٥	3.25714	-	0,05*	-
	6-10	3.83529	0,05*	-	-
	أكثر من ١٠	3.60190	-	-	-
المجموع الكلي	١-اقل من ٥	3.2653	-	0,05*	0,05*
	6-10	3.9468	0,05*	-	-
	أكثر من ١٠	3.7342	0,05*	-	-

*داله عند مستوى $\alpha \leq 0,05$

يتضح من خلال جدول رقم (٩) أن الفروق الاحصائية لمتغير الخبرة بالنسبة لمحاور الدراسة كانت بين مستوى الخبرة (١- الى اقل من ٦ سنوات) وبين مستوى الخبرة (من ٦ - ١٠ سنوات) و (أكثر من ١٠ سنة) ومن خلال المتوسط الحسابي يتضح ان الفروق لصالح العينة من أصحاب الخبرة (١- الى اقل من ٦ سنوات) وبين مستوى الخبرة (من ٦ - ١٠ سنوات)

وقد يعني ذلك أن أصحاب الخبرة الأعلى يرون أن هنالك معيقات أكثر من أصحاب الخبرة الأدنى (١-٥ سنوات)، بينما لا توجد فروق دالة بين أصحاب الخبرة (٦-١٠ سنوات) و(أكثر من ١٠ سنوات) وقد يعزى وجود هذه الفروق لصالح أصحاب الخبرة الأكبر الى أن طموح أصحاب الخبرة للتجويد يرفع من سقف توقعاتهم للحلول التي تقدمها التقانة، كما أن أصحاب الخبرة الأقل تكون أولوياتهم في اكتساب كفايات التدريس لازمة في بدء مشوارهم المهني.

ثالثاً: عرض نتائج السؤال الثالث والذي نص على ماهي المقترحات لتطوير الإشراف الإلكتروني؟

وقد تم الإجابة على هذا السؤال من خلال التكرارات والنسب المئوية كما يوضح الجدول (١٠) التالي :

جدول (١٠) التكرارات والنسب المئوية لمقترحات تطوير الإشراف الإلكتروني

م	المقترحات	التكرار	النسب
1	تدريب المعلمين على استخدام التقانة	20	27,7
2	تقوية شبكة الانترنت داخل المدرسة	14	19,4
3	تمكين المعلم الأول من الإشراف الإلكتروني	11	15
4	تقنين الزيارات الصفية من حيث العدد والفئات لاستفادة من الإشراف الإلكتروني.	9	12,5
5	توفير أجهزة حواسيب للمعلمين داخل المدرسة.	7	9,7
6	توفير السجلات اللازمة والبرامج الالكترونية في البوابة التعليمية لتسهيل تطبيق الإشراف الإلكتروني.	6	8,3
7	التقليل من الأعباء الورقية للمعلمين والتركيز على الإشراف الإلكتروني.	5	6,9

يتضح من الجدول (١٠) أن عدد أفراد العينة الذين أجابوا عن السؤال بلغ (٧٢) ، ويتضح أن المقترح (تدريب المعلمين على استخدام التقانة) جاء في المرتبة الأولى وقد أجاب عليه (٢٠) معلم بنسبة (٢٧,٧) وقد يعزى ذلك إلى احتياج المعلمين لتدريب على استخدام التقانة، بينما جاء (مقترح تقوية شبكة الانترنت داخل المدرسة) في المرتبة الثانية وأجاب عليه (١٤) معلم بنسبة (١٩,٤) وقد يعزى ذلك إلى ضعف الشبكة داخل المدرسة ، أما مقترح (تمكين المعلم الأول من الإشراف الإلكتروني) جاء في المرتبة الثالثة ، حيث أجاب عليه (١١) بنسبة (١٥%) وقد يعزى لحاجة المعلم الأول لصلاحيات إضافية في النظام الإلكتروني تتيح له الاطلاع على تفاصيل نظام المؤشرات مثلا ، والاطلاع على أرشيف تقارير الكفاية للمعلمين وغيرها من الخدمات. وجاءت عبارة (تقنين الزيارات الصفية من حيث العدد والفئات لاستفادة من الإشراف الإلكتروني) في المرتبة الرابعة ، حيث أجاب عليه (٩) بنسبة (١٢%) ، وقد يعزى ذلك إلى كثرة الزيارات في البوابة التعليمية.

الاستنتاجات:

في ضوء نتائج الدراسة توصل الباحثان إلى أن درجة معيقات الإشراف الإلكتروني، كما أظهرت النتائج أن متغير الجنس كان له أثر ذو دلالة إحصائية في درجة استخدام التقانة لصالح الذكور، حيث أن الذكور أكثر عملياً يفضلون استخدام الانترنت، ومن حيث الخبرة يتضح أن أصحاب الخبرة الأعلى يرون أن هناك معيقات أكثر من أصحاب الخبرة الأدنى، وقد يعزي ذلك إلى رغبتهم في استخدام الإشراف الإلكتروني لتجويد العمل، وبالنظر للاستنتاجات السابقة فإن هذا يتطلب مزيداً من الاهتمام في توفير الانترنت داخل المدارس، وتدريب المعلمين على استخدام التقانة.

التوصيات والمقترحات :

في ضوء نتائج هذه الدراسة، يوصى الباحثان بالآتي :

١. تطوير الإشراف الإلكتروني بإدخال تكنولوجيا المعلومات، وتطوير اللوائح والتشريعات، ليسهل تطبيق الإشراف الإلكتروني في الواقع التعليمي.
٢. تمكين المعلمين الأوائل بصورة أكبر في استخدام التقانة وصلاحياتها مثل الاطلاع على أرشيف التقارير الفنية وتقارير الأداء التي تخص المعلمين، والاطلاع على تفاصيل نظام المؤشرات التربوية .
٣. تطوير البنية التحتية الخاصة بالشبكات، وزيادة التوعية، بأهمية النظم التقنية في تسهيل الأعمال الفنية.

المراجع العربية:

- حارث عبود (٢٠٠٦). الاتصال التربوي، دار للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
- حسين، سلامة، وعوض الله، سليمان (٢٠٠٦). اتجاهات حديثة في الإشراف التربوي، دار الفكر، عمان الأردن،
- سفر، صالحة مُجَّد (٢٠٠٨). الإشراف عن بعد بين الأهمية والممارسة ومعوقات استخدامه، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
- الشافعي، خالد محمود (٢٠٠٧). واقع استخدام المشرفين التربويين للشبكة العنكبوتية في تفعيل أسلوبي القراءات الموجهة والنشرات التربوية في مجال الإشراف التربوي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
- الغامدي، مُجَّد عبدالله (٢٠١٠)، أهمية ومعيقات الإشراف التربوي الإلكتروني باستخدام نظم التعليم الإلكتروني لدى المشرفين التربويين والمعلمين في تحقيق بعض المهام الإشرافية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

الكندي، أفلح أحمد (٢٠١٧). أثر المتابعة الإشرافية الإلكترونية على أداء المعلم الأول وصعوباتها من وجهة نظر المشرفين التربويين . رسالة دكتوراة منشورة . الجامعة التونسية.
المعيدي ، حنس سالم .(٢٠١١)، الإشراف الإلكتروني في التعليم العام (الواقع والمأمول) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، السعودية .
المغدوي ، حامد عايش (٢٠٠٨)، فاعلية الإشراف الإلكتروني في أداء معلمي الرياضيات ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، السعودية .

- المراجع الأجنبية:

- Allamki, Nubhan (2002). Analysis of Supervision Feedback Reports of Senior English Teachers in Basic Education Schools. Nunpublished Master Thesis, SQU University
- Baltimore, Michaela,(2003).multimedia in the counselor education classroom : transforming leering with video technology,P.24
- Carboni, Land Riggsbe e,J (2007) .We needed support and it was out there: Building an Online Learning Community with Community with Cooperating Teachers. Electronic Journal for The Integration of Technology in Educational Media International,41(2):153-143
- Horn,V.et al. (2001). Computer Technology and the 21st Century School Counselor Professional School Counselor, **Academic journal article from Professional School Counseling**,5(2):123-124
- Oliv,P.and Pawlas,E.(2004).Supervision for Today's New Schools.7 ed.NY:**John Wiley Sons Inc.**
- Kessell ,S(2000).Creaking a Web-Based Learning Technologies Degree for K-12 Teachers The Technology Source ,At University of North Carolina.



The International Journal



Research In Educational and Human Sciences, Arts and Languages

**An International Academic Peer-reviewed
Journal Interested in the Educational and
Human Sciences ,Art and Languages**

**Published by the University of Basra College of Education
For Girls in Iraq and The Centre For Research and Human
Resources Development ;Rimah-Amman - Jordan**

ISSUE 26 PART 2 DATE 15/6/2023